

ISSN (Print): 2308-2623
ISSN (Online): 3135-2243



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY

مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

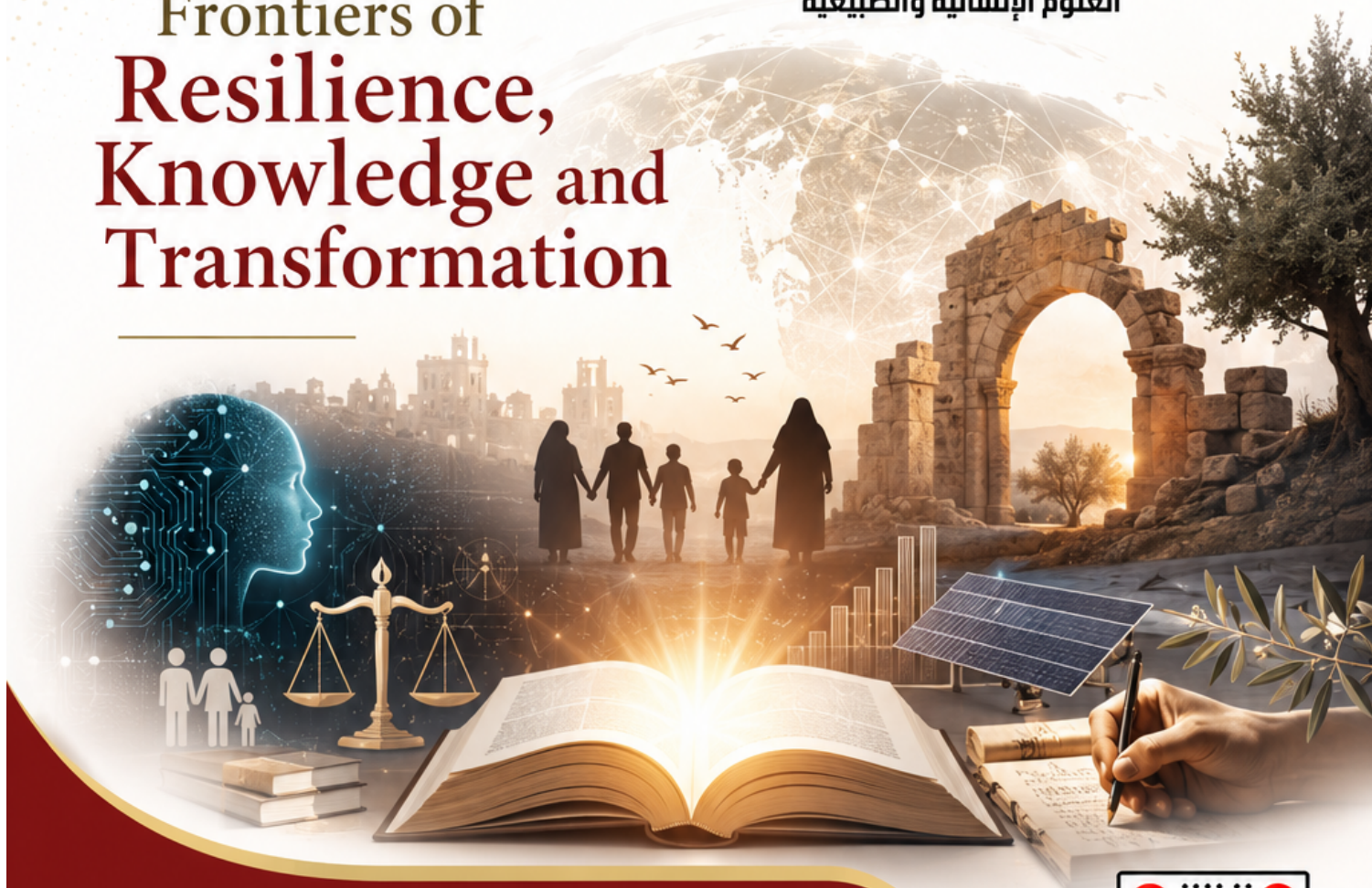
Scientific Refereed Journal (Open Access)

مجلة علمية محكمة

Humanities and Natural Sciences

العلوم الإنسانية والطبيعية

Frontiers of Resilience, Knowledge and Transformation



Volume
12

Issue
2

June
2026





JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

أزمة الهيمنة الذكورية عند شعراء الغزل العذري، بين الغرائزية والعقلانية: قراءة نفسية

ليث النص¹، عبد الخالق عيسى²

¹ قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية
² قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية والتربوية، جامعة النجاح الوطنية
الباحث المراسل: laithnees@gmail.com

Received: 15/4/2024. Revised: 16/5/2024. Accepted: 30/12/2024. Published: 30/06/2026
DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.1

الملخص

يحاول هذا البحث عرض مفهوم الهيمنة الذكورية، ودراسته من حيث كونه مرتكزاً رئيساً من مرتكزات الهوية النفسية، كاشفاً عن أهم الدواعي التي أدت إلى تجلّي هذا المفهوم ووصفه في العقلية البشرية الجمعية، مستعيناً بمخرجات نظرية التحليل النفسي وإفرازاتها؛ بقصد اتخاذ شعراء الغزل العذري نموذجاً لإجراء هذه الدراسة، استناداً إلى ما شهدته طبيعة علاقاتهم العاطفية من خصوصية فريدة، في ضوء ما تحكم بمصيرهم من خضوع لمبدأي اللذة والواقع، وما عاشوه من وطأة الكبت ومحاولات التفرغ. وقد توصل البحث إلى عددٍ من النتائج أهمها: أنّ العذريين عاشوا تعارضاً مفرطاً بين مبدأي اللذة والواقع؛ انسجاماً مع ما طبع حياتهم من تأرجح بين الغرائزية والعقلانية، وأنّ الكبت يمثل جوهر حياة العذريين؛ نظراً لخضوعهم للذة التي لم يكن يوسعهم إشباعها في واقعهم، ما أدى بهم إلى اللجوء إلى حيل دفاعية كثيرة لتفريغ جزء من مكبوتهم.

الكلمات المفتاحية: الهيمنة الذكورية، الشعراء العذريون، مبدأ اللذة، الكبت.

1. المقدمة

مشكلة البحث: يعالج البحث الهيمنة الذكورية بوصفها مكوناً رئيساً من مكونات الهوية النفسية، ويحاول رصد هذا المكون عند شعراء الغزل العذري في إطار علاقاتهم العاطفية التي شهدت اضطراباً ملموساً في كثيرٍ من تجلياتها، ويسعى إلى رصد ملامح هذه الهيمنة ومدى تأرجحها بين الاضطراب والأتزان في ضوء ما تقدّمه النظرية النفسية من أدوات تحليلية معينة على ذلك، فجري رصد ذكورتهم الراضية تحت وطأة مبدأي اللذة والواقع، وما عصفت بهذه الذكورة من شدة الكبت، كما جرى تتبع أهم ما حاولوا اللجوء إليه من حيل دفاعية؛ لتفريغ جزء من ذلك المكبوت.

أهمية البحث: يعدّ هذا البحث نموذجاً تطبيقياً للقراءة المرتكزة على جوهر نظرية التحليل النفسي، وما أفرزته من مخرجات جرت الاستفادة منها في دراسة ذكورة العذريين في علاقاتهم العاطفية مع محبوباتهم، استناداً إلى ما ترسّخ بشعرهم من إشارات تحيل إلى بعض النوازع النفسية التي تبدي الهيمنة الذكورية لأصحابها بصورة مضطربة.

فرضية البحث: يفترض البحث عدداً من الفرضيات، ويحاول الدفاع عنها، ومنها:

- العلاقة بين الذكورة والأنوثة علاقة تكاملية، لا فضل لأيٍّ منهما، لكنّ الذكورة أفلحت في أن تحقق لنفسها هيمنةً وتفوَّقاً في الذهنية البشرية الجمعية.
- يعدّ الخضوع نقيضاً للهيمنة، فمن يخضع لأمرٍ ما، يقع تحت هيمنته.
- كلما زاد تعرّض الحصول على اللذة، وتفاقم الألم في سبيل إشباعها، زاد التعلّق بها والخضوع لها.
- الكبت الذي عاشه العذريون كان سبباً مباشراً في إعاقة اكتمال معاني ذكورتهم، لا سيّما أنّه حملهم أثقالاً قد لا يقوون على حملها.
- لا بدّ لأيّ نفسٍ من اللجوء إلى حيلٍ دفاعية؛ لتفريغ مكبوتها، ولم تكن النفس العذرية بمنأى عن ذلك؛ سعياً منها إلى إدراك بعض ممّا أعاق الواقع إدراكه.

هدف البحث: يهدف البحث إلى تقديم قراءة واعية لذكورة الشعراء العذريين؛ لمحاولة الكشف عن هيمنتها، ويستعين بأسس نظرية التحليل النفسي لتحقيق هذه الغاية، ويسعى إلى إزالة الستار عن أهم ما قد يعتري الذكورة من نوازع قد تؤدي إلى إعاقة اكتمالها، أو إصابة مكوناتها بنقص ما، استناداً إلى أهم الآثار المترتبة عن فشل العلاقة العاطفية لشعراء الغزل العذري. **هيكلية البحث:** يقف البحث على ركيزتين أساسيتين، الأولى نظرية تحتوي فرساً تأسيسياً يمهد البساط بعرض مفهوم الهيمنة الذكورية وأهم العوامل التي أسهمت في تجليه وصلقه، والثانية إجرائية، يجري فيها رصد الهيمنة الذكورية في شعر الغزل العذري، في ضوء إطارين اثنين؛ ذكورة العذريين بين مبدأي اللذة والواقع، وذكورتهم تحت وطأة الكبت والتفريغ.

2. منهجية البحث

يقوم البحث على المنهج الوصفي التحليلي، ويحاول الارتكاز على أهم إفرازات نظرية التحليل النفسي، كمبدأ اللذة، ومبدأ الواقع، والكبت، والتفريغ، والحبل الدفاعية، عبر وصف أهم الظواهر التي طبعت الغزل العذري، ثم تحليل نماذج مختارة منه؛ لاستشفاف بعض النوازع النفسية والهواجس الذاتية التي تموج فيها.

3. مهاده نظري

3.1 هيمنة الذكورة وانتصارها

إن بسط فضائل الرجال والنساء ومدّ حبال المفاضلة بينهما، لا يبدو أمراً ذا جدوى منطقية، فالذكورة والأنوثة لا تنفكان عن كونهما كفتي ميزان الحياة، ولا يشترط رجحان إحدهما، فلا غنى لأيٍ منهما عن الأخرى، والعلاقة بينهما تكاملية محضة، ولا وجود لأي ركيزة عقلانية يستند إليها تفضيل أحد الجنسين، وإعطائه مرتقى يرتقي به دون نظيره، لكن رغم ذلك كله، يستشف تفوقٌ ضمني للذكورة كامنٌ في بواطن العقلية الجمعية للشعوب؛ لأن الذكورة تتصدر واجهة الحياة العامة، ما يعطيها انتصاراً ضمنياً وهيمنةً كامنةً، يطفو تجليهما على سطح الواقع كلما دعت الحاجة، من غير أن يكون ذاك الإحساس الكامن مشفوعاً بتسويغ حقيقي لذلك الانتصار، أو لتلك الهيمنة.

إن هذا الإحساس الكامن بتفوق الذكورة وفضل الرجال، ذو أصولٍ راسخة في الثقافة البشرية عموماً والعربية خصوصاً، ويلمح من كلام الجاحظ الذي أقر بحق النساء ولم ينكر فضلهن شيء من هذا، ولم يجنبه إقراره بفضلهن الاعتقاد بفضل الرجال، من غير أن يكون هذا الاعتقاد مسوّغاً، فهو يقول: "ونحن وإن رأينا أن فضل الرجل على المرأة، في جملة القول في الرجال والنساء، أكثر وأظهر، فليس ينبغي لنا أن نقصر في حقوق المرأة. وليس ينبغي لمن عظم حقوق الآباء أن يصغر حقوق الأمهات، وكذلك الإخوة والأخوات، والبنون والبنات. وأنا وإن كنت أرى أن حق هذا أعظم فإن هذه أرحم." (الجاحظ، 1964، 157).

فإقراره بحق المرأة وفضلها، لم يكن كافياً لمنع اعتقاده بكثرة فضل الرجال وظهوره عليهن بصريح تعبيره، بغير أن يكون هذا الحكم مشفوعاً بتسويغ يفسره، أو بتأويل يوجهه.

وقد علّق بيير بورديو Pierre Bourdieu على مثل هذه الظاهرة المتفشية في العالم، بإشارته إلى أن النظام الذكوري قد بلغ مبلغاً من القوة لا يرى فيه داعياً إلى تسويغ رؤيته، وإن المركزية الذكورية تفرض وجودها بوصفها نظاماً محايداً، غنياً عن أيّ مسلك يسلكه ابتغاء تشريعه (بورديو، 2009)، وهذا الأمر من شأنه أن يخلق أصولاً لثقافة ذكورية مهيمنة في ما قبل الشعور الجماعي؛ أيّ إن وجوده قد لا يبدو طاعياً وسانداً في معتركات الحياة العامة ذات الشعلة الخافتة، لكن ما أن يزداد اتقادها، ويحمى وطيسها، حتى تستدعي من مكنها، وتصير مكوناً رئيساً من الشعور الجمعي المشترك. لكن هذه الثقافة الذكورية المهيمنة وسيطرتها التي جعلتها تبدو منتصرة في كثير من تجلياتها، قد تأسست على مجموعة من الأصول التي أسهمت في ترسيخها جذوراً ثابتة في العقلية البشرية، منها ما هو ثقافي واجتماعي، ومنها ما هو نفسي في المقام الأول، وجميعها تشترك في أنها ذات صلة وثيقة بطبيعة العلاقة المتبادلة بين كلا الجنسين، وهذه محاولة لرصد أهم هذه الأصول:

1. النظام الأبوي: إن نسيج العلاقات الإنسانية التي تحوك غزله خيوط متباينة من الأفكار والمصالح المتبادلة، في مضامير سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية شتى، قد نما وترعرع منذ مرحلة متقدمة من التاريخ في نظام تخضع فيه مصالح النساء لمصالح الرجال، وهذا ما يسمّى النظام الأبوي (جامبل، 2002)، فتكون فيه القوة معياراً حاسماً في توجيه هذه العلاقات توجيهاً يحقق للمصالح الذكورية أقصى قدرٍ مستطاع من الفائدة والمنفعة، مستنداً إلى الفوارق العضوية (البيولوجية) بين الجنسين.

وأشارت جيردا ليرنر Gerda Lerner إلى أن النظام الأبوي خلق تاريخي أسهم في تكوينه الرجال والنساء معاً في سيروية مستمرة ومتراكمة من التفاعلات بينهما، على مدار قرونٍ عديدة من التاريخ، وكانت الدولة الأبوية الشكل الأول لتكوين هذا النظام، والأسرة الأبوية بوصفها دولة مصغرة كانت الوحدة الأساسية له (ليرنر، د. ت).

وقد عدت منظرات الحركة النسوية النظرية (البطيركية) أساساً لمنطلقهن في مقاومة الهيمنة الذكورية، والنظرية (البطيركية) تعني النظرية الأبوية، فكلمة (بطيريك) تعني أب (ساي جيرمان، د. ت)، فترى هذه النظرية أن الرجال هم مصدر اضطهاد (الحيدري، 2003) النساء الأول، وهذا الاضطهاد أرحى الزمام للسيطرة الذكورية في مختلف مجالات الحياة

عموماً، وفي المجالين الأسري والاقتصادي خصوصاً، فالمرأة رهينة تحكّم الرجال في السلوك الجنسي داخل الأسرة من جانب، ورهينة تحكّمهم بالموارد الاقتصادية من جانب آخر، كأنّ هناك تحالفاً قد جرى بين الرجال ورأس المال لإبقاء المرأة العاملة خاضعة غير مستقلة (ساي جيرمان، د.ت)، لتكون المحصلة النهائية لهذه النظرية في ضوء ما تراه، أنّ المرأة ستبقى محرومة من حريتها في الإنجاب ومن الموارد الاقتصادية، ما دامت أزمة السيطرة مرتبطة بأيدي الرجال.

إنّ إجمال القول فيما تقدّم يُلخّص في أنّ حجر الأساس في النظام الأبوي استبعاد المرأة وخلق مجتمع تغيب فيه المساواة بين الذكورة والأنوثة غياباً يتمّاهي مع نزوع الذكورة إلى السلطة المطلقة والسيطرة التامة (شراي، 1992)، وكان هذا النظام الذي أفلح في أن يظلّ محافظاً على قوامه زمناً طويلاً مركزاً حقيقياً لهيمنة الذكورة وانتصارها في الذهنية البشرية الجمعية، الأمر الذي من شأنه أن يفتح الباب على مصراعيه لرائدات الحركة النسوية لمهاجمة الذكورة بمفهومها الكليّ مهاجمة مباشرة، بالرغم من أنّ النظام الأبوي لا يمثل إلّا وجهاً واحداً من الذكورة، وهو وجهها الصّبياني، وليس وجهها الناضج؛ فهو نظام قائم على هوس السيطرة والتسلّط، بصرف النظر عن الجهة المسيطر عليها، فهو نظام يسيطر فيه القوي على الضعيف، وهذا الضعيف قد يكون امرأة وقد يكون رجلاً، فليس الجنس معياراً حقيقياً لتحديد الطرف الذي تفرض عليه السيطرة من قبل هذا النظام، فهو نظام يشكّل عدواناً على الذكورة الناضجة والأنوثة الناضجة معاً (مور وجيليت، 2020، 17)، ودليل هذا أنّ "الرجل السلطوي لا يسعى ولا يرحب بالتطور الكامل لروح الذكورة الناضجة في أولاده أو رعاياه، كما لا يرحب بالنضوج الأنثوي الكامل لبناته وموظفيه من النساء" (مور وجيليت، 2020، 18).

2. نوازع نفسية: إنّ ثمّ نوازع نفسية أشار إليها رواد التحليل النفسي، من شأنها أن ترافق الأطفال منذ مراحل حياتهم الأولى، تسهم ملياً في خلق نزعة التفاضل بين الطفل الذكر والطفلة الأنثى، وهذا التفاضل يفضي في نهاية المطاف إلى خلق حالة يشعر فيها الذكور بنوع من التفوق الضمني، وتشعر فيها الإناث بنوع من الدونية أو النقص، وهذا التمايز بينهما ينبعث من الطبيعة العضوية (البيولوجية) المختلفة بين كلا الجنسين في بادئ الأمر، قبل أن يحفر عميقاً في لا وعيهم مشكلاً رصيداً أولياً من الفوارق، تبنى عليها جوانب أخرى من العلاقة المتبادلة فيما بينهما لاحقاً.

إنّ أهمّ هذه النوازع النفسية التي تبعث الإحساس بالتمايز بين الذكور والإناث، ما أطلق عليه سيغموند فرويد Sigmund Freud عقدة (حسد القضيب) عند الإناث، فترى نظرية التحليل النفسي أنّ الأطفال ساعة تتشكّل وعيهم لا يكونون مدرّكين طبيعة التفاوت بين الجنسين في أعضائهم التناسلية، وأنهم يفترضون وجود جهاز تناسلي واحد عند الناس جميعاً (فرويد، 1983)، وبعد إدراك الإناث لطبيعة الفروق العضوية (البيولوجية) بينهم وبين الذكور، يشعرون بأنّهم افتقدن عضواً لم يفقروا إليه الذكور، فيتشكّل عندهنّ الحسد الذي يفضي بهنّ إلى الاعتقاد أنّ الذكور قد تميّزوا بامتلاكهم شيئاً حرمن منه (فرويد، 1999)، الأمر الذي من شأنه أن يشعرهنّ بالنقص عن أقرانهنّ، فيتولّد من هذا الشعور أول بواعت الدونية لدى الأنثى، إذا ما قورنت بالذكور، وهذا سبب ترك أثرًا حتمياً في غيره من أنماط طبيعة التفاعل بينهما بشكل غير واع.

وما يزيد من دونية الشعور عند الأنثى بعد إدراكها هذا الأمر، أنّها قد تنمو وينمو في ذهنها اعتقادٌ خفيّ أنّها ستنشأ وهي فاقدة شيئاً ثميناً، لم تقترب أيّ ذنب يكلفها فقده، أو اعتقادها أنّها ستتمو بجسدٍ مشوّه ناقص شيئاً ما (وارد وزاريت، 2005)، هذه الأفكار إذا لم تحسن الطفلة السيطرة عليها والتحكّم بها، فإنّها ستكون طوال حياتها عرضة للتأثر بما تخلفه في النفس من مشاعر النقص والدونية.

وإذا أدرك الأطفال الذكور ذلك الفارق العضوي (البيولوجي) بينهم وبين الإناث سيتشكّل في لا وعيهم الاعتقاد نفسه، لكن بشكل منعكس؛ فهم سيُشعرون أنّهم تفوّقوا على الإناث بامتلاكهم شيئاً زائداً عنهنّ، هذه الزيادة العضوية كفيلة بأن تكون حجر أساس في زيادات أخرى قد يعتقدون بها، تشعرهم بشيء من التفوّق على الإناث في مضامير أخرى مستقبلاً، وهذا أساس النظرية الجنسية عند الأطفال، الذي نادى به رواد التحليل النفسي، الذي يتمثّل في أنّ الأطفال يشعرون نتيجة لذلك كلّهم أنّ الفتيات ما هنّ إلّا صبياناً مخصّيون (فرويد، 2012، 359)، وهذا أصل ثابت من أصول الهيمنة الذكورية وانتصارها في الثقافة العامة، ومركزاً رئيس في دونية المرأة وجعلها في مكانة ناقصة عن الرجل.

إنّ إدراك الذكور لطبيعة الفروق العضوية (البيولوجية) بينهم وبين الإناث يترك أثراً آخر في نفوسهم، مفاده أنّهم يظنون أنّ الإناث كنّ مثلهم تماماً في بنائهم (البيولوجي)، لكن لسبب ما تعرضن لحادثٍ أفقدهنّ هذا العضو، أي أصابهنّ بالخصاء، وهذا ما يشكّل عقدة عندهم، وهي عقدة (الخصاء) (حبّ الله، 2004)، التي تقابل عقدة (حسد القضيب) عند الإناث، فيتشكّل بمقتضاها هاجسٌ لديهم باحتمالية إخصائهم، كما جرى مع الجنس الآخر، فيسبّب ذلك لهم قلقاً دائماً، قد يكون مصحوباً بخيالات ومخاوف قد يؤدي تفاقمها بشكلٍ مبالغٍ إلى إحداث حالة مرضية عندهم (عواد، 2011)، وسرعان ما يتحوّل قلق الخصاء ويتجرّد من ثوبه لاكتساء ثوب رمزيّ جديد، فيرمز إلى كلّ قلقٍ يهدّد فقدان متعة معيّنة، وينذر بفشل قريب، كما هو شأنه أول تشكّله، فيهدّد الطفل بفقدان الملمح العضوي الذي يميّزه من الإناث، والفشل الذي قد ينذر به هو العجز الجنسي.

واستناداً إلى ما جرى إيضاحه، يلحّ جلياً أنّ نظرية التحليل النفسي أشارت إلى مجموعة من النوازع النفسية التي تسهم في بناء الهيمنة الذكورية وانتصارها على الأنوثة، بتقديمها مجموعة من المعطيات التي تقضي إلى دونية المرأة وشعورها بالنقص عن الجنس الآخر، هذه المعطيات كلّها لا تعدو كونها محاولات تفسيرية لظاهرة تشكّل مساحة واسعة من المنظومة الفكرية والثقافية في العالم، وهي ظاهرة الهيمنة الذكورية، هذا إلى جانب النظام الأبوي، الذي رسّخ هذه الفكرة وأعطاهها شكلاً ثابتاً في الذهنية المشتركة.

وأما خلاصة القول، فيمكن إجمالها بالإشارة إلى أنّ الذكورة جزءٌ من كلفة الهوية الفردية، وعنصرٌ من مركّباتها، فهي تحقّق درجة من الوعي بالذات وعياً كاملاً، علاوة على كونها تقابل الأنوثة في علاقة تكاملية تضمّهما في إطار واحد، لا يسع

أحدهما فيه الاستغناء عن الآخر، ولا فضل لأيٍّ منهما على نظيره من الناحية المنطقية، لكنّ الذكورة أفلحت في أن تشكّل حالة من الهيمنة والانتصار بفضل عوامل معيّنة، منها ما هو ثقافي واجتماعي، ومنها ما هو نفسيّ في المقام الأول. وتأسيساً على ما جرى طرحه من مؤشرات أشارت إلى أنّ الهيمنة الذكورية شغلت مساحةً واسعة من حيز الذهنية البشرية الجمعية، ما أدّى بها إلى أن تسهم في خلق اعتقادٍ سائدٍ عند الناس بتفوّقها وانتصارها، فقد صارت هذه الهيمنة واقعاً مفروضاً ينبغي التعامل معه؛ لكونها أخذت تسهم في رسم ملامح طبيعة العلاقة المتبادلة بين الجنسين، وصار تفسيها مكوّناً من مكوّنات الهوية النفسية للمرء، وجزءاً من مركّبها العام، وفي هذا البحث سيجري رصد هذا المكوّن من مكوّنات الهوية النفسية الجمعية لشعراء الغزل العذريّ، ودراسته في ضوء خضوعها لمبدئي اللذة والواقع، وتأرجحها بين الكبت والتفريغ.

4. المبحث الأول: ذكورة العذريين تحت وطأة مبدأي اللذة والواقع

إنّ النفس البشرية لا تنفكّ عن كونها أرضاً خصبةً لزراعة بذور الصراع الأبديّ بين الحكمة العقلانية وما يمثّلها من اتزانٍ منطقيّ، ونظرةٍ واقعيّة، وبين النزعة الشّهوانيّة وما يمثّلها من فوضى عاطفيّة تتملّكها رغبةٌ جامحةٌ في الانفلات من قيود الواقع المنطقيّ وحدود العقلانية المثزّنة، وإرخاء حبل اللذة وقضائها على غاربه؛ لذا كان التحليل النفسيّ معيّناً برصد هذا الصراع وما يدور في فلكه من تداعياتٍ ونوازع تسهم ملياً في رسم ملامح الشخصية، وتكوين هويّتها النفسيّة. وكان منوطاً بهذا تقسيمها الجهاز النفسيّ عند الفرد إلى (الأنا) الذي يعبر عن شعور المرء، ويمثّل الجزء العقلانيّ منه الذي ينظر إلى الحياة نظرةً واقعيّةً منطقيّةً مثزّنةً رزينةً، و(الهو) الذي يعبر عن لاشعور المرء، وينظر إلى الحياة نظرةً شهوانيّةً غرائزيّةً شبيّقةً، و(الأنا العليا) التي تتجسّد على هيئة الضمير الأخلاقيّ، الذي يضبط الجانب الشّهوانيّ، ويفصل في صراعه مع الجانب العقلانيّ. (فرويد، 1982).

إنّ هذه الرؤيا التفصيليّة لمكوّنات الجهاز النفسيّ، قدحت شرارة ما يعرف بمبدأي اللذة والواقع، فيعدّ الأول مسرحاً للعمليات غير الشعوريّة، والرغبات المكبوتة، والغرائز الشّهوانيّة، التي تسعى إلى الطفو على السطح، وتحقيق أكبر قدرٍ مستطاع من اللذة وتجنّب الألم، بغیر مراعاةٍ لمقتضيات الواقع، وهيمنتها على المرء في لا وعيه، وأحلامه الليليّة دليلٌ على غلبة هذا المبدأ (فرويد، 1938)، وأمّا الآخر فيعدّ ناتجاً عن الأول لتعديله وضبطه وإيصاله إلى حالةٍ متماسيةٍ مع مقتضيات الواقع؛ فيسعى هو الآخر إلى تحقيق اللذة لكن بما يتوافق مع الحدود المنطقيّة والقيود الواقعيّة (فرويد، 1938)، والنفس البشرية في صراعٍ دائمٍ بين غلبة هذا المبدأ وغلبة ذلك.

لو نظر إلى شعور شعراء الغزل العذريّ من هذا المنظار، لوجد أنّه لم يكن يبرح حدود هذه الدائرة الضيّقة من الصراع بين مبدأي اللذة والواقع، فلعلهم وجدوا في حبهم لذّة وسعادةً، جعلت مشاعرهم منصبةً في اتجاهه، وغرائزهم موليّةً شطره، فلا يكون إشباع حاجاتهم وإرضاء نزعاتهم إلّا إذا دام حبهم، ودام ما يلقونه من ألمه، وما يتجرّعون من مرارته، إلى الحدّ الذي قد يجعل أحدهم يتمنّى أن يلقى صباية حبّ المحبين كلّهم وحده، مصداقاً لقول قيس بن الملوّح (قيس بن الملوّح، د. ت، 92):

تشكّي المحبّون الصّباية، ليتني
وكانت لنفسي لذّة الحبّ كلّها
تحمّل أثقال الصّباية، وتجرّع آلامها، صار كأنّه لذّة نشتهى عنده، وهذه اللذة لم يعرف أحدٌ من المحبين وقعها كما عهده قيسٌ وأدركه، إلى الحدّ الذي جعله يتمنّى أن يلقى صباية العشق وحده من جميع العشاق، وهذا يوحي بأنّه كان يجد في ألم حبه لذّة جعلته مشتهى له في كلّ وقت.

وهذه اللذة التي تسعى إلى أن تشبع بأية وسيلة، قد تخلق في نفس صاحبها ميلاً إلى تجاهل الواقع وحدوده، وتغاضٍ عن كلّ ما يمكن إعاقة تحقيقها، فتصرفه عن كلّ ما حوله، وتبقيه منغمساً وغارقاً في سبل إشباعها وإرضائها (بونغ، 1994)، كما هو الميل عند العذريين، الذي بدا بصورةٍ قد تجعلهم يقصرون لذّتهم على حبهم وحده فقط، كأنّها منعدمةٌ في أيّ شيءٍ سواه، لا تكون إلّا به فحسب، وإنّ كلّهم ذلك معارضة الواقع، يقول قيس بن ذريح (قيس بن ذريح، 2004، 77):

وددت من الشّوق الذي بي أنني
فما في نعيمٍ بعد فقدك لذّة
أعار جناحي طائرٍ فأطيرُ
ولا في سرورٍ لست فيه سرورُ
فاللذة عنده محصورةٌ في حبّ لبني فقط، ولا تتأتّى له في أيّ نعيمٍ بعدها، إلى المدى الذي جعل خياله ينسج أمنيّةً مخالفةً للواقع، فتمنّى أن يعار جناحي طائرٍ ليطيّر بهما إليها، ويتجاوز كلّ ما يفرضه واقعه عليه من مصاعب تحول بينه وبينها، ومن عوائق تقيد إشباع لذّته بوصالها، ما يشكّل تجسيداً حقيقياً لذلك الصراع الدائم بين ما يشتهيه المرء وما هو مفروضٌ عليه ممّا يمنع تحقيق رغباته، أيّ تجسيداً للتعارض بين مبدأي اللذة والواقع.

وهذا بطبيعة الحال لا ينفكّ عن كونه تجلياً لما أسماه صادق جلال العظم طاقةً ناريّةً، يسهم تأجّجها في إبقاء النفس العذريّة متشوّقةً إلى حبيبها، وتسعى إلى أن تديم البعد بينهما؛ كي يبقى وهجها متأجّجاً، فهو يبرد ويخمد إذا جرى اتّصال الحبال بينهما (العظم، د.ت)، وهذا الوهج المتأجّج يجعل النفس أسيرةً إلى لذّتها، وخاضعةً لإثارتها، غير أنّ اللذة التي يسعى المرء إلى تحقيقها، لا يكتمل إشباعها إلّا إذا كانت مؤقتةً، فطاقة الإنسان أقلّ من احتمالها بشكلٍ دائم، ورغبته تتجلى في أن يحيا السعادة على فتراتٍ متقطّعةٍ ومتباعدة (فرويد، 1992)؛ ليزداد شوقه إليها ورغبته بها قبل قضائها في كلّ مرّة، وهذا ما يفسّر رغبة الشعراء العذريين بالنزّر اليسير من وصل محبوباتهم، واقتناعهم بقليل بذلّهن، ورضاهم بعباطنهنّ الشحيح، فالبذل

القليل أشهى وألذ من العطاء الغزير؛ لأنّ اللذة في الوصال الدائم تتحقّق ساعة نيله فحسب، أمّا إذا كان المحبوب يصافي تارةً ويجافي أخرى، فاللذة تتجدّد باستمرارٍ مع كلّ وصلٍ بعد هجر، وكلّ نوالٍ بعد حرمان.

وما زاد من حتميّة هذا الأمر عند العذريّين، غلبة مبدأ الواقع عليهم في هذا الشأن؛ فالقيود التي فرضت لتحول دون تمام اللقاء مع من يحوّنهنّ كثيرة، والقدرة على اجتيازها ضئيلة، فلم يكن يتأتّى لهم الوصال إلّا لماماً، في لقاءاتٍ قصيرة، تجري خفيةً عن أعين الرّقباء؛ لذلك لم يكن قياساً إلى هذا كلّه نزوع رغبة العذريّين إلى الرضا بالترزير اليسير من الوصال مستغرباً، وهذا ما يرى جلياً عند جميل بن معمر ساعة قوله (جميل بن معمر، 1966، 115):

وإني لأرضى من بشينة بالذي
بلا وبالأأسططيع وبالمني
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي
فهذا الذي لا يثير غضب الوشاة، والذي فيه مماثلة وعد الأمل حدّ السأم، والذي قد ينقضي حولّ كاملّ دون تمامه، يرضى به جميلٌ رغم قلته، لما يحقّقه له من لذة، جعلته يبذل هذا كلّه في سبيل إشباعها، بل هو يرضى بما يقلّ عن القليل، مصداقاً لقوله (جميل بن معمر، 1966، 113):

أيا ريح الشّمال أما تريني
هبي لي نسمةً من ريح بثن
وقولي يا بثينة حسب نفسي
بل إنّ رضا العذريّين بهذا القليل، دفعهم إلى أن يحاججوا به من يلومونهم عليه، فهو شفاءٌ للجوى، تدرك به الغاية ويقضى به الأرب، فيقول قيس بن الملوّح (قيس بن الملوّح، د. ت، 174):

وقد زعموا ألاّ يحبّ بخيلٌ
ليشفي الجوى بالنّيل وهو قليلٌ
إليك كما بالحائمات غليلٌ
أحبّاً على حبٍّ وأنت بخيلةٌ
بلى والذي حجّ الملبّون بيته
وإنّ بنا لو تعلمين لغلةٌ

فبخل المحبوبة لم يزدّها في نفس العذريّ إلّا كلّفاً وشغفاً؛ لأنّ اللذة التي تجنى من الوصال الضّنين تترك في نفس صاحبتها تعلقاً بها، فيصعب عليه الانفكاك منها، ويظلّ أسيرها؛ فإثارة اللذة لدى الآخر تعني السّيطرة عليه (دي بوفوار، 2015)، فالعذريّون كانوا خاضعين لنوع خاصّ من سيطرة اللذة عليهم، وهذه السّيطرة أفضت بهم إلى الخضوع لمثيري تلك اللذة؛ لذا لم يكن ردّ جميل علي من لمنه من العاذلات بعد إعراضه عنهنّ وهنّ الباذلات، لإرضاء بشينة وهي البخيلة، إلّا مكابرةً وعناداً، وتسفيهاً من حظّ الأخريات في سبيل إعلاء شأن محبوبته، إذ يقول (جميل بن معمر، 1966، 107):

وبقلن إنّك قد رضيت بباطلٍ
ولباطلٍ ممّن أحبّ حديثه
فخضوعه للذة حبّه بشينة، الذي قد يتجسّد على هيئة لقاءٍ قصير بعد صرم دهرٍ طويل، وإخلافٍ للوعد، وإرخاء زمامه لها، أعمى عيونه عن القريب المباح، وغرّره بالبعيد غير المتاح؛ لأنّ اللذة بعد حرمانٍ أشهى، والنشوة بعد كبتٍ أزهى، فكان نتيجة ذلك عدّه باطل المحبوب أشهى من بذل البغيض.

وهذه اللذة لا بدّ أن ترغم الخاضع لها على احتمال آلام ومشاقّ في سبيل إشباعها، والخاضع يلقى تلك الآلام براحبةٍ وتمتّع واستئناس، إذ القدرة الذهنيّة على التركيز تتخفّض بوضوح وجلاءٍ عنده على مختلف المعيقات في أثناء خوض الطريق إلى إشباعها (كرينبلاخ، 2015)، ما يؤدي إلى خلق قدرةٍ موازيةٍ عاليةٍ على احتمال تلك المشاقّ، واجتياز المعيقات، وهذا الذي يرى جلياً عند جميل، إذ أردف قوله السّابق بإشارته إلى حبّ تثاقّل المحبوبة رغم شدّته على نفس العاشق، وإلى احتماله إبطائها العواذل رغم عصيانه هو لهنّ، إذ يقول (جميل بن معمر، 1966، 108):

وتثاقلت لَمّا رأت كلفي بها
وأطعت فيّ عواذلاً فهجرتني
حاولنني لأبّت حبل وصالكم
فرددتهنّ وقد سعين بهجركم
يععضضن من غيظٍ عليّ أناملاً
ويقلن إنّك يا بئتين بخيلةٌ

فجميل لم يحسن إبداء أيّ ردّ فعلٍ إزاء بخلها بالوصال، سوى أن يفديها بنفسه، فهو يخشى أن يحرم اللذة التي بات أسيراً في وثاقها خاضعاً لها إن هجرها أو صدّ عنها؛ لذلك يرى مسرفاً في الإبانة عن التّضحية التي بذلها في سبيل حبّه لها، رغم كونه غير موعودٍ بشيءٍ منها يكافئ ذلك الحبّ كلّ، وهذه التّضحية تمثّلت بعصيان العواذل، التي طوى عنهنّ كشحاً، وضرب عنهنّ صفحاً، ولم يعرهنّ أدنى اهتمامٍ، لعلّه بذلك يستجدي محبوبته حتّى تجرد عليه بما يرجوه منها، وهذا الخضوع لمن يثير اللذة الذي انبعث من الخضوع للذة نفسها، من شأنه أن يسهم ملياً في خلق نوعٍ من اضطراب الهيمنة الذكوريّة عند العذريّين، فالهيمنة واقعةٌ عليهم، ومن يُهيمن عليه يصعب أن يكون مهيماً.

لكنّ الفشل الذي كان مصيراً آلت إليه حياة العذريّين العاطفيّة، يبقى الرّكيزة الأولى لبنيان ذلك الخضوع للذة، الذي أفضى إلى إحداث تغيّرٍ ما في موازين هيمنتهم الذكوريّة؛ لأنّ سبل إشباع اللذة لم تكن معبّدة، وكلّما صعب الحصول عليها؛

زاد الرّضوخ إليها، وهذا منسجم مع ما قاله فرويد Freud: "إنّ اللذة تلازم نقصانها" (فرويد، د. ت، 24)، أي إنّ الشعور بها يتفاقم ويتضخم كلما قل إدراكه، وهذا كان واقع العذريين، عزّ عليهم الشعور بها، وزاد احتياجهم إليها، فكان خضوعهم لها أكبر.

بيد أنّ بعض المحاولات الجادة التي يسعى من ورائها الإنسان إلى الظفر باللذة، قد تسبّب لصاحبها نوعاً من الألم جرّاء تلك المحاولات، قد يؤدي تكرارها باستمرار إلى خلق حالة عصابية يحسّ المرء فيها اللذة بالألم نفسه (فرويد، 1989)، فالشعوران قد اقتربا ببعض في ذهنه وتداخلتا معاً، فتشكّل بينهما نوع من التمازج؛ لأنّ اللذة التي كان مسعياً إلى تحصيلها سبّبت ألماً لصاحبها في أثناء الطريق إليها، فكان نتيجة ذلك ارتباطهما معاً عند من أصيب بهذه الحالة، إلى الحدّ الذي يجعل المرء يجد اللذة بالألم نفسه، فكما أنّ ما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجب، كذا الألم الذي قد لا تتمّ اللذة إلّا به أحياناً، فيصير حكمه بحكمها، أي أنّه ما لا تتمّ اللذة إلّا به فهو لذة، فالألم بصير لذة قياساً إلى هذا.

ويستشفّ عند الشعراء العذريين شيء شبيه بهذا، فحبّهم الذي سبّب لهم الألام وجرّعهم الحسرات، كانوا راضين به، ولم يحاولوا التّشافي ممّا أصابهم والدّواي ممّا دهاهم، كأنّهم متلذّذون بحرقة منتشون بألمه، وهذا ما يجعل هيمنتهم الذكورية مثاراً للشكوك، وما يؤكّد هذا، ما نقله صاحب الأغاني من سعي أبي قيس بن الملوّح الدّؤوب إلى تجريد ابنه ممّا عراه وألم به، وردّ ابنه عليه، إذ يقول: "ثمّ قال له أبوه: تعلق بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلى، فتعلق بأستار الكعبة وقال: اللهم زدني ليلي حبا وبها كلفا ولا تنسني ذكرها أبداً." (الأصفهاني، 1415 هـ، 348/2).

فهذا الإصرار الشّديد الذي أبداه قيس على لزوم حبّه ليلي، وزيادة كلفه بها، وحرصه على دوام ذكرها، ربّما يصعب تفسيره إلّا في ضوء شعوره بلذة فريدة كلّما تأتّى له ذلك، أي إنّ حبّها الذي ألمه ببعدها عنه وتقطّع سبل الوصال بينهما، كان يشعره بلذة في صميم ذلك الألم، جعلته يقصر حياته معتكفاً في محراب حبّها، لا يقدم على شيء سواه، ويرفض أيّ مسعى يبتغي من ورائه تسليّه عنها، أو نسيانه إيّاها، ما يجعل ذكوره ذات هيمنة ناقصة.

وفي شعره ما يوافق هذا ويؤيّدّه، يقول في قطعة له أنشدها في الحجّ (قيس بن الملوّح، د. ت، 53):

ذكرتك والحجيج لهم ضجيج	بمكة والقلوب لها وجيب
فقلت ونحن في بلد حرام	به والله أخلصت القلوب
أتوب إليك يا رحمن ممّا	عملت فقد تظاهرت الذنوب
فلما من هوى ليلي وتركني	زيارتها فلائي لا أتوب
وكيف وعندها قلبي رهين	أتوب إليك منها أو أنيب

فيلمح جانب عيب يشدّه إلى حبّها بأواصر ووشائج متينة، تجعل الرّباط بينهما وثيقاً، بالرغم من أن الفراق الذي قضى لهذا الحبّ مصيراً ومالاً، إلّا أنّ هذا لم يكن كافياً لمنع حبّه حبّها والتعلّق به، رغم كمد الشوق ولوعة البعد، ولم يكن كافياً ليمنعه من قول (قيس بن الملوّح، د. ت، 102):

فيا حبّها زدني جوّى كلّ ليلة

وقد ذهب عبّاس العقّاد مذهباً فريداً في محاولته تفسير هذه الظاهرة وتوجيهها توجيهاً منطقيّاً ساعة دراسته جميل بن معمر دراسة نفسية، والشعراء العذريون يتماهون معاً تماهياً تحسن فيه الإشارة إلى كونه يمثل جزءاً من الهوية الجمعيّة التي يشترك فيها الشعراء العذريون جميعاً، أي ما فسّر به هذا التوجّه عند جميل يمكن إسقاطه وتفسيره عند باقي الشعراء، ومفاد هذا التفسير أنّ جميلاً يستحسن الإساءة إليه، ويستملح عذابه، وهذه خليقة من خلائق الضعفاء، الذين يعجزون عن مواجهة الواقع الذي فرض عليهم (العقّاد، د. ت)، ما يعني أنّه ذو شخصيّة (مازوشية)، وهذا اضطراب نفسي لا يشعر فيه المضطرب بالإثارة إلّا إذا ألم نفسه في سبيلها، وعرضها للإذاء والتعذيب، (عوّاد، 2011)، وقد استشهد العقّاد بأبيات له دليلاً على هذا التوجّه، ومنها قوله (جميل بن معمر، 1966، 24):

وأول ما قاد المودة بيننا	بوادي بغيض يا بئس سبب
وقلنا لها قولاً فجاءت بمثلها	لكلّ كلام يا بئس جواب

وقوله (جميل بن معمر، 1966، 99):

ولست على بذل الصّفاء هويتها

ولكن سبتني بالدّلال وبالبلخ

ويستخلص ممّا ورد آنفاً، أنّ التّعارض بين مبدأ اللذة الذي يسعى إلى إشباع الرّغبات والشّهوات بغير أن يلقي بالأل للحدود المنطقية، ومبدأ الواقع الذي يسعى إلى ضبط تلك الرّغبات في ضوء ما يسمح به الواقع والمنطق، يعدّ واحداً من الصّراعات النفسيّة التي لا بدّ أن يكون لها أثر في حياة النّاس عموماً، وقد عانى الشعراء العذريون من هذا التّعارض معاناةً بالغة، فاللذة التي وجدوها في حبّهم أبى واقعهم وقيوده الاجتماعيّة السّماح بقضائهم، فعاشوا أسارى في وثاق هذا الصّراع حياتهم كلّها، إلى المدى الذي أحكمت فيه اللذة سيطرتها عليهم فأخضعتهم لوطأتها، فصاروا خاضعين لهيمنتها خضوعاً تامّاً، جعلهم يجدون اللذة في ألمهم، وينتشون به، ما أدّى إلى خلق حالة من الانقياد والانصياع والرّضوخ الخاضع في شخصيّاتهم، فأحدث حالة من اضطراب قد لا يكون خفياً ببعض توجهاتهم في الهيمنة الذكورية لديهم، الأمر الذي كوّن ملمحاً عامّاً من ملامح هويّتهم النفسيّة.

5. المبحث الثاني: ذكورة العذريين بين الكبت والتفريغ

من الجدير الإشارة إليه، أن الكبت يعدّ واحداً من الحيل الدفاعية التي يلجأ إليها الجهاز النفسي لإحالة الغرائز وكلّ ما لا يستطيع إبداءه علناً؛ لأسباب اجتماعية أو أخلاقية، من الشعور إلى اللاشعور، والحيل الدفاعية هي "كل وسيلة يستخدمها المرء من أجل الحفاظ على سلامته البدنية وتأمين راحته العقلية والنفسية والجسمية، وبغية تحقيق مأربه ورغباته لئلا يتهدها الإخفاق وتبوء بالفشل، فهي سبيل الدفاع عن النفس، وهناك أمثلة عديدة على الحيل التي يلجأ إليها الشخص رغماً عنه أو دون وعي منه لحماية نفسه ضد الآثار المؤلمة التي تنجم عن وضع غير ملائم، منها الكبت والنسيان والخداع والتسوية والخبية والتراجع والتهرب والهجوم" (عواد، 2011، 262).

وهذا تجلّ من التجلّيات التي تبدو فيها الغلبة المؤقتة لمبدأ الواقع الذي يفرض نفسه بتجسيم اللذة وكبح جماحها وكبتها، وهي مؤقتة؛ لأنّ الانفعالات المكبوتة لا تموت ولا تتلاشى كلياً، إنّما يبقى أثرها في لاشعور المرء محفوراً يلقي بظلاله عليه في بعض أفكاره وتوجّهاته وسلوكياته، الأمر الذي قد يعرّض المرء إلى نوع من التعذيب لوجدانه، يسبّب له انهياراً عصبياً إن لم يفلح في السيطرة عليه (زيغور، 1986)، وهذا كله تتمّة للصراع الناشئ بين مبدأي اللذة والواقع. لكنّ الكبت قد يتحوّل من كونه حيلة دفاعية لجأ إليها في سبيل تخلّص المرء من علّة أصابته، إلى علّة بحدّ ذاتها، يسعى إلى حيل دفاعية أخرى بغية التحرّر من قيودها، ومآل ذلك يعود إلى أنّ الكبت بطبيعته مجموعة من الخبرات المؤلمة التي يقاومها الشّعور؛ لمنع إطلاقها (فاتق، 1967م)، ما من شأن تفاقمه وتضخمه إصابة المرء بعلّة نفسية يصعب عليه أن يحيا حياةً هنيئةً في ظلّها، وانزلاقها من العقل الواعي إلى العقل الباطني يجعلها بغير مأمن من ترك الأثر على المرء في بعض توجّهاته، وهذا الأثر قد يتمثّل في بعض أنشطته كأحلامه ونشاطه الإبداعي وزلات لسانه (إبراهيم، 2005)، أو قد يفرّغ بغير ذلك من الحيل الدفاعية المعروفة.

أمّا شعراء الغزل العذري فقد عاشوا في بيئة مثّلت أرضاً خصبةً لنشوء دوافع الكبت وبواعثه، فالقيود الاجتماعية المنبعثة من التقاليد القبلية التي حالت دون تمام ظفرهم بمن يحبّونهم، أسهمت ملياً في كبح جماح هواهم، إلى جانب وجودهم في واقع معزولٍ منغلقي على ذاته، وما تولّد في نفوسهم من يأس، جعلهم يفقدون الجرأة على تغييره، وهو يأسٌ مقصودٌ من السلطة الأموية الحاكمة التي فرضت حدوداً على البيئة البدوية الحجازية؛ لتجسيم أية إمكانية لنشوء واقع سياسي في البداية (البيب، 1987)، ما أدّى إلى بقائهم في دائرة واحدة لم يبرحوها طوال حياتهم، وبقاء نوازع حبّهم مكبوتة في نفوسهم. وإنّ كتمان ذلك الحبّ وكبت لواعجه لم يكن مجرد حيلة دفاعية سلّوها في سبيل إخفاء أمر هواهم عن الناس، فأمر حبّهم كان معروفاً وذائعاً بين معاصريهم، وإنّما وصّالهم الذي حرّموا نيله شكّل في نفوسهم نزعة تميل إلى كبت رغبتهم الجامحة في الوصال؛ فلا سبيل ينيلهم ما يرومون سوى ذلك الكتمان، لكنّ عجزهم عن احتمال وطأته جعله يكتسي ثوباً مرضياً؛ لأنّه قد يفضي بهم إلى الموت مصداقاً لقول قيس بن الملوّح (قيس بن الملوّح، د. ت، 124):

ومما شجاني أنّها يوم ودّعت
وكيف أعزّي النفس بعد فراقها
فوالله والله العزيز مكانه
خليلي مرّاً بعد موتي بتربتي
فهذا الكتمان الذي كاد يقتل قيساً لم يكن كتمان أمر حبّه من حيث كونه خبراً يخشى شيعه بين الناس، بل هو كتمان رغبته الجامحة في نيل لذة وصال محبوبته وإشباعها؛ لذلك أسمى نفسه في نهاية الأبيات قتيلاً من الهجر، وما يزيد تأكيد ذلك قول جميل بن معمر (جميل بن معمر، 1966، 42):

وإنّي لأستبكي إذا الركب غرّدوا
فهل تجزيّني أمّ عمرو بوّدها
فجزاء بئينة الذي يرجوه جميلٌ كان يتمثّل في وصالها ولقائها إيّاه، وقد أردف رجاءه هذا بإشارته إلى أنّ الذي يخفيه فوق ما يبديه، واقتران هذا التصريح برجائه جزاءها ودّه بالوصل واللقاء، دليلٌ على أنّ ما يخفيه ويكبته في مكمن نفسه رغبته الجامحة في نيل لذة لقائها.

لكنّ ما يلفت النظر في كبتهم هذه الرغبة، ما ورد في أشعارهم من إشاراتٍ تخرج هذه الرغبات المكبوتة من حيث كونها نوازع نفسيةً كامنةً في نواتهم فحسب، إلى كونها أثقالاً يحملون أعباءها، إلى الحدّ الذي يجعلهم يضطرونّ إلى إبداء الضغينة؛ إمعاناً منهم في إظهار خلاف ما يبطنون للناس، تماهياً مع قول كثير عزة (كثير عزة، 1993، 224):

وإنّي لما استودعتني من أمانةٍ
إذا ضاعَت الأسرار للسرّ دافنٌ
وما زلت من ليلٍ لطنّ شاربِي
وأحمل في ليلٍ لقوم ضغينةً
وتحمل في ليلٍ عليّ الضغائنُ

فذلك المكبوت من الرغبات والنوازع إذا تتأقّل حملة، كأنّه أمانةٌ مستودعة، واضطرّ حاملها إلى إبداء الضغينة؛ درءاً لشيء ما، أثار الشكوك حول سلامته من التآثر بالشبقية الجنسية والغرائزية، التي يصعب تجريد النفس منها في إطار العلاقة المباشرة بين الجنسين، وما قد يدعم ذلك إشارة الشاعر إلى نبت شاربِه بوصفه موعداً لبداية إخفاء ذلك المكبوت، وهي إشارة قد توحي بأحد معاني نضج الذكورة، لكنّها تبقى ذكورةً محفوفةً بالنواقص التي تهدّد هيمنتها؛ لأنّها مقرونةٌ بالإخفاء والمداجنة.

وليس ذلك فحسب، بل قد تقتزن هذه الذكورة بأشياء أخرى تهدد اكتمال هيمنتها، كالحياء، والعودة عن الإقدام، وإرغام النفس على الرضا بما يريها، وإجابة كل داع إلى ما يدعو وإن كان فيه ما يعيب، وإبقاء صاحبها قابلاً في مهوي الاستلاب، الذي يعني الانتزاع من الذات، والميل الجاد إلى الانطواء وطمس الأنا (عبد الجبار، 2018) علاوة على إبقائه كذلك عالماً بشباك الاغتراب، أي فاقداً الإحساس بهويته؛ جزاء انقسام الذات على نفسها، وتحولها مما ينبغي أن تكون عليه إلى ما هو كائن (حسنين، د.ت)، مصداقاً لقوله في موطن آخر (كثير عزة، 1993، 35-36):

وإني ليثني نيني الحياء فأنثني
وأتي بيوتاً حولكم لا أحبها
وأغضي على أشياء منك تريبني
وما زلت من ذكراك حتى كائنني
وحتي كاتي من جوى الحب منكم
يُرى أن كبت رغبة إشباع لذة الوصال عنده قد أحدث اضطراباً بارزاً في الهيمنة الذكورية التي تسعى إلى أن تفرض نفسها دائماً، أما الانثناء عن السعي إلى المراد - وهو قريب - حياءً وخجلاً، فهذا أمرٌ غير معهود عن الذكورة التي ترى في انتصارها حقيقة ثابتة، وهذا يبدو انهزاماً لها، فضلاً عن الرضا بالتغاضي وقصر النظر عن كل ما قد يحدث الريبة في النفوس، ويدعوها إلى ما يضيئها، وهذا كله من شأنه أن يلقي الضوء على طبيعة ذلك المكبوت، ومدى استحقاقه لكل هذه التضحية التي كان من شأنها هذا الخضوع كله.

وحرية الإشارة إلى أن اللذة التي كان العذريون يبحثون عن إشباعها، ويكبتون رغبتهم الجامحة بذلك، لم تكن محضاً من العفة الخالصة، أي إن حبهم لم يكن مبرراً من النزعات الشبقية، والغرائزية الجنسية، مصداقاً لقول قيس بن الملوّح (قيس بن الملوّح، د.ت، 1967):

إن الشقاء عناق كل خريدة
بيض تشبه بالحقاق ثديها
يدمي الحرير جلودهن وإثما
زانت روادفها دقاق خصورها
وقوله (قيس بن الملوّح، د.ت، 72):

ومفرشة الخدين ورداً مضرجاً
شكوت إليها طول ليلى بعبرة
فقلت لها مئي علي بقبلية
بليت بردف لست أسطيع حمله

فقد بدا في هذه المواطن الشعرية بروز الجسد بوصفه محط انصراف إثارة الشاعر، فلم تكن لذته مقضية إلا بما يقوي وقودها من ملامح جسدية فاتنة في محبوبته، فروادفها وثديها وخصرها وغير ذلك من الإشارات الحسية لم يُغفل عن إيرادها في شعر قيس، انطلاقاً من كونها أداة فاعلة في بث الطاقة الغرائزية في النفس العذرية، وهو ما يفضي إلى خلق حاجة ماسة إلى الكبت والتفريغ على حد سواء؛ ذلك لأنها ليست منبئة عن واقعها، الذي تأبى قيوده هذه السلوكيات، إلا أن هذا الميل الغرائزي يطرح التناقض الذي قد يكون واقعاً في تراث الغزل العذري عمومًا، ويبدو في الوقت نفسه إمكانية الاتصال الجسدي بين الشعراء ومحبوباتهم (الحارثي، 2023)، وهو أمرٌ من شأنه أن يبقي هيمنة ذكورة العذريين محلّ الجدل الدائر. وثم شواهد أخرى لغير قيس من العذريين قد تتفق مع هذا الطرح، كقول جميل بن معمر (جميل بن معمر، 1966، 59):

فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة
تجود علينا بالحديث وتارة
فيا ليت ربي قد قضى ذاك مرة
وقوله في موطن آخر (جميل بن معمر، 1966، 140):

ألم تعلمي يا عذبة الرقيق أنني
وقول قيس بن ذريح (قيس بن ذريح، 2004، 114):

الله يدري وما يدري به أحد
يا أكمل الناس من قرن إلى قدم
نعم الضجيج بُعيد النوم تجلبه
لا بارك الله فيمن كان يحسبكم
حتى استفتقت أخيراً بعدما نكحت

هذه كلها شواهد مقتطفة من أشعار العذريين تثبت أن رغباتهم التي كانت لا تنقضي إلا بالوصال لم تكن محضاً من العفة الخالصة، بل كان يشوبها بعض الميل إلى قضاء حاجات شهوانية، تحكمها الغريزة الشبقية بوضوح، لا سيما في مراحل لاحقة من حبهم، الذي لا يختلف على كون باعته الأول باعاً روحياً، قبل أن يُصيغ بشيء من هذه الصيغة الشبقية فيما بعد، وهذا زاد من حاجتهم إلى الكبت والإضمار، وزاد من اللذة التي يشعرون بها كلما أُتيح لهم قضاء شيء منها، وزاد كذلك بشكل

حتميّ انقيادهم إليها، وانصياعهم إلى تفريغها، بآية وسيلة متاحة، وفي ما هو قادم عرض لأهمّ وسيلتين من الحيل الدفاعيّة التي لجأ إليها العذريّون في سبيل تفريغ بعض ما كبتوه في نفوسهم:

1. الأحلام: إنّ الأحلام وسيلة مثلى وفضاء رحب لبث المرء فيه لواعج نفسه وما يموج فيها؛ ذلك لأنها تجسّد حقيقيّ لواقع الحياة اليوميّة للفرد، فالحالم لا بدّ أن يكون جزءاً من حلمه، والأحلام بطبيعتها استمراراً للحياة النفسيّة التي لا تنام عضويّاً فتستكمل نشاطها بشكل غير واع عند صاحبها (فائق، 1967)، فهي تعبيرٌ عن ذكرياته في ماضيه، والذكريات يسهل تحويلها إلى انطباعاتٍ حسّيّة تتجسّد على هيئة صورٍ بصريّة يستحضرها الحالم في منامه (فائق، 1967)، فتكون الأحلام بذلك استمراراً لواقع الحياة النفسيّة، لكنّها تنتقل من وعي الفرد الذي يكون في يقظته إلى لاوعي منه يغلب في أحلامه. أمّا دوافع الإنسان الغرائزيّة المكبوتة في لا شعوره، فإنّ الأنا يبقى محتفظاً بقدرته على مواجهتها للحدّ من طغيانها وغلبتها، الأمر الذي يدفع تلك الغرائز إلى البحث عن مجالٍ رحب تكون فيه بمعزلٍ عن سلطة الأنا، وهذا المجال قد يتجسّد بالأحلام؛ لكونها تعبيراً عن لاوعي المرء (فرويد، 1989)، فيحسّن فيه الهو إطلاق الرّمام لشيء من محتوياته الغرائزيّة المكبوتة في اللاشعور، أو لبعض الحوافز الموجودة في ما قبل شعوره، التي تكون بحاجةٍ إلى عنصر إضافيٍّ فقط يبيّن فيها القدرة على التحرّر من قيود مبدأ الواقع، وقد تمثّل هذا العنصر بالأحلام (فرويد، 1938)، ما يسهم في زيادة الطّاقة الإفرغيّة في الجهاز النفسيّ.

وإنّ ثمّ ترابطاً ملموساً بين مضمون الحلم الكامن ومضمونه الظاهر (فرويد، د.ت)، الأمر الذي من شأنه أن يخلق حالة من التّمازج بين ما يحياه المرء في يقظته من صراعاتٍ بين واقعه المفروض وما كبت من لذاتٍ في نفسه، وبين حياته التي يحيها في أحلامه، التي لا تعدو كونها امتداداً لا واعياً للحياة الأولى (فرويد، د.ت)، وهذا ما يشكّل الثّوة الأولى لا تعداد الأحلام حيلةً دفاعيّة، يلجأ إليها؛ هرباً من واقعٍ محبّطٍ يتعارض مع قضاء اللذات وإشباعها، ولهذا فإنّه كلّما كان مبدأ الواقع أكثر طغياناً وغلبةً على المرء زادت حاجته إلى الأحلام بوصفها وسيلةً يفرّغ فيها كبتّه، لعلّه يلقى فيها ما هو غير لاقية في حياته اليوميّة، وهذا ما بدا بوضوح عند الشعراء العذريّين الذين عاشوا حياةً مليئةً بالحرمان، وواقعاً محبّطاً يقيّد هواهم، ويمنعهم من سبل قضاء لباّنات قلوبهم، وأوطار نفوسهم، التي أعياها المطال، وأزرى بها صرم الحبال، فما كان منها إلّا أن تنتشّد الأحلام ملاذاً، لعلّها تريهم ما لم يرههم إيّاه واقعهم، مصداقاً لقول قيس بن الملوّح (قيس بن الملوّح، د.ت):

وإني لأستغشي وما بي نعسة
لعلّ خيالاً منك يلقي خيالاً

فهذا تصريحٌ مباشرٌ منه، برغبته الجامحة في نومه وإن لم يكن به حاجةً ملحةً إلى النّوم؛ بغية لقاء خيال محبوبته؛ أي الحلم بها، في إشارة واضحةٍ إلى اتّخاذ الأحلام حيلةً دفاعيّةً تمكّنه من مقاومة واقعه المحبّط، ووسيلةً لقضاء ما لا يستطيع قضاءه من اللذات فيه، وهذا الأمر نفسه يرى بوضوح عند قيس بن ذريح كذلك، غداة قوله (قيس بن ذريح، 2004، 115):

وإني لأهوى النّوم في غير حينه
لعلّ لقاءً في المنام يكون

تحدّثني الأحلام أني أراكم
فياليت أحلام المنام يقيّن

فالواقع المشتبه الذي يخالف الواقع المفروض انتقل إلى الأحلام، حتّى يقضوا فيه ما لم يستطيعوا قضاءه من اللذّة، فكان ذلك تفرّغاً حريّاً أن يخفّف عنهم أعباء كبتهم، إلى الحدّ الذي جعلهم يرومون النّوم ويشتهونه في غير وقته، وأفضى بهم إلى التّمنّي الصّريح بكون ذلك الواقع المتخيّل في أحلامهم، منتقلاً إلى حياتهم المفروضة، فلاقوا فيه ما يسرّهم، وقضوا لذاتهم حقيقةً لا خيالاً.

إنّ هذا التّمنّي الذي كان يهيمن عليهم، ويخضعهم لرغبة حارّة في جعل أحلامهم واقعاً، لم يكن يخلو من حسرةٍ ولوعةٍ جليّتين، وهذا يتبدّى في قول جميل بن معمر (جميل بن معمر، 1966، 23):

أمنك سرى يا بثن طيفت تأوبا
هدوا فهاج القلب شوقاً وأنصبا؟

عجبت له أن زار في النّوم مضجعي
ولو زارني مستيقظاً كان أعجبا

فالتّحسر والتّعجب كانا باديين في قوله، وذلك لا يخلو من هيمنة خفيّة لتلك اللذّة التي كانت تسيطر عليهم في أحلامهم، فتجعلهم ينشدونها واقعاً وحقيقةً، ويبدون إزاء عيشهم اعتراضاً وامتناعاً، فيه سخطٌ جليٌّ على كون ما يرومونه ويشتهونه يغيب عنهم واقعاً ويحضر في أحلامهم، فيزيد ذلك من وثاق أسرهم في قيود اللذّة التي أوصلهم خضوعهم لها إلى هذا المدى من السّخط.

2. التّمارض: إنّ التّمارض واحدٌ من الوسائل التي قد يلجأ إليها المرء؛ تهرّباً من قضاء أمرٍ ما لا يريد قضاءه، ولا يملك القدرة التي تسمح له بالإعراض عنه من غير مسوّغ يسوقه للنّاس (طه وآخرون، د.ت، 45)، فيعتمد إلى التّمارض من حيث كونه حيلةً دفاعيّةً تسعفه للتّخلص من بعض المواقف التي لا يحتمل اللوم فيها والمسؤوليّة الكاملة إزاءها، لكنّ تفشّي هذا التّمارض وتفاقمه قد يحدث حالةً من الاضطرابات المستحدثة، "تتميز هذه الاضطرابات بأعراض جسميّة أو نفسيّة غير حقيقيّة يستحدثها الشخص عن قصد، حيث يستحدث العرض عن قصد مبني جزئياً على قدرة الشخص على محاكاة المرض بمثل هذه الطريقة، وأنه لن يكتشف، ولذلك فإنّه يراعي التوقيت والتخفي الذي يلزم له درجة من الحكم على الأمور ونشاط ذكائي يوحى بسيطرة إرادية، ولكن لهذه الأفعال صفات قهرية (أي إنه غير قادر على الامتناع عن سلوك خاص) ولكن يؤخذ بنظر الاعتبار أن السلوكيات إرادية (أي إنه هادف لاستحداث الأعراض)، وهكذا يكون السلوك المرضي تحت سيطرة إرادية يستخدمها من أجل الوصول إلى الأهداف التي تم تبنيها لا إرادياً" (عوّاد، 2011، 170). وهذا ما كان بادياً عند الشعراء العذريّين، لجؤوا إلى التّمارض ليقنعوا النّاس بالكفّ عن لومهم إيّاهم؛ هرباً من الواقع المفروض، وتمسكاً بالعيش في واقعهم المتخيّل، الذي يتاح فيه المجال لقضاء لذاتهم، فعمدوا إلى ابتكار مجموعة من

السلوكيات، لم يحسنوا الامتناع عنها مع مرور الوقت، فظلوا قابعين في شباكها، منها التمارض وأدعاء الجنون، لعلهم بذلك يخلصون أنفسهم من المسؤولية الكاملة، فيكون هذا فضاءً رحباً لتفريغ قليل من مكبوتهم. وما يستشهد به على ذلك من شعرهم، ما بدوا فيه يصورون الحب كأنه مرضٌ وداءٌ حقيقي، شفاؤه بيد المحبوبة وحدها قصراً، ولا يكون دواؤهم إلا بها، ولكون وصالها أمراً مستحيلًا في ضوء واقعهم، فإنهم استمروا على هذه الحال حياتهم كلها، كقول جميل بن معمر (جميل بن معمر، 1966، 13):

فإن لم أزرها عاذني الشوق والهوى
وكيف بنفس أنت هيجت سقمها
لقد كنت أرجو أن تجودي بنائل
فلو أن نفسي يا بئس تطيعني
ولكن عصتني واستبدت بأمرها
فأحيي هداك الله نفساً مريضةً
هو تصويرٌ بيدي فيه الشاعر حبه كأنه علةٌ عضويةٌ أصيب بها، ولا يبرأ سقمه ولا يشفى دأؤه إلا إذا وصلته محبوبته وجادت عليه بعطائها، وإن مثل هذا التصوير موجودٌ بكثرةٍ لافتةٍ في شعر العذريين، كثرةٌ تخرجها عن طورها الفني الاعتيادي، بل تكاد تكون سنةً تمثلوها أو امتثلوها لها؛ بغية تسويق لزومهم دائرة حُبهم التي لم يبرحوا حدودها رغم تأكيد انقطاع أملهم.

وهذا أمرٌ يرى بوضوح - كذلك - عند كثير عزة، الذي شطر نفسه شطرين: شطراً أبلاه المرض من اليأس، وآخر يحاول أن يتجمل طمعاً في نيل وصال محبوبته، الوصال الذي سيكون شفاءً وبرءاً من أي داءٍ قد يصيبه، وأية علةٍ قد تعتريه، يقول (كثير عزة، 1993، 85):

أبيت نجياً للهموم مسهّداً
فأصبحت ذا نفسين نفس مريضة
ونفس ترجي وصلها بعد صرمها
وسلوك التمارض عند العذريين تحول من كونه أدعاءً تسويغياً في نشأته، إلى حالةٍ من الألفة، جعلتهم يألفون هذا السلوك المرضي، وكأنه علةٌ عضويةٌ حقيقيةٌ قد أصابتهم، فيكون سلوكهم وفق هذا الإحساس، ويؤيد ذلك قول قيس بن الملوّح عند رؤيته طبيبين (قيس بن الملوّح، د. ت، 120):

طبيبان لو داويتماني أجرتما
فقلاً بحزنٍ ما لك اليوم عندنا
وقالاً دواء الحب غالٍ ودأؤه
فما برحاً حتى كتبت وصيتي

وهذه هي أعراض الاضطراب المستحدث الذي يبدأ تمارضاً بقصد التهرب من واجبٍ لا يؤدّ المرء أداءه، وينتهي إلى أن صاحبه يألف هذه الحالة فيتوافق سلوكه مع ذلك الإحساس الذي أراد أن يتظاهر به، وهو إحساس المرض، وإن كانت لا تبدو عليه أية أعراض جسدية، وقيس في الأبيات كان سلوكه سلوك ذي العلة العضوية التي لا يجد لها برءاً، بعد أن كان التمارض في بدايته عنده كباقي العذريين، وسيلةً يتهربون بها من لوم اللانمين، ويسوغون فيها إصرارهم العجيب على حُبهم وبقائهم متلوّعين من شجونه رغم انقطاع الأمل وفوات الرجاء، وأية ذلك أنه يرفض السلوك ويأبى أن يعطه أحدٌ بذلك، بل يقنعهم أن يذروه على حاله هذه؛ لنألا يصابوا بما أصيب به، كأن حبه مرضٌ ينتقل بالعدوى، يقول (قيس بن الملوّح، د. ت، 228):

يقول أناسٌ علّ مجنون عامرٍ
بي اليأس أو داء الهيام أصابني
وأما ذروة توهمهم بالمرض، فهو أدعاء الجنون، بصرف النظر عن كونه جنوناً حقيقياً أو مجازياً، إلا أنه يبقى من الوسائل والحيل الدفاعية التي سلكها العذريون في سبيل تسويق ما هم عليه، وهرباً من واقعهم المحبط، يقول قيس بن الملوّح في معرض دفاعه عن حبه ليلي (قيس بن الملوّح، د. ت، 94):

وإني لمجنونٌ ليلي موغلٌ
إذا ذكرت ليلي بكيت صبايةً
فجنونه ليلي جاء به مسوغاً لعدم عزوفه عن هواها وانصرافه عنه، وهذا ما كان يلام عليه، فلعله وجد بالجنون شماعاً يحسن تعليق ما يصدر عنه من أشياء تثير الاستغراب والدهشة، عليها، وهو جنونٌ قد يكون مدعىً مصداقاً لقول قيس نفسه في موطن آخر نفى فيه جنونه، يقول (قيس بن الملوّح، د. ت، 121):

يقولون مجنونٌ يهيم بذكرها
ووالله ما بي من جنونٍ ولا سحر
فهذا التضارب بشأن إقراره بالجنون قد يحمل معاني كثيرة، لكن أحد هذه المعاني أنه ليس مجنوناً حقيقةً، إنما رأى في أدعائه الجنون سبيلاً يحقق له شيئاً من الراحة، ويكفيه طوقاً من المسؤولية، ويكفّ لوم اللانمين عنه، ويسوغ له أي سلوكٍ خارجٍ عن المألوف، فألف هذه الحال لكثرة التزامه بما يوافقها قولاً وفعلًا، فصدر عنه ما صدر من إشاراتٍ توحى بجنونه.

يرى مما جرى إيضاحه أن الكبت كان واحداً من أهم الأسس التي ترسخ عليها الواقع النفسي لشعراء الغزل العذري، فكان مكوّنًا رئيساً لطبيعة الحب العذري الذي بني على الكتم والحرمان، تماهياً مع حياتهم التي فرضت عليهم هذا الواقع المجحف، إلى الحد الذي جعل يوسف اليوسف يبلغ مبلغاً يقول فيه: "لقد جاءت العذرية نتاجاً ضرورياً لتقدم الكبت في التاريخ، أو لتعاظم نظام التّحريم إبان المرحلة الأموية." (اليوسف، 1982، 101) ما يشير حقيقةً إلى أن الكبت كان ملاذاً مسوّغاً لشعراء الغزل العذري قياساً إلى حياتهم، لكنّه ما لبث أن تحوّل إلى علّة حقيقيّة بعد تفاقمه وازدياد المساحة التي يشغلها في نفوسهم.

وهذه العلّة أخضعت العذريين لوطأتها، وأحكمت السيطرة عليهم؛ لأنّ مكبوتهم الذي أضمره في نفوسهم كان تجلياً للذة التي لم يفلحوا في إشباعها حقيقةً، فانصاعوا إليها وخضعوا إلى هيمنتها، وهذا ما جعل هيمنتهم الذكورية محفوفةً بالنواقص، ما أفضى بهم إلى اللجوء إلى وسائل وحيلٍ دفاعية، لتفريغ ذلك المكبوت الذي لم تعد لهم القدرة على إخفائه في نفوسهم، وكانت الأحلام مطيبتهم إلى ذلك، وكذا التمارض؛ بغية تجريد نفوسهم من المسؤولية وتسويق نزوعها إلى ذلك الخضوع، وحماية ذكورتهم من مهددات هيمنتها.

6. الخاتمة

يمكن استخلاص عدد من أهم النتائج التي توصّل إليها البحث، ومنها:

- أفلحت الذكورة بأنّ تحقّق لنفسها هيمنة وانتصاراً في العقلية البشرية الجمعية على الأنوثة، رغم طبيعة العلاقة التكاملية بينهما، وذلك عائدٌ إلى بعض الأسباب الثقافية والاجتماعية، وبعض النوازع النفسية.
- عانى شعراء الغزل العذري معاناةً بالغةً من تعارض مبدأ اللذة الذي يسعى إلى إشباع الغرائز بغير التقات إلى القيود المحيطة بها، ومبدأ الواقع الذي يقيد هذه الغرائز بضوابط وحدود لا يستطيع اجتيازها.
- أسهمت الآلام التي يجدها العذريون في سبيل إشباع لذة وصالحهم في إخضاعهم إليها؛ لأنّ اللذة تلازم نقصانها، وتزداد الحاجة إليها كلّما تعرّض إشباعها.
- يعدّ الكبت أساساً من أسس طبيعة الحبّ العذري؛ تماهياً مع ما شهدته حياة أصحابه من منع وحرمان.
- لم يكن الحبّ العذري محضاً من العفة الخالصة، لقد كانت به شبيقةً ملموسةً أفضت إلى زيادة الحاجة إلى الكبت، وتقاقم الخضوع للذة.
- لجأ العذريون إلى بعض الحيل الدفاعية؛ من أجل تفريغ شيء من مكبوتهم، كالأحلام والتمارض؛ بقصد إشباع اللذة فيهما، بعد الفشل بإشباعها في واقعهم.

7. المصادر والمراجع

7.1 المراجع العربية

- إبراهيم، السيد. (2005م). *المتخيل الثقافي ونظرية التحليل النفسي المعاصر*. مركز الحضارة العربية. الأصفهاني، أبو الفرج عليّ بن الحسين. (1415هـ). *الأغاني*، دار إحياء التراث العربي. بورديو، بيار. (2009). *الهيمنة الذكورية*، ترجمة: سلمان قعفراني، مراجعة: ماهر تريمش، المنظمة العربية. الجاحظ، عمرو بن بحر. (1964م). *رسائل الجاحظ*. تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي. جاميل، سارة. (2002م). *النسوية وما بعد النسوية*، ترجمة: أحمد الشامي، المشروع القومي للترجمة. جميل بن معمر. (1966م). *الديوان*. تحقيق: بطرس البستاني، دار صادر للطباعة والنشر. حب الله، عدنان. (2004م). *التحليل النفسي للرجولة والأنوثة من فرويد إلى لاكان*، دار الفارابي. حسنين، حسن حنفي. (د.ت). *الهوية، المجلس الأعلى للثقافة*. الحارثي، جوخة. (2023م). *الجسد في الغزل العذري*، ترجمة زينة آل تويه، كلمات للنشر والتوزيع. الحيدري، إبراهيم. (2003م). *النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب*، دار الساقى. دي بوفوار، سيمون. (2015م). *الجنس الآخر*، ترجمة: سحر سعيد، الرحبة للنشر والتوزيع. زيعور، علي. (1986م). *التحليل النفسي والصحة العقلية*، دار الطليعة للطباعة والنشر. ساي جيرمان، ليند. (د.ت). *النظريات البطريركية*، ترجمة: نور منصور، مركز الدراسات الاشتراكية. شرابي، هشام. (1992م). *النظام الأبوي وإشكالية تحالف المجتمع العربي*، مركز دراسات الوحدة العربية. طه، فرج عبد القادر وآخرون. (د.ت). *معجم علم النفس والتحليل النفسي*، دار النهضة العربية. عبد الجبار، فالح. (2018م). *الاستلاب*، دار الفارابي. العظم، صادق جلال. (د.ت). *في الحبّ والحبّ العذري*، ط5، دار المدى للثقافة والنشر. العقّاد، عباس محمود. (د.ت). *جميل بثينة*. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. عوّاد، محمود. (2011م). *معجم الطب النفسي والعقلي*. دار أسامة للنشر والتوزيع. فائق، أحمد. (1967م). *التحليل النفسي بين العلم والفلسفة*. مكتبة الأنجلو المصرية.

- فرويد، سيجموند. (1938م). *الموجز في التحليل النفسي*. ترجمة: سامي محمود عليّ وعبد السلام القفاش، مكتبة الأسرة.
- فرويد، سيجموند. (1982م). *الأنثى والهو*، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، (ط4). دار الشروق.
- فرويد، سيجموند. (1983م). *ثلاثة مباحث في نظرية الجنس*، ترجمة: جورج طرابيشي، (ط3)، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- فرويد، سيجموند. (1989م). *الكفت والعرض والقلق*، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، (ط3). دار الشروق.
- فرويد، سيجموند. (1992م). *الحب والحرب والحضارة والموت*، ترجمة: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد.
- فرويد، سيجموند. (1999م). *الحياة الجنسية*، ترجمة: جورج طرابيشي، (ط3). دار الطليعة للطباعة والنشر.
- فرويد، سيجموند. (2012م). *تفسير الأحلام*، ترجمة: مصطفى صفوان، دار الفرابي.
- فرويد، سيجموند. (د.ت). *ما فوق مبدأ اللذة*، ترجمة: إسحق رمزي، (ط5). دار المعارف.
- فرويد، سيجموند. (د.ت). *الحلم وتأويله*، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- فرويد، سيجموند. (د.ت). *الهنديان والأحلام في الفن*، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- قيس بن ذريح. (2004م). *الديوان*، (ط2). تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة.
- قيس بن الملوّح. (د.ت). *الديوان*. تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة.
- كثير عزة. (1993م). *الديوان*، تحقيق: مجيد طراد، دار الكتاب العربي.
- كرينجلباخ، مورتن. (2015م). *مركز اللذة*، ترجمة: أحمد موسى، مراجعة: أيمن عامر، المركز القومي للترجمة.
- ليبب، الطاهر. (1987م). *سوسيولوجيا الغزل العربي الشعر العذري نموذجاً*، ترجمة مصطفى المسناوي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- ليرنر، غيردا. (د.ت). *نشأة النظام الأبوي*. ترجمة: أسامة إسبر، مراجعة: الأب بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة.
- مور، روبرت وجيليت، دوجلاس. (2020م). *ملك محارب ساحر محبّ*، ترجمة: محمد ذوالفقار، مراجعة: محمد الجيزاوي، عصير الكتب للنشر والتوزيع.
- وارد، إيفان وزاريت، أوسكار. (2005م). *أقدم لك التحليل النفسي*، ترجمة: جمال الجزيري، مراجعة: فيصل يونس، تقديم: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة.
- اليوسف، يوسف. (1982م). *الغزل العذري دراسة في الحب المقموع*، (ط3). دار الحقائق.
- يونج، كارل. (1994م). *البنية النفسية عند الإنسان*. ترجمة: نهاد خياطة، دار الحوار.

7.1 رومنة المراجع العربية

- Ibrahim, A. (2005). The cultural imagination and contemporary psychoanalytic theory (in Arabic). Center of Arab Civilization.
- Al-Isfahani, A. (1415 AH). Al-Aghani (in Arabic), House of Arab Heritage Revival.
- Bourdieu, P. (2009). Masculine hegemony (in Arabic), translated by: Salman Kaafrani, reviewed by: Maher Trimish, the Arab Organization.
- Al-Jahiz, A. (1964). Al-Jahiz messages (in Arabic). Investigation: Abdul Salam Haroun, Al-Khanji Library.
- Gamble, S. (2002). Feminism and Post-Feminism (in Arabic), Translated by: Ahmed Al-Shami, The National Translation Project.
- Jamil bin Muammar. (1966). The Diwan (in Arabic). Investigation: Boutros Al-Bustani, Dar Sader for Printing and Publishing.
- Hab allah, A. (2004). Psychological analysis of masculinity and femininity from Freud to Lacan (in Arabic), Dar Al-Farabi.
- Hassanein, H. (D.T.). Identity (in Arabic), Supreme Council of Culture.
- Al-Harithi, J. (2023). The Body in Virginal Spinning (in Arabic), translated by Zuwaina Al Tuwayh, Kalimat Publishing and Distribution.
- Al-Haidari, I. (2003). The patriarchal system and the problem of sex among Arabs (in Arabic), Dar Al-Saqi.
- De Beauvoir, S. (2015). The Second Sex (in Arabic), translated by: Sahar Saeed, Al Rahba Publishing and Distribution.
- Ziour, A. (1986). Psychoanalysis and mental health (in Arabic), Dar Al-Tali'ah for Printing and Publishing.
- Cy Germain, L. (D.T.). Patriarchal Theories (in Arabic), Translated by: Nour Mansour, Center for Socialist Studies.
- Sharabi, H. (1992). The patriarchal system and the problem of the backwardness of Arab society (in Arabic), Center for Arab Unity Studies.
- Taha, F. and others. (D.T.). Dictionary of Psychology and Psychoanalysis (in Arabic), Arab Renaissance House.
- Abdul-Jabbar, F. (2018). Al-Istilab (in Arabic), Dar Al-Farabi.

- Al-Azm, S. (d.t.). On Love and Virgin Love (in Arabic), 5th edition, Dar Al Mada for Culture and Publishing.
- Al-Aqqad, A. (D.T.). Beautiful Buthaina (in Arabic). Hindawi Foundation for Education and Culture.
- Awad, M. (2011). Dictionary of psychiatry and mental medicine (in Arabic). Dar Osama for Publishing and Distribution.
- Faiq, A. (1967). Psychoanalysis between science and philosophy (in Arabic). Anglo-Egyptian Library.
- Freud, S. (1938). Summary of psychoanalysis (in Arabic). Translated by: Sami Mahmoud Ali and Abdul Salam Al-Qaffash, Family Library.
- Freud, S. (1982). The ego and the id (in Arabic), translated by: Muhammad Othman Najati, (4th edition). Dar Al-Shorouk.
- Freud, S. (1983). Three Investigations in the Theory of Sex (in Arabic), Translated by: George Tarabishi, (3rd edition), Dar Al-Tali'ah for Printing and Publishing.
- Freud, S. (1989). Desistance, display, and anxiety (in Arabic), translated by: Muhammad Othman Najati, (3rd edition). Dar Al-Shorouk.
- Freud, S. (1992). Love, War, Civilization, and Death (in Arabic), translated by: Abdel Moneim Al-Hafni, Dar Al-Rashad.
- Freud, S. (1999). Sexual Life (in Arabic), translated by: George Tarabishi, (3rd edition). Dar Al-Taliah for Printing and Publishing.
- Freud, S. (2012). Interpretation of Dreams (in Arabic), Translated by: Mustafa Safwan, Dar Al-Farabi.
- Freud, S. (D.T.). Beyond the Pleasure Principle (in Arabic), translated by: Ishaq Ramzi, (5th ed.). Dar Al Maaref.
- Freud, S. (D.T.). The dream and its interpretation (in Arabic). Translated by: George Tarabishi, Al-Tali'ah Printing and Publishing House.
- Freud, S. (D.T.). Delirium and dreams in art (in Arabic), translated by: George Tarabishi, Al-Tali'ah Printing and Publishing House.
- Qais bin Dharih. (2004). Al-Diwan (in Arabic), (2nd edition). Investigation: Abdul Rahman Al-Mustawi, Dar Al-Ma'rifa.
- Qais bin Al-Mallouh. (D.T.). The Diwan (in Arabic). Investigation: Abdel Sattar Ahmed Farrag, Misr Printing House.
- Kathir Azza. (1993). Al-Diwan (in Arabic), edited by: Majeed Trad, Dar Al-Kitab Al-Arabi.
- Kringelbach, M. (2015). Center of Pleasure (in Arabic), translated by: Ahmed Musa, Reviewed by: Ayman Amer, National Center for Translation.
- Labib, A. (1987). Sociology of Arabic Weaving, Virginal Poetry as a Model (in Arabic), Translated by Mustafa Al-Masnawi, 1st edition, Dar Al-Tali'ah for Printing and Publishing.
- Lerner, G. (D.T.). The emergence of patriarchy (in Arabic). Translated by: Osama Esber, Reviewed by: Father Boulos Wahba, Arab Organization for Translation.
- Moore, R. and Gillette, D. (2020). A charming, loving warrior king (in Arabic), translated by: Muhammad Zulfikar, reviewed by: Muhammad al-Jizawi, Juice Al-Kutub for Publishing and Distribution.
- Ward, E. and Zarit, O. (2005). I present to you psychoanalysis (in Arabic), translated by: Jamal Al-Jaziri, reviewed by: Faisal Younis, presented by: Imam Abdel Fattah Imam, Supreme Council of Culture.
- Al-Youssef, Y. (1982). Virgin flirtation, a study in repressed love (in Arabic), (3rd edition). House of facts.
- Young, C. (1994). The psychological structure of humans (in Arabic). Translated by: Nihad Khayata, Dar Al-Hiwar.

Masculine Dominance Crisis among Platonic Love poets in terms of instinct and rationality: a psychological Reading

Laith Al-Niss¹, Abdul-Khaliq Issa²

¹ Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University

² Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Humanities and Education, An-Najah National University

Corresponding Author: laithnees@gmail.com

Received: 15/4/2024. Revised: 16/5/2024. Accepted: 30/12/2024. DIO:

Abstract

The research aimed to present the concept of male dominance and study it as a central pillar of psychological identity. It revealed the significant reasons that led to the emergence and refinement of this concept in collective human mentality, drawing on the theoretical outputs of psychoanalytic analysis. The study took Platonic love poets as a model to explore this phenomenon based on the unique nature of their emotional relationships. It examined how they navigated between the principles of pleasure and reality, experiencing the constraints and attempts at release. The research concluded that the Platonic love poets experienced excessive conflict between the principles of pleasure and reality. This reflected the oscillation in their lives between instinctual and rational elements. The study also highlighted that repression is central to the lives of platonic love poets.

Keywords: Male dominance, platonic Ghazal poets, pleasure principle, repression.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

اللغة بوصفها مفتاحاً لفهم الأساطير والميتافيزيقا؛ دراسة بينية

أحمد الجنادبة

جامعة زايد، كلية الدراسات المتداخلة التخصصات، الإمارات- أبوظبي

الباحث المراسل: Ahmadaljanadbah@gmail.com

Received: 13/1/2025. Revised: 17/2/2025. Accepted: 18/3/2025 Published: 30/06/2026
DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.2

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين اللغة وعلم الأساطير والميتافيزيقا، من خلال بحث تأثير اللغة في تشكيل الأساطير وتفسيرها عبر الثقافات. واستندت إلى إشكالية نقص الأبحاث التي تربط بين اللغة والأسطورة والميتافيزيقا، وإلى توضيح دور الأساطير في تطور اللغة، ونقل المعاني الرمزية والفكرية. ومن الأسئلة الرئيسية التي طرحتها الدراسة: كيف تسهم اللغة في تشكيل الأساطير والميتافيزيقا؟ وكيف تؤثر الأخيرة في إغناء مفردات اللغة وملولاتها الثقافية؟

واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مركزة على الأساطير العربية وغير العربية، ودراسة تطور المفردات والأساليب اللغوية المرتبطة بالأساطير والميتافيزيقا. وتوصلت إلى أن الأساطير والميتافيزيقا تمثل وسيلة فعالة لنقل القيم الثقافية وتشكيل الهوية الثقافية الجماعية عبر اللغة. وأظهرت النتائج تأثير الأساطير المباشر في تطور اللغة، بدمج مفردات وأساليب لغوية خاصة بها، واستخدام اللغة بشكل رمزي يعكس الأفكار المجردة والمعتقدات الدينية والفلسفية. كما تبين أن الأساطير تعد جزءاً من الفلكلور الشعبي، وأن اللغة تسهم في حفظها ونقلها بين الأجيال. وختاماً، أبرزت الدراسة تفاوت التعبير اللغوي للأساطير بين الثقافات المختلفة، ما يعكس تباين السياقات الثقافية في تفسير الأساطير.

الكلمات المفتاحية: الأساطير، الميتافيزيقا، الفلسفة، الوجود، الماورائيات، اللغة.

1. المقدمة

ارتبطت كثير من الحرف والمهن ارتباطاً وثيقاً باللغة؛ فنجد اللغة تدخلت في التجارة والاقتصاد والسياسة والإعلام، وغيرها من العلوم المختلفة؛ ما جعل من حصر هذه المجالات أمراً فيه من التعقيد ما يؤرق الفكر ولا يكتفي من الجهد باليسير، وهو ما سنسعى إلى تأطيره في هذه الدراسة.

والهدف من هذه الدراسة إلقاء الضوء على نقطة تمثل الأساس لكل إنسان، وهي أهمية اللغة في حياة الإنسان، وليس المقصود هنا أهمية اللغة من ناحية العلم فقط، بل من ناحية الفكر والإدراك بوصفهما ركيزتين لا يمكن للمرء أن يستغني عنهما في حياته، حتى ولو كان على قدر بسيط من المعرفة.

ومن يتأمل العلاقة الجامعة بين اللغة والحقول المعرفية الأخرى، سيدرك أن هناك نوعين من الوشائج التي تربط بين هذه العلاقة؛ أحدها يتمثل في هذا الشكل المكون لها، والآخر يكمن في المضمون، أو الجوهر الذي من خلاله تبين الحقيقة. وإذا نظرنا الاقتصاديون، على سبيل التوضيح، إلى اللغة بوصفها منتجاً يمكن الاستفادة منه، وكذلك الإعلاميون والسياسيون (Kalmas، 1978، ص10)، فلا يخفى علينا أن هذه النظرة لم تأت من اللاشيء، كما أنها تستوجب منا تسليط الضوء عليها لفهم أبعادها، والتحقق من شكل التغيير الذي طرأ على هذه النظرة التي جعلت من اللغة مارباً يسعى إليه كثير من المؤثرين في المجتمع، ويرغب أهل العلم في جميع ميادين الأبحاث وساحاتها أن يصلوا إلى رؤية له من خلال نظرة تخصصية في مجالاتهم.

وإذا كان منطقياً أن يفرض الأقوى سياسته على الأضعف، فمن الطبيعي أن تلقى بعض اللغات رواجاً عن غيرها، فما الأسباب التي تدعو إلى رواج لغة عن أخرى؟ وكيف يمكن للغة أن تحظى بما يُسمى بالعالمية؟ هل يرجع الأمر إلى شيء مميز في هذه اللغة، أم أنها مجرد أطروحات تختفي وراءها كثير من الحقائق؟ هل هو علم الحاجة، أم حاجة العلم؟ كل هذه الأسئلة لا يمكن تركها من دون إجابة، ولا يمكن الوصول لإجاباتها من دون البحث القريب والمباشر، كما أن الثورة

العلمية منذ مطلع القرن الماضي، خاصةً مع ظهور علم اللسانيات، تسببت في النظر إلى كثير من العلوم من خلال مناظير مختلفة لا تنتمي إلى علم واحد، ولا يمكن أن نصل إلى رابط فيما بين هذه الرؤى إلا من خلال اللغة التي أصبحت هدفًا ومسعى يكشف الكثير من الستارات التي أسدلت لقرون طويلة حول طبيعة الإشكالية الإنسانية الكبرى، مثل: البحث في دور الجينات في تكوين اللغة.

هدف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى كشف العلاقة التفاعلية بين اللغة وعلم الأساطير والميتافيزيقيا، وكيفية تأثير كل منهما في الآخر، كما تُركّز على فهم دور اللغة في تشكيل الأساطير ونقلها، وكيف تؤثر الأساطير والميتافيزيقيا في اللغة وتطور مفرداتها ومدلولاتها الثقافية، كما تهدف إلى كشف دور الرموز اللغوية في الأساطير والميتافيزيقيا في التعبير عن القيم والمعتقدات الاجتماعية والثقافية للمجتمعات.

أهمية الدراسة: تسهم الدراسة في إغناء حقل الدراسات اللغوية والأدبية من خلال تسليط الضوء على الروابط العميقة بين اللغة والأساطير والميتافيزيقيا؛ ما يمكن من تحقيق فهم أعمق لتطور اللغة عبر العصور، كما تساعد في توضيح دور الأساطير والميتافيزيقيا في تشكيل الهوية الثقافية للمجتمعات، وذلك من خلال استعراض الرموز اللغوية والقيم المرتبطة به، كما تقدم الدراسة منظوراً جديداً لفهم الأساطير والميتافيزيقيا من خلال التحليل اللغوي؛ ما يفتح المجال لدراسات مستقبلية، تجمع بين علم اللغة والدراسات الثقافية والأنثروبولوجيا، وتبرز الدراسة أهمية دراسة الأساطير والميتافيزيقيا ودورها في حفظ التراث الثقافي؛ ما يعزز من جهود الحفاظ على التراث غير المادي ونقله للأجيال المقبلة.

مشكلة الدراسة: تُعد العلاقة بين اللغة وعلم الأساطير والميتافيزيقيا علاقة معقدة ومتشابكة؛ فتؤثر اللغة في تشكيل الأساطير والميتافيزيقيا من خلال الرموز والتعابير اللغوية، فيما تسهم الأساطير والميتافيزيقيا في إغناء اللغة بالمدلولات والمعاني الثقافية والرمزية العميقة؛ لذا فإن مشكلة هذه الدراسة تكمن في التساؤل عن مدى تأثير الأساطير والميتافيزيقيا في تطور اللغة ودورها في تشكيل الهوية الثقافية للمجتمعات، وكيف تسهم اللغة في نقل الأساطير وإبقائها عبر الأجيال.

منهج الدراسة: تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تحليل العلاقة بين اللغة وعلم الأساطير والميتافيزيقيا عبر جمع البيانات وتفسيرها لتوضيح العلاقة بينها، ودورها في التعبير عن القيم والمعتقدات الثقافية.

مصطلحات الدراسة

1. اللغة: نظام من الرموز والإشارات يتواصل من خلاله البشر، فُستخدم الكلمات والتراكيب للتعبير عن الأفكار والمشاعر والمعتقدات، وتُعد اللغة وسيلة أساسية لنقل الثقافة والمعرفة عبر الأجيال، وتنعكس فيها أفكار المجتمع وقيمه.
2. علم الأساطير: فرع من فروع الدراسات يهتم بدراسة الأساطير والنصوص القديمة التي تتناول قصصاً مقدسة أو رمزية، تهدف إلى تفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية، وتقديم نموذج للعلاقات بين الآلهة والبشر في الثقافات المختلفة.
3. الأسطورة: قصة تقليدية أو رواية، تحتوي على عناصر خارقة للطبيعة أو رمزية، وتُستخدم لشرح قضايا الكون والمجتمع، وتنعكس - عادةً - معتقدات المجتمع وقيمه، وتُعد الأساطير جزءاً هاماً من التراث الشفوي والثقافي للشعوب.
4. الرمز: عنصر أو شكل، يستخدم للدلالة على معنى آخر، يتجاوز المعنى الحرفي، ويستخدم في الأساطير لنقل المفاهيم والمعتقدات، والرموز في الأساطير غالباً ما تحمل معاني ثقافية عميقة تساعد في إيصال الأفكار المجردة بطرق ملموسة.
5. الميتافيزيقيا: هي فرع من فروع الفلسفة التي تتعامل مع مسائل ما وراء الطبيعة؛ أي المواضيع التي تتعلق بما هو أبعد من الظواهر المادية والتجريبية، وتهتم الميتافيزيقيا بدراسة طبيعة الواقع، والوجود، والكون، والمفاهيم المجردة مثل الزمن، المكان، والسببية، والروح، وتتضمن الميتافيزيقيا - أيضاً - تساؤلات حول ماهية الكائنات، وما إذا كانت هناك قوى أو كيانات غير مادية، تؤثر في العالم المادي، إلى جانب العلاقة بين العقل والجسم، وتعد محاولة لفهم البنية الأساسية للوجود والمفاهيم التي تشكل إطاراً لفهمنا للعالم.

2. الدراسات السابقة

تستند هذه الدراسات إلى مجموعة منتقاة، حُددت بناء على قربها من موضوع الدراسة الحالية، من الدراسات السابقة التي تناولت جوانب مختلفة من العلاقة بين اللغة وعلم الأساطير والميتافيزيقيا، بما في ذلك دور اللغة في تشكيل الأساطير والميتافيزيقيا، وتأثير الرموز اللغوية، والتأويل الثقافي، ودلالات الأساطير والميتافيزيقيا في مجتمعات مختلفة. ومن أبرز هذه الدراسات التي تناولت الجوانب المختلفة لهذا الموضوع:

1. مشروع (فريق بحثي من جامعة كوبنهاجن) "اللغة والأسطورة في عصور ما قبل التاريخ" (Language and Myth in Prehistory, 2024) هدف هذا المشروع إلى الكشف عن طبيعة اللغة التي استخدمها البشر في العصور القديمة، وكيف ارتبطت لغتهم بالمعتقدات والأساطير من خلال مقارنة المفردات اللغوية مع الأدلة الأثرية والأسطورية، كما تناول البحث كيفية استخدام البشر الأوائل للغة للتعبير عن معتقداتهم وعقائدهم الروحية، وكان من أبرز نتائجه: التوصل إلى أنه يمكن إعادة بناء بعض الأساطير القديمة من خلال مقارنة الكلمات والمفردات اللغوية مع الأدلة الثقافية والأثرية، كما بين أن الأساطير لعبت دوراً كبيراً في تحديد الهويات الثقافية والجماعية في العصور القديمة، وأن اللغة والأسطورة كانتا مرتبطتين ارتباطاً وثيقاً في تشكيل الفهم الروحي والفلسفي للمجتمعات.

2. دراسة مور (Moori, 2019): هدفت إلى دراسة العلاقة بين اللغة والميتافيزيقيا، وكيف تحدّد اللغة المفاهيم والحدود الفكرية بين العالم الماديّ والمعنويّ، ومن أبرز نتائجها التّوصّل إلى أنّ اللغة تمثّل وسيطاً حاسماً في التّعبير عن الأفكار المجردة والميتافيزيقية، وأنّ الفهم اللغويّ للحدود بين العالمين يساعد في تشكيل الإطار الثقافيّ والفكريّ للمجتمعات.
3. دراسة مولتمان (Moltmann, 2018): هدفت إلى تحليل كيفية مساعدة اللغة الطّبيعية في التّعبير عن الأفكار الميتافيزيقية، وتحديد العلاقات بين اللغة والمفاهيم المجردة، مثل الوجود والتّجريد. وتوصّلت إلى أنّ اللغة الطّبيعية تمثّل أداة مهمة في بناء الأفكار الميتافيزيقية وصياغتها، وتقديم التفسيرات الرّمزية للمفاهيم المجردة؛ ما يسهم في توسيع الفهم الثقافيّ للفكر الميتافيزيقيّ.
4. دراسة حنون (2019): هدفت إلى تحليل الأساطير في الأدب العربيّ من خلال منطق اللغة، والبحث في كيفية تأثير الأسطورة في تشكيل الهويّات الثقافيّة والنصوص الأدبية، وتوصّلت إلى أنّ الأساطير العربية لا تقتصر على الماضي، بل هي موجودة في الأدب المعاصر وتؤثر في التّعبيرات الثقافيّة الحديثة.
5. دراسة زيدان (2005): هدفت إلى دراسة العلاقة التفاعلية بين اللغة والأسطورة، وكيف تسهم الأساطير في بناء الهويّات اللغوية والثقافية، وتوصّلت إلى إظهار أنّ الأسطورة تعمل أداة لغوية لفهم الواقع وتفسيره؛ ما يسهم في تشكيل الوعي الجمعيّ.
6. دراسة سعيد (1999) هدفت إلى دراسة الأساطير في الأدب من منظور لغويّ، وتحليل كيفية استخدام الأسطورة أداة للتّعبير عن قضايا سياسية واجتماعية، وتوصّلت إلى أنّ الأساطير تعدّ أداة فعالة لنقل الرّسائل الثقافيّة والسياسيّة عبر الأدب، ويجب تحليلها لغويّاً لفهم الطّبقات العميقة للمعاني.
7. دراسة "اللغة والأسطورة" لـ إرنست كاسيرر (Ernst Cassirer, 2009): التي حاول فيها الكشف عن العلاقة العميقة بين اللغة والميتولوجيا، ودرس كيفية تأثيرهما المتبادل في تشكيل الفكر الإنساني. ويرى كاسيرر أنّ اللغة والأسطورة ليستا مجرد وسائل للتّعبير، بل هما أدوات تكوّن الوعي الإنساني وتسهم في بناء إدراكنا للعالم. وتعدّ الأساطير نوعاً من اللغة الرّمزية التي تعبر عن تجارب الإنسان وأفكاره ومخاوفه على نحو رمزي.
- والمح "كاسيرر" في دراسته هذه إلى أنّ اللغة والأسطورة يشتركان في قدرتهما على توليد الرموز؛ فكما أنّ الكلمات تمنح الأشياء معاني خاصة، فإنّ الأساطير تعطي تجارب الحياة صوراً رمزية تساعد المجتمعات في تفسير الظواهر الطّبيعية والاجتماعية. وبهذا تصبح الأسطورة امتداداً للغة، تلعب دوراً في صياغة القيم والتقاليد والهويّات الثقافيّة
8. دراسة فؤاد زكريّا (1990): هدفت إلى تحليل كيفية تأثير الأساطير في اللغة الشعبيّة، وكيفية توظيف الرّموز الأسطوريّة في الحياة اليوميّة من خلال اللغة، وتوصّلت إلى أنّ الأساطير تلعب دوراً مهماً في تشكيل المفردات الشعبيّة والمصطلحات اللغوية، ليتمّ توظيفها في التّعبير عن المفاهيم الثقافيّة والجماعية، كما أظهرت الدّراسة أنّ الأسطورة تصبح جزءاً من الذاكرة الجمعيّة؛ وهو ما ينعكس في اللغة اليوميّة للأفراد.

2.1 موقع الدّراسة الحالية من الدّراسات السّابقة

- أسهمت هذه الدّراسة في بيان كيفية تفاعل اللغة مع الأساطير في الثقافات المختلفة، وكيف تعكس الأساطير العميقة، الجذور الثقافيّة والدينية والفكرية للمجتمعات، وتميزت عن الدّراسات السّابقة في أنّها أظهرت النقاط الآتية:
1. الأساطير والميتافيزيقيا بوصفها وسيلة للتّعبير اللغويّ: تعدّ الأساطير والميتافيزيقيا وسيلة لنقل القيم والمعارف عبر الأجيال، فتلعب اللغة دوراً أساسياً في تشكيل هذه القصص وتحويلها إلى روايات حيّة، تتجاوز الحدود الزمانيّة والمكانيّة.
 2. تأثير الأساطير والميتافيزيقيا في تطوّر اللغة: من خلال دراسة الأساطير والميتافيزيقيا، فيمكن ملاحظة كيف تطوّرت بعض المفردات والتراكيب اللغوية عبر الزمن، وكيف أسهمت الأساطير والميتافيزيقيا في تطوّر المصطلحات المستخدمة في الحديث عن القوى الطّبيعية، والآلهة، أو الكائنات الخياليّة.
 3. الرّمزية اللغوية في الأساطير والميتافيزيقيا: اللغة في الأساطير والميتافيزيقيا مليئة بالرّموز والمعاني العميقة، وتعدّ الكلمات والتراكيب اللغوية مستودعاً للأفكار المجردة التي تروي قصّة الإنسان والكون، وتعكس أفكاراً فلسفيّة ودينيّة معقّدة.
 4. التفاعل بين اللغة والأسطورة والميتافيزيقيا في تشكيل الهويّة الثقافيّة: الأساطير والميتافيزيقيا واللغة تعمل معاً لتشكيل هويّة ثقافيّة جماعيّة، فتعدّ الأساطير والميتافيزيقيا جزءاً من الذاكرة الجماعيّة للأمة، وتسهم اللغة في إعادة إحياء هذه الأساطير والميتافيزيقيا وفهم أبعادها العميقة.

3. مفهوم الأسطورة

إذا تأملنا مفهوم كلمة أسطورة في اللغة، وجدنا أنّها تعني كلّ ما يُسطر أو يُكتب (الحاج حسن، 1998، ص16)، فالأسطورة بمفهومها الحديث والجامع يعني بعض أنواع القصص أو الحكايات مجهولة المنشأ، والتي تتعلّق بالآثار أو الدّين أو الأحداث التاريخيّة (الحاج حسن، 1998، ص17)؛ فهي عبارة عن قصص خياليّة تُحكى عن الآلهة أو كائنات بشريّة متفوّقة أو عن حوادث خارقة غير مألوفة عبر الأزمنة.

وقد نشأ علم الأساطير بهدف دراسة منشأ الأسطورة وتطورها من خلال دراسة أساطير الشعوب وتراثها ومعتقداتها الدينية، والتي تعتمد - بشكل رئيس - على معرفة اللغة المكتوبة والمنطوقة لهذه الشعوب، ودراسة تراثها اللغوي، ويتجلى - هنا - دور اللغة في دراسة علم الأساطير (نحاس، 2006، ص9)؛ لذا فإنّ البحث في التراث اللغوي يُعدّ عاملاً محورياً لفهم الأساطير بشكل أكبر، وهذا يجعل اللغة جزءاً لا يتجزأ من دراسة علم الأساطير وتفسيره. يستخدم علم الأساطير لتفسير الأحداث الطبيعية والإنسانية، وكذلك جمع الأساطير ودراستها وتفسيرها (عجينة، 2005، ص56)، فمن خلال ذلك يمكن للباحثين اكتشاف كيفية رؤية الشعوب القديمة للعالم من حولهم، وكيف حاولوا فهم التفاعلات بين الإنسان والطبيعة.

3.1 علم الأساطير والمجتمعات البشرية

يُستخدم علم الأساطير بهدف الإشارة إلى المعتقدات الخاصة بالحضارات القديمة وتجسيدها، من أجل منحها خاصية المعتقدات السحيقة (Benton, 1968, P93). ولا ندري إن كان المقصود بكلمة "تجسيد" - هنا - هو التصوير الرمزي للمعتقدات، أم أنّ المراد شيء آخر. تمثل الأسطورة الخاصّة سلوك الإنسان الذي يحيا داخل المجتمع، كما تعدّ مصدراً دائماً للمعرفة، والذي يخوض في مناقشة ثنائية مشاكل المجتمعات، مثل: الحرب والسلام، الحياة والموت، الصواب والخطأ، الخير والشر (راوس Raus، 1968، ص45). وهكذا الأسطورة تمثل سلوك الإنسان في المجتمع، وتعدّ مصدراً دائماً للمعرفة، فتناقش قضايا جوهرية مثل الحرب والسلام، والحياة والموت، والصواب والخطأ، والخير والشر، ويمكن فهم تفاعلات المجتمعات البشرية والتعبير عن التحديات التي تواجهها عبر العصور. وفي ضوء علم الأساطير، يمكن ملاحظة أنّ الأساطير هي بمنزلة مفتاح التحدّي والاستجابة التي أدت إلى تكوين الحضارات البشرية، والتي نشأت في المجتمعات البدائية نتيجة التحدّي الناشئ عن علاقة المجتمعات، مثل: السومرية، والمصرية، والصينية، والمايا، والأندية واليمينية (Toynbee، 1955، ص87). لقد عرفت جميع الشعوب القديمة أو شعوب العالم القديم الأساطير، خاصّة في المنطقة العربية والهند والصين وسكان الأحرار في إفريقيا، ثمّ رصدها وسجلّها الإغريق بعد ذلك، وكذلك الغرب الذين بحثوا فيها وروّجوا لها، حتّى أصبحت مبحثاً هاماً في علم الأساطير (نجم، 2010، ص20)، ومن الواضح أنّ الإغريق والغرب هم من رصدوا الأساطير وسجلّوها؛ وهذا يعكس دورهم في توثيق دراسة الأساطير وتطويرها.

3.2 لغة الحضارات وعلم الأساطير

لقد استخدمت الحضارات القديمة الأساطير أساساً وجودياً لتناميها واستمراريتها، فالأساطير تعمل على شرح الحضارات، كما تمنحها بعداً دينياً يعزز قدسيّتها (عربيد، 2017، ص12). ما يحول دون تحريفها أو إلغائها، وإظهار أهميّتها بوصفها معتقدات سماوية غير مشتركة مع آلية الطقوس الوثنيّة. ومن أشهر هذه الحضارات: الحضارة المصرية القديمة، وارتباط أسطورة إيزيس وأوزوريس بين أبناء حضارتها، وحضارة بلاد ما بين النهرين، والحضارة اليونانية، والرومانية، والفارسية، والصينية، والهندية (عربيد، 2017، ص13)، ومن أمثلتها أسطورة إيزيس وأوزوريس من مصر القديمة، وأسطورة هرقل من اليونان، وأسطورة "راما" من الهند.

3.3 الحضارة المصرية وعلم الأساطير

الأساطير الفرعونية هي قصص مقدّسة آمن بها المصري القديم، والتي تميّزت بعمقها الفلسفي؛ فقد كانت الأساطير في تلك الفترة بمنزلة علم يُدرس مع التسليم بمحتوياته. لقد استخدم المصري القديم الشخصيات الأسطورية، مثل: الآلهة أو أنصاف الآلهة، أمّا البشر، فكانت عبارة عن عناصر مكملّة داخل أحداث الأسطورة ليس أكثر (Pinch, 2018, p23). ومن أشهر الأساطير الفرعونية: أسطورة إيزيس وأوزوريس، وأسطورة ست وحورس، وأسطورة خلق الكون، وخلق الأرض، وقرص الشمس المجنح، وخلق البشر والقمر، وتآليه البشر، ودمار البشر، والبعث والحساب، والنداهة، وغيرها من الأساطير الأخرى (عكاشة، 1999، ص175)، ومن الجدير بالذكر - هنا - القول: إنّ هذه الأساطير تعكس - بالضرورة - المعتقدات والمفاهيم الرئيسة في الحضارة الفرعونية، مثل الحياة والموت، والبعث، والمفاهيم المتعلقة بالكون والآلهة. وارتبطت الرموز بالأساطير في الحضارة المصرية القديمة؛ فقد نظر المصري القديم إلى الظواهر الكونية الطبيعية فوجدها ثابتة ودائمة ومستمرة باستمرار الزمن؛ لذا استخدم الأساطير من أجل تفسير الرموز المعبرة عن تلك الظواهر الكونية (عكاشة، 1999، ص177)، وهذا يؤكد العلاقة الوثيقة بين الرموز والأساطير في الحضارة المصرية القديمة، إذ استخدم المصريون القدماء الأساطير لتفسير الظواهر الكونية المستمرة التي رأوها ثابتة في الطبيعة، ويعكس هذا التوجّه عمق فهم المصري القديم للرموز كوسيلة للتعبير عن القوى الكونية والمفاهيم الروحية، وهو ما جعل الأساطير أداة مهمّة لفهم الكون وتنظيم معتقداتهم حول الحياة والآلهة، والطبيعة.

3.4 الحضارة الصينية وعلم الأساطير

الأساطير الصينية هي واحدة من أشهر الأساطير في الحضارات القديمة، ويعود ذلك إلى قدم نشأتها وتعدادها السكاني الكبير الذي ساعد في انتشار هذه الأساطير ورواجها حتى وقتنا الحالي.

وتتسم الأساطير الصينية بالغرابة، فهي تركز على الأشخاص أكثر من الأماكن؛ لذلك اتسمت بالمبالغة (Shan, 2016, ص75)، ويعكس هذا أسلوباً فريداً في الأساطير الصينية، فتتجسد الفضائل والصفات الخارقة عبر شخصيات رمزية تُضفي عليها قدرات غير عادية؛ ما يعزز تأثيرها في الثقافة الصينية، ويضفي على هذه القصص طابعاً خيالياً يرتبط بالقيم والمعتقدات الاجتماعية.

لقد نُقلت الأساطير الصينية عن قومية الهان، والتي تكون ما يقرب من 92% من شعب الصين (Shan, 2016, ص81)؛ فالهدف منها هو تأسيس الثقافة والدولة الصينية، كما اعتقد آخرون أنّ هذه الأساطير هي بمنزلة تسجيل حقيقي للتاريخ الصيني؛ لذا نجد أنّ الأساطير الصينية تضمّ - في محتواها - ما هو تاريخي، والآخر ما هو أسطوري.

ومن أشهر الأساطير الصينية التي عُرفت عبر التاريخ: أسطورة "بان قو" الذي يفصل السماء عن الأرض، والتي كانت تشير إلى الفضاء في صورة بيضة كبيرة، تحتوي في داخلها على ظلام، ثم ظهر في داخل هذه البيضة بطل يُسمى "بان قو" الذي استطاع فصل السماء عن الأرض، وقد تمّ ذلك بعد استيقاظه من النوم بعد مرور 18 ألف سنة ليفصل قشرة البيضة التي كانت ملفوفة حول جسده ليتخلّص من الظلام، فانشقت البيضة مكونة السماء، وسقطت المواد الثقيلة مكونة الأرض (Jordan, 2004, p54).

وهناك أساطير أخرى، مثل: أسطورة "ني وا" تخلق البشر، و"ني وا" ترفع السماء، و"فو شي" وتقب الخشب لإشعال النار، وآلهة "تشانغ أ" التي هربت إلى القمر، والإمبراطور الأصفر "هوانغ دي" و"قون ويوي" يروضان الأنهار، وأسطورة الجبال الخمسة، و"كوا فو" يلاحق الشمس، وشكر إله الموقد، وأسطورة أبناء التنين، وغيرها من الأساطير الأخرى التي تعكس لنا التاريخ الصيني القديم وثقافة شعبه.

3.5 اللغة والأسطورة

تعدّ اللغة أداة العقل الأولى؛ لذا فهي تمثل ميل الإنسان إلى الأسطورة وصناعتها، فاللغة هي بمنزلة ترميز للفكر، كما أنّ عملية التّصوّر تبلغ أوجها في التعبير الرمزي.

فإذا نظرنا للعقل، فإننا سنجد أنّه يشكل مفاهيمه باستخدام عدد معين من الموضوعات ذات خصائص معينة مشتركة، ثم يُحتفظ بالمتشابهات وتفصل الفوارق والاختلافات، ومن ثمّ تُشكّل فكرة عامّة عن مجموعة من الموضوعات في الوعي، والتي تُسمى "التّصوّر" أو "عملية التّصوّر اللغوي".

ويمكن الجمع بين التّصوّر اللغوي والأسطوري في مقولة واحدة لتشكيل الفكر المنطقي، كما تكمن وظيفة النّسق الأسطوري واللغوي في مقارنة الوظائف وانتقاء بعض الصفات المشتركة، مع تكثيف التجارب بالتركيز على اتجاه اهتمام الذات (Schiappa, 2003, p88)، وهذا يجعل الأساطير واللغة وسيلتين لتعميق الفهم المشترك، ما يغني التجربة الإنسانية بتجميع الرموز والتجارب تحت بنية معرفية شاملة، تعزز التفكير المنطقي والثقافي.

لذا فيمكننا أن نقول: إنّ الوعي اللغوي والأسطوري هما من العناصر الهامة لخلق كيان أسطوري؛ فالكلمة هي أساس نشأة الكون الأسطوري، إلى جانب أهميّة كلّ منهما في ارتقاء الفكر من التجربة المؤقتة إلى التّصورات الباقية، ومن الانطباع الحسي إلى الصياغة (Eliade, 1954, p67)، وهذا يمنح الفكر عمقاً وامتداداً يعكس تطوّر التجربة الإنسانية إلى مفاهيم دائمة.

كما أنّه من الضروريّ عند دراسة علم الأساطير تعلّم لغة التّولة أو الحضارة صاحبة تلك الأساطير، مثل: تعلّم اللغة المصرية القديمة عند دراسة الأساطير الفرعونية، وتعلّم اللغة الصينية عند الاطلاع على الأساطير الصينية؛ وذلك بهدف التّعرف إلى ثقافة الشعوب القديمة وفكرهم (فضيلة، 2018، ص5)، ففهم اللغة يتيح الاطلاع المباشر على النصوص الأصلية؛ ما يوفر رؤية أدق للثقافة والمفاهيم الفكرية التي شكلت هذه الأساطير، وهذا يساهم في فهم أعمق للرموز والتعبير التي قد تفقد جزءاً من معناها عند ترجمتها، ويعزز القدرة على استيعاب تراث تلك الحضارات بشكل شامل.

3.6 الأساطير واللغة العربية

تعني كلمة "الأسطورة" حديثاً: السّطور أو الأخبار القديمة المدوّنة المسطورة (العربي، 1984، ص140). وقد آمن العرب - أيضاً - في عصور ما قبل التاريخ، بالأساطير التي أطلق عليها اسم "الأساطير العربيّة"، فعلى سبيل المثال: كانت الكعبة مغطاة في فترة ما قبل الإسلام بمجموعة من الرموز لمئات العفاريت والجنّ وأنصاف الآلهة والآلهة (Armstrong, 2002, P11) القبليّة، التي كانت تعبّر عن ثقافة الشّرك التي كانت تسود المنطقة في تلك الفترة.

وقد ساعد تعدّد المعتقدات في تلك الفترة على ظهور الأساطير؛ فقد كان هناك أكثر من (360) صنماً، شكّلت رموزاً للآلهة. ومن أهمّ هذه الأساطير: الأساطير البابلية التي كشفت الألواح السبعة ونقوش الساميين الشماليين، والتي كانت مصدراً للكشف عن تلك الأساطير ونقلها من جيل لآخر (Black, 2004, p134)، وقد لعبت هذه الأساطير دوراً جوهرياً في ترسيخ التّراث الثقافي والديني؛ ما أتاح للشعوب الحفاظ على معتقداتها وإعادة صياغتها عبر الزمن.

لقد اشتملت هذه الأساطير على الرموز الإلهية الخاصة بتلك الفترة، مثل: سيد الآلهة وكبيرها، اللات، ومناة، وطاغوت، ويعوق، ويغوث، وغيرهم (فضيلة، 2018، ص18). وكذلك على المخلوقات الخارجة كالأرواح من جنّ وعفاريت ومردة، والذين تميزوا بقدراتهم الخارقة للطبيعة وتحكمهم بالبشر وفقاً للاعتقادات القديمة، إلى جانب اشتغالها على الوحوش، مثل: النّسناس، والغول، والبهيموت التي كانت تشبه سمكة كبيرة ذات رأس وحيد القرن أو الفيل، وتستطيع حمل الأرض على ظهرها.

وما زالت حتى عصرنا الحالي تُستخدم عديد من الشخصيات الخرافية من أجل إخافة الأطفال، كإخافتهم من الغول وغيره من الشخصيات، إلى جانب استخدام عديد من الشخصيات والكائنات الخرافية لتجسيدها في صور حية في أفلام الخيال العلمي (Schulz، 1983، ص66)، وهذا يعكس تأثير الأساطير القديمة في الثقافة المعاصرة، فتسهم هذه الشخصيات في إضفاء طابع خيالي ورمزي في الأدب والسينما، وتعمل أدوات تواصل ثقافي، تشد انتباه الجماهير وتغذي المخيلة؛ ما يبرز الأثر الدائم للأساطير في تشكيل المفاهيم والعوالم الخيالية عبر العصور.

وخلاصة القول: إنّ الحضارة الإنسانية هي حضارة زاخرة بملايين الأساطير التي تعبّر عن ثقافة الشعوب والأمم، وإنّ لكل أمة طريقة تناولها الخاصة للأسطورة، إلى جانب الدور الفعال للغة في مجال دراسة علم الأساطير، بوصفها الأداة الرئيسة للاطلاع على الكتب التاريخية والقصص والروايات القديمة.

3.7 اللغة وعلم الميثافيزيقيا

الميثافيزيقيا: هي عبارة عن تعبير لاتيني يعني "ما وراء الفيزياء" أو "ما يفوق الفيزياء" أو "ما بعد الفيزياء" أو "ما وراء الطبيعة" (مشرقي، د. ت، ص22)، يهتم هذا العلم بدراسة الظواهر والكيانات والموضوعات الخارقة للطبيعة. اتّجه علماء الدين إلى دراسة هذا المجال بهدف استخدامه في مجال اللاهوت والغيب وما إلى ذلك، كما يحدّ علماء الدين والفلاسفة المتدينون أنّ كلّ ما يفوق الطبيعة هو أصل الطبيعة ويسبقها في الوجود، إلى جانب وصفه بأنه المتحكّم بالطبيعة من خلال الكيانات الخارقة للطبيعة.

ويُدعى هؤلاء أنّ هذا العلم صادق، وأنّ الكيانات والظواهر الخارقة للطبيعة موجودة، نتيجة وجود فجوة في مجال البحث العلمي أو نقص في تطوّر العلم، التي نتج عنها وجود مسائل ما زالت غير مكتشفة حتى وقتنا الحالي، وهنا يلعب العلم والبحث العلمي دوراً هاماً في إثبات حقيقة وجود علم الميثافيزيقيا وكيانه، أم أنّه مجرد ظواهر لم تُفسّر أسباب حدوثها بعد؟ (مشرقي، د. ت، ص28)، وهذا يبرز التحدّي الذي يواجهه العلم في سعيه المستمرّ لاكتشاف الظواهر التي تقع خارج نطاق المعرفة الحالية، وتفسيرها، ويعكس تفاعل العلم مع الأسئلة الفلسفية والاعتقادية التي لا تزال مفتوحة.

3.8 مفهوم علم الميثافيزيقيا:

علم الميثافيزيقيا هو علم ما وراء الطبيعة؛ يهتم بدراسة الأشياء التي لا توجد في الطبيعة ولا تخضع لقوانينها، أو تلك التي تتجاوز حدود العقل، والتي يعجز العقل أو القوانين عن تفسيرها (نجيب، 1983، ص41)، أي أنّ هذا العلم يتناول دراسة الظواهر الروحية والنفسية والظواهر الغريبة، مثل: الأرواح والجنّ والأشباح والتخاطر وغيرها (نجيب، 1983، ص45)، وهذا يعكس اهتمام الإنسان في محاولة فهم ما يقع خارج نطاق التجربة المادية المباشرة، ويُعدّ هذا العلم مجالاً يستكشف الجوانب الغامضة من الوجود، ويعكس فضول الإنسان المستمرّ نحو الماورائيات وما يتعدّد تفسيره بالعلوم التقليدية.

3.9 هل الميثافيزيقيا هي الأسطورة؟

ثمّة من يدعي أنّ الميثافيزيقيا هي الأسطورة، ويرجع السبب في ادّعائهم هذا إلى كونها تتناول دراسة أشياء سامية وغير عادية مخالفة للواقع، ولكن في الحقيقة فإنّ الميثافيزيقيا ليست هي الأسطورة، كما أنّ الأسطورة ليست ذات بنية ميثافيزيقية؛ فعلم الميثافيزيقيا يتناول دراسة طبيعية لعالم ما وراء الطبيعة؛ أي أنّه يتناول دراسة العالم الخفي وراء العالم الظاهر، والذي قد يكون واقعاً حاضراً لم يُكتشف بعد، بواسطة العلم (Eagleton, 2000, p74)، وبهذا يمكننا القول: إنّ الميثافيزيقيا ليست هي الأسطورة، بالرغم من أنّ كلّاً منهما يتعامل مع قضايا غير عادية تتجاوز الواقع الظاهر، فبينما تركز الأسطورة على سرد قصص رمزية وتفسيرية للعالم، وتهتمّ الميثافيزيقيا بدراسة الماورائيات بشكل فلسفي وعلمي، محاولة فهم العالم الخفي الذي قد يكون موجوداً ولكنّه لم يُكتشف بعد؛ لذا فإنّ الميثافيزيقيا تسعى لفهم العوالم غير المرئية، بينما تظلّ الأسطورة أكثر ارتباطاً بالرمز الثقافي والديني.

3.10 اللغة وعلم الميثافيزيقيا (الماورائيات)

تعدّ اللغة وسيلة لنقل الأفكار والتعبير عنها (Heidegger، 2015، ص10)، إلى جانب دورها في دراسة موضوعات المعرفة بنوياً ونظرياً ومنهجياً بوصفها أداة للتدوين اللغويّ الوثيقي، وكذلك في تدوين دلالة الصوت المنطوق وأصوات النوتة المنطوقة (بدر، 2010، ص67)، فلا تقتصر وظيفتها على تسجيل النصوص والمعلومات، فنتيج اللغة - بذلك - بنية منهجية لفهم الأصوات وتوثيقها، سواء في اللغات أو الموسيقى، وهذا يسهم في حفظ المعرفة ونقلها عبر الأجيال. والميثافيزيقيا أو (الماورائيات)، أو ما يُسمّى بعلم ما وراء الطبيعة، هو أحد فروع الفلسفة التي تهتمّ بدراسة الظواهر فوق الطبيعية التي لا يمكن الوصول إليها بالمنطق؛ فهو يهدف إلى تقديم وصف منظم للعالم والمبادئ التي تحكمه، كما أنّه يعتمد

على أنماط تحليلية، تعتمد - بدورها - على المنطق الخالص في فهم ظاهرة ليست بالضرورة أن تكون منطقية، كما يهتم هذا العلم بدراسة بعض المفاهيم الأساسية، مثل: السببية، والهوية، والتغيير، والمتغيرات، والعقل، والجسد، وملكات الإنسان بشكل عام، إلى جانب الظواهر التي تندرج تحت قائمة الظواهر غير المفهومة؛ لذا تتطلب دراسة مجالات هذا العلم ومفاهيمه إلى استخدام اللغة بوصفها أداة أساسية، وفيما يلي سنوضح مجموعة من العناصر التي توضح العلاقة بين كل من اللغة ودراسة علم الميتافيزيقيا (الماجدي، 2014، ص75 وما بعدها)، إذ تتطلب دراسة هذه المفاهيم استخدام اللغة بوصفها أداة أساسية، تسهم اللغة في تشكيل العلاقة بين الفكر والظواهر الميتافيزيقية الأخرى وتوضيحها.

ويبحث علم الميتافيزيقيا في معرفة الحقائق وواجب الوجود والمثال بوصفها مكوناً نظاماً واعياً أعلى من نظام الوقائع ومتضمنة علة وجود هذا النظام، كما أنها تستهدف الوجود الحقيقي الذي لا يظهره الواقع المحسوس (فتحي، د.ت، ص155)، فالميتافيزيقيا تتناول تساؤلات الوجودية العميقة التي تتجاوز ما تراه الحواس، فتركز على فهم الحقائق الجوهرية والمبادئ الأساسية التي تشكل نظام الوجود.

3.11 اللغة وحضور الميتافيزيقيا

يتمثل حضور الميتافيزيقيا بالنسبة إلى اللغة، في طرح الظواهر الخارجة عن منطق سير الأمور بالطريقة التقليدية، ودراستها، وكذلك في وصفها وصفاً دقيقاً، من أجل الخروج بتصور يقبله العقل، أو حتى إذا كان الأمر مقتصرًا على طرح الظاهرة في محاولة لإيجاد تفسير لها.

وفي إطار ما سبق، فمن المهم فهم دور اللغة وما تمثله من منطق الحضور الخاص بالميتافيزيقيا؛ وذلك لأن اللغة تعد الوسيلة المستخدمة لتجسيد مرتكز متين لهذا العلم، والذي يعبر عن ذاته باستخدام اللغة لتأكيد مركزية الحضور في جميع الأحوال. فاللغة هي العنصر الواصف، وهي التي يمكننا - من خلالها - التعبير عن كل ما يندرج تحت قائمة (ما وراء الطبيعة) بوصف الفعل والممارسة والتفكير والتسمية والوصف من أجل إنتاج القيمة الأخلاقية (Gabry، 2017، ص35-36)، فمن خلال اللغة، يتمكّن الإنسان من نقل تجارب متعلقة بالقيم الأخلاقية والفكرية وتوصيفها؛ ما يسهم في بناء مفهوم شامل للوجود والقيم التي تحكمه، وبذلك تصبح اللغة أداة أساسية لخلق وعي جماعي وفردية بالقيم التي تحدّد السلوكيات والمعتقدات في المجتمع. أمّا بالنسبة لمصطلح ميتافيزيقيا الحضور، فهي عبارة عن حركة فكرية بدأت مع فلاسفة اليونان بهدف الانتقال من لحظة الميتافيزيقيا إلى لحظة الحضور، أو بمعنى آخر: كيفية تحويل الفكرة الميتافيزيقية للوجود كما هو بذاته إلى فكرة الحضور المطلق (فرحة، 2016، ص23)، وقد بلغت هذه الفكرة ذروتها على يد (Hegel) الذي اعتمد على ثلاث نقاط أساسية ل طرح فكرته هي: وصف الحدس على أنه هو الأساس (الابستمولوجي) للوضع الصادقة، وأن المجال المتعالي هو مجال الوجود، إلى جانب فكرة أن الوجود الذي يعطي ذاته في الحدس هو لحظة (ابستمولوجية)؛ أي أن الوجود هو الحضور المطلق ولحظة ميتافيزيقية في الوقت ذاته (فرحة، 2016، ص24)، وهنا يربط هيغل الوجود بمعرفة الذات في اللحظة الحاضرة، وهذه الرؤية تتجاوز الفهم التقليدي للوجود؛ لتكشف عن حقيقة أعمق، تجعل من الحضور المطلق تفاعلاً بين العقل والواقع، ما يفتح آفاقاً لفهم أعمق لطبيعة الحقيقة والوجود.

3.12 اللغة والميتافيزيقيا والتفكير

هناك من يعتقد أن الخلفية الفكرية للمذهب الميتافيزيقي الأدبي قائمة على العقائد الدينية النصرانية، وذلك بسبب عجز الإنسان عن فهم الأمور الغيبية في الحياة، ما دفعهم إلى التعبير عن جميع الظواهر الغيبية باستخدام الميتافيزيقيا، مثل: التعبير عن الروح، والحياة، والقدر، والموت، وما يشابهها (راغب، 1984، ص87)، هذا التأطير يعكس محاولات الأدب والفكر لفهم المجهول والغيبيات، ويشير إلى أن الميتافيزيقيا ليست مجرد نظريات عقلية، بل هي تعبير عن التوق الإنساني إلى تفسير ما يتجاوز الإدراك الحسي والمادي.

ويستخدم مصطلح الميتافيزيقيا لنقل الأفكار والنظريات، مثل: التعرف إلى الأنواع الحقيقية للمخلوقات وطبيعتها، والتعرف إلى ماهية المفاهيم واللغة المستخدمة للتفكير، والتحدث حول هذه المخلوقات، أو الكتابة عنها.

ويمكننا أن نعدّ الميتافيزيقيا المحقّر الأساسي داخل الطبيعة البشرية، والذي يهدف إلى معرفة طبيعة الكون وفهمه، الكون الذي نمضي داخله ونتعرّف إلى ما فيه حتى نصل إلى نهايتها المحتومة، ويتم ذلك باستخدام لغة التفكير في جميع الظواهر التي تحدث داخل هذا الإطار الكوني (فاضل، 2014، ص29)، فالميتافيزيقيا تمثل المحقّر الأساسي في الطبيعة البشرية، فهي تسعى إلى تقديم إجابات عن الأسئلة الكبرى المتعلقة بوجودنا ومصيرنا في هذا الكون، من خلال التأمل في الظواهر الكونية باستخدام لغة التفكير.

3.13 التحليل اللغوي والميتافيزيقيا

تلعب اللغة دوراً هاماً في التعرف إلى كل ما يدور داخل الطبيعة، ما بعد بمنزلة المحور الأساسي لعلم الميتافيزيقيا؛ فالجملة لها دورها في وصف الأشياء والتعبير عنها، مثل: إذا أردنا التعبير عن التفاحة، فإننا يمكن أن نقول: إن التفاحة حمراء، أي إن التفاح هو الشيء الأحمر اللون، بينما يمكن أن يصفه آخرون بوصف مذاقه وليس لونه.

وهنا يأتي دور الجملة ومعناها في عملية وصف الظواهر الكونية التي تهتم الميتافيزيقيا بدراستها وإبرازها؛ أي إنه يمكن استخدام عدد من الجمل لوصف موضوع أو ظاهرة أو شيء ما داخل علم الميتافيزيقيا (Kattsoff, 1965) ما يساعد على

فهم أعمق لما وراء الظواهر الملموسة، وهذا الاستخدام المتقن للغة يتيح للفكر الميتافيزيقيّ التعبير عن الأفكار المجردة والغامضة التي تتجاوز حدود الإدراك الحسيّ.

وعلى جانب آخر، لعبت اللغة دوراً هاماً في دراسة الطرق التي توسّع بها نطاق الميتافيزيقيا بمرور الوقت ومناقشتها؛ فقد عرفت الميتافيزيقيا قديماً بكونها علماً مثلها مثل علم الكيمياء والتنجيم، فهي تهتمّ بدراسة الأسباب الأولى للأشياء أو دراسة الثوابت الكونية أو الأشياء التي لا تتغيّر، ولكن سرعان ما تغيّر هذا المفهوم (Stanford, 2014, P12) خاصة بعد نفي أحد الفلاسفة - في دراسة أجراها - وجود أشياء ثابتة لا تتغيّر في هذا الكون داخل هذا العلم، الذي وصف هذا العلم بصورة أكثر شمولية وجعله العلم الذي يهتمّ بدراسة كلّ ما وراء الطبيعة من ظواهر وأشياء وكأنائنات وغيرها (Stanford, 2014, P15) وهذا يصف الميتافيزيقيا بوصفها علماً شاملاً، يعكس سعيه لفهم الوجود في أبعاده المتعدّدة، سواء أكانت متغيّرة أم غيبية؛ ما يفتح أفقاً واسعة للتأمّل في طبيعة الكون وما وراءه.

3.14 الشعر الميتافيزيقيّ

كما ذكرنا سابقاً، اتّجه الإنسان إلى التعبير عن مختلف الظواهر الغيبية باستخدام الميتافيزيقيا بسبب عزه عن فهم بعض الأمور الغيبية في الحياة، وقد عبّر عن ذلك باستخدام الشعر والرّواية والمسرحيّة والأساطير؛ لكي يتمكن الإنسان فهم هذه الظواهر بسهولة؛ أي إنّ الشعر - هنا - محاولة لتفسير الظواهر الميتافيزيقيّة بأسلوب تجسديّ لجسر الهوة بينها وبين الظواهر الطبيعيّة، مثل: تشبيه الحبّ بعلم الجميع، وتشبيه الرّوح بقطرة الدّل (راغب، 1984، ص118)، فهو يعمل على تجسيد المفاهيم المعقّدة كالحبّ والرّوح من خلال أساليب ملموسة، تتيح للإنسان التفاعل مع ما وراء الطبيعة بشكل أعمق وأوضح. وقد عدّ الإنسان الشعر أفضل أداة للتعبير عن الدلالات الدنيوية والأخلاقيّة الكامنة وراء القوى الميتافيزيقيّة؛ وذلك باستخدام قوى التفكير والتأمّل الموجودة لدى جميع البشر، من أجل نقل الأفكار العميقة بأسلوب سهل وبسيط وجميل يفهمه جميع البشر (راغب، 1984، ص120)، فمن خلال الشعر، يستطيع الإنسان توظيف قوى التفكير والتأمّل المشتركة بين جميع البشر لنقل مفاهيم غيبية وروحية بطرق مرنة يسهل فهمها، ما يجعل من الشعر وسيلة فعّالة لربط الأبعاد الميتافيزيقيّة بحياة النّاس اليوميّة. ولقد تأثّر الأدب العربيّ فيما بعد بالأدب الإنجليزيّ؛ فقد أدخل بعض الشعراء العرب الشعر الميتافيزيقيّ للأدب العربيّ، ومن أبرز هؤلاء الشعراء: محمود درويش في قصيدته "الجداريّة"، صلاح عبد الصّبور في قصيدته "حواريّة الموت"، وغيرهم من الأدباء والشعراء الآخرين (مشهور، 2017، ص18)، فمن خلال هذه الأعمال، دخل الشعر الميتافيزيقيّ إلى الأدب العربيّ؛ ليعكس تأثير الفكر الغربيّ، ويُعبّر عن الأسئلة الوجوديّة والزّوجانيّة بطريقة مبتكرة ومعاصرة.

4. نتائج الدراسة

أسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج التي تسلط الضوء على العلاقة المعقدة بين اللغة والأساطير والميتافيزيقيا، ودورها في تشكيل الفكر الإنساني وتطوره عبر العصور. وجاءت أبرز النتائج على النحو الآتي:

1- اللغة أداة لصياغة الأساطير ونقلها بين الأجيال: أثبتت الدراسة أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي عنصر جوهري في تكوين الأساطير وصياغتها، فهي تسهم في تحويل الأفكار والتجارب الإنسانية إلى روايات رمزية، تعكس المعتقدات والقيم الثقافية. ويظهر هذا الدور من خلال استخدام اللغة في السرد القصصي والأساليب البلاغية التي تعزز البنية الرمزية للأسطورة، ما يجعلها قابلة للفهم والنقل عبر العصور المختلفة.

2- دور اللغة في التعبير عن المفاهيم الميتافيزيقيّة: أظهرت النتائج أن اللغة تلعب دوراً أساسياً في صياغة المفاهيم الميتافيزيقيّة التي تتناول قضايا الوجود والماورائيات. فاللغة - من خلال دلالاتها الرمزية وتجريدها المفاهيمي - تساعد في التعبير عن التصورات التي تتجاوز الإدراك الحسي المباشر، مثل مفاهيم الروح، والخلود، والقوى ما وراء الطبيعة. كما أن اللغة الفلسفية تطورت إلى جانب هذه المفاهيم لتوفير أدوات تحليلية، تسهم في فهمها وتفسيرها.

3- العلاقة التكاملية بين الأساطير والميتافيزيقيا من خلال اللغة: أوضحت الدراسة أن هناك تكاملاً وثيقاً بين الفكر الأسطوري والفكر الميتافيزيقي، فتعمل اللغة جسراً يربط بين المجالين. فالأساطير كثيراً ما تحتوي على تفسيرات ميتافيزيقيّة للعالم، كما أن الميتافيزيقيا توظف الرموز والتصورات الأسطورية في التعبير عن القضايا الفلسفية العميقة. وقد أسهمت اللغة في هذا التداخل من خلال استخدام الاستعارات والمفاهيم الرمزية التي تسهم في تقريب الماورائيات إلى الفهم الإنساني.

4- تأثير التطور اللغوي في تشكيل الأساطير والميتافيزيقيا: كشفت الدراسة عن وجود علاقة ديناميكية بين تطور اللغة وتطور المفاهيم الأسطورية والميتافيزيقيّة. فالتغيرات اللغوية عبر الزمن تؤدي إلى إعادة تشكيل الأساطير وتحولات في فهم القضايا الميتافيزيقيّة. فعلى سبيل المثال، تغير معاني بعض الكلمات والمفاهيم اللغوية أدى إلى تطورات في تفسير الأساطير القديمة، ما يعكس التفاعل المستمر بين تطور الفكر الإنساني واللغة.

5- اللغة وسيلة لحفظ الأساطير والميتافيزيقيا واستمرارها: أكدت النتائج أن اللغة ليست أداة للتعبير عن الأساطير والمفاهيم الميتافيزيقية فقط، بل هي - أيضاً - وسيلة لحفظها وتوثيقها، ما يضمن انتقالها عبر الأجيال. فقد لعبت اللغة الشفوية في المجتمعات التقليدية دوراً رئيساً في نقل الأساطير، بينما ساعد التدوين والكتابة في توثيقها والحفاظ عليها، ما أتاح تحليلها وإعادة تفسيرها في سياقات ثقافية مختلفة.

5. الخاتمة والتوصيات

في ختام هذا البحث، نجد أن العلاقة بين اللغة والفكر الإنساني أعمق مما قد يبدو للوهلة الأولى. فقد أظهرت الدراسة أن اللغة تتجاوز دورها التقليدي بوصفها وسيلة للتواصل، لتصبح أداة فعالة في التعبير عن الأفكار الرمزية والمعاني الماورائية، ما يفتح أفقاً واسعة لفهم أعمق للأساطير والمفاهيم الميتافيزيقية. هذه العلاقة المتينة بين اللغة والفكر تجعل من اللغة وسيلة أساسية لصياغة الرؤى الفلسفية والخيالية التي تعبر عن محاولات الإنسان لفهم الوجود والكون. كما أظهر البحث أن اللغة تلعب دوراً حيوياً في بناء السرد الأسطوري، فهي التي تصوغ الرموز والمعاني العميقة التي تعبر عن التجارب الإنسانية المشتركة، وتترجم الأسئلة الفلسفية التي تتجاوز الإدراك الحسي المباشر. هذا الدور يتضح بشكل خاص في الأساطير التي تستخدم الرموز والقصص لنقل تصورات الإنسان عن الخلق والوجود والحياة بعد الموت، ما يجعل اللغة وسيلة أساسية لبناء الفهم الإنساني للمجهول وما وراء الواقع المحسوس. وفيما يتعلق بالميتافيزيقا، فإن اللغة هي التي تمكن الفلاسفة من التأمل في المفاهيم الوجودية، واستخدامها في محاولة تفسير أسرار الكون والأسئلة المتعلقة بالوجود. ختاماً، فيمكن القول: إن اللغة تظل واحدة من أهم أدوات الإنسان في السعي لفهم ذاته والكون من حوله. فهي الوسيلة التي يستخدمها الإنسان لتوثيق تأملاته وتجاربه وأساطيره، لتصبح بذلك جزءاً لا يتجزأ من مسيرته في البحث عن المعنى. إن العلاقة بين اللغة والفكر هي علاقة متشابكة ومعقدة، تجعل من دراسة اللغة مدخلاً لفهم أعمق للفكر الإنساني والتصورات الفلسفية والرمزية التي تشكل جزءاً كبيراً من تاريخ البشرية. وفي ضوء هذه النتائج، يوصي البحث بمجموعة من الخطوات لتعميق الفهم في هذا المجال وتشجيع التعاون بين المجالات اللغويات والفلسفة: أولاً: هناك حاجة لإجراء مزيد من الدراسات التي تستكشف كيفية تأثير اللغة في تشكيل الأفكار الميتافيزيقية وتطورها، خصوصاً في ضوء التحولات الفكرية الحديثة. ثانياً: يُنصح بدراسة كيفية تأثير التنوع اللغوي في صياغة الأساطير في مختلف الثقافات، وتفسيرها، ويمكن أن تؤدي الفروقات اللغوية إلى تنوع في التفسيرات الرمزية والقصصية.

5.1 توصيات البحث

في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها حول العلاقة بين اللغة وتشكيل المفاهيم الميتافيزيقية والأسطورية، تأتي هذه التوصيات لتشجيع المزيد من البحث والتكامل بين اللغة والحقول المعرفية الأخرى، بما يساهم في توسيع فهمنا لدور اللغة في صياغة الفكر الإنساني. لذا، يوصي البحث بإجراء دراسات تحليلية معمقة تستكشف كيفية تأثير اللغة في تشكيل الأفكار الميتافيزيقية وتطورها عبر الزمن، خاصة في ظل التحولات الفكرية الحديثة. كما يُنصح بدراسة تأثير التنوع اللغوي في صياغة الأساطير في مختلف الثقافات، وتفسيرها، ويمكن أن تؤدي الفروقات اللغوية إلى اختلافات في التفسيرات الرمزية والسردية. إلى جانب ذلك، ينبغي إدراج تحليل اللغة ضمن الدراسات الفلسفية المتعلقة بالميتافيزيقيا والأساطير لفهم أعمق لطبيعة المفاهيم المرتبطة بالوجود والواقع. كما توصي الدراسة بتوثيق الأساطير الشعبية ودراساتها لغوياً للحفاظ على التراث الثقافي، وزيادة التعاون بين الباحثين في اللغويات والفلسفة لاستكشاف تأثير اللغة في تشكيل المفاهيم الفلسفية والأسطورية، وتطويرها، ما قد يفتح أفقاً جديدة لفهم العلاقة بين اللغة والفكر.

6. المصادر والمراجع

6.1 المراجع العربية

- بيتولاتشي، (2018) الميتافيزيقيا الإسلامية والعربية. ترجمة: هاجر عبيد، موسوعة ستانفورد للفلسفة، مجلة حكمة. <https://hekma.org/>
- توينبي، أ. (1995). بحث في التاريخ (ج1). ترجمة: طه باقر، مطبعة النقيض الأهلية، بغداد، العراق.
- حنون، ع. (2019). في الأسطورة والأدب العربي. دار ميم للنشر، الجزائر.
- ربوح، ب. (2020). المسألة النقدية لمفهوم الميتافيزيقا في فضاء اللغة عند مارتن هايدغر. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطعانين، قطر.
- راغب، ن. (1984). المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العنصرية. المكتبة الثقافية، القاهرة، مصر.
- راوس، أ. (1968). التاريخ أثره وفائدته. ترجمة: مجد الدين حنفي ناصف، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، مصر.
- زيدان، ي. (2005). الأسطورة واللغة: التأثيرات المتبادلة. دار المعرفة، القاهرة، مصر.

سعيد، إ. (1999). الأسطورة وقراءة النصوص الأدبية: المنظور اللغوي. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

شولز، ر. (1983). الثقافة الأجنبية جذور القصّة العلميّة. ترجمة: عبد الرحمن محمد رضا، مجلة الثقافة، القاهرة، مصر.

عجلونه، م. (2005). موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها. دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس.

عريبي، آ. (2021). الأساطير والطّوقس المتشابهة في الحضارات القديمة والأديان. مجلة سطور، العدد 2، الدوحة، قطر.

عكاشة، ث. (1990). الفنّ المصري القديم، (الجزء الأول). الهيئة العامّة المصريّة للكتاب، القاهرة، مصر.

الكندي، ي. (1953). الرّسائل الفلسفيّة، الفلسفة الأولى. طبعة عبد الهادي أبو ريّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

كلماس، ف. (1978). اللغة والاقتصاد. ترجمة: أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت.

الماجدّي، خ. (2014). كشف الحلقة المفقودة بين أديان التّعدّد والتّوحيد. المركز الثقافيّ العربي، الدار البيضاء، المغرب.

مشرفي، ن. (2023). ميثافيزيقا أعداد العدّ: بحث استقصائيّ حول منظومة أعداد العدّ وعلاقتها بالإعجاز الخلفي. جامعة محمد الخامس، مراكش، المغرب.

مشهور، ح. (2017). الميثافيزيقيا الشعريّة: فلسفة ما ورائيات النصّ والطّبيعة. الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان.

نجم، س. (2010). أسطورة الأمس وظائف اجتماعيّة وعلميّة. مجلة البيان، أبوظبي، الإمارات. <https://www.albayan.ae/>

نجيب، ز. (1983). موقف من الميثافيزيقا (ط2). دار الشّروق، عمان، الأردن.

نحاس، ج. (2006). أساطير الخصب الثّباتي في حضارات الشرق الأدنى الآسيويّ. منشورات وزارة الثقافة السّوريّة.

هايدغر، م. (2015). مدخل إلى الميثافيزيقا. دار الفارابي، بيروت، لبنان.

تقي فاضل، م. (2014). مفهوم العقل بين الفلسفة والدين: قراءة نقدية مقارنة. مركز البحوث المعاصر، بيروت، لبنان.

كاسيرر، إ. (2009). اللغة والأسطورة. ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات دار السّياحة والثّقافة، مركز أبوظبي لحماية اللغة العربيّة، الإمارات.

6.2 رومنة المراجع العربية

- Ajīna, M. (2005). Mawsū'at asāṭīr al-'Arab 'an al-Jāhiliyya wa-dalālatihā. Dār Muḥammad 'Alī lil-Nashr.
- 'Arbīd, Ā. (2021). Al-asāṭīr wa-al-ṭuqūs al-mutashābiḥa fī al-ḥadārāt al-qadīma wa-al-adyān. Majallat Sutur, (2).
- 'Ukāsha, T. (1990). Al-fann al-Miṣrī al-qadīm (al-juz' al-awwal). Al-Hay'a al-'Āmma al-Miṣriyya lil-Kitāb.
- Al-Hajj Hasan, H. (1998). Al-ustūra 'inda al-'Arab fī al-Jāhiliyya. Al-Mu'assasa al-Jāmi'iyya lil-Dirāsāt wa-al-Nashr.
- Al-Kindī, Y. (1953). Al-risā'il al-falsafiyya, al-falsafa al-ūlā ('A. H. Abū Rīda, Ed.). Dār al-Kutub al-'Ilmiyya.
- Al-Mājīdī, Kh. (2014). Kashf al-ḥalqa al-mafqūda bayn adyān al-ta'addud wa-al-tawḥīd. Al-Markaz al-Thaqāfi al-'Arabī.
- Bitulātchī. (2018). Al-mītāfīzīqā al-islāmiyya wa-al-'arabiyya (H. 'Ubayd, Trans.). Mawsū'at Stānfūrd lil-Falsafa, Majallat Hikma. <https://hekmah.org/>
- Hāydgīr, M. (2015). Madkhal ilā al-mītāfīzīqā. Dār al-Fārābī.
- Ḥannūn, 'A. (2019). Fī al-ustūra wa-al-adab al-'Arabī. Dār Mīm lil-Nashr.
- Kāsīr, I. (2009). Al-lugha wa-al-ustūra (S. al-Ghānmī, Trans.). Manshūrāt Dār al-Siyāḥa wa-al-Thaqāfa, Markaz Abū Ḥabīb li-Ḥimāyat al-Lugha al-'Arabiyya.
- Kilmas, F. (1978). Al-lugha wa-al-iqtisād (A. 'Awaḍ, Trans.). 'Ālam al-Ma'rifa.
- Mashhūr, H. (2017). Al-mītāfīzīqā al-shi'riyya: Falsafat mā warā' iyyāt al-naṣṣ wa-al-ṭabī'a. Al-Dār al-'Arabiyya lil-'Ulūm Nāshirūn.
- Mushrifī, N. (2023). Mītāfīzīqā a'dād al-'add: Baḥth istiṣā'ī ḥawl manzūmat a'dād al-'add wa-'alāqatihā bi-al-'jāz al-khalqī. Jāmi'at Muḥammad al-Khāmis.
- Najīb, Z. (1983). Mawqif min al-mītāfīzīqā (2nd ed.). Dār al-Shurūq.
- Najm, S. (2010). Ustūrat al-ams wa'ā'if ijtīmā'iyya wa-'ilmiyya. Majallat al-Bayān. <https://www.albayan.ae/>
- Naḥḥās, J. (2006). Asāṭīr al-khaṣb al-nabātī fī ḥadārāt al-sharq al-adnā al-āsiyāwī. Manshūrāt Wizārat al-Thaqāfa al-Sūriyya.
- Rabūḥ, B. (2020). Al-masā'ala al-naqdiyya li-mafhūm al-mītāfīzīqā fī faḍā' al-lugha 'ind Mārtin Hāydgīr. Al-Markaz al-'Arabī lil-Abḥāth wa-Dirāsāt al-Siyāsāt.
- Rāghib, N. (1984). Al-madhāhib al-adabiyya min al-klāsikiyya ilā al-'abathiyya. Al-Maktaba al-Thaqāfiyya.
- Rāwus, A. (1968). Al-tārīkh atharuhu wa-fā'idatuhu (M. H. Nāṣif, Trans.). Mu'assasat Sijill al-'Arab.
- Sa'id, I. (1999). Al-ustūra wa-qirā'at al-nuṣṣ al-adabiyya: Al-manzūr al-lughawī. Dār al-Nahḍa al-'Arabiyya.

- Shūlz, R. (1983). Al-thaqāfa al-ajnabiyya judhūr al-qīṣṣa al-‘ilmiyya (‘A. M. Riḍā, Trans.). Majallat al-Thaqāfa.
- Taqī Fāḍil, M. (2014). Mafhūm al-‘aql bayn al-falsafa wa-al-dīn: Qirā’a naqdiyya muqārana. Markaz al-Buḥūth al-Mu‘āṣir.
- Twīnbi, A. (1995). Baḥth fī al-tārīkh (Vol. 1) (T. Bāqir, Trans.). Maṭba‘at al-Naqīd al-Ahliyya.
- Zaydān, Y. (2005). Al-ustūra wa-al-lugha: Al-ta’thīrāt al-mutabādala. Dār al-Ma‘rifa.

6.3 المراجع الأجنبية

- Armstrong, K. (2000). Islam: A short history (2nd ed.). Modern Library. (Original work published 2000).
- Black, J. (2004). The literature of ancient Sumer (1st ed.). Oxford University Press.
- Eagleton, T. (2000). The idea of culture (1st ed.). Blackwell Publishing.
- Eliade, M. (1954). The myth of the eternal return: Cosmos and history (1st ed.). Princeton University Press.
- Jordan, D. K. (2009). The Chinese world: An introduction to Chinese culture and history (1st ed.). Stanford University Press.
- Kattsoff, L. O. (1965). Logic and the nature of reality (Chapter 2). Holt, Rinehart & Winston.
- Moltmann, F. (2018). Natural language metaphysics.
- Moore, A. W. (2019). Language, world, and limits: Essays in the philosophy of language and metaphysics. Oxford University Press.
- Pinch, G. (2004). Egyptian myth: A very short introduction (1st ed.). Oxford University Press.
- Research Team from the University of Copenhagen. (2024). Language and myth in prehistory.
- Schiappa, E. L. (2003). Myth and thought in ancient Greece (1st ed.). Blackwell Publishing.
- Van Inwagen, P., & Sullivan, M. (2014). Metaphysics. Stanford Encyclopedia of Philosophy. <https://www.oxfordbibliographies.com/display/document/obo-9780195396577/obo-9780195396577-0217.xml>

Language as a Key to Understanding Mythology and Metaphysics: "An Interdisciplinary Study"

Ahmad Al janadbah

Arabic department, Zayed University, UAE

Corresponding Author: Ahmadaljanadbah@gmail.com

Received: 13/1/2025. Revised: 17/2/2025. Accepted: 18/3/2025 DIO:

Abstract

This study aimed to explore the relationship between language, mythology, and metaphysics by examining how language shapes and interprets myths across cultures. It addressed the lack of research linking language with mythology and metaphysics and clarified the role of myths in language development and the transmission of symbolic meanings. The study adopted a descriptive-analytical approach, focusing on Arabic and non-Arabic myths and the evolution of vocabulary and linguistic structures related to mythology. The findings showed that myths and metaphysics play a crucial role in transmitting cultural values and shaping collective identity through language. The study also concluded that myths directly influence language by integrating unique vocabulary and symbolic expressions that reflect abstract ideas, religious beliefs, and philosophies. They are also an essential part of folklore, preserved and transmitted across generations. Finally, the study highlighted the linguistic variations in mythological expressions across cultures, reflecting diverse cultural contexts and interpretations.

Keywords: mythology, metaphysics, philosophy, existence, transcendence, language.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

الصلابة النفسية وعلاقتها بأساليب مواجهة العنف لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر

دينا أبو عيشة¹، معتصم مصلح²

^{1,2} قسم المرحلة الأساسية الأولى، كلية العلوم التربوية، جامعة القدس المفتوحة- فلسطين

الباحث المراسل: mmosleh@qou.edu

Received: 2/12/2024. Revised: 20/1/2025. Accepted: 14/4/2025 Published: 30/06/2026
DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.3

الملخص

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف إلى الصلابة النفسية وعلاقتها بأساليب مواجهة العنف لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر، إلى جانب الكشف عن الفروق في استجابات أفراد عينة الدراسة بين متوسطات الصلابة النفسية وأساليب مواجهة العنف تبعاً لمتغير: الحالة الاجتماعية، ومستوى التعليم، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي الارتباطي، وتطبيق مقياسي الصلابة النفسية، وأساليب مواجهة العنف بوصفهما أداتين لجمع البيانات، وتكونت عينة الدراسة من إحدى وسبعين امرأة من النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر، واخترن من خلال العينة المتيسرة. وأظهرت نتائج الدراسة أن مستوى الصلابة النفسية جاءت مرتفعة، واحتل بُعد التحكم المرتبة الأولى، بمستوى مرتفع جداً، بينما احتل بُعد الالتزام المرتبة الأخيرة، بمستوى مرتفع، وجاءت درجة أساليب مواجهة العنف مرتفعة أيضاً، واحتل بُعد الاستقلالية والأنشطة الشخصية المرتبة الأولى بمستوى مرتفع، بينما احتل بُعد تجنب المواجهة والانسحاب العاطفي المرتبة الأخيرة بمستوى متوسط، وبينت النتائج - أيضاً - أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات المبحوثين بين متوسطات أساليب مواجهة العنف تبعاً لمتغير (المستوى التعليمي، وعدد الأبناء)، وأشارت النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية طردية بين الصلابة النفسية، وأبعادها وأساليب مواجهة العنف.

الكلمات المفتاحية: الصلابة النفسية، أساليب مواجهة العنف، النساء في التجمعات البدوية.

1. المقدمة

تعد قضية المرأة قضية المجتمع كله في القديم والحديث، خاصة أننا نعلم الدور الكبير الذي تلعبه في بناء الأسرة والمجتمع، فهي القاعدة التي يتأسس عليها البناء الاجتماعي، فإذا كانت الأسرة متماسكة كان المجتمع قادراً على مواجهة التحديات التي يتعرض لها، والعكس صحيح أيضاً، فإذا كانت الأسرة مفككة ومتصارعة كان المجتمع ضعيفاً وغير متجانس ولا متكامل. وبالرغم من أن دور المرأة مهم، فإنه مهمش ومُتجاهل في بعض البيئات، ويبقى الرجل عماد هذا المجتمع وقوامه، ما يجعل الرجل يظهر بصورة المتفوق والمسيطر على كل ما حوله. إن المرأة التي تعيش في التجمعات البدوية في منطقة الأغوار الفلسطينية تتعرض لنصيب من المعاناة والألم اللذين لحقا بها، وقد يلحق بها في المستقبل في ظل ما تتعرض له من داخل الأسرة وخارجها أو في بيئة العمل أو الشارع من عنف مستمر.

وتتمثل الصلابة النفسية إحدى سمات الشخصية التي تجعل الفرد قادراً على مواجهة العقبات والمشكلات والمحافظة على الصحة النفسية والجسمية وعدم تعرضه للأمراض، فيتصف الأفراد ذوو الشخصية الصلبة بالهدوء الانفعالي، والاستقرار النفسي، والتقاؤل والتعامل مع المصاعب بشكل إيجابي وفعال، لذلك فإنهم ينجحون في التعامل مع المصاعب ومواجهتها، وتحويل هذه المواقف إلى مواقف أقل تهديداً (أبو حامد، 2018).

لقد شهد العالم، ولا يزال يشهد، ظاهرة العنف بكل أشكالها وأنماطها، وعلى اختلاف مسبباتها واختلاف آثارها في شرائح المجتمع، سواء أكان عنفاً مباشراً جسدياً ومادياً أم غير مباشر وهو إلحاق الأذى بالآخرين على اختلاف أشكال الظواهر الممارس من خلالها (طالب، 2015)، والعنف داخل الأسرة يمارسه الأقوياء على الضعفاء، وغالباً ما تكون الضحية هي المرأة، فهي الأكثر تعرضاً لهذه الظاهرة، يمارس العنف بشتى أنواعه ودرجاته بغض النظر عن مركزها الاجتماعي وعمرها ووضعها الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو الديني (بن طاهر، 2016).

فالعنف ضد المرأة جريمة متجذرة تاريخياً، فهي ليست حديثة اليوم، بل مشكلة اجتماعية يعاني منها العالم، ويقصد بها "أي سلوك خاطئ ضد المرأة، يتسم بدرجات متفاوتة من التمييز والاضطهاد ضدها وباستخدام التهديد والقهر وسلب حقوقها". ولا شك في أن العنف ضد المرأة له آثار سلبية سواء على المرأة نفسها أو المجتمع (الغامدي، 2020). ومما سبق فيمكن القول إن العنف ضد المرأة هو أي فعل مقصود أو غير مقصود، يسبب معاناة نفسية أو جسدية أو جنسية للمرأة، فالعدوان عنف والإهانة عنف، وكل ما يخلق لها معاناة من قهر وخوف وتهديد فهو عنف.

وليس بعيداً عن الواقع العالمي، فإن النساء في المجتمع الفلسطيني، وبسبب ما تتعرض له فلسطين من عنف سياسي احتلالي من جهة، والاحتفاظ السكاني وعدم توافر البيئة السكنية المناسبة من جهة أخرى، ومنع الاحتلال الإسرائيلي من البناء في منطقة (ج)، فإن للمرأة الفلسطينية نصيباً من المعاناة والألم اللذين لحقا بها، وقد يلحقان بها في المستقبل في ظل وجود الاحتلال، إلى جانب ما قد تتعرض له من عنف داخل الأسرة وخارجها، أو في بيئة العمل، أو في الشارع (داود، 2021).

كما أن ردة فعل المرأة الفلسطينية المعنفة تختلف من امرأة إلى أخرى، وتتفاوت أشكال مقاومتها ومواجهتها، فمنهن من يتكيفن مع واقعهن المر، ويتحملن هذه المعاناة، ويتقبلن العيش في علاقات عنيفة، وهنا قد نجد أن الرضوخ للوضع وتفضيل البقاء في أجواء مشحونة بانفعالات عدوانية يعود لأسباب عدة منها: خوف المرأة من الانفصال، والبقاء من أجل الأطفال، والنظرة الدونية، والخجل والخوف من نظرة المجتمع، والعجز المادي، والجهل والفقر (الحلح، 2023)، ومنهن من تتمتع بالصلابة النفسية للتكيف مع تلك المشاهد الصاعقة (DeMichele, 2009).

مشكلة الدراسة وأسئلتها: تعيش النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر في فلسطين ظروفًا في غاية الصعوبة في بيئة تنقصها كثير من مستلزمات الحياة، وتفقر التجمعات البدوية للبنية التحتية والموارد الاقتصادية، لى جانب معاناتهم من الكثافة السكانية العالية في بقعة محدودة جداً، وتحمل النساء المعنفات في هذه التجمعات البدوية على كواهلهم كثيراً من التحديات والآلام التي قد تجعلهن لا يقدرن على تحمل صعوبات الحياة، ما يجعلهن غير قادرات على الصمود وتحمل الضغوطات النفسية التي يتعرضن لها في كل لحظة في حياتهن، الأمر الذي يؤدي بهن إلى الانهيار العصبي وهدم قدرتهن على الصمود أمام هذه الصعاب، وعدم القدرة على التغلب على أية أزمة قد يتعرضن لها في جميع حياتهن، وتعد الصلابة النفسية مكوناً مهماً من مكونات الشخصية التي تعمل على مواجهة الآثار السلبية ومقاومتها لصعوبات الحياة الشاقة وأزماتها وظروفها التي تعاني منها المرأة الفلسطينية المعنفة، لتعمل على التخفيف من حدتها وتأثيرها في الصحة النفسية والجسمية، ما يجعل المرأة المعنفة قادرة على التأقلم مع التغيرات والظروف - التي تتعرض لها المرأة - على أنها مصدر قوة وليست مصدر تهديد، وأظهرت نتائج المسح الأولية في مركز الإحصاء الفلسطيني لعام (2019) أن العنف النفسي هو أكثر أشكال العنف الذي يمارس ضد النساء، وأن ما نسبته (29%) من النساء المتزوجات حالياً أو اللواتي سبق لهن الزواج، تعرضن لأحد أشكال العنف (النفسى، والجسدي، والجنسي، والاجتماعي، والاقتصادي)، التي يمارسها أزواجهن عليهن، ولو مرة واحدة على الأقل. (مركز الإحصاء الفلسطيني، 2019). وقد استدعى الباحثين فحص مستوى الصلابة النفسية لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر.

وعلى ضوء ما لاحظته الباحثان في ميدان عملهما في جمعية الإغاثة الطبية، وعملهما بشكل مباشر مع النساء المعنفات، فقد ارتأيا أن يدرسا مستوى الصلابة النفسية لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر. وتتمثل مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما مستوى الصلابة النفسية لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر؟
السؤال الثاني: ما أكثر أساليب مواجهة العنف شيوعاً لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر؟

السؤال الثالث: هل توجد علاقة ارتباطية بين الصلابة النفسية وأساليب مواجهة العنف لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر؟

أهداف الدراسة: سعت الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. التعرف إلى مستوى الصلابة النفسية لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر.
2. التعرف إلى أكثر أساليب مواجهة العنف شيوعاً لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر.
3. التحقق من وجود علاقة ارتباطية بين الصلابة النفسية وأساليب مواجهة العنف ضد النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر.
4. الكشف عن فروق ذات دلالة إحصائية في المتوسطات الحسابية بين الصلابة النفسية وأساليب مواجهة العنف ضد النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر تعزى إلى متغير: (الحالة الاجتماعية، ومستوى التعليم).

أهمية الدراسة:

1. الأهمية النظرية

تتمثل الأهمية النظرية للدراسة في كون موضوع الصلابة النفسية من الموضوعات الحديثة نسبياً في مجال علم النفس والصحة النفسية والإرشاد النفسي والتربوي والخدمة الاجتماعية، ومن المهم الحديث عن هذا الموضوع. ومفهوم الصلابة النفسية لاقي اهتماماً عالياً في مؤسسات المجتمع المدني، سواء الرسمية أو الأهلية، لما لها من أهمية في مساعدة هذه المؤسسات في إيجاد الحلول لمساعدة فئات النساء المعنفات على مواجهة صعوبات الحياة. وتعد هذه الدراسة رافداً للمكتبة الفلسطينية في الدراسات العليا والعربية، ومرجعاً مهماً للدارسين والباحثين، وبما فيها من الاستفادة من أدوات الدراسة للباحثين في الدراسة اللاحقة.

2. الأهمية التطبيقية

تتمثل أهمية الدراسة التطبيقية في التعرف إلى مدى توافر الصلابة النفسية لدى عينة من النساء اللواتي يتعرضن للتعنيف والعنف، سواء من الأزواج أو الآباء أو الإخوة أو الأبناء أو الأغراب في منطقة الخان الأحمر وأريحا في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وأهمية هذه الصلابة في مساعدة هذه الفئة من النساء على مساعدة أنفسهن في مواجهة المصاعب والمواقف الحياتية الصعبة التي تواجههن في الحياة. ويمكن لنتائج هذه الدراسة أن تطلع الجهات الرسمية على الحجم الذي تتعرض له النساء البدويات في منطقة الخان الأحمر وأريحا في الأراضي الفلسطينية المحتلة، من العنف والأسى والظلم، وما يتركه ذلك من أثر في الصحة النفسية لدى النساء المعنفات. كما أنها تساعد الجهات المسؤولة والقانونية على وضع حد للعنف؛ كونه يؤثر في ضحايا النساء المعنفات من الناحية النفسية، ويترك أثراً سلبية فيهم، كما أنها تساعد الاختصاصيين النفسيين والاجتماعيين والتربويين في وضع برامج إرشادية لتعزيز الصلابة النفسية لدى النساء المعنفات.

حدود الدراسة ومحدداتها: تتمثل حدود الدراسة الحالية في الآتي:

الحدود الزمانية: طبقت هذه الدراسة في العام الجامعي (2024/2023م).

الحدود المكانية: طبقت هذه الدراسة في منطقة أريحا والخان الأحمر.

الحدود البشرية: اقتصرَت الدراسة على عينة متيسرة من النساء في منطقة أريحا والخان الأحمر في الأراضي الفلسطينية. الحدود المفاهيمية: اقتصرَت الدراسة على المفاهيم والمصطلحات الواردة في الدراسة (الصلابة النفسية، والعنف، وأساليب ومواجهة العنف).

الحدود الموضوعية: اقتصرَت الدراسة الحالية على النساء المعنفات اللاتي تعرض للعنف بكل أشكاله في منطقة أريحا والخان الأحمر في الأراضي الفلسطينية.

الحدود الإجرائية: استخدمت الدراسة مقياسي الصلابة النفسية، وأساليب مواجهة العنف، واقتصرَت على الأدوات المستخدمة لجمع البيانات، ودرجة صدقها وثباتها، على عينة الدراسة وخصائصها، والمعالجات الإحصائية المناسبة.

التعريفات الاصطلاحية والإجرائية لمتغيرات الدراسة

تُعرّف الصلابة النفسية بأنها نمط من التعاقد النفسي، يلتزم به الفرد تجاه نفسه وأهدافه وقيمه والآخرين من حوله، واعتقاد أن الفرد بإمكانه أن يكون له تحكم فيما يلقاه من أحداث، ويتحمل مسؤولية ما يتعرض له من أحداث، وأن ما يطرأ على جوانب حياته من تغيير هو أمر مثير وضروري للنمو أكثر من كونه تحديداً وإعاقة له (زيدان، 2017: 77).

وتعرف الصلابة النفسية إجرائياً: بأنها الدرجة التي يحصل عليها المفحوص، بوصفه أداة الصلابة النفسية المستخدمة في هذه الدراسة.

تعريف أساليب مواجهة العنف إجرائياً: الدرجة التي يحصل عليها المفحوص، بوصفه أداة أساليب مواجهة العنف المستخدمة في هذه الدراسة.

2. الدراسات المتعلقة بالصلابة النفسية

أجرى حميد (2024) دراسة هدفت إلى معرفة مستوى الصلابة النفسية لدى النساء المعنفات في مدينة إب، فاستخدم المنهج الوصفي المسحي، وتكونت عينة الدراسة من (120) امرأة معنفة في مدينة إب، واستخدمت الاستبانة أداة للدراسة، وأشارت النتائج إلى أن مستوى الصلابة النفسية كان مرتفعاً.

وهدفَت دراسة النصور والبنات (2024) إلى الكشف عن الصلابة النفسية وعلاقتها بأسلوب الحياة لدى النساء المعنفات في الأردن، وتكونت عينة الدراسة من (100) امرأة معنفة مراجعة لإدارة حماية الأسرة في محافظة البلقاء خلال عام 2022، وأشارت النتائج إلى أن مستوى الصلابة النفسية جاء مرتفعاً، وجاء أسلوب الحياة المسيطر هو الأكثر شيوعاً لدى النساء المعنفات لإدارة حماية الأسرة.

وهدفَت دراسة داود (2021) إلى التعرف إلى مستوى الصلابة النفسية لدى النساء المعنفات في مخيمات اللجوء الفلسطينية وارتباط ذلك بطبيعة العنف المستخدم تجاههن وواقعه، وتكون مجتمع الدراسة من (667) امرأة من المتزوجات وغير المتزوجات، واختيرت عينة مكونة من (200) امرأة معنفة، اخترن بطريقة العينة المتاحة، وتبين من النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الصلابة النفسية للنساء المعنفات، تعزى إلى المستوى التعليمي لمصلحة البكالوريوس باستثناء بعد التحدي، كما تبين أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية في قيم المتوسطات الحسابية بين الصلابة النفسية والعنف، وهذه العلاقة عكسية.

وهدفت دراسة حدة (2020) إلى معرفة مستوى الصلابة النفسية لدى المرأة المعنفة جسدياً، وإذا ما اختلف مستوى الصلابة باختلاف درجة العجز، وتكون مجتمع الدراسة من (4) حالات من النساء المفغات اللاتي وقع عليهن العنف، وتبين من النتائج أن مستوى الصلابة النفسية كان متوسطاً.

وسعت دراسة الغامدي (2020) إلى معرفة العلاقة بين الصلابة النفسية وبعض أعراض الاضطرابات السيكوسوماتية لدى النساء المعنفات بدار الحماية الاجتماعية في مدينة نجران، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، كما طُبّق مقياس الصلابة النفسية وأعراض الاضطرابات السيكوسوماتية على عينة بلغت (34) سيدة معنفة، وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية بين مستوى الصلابة النفسية وأعراض الاضطرابات السيكوسوماتية لدى النساء المعنفات، كما أنه لا يوجد تغير في مستوى كل من الصلابة النفسية والاضطرابات السيكوسوماتية وفقاً لتغير الحالة الاجتماعية والمستوى التعليمي لدى المعنفات. وهدفت دراسة حروب (2019) للتعرف إلى القلق الاجتماعي وعلاقته بالصلابة النفسية لدى النساء المعنفات في محافظتي بيت لحم والخليل، والتعرف إلى مستوى كل من القلق الاجتماعي والصلابة النفسية، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي الارتباطي، وقد بلغ حجم العينة (130) امرأة معنفة في محافظتي بيت لحم والخليل، واستخدمت الدراسة أسلوب العينة القصدية، وأظهرت النتائج أن مستوى القلق الاجتماعي لدى النساء المعنفات جاء بدرجة متوسطة، وكذلك جاء مستوى الصلابة النفسية بدرجة متوسطة، كما أظهرت النتائج وجود علاقة عكسية ذات دلالة إحصائية بين القلق الاجتماعي والصلابة النفسية لدى النساء المعنفات، وبينت النتائج - أيضاً - وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات القلق الاجتماعي والصلابة النفسية للنساء المعنفات في مدينتي بيت لحم والخليل، تعود لمتغيرات (العمر، والمستوى التعليمي، والوظيفة)، وكذلك أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات القلق الاجتماعي للنساء المعنفات بالنسبة لمتغير مكان السكن، في حين لم يتم إيجاد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات الصلابة النفسية للنساء المعنفات، تعزى إلى متغير مكان السكن.

وهدفت دراسة تسيجوتيس ولوزاك (Tsirigotis & Luczak, 2018) إلى فحص المرونة لدى النساء اللواتي يعانين من العنف المنزلي، وتكونت عينة الدراسة من (52) امرأة معنفة من الفئة العمرية (30-65)، وتبين من نتائج الدراسة أن العنف الجسدي والنفسية من أكثر أشكال العنف انتشاراً، وأن النساء اللواتي تعرضن للعنف الأسري أقل مرونة من اللواتي لا يتعرضن للعنف، وتبين - أيضاً - أن العنف الموجه من الأب ضد المرأة كان له الأثر السلبي في تدني المرونة لدى المعنفة. وتهدف دراسة الهلول ومحيسن (2018) إلى التعرف إلى العلاقة بين المساندة الاجتماعية بالرضا عن الحياة والصلابة النفسية لدى المرأة الفلسطينية فاقدة الزوج، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي الارتباطي، وتكون مجتمع الدراسة من (7194) امرأة، واختير منهم عينة من (129) امرأة ممن فقدن أزواجهن، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحثان مقياس المساندة الاجتماعية والرضا عن الحياة والصلابة النفسية. وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين المساندة الاجتماعية والرضا عن الحياة والصلابة النفسية لدى المرأة فاقدة الزوج، وأظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المساندة الاجتماعية والرضا عن الحياة والصلابة النفسية، تعزى إلى نوع الفقدان (شهيد - غير شهيد)، في حين وجدت فروق في متغيرات الدراسة، تعزى إلى نوع السكن (مستقل - مشترك)، كذلك كشفت نتائج الدراسة عن وجود فروق في الرضا عن الحياة لدى المرأة فاقدة الزوج، تعزى إلى العمر ولمصلحة كبيرات السن، ووجود أثر دال للمساندة الاجتماعية على الرضا والصلابة النفسية.

2.1 الدراسات المتعلقة بالنساء المعنفات

هدفت دراسة أبي عكر (2023) إلى التعرف إلى طبيعة العلاقة بين الأمن النفسي والتوجه نحو الحياة لدى السيدات المعنفات في محافظات غزة، والتعرف إلى دلالة الفروق الإحصائية في مستوى الأمن النفسي وفقاً لمتغيرات: (العمر، ومكان السكن، والمستوى التعليمي، وعدد الأبناء، وعدد سنوات الزواج)، واستخدم المنهج الوصفي التحليلي على عينة مكونة من (400) سيدة معنفة، واستخدم مقياس الأمن النفسي، والتوجه نحو الحياة، وكانت أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن السمة العامة لمستوى الأمن النفسي لدى السيدات المعنفات في محافظات قطاع غزة، ظهرت بدرجة متوسطة، ووجود علاقة طردية موجبة بين الأمن النفسي ومستوى التوجه نحو الحياة لدى السيدات المعنفات، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات الأمن النفسي، تعزى إلى متغير العمر، بينما وجدت فروق دالة إحصائية في الأمن النفسي، تعزى إلى متغير المستوى التعليمي وعدد الأبناء، وختاماً وُجد أثر ذو دلالة إحصائية للأمن النفسي على تحسين التوجه نحو الحياة لدى السيدات المعنفات.

وهدفت دراسة حنون (2022) إلى الكشف عن ماهية العنف الأسري الممارس على طالبات من المرحلة الأساسية الدنيا، وكيفية التعامل المدرسي معه، وذلك بالوقوف على أشكاله، وأسبابه، وآثاره، والخبرة المدرسية في التعامل مع العنف المدرسي، وتقويم هذه الخبرة بتسليط الضوء على مؤشرات النجاحات والصعوبات في التعامل مع العنف المدرسي، واتبعت الدراسة المنهج النوعي بطريقة الاستقصاء الظاهراتي، باستخدام أداة المقابلة المعمقة، واختيرت عينة معيارية قصدية بلغت خمساً من المشاركات في الدراسة من أعضاء الهيئة الإدارية والتدريسية، العاملات مع طالبات المرحلة الأساسية الدنيا المعنفات أسرياً في مدرسة (الحاج عبد اللطيف هواش الأساسية للبنات)، وتوصلت نتائج الدراسة إلى تعرض الطالبات المعنفات أسرياً إلى أشكال متنوعة من العنف، أبرزها العنف اللفظي، والجسدي، لأسباب تعود للأهل بصورة رئيسة، وأظهرت النتائج واقع الآثار النفسية، والسلوكية، والاجتماعية، والأكاديمية للعنف الأسري في الطالبات، وخبرة أعضاء الهيئة الإدارية والتدريسية، والإرشاد التربوي في التعامل مع العنف الأسري بدءاً بوقف العنف الممارس، ووصولاً إلى إرشاد الحالات

المعنف، ومتابعيتها، ونجاحات هذا التدخل وإخفاقاته، وأوصت الدراسة بضرورة تدريب العاملين في المدارس حول التعامل مع الطلبة المعنفين أسرياً.

وهدفت دراسة سعد الله (2021) إلى البحث في أنواع العنف المبني على النوع الاجتماعي ضد النساء والفتيات أثناء عدوان مايو 2021، وبعده، وتحديد الأسباب المباشرة وغير المباشرة لزيادة العنف المبني على النوع الاجتماعي في مجتمع قطاع غزة بعد العدوان الإسرائيلي 2021، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي تناسب مع هذا النوع من الدراسات الاجتماعية، وقد نُفذت أربع مجموعات بؤرية مركزة في محافظات قطاع غزة، ونفذت ثمان مقابلات فردية معمقة من متخصصات في مجال الاستجابة للعنف المبني على النوع الاجتماعي ومقدمي الخدمات. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: ارتفاع مستوى العنف المبني على النوع الاجتماعي ضد النساء والفتيات.

كما هدفت دراسة حسن (2020) إلى تحديد العلاقة بين المساندة الاجتماعية الأسرية ومعنى الحياة لدى المرأة المعنف، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من (75) امرأة معنف، وبينت النتائج أن المرأة المعنف لا تستطيع تحديد أهدافها في الحياة، ولا تستطيع تحمل المسؤولية، ولا ترضى عنها.

أما دراسة (Herrero & Vivas & Torres, 2018) فهدفتها تحليل السمات المختلفة لدى النساء المعنفات اللواتي عانين من عنف شريك حميم مع شريكهن الحالي (نساء غير مرنات)، مقارنة بالنساء اللواتي عانين من عنف شريك حميم مع الشركاء السابقين، ولا يعانين من الشريك الحالي (نساء مرنات). وأجريت الدراسة على (28) دولة من الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي في المدة الواقعة ما بين عام 2012 وحتى عام 2018، وأجريت الدراسة على عينة من النساء المعنفات اللواتي أبلغن عن عنف شركائهن الحميمين، اللواتي بلغ عددهن (2376) امرأة، من عينة احتمالية عددها 42000 امرأة، وتوصلت الدراسة إلى أن المرأة التي تتمتع بالمرونة النفسية كانت أصغر سناً، وأكثر رضا عن دخل الأسرة، وبالنسبة لمستويات العنف السابقة، فقد سجلت النساء المرنات نفسياً مستوى أقل من الإساءة في مرحلة الطفولة، وشاركن في علاقة قصيرة من حيث المدة الزمنية مع الشريك المعنف، ولكن مستوى الشدة نفسه في الإيذاء مقارنة بالنساء الأقل مرونة نفسية، وحيث أبلغت النساء ذوات المرونة النفسية الشخص المنفذ للمقابلة أنهن قمن بإنهاء العلاقة المسيئة بسبب العنف إلى حد أكبر من النساء غير المرنات نفسياً، وبدا أنهن يعانين من صعوبات نفسية أقل بسبب العلاقات العنيفة السابقة من النساء اللواتي لا يملكن مرونة نفسية، وأخيراً أظهرت النتائج أن البلدان التي سجلت درجات أعلى في مؤشر التنمية البشرية، لديهن نسبة أكبر من النساء اللواتي يتمتعن بالمرونة النفسية من البلدان التي تتمتع بدرجة أقل من التنمية البشرية، ما يوحي بأهمية دمج سياستي التدخل الفردي والجمعي.

وهدفت دراسة (Kongsakon, 2018) إلى استكشاف تجارب النساء الناجيات من عنف الشريك الحميم من النساء التايلانديات، وتسلط الضوء على أهمية طرق تعافي النساء المعنفات من عنف الشريك الحميم الذي ترك لديهن آثاراً نفسية واقتصادية سيئة، وتكونت عينة الدراسة من عشر نساء من المعنفات اللواتي عانين من عنف الشريك الحميم، واخترن من مستشفى إقليمي في الجزء العلوي من تايلند، وبينت عينة الدراسة من النساء المعنفات في بداية المقابلات وقبل التدخل معهن، خوفهن وخجلهن وشعورهن بالعجز، وكان لديهن تقدير منخفض للذات، قد يتحول شعورهن بالعجز إلى اكتئاب وقلق وسلبية، الأمر الذي يعيق تعافيهن من آثار العلاقات السيئة التي عانين منها، وأظهرت الدراسة أهمية العمل على خمسة محاور لمساعدة المعنفات على التعافي، وركزت هذه المحاور على: التماس المساعدة والدعم، وقرار إنهاء العلاقة المسيئة، وتعزيز التمكين للمعنفات لحل مشكلاتهن، ومسامحة المعتدي، وتبني القدرة على الوقوف من جديد، بعد تدخل الاختصاصيين الاجتماعيين وفريق صحي للمشورة المهنية، اللازم لتنفيذ هذه المحاور.

2.2 تعقيب على الدراسات السابقة

من خلال استعراض الباحثين لعدد من الدراسات السابقة التي تناولت الصلابة النفسية والعنف ضد النساء، اتضح وجود ندرة في الدراسات التي تربط بين متغيري الدراسة، ووجود عديد من الدراسات التي ربطت متغير الصلابة النفسية بمتغيرات أخرى، أما الدراسة الحالية، فهدفت إلى معرفة مستوى الصلابة النفسية وعلاقتها بأساليب مواجهة العنف لدى النساء في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر، وما يميز هذه الدراسة أن هذه الدراسات لم تتناول متغيرات الدراسة الحالية، وقد استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في صوغ الإطار النظري للدراسة والمساعدة في تحديد مشكلة الدراسة، وبيان أهمية الدراسة ومسوغات إجرائها، وتوجيه الباحثين في تصميم أداة الدراسة نحو عديد من مصادر المعلومات المفيدة ذات العلاقة بمشكلة الدراسة، وتختلف الدراسة الحالية في أنها تبحث في علاقة الصلابة النفسية وأساليب مواجهة العنف لدى النساء في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر، من هنا تأتي الدراسة الحالية لاستكمال الجهود البحثية التي تمت على هذا الصعيد، فجاءت مكملة للدراسات السابقة.

3. الطريقة والإجراءات

3.1 منهجية الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي الارتباطي من خلال جمع البيانات الكمية، للحصول على المعلومات الخاصة بموضوع الدراسة، وذلك لأنه أكثر المناهج ملائمة لطبيعة هذه الدراسة؛ كونه المنهج الذي يقوم بدراسة الظاهرة

وفهمها ووصفها وصفاً دقيقاً من خلال المعلومات والأدبيات السابقة، ولأن هذا المنهج لا يعتمد - فقط - على جمع المعلومات، إنما يقوم بالربط وتحليل العلاقة ما بين متغيرات الدراسة للوصول إلى الاستنتاجات المرجو الوصول إليها من خلال الدراسة.

3.2 مجتمع الدراسة وعينتها

أولاً: مجتمع الدراسة

تكوّن مجتمع الدراسة من جميع النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر البالغ عددهن (120) حالة، حسب إحصائية للعام 2024/2023.

ثانياً: عينة الدراسة

أما عينة الدراسة، فقد اختيرت كالآتي:

أولاً- العينة الاستطلاعية (Pilot Study): اختيرت عينة استطلاعية مكونة من (30) حالة من النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر، وذلك بغرض التأكد من صلاحية أدوات الدراسة واستخدامها لحساب الصدق والثبات. ثانياً- عينة الدراسة (Sample Study): اختيرت عينة الدراسة بالطريقة المتيسرة، وبلغ حجم العينة (71) حالة من النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر، وزعت عليهن الاستبانة، والجدول (1) يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغيراتها الديمغرافية (الشخصية):

جدول 1: توزيع عينة الدراسة من النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر حسب متغيراتها الديمغرافية (الشخصية) (ن=71)

المتغير	المستوى	العدد	النسبة المئوية%
المستوى التعليمي	ثانوية عامة فأدنى	48	68%
	دبلوم فأعلى	23	32%
عدد الأبناء	لا يوجد	17	24%
	من 1-3 أفراد	34	48%
	أكثر من 3 أفراد	20	28%

يتبين من الجدول (1) أنّ نسبة النساء اللاتي يحملن درجة دبلوم فأعلى بلغت (32%)، وتبين أن نسبة عائلات النساء المعنفات اللواتي لديهن عدد الأبناء ما بين (1-3 أفراد) بلغت (48%) من عينة الدراسة وهي الأعلى، بينما بلغت نسبة من ليس لديهن أبناء (24%) وهي الأقل، وبلغت نسبة من لديهن دخل شهري أقل من 1800 شيكل، (92%)، بينما بلغت نسبة من لديهن دخل شهري من 1800 إلى أقل من 3500 شيكل، (8%).

3.3 أدوات الدراسة وخصائصها

لتحقيق أهداف الدراسة، اعتمدت الباحثة على الاستبانة المكونة من مقياسين لجمع البيانات، هما: مقياس الصلابة النفسية، ومقياس مواجهة العنف لدى النساء كما يلي:

1-مقياس الصلابة النفسية:

من أجل تحقيق الغاية المرجوة من الدراسة الحالية، اطلعت الباحثة على الأدب التربوي والدراسات السابقة وعلى مقياس الصلابة النفسية في دراسات (الأسود، 2022)، وذلك لملاءمتها أهداف الدراسة.

الخصائص السيكومترية لمقياس الصلابة النفسية:

استخدم نوعان من الصدق كما يلي:

(أ) الصدق الظاهري (Face validity)

للتحقق من الصدق الظاهري، أو ما يعرف بصدق المحكمين لمقياس الصلابة النفسية، عرض المقياس بصورته الأولية على مجموعة من ذوي الخبرة والاختصاص ممن يحملون درجة الدكتوراه، وقد بلغ عددهم (14) محكماً، وقد تشكل المقياس في صورته الأولية من (35) فقرة، فاعتمد معيار الاتفاق (80%) حدّاً أدنى لقبول الفقرة، وبناءً على ملاحظات المحكمين وآرائهم، أجريت التعديلات المقترحة، واستناداً إلى ملاحظات المحكمين، فقد عدّل صوغ بعض الفقرات، وبقي عدد فقرات المقياس (35) فقرة.

(ب) صدق البناء لمقياس الصلابة النفسية (Construct Validity)

استخدم صدق البناء، فحُسب معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation) لاستخراج قيم معاملات ارتباط الفقرات مع الدرجة الكلية للمقياس، وكذلك المجال مع الدرجة الكلية للمقياس، وطُبق المقياس على عينة الدراسة الاستطلاعية المكونة من (30) حالة من النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر من مجتمع الدراسة وخارج العينة التي سيطبق عليها، واستخرجت قيم معاملات ارتباط الفقرات بالدرجة الكلية للمقياس، كما هو مبين في الجدول (2).

جدول 2: قيم معاملات ارتباط فقرات مقياس الصلابة النفسية بالمجال الذي تنتمي إليه، وقيم معاملات ارتباط كل مجال مع الدرجة الكلية للمقياس (ن=30)

الفقرة	الارتباط مع المجال الالتزام	الفقرة	الارتباط مع المجال التحكم	الفقرة	الارتباط مع المجال التحدي
1	.15	14	.13	28	.54**
2	.46**	15	.39*	29	.64**
3	.35*	16	.51**	30	.68**
4	.76**	17	.59**	31	.65**
5	.49**	18	.56**	32	.87**
6	.79**	19	.68**	33	.79**
7	.76**	20	.54**	34	.71**
8	.73**	21	.61**	35	.37*
9	.71**	22	.47**		
10	.76**	23	.82**		
11	.77**	24	.43*		
12	.53**	25	.84**		
13	.65**	26	.70**		
		27	.60**		
	الدرجة الكلية للمجال =		الدرجة الكلية للمجال =		الدرجة الكلية للمجال =
	0.89**		0.89**		0.75**

* دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.05 < p) ** دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01 < p)

يلاحظ من الجدول (2) أن قيم معاملات ارتباط الفقرات تراوحت ما بين (.13-.87)، وكانت ذات درجات مقبولة ودالة إحصائية ما عدا الفقرتين: (1، 14)، وقورنت بالمعيار المعتمد لقبول الفقرة حسب ما جاء في جارسيا (Garcia, 2011)، وتعدّ قيمة معامل الارتباط ضعيفة إذا كانت أقل من (0.30)، وتعدّ متوسطة إذا تراوحت بين (0.30-0.70) أو يساوي (0.70)، وتعدّ قوية إذا زادت عن (0.70)، وبناءً على ذلك حُذفت الفقرتان: (1، 14)، ليصبح عدد فقرات المقياس (33) فقرة. 2- مقياس أساليب مواجهة العنف لدى النساء:

من أجل تحقيق الغاية المرجوة من الدراسة الحالية، وبعد اطلاع الباحثة على الأدب التربوي والدراسات السابقة وعلى مقاييس مواجهة العنف لدى النساء، المستخدمة في بعض الدراسات، استعانت الباحثة بمقياس مواجهة العنف لدى النساء، المستخدم في دراسات (زقزوق، 2022)، و (عبد الحق، 2022)، وذلك لملاءمته أهداف الدراسة. الخصائص السيكومترية لمقياس مواجهة العنف لدى النساء: استُخدم نوعان من الصدق، وهما كما يلي:

أ) الصدق الظاهري (Face validity) للتحقق من الصدق الظاهري أو ما يعرف بصدق المحكمين لمقياس مواجهة العنف لدى النساء، عرض المقياس بصورته الأولية على مجموعة من ذوي الخبرة والاختصاص ممن يحملون درجة الدكتوراه، وقد بلغ عددهم (13) محكماً، وقد تشكّل المقياس في صورته الأولية من (28) فقرة، فاعتمد معيار الاتفاق (80%) حداً أدنى لقبول الفقرة، وبناءً على ملاحظات المحكمين وآرائهم، أجريت التعديلات المقترحة، فقد عدّل صوغ بعض الفقرات ليبقى عدد فقرات المقياس (28) فقرة.

ب) صدق البناء (Construct Validity) صدق البناء لمقياس مواجهة العنف لدى النساء (Construct Validity) استخدم صدق البناء، فحُسب معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation) لاستخراج قيم معاملات ارتباط الفقرات مع الدرجة الكلية للمقياس، وكذلك المجال مع الدرجة الكلية للمقياس، وطُبّق المقياس على عينة الدراسة الاستطلاعية المكونة من (30) حالة من النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر من مجتمع الدراسة وخارج العينة التي سيطبق عليها، واستخرجت قيم معاملات ارتباط الفقرات بالدرجة الكلية للمقياس، كما هو مبين في الجدول (3).

جدول 3: قيم معاملات ارتباط فقرات مقياس مواجهة العنف لدى النساء بالمجال الذي تنتمي إليه، وقيم معاملات ارتباط كل مجال مع الدرجة الكلية للمقياس (ن=30)

الارتباط مع تجنب الانسحاب العاطفي	الارتباط مع المواجهة	الارتباط مع التركيز على التقليدية والدينية	القيم	الارتباط مع التقليل من أهمية النزاعات والمشكلات	الارتباط مع الاستقلالية والأنشطة الشخصية
--------------------------------------	-------------------------	--	-------	---	--

0.68**	22	0.35*	15	0.22	8	0.68**	1
0.83**	23	0.63**	16	0.64**	10	0.44*	2
0.86**	24	0.33*	17	0.53**	11	0.82**	3
0.80**	25	0.48**	18	0.76**	12	0.84**	4
0.85**	26	0.60**	19	0.75**	13	0.71**	5
0.87**	27	0.51**	20	0.77**	14	0.79**	6
0.90**	28	0.62**	21			0.73**	7
الكلية	الدرجة	الدرجة الكلية للمجال	الدرجة الكلية للمجال	الدرجة الكلية للمجال	الدرجة الكلية للمجال	الدرجة الكلية للمجال	الدرجة الكلية للمجال
	0.71**=	0.51**=	0.56**=	0.69**=			

يلاحظ من الجدول (3) أن قيم معاملات ارتباط الفقرات تراوحت ما بين (0.22-0.90)، وكانت ذات درجات مقبولة ودالة إحصائياً ما عدا الفقرة (8)، وقورنت بالمعيار المعتمد لقبول الفقرة حسب ما جاء في جارسيا (Garcia, 2011)، بحيث تعدّ قيمة معامل الارتباط ضعيفة إذا كانت أقل من (0.30)، وتعدّ متوسطة إذا تراوحت بين (0.30-0.70) أو يساوي (0.70)، وتعدّ قوية إذا زادت عن (0.70)، وبناءً على ذلك حذفت الفقرة (8)، ليصبح عدد فقرات المقياس (27) فقرة.

3.4 تصحيح مقياسي الدراسة

أولاً: مقياس الصلابة النفسية: تكوّن مقياس الصلابة النفسية في صورته النهائية بعد قياس الصدق من (33) فقرة موزعة على ثلاث مجالات: (الالتزام (12) فقرة، والتحكم (13) فقرة، والتحدى (8) فقرات)، كما هو موضح في ملحق (ث)، وقد مثلت جميع الفقرات الاتجاه الإيجابي.

ثانياً: مقياس مواجهة العنف لدى النساء: تكوّن مقياس مواجهة العنف لدى النساء في صورته النهائية من (27) فقرة موزعة على ثلاث مجالات: (تجنب المواجهة والانسحاب العاطفي (7) فقرات، والتركيز على القيم التقليدية والدينية (6) فقرات، والتقليل من أهمية النزاعات والمشكلات (15) فقرة)، كما هو موضح في ملحق (ث)، وقد مثلت جميع الفقرات الاتجاه الإيجابي. وقد طُلب من المستجيب تقدير إجابته عن طريق تدرج ليكرت (Likert) خماسي، وأعطيت الأوزان للفقرات كما يلي: مرتفعة جداً (5) درجات، مرتفعة (4) درجات، متوسطة (3) درجات، منخفضة (2) درجات، منخفضة جداً (1) درجة واحدة، ولغايات تفسير المتوسطات الحسابية، ولتحديد مستوى كل من الصلابة النفسية ومواجهة العنف لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر، حوّلت العلامة وفق المستوى الذي يتراوح من (1-5) درجات، وصنف إلى خمسة مستويات: وذلك وفقاً للمعادلة الآتية:

$$\text{طول الفئة} = \frac{\text{الحد الأعلى} - \text{الحد الأدنى (لتدرج)}}{\text{عدد المستويات المفترضة}} = \frac{5 - 1}{5} = 0.8$$

وبناءً على ذلك، فإنّ مستويات الإجابة عن المقياس تكوّن على النحو الآتي:

جدول 4: درجات احتساب مستوى الصلابة النفسية ومواجهة العنف لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر

الدرجة	فترة المتوسط الحسابي
منخفضة جداً	أقل من 1.80
منخفضة	من 1.80 - أقل من 2.60
متوسطة	من 2.60 - أقل من 3.40
مرتفعة	من 3.40 - أقل من 4.20
مرتفعة جداً	4.20 فما فوق

3.5 ثبات أداتي الدراسة

للتأكد من ثبات أداة الدراسة، فقد جرى التحقق من ثبات الاتساق الداخلي لمقاييس الدراسة، باستخدام معامل كرونباخ ألفا (Cronbach's Alpha) على بيانات العينة الاستطلاعية، ومعامل إعادة تطبيق مقاييس الدراسة، والجدول (5) يوضح ذلك:

جدول 5: معامل ثبات أداة الدراسة بطريقتي كرونباخ ألفا ومعامل إعادة تطبيق مقاييس الدراسة			
المجال	عدد الفقرات	معامل كرونباخ ألفا	معامل إعادة تطبيق المقياس
الالتزام	12	0.77**	0.90**

التحكم	13	.74**	.89**
التحدي	8	.76**	.91**
الصلابة النفسية	33	.78**	.93**
تجنب المواجهة والانسحاب العاطفي	7	.70**	.81**
التركيز على القيم التقليدية والدينية	6	.71**	.83**
التقليل من أهمية النزاعات والمشكلات	7	.70**	.82**
الاستقلالية والأنشطة الشخصية	7	.71**	.83**
أساليب مواجهة العنف لدى النساء	27	.71**	.86**

يتضح من الجدول (5) أن قيمة معامل ثبات كرونباخ ألفا لأبعاد مقياس الصلابة النفسية قد تراوح ما بين (.89-.91)، وبلغ على الدرجة الكلية لمقياس الصلابة النفسية (.93)، في حين تراوح ثبات إعادة على أبعاد مقياس الصلابة النفسية ما بين (.74-.77)، وبلغ معامل ثبات إعادة على الدرجة الكلية لمقياس الصلابة النفسية (.78)، أما بالنسبة لقيمة معامل ثبات كرونباخ ألفا لأبعاد مقياس مواجهة العنف لدى النساء فقد تراوح ما بين (.81-.83)، وبلغ على الدرجة الكلية لمقياس مواجهة العنف لدى النساء (.86)، في حين تراوح ثبات إعادة على أبعاد مقياس مواجهة العنف لدى النساء ما بين (.70-.71)، وبلغ معامل ثبات إعادة على الدرجة الكلية لمقياس مواجهة العنف لدى النساء (.71)، وتعدّ هذه القيم مناسبة وتجعل من الأداة بمقياسها قابلة للتطبيق على العينة الأصلية ومناسبة لما وضعت من أجل قياسه. وحسب ما جاء في سكران وبيجه (Sekran & Bougie, 2016)، فإن قيمة معامل الثبات تُقبل من الناحية التطبيقية في كل من البحوث النفسية والإنسانية إذا بلغت (.60) أو أكثر.

3.6 متغيرات الدراسة

اشتملت الدراسة على المتغيرات الوسيطة الآتية:

1. المستوى التعليمي: وله مستويان: (1- ثانوية عامة فأقل، 2- دبلوم فأعلى).
2. عدد الأبناء: وله ثلاثة مستويات: (1- لا يوجد، 2- من 1 إلى 3 أفراد، 3- أكثر من 3 أفراد).

3.7 المعالجات الإحصائية

من أجل معالجة البيانات الكمية وبعد جمعها استخدم برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS, 28)، وذلك لاستخراج المعالجات الإحصائية الآتية:

1. المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية.
2. معامل كرونباخ ألفا (Cronbach's Alpha) لفحص الثبات.
3. اختبار بيرسون (Pearson Correlation) لمعرفة العلاقة بين الصلابة النفسية ومواجهة العنف لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر، وكذلك فحص صدق أداة الدراسة.

4. النتائج المتعلقة بأسئلة الدراسة

4.1 النتائج المتعلقة بالسؤال الأول

ما مستوى الصلابة النفسية لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر؟ للإجابة عن السؤال الأول، حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لمقياس الصلابة النفسية في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر من وجهة نظر النساء المعنفات مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية للمجالات، والجدول (6) يوضح ذلك:

جدول 6: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجالات مقياس الصلابة النفسية في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر من وجهة نظر النساء المعنفات وعلى المقياس ككل

الرتبة	رقم المجال	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة (%)	المتنوية	المستوى
1	2	التحكم	4.28	0.64	85.5	مرتفع جداً	
2	3	التحدي	4.24	0.76	84.7	مرتفع جداً	
3	1	الالتزام	4.16	0.79	83.2	مرتفع	
		الدرجة الكلية	4.22	0.68	84.5	مرتفع جداً	

يتضح من الجدول (6) أن المتوسط الحسابي لتقديرات النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر على مقياس الصلابة النفسية ككل بلغ (4.22)، وبنسبة مئوية (84.5%)، بمستوى مرتفع جداً، أما المتوسطات الحسابية لمجالات مقياس الصلابة النفسية، فقد تراوحت ما بين (4.16-4.28)، وجاء المجال (2): "التحكم" في المرتبة

الأولى، بمتوسط حسابي قدره (4.28)، وبنسبة مئوية (85.5) بمستوى مرتفع جداً، بينما جاء المجال (1): "الالتزام" في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي بلغ (4.16)، وبنسبة مئوية (83.2%)، بمستوى مرتفع. وقد حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر على فقرات كل مجال من مجالات الصلابة النفسية على حدة وحسب الترتيب التنازلي الوارد في الجدول (7)، وذلك على النحو الآتي:

1. مجال التحكم

الرتبة	رقم الفقرة	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	المستوى
1	25	لدي قدرة على مواجهة الصعوبات	4.65	0.83	93	مرتفع جداً
2	13	تعطيني ثقتي بنفسي الثبات والاستمرار في الحياة.	4.55	0.77	91	مرتفع جداً
3	24	لدي القدرة على اتخاذ قراراتي بنفسي.	4.48	0.95	89.6	مرتفع جداً
4	21	لدي القدرة على التخطيط للمستقبل	4.46	0.69	89.2	مرتفع جداً
5	15	إيماني بأن ما يحدث من حولي هو خير يخفف من حدة المشكلة.	4.45	0.82	89	مرتفع جداً
6	22	أحاول الابتعاد عن الأمور التي أشعر أنها تسبب لي المشكلات.	4.42	0.82	88.4	مرتفع جداً
7	16	عند حدوث المشكلات أبحث عن الحل.	4.38	0.83	87.6	مرتفع جداً
8	19	لدي القدرة للسيطرة على مجرى أمور حياتي.	4.34	0.76	86.8	مرتفع جداً
9	23	الآزمات تجعلني أتخلى عن الخوف الذي كان يملكني عند أبسط مشكلة.	4.34	0.99	86.8	مرتفع جداً
10	17	أتحلى بالصبر في مواجهة أحداث الحياة.	4.21	0.85	84.2	مرتفع جداً
11	14	أقضي أوقاتي في أنشطة هادفة ومفيدة.	3.90	0.65	78	مرتفع
12	20	أظهر الهدوء أحياناً عند إثارتي من الآخرين.	3.85	0.91	77	مرتفع
13	18	أشعر بقلّة الخوف لما قد يطرأ على حياتي من ظروف وأحداث طارئة.	3.56	0.98	71.2	مرتفع

يتضح من الجدول (7) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مجال التحكم، تراوحت ما بين (4.65-3.56)، وجاءت الفقرة (25) "لدي قدرة على مواجهة الصعوبات" بالمرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (4.65)، وبنسبة مئوية (93.0%) بمستوى مرتفع جداً، بينما جاءت الفقرة (18) "أشعر بقلّة الخوف لما قد يطرأ على حياتي من ظروف وأحداث طارئة" في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي بلغ (3.56) وبنسبة مئوية (71.2%) وبمستوى مرتفع.

(2) مجال التحدي

الرتبة	رقم الفقرة	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	المستوى
1	29	أكتسب القوة والتحدي من المشكلات التي تواجهني في الحياة.	4.48	0.81	89.6	مرتفع جداً
2	32	ينتابني شعور بأن لدي القدرة على مواجهة الأحداث الصادمة.	4.44	0.87	88.8	مرتفع جداً
3	28	تعرضني للمشكلات المتكررة يزيديني قوة وثباتاً.	4.41	0.87	88.2	مرتفع جداً
4	33	أشعر بأن الآزمات تزيد من إصراري على المواجهة للتحديات.	4.35	1.08	87	مرتفع جداً
5	30	يمنحني حل المشكلات قوة وعزيمة لمواجهة ضغوط الحياة	4.24	0.93	84.8	مرتفع جداً
6	26	تكمّن متعة الحياة في قدرة الفرد في مواجهة الآزمات.	4.14	0.92	82.8	مرتفع
7	27	يتملكني حب المغامرة والمعرفة.	4.01	0.96	80.2	مرتفع
8	31	أرى أن التغيير الإيجابي في الحياة يبعثني عن ممارسة الروتين	3.82	0.85	76.4	مرتفع

يتضح من الجدول (8) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مجال التحدي، تراوحت ما بين (4.48-3.82)، وجاءت الفقرة (29) "أكتسب القوة والتحدي من المشكلات التي تواجهني في الحياة" بالمرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (4.48)، وبنسبة مئوية (89.6%) بمستوى مرتفع جداً، بينما جاءت الفقرة (31) "أرى أن التغيير الإيجابي في الحياة يبعثني عن ممارسة الروتين" في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي بلغ (3.82) وبنسبة مئوية (76.4%) وبمستوى مرتفع.

(3) مجال الالتزام:

جدول 9: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات مجال الالتزام مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرتبة	رقم الفقرة	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	المستوى
1	1	لدي ولاء في التزام المبادئ والقيم.	4.49	0.88	89.8	مرتفع جداً
2	11	أبادر بعمل أي شيء يخدم أسرتي ومجتمعي	4.46	0.97	89.2	مرتفع جداً
3	3	أرى أن على هذه الحياة هدفاً يستحق العيش لأجله.	4.44	0.75	88.8	مرتفع جداً
4	9	أتمسك بقيمي وأحافظ عليها رغم كل الصعوبات التي تواجهني.	4.41	0.77	88.2	مرتفع جداً
5	5	لدي من الأهداف ما يدعو للمثابرة من أجلها.	4.34	1.12	86.8	مرتفع جداً
6	2	أشعر بالسعادة عند مساعدة الآخرين.	4.31	0.79	86.2	مرتفع جداً
7	7	يفرض على شعوري بالمسؤولية تجاه عائلتي مساعدتهم عند تعرضهم إلى الأزمات.	4.30	1.18	86	مرتفع جداً
8	10	أكون مسرورة في أثناء إنجاز أعمالي المنزلية.	4.21	1.13	84.2	مرتفع جداً
9	6	ألتزم الصمت عند التعرض للانفعال الشديد.	3.89	1.51	77.8	مرتفع
10	12	أهتم بما يجري من حولي من قضايا وأحداث	3.85	1.54	77	مرتفع
11	8	ياخذ الاهتمام بنفسه فرصة للتفكير في أي شيء.	3.79	1.15	75.8	مرتفع
12	4	تحفز ممارستي للأنشطة الرياضية الطاقة الإيجابية.	3.45	1.34	69	مرتفع

يتضح من الجدول (9) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة على فقرات مجال الالتزام، تراوحت ما بين (3.45-4.49)، وجاءت الفقرة (1) "لدي ولاء في التزام المبادئ والقيم" بالمرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدره (4.49)، وبنسبة مئوية (89.8%) بمستوى مرتفع جداً، بينما جاءت الفقرة (4) "تحفز ممارستي للأنشطة الرياضية الطاقة الإيجابية" في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي بلغ (3.45) وبنسبة مئوية (69.0%) وبمستوى مرتفع.

واتفقت نتيجة الدراسة مع دراسة صالح (2022, saliha) التي توصلت إلى أن مستوى الصلابة النفسية لدى طلبة الجامعة كان مرتفعاً. كما وتتفق مع دراستي حميد (2024) والنسور وبنات (2024) اللتين أشارتا إلى أن مستوى الصلابة كان مرتفعاً، وتتعارض نتيجة الدراسة مع دراسة حدة (2020) التي أشارت إلى أن مستوى الصلابة النفسية كان مرتفعاً، ويعزو الباحثان هذه النتيجة إلى أن النساء في التجمعات البدوية لديهم مستوى مرتفع من مهارات حل المشكلة والاعتماد على الذات، إلى جانب قدرتهن على التفكير قبل الفعل، وبالتالي التروي وتجنب الاندفاع، ما يقلل من احتمالات الأخطاء أثناء التفاعل الاجتماعي مع الآخرين أو أثناء حل المشكلات.

وهذا ما ظهر في فقرة "لدي قدرة على مواجهة الصعوبات"، أي أن النساء لديهن قدرة على التعامل مع المواقف الصعبة والتحديات النفسية والعاطفية بشكل فعال وبشجاعة، وفيما يخص فقرة "أكتسب القوة والتحدي من المشكلات التي تواجهني في الحياة"، وهي تعني أن النساء قادرات على مواجهة التحديات والصعوبات التي تواجههن ولديهن القدرة على التكيف والصمود في وجه التحديات النفسية والعاطفية، والقدرة على اتخاذ خطوات عملية للتغلب على المشكلات، وتطوير استراتيجيات التحمل العاطفي والتفكير الإيجابي، أما عن التزام النساء المعنفات بالمبادئ والقيم، فيعني أنهن يحافظن على مجموعة من القيم والمبادئ التي تواجه حياتهن وتسهم في تحقيق العدالة والتغيير، ويعكس هذا الالتزام قوة الإرادة والصمود في مواجهة التحديات والصعوبات التي يواجهنها نتيجة العنف والاضطهاد.

4.2 النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني

ما أكثر أساليب مواجهة العنف شيوعاً لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر؟ للإجابة عن السؤال الثاني، فقد حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لمقياس أساليب مواجهة العنف في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر من وجهة نظر النساء المعنفات، مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية للمجالات، والجدول (10) يوضح ذلك:

جدول 10: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجالات مقياس أساليب مواجهة العنف في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر من وجهة نظر النساء المعنفات وعلى المقياس ككل

الرتبة	رقم المجال	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	المستوى
1	4	الاستقلالية الشخصية والأنشطة	4.03	0.75	80.7	مرتفع
2	2	التركيز على القيم التقليدية والدينية	3.97	0.70	79.4	مرتفع
3	3	التقليل من أهمية النزاعات والمشكلات	3.84	0.60	76.9	مرتفع
4	1	تجنب المواجهة والانسحاب العاطفي	3.31	0.80	66.2	متوسط
		الدرجة الكلية	3.78	0.45	75.6	مرتفع

يتضح من الجدول (10): أن المتوسط الحسابي لتقديرات النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر على مقياس أساليب مواجهة العنف ككل، بلغ (3.78)، ونسبة مئوية (75.6%)، وبمستوى مرتفع، أما المتوسطات الحسابية لمجالات مقياس أساليب مواجهة العنف، فقد تراوحت ما بين (3.31-4.03)، وجاء المجال (4): "الاستقلالية والأنشطة الشخصية" في المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (4.03)، ونسبة مئوية (80.7%) وبمستوى مرتفع، بينما جاء المجال (1): "تجنب المواجهة والانسحاب العاطفي" في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي بلغ (3.31)، ونسبة مئوية (66.2%)، وبمستوى متوسط.

وقد حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر على فقرات كل مجال من مجالات أساليب مواجهة العنف على حدة، وحسب الترتيب التنازلي الوارد في الجدول (11)، وذلك على النحو الآتي:

• مجال الاستقلالية والأنشطة الشخصية

جدول 11: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات مجال الاستقلالية والأنشطة الشخصية مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرتبة	رقم الفقرة	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	المستوى
1	24	أرى أن التفكير الإيجابي يحل مشكلات الأسرة.	4.58	0.81	91.6	مرتفع جداً
2	27	أركز على تطوير استقلال شخصيتي.	4.3	1.02	86	مرتفع جداً
3	23	أقبل بالأشياء التي لا أستطيع تغييرها في أسرتي.	4.07	0.75	81.4	مرتفع
4	22	أحب القيام بأشياء بمفردي لأكون مستقلة.	3.97	0.89	79.4	مرتفع
5	25	أجد الراحة في تعلم هوايات جديدة من أجل تطوير نفسي.	3.96	0.82	79.4	مرتفع
6	26	أشارك أفراد أسرتي في أنشطة اجتماعية.	3.9	0.78	78	مرتفع
7	21	أتواصل مع أصدقائي المنفصلين للدعم.	3.45	0.80	69	مرتفع

يتضح من الجدول (11) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مجال الاستقلالية والأنشطة الشخصية، تراوحت ما بين (3.45-4.58)، وجاءت الفقرة (24) "أرى أن التفكير الإيجابي يحل مشكلات الأسرة" بالمرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (4.58)، ونسبة مئوية (91.6%) بمستوى مرتفع جداً، بينما جاءت الفقرة (18) "أتواصل مع أصدقائي المنفصلين للدعم" في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي بلغ (3.45) ونسبة مئوية (69.0%) وبمستوى مرتفع.

• مجال التركيز على القيم التقليدية والدينية:

جدول 12: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات مجال التركيز على القيم التقليدية والدينية مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرتبة	رقم الفقرة	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	المستوى
1	10	أستخدم القيم الدينية أو الثقافية لحل النزاعات الأسرية.	4.14	1.03	82.8	مرتفع
2	9	أسترشد بقيم الدين للتعامل مع أهداف الحياة الأسرية.	4.11	0.98	82.2	مرتفع
3	8	أجد الراحة والدعم في الانتظام بالمشاركة في الأنشطة الدينية.	4.03	0.86	80.6	مرتفع
4	12	أفضل الالتزام بالقيم التقليدية في الأسرة.	3.97	1.01	79.4	مرتفع
5	11	أتمسك بتقسيم الأدوار التقليدية في الأسرة.	3.9	1.08	78	مرتفع
6	13	أؤمن بأن يكون للرجل والمرأة أدوار منفصلة وواضحة داخل الأسرة.	3.66	0.91	73.2	مرتفع

يتضح من الجدول (12) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مجال التركيز على القيم التقليدية والدينية، تراوحت ما بين (3.66-4.14)، وجاءت الفقرة (10) "أستخدم القيم الدينية أو الثقافية لحل النزاعات الأسرية" بالمرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (4.14)، ونسبة مئوية (82.8%) بمستوى مرتفع، بينما جاءت الفقرة (13) "أؤمن بأن يكون للرجل والمرأة أدوار منفصلة وواضحة داخل الأسرة" في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي بلغ (3.66) ونسبة مئوية (73.2%) وبمستوى مرتفع.

• مجال التقليل من أهمية النزاعات والمشكلات

جدول 13: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات مجال التقليل من أهمية النزاعات والمشكلات مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرتبة	رقم الفقرة	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	المستوى
1	18	أرى أن مناقشة الخلافات قد تزيد الأمور تعقيداً.	4.07	0.76	81.4	مرتفع

2	17	أقل من أهمية الاختلافات في أسرتي.	4.01	0.92	80.2	مرتفع
3	15	أتبع نهج الانتظار والترقب في حل النزاعات الأسرية.	3.99	0.90	79.8	مرتفع
4	16	أتجنب الضغط النفسي في أثناء النزاعات الأسرية.	3.97	0.77	79.4	مرتفع
5	14	أركز على التغاضي عن الخلافات بدلاً من تحليل المشاعر والدوافع.	3.72	0.85	74.4	مرتفع
6	19	أشعر أن محاولة إقناع أفراد أسرتي بوجهة نظري لا تجدي نفعاً.	3.65	0.78	73	مرتفع
7	20	أتجنب الغضب العلني تجاه أفراد أسرتي.	3.49	0.92	69.8	مرتفع

يتضح من الجدول (13) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مجال التقليل من أهمية النزاعات والمشكلات، تراوحت ما بين (3.49-4.07)، وجاءت الفقرة (18) "أرى أن مناقشة الخلافات قد تزيد الأمور تعقيداً" بالمرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (4.07)، ونسبة مئوية (81.4%) بمستوى مرتفع، بينما جاءت الفقرة (20) "أتجنب الغضب العلني تجاه أفراد أسرتي" في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي بلغ (3.49) ونسبة مئوية (69.8%) وبتقدير مرتفع.

• مجال تجنب المواجهة والانسحاب العاطفي

جدول 14: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات مجال تجنب المواجهة والانسحاب العاطفي مرتبة تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية

الرتبة	رقم الفقرة	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	المستوى
1	7	أحتفظ ببعض المسائل الشخصية لنفسي بعيداً عن أسرتي.	3.82	0.92	76.4	مرتفع
2	1	أميل إلى حماية نفسي عاطفياً وأتجنب النزاعات مع أسرتي.	3.54	0.81	70.8	مرتفع
3	2	أفضل العزلة عندما أكون في حالة مزاجية سيئة.	3.38	0.67	67.6	متوسط
4	3	أشعر بعدم الراحة في التعبير عن المشاعر السلبية في حياتي الأسرية.	3.21	0.85	64.2	متوسط
5	4	غالباً ما أتفاد مناقشة الأمور التي نختلف حولها.	3.18	0.91	63.6	متوسط
6	6	نادراً ما نواجه موضوعات جدلية في أسرتنا.	3.04	1.02	60.8	متوسط
7	5	أميل إلى تجنب النقاش في الموضوعات المثيرة للخلاف.	2.99	0.82	59.8	متوسط

يتضح من الجدول (14) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مجال تجنب المواجهة والانسحاب العاطفي، تراوحت ما بين (2.99-3.82)، وجاءت الفقرة (7) "أحتفظ ببعض المسائل الشخصية لنفسي بعيداً عن أسرتي" بالمرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (3.82)، ونسبة مئوية (76.4%) بمستوى مرتفع، بينما جاءت الفقرة (5) "أميل إلى تجنب النقاش في الموضوعات المثيرة للخلاف" في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي بلغ (2.99) ونسبة مئوية (59.8%) وبتقدير متوسط. وتتفق نتائج هذه الدراسة مع دراسة حسن (2020) في محور تجنب المواجهة والانسحاب العاطفي، فأشارت نتائجها إلى أن المرأة المعنفة لا تستطيع تحديد أهدافها في الحياة، ولا تستطيع تحمل المسؤولية.

وتشير هذه النتيجة إلى أن هناك جهوداً فعالة تُبذل في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر للتصدي للعنف ومحاولة الحد منه، ويعزو الباحثان ذلك إلى أن هناك برامج ومبادرات من مؤسسات المجتمع الفلسطيني ممثلة بالعيادات الصحية التابعة لوزارة الصحة الفلسطينية، بالحديث عن المشكلات النفسية والجسدية التي تتعرض لها النساء المعنفات، وما تسببه من مخاطر على حياتهن وحياة أبنائهن، وتعزيز التوعية والتثقيف حول العنف المنزلي وأساليب مواجهته، وذلك من خلال حملات التوعية والتثقيف في المدارس والمجتمعات ووسائل الإعلام؛ لتعزيز الوعي والتغيير الاجتماعي.

وهذا ما ظهر في فقرة "أرى أن التفكير الإيجابي يحل مشكلات الأسرة"، فالتفكير الإيجابي يعتمد على التركيز على الجوانب الإيجابية والحدود الممكنة بدلاً من التركيز على السلبيات والمشكلات، وكذلك يساعد في تعزيز التواصل الفعال بين أفراد الأسرة. وفيما يخص فقرة "أستخدم القيم الدينية أو الثقافية لحل النزاعات الأسرية"، فالقيم الدينية والثقافية تلعب دوراً مهماً في تشكيل هويتنا ومعتقداتنا وقيمنا، ويمكن أن تكون مصدراً للقوة والتوجيه في مواجهة التحديات الأسرية. أما فيما يخص فقرة "أرى أن مناقشة الخلافات قد تزيد الأمور تعقيداً"، فقد تكون الخلافات مصحوبة بمشاعر قوية مثل الغضب والحزن والخيبة، وعندما يكون الأشخاص في حالة انفعالية مرتفعة، فقد يكون من الصعب عليهم التعامل بشكل هادئ ومنطقي، ما يؤدي إلى زيادة تعقيد النقاش. وفيما يتعلق بفقرة "أحتفظ ببعض المسائل الشخصية لنفسي بعيداً عن أسرتي"، فقد تشمل هذه الحدود الموضوعات التي لا ترغب النساء في مناقشتها، أو المساحة الشخصية التي تحتاج إليها.

4.3 النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث

هل توجد علاقة ارتباطية بين الصلابة النفسية وأساليب مواجهة العنف لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر؟

لفحص السؤال الثالث استُخرج معامل ارتباط بيرسون (Person Correlation) بين الصلابة النفسية ومواجهة العنف لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر، والجدول (15) يوضح نتائج اختبار معامل ارتباط بيرسون:

جدول 15: معاملات ارتباط بيرسون بين الصلابة النفسية ومواجهة العنف لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر (ن=71)

الدرجة الكلية	مجالات مقياس الصلابة النفسية			مجالات مقياس مواجهة العنف لدى النساء
	التحدي	التحكم	الالتزام	
-.271*	-.278*	-0.115	-.358**	تجنب المواجهة والانسحاب العاطفي
.628**	.510**	.714**	.518**	التركيز على القيم التقليدية والدينية
.535**	.461**	.587**	.445**	التقليل من أهمية النزاعات والمشكلات
.814**	.784**	.780**	.723**	الاستقلالية والأنشطة الشخصية
.628**	.546**	.734**	.479**	الدرجة الكلية

*دال إحصائياً عند مستوى الدلالة ($p < .05$)
 **دال إحصائياً عند مستوى الدلالة ($p < .01$)

يتضح من الجدول (15) وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq .05$)، بين الصلابة النفسية ومواجهة العنف لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر، فقد بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون (.628)، ويتضح أن العلاقة بين الصلابة النفسية ومواجهة العنف لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر، جاءت طردية موجبة؛ بمعنى أنه كلما ازداد مستوى الصلابة النفسية ازداد مستوى مواجهة العنف لدى النساء المعنفات في التجمعات البدوية في منطقة أريحا والخان الأحمر.

ويعزو الباحثان ذلك إلى أنه عندما يكون للنساء المعنفات صلابة نفسية أعلى، فإنهن يكنّ أكثر قدرة على التعامل مع تجارب العنف والصعوبات النفسية التي يواجهنها، وبالتالي قد يكون لديهن مهارات تحمل عاطفي وقوة داخلية تساعدن على مقاومة تأثيرات العنف والتعافي منه، ويعود ذلك إلى أن هذه الفئة المعنفة من النساء المعنفات لهن فرصة لخلق مستقبل ملؤه الأمل والتفاؤل وخلو حياتهن من القلق، وربما ساعدن أنفسهن على محاصرة أنواع العنف الموجهة لديهن من خلال مشاركتهن في ورش العمل التي تعدها مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية، ممثلة بالصحة والشؤون الاجتماعية والمؤسسات المدنية التي تركز على كيفية تمكين المرأة الفلسطينية من مواجهة صعوبات الحياة والتصدي للعنف بطرق أكثر واقعية من الحوار والتفاهم في الحياة والتمكن من إيجاد الحلول له، وهذا ربما ظهر من خلال الإفصاح عن مصادر الدعم النفسي من مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية، سواء مؤسسات حكومية أو خاصة أو حتى صديقات وأهالي، من أجل بناء حياة أساسها الصلابة في التعامل مع موجات العنف وتحدي الواقع.

5. توصيات الدراسة

في ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، يوصي الباحثان بالآتي:

1. تصميم برامج إرشادية تهدف إلى تعزيز الصلابة النفسية لدى النساء المعنفات، خاصة تنمية بُعد التحكم والتحدي والالتزام.
2. تفعيل دور المؤسسات الاجتماعية والصحية لنشر التوعية بأهمية استخدام القيم الدينية والثقافية الإيجابية بوصفها وسيلة فعالة لمواجهة العنف الأسري.
3. تقديم الدعم النفسي المستمر للنساء المعنفات للحد من سلوكيات الانسحاب العاطفي وتجنب المواجهة، لما له من أثر سلبي في الصحة النفسية.
4. مشاركة الجهات المعنية في توفير فرص تعليمية وتوعوية للنساء المعنفات، نظراً لدور التعليم في تعزيز قدراتهن على مواجهة العنف، وتحسين مستوى الصلابة النفسية.
5. مشاركة العيادات الصحية التابعة لوزارة الصحة الفلسطينية بالحديث عن المشكلات النفسية والجسدية التي تتعرض لها النساء المعنفات، وما تسببه من مخاطر على حياتهن وحياة أبنائهن.

6. المصادر والمراجع

6.1 المراجع باللغة العربية

- أبو حامد، نهلة، (2018)، فاعلية برنامج إرشاد جمعي قائم على العلاج الواقعي في تحسين مستوى الصلابة النفسية لدى أمهات الأطفال الأيتام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
- النسور، غروب موسى، وبنات، سهيلة محمود، (2024)، الصلابة النفسية وعلاقتها بأسلوب الحياة لدى النساء المعنفات في الأردن، مجلة جامعة عمان العربية للبحوث، 9 (1)، 239-263.
- حروب، شيرين، (2019)، القلق الاجتماعي وعلاقته بالصلابة النفسية لدى النساء المعنفات في محافظتي بيت لحم والخليل، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين.
- حذة، معال، (2020)، الصلابة النفسية لدى المرأة المعنفة جسدياً دراسة عيادية لأربعة حالات بولاية غرداية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة غرداية.
- حسن، سمير، (2020)، المسندة الاجتماعية وعلاقتها بمعنى الحياة لدى المرأة المعنفة، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، 50(1)، 73-110.
- حميد، منى، (2023)، الصلابة النفسية لدى عينة من المعنفات في مدينة إرب، مجلة الباحث الجامعي للعلوم الإنسانية، 20(42)، 121-140.
- الحلج، سمر، (2023)، استجابة الحزن وعلاقتها بالصلابة النفسية لدى عينة من النساء فاقدمات الزوج "الأرامل" في محافظة دمشق، مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية، 29(2)، 206-229.
- داود، دلال، (2021)، مستوى الصلابة النفسية لدى النساء المعنفات في مخيمات اللجوء الفلسطيني وسط الأراضي الفلسطينية المحتلة، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين.
- زيدان، أحمد، (2017)، الصلابة النفسية ومستوى الطموح كمنبئات بالأنشطة الإبداعية لدى طلاب المدارس الثانوية: " دراسة سيكومترية-كلينيكية"، مجلة كلية التربية-جامعة بورسعيد، 8(22)، 44-96.
- طالب، سمية، (2015)، التصورات الاجتماعية للعنف المسلط على الزوجة " دراسة ميدانية على عينة من الزوجات المعنفات" بدائرة أم البواقي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر.
- بن طاهر، التيجاني، (2016)، العنف الأسري الموجه ضد المرأة وعلاقته بالصلابة النفسية لدى عينة من النساء المعنفات-بعد التعديل، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، 18(3)، 305-351.
- أبو عكر، فاطمة، (2023)، الأمن النفسي وعلاقته بالتوجه نحو الحياة لدى السيدات المعنفات في محافظات غزة. المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2(3)، 495-519.
- الغامدي، رحمة، (2020)، الصلابة النفسية وعلاقتها ببعض أعراض الاضطرابات السيكوسوماتية لدى النساء المعنفات بدار الحماية الاجتماعية في مدينة نجران. مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، 2(186)، 258-281.
- مركز الإحصاء الفلسطيني، (2019)، النتائج الرئيسية للمسح الفلسطيني العنقودي متعدد المؤشرات. فلسطين.
- الهلول، إسماعيل، محيسن، عون، (2013)، المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالرضا عن الحياة والصلابة النفسية لدى المرأة الفلسطينية فاقدة الزوج. مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، 2(11)، 2236-2207.

6.2 رومنة المراجع العربية

- Abu Hamed, N. (2018). The effectiveness of a group counseling program based on reality therapy in improving the level of psychological hardiness among mothers of orphaned children [Unpublished master's thesis] (in Arabic). An-Najah National University, Palestine.
- Al-Nsour, G. M., & Banat, S. M. (2024). Psychological hardiness and its relationship to lifestyle among battered women in Jordan (in Arabic). Amman Arab University Research Journal, 9(1), 239-263.
- Hroub, S. (2019). Social anxiety and its relationship to psychological hardiness among battered women in Bethlehem and Hebron governorates [Master's thesis] (in Arabic). Al-Quds University, Palestine.
- Hadda, M. (2020). Psychological hardiness among physically battered women: A clinical study of four cases in Ghardaia [Unpublished master's thesis] (in Arabic). University of Ghardaia.
- Hassan, S. (2020). Social support and its relationship to the meaning of life among battered women (in Arabic). Journal of Studies in Social Work and Human Sciences, 50(1), 73-110.
- Hameed, M. (2023). Psychological hardiness among a sample of battered women in Ibb city (in Arabic). University Researcher Journal for Human Sciences, 20(42), 121-140.
- Al-Halaj, S. (2023). Grief response and its relationship to psychological hardiness among a sample of widowed women in Damascus Governorate (in Arabic). Damascus University Journal for Educational and Psychological Sciences, 29(2), 206-229.
- Daoud, D. (2021). The level of psychological hardiness among battered women in Palestinian refugee camps in the central occupied Palestinian territories [Master's thesis] (in Arabic). Al-Quds University, Palestine.

- Zidan, A. (2017). Psychological hardiness and level of ambition as predictors of creative activities among high school students: "A psychometric-clinical study" (in Arabic). Journal of the Faculty of Education - Port Said University, 8(22), 44-96.
- Talib, S. (2015). Social perceptions of violence against wives: "A field study on a sample of battered wives" in Oum El Bouaghi district [Unpublished master's thesis] (in Arabic). Larbi Ben M'hidi University, Algeria.
- Bin Taher, T. (2016). Domestic violence against women and its relationship to psychological hardiness among a sample of battered women - after amendment (in Arabic). Journal of Human and Society Sciences, 18(3), 305-351.
- Abu Akar, F. (2023). Psychological security and its relationship to life orientation among battered women in the Gaza governorates (in Arabic). African Journal of Advanced Studies in Human and Social Sciences, 2(3), 495-519.
- Al-Ghamdi, R. (2020). Psychological hardiness and its relationship to some symptoms of psychosomatic disorders among battered women at the Social Protection House in Najran city (in Arabic). Journal of the Faculty of Education, Al-Azhar University, 2(186), 258-281.
- Palestinian Central Bureau of Statistics. (2019). Main results of the Palestinian Multiple Indicator Cluster Survey (in Arabic). Palestine.
- Al-Haloul, I. & Muhaisin, A. (2013). Social support and its relationship to life satisfaction and psychological hardiness among Palestinian women who have lost their husbands (in Arabic). An-Najah University Journal for Research and Human Sciences, 2(11), 2207-2236.

6.3 المراجع الأجنبية

- Dahlan, M. (2017). Psychological hardness as a mediating variable between psychological stress and psychological adjustment among Palestinian university graduates, unpublished master's thesis, Al-Aqsa University, Gaza, Palestine.
- DeMichele, K A. (2009). Memories of suffering exploring: the life story narratives of twice-widowed elderly women. Journal of Aging Studies, 23(2):103-113.
- Herrero ,k. & Torres ,j. (2018): Resilience in women who experience domestic violence. psychiatric quarterly ,89(1) ,201-211.
- Khan, A., Grema, M. A., Latif, A. B. A., Bahar, H., Iswan, I., Baranovich, D. L., & Panatik, S. A. (2020). Mediating Effect of Positive Psychological Strength and Study Skills on Examination Anxiety among Nigerian College Students, Sustainability, 12(1479): 1- 16
- Kongsakon, K. (2018): "When Violence can appear with different male partners: identification of resilient and non-resilient women in the European union ," department of psychology ,university of Oviedo ,Oviedo ,Spain.
- Tsirigotis, k., & Luczak, (2018). Resilience in women who experience domestic violence. psychiatric quarterly,89(1),201-211

Psychological Hardiness and Its Relationship to Coping Strategies for Violence Among Abused Women in the Bedouin Communities of Jericho and Khan al-Ahmar

Dina Abu Aisha¹, Mu'tasim Musleh²

^{1,2} Department of Basic Stage One, Faculty of Educational Sciences, Al-Quds Open University - Palestine

Corresponding Author: mmosleh@qou.edu

Received: 2/12/2024. Revised: 20/1/2025. Accepted: 14/4/2025 DIO:

Abstract

The current study aims to examine psychological hardiness and its relationship to methods of coping with violence among battered women in Bedouin communities in the Jericho and Khan al-Ahmar region. Additionally, it seeks to identify differences in the study sample responses between the means of psychological hardiness and methods of coping with violence according to the variables of marital status and education level. The study employed a descriptive correlational approach utilizing two scales- psychological hardiness and methods of coping with violence- as data collection tools. The study sample comprised 71 battered women from Bedouin communities in the Jericho and Khan al-Ahmar region, selected through convenience sampling. The study results revealed high levels of psychological hardiness, with the control dimension ranking first at a very high level, while the commitment dimension ranked last, though still at a high level. The methods of coping with violence also showed high levels, with the independence and personal activities dimension ranking first at a high level, while avoidance of confrontation and emotional withdrawal ranked last at a moderate level. The results also showed no statistically significant differences in respondents' responses between the means of coping with violence methods according to educational level and number of children variables. The findings indicated a positive correlation between psychological hardiness, its dimensions, and methods of coping with violence.

Keywords: psychological hardiness, methods of coping with violence, women in Bedouin communities.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

بنية الإماتة الإسرائيلية في قطاع غزة: تحليل ممارسات هندسة الموت وإدارة الجثامين

إيمان بديوي

باحثة مستقلة، ماجستير علم الاجتماع، الأردن
الباحث المراسل: eman.bdaiwi@gmail.com

Received: 18/6/2025. Revised: 25/6/2025. Accepted: 22/9/2025. Published: 30/06/2026
DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.4

الملخص

تنتقل الورقة من مقولة بحثية تفيد بأن إسرائيل تستهدف المجتمع الغزي بالموت من خلال سياسات تُمارَس ضدَّ الجسد الفلسطيني الحي والميت ضمن إطار "بنية الإماتة". وتهدف إلى تحليل التوظيف السياسي الاستعماري لذلك عبر تحليل محتوى المواد المرئية والشهادات الشخصية التي تؤثّق ممارسات نزع الأنسنة، وتفتيت الجسد، والتمثيل بالجثامين، وسرقتها، وتبخرها، والترقيم فوقها، والدفن العشوائي، والمقابر الجماعية وغيرها. تتألف الورقة من مدخل يُعرّف مفهوم "بنية الإماتة" في سيادة الاستعمار على الجسد، وثلاثة محاور رئيسية ومتربطة، يناقش أولها مرحلة ما قبل القتل، حيث تُهيئ إسرائيل الظروف للإماتة عبر سياسات نزع الصفة الإنسانية وتدمير مقومات الحياة. ثم يتناول الثاني مرحلة القتل بتحليل ممارسات استهداف الجسد من خلال استراتيجية إدارة هيئة الموت بالمحو والتشويه؛ لإعادة إنتاج الهيمنة وتعطيل "المعنى الوظيفي" للموت الاستشهادي. أما المحور الثالث، فيتناول مرحلة ما بعد القتل، مسلطاً الضوء على تحكّم إسرائيل بالجسد بعد الموت من خلال السيطرة على بنية الفقدان وطقوس الحداد والمجالات الزمانية والمكانية المرتبطة بالموت ومساره، ما يحوّل الموت والجثامين إلى ساحة صراع مستمر.

الكلمات المفتاحية: بنية الإماتة، الإبادة، سياسات الموت، الجسد الفلسطيني، الجثامين، طوفان الأقصى.

1. المقدمة

تثير حرب الإبادة الجارية على قطاع غزة، بالمقاطع المرئية والشهادات الشفوية التي تصوّر سياسات الاحتلال الإسرائيلي في القتل، التساؤل حول الاستهدافات الإسرائيلية للمجتمع الغزي بالموت الذي فرضت إسرائيل سلطتها الاستعمارية عليه، بوصفه أفقا سياديا، حوّلت - من خلاله - الجسد الفلسطيني الميت إلى كيان سياسي مُدار، فصاغت شكلاً إضافياً لعلاقتها السيادية به عبر سياساتها في إدارة الجثامين واستهداف فعل الموت ذاته، فطالت بنيته وهيئته وفرضت سلطتها على زمانه ومكانه والتفاعلات الاجتماعية والثقافية معه، وذلك وفقاً لما تعكسه ممارسات الاحتلال في القطاع من عملها وفق (بنية إماتة) تشمل استراتيجيات استعمارية؛ عسكرية وسياسية، تُمارَس ضدَّ الجسد الفلسطيني الذي يمثل مساحة الصراع، فتفرض إسرائيل سيادتها الاستعمارية عليه؛ مادة وروحاً وعقلاً، وعلى كينونته على الأرض الفلسطينية (ظاهر-ناشف، 2019: 77)، وفقاً لعدة آليات مركبة. وبهذا، يسعى البحث إلى طرح كيفية تحول الموت ذاته والجثمان بعده، إلى أدوات استعمارية للسيطرة على البنى الاجتماعية الفلسطينية، ضمن ما يسميه البحث بنية الإماتة، بوصفها الإطار السوسيولوجي لفهم كيفية اشتغال السيادة الاستعمارية على الجسد الفلسطيني؛ الحي والميت. وعليه ينطلق هذا البحث من السؤال المركزي: كيف يوظف الاحتلال الجسد الفلسطيني، حياً وميتاً، ضمن بنية الإماتة، بوصفها أدوات استعمارية لإحكام السيادة على الفلسطينيين؟ بافتراض أن الجسد الفلسطيني في سياق حرب الإبادة في غزة، لم يعد موقفاً للقتل فقط، وإنما تتخذ إسرائيل أداة لإنتاج سلطة استعمارية قبلية وبعديّة، تتجسد في بنية الإماتة. فضلاً عن أسئلة فرعية بلورها تحليل أنماط الممارسات الإسرائيلية التي تستهدف الجسد قبل القتل، وأثناءه، وبعده، كالسؤال عن علاقة تلك الممارسات بهيكله الحضور الفلسطيني

في الفضاء العام والرمزي؟ والكيفية التي تؤثر بها سياسات إدارة الجثامين في إعادة تشكيل الحداد والفقدان في المجتمع الفلسطيني؟

وعليه يهدف البحث إلى تحليل ممارسات عديدة، وتبين سياساتها المختلفة، من نحو: (نزع الصفة الإنسانية، والمراقبة المحاصرة، والموت على هيئة أشلاء، وتشويه الأجساد المماتة والتمثيل بها، واحتجازها، وسرقتها، ومحو هويتها، والدفن العشوائي، والمقابر الجماعية، وغيرها)، عبر قراءتها ضمن إطار بنية الإمامة، بالاعتماد على نظريات مثل: السياسات النيكروروبوليتيكية (Mbembe, 2003)، وحالة الاستثناء (أغامبين، 2015) والحياة العارية (Agamben, 1998)؛ لفهم آليات الإمامة في تلك الانتهاكات التي تُمارس ضدّ الجسد الفلسطيني الذي تُنقش على جلده وزمنه وحيزه الممارسات الاستعمارية الإسرائيلية (ظاهر-الناشف، 2016: 19). وذلك اعتماداً على المنهج النوعي، واستخدام أسلوب تحليل المضمون أداةً لتحليل مجموعة مواد مختارة من عدد كبير من مواد تابعها الباحث، شملت مقاطع مرئية وشهادات شخصية من القطاع، تم اختيارها وفقاً لمعايير توثيقها للانتهاكات الإسرائيلية على الأجساد والجثامين، بأن تكون ميدانية، ومنشورة وموثقة في مصادر صحفية وحقوقية.

وانطلاقاً من سياق تلك الممارسات التي تكشف عن تصاعد العنف الاستعماري عبر سياسات تُنتجها إسرائيل وتعيد إنتاجها في القطاع، ينقل هذا البحث التحليل من الحاكمية الاستعمارية على الحياة إلى تجليات هذه السيادة على الموت، كما تتجلى في ممارسات حرب إبادة الجسد الغزّي. وبالرغم من التوثيق الواسع لتلك الانتهاكات ونقاشها قانونياً، فإنّ بنية العنف الموجه للجسد الميت خاصة لم تحظ - بصفتها فكرة - بمركزية في التحليل النظري والمنهجي الكافي، لا سيما من زاوية سياسات الإمامة الاستعمارية. إلى جانب الجديد الذي تطرحه ممارسات الاحتلال منذ السابع من أكتوبر 2023؛ من هندسة كاملة لإدارة الموت الفلسطيني، وبما لا يقتصر على القتل كفعل مباشر، بل تشمل شروطه السابقة وأشكاله اللاحقة؛ من نزع الإنسانية إلى تحويل الجثامين إلى موقع للسيادة الرمزية والمادية.

فالرغم من أهمية مساهمة Zouheir Maalej و Aseel Zibin (2024) في تحليل البنية الخطابية الإسرائيلية للتجريد الإنساني وتقاطعها مع هذا البحث من حيث التركيز على العلاقة بينها وبين شرعنة العنف، فإنّ هذا البحث يتجاوز الدلالة الرمزية لخطاب نزع الأنسنة إلى تحليل تجلياته على الجسد الفلسطيني نفسه، ثم في البنية السيادية التي تدير فعل موته، بحيث ينقل التحليل من المستوى اللغوي والاستعماري إلى التجسيد المادي له على الجسد الحي والميت. وعن هذا الأخير، فبالرغم من التقاطعات المفاهيمية بين هذا البحث ودراسة Jason De León (2015) الإثنوغرافية، التي ناقش فيها ما يسميه "العنف النيكرروي" (Necroviolence) بوصفه شكلاً من أشكال العنف على الجسد الميت، الذي يتم توظيفه أداة في سياسات الردع الأمريكية على الحدود المكسيكية، فإنّ الفرق الجوهرية يكمن في طبيعة العنف الممارس ضد الجثامين. ففي حين يعالج "دي ليون" أثر السياسات الحدودية في جثث المهاجرين التي تترك أداة للردع، يعالج هذا البحث الجسد الفلسطيني بوصفه تهديداً رمزياً يجب ألا يترك للتحلل فقط، وإنما يقتل بطرق كالتفتيت والتبخّر؛ ليُمحى وجوده بالكامل، ويُقصى حتى عن إمكانية التعرف إليه. ففي حين تُستخدم الطبيعة أداة قتل في الصحراء الأمريكية، فيكون العنف النيكرروي نتيجة للمكان - وهنا تصنع الدولة شروط الموت في سياسات الإهمال ولا تقتل بشكل مباشر - تمارس إسرائيل عنفاً نيكرروبياً استيطانياً مباشراً، كنتيجة سياسية واعية ومن موقع المخيال الاستعماري الذي يستهدف المحو الشامل للوجود الفلسطيني الميت والحي معاً بوصفه قراراً سياسياً. وبهذا لا ينتج هذا البحث استكمالاً لتحليلات العنف النيكرروي بوصفه استمرارية للعنف على الجسد بعد موته، بل إزاحة لها نحو أفق سياسي جديد، يتناول المحو بوصفه سياسة جوهرية في المشروع الاستيطاني، وبوصف العنف النيكرروي - هنا - حجاً وجودياً لما بعد الموت أصلاً، فيفترض ليون وجود جثة حدث لها شيء ويمكن تتبع أثرها، في حين يتناول هذا البحث ممارسات قتل وتصفية، لا تترك جثة لتتبعها وكشف ما حدث لها بعد الموت.

وفي سياق هذا المحو للجثامين، وانطلاقاً من الممارسات التي تستهدف الجسد بعد القتل، يتقاطع هذا البحث مع دراسة سهاد الناشف (Suhad Daher-Nashif, 2020) في تشخيص تحليل بنية إدارة الموت في السياق الاستعماري؛ فتتناول الناشف ممارسات احتجاز الجثامين وتعليق دفنها وتسييس فقدانها، بوصفها أدوات استعمارية تفرض مفاهيم السيادة والإجراءات البيروقراطية على الجسد الميت، لتظهر كيف تتجاوز إسرائيل نماذج السيطرة التقليدية إلى أنماط استعمارية تُنتج "موتاً مؤجلاً" خارج النظام القانوني والأخلاقي. لكن الإضافة الرئيسية لهذا البحث، والجوهرية في سياق الممارسات الجديدة التي كشفتها حرب الإبادة على غزة، هي في كونه يرصد النقطة النوعية في أنماط السيطرة الإسرائيلية على الجثامين واستهدافها، والتي تتمثل في تفتيت الجثامين وتبخّرهما واختفائهما. ففي حين تُبقي سياسات الاحتجاز على إمكانية رمزية لمقاومة الهيمنة الاستعمارية عليها، عبر استعادة الجثمان ودفنه، حيث يمكن المطالبة به أو التفاوض حوله، فإن اختفاء الجثمان وتلاشيها في الوقائع التي يوثقها هذا البحث، يشير إلى نمط سيادي أكثر تطرفاً، يتمثل في عنف المحو الكامل، فتسلب الجثامين حتى من أن تكون موضوعاً للصراع بين الاحتجاز ومقاومته، فلا تعود قابلة للاستعادة والدفن. هذا الفارق يكشف عن نقلة مفاهيمية من إدارة الجثمان، كما تقدمها دراسة الناشف، إلى إنكار وجوده، ومن التحكم في طقوس ما بعد الموت إلى سلب الطقوس ذاته. وبهذا، يوسع هذا البحث ما طرحته الناشف من جهة، ويعيد صياغة سؤال السيادة ذاته من جهة أخرى: من احتكار الجثامين إلى محوها، ومن سلطة على موتها إلى سلطة على إمكانية وجودها ما بعد موتها.

2. مدخل وتأطير نظري: بنية الإماتة في سيادة الحاكمية الاستعمارية على الجسد

2.1 الاستثناء بوصفه إطاراً للسيادة المطلقة والإبادة المؤسسية

أعلنت السلطات الإسرائيلية بعد يوم من عملية "طوفان الأقصى" التي نفذتها حركة المقاومة الفلسطينية (حماس) في السابع من أكتوبر 2023، حالة الحرب الرسمية ضد قطاع غزة؛ ما وضع إسرائيل تحت قانون الطوارئ. ثم فرضت في 9 أكتوبر حصاراً كاملاً على القطاع؛ بمنع دخول الغذاء والماء والدواء والوقود والكهرباء، تبعه تشكيل حكومة طوارئ مصغرة أو مجلس الحرب الإسرائيلي في 11 أكتوبر، على غرار الذي جرى تشكيله في حرب حزيران (1967). ولم تكن هذه الإجراءات مجرد استجابة أمنية طارئة، بل شكلت إعلاناً فعلياً عن دخول إسرائيل في ما يسميه جورجيو أغامبين "الحالة الاستثنائية" بوصفها ممارسة للسلطة، تؤسس لنظام قانوني موازٍ يعلّق فيه العمل بالقانون لمصلحة سلطة سيادية مطلقة، تتجاوز حتى حدود الشرعية المؤسسية نفسها، إذ يمكنها اتخاذ إجراءات غير قانونية خارج إطار القانون الدولي الإنساني الذي يكفل عدم التعرض للمدنيين، بالتسويق إلى أنّ استشهاد عشرات الآلاف منهم هو "ضرر جانبي" في ظلّ ما تستدعيه "حالة الطوارئ" التي تخلق لها إسرائيل قانوناً في شأنها السياسي، تخرق به القانون العام بادعاء "الإجراءات الدفاعية" التي تُتيح لإسرائيل استخدام القوة العسكرية وتسويغ عمليات القتل والتدمير بشكل مُعلن، تحت غطاء حماية الأمن القومي، فـ "حالة الاستثناء ظاهرة تقضي تعليق العمل بالقانون، لتعطي شرعية مطلقة للسلطة في تطبيق حرّ لآلياتها في السيادة والحكم والسيطرة" (شطارة ونصار، 2022: 103)، وبهذا يتحول المستثنى من الحماية القانونية إلى ما يسميه أغامبين "الحياة العارية" (bare life)؛ أي تلك الحياة التي يمكن قتلها دون أن يُعد قتلها جريمة.

وفي هذا الإطار، تُعيد إسرائيل إنتاج قطاع غزة بوصفه مجالا سياديا خارجا عن القانون، تُشرعن فيه الإبادة؛ ليتحول الجسد الفلسطيني إلى تجسيد لهذا المفهوم، وتصبح حياته قابلة للقتل دون مساءلة، لا بوصفه مقاتلاً، بل وجوداً يمكن تدميره تحت ذريعة الضرورة الأمنية ومحاربة "حماس". وهذا ما يجعل "الاستثناء" ليس فقط لحظة سياسية، بل يتحول إلى تقنية سيادية مركزية تُدار بها الحرب ذات الطابع الاستعماري الإباضي ضد سكان غزة، لتُخلق هذه الحالة "بنية إبادة مؤسسية" تتجلى في إنتاج مساحة قانونية جديدة، تُقصى منها الحياة الفلسطينية. ففي ظل منطق هذه البنية الممارس في القطاع منذ أكتوبر 2023، فلا يُعد استهداف المدنيين في المستشفيات والملاجئ والمنازل خرقاً للقانون، بل يُعاد تأطيره فعلاً ضرورياً، بالاستناد إلى مفهوم وجودي يجعل من قتل عشرات الآلاف فعلاً مشروعاً، بوصفه "أثراً جانبياً"، وغطاء تأويلياً لإعادة تعريف أفعال الإبادة بوصفها تدابير دفاعية.

2.2 من إدارة الحياة إلى هندسة الموت

تتقاطع "الحالة الاستثنائية" مع مفهوم "السياسات النيكروليتية" أو سياسات الموت (Necropolitics) الذي قدمه أنشيل ميمبي (Achille Mbembe)، والذي في سياقه يتم خلق حالة استثنائية دائمة، تُعلّق فيها الحقوق والقوانين العادية. ويشير المفهوم إلى استخدام السيادة لحقها في التحكم في حياة الأفراد وموتهم، وتحديد من يُعدّ مؤهلاً للحياة، ومن يُمكن إخضاعه للموت (Mbembe, 2019: 66). وهنا تتداخل السيادة مع "السلطة الحيوية" (Biopower) في تشكيل العلاقة بين الحياة والموت بما يعكس كيفية إتمام التمييز بين من يستحق الحياة ومن يُعدّ تهديداً أو عدواً، فلا تعدّ السيادة مجرد سلطة سياسية، بل تنطوي على حق العنف الذي يمكن للدولة ممارسته ضد الأفراد أو الجماعات؛ ما يسلط الضوء على الممارسات السياسية التي ترتبط بحق القتل وإضفاء الشرعية على العنف في المجتمع (Mbembe, 2019: 70).

وفي سياق حرب الإبادة في غزة، تشكل العلاقة بين مفهومي "السلطة الحيوية" (Biopower) كما طوّره ميشيل فوكو (Michel Foucault, 1978) و"السياسات النيكروليتية" (Mbembe, 2003) كما قدّمها ميمبي، مدخلاً نظرياً لفهم طبيعة العنف الإسرائيلي تجاه الجسد الفلسطيني في سياق حرب الإبادة على غزة، والذي تستخدم فيه إسرائيل السياسات الانضباطية والحيوية والنيكرولية معاً، لتحقيق هيمنتها المطلقة (Mbembe, 2003: 29). ففي حين يشير فوكو إلى أن السلطة المعاصرة تمارس نفسها عبر إدارة الحياة، من خلال ضبط السلوك وتنظيم السكان ومراقبة الأجساد، يرى ميمبي أن السلطة تتجاوز إدارة الحياة لتصل إلى ممارسة سياسات الموت؛ أي القدرة على "جعل الآخر يموت" وتسييد الموت بوصفه أداة للهيمنة والسيطرة. وفي حالة القطاع، لا يقتصر العنف الاستعماري على السيطرة على حياة الفلسطينيين، بل يمتد إلى "هندسة الموت" ذاته، حيث يتحول الجسد الميت إلى موقع للسلطة، تتحكم به سلطات الاحتلال عبر سياسات متعددة تشمل التمثيل بالجثث، والتشويه، والاحتجاز، والدفن المجهول. هذه الممارسات تُمثل تحكماً سيادياً لا يكتفي بقتل الجسد، بل يشمل - أيضاً - إدارة موته وصورته، بما يعكس انتقالاً من السلطة التي تُنظم الحياة، إلى تلك التي تسيّد الموت وتوظفه لاستمرار الاستعمار. ومن ذلك المنطلق، يمكن النظر إلى أنّ "حالة الاستثناء" التي أنتجتها إسرائيل لتشمل جميع انتهاكاتها ضدّ الفلسطينيين، تمثّل شكلاً من أشكال "الحاكمية الاستعمارية"¹ التي يمارسها الاحتلال في فلسطين، وتجسيدا خاصاً لأنماطها الممارسة

¹ هي مصطلح يشير إلى الأنظمة والسياسات والمؤسسات التي استخدمتها الدول الاستعمارية لإدارة المستعمرات والسيطرة على شعوبها، في عدّة مجالات: الهياكل السياسية والقانونية الاستعمارية التي تتوافق مع مصالح الدولة المستعمرة، السيطرة الاقتصادية لمصلحة الاقتصاد الاستعماري وخلق تبعية اقتصادية للدولة المستعمرة، الإدارة الاجتماعية والثقافية ومحاولات التهميش والطمس وإعادة تشكيل الهوية والمجتمع، والسيطرة

للسيطرة على أجساد الفلسطينيين "لإماتتها". وهي استراتيجية تتبنى أساليب وسياسات متعددة، تهدف إلى التحكم في حياتهم بما يؤثر - بشكل شامل - في وجودهم، وتطبق بطرق متنوعة، تتداخل فيها الجوانب العسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية والقانونية. ومن أبرز تلك الممارسات الحصار المستمر والإغلاق الواسع المصاحب لإعلان الحرب، بهدف التحكم في المواد الغذائية والخدمات الطبية. يتجلى ذلك في القيود المفروضة على نقل المرضى خارج القطاع للعلاج، وفي السيطرة على الموارد الاقتصادية والمعيشية عبر سياسات التجويع والحرمان، فالتحكم في المواد الغذائية والموارد الأساسية الداخلة إلى القطاع، أدى إلى تفشي حالات سوء التغذية ووقوع وفيات ناجمة عن انعدام الأمن الغذائي، إلى جانب التحكم في الصحة والرعاية الصحية عبر الضربات الجوية المكثفة التي تستهدف المنشآت الطبية بوصفها بنية حيوية للحياة.

2.3 الإمارة بوصفها بنية استعمارية: تفكيك المراحل الثلاث لاستهداف الوجود الفلسطيني

يستخدم هذا البحث مفهوم "بنية الإمارة" للإشارة إلى مجموع الممارسات والسياسات التي تسهم في إنكار الحق في الحياة وإنتاج الموت، إما بشكل مباشر عبر القتل العشوائي والمستهدف، أو غير مباشر عبر السياسات التي تؤدي إلى التدهور المستدام للوجود الفلسطيني. وذلك بوصفه إطاراً تفسيرياً جديداً، يتيح فهماً أوسع وأعمق للممارسات الإسرائيلية تجاه الجسد/الجثمان الفلسطيني، ويفهم بوصفه تراكماً من سياسات الاحتلال الإسرائيلية على الجسد الفلسطيني، الذي يُستهدف بوصفه جزءاً من استراتيجية استعمارية أكبر للإخضاع والسيطرة، يتداخل فيها العنف المادي مع العنف الرمزي. كما يُميز مفهوم "بنية الإمارة" بين القتل بوصفه فعلاً مباشراً وأداة في سلسلة أشمل من ممارسات تقويض الوجود الفلسطيني، والإمارة بوصفها عملية مستدامة ومتعددة الطبقات، تُدبر وتُهندس عبر منظومة معقدة من السياسات. فالقتل هو أداة إنتاج الموت بممارسة علنية وفورية، ليمثل المرحلة الأكثر وضوحاً في سلسلة الممارسات المرتبطة ببنية الإمارة التي يندرج ضمنها. في المقابل، تشير الإمارة إلى الإطار البيئي الأكبر الذي يخلق بيئة يتم فيها قتل الفلسطينيين بوصف القتل فعلاً متكرراً ومنهجياً، فهي عملية ممتدة تتضمن سلسلة من الممارسات المنظمة لاستهداف تفكيك الجسد الفلسطيني وتحطيمه حياً وميتاً، فتتجسد ما قبل القتل من خلال سياسات الحصار وسلب مقومات الحياة بفعل تجريد الجسد من إنسانيته، بينما يشكل القتل الفعل المفصلي فيها، وتستمر ما بعده من خلال ممارسات تستهدف الجثامين مثلاً.

وبهذا تُفهم الإمارة بصفاتها بنية متواصلة تتخلل الحياة اليومية وتمتد إلى ما بعد الموت؛ أي ينظر البحث إلى بنية الإمارة بوصفها عملية تتضمن غير مرحلة ولها زمن استعماري، فلا تشمل القتل المباشر فقط، بل تمتد لتشمل عمليات تفكيك البنى الاجتماعية والثقافية الفلسطينية، من خلال أفعال الاحتلال اليومية في هذه الحرب؛ كالحصار والمراقبة والتعطيل، ما يعمل على تهديد الفلسطينيين أفراداً ومجتمعاً ووجوداً؛ بمعنى أن بنية الإمارة تتشكل من ركيزتين استعماريّتين، هما: الاستهداف والقتل المباشر، والتدمير المبني على العنف الرمزي انطلاقاً من خصوصية السياق الاجتماعي والسياسي، حين تُعطّل من خلال الجسد العلاقات بين الحي والشهيد، وبين الناجي والضحية، وبين الجماعة وسرديتها الجمعية. وكلتاها متداخلة وممتدة مع الزمن الاستعماري لها، الذي نقصد به المراحل الثلاث التي تشكل خطها الزمني الذي يتضمن استراتيجيات الاحتلال ما قبل القتل من سياسات تخلق حالة من التهديد الوجودي، وفي القتل ولحظة الموت، وما بعد القتل من ممارسات على الجثامين تؤثر في المجتمع كله.

فدراسة بنية الإمارة سوسيولوجياً تتطلب تناولاً شاملاً يتضمن المراحل الثلاث؛ لأهمية الكشف عن كيفية تجسيد هذه البنية في سياسات الاحتلال التي استهدفت الجسد الغزّي خلال الحرب الحالية، مع الإشارة إلى أن منها ما هو سياسة متجذرة تجاه الجسد الفلسطيني عموماً، إلا أن في تجليات ممارسات إسرائيل في عدوانها على قطاع غزة ما يستحق البحث لقراءة تلك الممارسات كاملة من منطلق التحليل البيئي لممارسات الحاكمية الاستعمارية على الجسد والجسد الميت خصوصاً، بالسيطرة العسكرية والتدمير الجسدي-المادي والرمزي، في إطار "بنية إمارة" تتكثف ليس بوصفها استراتيجية قتل فقط، بل بوصفها نظاماً استعمارياً يهدد الفلسطيني في حياته ومماته. ولذا، فلا يمكن دراسة الإمارة في السياق الغزّي إلا بوصفها بنية استعمارية، يشترك فيها العسكري بالقانوني والسياسي، والرمزي بالمادي، ليحوّل الجسد الفلسطيني إلى موقع لتفكيك الجماعة من الداخل عبر إدارة موتها وليس قتلها فقط.

3. أولاً: مرحلة ما قبل القتل (تهيئة ظروف الإمارة):

تتمثل المرحلة الأولى من مراحل "بنية الإمارة" في عملية تهيئة الظروف المواتية لإمارة الجسد بالتأسيس لماهيته وشروطه، عبر سلسلة من الإجراءات والممارسات التي تطبقها إسرائيل في قطاع غزة قبل تنفيذ عمليات القتل المباشر أو الممنهج البطيء للسكان، من خلال سياسات ممنهجة تهدف إلى نزع الصفة الإنسانية عن الفلسطينيين بالتزامن مع الإعلان عن "حالة الاستثناء" وتجسيدها في إجراءات التحكم في حياتهم؛ ما يُعمّق من إنكار الحقائق الإنسانية للفلسطينيين ويُبرر الظلم الواقع عليهم، فيُسهّل استهدافهم والعنف المنهجي الذي يُمارَس ضدهم. وفي هذا، تتوسع دوائر الاستهداف والعنف لتطال جوانب الحياة اليومية عبر تشكيل واقع مأساوي يتجاوز مجرد القتل أو الحاجة العسكرية؛ ليكون أداة لإعادة تشكيل العلاقة

العسكرية والأمنية واستخدام القوة والقمع وفرض المراقبة والتحكم. كما أنها ليست مجرد مجموعة من السياسات، بل هي نظام متكامل يؤثر في كل جوانب حياة السكان الأصليين.

بين السلطة الاستعمارية والمجتمع المستعمر في أوقات الأزمات والطوارئ التي تستعدي حرباً شاملة. وعليه ينطلق النقاش في هذا المحور من مقولته التأسيسية التي ترى في هذه المرحلة؛ مرحلة نزع الصفة الإنسانية وإنتاج "الحياة العارية" لتشكيل الإنسان العزّي "المستباح" وفقاً لأغامبين، عبر تدابير تداخلية تشكّل نظاماً يُفرض على الإبادة الممنهجة، سواء أكانت بشكل مباشر أم عبر تدمير مقومات الحياة اليومية الأساسية وخلق الموت بوصفه ظاهرة مجتمعية.

يقول أحمد بسيوني، كاتب وباحث من قطاع غزة، عايش الإبادة أكثر من نصف عام: "حين تُنزع الأنسنة، يتحوّل الجسد إلى موضوع للسيطرة، لا فرق بين قفص حديدي وآخر هوائي، كلاهما حدود تفرضها اليد المتجبرة على الإنسان المسلوب. تُقاس القيمة حينها بوظيفة الجسد لا بروحه؛ يصبح المرء رقماً في إحصائية، وزناً في شاحنة، أو ظلاً يتلاشى خلف الجدران. ما فعلته إسرائيل في حربها على غزة لم يكن مجرد اجتثاث للإنسانية، بل صناعة موتٍ مؤجل، عندما قالت إسرائيل: "نحن نتعامل مع حيوانات بشرية"، نزعنا صفة الأنسنة، هنا كانت اللحظة الفارقة، الحقيقة المحبوسة في جيب الموت، حين يصير القتل حياة يومية تُعاش على شكل انتظار. تتحوّل الأيام إلى مساحات فارغة من المعنى، ثملاً بالصراع للبقاء، وحيث يصبح السؤال الأكبر: ليس كيف يعيش الإنسان، بل لماذا عليه أن يظلّ حياً؟"²

في إطار هذا التصور، تعد عملية نزع الأنسنة استراتيجية لفترة وجود الفلسطينيين وكسر إرادتهم، وبالرغم من أنها سياسة استعمارية تستخدمها إسرائيل في كل سياساتها وإجراءاتها منذ بداية احتلالها لأرض فلسطين وشعبها، فإنها برزت علانية وصراحة في حرب الإبادة الحالية في مفهوم "الحيونة" المستخدم في الخطابات الإسرائيلية التي تُستخدم أداة لتشكيل الرأي العام وتسويغ الممارسات السياسية، فأظهرت نمطاً من التعبيرات اللغوية التي تنزع صفة الأنسنة عن الفلسطينيين بشكل متكرر، بوصفها وسيلة لتسويغ الاستباحة وشرعنة فعل الإبادة وتعزيز قدراته والقبول به (Maalej & Zibin, 2024:216). وبهذا ظهرت في خضم العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، ومنذ بدايته، تصريحات (أيديولوجية) في الخطابات الإسرائيلية السياسية والإعلامية الرسمية، تنتهك مقومات الإنسانية عند الفلسطينيين، وتناقضها، وتُظهر نزاعاً مُمنهجاً للصفة الإنسانية عنهم بوصفهم "بالحيوانات" و"الوحوش". كما جرى نشرها واستخدامها أداة لتطبيع العنف بتسويغ السياسات القمعية وتعزيز صورة نمطية، تجرد الشعب الفلسطيني من حقه في الإنسانية والاعتراف، وتسهم في ترسيخ مفاهيم استعمارية تحريضية، تعزز من تهميش حقوقهم الأساسية وتخلق بيئة تسويغية لمختلف أنواع الانتهاكات.

ويجلى ذلك في تصريح وزير الدفاع الإسرائيلي بعد إعلان حصار القطاع بأنهم يحاربون "حيوانات بشرية" (مادة 1، ملحق 1)، بوصفه مقدمة أيديولوجية لإبادة القتل وتجريده من المسألة القانونية. ويكرّس رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، هذا الأمر في خطاباته الرسمية والمنكررة (مادة 2 و 3، ملحق 1) التي تخطّ حدوداً بين من يستحق الحياة ومن يعدّ تهديداً بيولوجياً يجب قتله، حين يقارن الفلسطينيين "بالوحوش والبرابرة" ليسوغ الإبادة بشر عنتها من حيث وصفها بأنها فعل تحضري. وفي تكرار مندوب إسرائيل السابق لدى الأمم المتحدة لهذا التوصيف (مادة 4، ملحق 1) تعزيزاً للخطاب السيادي للإلغاء الوجودي للمدنيين بتحويلهم إلى أهداف مستباحة. كما تكشف الدعوة العلنية التي أطلقتها نائب رئيس الكنيست لحرق غزة وسكانها (مادة 5، ملحق 1) ودعوة أعضاء من الكنيست إلى "محو غزة من على وجه الأرض" (Middle East Eye, 17/10/2023)، واستخدام الأسلحة النووية ضدها (The Guardian, 16/10/2023)، عن التحول من الخطاب التجريدي إلى صياغة مباشرة لنية الإبادة بوصفها ممارسة سياسية معلنة. كما يمثل استدعاؤهم للنكبة بوصفها هدفاً لهذه الحرب (مادة 5، ملحق 1)، إحالة تاريخية للإبادة بوصفها ممارسة قابلة للتكرار وليست حدثاً استثنائياً؛ أي أن ممارساتهم العنيفة تعمل بصورة توصف بأنها إعادة إنتاج استعمارية للكارثة السياسية ولا تقتصر على الحاضر.

وعليه، فإنّ عنف التصنيف اللغوي والسياسي في ذلك، يمثل أداة بيروقراطية للعنف المؤسسي الذي يؤهل جهاز الدولة للقتل، فتصبح مؤسسات الدولة ونخبها منتجا أيديولوجيا وتقني لإدارة الحياة وهندسة الموت، وفقاً لمنطق "الحياة العارية" التي تنتجها "حالة الاستثناء"، وهو المفهوم الذي طوّر من خلاله أغامبين فكرة "الجسد السياسي". حيث تعرف "الحياة العارية" أو المجردة بأنها الحياة/الحالة التي يُختزل فيها وجود الإنسان بوصفه مجرد كائن بيولوجي؛ أي مجرد جسد مستبعد من التشريعات القانونية ومجرداً من الحقوق الإنسانية، بعد أن أفقدتهم إياها عملية فرض حالة الاستثناء/الطوارئ؛ بما يجعلهم عرضة للعنف والانتهاك دون أية حماية قانونية بالمقابل من الحياة السياسية التي تمنح الفرد ضمن مجتمعه حقوقاً سياسية وقانونية، يتمتع فيها بحقوقه المدنية. ليتحول الإنسان في هذه الحالة إلى "الإنسان الحرام أو المستباح"؛ أي شيء دون درجة الأدمية ... ينبغي إبعاده (أي عن طريق النفي أو الاحتجاز) عن الوجود الطبيعي للإنسانية في (حياة سياسية) (Bios) (أغامبين، 2015: 31). ويربط أغامبين هذه المفاهيم بالسيادة الحيوية التي يعكس منطلقها كيفية ممارسة السلطة للسيطرة على الأفراد واستخدام مسؤوليات تنفيذ سياسات التحكم في حياتهم. فالسيادة الاستعمارية تُمارس اليوم من خلال التحكم في الحياة البيولوجية للأفراد وتطبيق سياساتها للسيطرة على وجود "الحياة" نفسها. وعليه، تُعرض إسرائيل مجتمع قطاع غزة قبل الوصول إلى مرحلة القتل، إلى العنف البنيوي/الهيكلية الذي يركز على الحصار الذي يشمل تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والمعيشية، فيلعب دوراً أساسياً في تقييد الحياة ويهيئ الظروف للإماتة.

وتبدأ عمليات استهداف الجسد من خلال سياسات الإغلاق المستمر للمعابر والمنافذ الوحيدة وتعليق وصول السكان إلى الموارد الأساسية للعيش، والتي تُعدّ وسيلة لنزع إنسانيتهم والنظر إليهم على أنهم مجرد أرقام أو "مشكلة" يجب السيطرة عليها. كما يرافق الحصار سياسة فرض السلطات الإسرائيلية الرقابة الشاملة لترهيب السكان وتشكيل بيئة من القلق الدائم،

² أحمد بسيوني، عبر فيسبوك، 2024/12/15، شوه في 2024/12/15، في: <https://www.facebook.com/share/p/1Cfm3p2xe2/>

من خلال أنظمة الكاميرات والمسيرات ونقاط التمرکز التي أقامتها في القطاع على غرار الحواجز العسكرية في الضفة الغربية للتفتيش والاعتقال والقتل ومراقبة النزوح ومنع العودة بعده بما يسلبهم حقوقهم الإنسانية؛ إذ يُعد هذا النوع من السيطرة بمنزلة عملية نزع الطابع الإنساني عن أهل القطاع كله؛ ليقتصر وجودهم على كونهم "هدفًا" للمراقبة تحت تهديد العنف، وعرضة للموت المتاح بكثافة. فقد ظهر تعميم نزع الأنسنة عن أكثر من مليوني إنسان في الخطابات الإسرائيلية التي نفت المدنية عنهم لتشريع السياسات الاستعمارية كافة وتعميمها عليهم. مثلاً؛ أشار رئيس إسرائيل، إسحاق هرتسوغ إلى أنه "ليس صحيحاً أن المدنيين غير مدرّكين أو غير مشاركين"، وسوّغت عضو الكنيست قتل الأطفال بأنهم "جلبوهم لأنفسهم" (مادة 6، ملحق 1)، ليُعبد إنتاج ثقافة لوم الضحية وجعلها أداة استعمارية لتحيل مسؤولية الجريمة للضحية ذاتها. كما يرى الجنرال الإسرائيلي، غيوراً أيلاند، أن كل سكان القطاع هم هدف مشروع (المادة 7، الملحق 1)، ليؤكد توسيع القرار السيادي في القتل ليشمل المجال المدني بأكمله، ليتجاوز العنف الاستهداف الفردي إلى المحو الجماعي. وبهذا جعلت إسرائيل نموذج "الإنسان المستباح" القاعدة الأساسية في تعاملها مع جميع أفراد القطاع. وعليه "تصبح الحياة هي الأساس الخفي الذي يقوم عليه النظام السياسي في الدولة، وتسود كذلك حالة من الإجراء التأديبي تجعل الإنسان المستباح موضوعاً للسلطة السياسية" (شطارة ونصار، 2022: 105).

وتجدر الإشارة - هنا - إلى أن "نزع الصفة الإنسانية" و"الحالة الاستثنائية" وتداعياتها، هي استراتيجيات عززتها إسرائيل في عدوانها الحالي، لكنها ليست مستجدة في السياق الفلسطيني، ويربطها مع الاحتلال الإسرائيلي علاقة بنوية في الفكر الصهيوني وعلاقة عضوية في سياساته السيادية. فمن جهة، اعتاد المسؤولون الإسرائيليون منذ عقود على توصيف الفلسطينيين بما ينزع عنهم آدميتهم (المادة 8، ملحق 1)؛ بما يظهر استمرارية استعمارية في تأطير الفلسطينيين بوصفهم كائنات ما دون بشرية، ليعكس بُعداً بنوياً في مشروع الإمارة الإسرائيلي. ومن جهة أخرى، تفرض إسرائيل على قطاع غزة حصاراً على البرّ والجوّ والبحر منذ فك الارتباط الأحادي عام 2005، وتتحكم في كلّ ما يدخل إليه ويخرج منه. لكن الجديد في سياق العدوان الحالي، هو أن إسرائيل قننت حالة الحصار بحالة الطوارئ وإعلان الحرب وعلّلت التشريعات الدولية كافة؛ لأهداف تتجاوز أهداف الحصار المعتادة والتي يمكن اختصارها سابقاً بغايات العقاب والضغط والتطويع، وتتمثل اليوم في تعميم الموت الجماعي وتسريع وتيرة الإمارة إخضاعاً لإمكانية النفي وتحقيقاً لفعل الإبادة بشرية مطلقة، فامتاز الحصار الحالي على المعابر وعلى الغذاء والإمدادات الطبية والشتوية والسكنية، والتشغيل والتدفئة، بأنه حقق وفيات بسبب المجاعة والبرد ونتيجة تعطيل الخروج للعلاج. كما جرى تكثيف توظيف مصطلحات "الحيونة" و"الوحشية" بما يعطي انطباعاً بأن جميع أهل القطاع يشكلون تهديداً أمنياً لإسرائيل وللإنسانية وبحول الحرب إلى حرب وجودية، إلى جانب استخدامها لغة تتعاظم مع القتل بصفته عملاً عسكرياً، فتُصور الضحايا بأنهم "إرهابيون"، بما يسهم في تسويق العدائية والعنف تجاههم في الرأي العام، والتقليل من شأن الخسائر البشرية لتقويض الضغط الدولي، فتكتسب إسرائيل سيادة مطلقة على استمرارية القتل. وبالتالي، فإن ما يضيفه التحليل السوسيولوجي على طروحات أغامبين، هو فهم الاستثناء بوصفه حالة مُؤسسة وليست قراراً سيادياً في قانون فقط، فيمارس الاستثناء من خلال أجهزة السيطرة اليومية بوصفه منطقاً استعماريّاً يُدار به الحضور الفلسطيني ويصبح القتل - هنا - نمطاً لحكم الاحتلال وليس حالة طارئة، والاستثناء ليس خروجاً عن القاعدة بل القاعدة ذاتها. وبهذا المعنى، فإن الإبادة لا تكون فعلاً عسكرياً فقط، بل نظاماً سياسياً يعيد تعريف السيادة بوصفها حقاً في إنتاج الموت كما هي في تنظيم الحياة وفقاً لشروط المستعمر.

4. ثانياً: مرحلة القتل (لحظة الموت بوصفها فعلاً استعماريّاً)

تستهدف إسرائيل الجسد الفلسطيني في عدوانها على غزة من خلال استراتيجية (إدارة هيئة القتل بالمحو والتنشويه)، والتي تهدف إلى إعادة تشكيل هيئة الموت بأجساد كاملة وخلق "مجهولية الجثامين" عبر تفكيك بنية الجسد إلى "أشلاء" أو محو بالحرق والتبخير، باستخدام استراتيجيات عسكرية للقتل ذات قدرة تدميرية عالية للجسد، كالقصف المكثف والعشوائي، واعتماد أسلحة محرمة دولياً، تحيل مباشرة إلى تشويه الجسد وتفتيته وتبخره (تذويبه)؛ ما ينزع عن الفلسطينيين أشكال الإنسانية حتى في موتهم، باستراتيجيات تدير فعل القتل الاستعماري بأساليب تحقق إهانة الجسد المقتول وإذلال المجتمع بأكمله. فليست هذه السياسات مجرد أفعال عسكرية، بل هي جزء من عملية أوسع للتحكم في المعنى الاجتماعي والسياسي للموت، ويتجاوز فيها استهداف الجسد الفلسطيني مرحلة القتل المادي إلى تدمير الرمزية المتصلة به واستهداف الهوية الفردية للجسد؛ أي إنّ قتل الجسد الفلسطيني بالتنشويه الاستعماري هو عملية إسرائيلية مزدوجة، تسعى إلى تأكيد هيمنة قوتها على الجسد بوصفه يمثل موقعا للعنف من جهة، وتدميراً للرمزيات النصالية المرتبطة بالجسد بوصفه موقعا للمقاومة - أيضاً - من جهة أخرى، مع التأكيد على أن هذه المرحلة على تبقى ارتباطاً مباشراً بالمرحلة الثالثة في بعض جوانب تحليل العنف المعنوي الكامن في تداعيات ممارسات تحليل فعل القتل المادي.

4.1 إعادة إنتاج الهيمنة من خلال الموت

شكّل السابع من أكتوبر حدثاً تجاوز هيمنة المستعمر المتمثلة في سرديّة تفوقه الأمني والاستخباراتي، وقدرته على ترسيم السلوك السياسي والوطني للفلسطينيين بالضغط والترهيب، وتعريفه لذاته بأنه "لا يقهر"؛ ما أحدث شرخاً في البنية السلطوية للمنظومة الاستعمارية التي تحدد العلاقة ما بين الإسرائيلي والفلسطيني من فوارق القوة على تعدد أوجهها. من هنا، يعدّ القتل

الممنهج في قطاع غزة أكثر من مجرد فعل إنهاء للحياة؛ إنه فعل رمزي يُعيد تعريف العلاقة بين المستعمر والمستعمر. بمعنى أنه ليس مجرد وسيلة لتحقيق أهداف عسكرية، بل هو استراتيجية لفرض هيمنة استعمارية مستدامة. وذلك يتضح في الشهادات المروية عن أساليب القتل التي تنتهجها إسرائيل، والتي تعكس تجاوز القتل بوصفه فعلاً إلى خلق استراتيجية ممارسة منهجية تستخدم الموت الناتج عنه أداة لتحقيق هيمنتها على المستعمر عبر محو أية رمزية تربطه بالمقاومة. أي إنها توظف القتل الاستعماري بوصفه آلية تحفظ لها استدامة سيطرتها الاستعمارية، من خلال نزع الإنسانية عن الضحايا ومحو كرامة الجسد الفلسطيني، وتعزيز حالات انهيار البنى الاجتماعية والنفسية للمجتمع الغزي.

فمثلاً تظهر إفادات الطواقم الطبية في غزة (المادة 1 و2، ملحق 2) استخدام الاحتلال لأساليب قتل الجسد بالتشويه وتحويله المتعمد إلى أشلاء مبعثرة، ودلالات الهيمنة في فعل القتل الاستعماري الجماعي للتأكيد على أنه ليس فقط أداة لإنهاء وجود الجسد، وإنما استراتيجية إسرائيلية لإعادة تشكيل وعي المستعمر وهويته ومكانته، فالعنف المفرط والقتل بالتشويه الجسدي في سياق الاستعمار يتجاوز مجرد العنف المادي إلى أداة تأكيد لهيمنة القوة الاستعمارية وتحويل الجثامين إلى رموز قمع وترهيب وردع؛ لرسم سياسات القوى وفرض السيادة الاستعمارية. ولا تقتصر أساليب القتل هذه على مجازر بعينها، فالمشاهد المرئية والشهادات المروية كافة، تثبت - على مدار أكثر من عام ونصف العام - كيفية عمل الاحتلال الإسرائيلي على إدارة الجسد الفلسطيني بالقتل والتشويه بوصفه فضاءاً للهيمنة السياسية وحيزاً للعنف الاستعماري.

إن تشويه الجسد بفعل الموت هو امتداد للسياسة الإسرائيلية الإحلالية، التي تهدف إلى إلغاء الجسد الفلسطيني، و"هذا المنطق من مؤسعة الذات الصهيونية في خانة القادر على الانتهاك، وموضوعة الآخر الفلسطيني بوصفه شيئاً في خانة القابل للانتهاك، هو جزء من المنطق الاستعماري" (ظاهر-ناشف وشلهوب-كيفوركين، 2015: 133)؛ فأساليب القتل هذه ليست فقط عملاً عنيفاً، بل أداء سيادي يهدف إلى إبراز إسرائيل مرة أخرى بوصفها خصماً لا يقهر عبر استعراض القوة على الجسد. وهذا الاستعراض العام للعنف والقتل الممنهج هو استراتيجية لتعزيز سيطرة المستعمر وإلغاء أنسنة الضحية، من منطلق أن السلوك الاستعراضي في القتل وخلق حالة من (فوضى الموت) هو أداة لفرض هيمنة تخدم السلطة الاستعمارية. وبهذا تعمل إسرائيل - في عدوانها الحالي - على تحويل القتل إلى أداء سياسي مسرحي لإبراز السلطة الاستعمارية وإدارة المستعمر على الخوف والخضوع؛ لتقويض إرادة المقاومة ومحو جدواها لديه، من خلال توظيف العنف المادي لتطويع الجمهور على التماهي مع الموت وتعزيز الشعور بالضعف والعجز بما يخدم الأهداف الاستعمارية. فالعنف الاستعماري فعل يعيد تشكيل وعي الشعوب المستعمرة وفقاً لأهداف المستعمر، فممارسات إسرائيل تجاه الفلسطينيين هي امتداد لنظام استعماري يهدف إلى السيطرة على الأرض والشعب من خلال العنف البنيوي الممنهج لترسيخ نظام الهيمنة.

ومنه يمكن ربط هذه الممارسات والسياسات الإسرائيلية تجاه الجسد الفلسطيني مع مفهوم "السياسات النيكر وبوليتيكية" (Necropolitics) التي أشار ميبيمي إلى أنها تُمارس بشكل أكثر وضوحاً في سياقات الاستعمار والاحتلال باستخدام الموت بوصفه أداة سياسية للسيطرة والإخضاع. فوفقاً له، فإنها تعني أن السلطة لا تتحكم فقط في كيفية عيش الأفراد، بل في كيفية موتهم أيضاً، ما يعكس سيطرة مطلقة على الجسد الفلسطيني. وبالتالي، يصبح الموت أداة فعالة لفرض الهيمنة السياسية والاجتماعية، ووسيلة لإرهاب المجتمع الفلسطيني، بما يسهم في إخضاعه وإحكام السيطرة عليه، فظهرت الشهادات والمرئيات أن الاحتلال يستخدم الموت شكلاً من أشكال السيادة، فيصبح القتل جزءاً من استراتيجية لإعادة تشكيل الحياة الاجتماعية الفلسطينية تحت شروط الاحتلال؛ فيستخدم الموت بشكل منهجي لفرض حالة دائمة من الخوف والعجز النفسي الذي يضمن بقاء الفلسطينيين في حالة ضعف وخضوع. وبهذا يفهم التوظيف السياسي لفعل الموت بالقول بأن القتل بوصفه هدفاً مرئياً في منظومة العنف الاستعماري التي تمارسها آلة الحرب في قطاع غزة، يتضمن أهدافاً سلطوية كامنة/غير مرئية، تتمثل في إعادة إنتاج الهيمنة بتجاوز تأثيرات عملية "طوفان الأقصى" فيها بأداء سيادي يبرز تفوق قوة "دولة الاحتلال" بعنف يعطل حضور الفلسطيني بوصفه فاعلاً في أية مقاومة ممكنة للاستعمار. فهو عنف يتجاوز جسد الفرد ليصبح هجوماً سلطوياً على الجسد الجمعي (المقاوم) للمجتمع الفلسطيني.

4.2 تعطيل "المعنى الوظيفي" للموت الاستشهادي

يتمثل التحليل الآخر لممارسات (إدارة هيئة القتل بالمحو والتشويه) في غايتها في تحييد الرمزية النضالية للموت الاستشهادي أو تعطيل الرمزية النضالية وتحويل الموت إلى "موت بلا معنى" عبر استهداف منظومة الشهيد، في محاولة لمحو الهوية النضالية المرتبطة بالشهادة، أو تفكيكها، فممارسات إماتة الجسد بالتشويه والمحو هي أداة لتشكيل صورة الفلسطيني "الضحية" بين الفلسطينيين أنفسهم، عبر محو صورة الفلسطيني "المقاوم" والفلسطيني "الشهيد". ويُعرف الموت، فلسطينياً، في سياق مواجهة المحتل بفعل (الاستشهاد) الذي يعبر عن استمرارية رفض الاحتلال وسلطته بثمن نفي الجسد. وعادةً حتى في سياق الحروب والمواجهة الجماعية المباشرة، يحافظ الفلسطيني على تعريف الموت بالشهادة حرصاً على تعطيل أهداف الاستعمار في فرض حالة الاستسلام باستخدام العنف، ولما في نمط "الموت الاستشهادي" من قوة رمزية تشكل حافزاً لاستمرارية المقاومة وقهر المحتل وإفقاذه غاياته.

من هنا تمثلت أولى استراتيجيات إسرائيل في استهداف منظومة الشهادة الفلسطينية، في خلق "حالة الاستثناء" التي عممت القتل والموت في القطاع لاستهداف المدنيين وليس المقاتلين فقط، بما في ذلك الأطفال والنساء، ما يصعب على الناس التعامل مع كثافة هذا الموت بوصفه استشهاداً، خاصةً أنه يخلو من إرادة الموت التي يمتلكها المقاتل المقاوم. وذلك بما يتيح لإسرائيل إمكانية فرض سرديتها الاستعمارية حول الموت الناتج عن المواجهة معها، وإعادة تأطيره بوصفه فعلاً فلسطينياً يخلو من

المعنى، انطلاقاً من موازين القوى التي لا تخضع لها منظومة الشهادة الفلسطينية. ذلك من خلال تغيير السردية الوطنية حول الموت الفلسطيني من "موت استشهادي" يُعدّ رمزاً للنضال والمقاومة إلى "موت كضحية" يُفقد المعنى النضالي وحالة الجدى في السياق الجمعي.

أما استراتيجيتها الثانية، فتتمثل في ممارسات كيفية إمامة جسد "الشهيد/ة" بالتشويه والتعذيب والمحو، التي تنزع عن الجسد المادي معالم هويته الاجتماعية بوصفه فرداً لتفقد هويته السياسية-الوطنية بصفته شهيداً، وهو ما تعكسه المراثيات والمرويات عن تعرّض الجثامين بفعل القتل الاستعماري إلى أشلاء متناثرة، أو تعرضها للتفحم بفعل الحرق أو للاختفاء بفعل التبخّر، بما لا يقتصر على العنف المادي بالنفي الجسدي، بل يمتد ليشمل عنفاً رمزياً بالنفي الوجودي للهوية، فيُحرم الجثمان من هويته وشخصيته، ومن الرموز الثقافية والاجتماعية المرتبطة به. فأكدت شهادات طبية (المادة 3، ملحق 2) على تعقيدات التعرف إلى جثامين الشهداء بسبب تشوه أجسادهم وغياب علامات هويتها نتيجة محو القتل الاستعماري. وهذا ما شاهدناه في عدّة صور، التقطها صحفيو غزّة لشواهد قبور كرتونية، كتب عليها عبارات مثل: "الشهيد مجهول.. جاكيت أسود"، "الشهيد مجهول لابس ترنق بني"، كما أكدت شهادات الأهالي (المادة 4 و 5 ملحق 2) على اعتمادهم في التعرف إلى أبنائهم عبر علامات جسدية جزئية كإصابات سابقة أو على تفاصيل ثانوية كالملاسل، بما يعكس كيف ينتج التشويه فجوة بين الإنسان واسمه والجسد وهويته. كما تفيد مصادر رسمية (المادة 6، ملحق 2) بعد مجزرة مستشفى الشفاء بأنها مجزرة عكست لحظة قصوى من سياسات تشويه هيئة الموت؛ ففي حرقها وتحللها في المستشفى تغيب كامل للضحية بإحالة جثثهم إلى "مخلفات حرب" بعد خروج قوات الاحتلال من المستشفى. كما امتازت حرب الإبادة الحالية بظاهرة اختفاء الجثامين وتبخرها بعد تعرضها للقتل؛ بسبب درجات الحرارة الهائلة المنبعثة من الصواريخ الإسرائيلية غير التقليدية حسب إفادة الجهاز الطبي (المادة 7 و 8، ملحق 2). وفي أغسطس 2024، وقد صرّح جهاز الدفاع المدني في قطاع غزّة بأنهم لم يتمكنوا من تسجيل بيانات أكثر من 1700 شهيد في السجلات الحكومية المختصة لتبخر أجسادهم بسبب الأسلحة المحرمة دولياً (الجزيرة نت، 18/8/2024).

وتُفسّر آليات القتل السابقة من خلال سوسيولوجيا جسد الشهيد الفلسطيني، التي تبين كيف أنّ القتل بالتشويه هو هجوم استعماري على الجسد بوصفه تمثيلاً للهوية الفلسطينية وللمقاومة، كما هو هجوم على الجسد بوصفه كياناً مادياً. وأنّ هذه السياسات ليست مجرد أفعال عسكرية، بل هي جزء من عملية أوسع للتحكم في المعنى الاجتماعي والسياسي للموت الاستشهادي، بما يفقد زخمه الرمزي والنضالي. وهو ما يمكن الكشف عنه في الحمولات السوسيوثقافية للجسد الفلسطيني والمعنى القيمي المكتسب من منطلق خصوصيته في السياق الاستعماري، والتي تفرض عليه أدواراً مركزية؛ اجتماعية وسياسية، حتى بعد موته الفيزيائي وفقدان وظيفته البيولوجية؛ فيصوّر الشعب الفلسطيني حالة الشهادة بأنها من بواعث استمرارية المقاومة، وفيها تجسّد لمعاني الكفاح والنضال.

وبهذا لا يمكننا "فهم أهمية الجسد الاجتماعية الكاملة إلا في سياق حتمية موت هذا الجسد" (شلنج، 2009: 230). فتتجلى أهمية جسد الشهيد/ة في الحالة الفلسطينية من القيمة الشعبية التي تمنح من تفاعله مع مادي مع المجال الاجتماعي والثقافي الذي جعله رهين قيم وتمثيلات علاقة المستعمر بالمستعمر، وفضاءاً للإسقاطات النفسية والاجتماعية، وموقعاً للقيم الفلسطينية المشتركة؛ كالمقاومة والتماسك الاجتماعي والتمسك الجمعي بالوطن، بوصفه ليس ملكية فردية فقط، وإنما يمثل ملكية جماعية (إيمان بدوي، 2023/1/12)، من خلال وظيفته المتمثلة في قدرته على "الحشد الجماهيري للحاضنة الشعبية للفعل الثوري وفعل المقاومة تبعاً للمكانة المجتمعية للشهيد الذي استخدم جسده أداة للفعل المقاوم وفعل الاحتجاج السياسي ... وبهذا تتشكل إحدى أدواره المركزية، فالجماعة الفلسطينية تعيد بناء ذاتها المقاومة من خلال رواية موت الشهيد، قصة مقاومته، المعاني السياسية والاجتماعية التي طبعته على جسده، صورته الشكلية، كم حاضنته الاجتماعية، سمات تشييعه، وطقوس توديعه" (بدوي، 2023). فلا يقتصر مفهوم الشهيد في السياق الفلسطيني فقط على موت الفرد في مواجهة الاحتلال، بل يمتد ليشمل رمزية جمعية تتعلق بالتضحية والصمود، فيشير استهداف إسرائيل لمنظومة الشهيد من خلال محو هذه المعاني والدلالات إلى مساعي إسرائيل في تفكيك الرمزية الثقافية والسياسية المرتبطة بالشهداء الفلسطينيين، عبر تفويض الدور الذي يلعبه الشهداء في تعزيز الروح المعنوية وبناء الهوية الوطنية والمقاومة لدى المجتمع الفلسطيني.

وبالتالي، تحاول إسرائيل "موضعة الشهيد/ة في هامش حيز الموت الفلسطيني وزمنه، وليس في مركزه، كما هو متبع في المجتمع الفلسطيني" (ظاهر-الناشف، 2016: 22)، عبر أساليبها في القتل التي تعدّ جزءاً من استراتيجية أوسع تهدف إلى تفكيك الروابط الاجتماعية والثقافية والسياسية بين الشهادة والهوية الجمعية الفلسطينية، التي تُعزّز من وحدة المجتمع الفلسطيني وقدرته على المقاومة واستخدام رموزه النضالية أدوات لتوحيد صفوفه ومواجهة الاحتلال؛ لتشكل بذلك امتداداً لسياسات الهيمنة الاستعمارية التي تستهدف الرمزية الجماعية بهدف إعادة تشكيل السردية والرمزية المرتبطة بالموت الفلسطيني بعد فصل الشهيد عن المجتمع وعن المعنى النضالي الذي يحمله بإفقاؤه أية قدرة على التأثير في الوعي الجمعي، ليُصبح الموت حالة من اللامعنى بتحويله إلى حدث فردي معزول، ليُصبح الجسد مجرد أداة في الصراع الذي تديره إسرائيل من منطق الإبادة، الذي يُحوّل القضية الفلسطينية إلى "مأساة إنسانية" فقط، مجردة من أي بعد سياسي.

ووفقاً لما سبق، فيمكن القول: إنّ ممارسات الإمامة هي سياسة تسعى لفرض سلطة الاستعمار على المعنى الوظيفي للموت الاستشهادي والدور/ الفاعلية السياسية والاجتماعية له، وعلى الشهيد بوصفه فاعلاً ثورياً ورمزية للمقاومة، وعلى وظيفته الجمعية في السياق الاستعماري، عبر محو البناء الرمزي الذي يمثله جسد الشهيد والمضامين السوسيوثقافية الفلسطينية فيه/التعاطي الاجتماعي معه؛ لتحويله من أداة مقاومة إلى أداة ضبط للجماعة الفلسطينية (من موقع المقاومة إلى موقع

(الاحتواء) بما يتجاوز حدود فردية الجسد، ويطال كل الجماعة الغزبية، عن طريق التشويه المادي للجسد الفلسطيني. فالشهيد المجهول أو الأشلاء الممزقة يصعب أن تُصبح رمزاً للمقاومة، فلا يمكن للناس الالتفاف حولها والارتباط بها عاطفياً أو سياسياً، فتشتت الأشلاء يُفقد المجتمع القدرة على التماسك حول جثمان الشهيد، فتُصبح كل "جزء" من الجسد مجرد دليل على العنف والدمار، دون أن يحمل رمزية واضحة للنضال والمقاومة، كما أن هذه الأشلاء تجعل من الصعب التعرف إلى هوية الشهيد، فبدلاً من أن يكون الجثمان كتلة مادية تحمل هوية وشخصية، يُصبح مجرد أجزاء متناثرة تُصعب عملية تحديد الهوية؛ ما يعني فقدان القدرة على استخدام الشهداء رموز تعبئة جماهيرية، ويجعل من الصعب استخدام موتهم أداة لتحفيز المقاومة، وهو ما يجعل الموت يفقد قيمته الرمزية النضالية، ويُبقيه في نطاق الفقد الشخصي والعجز الجماعي، ويجعل الجثامين تفقد قيمتها بوصفها رموز مقاومة، وتبقى مجرد أدوات في يد السلطة، تُستخدم لتحقيق أهداف سياسية وأمنية.

وعليه، تسهم سياسات التشويه في تحويل الموت إلى "موت بلا معنى" وحالة من اللاجدوى؛ ليصبح مجرد "موت فيزيائي"، حيث يُفقد الموت الاستشهادي وظيفته الرمزية في سرديات المقاومة وفقاً لما يحمله من دلالات ثقافية وسياسية، وقيمة اجتماعية؛ لأن تشويه الأجساد يُعطل الرموز الثقافية والاجتماعية المرتبطة بالجسد، ما يؤدي إلى زعزعة البناء الاجتماعي الفلسطيني وتفكيك الروابط بين الفرد ومجتمعه المستعمر، كاستراتيجية لإعادة تشكيل مكانته الاجتماعية وتقويض هويته النضالية؛ تحقيقاً لتشكيل صياغة استعمارية جديدة للمعاني الرمزية والاجتماعية الوطنية وحتى السياسية منها، المرتبطة بالمقاومة والاستشهاد، من خلال فصلها عن السياق الجمعي الذي يضفي عليها الجدوى والمعنى لتحويلها إلى أدوات قمع؛ ذلك لأن "إرادة الخيار الجماعية التي تقف في أساس منظومة الشهيد بحد ذاتها تنفي رمزياً سلطة النظام الاستعماري على إدارة شؤون الموت الجماعي الفلسطيني" (الناشف، 2015: 86).

5. ثالثاً: مرحلة ما بعد القتل (التعطيل والحرمان)

تستمر إسرائيل في استهداف جسد المستعمر في سياق خلقها وإدارتها لبنية الإمامة في قطاع غزة إلى ما بعد مرحلة القتل؛ فتستخدم سياسات في التعامل مع جثامين الفلسطينيين، يمتد تأثيرها ليشمل العائلات والمجتمع الفلسطيني عامة، والتي يمكن فهمها في سياق أوسع لسياسات الحاكمية الاستعمارية عبر تسييس الجسد الميت، فتفرض سيادتها على الجثامين التي تحولها إلى أدوات هيمنة للسلطة الاستعمارية، وبما يهدف إلى تحقيق مجموعة من الأهداف السياسية والأمنية والنفسية. فلا يُعدّ القتل نهاية الفعل السياسي الإسرائيلي، بل يُستخدم الموت لتوجيه رسائل سياسية استعمارية. وعليه يناقش هذا المحور الممارسات الإسرائيلية التي تُجسد قدرة الاستعمار على التحكم بالجسد الفلسطيني حتى بعد الموت، حيث يتحول كل من فعل الموت الفلسطيني والجثامين إلى ساحة أخرى للصراع والسلطة، يتم فيها استخدام الموت أداة لردع المجتمع الفلسطيني وإخضاعه وترسيخ الهيمنة الإسرائيلية؛ السياسية والاجتماعية.

وذلك بفعل التحكم في مصيرهم حتى بعد موتهم من خلال ممارسات تتجاوز البعد المادي للعنف وهدف تدمير الأفراد وإفقادهم وجودهم المادي، ليس ذلك فحسب، بل تتجاوز ذلك لتطال الروابط الاجتماعية والعائلية، والذاكرة الجماعية، والكرامة الإنسانية، والرموز الثقافية والدينية، وتحوّل الموت إلى عملية تنطوي على مزيد من الإذلال والإخضاع للأحياء، وشكل من أشكال العقاب الجماعي، ما يعكس منطقاً استعماريّاً يرى الأجساد (حتى بعد الموت) موارد يمكن استغلالها لخدمة أهداف السلطة.

ذلك ما سيعكس -تالياً- منطقاً استثنائياً يستمر حتى ما بعد حيونة الجسد وإماتته، وبما يتجاوز ما يخلقه من "حياة مجردة" وفقاً لوصف أغامبين، والتي ظهرت تجلياتها في المرحلتين السابقتين. فالسيطرة المطلقة لإسرائيل على الجسد الفلسطيني حتى بعد موته، تتجاوز الحياة البيولوجية إلى التحكم في "الموت المجرد" في هذه المرحلة، تبعاً لممارسة السلطة على الجسد حتى بعد الموت عبر تجريدهم وتجريد مجتمعهم من حقوقهم لما بعد فعل الموت، وتجريد الجثمان من كرامته الإنسانية وسلبه حقه في الدفن، ما يجعل من الجثامين مجرد وسائل وأدوات ضغط سياسية، بدلاً من النظر إليها مسألة إنسانية بحتة. وهو ما يُعدّ جزءاً من بنية الإمامة التي تحول من خلالها إسرائيل (بنية الفقدان) والمشاعر الجمعية المرتبطة بالعنف إلى جانب (بنية الموت) ذاتها بمجالاته الزمانية والمكانية، إلى مساحات استعمارية للاستهداف وفق الفهم الآتي:

5.1 بين التعطيل والعسكرة: الاستهداف الإسرائيلي لبنية الفقدان

يرتكز هذا المحور على فهم السيادة الاستعمارية، إلى المشاعر بالتحكم في عملية الحداد وتعطيل طقوس الموت والحزن والوداع، وتأثير ذلك في الشفاء الجمعي والمجتمعي ودوره في تعميق الصدمة النفسية الجماعية. ذلك من خلال ممارسات عسكرة المقابر (بتجريفها وخلق الجماعة منها) والسيطرة على الفضاء الجنائزي التقليدي لتعطيل طقوس الحداد التي تعد جزءاً أساسياً من التعامل مع الفقد، عبر تشويه الجثامين وتحللها وسلب قدرة ذويها على توديعها، ونبش القبور والتركيك العمراني فوق الجثامين، إلى جانب مجهوليتها ودفنها وحرمان الأهالي من معرفة أمكنتها، بما يفرض سيطرة مادية ورمزية على فضاء الموت وطقوسه، ويُعدّ نوعاً من العقاب الجماعي لأسر الضحايا بوصفه حالة من العنف المستمر الذي يؤثر في النسيج الاجتماعي ويخلق آثاراً نفسية عميقة (De León, 2015: 71)، تتجاوز الموت هذا الفعل المادي نفسه ليصل إلى البنية النفسية والاجتماعية للمجتمع الغزبي. فلا يقتصر العنف الصهيوني الذي يشكل جزءاً من نفس الظاهرة الصهيونية مهما تعددت أشكاله وتجلياته (المسيري، 2001: 5) على أدوات الهيمنة المادية؛ فتجمع سياسات الاحتلال ممارسات العنف المباشر

وغير المباشر في إطار عنفها البنيوي، وهو ما يُعزز بنية الإمامة. فيُنظر إلى تلك الممارسات بأنها جزء من استراتيجية تهدف إلى تجريد الشعب من حقوقه الإنسانية في حاليّ الحياة والموت.

في مطلع أغسطس 2024، بثت قناة الجزيرة مقطع فيديو يوثق تسليم قوات الاحتلال عشرات الجثامين لشهداء مجهولي الهوية إلى مستشفى ناصر الطبي بعد أن انتشلتها من غرة واحتجزتها، ويظهر البث كيف وصلت الجثامين متحللة، وبصعب التعرف إليها، وتم دفنها في مقبرة جماعية في خانيونس، كما سبق في أبريل 2024، أن أعلن جهاز الدفاع المدني عن اكتشاف ثلاثة مقابر جماعية في مجمع ناصر الطبي، جرى بعدها انتشال 58 جثماناً جديداً، لم تعرف هوية 58% منها، بسبب تحللها وتتكيل جنود الاحتلال بها وسرقة أعضاء بعضها (ألتر صوت، 2024/4/26). وفي هذه الحادثة، توثق الشهادات الشخصية والميدانية (المادة 1، الملحق 3) تجاوز فعل الممارسات العنيفة الموت المادي لتشمل العنف الرمزي بالحرمان من الوداع والدفن الرسمي، ذلك في تدليل على أهمية تعرف الأهالي إلى جثامين أبنائهم تبعاً لأهمية شعورهم في (يقينية) موتهم وضرورة التأكد من إكرامهم بالدفن اللائق لضرورته النفسية للمحيط الاجتماعي للشهيد. فإبقاء العائلات في حالة انتظار وعدم يقين من معرفة مصير أبنائهم أو مكان دفنهم، يؤدي إلى تفاقم الشعور بالفقدان واستمرار المعاناة، وعدم القدرة على إغلاق دائرة الحزن.

كما تتمثل صور الهيمنة النفسية بإخضاع العواطف النفسية إلى حزن مفتوح ومستمر في ممارسات انتهاك الجثامين بعد دفن العائلات لها، عبر نبش القبور وممارسات سرقة الجثامين؛ فتعكس شهادات الأهالي (المادة 2 و3، ملحق 3) كيف يعمل الاحتلال على إعادة إنتاج مشاعر الحزن ومرحلة الحداد، بالسيطرة على "الذاكرة المادية" وتحويل الجثمان لأداة هيمنة حتى بعد الموت، ما يعكس مركزية المكان (القبر ميدان للبحث الرمزي عن المعنى وليس مجرد موقع دفن) في سياسات ما بعد القتل.

يضاف إلى ذلك، حالة تركيم العمران فوق الجثامين، الذي يعطل عملية الوداع ويمنع مرحلة الدفن، في صورة تؤسس لعلاقة بين الجسد الميت والبنية المدمرة، لتعكس محاولة المستعمر لإلغاء وجود الجسد من خلال تدمير البيئة الحاضنة له والمتفاعلة معه (المادة 4، ملحق 3)؛ فسلب القدرة على الدفن جزء من سياسة أوسع، تهدف إلى إلحاق الأذى النفسي والاجتماعي بالمجتمع الفلسطيني من خلال تعطيل التعافي والتماسك أمام تلك الاستهدافات، في محاولة لتدمير بنية الحزن والحداد والكرامة الإنسانية، بما يؤدي إلى تعقيد عملية الشفاء والتأقلم مع الفقدان لتعزيز الشعور بالانهيار الجماعي، ويبقي المجتمع في حالة من الحداد المعلق بفعل (تجميد الزمان وحصر المكان) لتعطيل حركة الزمن الطبيعي للحداد والشفاء، وحصر عملية الدفن أو انتهاك مكانها. و"يمثل الحداد في الثقافة الفلسطينية أكثر من مجرد استجابة نفسية للفقدان؛ فممارسات الحداد ليست مجرد عملية فردية بل هي نشاط جماعي وجزء من النسيج الثقافي والاجتماعي الفلسطيني، تتيح للمجتمع تجاوز الصدمة عبر التواصل العاطفي والتضامن الاجتماعي والدعم النفسي بوصفها وظائف اجتماعية للحداد" (بدوي، 2025/2/26)، الذي تشكل ممارساته - أيضاً - عملية رمزية تحول الأفراد من "ضحايا" إلى "شهداء" ذوي دلالات سياسية وتضحية، ما يجعل استهدافها محاولة لإسكات الرواية الفلسطينية وقمع رموز الهوية الوطنية (بدوي، 2025)؛ فلا ينظر الاحتلال الإسرائيلي إلى الجسد الفلسطيني بوصفه إنساناً بل رمزا سياسياً؛ لأن "جسد الفلسطيني/ة كان دوماً محلاً لصوغ علاقات السيادة والانتفاض عليها، لا موقعاً لعلاقات السيادة-العبودية كما أدعي غير مرة" (ظاهر-الناشف، 2019: 80).

وبهذا تلعب "حالة الاستثناء" التي فرضتها إسرائيل في القطاع وعليه، دوراً في حرمان المجتمع من تنظيم جنازات وإتمام الدفن وممارسة حقه في الحداد، سواء بسبب طبيعة الممارسات والاستهدافات المباشرة وغير المباشرة للجثامين، أو بسبب الحصار والقيود المفروضة على الحركة والتجمع. فمن جهة، يؤدي تحلل الجثامين إلى إضعاف الارتباط العاطفي بين العائلات، فهم يفقدون القدرة على إقامة طقوس الحداد المناسبة، ما يعمق الجرح النفسي ويُبقيهم في حالة من الألم والشعور بالعجز، كما أنه يُحوّل الجثمان من كيان يحمل هوية إلى مجرد بقايا مادية لا تحمل أية رمزية تُذكر. ومن جهة أخرى، يؤدي منع عملية الدفن أو إعاقتها إلى قمع العواطف الجماعية وتحويل الحداد إلى حالة فردية ومكبوتة، وإلغاء الطابع الجماعي لممارسة الحداد الفلسطيني، وحرمان المجتمع من ممارسة طقوسه الثقافية والدينية والوطنية. فمنع الطقوس الجنائزية هو استراتيجية تهدف إلى تعطيل عملية الحداد الجماعي الفلسطيني وفصل الموت عن رمزيته الثقافية، لتحويل الحزن إلى أدوات قهر فردية ومعزولة.

5.2 استهداف بنية الموت ومكانيته

تتمثل السيادة الاستعمارية على بُنية الموت بمحاولات تعطيل دورته الزمانية ومحو دورته الثقافية والرمزية، إلى جانب إدارة مجالاته/حيزاته الزمكانية، وهو ما يتشابه في إحدى أبعاده مع المحور السابق وفيه - هنا - محاولة تحليل كيف دُمجت أمكنة الموت بكلّ أحياز الحياة ومرافقها وفُرضت السيادة على مثوى الجسد ومكان الدفن وعلى المقابر؛ لفهم دور ذلك في ترسيخ ذاكرة الموت وأمكنته في فضاءات الحياة التي - بدورها - ستبقى تُعيد إنتاج ذاكرة الحرب.

5.2.1 تعطيل المسار الخطي للموت ودورته الدائرية

يعرف الموت بأنه نهاية المسار الحياتي للفرد الذي يبدأ بالولادة وينتهي بالوفاة بشكل عبور خطي، ويكون الدفن هو المرحلة الأخيرة من هذا المسار الذي يُعدّ التعامل مع الجثمان بطقوس الجنازة فيه جزءاً من خطيّة العبور. لكن توصلت "سهاد الناشف" في دراسة أجرتها حول سياسة إسرائيل في اعتقال الجثامين إلى (لولبية/دائرية) طقوس هذا العبور في السياق

الفلسطيني وليس خطيته، بالاعتماد على تحليل هذه السياسة التي يعلّق فيها الموت بحرمان الجثامين من الدفن عبر وضعهم بثلاجات الموتى (Suhad Daher-Nashif, 2020)، أو في منع عائلاتهم من دفنهم وفقاً للطقوس الجنائزية التي تعيد تعريف جثمان الشهيد بوصفه رمز مقاومة من خلال دفنه بمقابر الأرقام التي تسلبه هويته بوصفه فاعلاً اجتماعياً وسياسياً في فعل المقاومة وتمثلاته. وذلك على الاعتقاد بأن المجتمع يرغب في استعادة الجثمان من إسرائيل ليقوم هو باحتوائه ضمن سيرورة الاحتواء الاجتماعية للموت، وفي الطقوس التي تليق به؛ ليقوم جسد الشهيد بدور السياسي والاجتماعي (ظاهر-الناشف، 2016: 30). بينما في العدوان الحالي على قطاع غزة، يمكن أن نرى كيف أن إسرائيل تعطل المجال الزمني للموت سواء أكان مساراً خطياً أم دورة دائرية. فإذا عدنا الدفن هو المرحلة الأخيرة في المسار الخطي، فسندري أن إسرائيل تحرم الجثمان من هذا المسار الطبيعي، وإذا عدناه طقساً لمرحلة انتقالية على شكل عبور دائري، يعيد دمج الفرد في النسيج الاجتماعي للحياة، أو يبعثه رمزياً من خلال الرمزية والحفاظ على استمراريته في الذاكرة، أو في الأفعال الكامنة في منظومة الاستشهاد، التي للطقوس الجنائزية الجماهيرية دور مهم فيها، سنلاحظ أن إسرائيل تحرم الجثمان والعائلات من ذلك أيضاً. وفي هذا تؤكد شهادة ميدانية (المادة 5، ملحق 3) كيف تحول الدفن لفعل فردي معزول، يعكس تفرغ الجنائز من أبعادها المجتمعية والسياسية ليحول الحداد من حدث عام إلى تجربة معاناة ذاتية.

ويتمثل ذلك كله في سياسات التحكم في المجالين؛ الزماني والمكان للموت والدفن، وبما يتعدى ممارسات اعتقال الجثامين واحتجازها إلى ما هو مستحدث أكثر في سياق الإبادة الحالية، كسرقة الجثامين من المقابر، ونش القبور، وتجريف المقابر، وسياسات تركيم العمران فوق الجثامين، وتجميد مرحلة الدفن الاجتماعية أو تعليقها وإعاقتها، أو الحرمان الكلي منها وفقاً لممارسات القتل التي تعمل على تفتيت الجسد أو حرقه وذوبانه أو تخيره واختفائه. هذا التعطيل يؤدي إلى تعليق مؤلم للموت، يؤثر في العائلات التي تظل غير قادرة على تجاوز الفقد، عبر إبقاء الموت مفتوحاً؛ فهذه السياسات تخلق حالة من عدم الإغلاق، بجعل الموت حالة مستمرة وليست نهائية، ويزيد حالة الحزن المجتمعي، ويبقي العائلات في حالة من عدم اليقين والحداد المستمر، إلى جانب القلق الوجودي بوصف الموت حياً وجودياً، وفي التحكم بهذا الحد النهائي بعدم دفن الجثمان، أو في انتهاكه بعد الدفن واستهداف بنية الفقدان، تخلق حالة من الوجود المؤقت بتأجيل الموت بوصفه حدثاً نهائياً. ففي المسار الخطي؛ يفترض أن يُنهي الموت حياة الفرد وينتقل المجتمع إلى حالة الحداد ومن ثم التعافي. ولكن بعرقلة ذلك ومنعه، يتجمد الزمن الاجتماعي وتتعلل عملية الحداد الطبيعي، فلا يستطيع المجتمع تجاوز حالة الفقد والانتقال إلى مرحلة الشفاء، وهو ما "يصبو لفرض السيادة على كينونة الميتة وعلى كيفية حزن العائلة وكذلك". أي أن الاستعمار هو السيادة على المشاعر وعلى كيفية التعبير عنها أيضاً (ظاهر-الناشف، 2019: 88). مثلاً؛ عبرت زوجة الشهيد الطبيب عدنان البرش، الذي استشهد تحت التعذيب في معتقل الاحتلال، عن القلق الوجودي المرتبط بمكان الدفن وضرورة استعادة حق السيادة العائلية على فعل الوداع، ففيها يتجلى غياب الجثمان بوصفه فقداً مزدوجاً للجسد ولطقس وداعه، وتحمل الرغبة في استعادة الجثمان أبعاداً تتجاوز الحزن الشخصي إلى المطالبة بحق الدفن.

ومن الأمثلة الأخرى على إعاقة نهائية الموت بوصفه حذاً، وإعادة إدارة علاقة السكان بالموت بفرض السيطرة على طقس الدفن، ما يتجسد في وصف تكرار عملية الدفن بعد نبش القبور أو سرقة الجثامين (المادة 7، الملحق 3) تعبيراً عن إعادة إنتاج الفقدان بوصفه بنية رسمية، وتحويل طقس الدفن إلى مساحة لإعادة القتل رمزياً.

وفي الدورة الدائرية؛ يُعدّ الشهداء جزءاً من دورة أو عملية ثقافية-اجتماعية تُعيد إحياء الهوية والمقاومة، لكن منع التشييع والدفن وفقاً للتقاليد الدينية والثقافية، يؤدي إلى قطع الدورة الرمزية التي يستخدمها المجتمع في بناء هويته النضالية وتعزيز قدرته على الصمود، بالنظر إلى الشهداء رموزاً جماعية للمقاومة والتضحية في الذاكرة الجمعية التي تُغذي الهوية الفلسطينية. أي أنّ سلطة إسرائيل حتى على "سياق الموت الزماني والمكاني وطقوس الموت وشكله، هو محاولة لتغييب طقوس حالة الشهادة لدى الجماعة الفلسطينية، وانتهاك لكرامة الشهيد وخصوصيته الكامنة في العُرف المجتمعي الذي يرى في حالة الشهادة معنىً للنضال وسبباً للمقاومة والرغبة في الانتصار" (بدوي، 2023). ذلك يعني أنّ إسرائيل تتحكم في طريقة تعامل المجتمع مع الموت، وتجعل من الموت نفسه ساحة للصراع، وتستخدم سيطرتها على الجثامين بوصفها أداة للهيمنة والإذلال وإضعاف المجتمع الفلسطيني، وسلب الشهيد قدرته على التأثير في الوعي الجمعي، وللتحكم في الذاكرة الفلسطينية وكيفية تذكر الشهداء ومحاولات بناء هوية سياسية جامعة. وعليه تُظهر هذه الممارسات كيف أن الموت، بوصفه فعلاً استعمارياً، لا يُعدّ نهاية، بل هو استمرار للصراع بوسائل أخرى، كما يمثل سياسة قمع وسلطة مزدوجة، تستهدف حياة كل من الفرد وجماعته ومجتمعه.

5.2.2 الدفن العشوائي: تحويل فضاءات الحياة (العامة) إلى مساحات موت (مقابر)

لم تقتصر ممارسة إسرائيل سيطرتها على المجالات المكانية للموت من خلال تحويل أماكن الحياة اليومية إلى أماكن للموت، بقصف المنازل، والمدارس، والمستشفيات، والأسواق والملاجئ، وغيرها من المساحات التي يفترض أن تشكل أماكن وملاذات آمنة، وهذا ما يمكن دراسته وفقاً لدراسات المكان. بينما في سياق البحث الحالي، يمكن ربط تحويل أماكن الحياة إلى أماكن للموت بممارسات الدفن العشوائي والمقابر الجماعية، ليصبح الموت ذاته جزءاً من استراتيجية أوسع لإعادة تشكيل الفضاءات المعيشية؛ فتشكل حالة الاضطراب إلى إنتاج القبور العشوائية؛ الفردية والجماعية، نتيجة تقييد الوصول إلى المقابر العامة بسبب القصف الكثيف واستهداف المشيعين أو نتيجة تجريف القبور وسرقة الجثامين أو بعثرتها، مع اضطراب الناس إلى دفن موتاهم بسرعة وإكرامهم، بُعداً إضافياً للسيطرة على الجسد الفلسطيني بعد قتله بالتحكم في كيفية دفنه ومكان

دفعه وحيزه الخاص في ما هو متعارف عليه اجتماعيًا وثقافيًا ودينيًا، عبر تحويل الفضاءات المعيشية إلى مقابر، "فلقد زحفت مجالات الموت المقدسة التي يفترض بها الانزواء في هوامش المدن ومناطقها الحدية، باتجاه المركز لتقتحم عصب الحياة وتجعل منه مجالًا مزدوجًا لنشر معاني الحياة والموت في آن واحد" (عروبة عثمان، 2024/4/24)، وتحويل أي مساحة إلى موقع للعنف والموت.

في بداية العدوان مثلاً، جرى دفن 179 جثة في قبر جماعي في ساحة مجمع الشفاء الطبي، وكان من بينها سبع جثث أطفال خدج، توفوا من جراء انقطاع الكهرباء، واضطرت إدارة المستشفى إلى فعل ذلك بسبب بدء تحلل الجثث نتيجة حصار جيش الاحتلال للمجمع الطبي بشكل كامل، وذكر فراس عبد الله للعربي الجديد كيف قام بدفن شقيقه وطفله في أحد الشوارع الفرعية نتيجة الحصار المفروض على مخيم جباليا، وهو ما جعل الصحافي أنس الشريف يضطر إلى "دفن جثمان والده داخل باحة إحدى المدارس؛ كون الاحتلال يحاصر مخيم جباليا من كل الجهات.. كما دفن العشرات من المحاصرين في الشمال ومدينة غزة جثث ذويهم داخل ملاعب المدارس التابعة لوكالة الأونروا والمدارس الحكومية (أمجد ياغي، 2023/12/12). يقول إسماعيل الخضري إنه كان، كغيره من الغزيين، عاجزاً عن الوصول إلى أي من المقابر في مدينة غزة، وإنه دفن والدته وثلاثة من أفراد عائلته داخل إحدى المدارس بوسط مدينة غزة " (ياغي، 2023). كما يذكر أحمد الحداد أنه دفن عدداً من أصدقائه وأفراداً من عائلتي المدهون وسكر في شوارع مخيم جباليا وشوارع مطلة على منطقة مشروع بيت لاهيا، بالقرب من أنقاض المنازل المدمرة. وبضيف:

"قمنا بدفن الكثير من الأشلاء البشرية، وكتبنا على القبور أسماء العائلات والأشخاص الذين تمكنا من التعرف إليهم، أو عبر أقاربهم الذين تعرفوا إلى أشلاء الأجساد الواضحة. كان البعض يحضرون الرمل من خارج المخيم لاستخدامه في الدفن، فغالبية أراضي المخيم إسفلتت." (ياغي، 2023)

يعكس تحويل أمكنة الحياة إلى أمكنة للموت والدفن، تغييراً جذرياً في طبيعة الأماكن التي كانت في الأصل فضاءات معيشية، لتصبح فضاءات يُمارَس فيها الموت والعنف. هذا التحول يتجاوز الجانب المادي ليشمل الأبعاد الرمزية والنفسية والاجتماعية، ما يُعيد تشكيل إدراك الناس لهذه الأماكن بفعل تعطيل دور هذه الفضاءات ومحو معانيها واختراقها وتدمير رمزياتها، بعد إعادة تعريفها من فضاءات اجتماعية وحياتية إلى رموز قمع وعنف وسيطرة، لإعادة تشكيل المعاني الاجتماعية والثقافية المرتبطة فيها وفرض معانٍ جديدة عليها، فيُصبح الحيز الحياتي مكاناً للرعب وشاهدًا على الموت بدلاً من أن يكون مكاناً للأمان والحياة. أو بأقل تقدير يُصبح هناك تداخل بين الحياة والموت بتحويلها إلى فضاءات مشتركة بينهما. هذا التحول يُغيّر طبيعة الفضاء، ويُحدث شرخاً في الإدراك الجماعي لأماكن كالمدراس، والمستشفيات، والأحياء السكنية، والمنازل، ومراكز الإيواء، والشوارع العامة والمرافق الإنسانية؛ لتُصبح مشبعة بمعاني الموت المجرد، بما يعيد إنتاج ذاكرة الحرب بعد انتهائها ويجذر بنية الإماتة في القطاع.

إنَّ السيطرة على المكان من منطلق السيطرة على الجثامين، هو محاولة لإعادة صياغة المكان بما يتوافق مع الأهداف السياسية والأيدولوجية للاحتلال. وهو ما يمكن مقارنته مع منظور هنري لوفيفر حول "إنتاج الفضاء" (Lefebvre, 1991) بوصفها عملية تعيد السلطة من خلالها تشكيل المكان بما يتناسب مع رؤيتها ومصالحها، وتستخدمه أداة للسيطرة والتحكم. فإلى جانب انتهاك الحيز الخاص والفضاءات الحياتية ومجال دفن الجثامين، فإنَّ إسرائيل تهدف بذلك إلى إنتاج حالة تطبيع الموت. أي جعله عادياً ومتوقَّعاً ومُدمجاً في الحياة اليومية بشكلٍ مستمر ومتواتر، ما يفقد الناس الحساسية تجاه الموت بوصفه ظاهرة، ويُفقد أي دلالة استثنائية أو رمزية عبر التعايش معه في مختلف المساحات، كما أن اعتياد رؤية الجثامين والقبور يؤدي إلى تقويضه، أو نفي القيمة الإنسانية والمادية للضحايا والجثامين والتفاعل معها بشكل عاطفي بالزخم ذاته مع حالة الموت العادي (الفردية) وليس المجتمعي. وذلك يُسهم في تطبيع فكرة الموت بوصفها نهاية مادية فقط، ويُفقد المجتمع القدرة على التعامل معه بشكل طبيعي-تقليدي وإنساني؛ ما يؤدي إلى تجريد الموت من معناه الروحي والاجتماعي، كما يُفقد الموتى طقوسهم التقليدية. ليُصبح الدفن مجرد إجراء لضرورة التخلص من الجثامين دون مراعاة للطقوس والرموز المرتبطة بالموت والموتى.

6. الخاتمة

تكشف هذه الدراسة - من خلال تحليل بنية الإماتة - أن إسرائيل تمارس القتل في سياق حرب الإبادة في غزة، بوصفه بنية سيادة مستدامة، تُنتج الفلسطيني بوصفه جسداً مستباحاً و"حياة عارية" (bare life) كما يصوغها أغامبين، ليصبح جسده في هذا السياق موضوعاً للسياسات النيكروليتية، وفقاً لما يطرحة ميممي. ولا تُختزل الإماتة في فعل القتل بوصفه نهاية للفعل الاستعماري على الجسد، بل تُفهم بوصفها ممارسة استعمارية متواصلة تُعيد إنتاج ذاتها عبر استراتيجيات متعددة، تُخضع الفلسطينيين أحياءً وأمواتاً لمنطق السيادة المطلقة. فقد أظهرت الدراسة أن بنية الإماتة تتجلى عبر ثلاث لحظات متداخلة ومتراكبة، تُخضع الأجساد الفلسطينية لمنطق السيادة الكلية، من لحظة ما قبل القتل، مروراً بلحظة الموت، ووصولاً إلى ما بعده.

ففي مرحلة ما قبل القتل، تتجسد البنية التحتية للإماتة من خلال مأسسة بيئة مادية وسياسية تهيب للقتل وتشر عنه. أما القتل ذاته، فلا يُمثل ذروة السيادة على الجسد فقط، بل يؤسس لإعادة تشكيل رمزية الموت الفلسطيني، وقولبته ضمن سردية استعمارية تُفرغ الاستشهاد من مضامينه السياسية والاجتماعية والثقافية. وفيما بعد القتل، تمتد السياسات السيادة

النيكروبوليتيكية إلى ما هو أبعد من الجسد الحي، لتطال الجثمان، والطقوس والمشاعر، والذاكرة الجمعية، عبر تحويل الجسد الميت إلى وسيط للسيطرة على الحي. ويبين البحث كيف تعامل إسرائيل الجسد الفلسطيني في غزة بوصفه موتاً يجب إخضاعه، والتمثيل بهيئته، والسيادة على شروط ظهوره في المجال العام. فتنضم بنية الإمامة ما هو أكثر من مجرد قتل جسدي، بوصفها عملية شاملة تؤثر في الوجود الفلسطيني بجميع جوانبه. فالتدمير الجسدي يترافق مع هجمات على الهوية والكيونة الجماعية وانتهاك للأنسنة والمشاعر؛ ما ينتج عنه تأثيرات طويلة الأمد في المجتمع وذاكرته وبنياته المختلفة. ففي استكشاف المراحل السابقة يمكن فهم كيف تتداخل السياسات الاستعمارية عبر ديناميكيات تشكّل إطاراً مركباً، يوضح كيف أنّ الجسد الفلسطيني مبرمج لقتله استعمارياً، وأنّ كل جانب من جوانب العنف الممارس عليه ليس منفصلاً عن الآخر، بل يندمج في نظام استعماري متكامل، يعمل على تجريد الفلسطينيين من إنسانيتهم وحقوقهم في الحياة والموت. ذلك ما يتبيّن من الترابط الديناميكي للمراحل السابقة في تأثيرها في بعضها البعض، أو تشكيل كلٍ منهما للآخر بما يعكس الطابع المستمر لدورة العنف على الأجساد الفلسطينية، الذي لا ينتهي عند أيٍّ من المراحل التي تتداخل في بنية الإمامة، وتتفاعل ضمنها باستمرار، بما يخضع حتى الموتى لمنطق السيادة. من هذا المنظور، تُكمن أهمية هذه الدراسة في كشفها عن البنية المتكاملة للعنف الاستعماري، وتقديمها قراءة سوسيولوجية نقدية، تُمكن من تفكيك العلاقة بين الاستعمار الإسرائيلي والسيطرة على الأجساد والجثامين، وتُظهر أن القتل في السياق الفلسطيني لا يُنهي الفعل الاستعماري على الأجساد، بل يَدشن مرحلة أخرى منه، تستهدف الموتى من جهة، وبنية الجماعة وعلاقتها بذاكرتها وموتها من جهة أخرى. وبالتالي، يصبح الجسد الفلسطيني في ضوء ما سبق، حقلاً سياسياً يتداخل فيه العنف المادي مع العنف الرمزي، وتتفاعل فيه السيادة الحيوية مع السيادة النيكروية، في عملية مستمرة من نزع الإنسانية وإعادة إنتاج القتل بوصفه أفقاً وجودياً للفلسطينيين في غزة التي تحولت لمنطق استثنائي دائم.

7. المصادر والمراجع

7.1 المراجع العربية

- أغامبين، جورجيو. (2015). حالة الاستثناء: الإنسان الحرام 1-2 (ناصر إسماعيل، ترجمة). القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر.
- ألتر صوت. (2024، 26 أبريل). مقابر جماعية وسرقة أعضاء.. جرائم متعددة للجيش الإسرائيلي في خان يونس. تم الاسترجاع في 7 نوفمبر 2024، من <https://www.ultrasawt.com/...>
- بدوي، إيمان. (2023، 12 يناير). احتجاز جثامين الشهداء... سلطة الاستعمار على الموت الفلسطيني. فسحة ثقافية-فلسطينية، عرب48. تم الاسترجاع في 11 نوفمبر 2024، من <https://www.arab48.com/...>
- بدوي، إيمان. (2025، 26 فبراير). حصار الفقدان واستهدافه.. عن الحزن والحداد في سياق الإبادة الإسرائيلية. منصة إطار. تم الاسترجاع في 26 فبراير 2025، من <https://etar.info/IRI>
- الجزيرة نت. (2024، 18 أغسطس). الدفاع المدني بغزة: جثث 1760 شهيداً تبخرت بسبب الأسلحة المحرمة دولياً. الجزيرة نت. تم الاسترجاع في 7 نوفمبر 2024، من <https://www.aljazeera.net/...>
- شطارة، عامر، ودعاء نصار. (2022). مفهوم السياسات الحيوية بين ميشيل فوكو وجورجيو أغامبين. مجلة تبين، (40)، 93-114.
- شلنج، كرس. (2009). الجسد والنظرية الاجتماعية (منى البحر، ونجيب الحصادي، ترجمة). الإسكندرية: دار العين للنشر.
- ظاهر ناشف، سهاد. (2016). الاعتقال الإداري للجثامين الفلسطينيين: تعليق الموت وتجميده. مجلة الدراسات الفلسطينية، (107)، 19-36.
- ظاهر ناشف، سهاد. (2019). إمّا مقاوماً وإمّا مقتولاً: الانتفاضة الفلسطينية الأولى كنقطة تحول في إعادة صياغة وكالة جسد وروح الفلسطيني/ة. إضافات، (46)، 75-94.
- ظاهر ناشف، سهاد، وندارة شلهوب-كيفوركين. (2015). الرغبات الجنسية في آلة الاستعمار الإسرائيلية الاستيطانية. مجلة الدراسات الفلسطينية، (104)، 131-147.
- عثمان، عروبة. (2024، 28 أبريل). غزة: تحولات بنية الموت في زمن الإبادة. حبر. تم الاسترجاع في 14 نوفمبر 2024، من <https://www.7iber.com/...>
- ناشف، إسماعيل. (2015). صور موت الفلسطيني. الدوحة؛ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- ياغي، أمجد. (2023، 12 ديسمبر). غزة مقبرة جماعية... علامات لتمييز آلاف المدافن العشوائية. العربي الجديد. تم الاسترجاع في 7 نوفمبر 2024، من <https://www.alaraby.co.uk/...>

7.2 رومنة المراجع العربية

- Agamben, G. (2015). State of Exception (N. Ismail, Trans.) (in Arabic). Cairo: Madarat for Research and Publishing.
- Aljazeera.net. (2024, August 18). Gaza Civil Defense: Bodies of 1760 martyrs have evaporated due to internationally banned weapons (in Arabic). Aljazeera.net. Retrieved November 7, 2024, from <https://www.aljazeera.net/news/2024/8/18/شهداء-تبخرت-1760>
- Bdaiwi, E. (2023, January 12). The withholding of martyr bodies... The colonial power over Palestinian death (in Arabic). Fasaha Thaqafiyya – Palestine, Arab48. Retrieved November 11, 2024, from <https://www.arab48.com/فلسطينيات>

- Bdaiwi, E. (2025, February 26). The siege and targeting of grief... On mourning under Israeli genocide (in Arabic). Etar Platform. Retrieved February 26, 2025, from <https://etar.info/IRI>
- Daher-Nashif, S. (2016). The administrative detention of Palestinian corpses: The suspension and freezing of death (in Arabic). *Journal of Palestine Studies*, (107), 19–36.
- Daher-Nashif, S. (2019). Either a resistor or killed: The First Palestinian Intifada as a turning point in the reconfiguration of the agency of the Palestinian body and soul (in Arabic). *Idafat: The Arab Journal of Sociology*, (46), 75–94.
- Daher-Nashif, S., & Shalhoub-Kevorkian, N. (2015). Sexual desires in the Israeli colonial apparatus (in Arabic). *Journal of Palestine Studies*, 26(104), 131–147.
- Nashef, I. (2015). Images of the Palestinian death (in Arabic). Doha; Beirut: Arab Center for Research and Policy Studies.
- Osman, O. (2024, April 28). Gaza: Transformations in the structure of death in the time of genocide (in Arabic). 7iber. Retrieved November 14, 2024, from <https://www.7iber.com/society/-غزةوتحويلات-بنية-الموت>
- Shatara, A., & Nassar, D. (2022). The concept of biopolitics between Michel Foucault and Giorgio Agamben (in Arabic). *Tabayyun: Journal of Philosophical Studies and Critical Theories*, 10(40), 93–114.
- Shilling, C. (2009). *The Body and Social Theory* (M. Al Bahr & N. Al Hussadi, Trans.) (in Arabic). Alexandria: Dar Al Ain Publishing; Abu Dhabi: Kalima.
- Ultrasawt. (2024, April 26). Mass graves and organ theft... Multiple crimes by the Israeli army in Khan Younis (in Arabic). Retrieved November 7, 2024, from <https://www.ultrasawt.com/>...
- Yaghi, A. (2023, December 12). Gaza is a mass grave... Signs marking thousands of random burials (in Arabic). *The New Arab*. Retrieved November 7, 2024, from <https://www.alaraby.co.uk/society/غزة-مقبرة-جماعية-علامات-لتمييز-آلاف-المدافن-العشوائية>

7.3 المراجع الأجنبية

- Agamben, G. (1998). *Homo sacer: Sovereign power and bare life* (D. Heller-Roazen, Trans.). Stanford University Press.
- Daher Nashif, S. (2020). Colonial management of death: To be or not to be dead in Palestine. *Current Sociology*, 69(7), 945–962. <https://doi.org/10.1177/0011392120948923>
- De León, J. (2015). *The land of open graves: Living and dying on the migrant trail*. University of California Press.
- Foucault, M. (1984). *The history of sexuality* (Vol. 1: An introduction) (R. Hurley, Trans.). Vintage Books.
- Lefebvre, H. (1991). *The production of space* (D. Nicholson-Smith, Trans.). Blackwell.
- Maalej, Z. A., & Zibin, A. (2024). Metaphors they kill by: Dehumanization of Palestinians by Israeli officials and sympathizers. *International Journal of Arabic-English Studies*, 25(1), 201–220. <https://doi.org/10.33806/ijaes.v25i1.693>
- Mbembe, A. (2003). Necropolitics. *Public Culture*, 15(1), 11–40.
- Mbembe, A. (2019). *Necropolitics* (S. Corcoran, Trans.). Duke University Press.
- McGreal, C. (2023, October 16). The language being used to describe Palestinians is genocidal. *The Guardian*. Retrieved November 2024, from <https://www.theguardian.com/commentisfree/2023/oct/16/the-language-being-used-to-describe-palestinians-is-genocidal>
- Middle East Eye. (2023, October 17). More than 1,000 children killed in Gaza since start of war. *Middle East Eye*. Retrieved November 2024, from <https://www.middleeasteye.net/news/israel-palestine-more-than-1000-palestinian-children-killed-gaza-airstrikes-ngo-reveals>

8. الملاحق

الملحق 1: مرحلة ما قبل القتل

رقم المادة	النص الحرفي الكامل	المرجع التوثيقي
1	"نحن نحارب حيوانات بشرية ونتصرف وفقاً	¹ "وزير الدفاع الإسرائيلي: نحارب حيوانات بشرية.. لا كهرباء ولا طعام إلى

2	"الجنود الإسرائيليون مستعدون لهزيمة الوحوش المتعطشة للدماء"	لذلك"	قطاع غزة" (فيديو)، RT Arabic، 2023/10/9، شوهد في 2024/11/3، في: https://arabic.rt.com/world/1501965-%D9%88%D8%B2%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A-%D9%86%D8%AD%D8%A7%D8%B1%D8%A8-%D8%AD%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%86%D8%A7%D8%AA-%D8%A8%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D9%88
3	"نحن نواجه وحوشاً.. هذه ليست فقط معركة إسرائيل ضد هؤلاء البرابرة، بل معركة الحضارة ضد الهمجية".	"الجنود الإسرائيليون مستعدون لهزيمة الوحوش المتعطشة للدماء"	" رئيس الوزراء يلتقي عائلات الإسرائيليين المختطفين في غزة ويتعهد بإعطاء الأولوية لعودتهم"، Times of Israel، 2023/10/15، شوهد في 2024/11/3، في: https://ar.timesofisrael.com/%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B2%D8%B1%D8%A7%D8%A1-%D9%8A%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%8A-%D8%B9%D8%A7%D8%A6%D9%84%D8%A7%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A
4	"نحن نواجه وحوشاً.. هذه ليست فقط معركة إسرائيل ضد هؤلاء البرابرة، بل معركة الحضارة ضد الهمجية".	"نحن نواجه وحوشاً.. هذه ليست فقط معركة إسرائيل ضد هؤلاء البرابرة، بل معركة الحضارة ضد الهمجية".	Benjamin Netanyahu, "To our Christian friends around the world, Merry Christmas. Christmas is supposed to be a time of good will to all men and peace on Earth. Well, we don't have peace on Earth, not in our part anyway, and we certainly don't see good will to all men. We're facing monsters,... https://t.co/NleTWVybSb " / X (twitter.com)
5	"غزة وسكانها يجب أن يُحرقوا"	"غزة وسكانها يجب أن يُحرقوا"	مندوب إسرائيل السابق لدى الأمم المتحدة عن الشعب الفلسطيني: "حيوانات مجردة من الإنسانية"، 2023/10/27، شوهد في 2024/11/3، في: https://arabic.rt.com/world/1507342-%D9%85%D9%86%D8%AF%D9%88%D8%A8-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%A8%D9%82-%D9%84%D8%AF%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D8%A9-%D8%B9%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A-%D8%AD%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%86%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D8%AC%D8%B1%D8%AF%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9
6	"حالياً، هدف واحد: نكبة! نكبة ستطغى على نكبة 48"	"حالياً، هدف واحد: نكبة! نكبة ستطغى على نكبة 48"	نيسيم فاتوري (نائب رئيس الكنيست)، تصريح في يناير 2024، Al Jazeera، تاريخ الاطلاع: 2024/11/4
7	"الأطفال في غزة جلبوا ذلك على أنفسهم".	"الأطفال في غزة جلبوا ذلك على أنفسهم".	أريئيل كانر (عضو الكنيست)، تصريح في أكتوبر 2023، PBS NewsHour، تاريخ الاطلاع: 2024/11/4
8	"عندما يقول كبار القادة في إسرائيل: إما نحن"	"عندما يقول كبار القادة في إسرائيل: إما نحن"	"Israel-Palestine: More than 1,000 Palestinian children killed in Gaza air strikes, NGO reveals", Middle East Eye, 17 Oct 2023, 3 Nov 2024, on: Middle East Eye
			"الجنرال الإسرائيلي غيورأ أيلاند: الكارثة الإنسانية والأوبئة ستكسبنا الحرب في

غزة"، <i>الترا فلسطين</i> ، 2023/11/21، شوه في: 2024/11/4، في: https://ultrapal.ultrasawt.com/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D8%B1%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A-%D8%BA%D9%8A%D9%88%D8%B1%D8%A7-%D8%A2%D9%8A%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AF%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%B1%D8%AB%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%A8%D8%A6%D8%A9-%D8%B3%D8%AA%D9%83%D8%B3%D8%A8%D9%86%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D9%81%D9%8A-%D8%BA%D8%B2%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D8%A%D8%B1%D8%A7-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86/%D8%B1%D8%A7%D8%B5%D8%AF	وإما هم. فمن الصحيح توضيح مسألة من "هم". هم ليسوا العناصر الذين يحملون الأسلحة، بل أيضًا المدنيين جميعهم، بما في ذلك مديرو المستشفيات والمدارس وجميع سكان غزة"	
New deputy defense minister called Tamar Pileggi, Palestinians 'animals', The Times of Israel, 11/5/2015, 4/11/2024, on: https://www.timesofisrael.com/new-deputy-defense-minister-called-palestinians-animals/	"الوحوش ذات الوجه البشري"، "الصراصير المخدرة في زجاجة"، "هم ليسوا بشرا، هم حيوانات"	9

الملحق 2: مرحلة القتل

رقم المادة	النص الحرفي الكامل	المرجع التوثيقي
1	"وجد من هؤلاء الشهداء من تم إعدامه بشكل مباشر، ومنهم من تم قطع رأسه، ومنهم من تم بتر أطرافه العلوية أو السفلية أو بقر باطنه. بالتالي ما وجدته الطواقم المختصة سواء في الدفاع المدني أو الطواقم الطبية جثث كثيرة بلا رؤوس أو بلا أعضاء أو بلا أطراف"	شهادة د. أشرف القدرة، المتحدث باسم وزارة الصحة في غزة في لقاء على قناة الجزيرة عن مجزرة مجمع ناصر الطبي، 22 إبريل 2024
2	"كل الجنامين غريبة، لم نعهد رؤية هذه المشاهد من قبل، لم نعهد رؤية هذه الأشلاء المقطعة، وهذه الجماجم المفزعة، أحيانا تأتي جماجم مفزعة من الداخل، الرأس مكسور ومفرغ من الداخل تماما، جماجم مهشمة، أطفال مقطوعو الأوصال، ... التقطيع والأثر على الأجساد يختلف تماما عن سابقه، هناك تمزيق شديد وفتك شديد بالأجساد"	ياسر البناء، مكفّن غزة يروي مشاهد صادمة: أشلاء الأطفال تطارد منامي، الجزيرة، 2024/11/12، شوه في 2024/11/7، في: https://www.aljazeera.net/politics/2023/11/12/%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%88%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D8%AD%D8%AF-%D9%84%D8%AB%D9%84%D8%A7%D8%AB%D8%A9-%D8%B4%D9%87%D8%AF%D8%A7%D8%A1-%D9%85%D9%8F%D9%83%D9%81%D9%91%D9%86-%D8%BA%D8%B2%D8%A9
3	"نحتفظ بالجنامين الممزقة بالتلاجات، ونحاول العثور على علامات مميزة فيها مثل لباس معين، أو رمز معين أو ماركة لباس معينة، أسورة مثلا أو معلم في الجسد، وأحيانا يتعرف الأهالي من خلال هذه الإشارات إلى أبنائهم. وفي الغالب لا يتم التعرف إلى هذه الأجساد، ويتم دفنهم في مقابر جماعية للمجهولين"	المرجع أعلاه
4	"أهالي الشهداء الموجودون يتعرفون إلى أبنائهم عن طريق ملابسهم"	جثث مشوهة وأعضاء مسروقة وقبور نبشها الاحتلال ... أهم الحالات التي رصدت في مجزرة مجمع ناصر، trt arabi، 26 إبريل 2024، شوه في: 2024/11/7، في: https://www.instagram.com/trtarabi/reel/C6PF0zzL0M2
5	"فقدت ابني رامي (5 أعوام) وجدته جثة محروقة"	دعاء شاهين، 2024، "وجدت ابني محروقا وعرفته من إصبعه" ... شهادات

صادمة من مجزرة مواصي خانيونس، رصيف 22، 11 سبتمبر، شوهده في 2024/11/7، في: https://raseef22.net/article/1098344-%D9%88%D8%AC%D8%AF%D8%AA-%D8%A7%D8%A8%D9%86%D9%8A-%D9%85%D8%AD%D8%B1%D9%88%D9%82%D8%A7-%D9%88%D8%B9%D8%B1%D9%81%D8%AA%D9%87-%D9%85%D9%86-%D8%A5%D8%B5%D8%A8%D8%B9%D9%87-%D8%B4%D9%87%D8%A7%D8%AF%D8%A7%D8%A-%D8%B5%D8%A7%D8%AF%D9%85%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D9%85%D8%AC%D8%B2%D8%B1%D8%A9-%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%B5%D9%8A-%D8%AE%D8%A7%D9%86-%D9%8A%D9%88%D9%86%D8%B3	بعد أن استدلت عليه من إصبعه المبتورة بفعل إصابة تعرض لها في بداية الحرب"	
منصة متراس، رعب الشفاء، 2024/4/1، في: https://www.instagram.com/p/C5NvFFINSNu/?utm_source=ig_web_copy_link&igsh=MzRlODBiNWFlZA	"رأينا هياكل عظمية محروقة داخل الشفاء، وغالبية الجثث متحللة"	6
أحمد حافظ وياسر البناء، 2024، " أطباء من غزة: أسلحة إسرائيلية غريبة تحول الجثث إلى رماد وتشوي الجلود"، 24 إبريل، شوهده في 2024/11/7، في: https://www.aljazeera.net/news/2024/4/24/%D8%A3%D8%B7%D8%A8%D8%A7%D8%A1-%D9%85%D9%86-%D8%BA%D8%B2%D8%A9-%D8%A3%D8%B3%D9%84%D8%AD%D8%A9-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%BA%D8%B1%D9%8A%D8%A8%D8%A9	"حينما تستهدف الصواريخ الإسرائيلية المنازل ترفع حرارة المنزل المستهدف إلى ألفي درجة مئوية، وقد تصل إلى 3 آلاف، ما يعرض بعض الأجساد في المحيط إلى التبخر نتيجة الحرارة العالية"	7
الدفاع المدني بغزة: جثث 1760 شهيدا تبخرت بسبب الأسلحة المحرمة، الجزيرة، 2024/8/18، شوهده في 2024/11/7، في: https://www.aljazeera.net/news/2024/8/18/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AF%D9%86%D9%8A-%D8%A8%D8%BA%D8%B2%D8%A9-%D8%AC%D8%AB%D8%AB-1760-%D8%B4%D9%87%D9%8A%D8%AF%D8%A7-%D8%AA%D8%A8%D8%AE%D8%B1%D8%AA	"بعد استهداف عائلة ما داخل منزلها يتم استخراج عدد من الجثامين ولا يعثر على الباقي ... أنا شخصياً، تم استهداف منزل عمتي، وحتى الآن لم يعثر على جثمانها وحفيدها ولا حتى بعض الأشلاء رغم إزالة كل الركام"	8

الملحق 3: مرحلة ما بعد القتل

رقم المادة	النص الحرفي الكامل	المرجع التوثيقي
1	"20 يوماً وأنا أدور على قبر أختي حتى لقيناها .. ناس دافنينها وكاتبين مجهول .. ما بقي قبر مجهول إلا ونبشناه .. بدى أختي إيش أعمل .. خرمه أوك بس بدى أختي، بدى أعرف قبرها وين أقل ما فيها .. طيب أوك ماتت الله يرحمها وهذه الروح لله، لكن بعنيلي روحياً، بعنيني (لحنين) أن تتعافى"	وسيم سالم/ شهادة بودكاست، هكذا قصصوا أخي وتركوه ينزف 3 أيام حتى الموت ثم قتلوا عائلتي، قناة فاهم قصدي، شوهده في 2024/10/3 عبر اليوتيوب في: https://youtu.be/zyXcPF_JH7k?si=Zeerz2JZleKfDg24
2	"كانهم توفوا هلقيت من أول جديد، تجددت المأساة وتجدد الجرح وتجدد الوجد ... لقيت ابني جثته مطعنها وشايلينها من مكانها بس الحمد لله لقيناها وإن شاء الله اليوم بندفنهم ونريحهم في مكانهم. يعني لا الطيبين ولا الميتين مرتاحين منهم"	انظر: https://www.instagram.com/reel/C5TONDFCOWi/?utm_source=ig_web_copy_link&igsh=MzRlODBiNWFlZA
3	"لقيت القبر مفتوحاً ولقيت مطاطاً وكفوفاً لليهود موجودات .. أنا بس بطالب العالم اجمع إنه يجيبوا لنا البنت يحطوا لنا إياها بقبرها عشان نقرأ عليها الفاتحة"	انظر: https://www.instagram.com/reel/C50zAMbsB-1/?utm_source=ig_web_copy_link&igsh=MzRlODBiNWFlZA
4	"لقيت قبرك يا صلاح، لقيت قبرك يا حبيبي يما"	انظر: https://www.instagram.com/reel/C9UcHT2Kv-0/?utm_source=ig_web_copy_link&igsh=MzRlODBiNWFlZA

5	"حُرْمنا من الحزن، ومن دفن شهدائنا بطريقة لائقة، إذ نسير عادة وحدنا حاملين جثامين ذوينا إلى الدفن، بينما كان الشهيد قبل العدوان الإسرائيلي الحالي يحصل على تقدير وتكريم وطني، وتشيّعه مسيرة حاشدة تقديراً لتضحيته .. كنت أحمل جثمان شقيقي في انتظار قدوم عربية لنقله، وكانت دموعي تسيل حزناً عليه، وعلى الطريقة التي سيدفن بها، وعندما وصلت إلى مكان الدفن، وجدت رجلاً يدفن طفله الوحيد، وكان مثلي وحيداً من دون أي مشيعين، وشعرت أنه يسقي الرمال التي يدفن فيها ابنه بدموعه"	ZA أمجد ياغي، 2024، "شهداء قطاع غزة... جناز بلا مراسم ولا بيوت عزاء"، العربي الجديد، 25 فبراير 2024، شوهد في 2024/11/9 من https://www.alaraby.co.uk/society/%D8%B4%D9%87%D8%AF%D8%A7%D8%A1-%D9%82%D8%B7%D8%A7%D8%B9-%D8%BA%D8%B2%D8%A9-%D8%AC%D9%86%D8%A7%D8%A6%D8%B2-%D8%A8%D9%84%D8%A7-%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%85-%D9%88%D9%84%D8%A7-%D8%A8%D9%8A%D9%88%D8%AA-%D8%B9%D8%B2%D8%A7%D8%A1
6	"لحد الآن لم نستلم جثته وأنا أتمنى من الله أنه ما يدفنه في مقابر الأرقام ولا يسلموه في الجنوب .. يجيبولي إياه هون في الشمال أودعه .. أشوف لحظة استشهاده كيف كان كيف جسمه كيف العذاب اللي كان عليه كيف كان متحمل العذاب .. يا رب بجيني في الشمال وادفنه هون عندي وأزوره كل يوم يا رب"	عربي+AJ ، 2024/5/5 ، في: https://www.facebook.com/watch/?v=3925163881039018
7	"الجيش أخذ جثمان ستي وسيدي من مقبرة الفالوجا إبان اجتياح المعسكر .. وعبر الصليب الأحمر اليوم تواصل مع اخوالي لإعادة استلام جثة سيدي وستي الذين استشهدوا ودفنوا في الشمال في شهر 11 العام الماضي لإعادة دفنهم مرة أخى في الجنوب اليوم 5\8\2024 ... أنت بتموتش مرة وتندفنش مرة وحدة زيكي الناس. لازم تموت مرتين وتندفن مرتين بغزة"	منصة البلاد، 2024/8/6، في: https://www.instagram.com/p/C-V76FHOV2h/?utm_source=ig_web_copy_link&igsh=MzRlODBiNWFlZA

The Structure of the Israeli Lethality in the Gaza Strip: Analyzing the Practices of Death Engineering and Corpse Management

Eman Bdaiwi

Independent researcher, Master of Sociology, Jordan

Corresponding Author: eman.bdaiwi@gmail.com

Received: 18/6/2025. Revised: 25/6/2025. Accepted: 22/9/2025. DIO:

Abstract

The study aimed to analyze the colonial political instrumentalization of the Israeli practices of death engineering and corpse management through examining visual content and personal testimonies that document the acts of dehumanization, bodily fragmentation, corpse mutilation, looting, vaporization, piling, random burial, placement in mass graves, and other violations. The paper first defined the concept of the "structure of lethality" in the context of colonial sovereignty over the body, followed by three main interconnected sections. The first section addressed the pre-killing phase, where Israel prepared the conditions for lethality through the policies of dehumanization and the destruction of life's prerequisites. The second section examined the killing phase by analyzing the practices that targeted the body through strategies of obliteration and distortion, aiming to reproduce domination and disrupt the "functional meaning" of martyrdom. The third section focused on the post-killing phase, highlighting Israel's control over the body after death by dominating the structures of loss, mourning rituals, and the spatial and temporal dimensions of death.

Keywords: Structure of Lethality, Genocide, Necropolitics, Palestinian Body, Corpses, "Al-Aqsa Flood".



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

الأساليب والاستمارات الإقناعية المستخدمة في إعلانات وسائل التواصل الاجتماعي (صفحة مركز دمر الطبي في سوريا على فيس بوك نموذجاً)

هيا حمارشة¹، أميمة معراوي²

^{1,2} قسم العلاقات العامة والإعلان، كلية الإعلام، جامعة دمشق، سوريا
الباحث المراسل: hayaasaleh3@gmail.com

Received: 20/3/2025. Revised: 5/5/2025. Accepted: 24/9/2025. Published: 30/06/2026
DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.5

الملخص

تهدف الدراسة إلى التعرف على الاستمارات الإقناعية (العاطفية، والعقلية، والتخويف)، والأساليب الإقناعية (الأدلة والشواهد، وترتيب الحجج والبراهين، والتكرار بالتنوع، واستخدام أهداف واضحة للرسالة، وعرض جانب واحد من الموضوع) التي تستخدمها إعلانات مركز دمر الطبي في سوريا (الفيس بوك نموذجاً)، وتحديد الأطر التي تندرج تحتها عناصر الشكل والمضمون، ومعرفة الأساليب الإقناعية التي يفضلها العملاء في هذه الإعلانات، للوقوف على مدى تناغم هذه الأساليب مع الجمهور المستهدف، واعتمدت الدراسة على منهج تحليل المضمون، ومنهج المسح على مجتمع الدراسة، باستخدام تقنية استمارة تحليل المحتوى أداة لجمع البيانات، في الفترة الزمنية 1/1/2024 حتى 30/9/2024، وبلغ عدد الإعلانات المنشورة في تلك المدة الزمنية (100) إعلان، وتم اختيار عينة الدراسة الميدانية بطريقة العينة العمدية التي شملت (100) مفردة من عملاء مركز دمر الطبي، وتوصلت الدراسة إلى حرص موقع الدراسة على التوظيف الأمثل للأساليب الإقناعية في محتواه الإعلاني (التكرار بالتنوع، واستخدام أهداف واضحة للرسالة، والحجج والبراهين)، إلا أنه استخدم بشكل ضئيل أسلوب (الأدلة والشواهد، وعرض جانب واحد من الموضوع)، كما وظف الاستمارات العقلانية في إعلاناته أكثر من الاستمارات العاطفية مثل (الاستشهاد بالمعلومات والأحداث، وتقديم التعاريف العلمية) فيما كان الأكثر استخداماً في الاستمارات العاطفية (الشعارات والرموز)، وتنوعت الإطارات التي وظفتها الإعلانات من خلال عناصر الشكل والمضمون بين تثقيفي وتحذيري وتسويقي، وحرص عملاء موقع الدراسة على متابعة المضامين الإعلانية التي تهتم بقسم التجميل وأمراض الأطفال، كما أظهرت الدراسة أن أكثر الأساليب الإقناعية التي يفضلون مخاطبتهم بها في الإعلانات هو الأدلة والشواهد كعرض تجارب العملاء لهم، وتبين من خلال هذه الدراسة انسجام المحتوى والمضامين الإعلانية لموقع الدراسة مع الجمهور المستهدف، فيما لم يتماش الأسلوب الإقناعي المستخدم في الإعلانات مع الجمهور، فيما استهدفت إعلانات موقع الدراسة النساء والفتيات في جمهورها أكثر من الفئات الأخرى، ما أثر في نوع عملائها، الأمر الذي أظهرته الدراسة الميدانية، فقد كان النساء أكثر من الذكور في عينة الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الاستمارات الإقناعية، الأساليب الإقناعية، فيس بوك، الاستراتيجية، الإعلان.

1. المقدمة

يعد ظهور وسائل التواصل الاجتماعي في العالم حدثاً غير مشهد تقديم الإعلانات وسرد القصص من خلال توفير التفاعل المباشر مع الجمهور، ووفقاً لدراسة أجرتها (STRATEGY&GOOGLE NEW 2022) تقي بأن 68% من سكان الشرق الأوسط يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي مصدراً رئيسياً للأخبار، وحسب تقرير لمنصة (DATA REPOTLY 2023) جاء موقع الفيس بوك في المرتبة الثالثة من حيث الاستخدام في الشرق الأوسط، وبلغ عدد المستخدمين له (111.1) مليون مستخدم نشط.

وفي سوريا على وجه التحديد، ذكرت منصة (DATA REPOTLY 2024) في تقريرها للعام الماضي، أن عدد مستخدمي الإنترنت بلغ 8.51 مليون مستخدم في بداية عام 2024، في حين بلغ معدل انتشار الإنترنت 35.8%، وفيما يخص عدد مستخدمي فيس بوك في سوريا نشر موقع B2B SY (2018) تقريره الأخير عن سوريا، فأظهرت الإحصائيات أنه بلغ عدد المستخدمين أكثر من 6 ملايين مستخدم نشط وفعال بنسبة (37%) من عدد السكان بحسب الإحصائيات الصادرة عن فيس بوك، إلا أنه لم تتوافر أية بيانات حديثة لعدد المستخدمين بعد هذا التقرير بسبب العقوبات المفروضة على سوريا.

ومن خلال هذه الإحصائيات يتضح الدور الذي تلعبه وسائل التواصل الاجتماعي اليوم في حياة المستخدمين وعلى وجه التحديد (الفيس بوك) نظراً لعدد مستخدميه الكبير، ولم يعد يقتصر استخدام الفيس بوك على المستخدمين العاديين فقط، بل أصبح هناك توجه لأصحاب الشركات، والمنظمات لاستخدامه وسيلة إعلانية تفاعلية مع الجمهور المستهدف، حيث يعمل الإعلان على خلق الطلب، والإدراك، والرغبة في الحصول على منتجات المؤسسة من طرف الزبون (خبيش، 2013). وقد شهدت سوريا انفتاحاً كبيراً على إحداث عديد من المراكز الطبية في دمشق، نتج عنها خلق العميل للطلب، وبالمقابل المنافسة فيما بينها، نظراً لتعدد تخصصاتها، وكغيرها من المنظمات والمؤسسات الخدمية، لجأت إلى عالم التسويق والإعلان عبر الإنترنت، وخصوصاً وسائل التواصل الاجتماعي، من أجل تقديم خدماتها، وعروضها عن طريق تلك الوسائل، إلا أن الدراسات المختصة بشأن الإعلانات عبر وسائل التواصل الاجتماعي اليوم قد اتجهت نحو رأي المستهلك في هذه الإعلانات وتأثيرها فيه، وكان من النادر إيجاد دراسة في سوريا حول تحليل هذه الإعلانات والأساليب، والاستمارات الإقناعية التي تستخدمها المؤسسات في إعلاناتها، لمعرفة ما إذا كان المعلنون يسبغون بالطريق الصحيح نحو العميل، أو المستهلك، أم أنها تستخدم خطأ عشوائية في الإعلان عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وبناءً على ذلك تسعى الباحثة إلى التعرف إلى الأساليب والاستمارات الإقناعية التي تستخدمها إعلانات مركز دمر الطبي عبر وسائل التواصل الاجتماعي (الفيس بوك نموذجاً)، ومدى تناغم هذه الأساليب مع الجمهور المستهدف.

مشكلة الدراسة: تتحدد مشكلة الدراسة في التعرف إلى: كيف تؤثر خصائص الرسالة الإعلانية (لغة المحتوى، والأساليب، والاستمارات الإقناعية، والإطار الإعلاني) المستخدمة في إعلانات مركز دمر الطبي على الفيس بوك، في مستوى تفاعل العملاء الاتصالية، وتقضياتهم، ومدى تناغم هذه الأساليب مع العملاء، وذلك من خلال دراسة تحليلية لعينة من إعلانات مركز دمر الطبي على الفيس بوك، عن طريق استمارة تحليل المحتوى، ودراسة ميدانية لعينة من عملاء المركز باستخدام صحيفة استقصاء لقياس المحاور السابقة.

أهمية الدراسة: تأتي أهمية الدراسة من:

1. الانتشار الواسع لوسائل التواصل الاجتماعي وعدها قناة جديدة للإعلانات.
2. قلّة الدراسات التي تدرس الأساليب الإقناعية المستخدمة في الإعلانات عبر وسائل التواصل الاجتماعي، والإطارات المستخدمة في تحديد نوعية هذه الأساليب، إلى جانب الحاجة الماسة لتطوير المجال الإعلاني، ومواكبته للتطور الهائل في عالم التكنولوجيا ووسائل الاتصال الجديدة بين الجمهور.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى تحليل مضمون إعلانات مركز دمر الطبي عبر "فيس بوك"، للتعرف إلى الأطر الإعلامية التي يستخدمها المركز في إعلاناته، لتحقيق الاستمارات الإقناعية، إلى جانب التعرف إلى شكل تفاعل الجمهور معها والأساليب التي يفضلها، وذلك من خلال الجمع بين المنهجين: التحليلي والميداني، ويتفرع من هذا الهدف الأهداف الفرعية التالية:

1. معرفة الأطر التي يستخدمها مركز دمر الطبي في إعلاناته على الفيس بوك، من خلال دمج عناصر الشكل والمضمون.
 2. التعرف إلى طبيعة اللغة المستخدمة في محتوى إعلانات مركز دمر الطبي على فيس بوك.
 3. التعرف إلى فئات الجمهور المستهدفة في إعلانات مركز دمر الطبي على فيس بوك.
 4. الكشف عن الاستمارات والأساليب الإقناعية المستخدمة في إعلانات مركز دمر الطبي على فيس بوك.
 5. دراسة أشكال تفاعل العملاء مع إعلانات مركز دمر الطبي عبر فيس بوك.
 6. التعرف إلى المضامين والأساليب التي يفضلها العملاء في إعلانات مركز دمر الطبي على فيس بوك.
 7. التعرف إلى العوامل التي تسهم في تعزيز قناعة العملاء بمحتوى إعلانات مركز دمر الطبي على فيس بوك.
- تساؤلات الدراسة التحليلية:** ما الإطارات التي تتضمنها إعلانات مركز دمر الطبي على منصة الفيس بوك؟ وكيف تسهم هذه الإطارات في توظيف عناصر الشكل والمضمون لتحقيق الاستمارات الإقناعية؟، وينبثق من هذا التساؤل الرئيسي عدة تساؤلات في الشكل والمضمون، وهي على الشكل التالي:

تساؤلات فئات الشكل (كيف قيل؟):

1. ما طبيعة اللغة المستخدمة في محتوى الإعلانات المنشورة على صفحة مركز دمر الطبي عبر الفيس بوك (فصحى، فصحي بسيطة، عامية، مختلطة)؟
2. ما نوع الوسائط المستخدمة في الإعلانات المنشورة على صفحة مركز دمر الطبي عبر الفيس بوك (نص، صورة، فيديو، نص+صورة، نص+فيديو، نص+صورة+فيديو)؟
3. ما الأساليب الإقناعية الموظفة في الإعلانات المنشورة على صفحة مركز دمر الطبي عبر الفيس بوك (أدلة وشواهد، التكرار بالتنوع، أهداف واضحة للرسالة)؟
4. ما الأساليب الفنية لكتابة النص الإعلاني المنشور على صفحة مركز دمر الطبي عبر الفيس بوك؟
5. ما حجم التفاعل الذي تحققه الإعلانات المنشورة على صفحة مركز دمر الطبي عبر الفيس بوك من حيث عدد الإعجابات، والتعليقات، والمشاركات على كل إعلان منشور على صفحة مركز دمر الطبي؟

تساؤلات فئات المضمون (ماذا قيل؟):

1. ما طبيعة المواضيع التي تناولتها الإعلانات المنشورة على صفحة مركز دمر الطبي عبر الفيس بوك (تثقيفي، توعوي، مسابقة، حسومات وعروض)؟
2. ما الخصائص الديموغرافية للجمهور المستهدف في إعلانات مركز دمر الطبي عبر الفيس بوك؟ (النوع الاجتماعي: عام، خاص، نساء، رجال، كلا الوالدين، أطفال).
3. ما هي أنماط الاستمارات الإقناعية الأكثر شيوعاً في إعلانات مركز دمر الطبي على الفيس بوك (عقلية، عاطفية، تخويف)؟
4. ما الأهداف الاتصالية التي يسعى مركز دمر الطبي إلى تحقيقها في إعلاناته عبر الفيس بوك؟
5. ما مضمون الموضوعات الطبية التي تتناولها الإعلانات المنشورة على صفحة مركز دمر الطبي على الفيس بوك؟ (الحمل والولادة، تجميل، جلدية، التغذية).
6. ما دور الحجج العاطفية في صياغة مضمون إعلانات مركز دمر الطبي على الفيس بوك؟
7. كيف يُوظف السرد القصصي في إعلانات مركز دمر الطبي على الفيس بوك لتعزيز الجذب والإقناع؟
8. ما القيم والمبادئ التي تدعم مضمون الرسائل الإعلانية لدى مركز دمر الطبي على الفيس بوك؟

فروض الدراسة التحليلية:

1. تُوظف صفحة مركز دمر الطبي الاستمارات الإقناعية المتنوعة في إعلاناتها عبر الفيس بوك.
2. تستخدم صفحة مركز دمر الطبي التكرار بالتنوع واستخدام الأهداف الواضحة للرسالة كأساليب إقناعية في إعلاناتها على الفيس بوك.
3. تعتمد صفحة مركز دمر الطبي على عديد من الأطر الإعلانية من خلال استخدامها لعناصر الشكل والمضمون من أجل الوصول لجمهورها.
4. تستخدم صفحة مركز دمر الطبي مشاعر القلق والخوف في إعلاناتها على الفيس بوك.
5. تعتمد صفحة مركز دمر الطبي على الفيس بوك على السرد الوظيفي في تقديم محتوى إعلاناتها.
6. تستخدم صفحة مركز دمر الطبي على الفيس بوك أساليب إقناعية تتناغم مع محتوى الإعلانات.

تساؤلات الدراسة الميدانية:

1. كيف يتفاعل العملاء مع الإعلانات المنشورة على صفحة مركز دمر الطبي عبر الفيس بوك؟
2. ما العناصر البصرية أو اللغوية التي تثير انتباه العملاء في الإعلانات الخاصة بمركز دمر الطبي عبر الفيس بوك؟
3. ما أنواع المضامين الإعلانية التي يفضلها عملاء مركز دمر الطبي؟
4. ما العوامل التي تسهم في تعزيز اقتناع العملاء بإعلانات مركز دمر الطبي على الفيس بوك؟
5. ما الأساليب الاتصالية التي يفضل عملاء مركز دمر الطبي استخدامها في مخاطبتهم ضمن الإعلانات عبر الفيس بوك؟

2. الدراسات السابقة

1. دراسة أمينة العايب، ونجاة عروصي، وياسمين عروصي (2024) بعنوان: الأساليب الإقناعية لصناع المحتوى في الترويج للسياحة الداخلية: سعت الدراسة للتعرف إلى الاستمارات الإقناعية لصناع المحتوى في الترويج للسياحة الداخلية، من خلال دراسة عينة تحليلية لصانع محتوى (خبيب) على اليوتيوب، واعتمدت الدراسة على استمارة تحليل المحتوى، فتم تحليل (25) فيديو، خلال الفترة الزمنية الممتدة (2020/9/7) حتى (2024/3/22).
- وتوصلت الدراسة إلى عديد من النتائج أبرزها: أن صانع المحتوى استخدم كلا من الاستمارات العقلية والعاطفية في المحتوى الذي يبثه عبر قناته على اليوتيوب، ويوظف عديداً من الأساليب الإقناعية في محتواه من أجل إقناع الجماهير. العايب وآخرون (2024).
2. دراسة سلام أحمد عبده، وداليا جمال محمد، وياسمين صالح، (2024) بعنوان: الاستراتيجيات الإقناعية المستخدمة في تصميم الإعلان الإلكتروني: سعت الدراسة للتعرف إلى الاستراتيجيات الإقناعية المستخدمة في تصميم الإعلان الإلكتروني على الإنترنت، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وأجريت على سبعة مواقع من التسوق الإلكتروني، وبلغ حجم العينة (375) إعلاناً، باستخدام أداة استمارة تحليل المحتوى، خلال الفترة الزمنية الممتدة (2022/1/31) حتى (2023/2/15).
- وتوصلت الدراسة إلى عديد من النتائج أبرزها: أن الاستراتيجية النفسية كانت الأكثر استخداماً في مواقع التسوق الإلكتروني، فيما تم المزج بين الاستمارات العاطفية والمنطقية في الإعلانات عينة الدراسة. عبده وآخرون (2024).
3. دراسة حنان عبد العال، (2023) بعنوان: الأساليب الإقناعية المستخدمة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، استجرام ودورها في تسويق الخدمات الحكومية الإلكترونية الجديدة:

- سعت الدراسة للتعرف إلى الأساليب الإقناعية المستخدمة عبر مواقع التواصل الاجتماعي في الإنستغرام لمنصة مصر الرقمية، باستخدام منهج المسح، وبلغت عينة الدراسة (47) منشورا، و(30) فيديو، خلال الفترة الزمنية الممتدة (2021/10/1) حتى (2022/12/31).
- وتوصلت الدراسة إلى عديد من النتائج أبرزها: أن منصة مصر الرقمية على الإنستغرام تستخدم الاستمارات الإقناعية العاطفية بشكل أكبر من العقلية، كما تستخدم من الأساليب الإقناعية في إعلاناتها أسلوب وضوح الأهداف، ويليه أسلوب تقديم الحجج والبراهين. عبد العال (2023).
4. دراسة سندس فؤاد، (2023) بعنوان: الاستمارات الإقناعية لمراكز التجميل على الفيس بوك وتأثيرها الإقناعي في المجتمع:
- سعت هذه الدراسة للتعرف إلى الاستمارات الإقناعية لمراكز التجميل على الفيس بوك وتأثيرها الإقناعي في المجتمع، من خلال دراسة تحليلية وميدانية، واستخدمت منهجي الوصفي التحليلي، والمسح، وبلغ حجم عينة الدراسة الميدانية (398) مبحوثاً، والدراسة التحليلية (186) إعلاناً، خلال الفترة الزمنية الممتدة (2022/1/1) حتى (2022/3/1).
- وتوصلت إلى عديد من النتائج أبرزها: أن مراكز التجميل على الفيس بوك تستخدم الاستمارات العاطفية في المرتبة الأولى، والجمهور المستهدف لدى مراكز التجميل كان النساء. فؤاد (2023).
5. دراسة زينب عبد الحليم، (2022) بعنوان: سيميولوجيا الأساليب الإقناعية المستخدمة في الصفحات الإعلانية بمواقع التواصل الاجتماعي وتأثيرها في السلوك الشرائي:
- سعت هذه الدراسة للتعرف إلى سيميولوجيا الأساليب الإقناعية المستخدمة في الصفحات الإعلانية بمواقع التواصل الاجتماعي وتأثيرها في السلوك الشرائي، واعتمدت على المنهج الوصفي بشقيه، واشتملت الدراسة على ثلاث صفحات إعلانية بموقع الفيس بوك، تم تحديدها من خلال عينة استطلاعية من فتيات جامعة سوهاج، وتم تطبيق الدراسة خلال فترة (2022/6/1) حتى (2022/8/31).
- وتوصلت الدراسة إلى عديد من النتائج أبرزها: أن الاستمارات المنطقية كانت الأكثر استخداماً في صفحات عينة الدراسة، واحتلت استمارات السعر المرتبة الأولى في الاستمارات الإقناعية الأكثر استخداماً في الإعلانات عينة الدراسة. عبد الحليم (2022).
6. دراسة يسرى خالد، (2022) بعنوان: الاستمارات الإقناعية في مضامين الدعاية الإسرائيلية إزاء الجمهور العراقي بشبكات التواصل الاجتماعي:
- سعت الدراسة للتعرف إلى الاستمارات الإقناعية في مضامين الدعاية الإسرائيلية إزاء الجمهور العراقي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، معتمدة على منهج تحليل المحتوى بطريقة الحصر الشامل، وبلغ حجم العينة (250) منشورا، خلال مدة زمنية قدرها سنة من (2021/1/1) حتى (2021/12/31).
- وتوصلت الدراسة إلى عديد من النتائج أبرزها: أن الإعلانات تستخدم الاستمارات العاطفية مع فارق ليس بكبير عن الاستمارات العقلية، كما توصلت الدراسة إلى وجود تباين في استخدام الأساليب الدعائية. خالد (2022).
7. دراسة هيام بوفاري، ونريمان مزيان، (2021) بعنوان: استخدامات الأساليب الإقناعية لمؤثري الإنستغرام في ترويج المنتجات النسائية:
- سعت الدراسة للتعرف إلى استخدامات الأساليب الإقناعية لمؤثري الإنستغرام في الترويج للمنتجات النسائية، واستخدمت الدراسة منهج التحليل المضمون، واستمارة التحليل المحتوى أداة لجمع البيانات، بعينة تعتمد على (6) صفحات لمؤثرين على الإنستغرام في مصر، وبلغ حجم العينة (650) منشورا، خلال الفترة الزمنية الممتدة (2020/4/13) حتى (2020/5/22).
- وتوصلت الدراسة إلى عديد من النتائج أبرزها: أن المؤثرين يستخدمون الاستمارات العاطفية في إعلاناتهم لإثارة اهتمام المتابعين، كما اعتمدوا على الحديث المباشر في الرسالة، والفيديو. بوفاري ومزيان (2021).
8. دراسة أمينة مزيان، (2020) بعنوان: الأساليب الإقناعية في مواقع التواصل الاجتماعي- دراسة تحليلية للمضامين الصحية لصفحة ويب طب عبر شبكة الفيس بوك:
- سعت الدراسة للتعرف إلى الأساليب الإقناعية لصفحة ويب طب على الفيس بوك، واعتمدت الباحثة على منهج تحليل المضمون، مستخدمة استمارة تحليل المحتوى المتاح على الموقع أداة لجمع البيانات، بعينة عشوائية مكونة من (672) منشوراً، خلال الفترة الزمنية الممتدة (2018/8/1) حتى (2019/7/22).
- وتوصلت الدراسة إلى عديد من النتائج أبرزها: أن الصفحة تستخدم استمارات التخويف في المرتبة الأولى، كما استخدمت الأساليب الإقناعية العلمية في المواضيع الصحية، واعتمدت على قالب الإرشاد. مزيان (2020).
9. عمر عبريين، وغالب شناوي، (2019) بعنوان: الاستمارات الإقناعية وعلاقتها بهوية العلامة التجارية- دراسة تحليلية مقارنة لإعلانات شركات الاتصالات النقلة اليمنية الأردنية على صفحاتها في فيس بوك:
- سعت هذه الدراسة للتعرف إلى الاستمارات الإقناعية وعلاقتها بهوية العلامة التجارية، وهي دراسة مقارنة لإعلانات شركات الاتصالات النقلة اليمنية والأردنية على صفحاتها في فيس بوك، واستخدمت الدراسة منهج المسح، وأداة استمارة تحليل المحتوى، وبلغ حجم العينة (220) إعلاناً، خلال الفترة الزمنية الممتدة (2018/1/1) حتى (2018/12/31).
- وتوصلت الدراسة إلى عديد من النتائج أبرزها: وجود فروق بين شركات الاتصالات في استخدام الاستمارات الإقناعية واللغة في إعلاناتهم، مع عدم وجود فروق بين الشركات في الاستراتيجية الإعلانية المستخدمة. عبريين وشناوي (2019).

10. دراسة B.J. Foog & Daisuke Lizawa (2008) بعنوان: الإقناع عبر الإنترنت في فيس بوك وميكسي: سعت هذه الدراسة للمقارنة بين موقع فيس بوك في الولايات المتحدة الأمريكية، وموقع ميكسي في اليابان، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، وبلغ حجم العينة (400)، موزعين بالتساوي بين الموقعين، خلال الفترة الزمنية الممتدة من (2007/1/1) حتى (2007/12/31).

وتوصلت الدراسة إلى عديد من النتائج أبرزها: أن عناصر الإقناع وأساليبه عبر الفيس بوك جريئة وحازمة، لأن الهدف من تصميم الفيس بوك هو إقناع المستخدم باتخاذ قرارات سريعة، بينما موقع ميكسي كان في الإقناع أكثر دقة وغير مباشر في إقناعه للمستخدمين. Lizawa & Foog (2008).

2.1 التعليق على الدراسات السابقة

أوجه التشابه:

1. من خلال عرض الباحثة للدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة، تبين أن هذه الدراسات اتفقت في عمومها مع الدراسة الحالية بالبحث عن الإقناع والأساليب الإقناعية المستخدمة في وسائل التواصل الاجتماعي.
2. المنهج المستخدم: تم استخدام المنهج نفسه في دراسات كل من الباحثين (أمينة مزيان، وعمر عبرين وغالب شنطاوي، ونريمان مزيان، وسلام عبده، وأمينة العايب، وحنان عبد العال)، غير أن الاختلاف بين هذه الدراسة ودراسة (سندس فؤاد) أنها اعتمدت على المنهج المسحي في دراستها إلى جانب تحليل المضمون من خلال الاستمارة الميدانية.
3. أداة جمع البيانات: تعدّ دراسة كل من الباحثين (أمينة مزيان، وحنان عبد العال، ويسرى خالد) أقرب الدراسات المشابهة للدراسة الحالية، من حيث الأدوات المستخدمة في الدراسة، فقد تم استخدام أداة تحليل المحتوى.

أوجه الاختلاف:

1. موقع الدراسة: حلّلت الدراسة الحالية إعلانات موقع الفيس بوك، فيما حلّلت دراسة كل من الباحثين (حنان عبد العال، ونريمان مزيان وهيام بوفاري) إعلانات موقع الإنستغرام.
2. المتغير المستقل: اعتمدت الدراسة الحالية على الأساليب والاستمالات الإقناعية، فيما اعتمدت دراسة الباحث (سلام عبده) على الاستراتيجيات الإقناعية، ودراسة الباحث (زينب عبد الحليم) على سيميولوجيا الأساليب الإقناعية، ودراسة الباحث (Daisuke Lizawa) على عناصر الإقناع.

2.2 الفجوة البحثية

بالرغم من الدراسات المذكورة، فلا تزال هناك حاجة لدراسة كيفية توظيف الإطارات في إعلانات فيس بوك، من خلال دمج عناصر الشكل والمضمون، وتحديد الاستمالات والأساليب الإقناعية في مضمون الإعلانات.

3. الإطار النظري

قدمت السيد (2017) تعريفاً لإعلانات وسائل التواصل الاجتماعي بأنه مصطلح يُستخدم لوصف الإعلان عبر الإنترنت (الجهود المدفوعة) التي تركز على مواقع التواصل الاجتماعي، لتعريف الجمهور بمنشأة تجارية أو صناعية وإقناعه بمنتجاتها والإيعاز إليه بطريقة ما حاجته إليها.

وفيما يخص الاستمالات الإقناعية عرّفها فؤادة (2011) بأنها العملية التي نقوم من خلالها بالتأثير في الآخرين، من خلال استخدام مختلف الأدلة، والشواهد، والبراهين، والميول، والرغبات، لتقبل ما يتم تقديمه من أفكار، وآراء، أو للقيام بعمل معين، أو تكوين اتجاه محدد.

3.1 الاستمالات المستخدمة في الرسالة الإقناعية

هناك ثلاثة أنواع أساسية من الاستمالات التي تُستخدم في الرسالة الإقناعية في الإعلان، وهي على الشكل التالي:

أولاً. الاستمالة العاطفية:

عرّف حمد (2012) الاستمالة العاطفية بأنها الاستمالة التي تستهدف التأثير في وجدان المتلقي، وانفعالاته، وإثارة الحاجات النفسية، والاجتماعية لديه، ومخاطبة حواسه، ومشاعره، بما يتلاءم مع أهداف القائم بالاتصال، ويعتمد تحقيق الاستمالة العاطفية حسبما قدم عبد الحميد (2015) على ما يلي:

1. استخدام الشعارات والرموز: وهي العبارات التي يُطلقها القائم بالاتصال بشكل يسهّل حفظها، وترديدها مثل "صحتك تهمنا" "لك سيدتي"، أما الرموز فهي مجموعة التجارب الإنسانية التي تلغي صناعياً التباين بين الأفراد ويحل محلّها هذه الرموز فيصبح التفاهم من خلالها ممكناً دون الحاجة للتفكير، ويتم استقاء هذه الرموز من التراث الشعبي، والديني، والثقافة السائدة، ومثال على تلك الرموز الشعار الذي يوضع على السجارة بمعنى أن التدخين ممنوع، فعندما يُشاهد المتلقي الشعار يفهم الرسالة دون الحاجة للتفكير.
2. الأساليب اللغوية: كالتشبيه، والاستعارة، أو الاستفهام الذي يخرج من كونه استفهاماً حقيقياً إلى استفهام ساخر، أو استنكاري.

3. دلالات الألفاظ: وهي عبارة عن أساليب تحريف المعنى الأصلي للكلمة اعتماداً على الألفاظ المستخدمة، ويتم تطبيقها من خلال استخدام كلمة أو صفة، تحمل مشاعر إما سلبية، أو إيجابية، مثل استخدام كلمة (البذانة) وما يتبادر لذهن المتلقي من خلال هذه الكلمة بدلاً من (الوزن الساند).
 4. الاستشهاد بمصادر: وهذا الجانب يتم استغلاله في حب التشبه لشخصية معينة أكثر شهرة، أو بمن يحظى بمصداقية عالية من جانب المتلقي كالأطباء.
 5. عرض الرأي على أنه حقيقة: مثل (لا شك أنه، في الحقيقة، من المؤكد أن).
- ثانياً: الاستمالة العقلانية: عرّفها Cheong (2020) بأنها الاستمالة التي تعتمد على مخاطبة عقل الجمهور، أو المتلقي، وتقديم الحجج، والبراهين المنطقية له، وتقنيد الآراء المضادة من خلال مناقشتها، وإظهار جوانبها المختلفة، وتعتمد الاستمالة العقلانية كما أشار إليها عبد الحميد في ذلك على:
1. الاستشهاد بالمعلومات والأحداث الواقعية.
 2. تقديم الأرقام والإحصائيات.
 3. تقديم التعريفات للمفاهيم العلمية.
 4. الاستشهاد بمصادر وأقوال مشهورة.
 5. اعتماد المسلمات في التحليل.
- ثالثاً: استمالة التخويف: ويشير مصطلح استمالة التخويف حسب شيبه (2011) إلى النتائج غير المرغوب فيها، والتي تترتب على عدم اعتناق المتلقي لتوصيات القائم بالاتصال، فتعمل على تنشيط الإثار العاطفية لدى المتلقي، فيشعر بالذعر والتوتر، كتحذير الناس من الأمراض الخطيرة والتي تحتاج لكشف دوري.

3.2 الأساليب الإقناعية المستخدمة في الرسالة الإعلانية

- تؤثر أساليب عرض محتوى الإعلان في الإقناع بما تم نشره، وهناك عديد من الاعتبارات، والشروط، التي تؤدي إلى اختيار أسلوب معين لتقديم النص، واعتماد نوع معين من الاستمالات، وذلك بما يتوافق مع طبيعة الموضوع المعلن عنه، وتكون هذه الاعتبارات حسبما ذكرها شيبه (2011) وكريمة (2015) على الشكل التالي:
1. وضوح الأهداف مقابل استنتاجها ضمناً: أشارت النتائج للدراسات السابقة أن الإقناع يكون أكثر فاعلية عندما يذكر القائم بالاتصال أهداف الرسالة بشكل واضح وصريح، دون أن يترك للجمهور المتلقي عبء استخلاص هذه الأهداف وحده، فقد وجد الباحثان (هوفلاند، وماندل) أن نسبة الأفراد الذين غيروا اتجاهاتهم بما يتوافق مع أهداف الرسالة بلغت الضعف عندما قدم القائم بالاتصال أهداف الرسالة بوضوح للجمهور.
 2. تقديم الرسالة لأدلة وشواهد: يحاول معظم القائمين بالاتصال أن يدعموا رسائلهم الإقناعية بتقديم الأدلة، أو العبارات التي تتضمن معلومات واقعية، أو آراء منسوبة لمصادر أخرى غير القائم بالاتصال، وذلك من أجل إضفاء الشرعية على موقف القائم بالاتصال، أو المعلن، وذلك يزيد من القدرة على الإقناع.
 3. عرض جانب واحد من الموضوع: أجرى قسم المعلومات، والتعليم في وزارة الدفاع الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية سلسلة من الأبحاث حول هذه الموضوع، ونشرها الباحثون (هوفلاند، ولمزدين، وسيفيلد)، في كتاب (تجارب على الاتصال الجماهيري)، ووجدوا أن تقديم الحجج المؤيدة والمعارضة، أكثر فعالية وقدرة على الإقناع، حين يكون الجمهور متردداً، فعرض الجانبين يكون أقوى أثراً.
 4. ترتيب الحجج الإقناعية داخل الرسالة: أظهرت بعض الدراسات أن الحجج التي تُقدم في البداية يكون تأثيرها أقوى من الحجج التي تُقدم في النهاية، في حين أظهرت دراسات أخرى نتائج عكسية، وبشكل عام يمكن القول إن ترتيب الذروة أفضل بالنسبة للموضوعات غير المألوفة لدى المتلقي، ولكن طبيعة الموضوع بشكل أساسي هي التي تختار طريقة ترتيب الحجج وتقديمها للجمهور، واختيار ترتيب بدلاً من آخر.
 5. التكرار بالتنوع: إن تكرار الرسالة يُعد من العوامل الأساسية التي تساعد على الإقناع، وتؤكد الدراسات التي أجراها (بارتليت) أن التكرار بالتنوع يُذكر المتلقي بشكل مستمر بهدف الرسالة، ويثير في بعض الأحيان رغبته، واحتياجاته.

3.3 تحليل الإطار

قدّم Gu et al (2023) بناءً على ما وضعه Goffman (1974) أن الإطار التحليلي هو مخطط تفسيري يساعد على تنظيم التجربة وإدراك الواقع الاجتماعي، بينما يشير Entman (1993) إلى أن الإطار يقوم باختيار بعض جوانب الواقع، وتسلط الضوء عليها، من أجل توجيه التفسير، أو التقويم، وتم تطوير هذا المفهوم لاحقاً ليشمل تحليلات متعددة مثل الوسائط، والوسائط الرقمية، وفي هذا المجال، استخدمت الدراسة تحليل الإطارات لبناء مصفوفة نوعية تربط بين الشكل والمضمون في الإعلانات لتحديد الإطار السائد في الرسائل الإقناعية للإعلانات محل الدراسة، فاعتمدت الدراسة على ثلاثة أنواع من الأطر: التنقيفي، والتحذيري، والتسويقي.

3.3.1 نموذج (Yale Attitude Change Approach) الإقناعي

يُقدم كل من Daves & Francis (2022) عرضاً معمقاً لنموذج هوفلاند الذي يُعنى بدراسة الظروف التي يرجح فيها أن يُغيّر الناس مواقفهم استجابة للرسائل الإقناعية، ودُرّس هذا المنهج لأول مرة (كارل هوفلاند وزملاؤه؛ جانيس وكيلى) في جامعة ييل خلال الحرب العالمية الثانية. (Hovland, c.i. 1953) وحدد علماء النفس في البداية ثلاث خطوات للاستجابة لسماع رسالة مقنعة، وهي: (الانتباه، والفهم، والقبول)، ولاحقاً أدركوا أهمية إضافة خطوتين هما: (الحفظ، والتنفيذ)، والحفظ هو مصطلح مرادف للتذكر، وهو أمر مهم عند وجود فارق زمني بين سماع الرسالة والتصرف بناءً عليها. وأعاد تشارلز لارسون صياغة لنموذج هوفلاند وجانيس وكيلى بصفته عملية من خمس خطوات (Larson, c.c. 2012):

1. الانتباه: يجب على الجمهور أن يلاحظ الرسالة.
2. الفهم: يجب على الجمهور أن يفهم الرسالة.
3. القبول: يجب على الجمهور قبول الرسالة.
4. الاحتفاظ: يجب على الجمهور أن يتذكر الرسالة.
5. الفعل: يجب على الجمهور أن يتصرف بناءً على الرسالة.

4. منهجية الدراسة

نوع الدراسة: تعد الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية التي تستهدف تصوير موقف أو مجموعة معينة، وتحليلها، وتقويم خصائصها ودراسة الحقائق المتعلقة بها، (سمير حسين، 1995، ص 132)، ولا يتوقف العمل على ذلك فقط، بل تفسير البيانات بعد تحليلها، واستخلاص النتائج منها، وتسعى الباحثة في إطار هذه الدراسة لجمع البيانات عن توظيف الاستمارات والأساليب الإقناعية في إعلانات وسائل التواصل الاجتماعي، وجمع البيانات والمعلومات من الجمهور المستهدف بهدف معرفة مدى تماشي هذه الاستمارات والأساليب وانسجامها مع الجمهور.

مناهج الدراسة: منهج المسح الإعلامي: حسبما قدمه المحمودي (2019) هو جهد علمي منظم، يتم بواسطته جمع البيانات والمعلومات من مجتمع الدراسة، وساعد الباحثة على إمكانية استخدام الأرقام للتوصل إلى نتائج محددة يمكن تعميمها. منهج تحليل المضمون: عرّفه المحمودي بأنه الطريقة والأسلوب والأداة التي يستخدمها الباحث في الوصف الكمي الظاهر لأية دراسة، يقوم بوصف المحتوى الظاهر للمادة والأحداث والوثائق لكشف العوامل المؤثرة في الظاهرة المدروسة. منهج تحليل الإطار: كجزء مكمل للتحليل الكمي باستخدام SPSS لاستمارة تحليل المحتوى، وتم توظيف مدخل تحليل الإطارات (Frame Analysis) لبناء مصفوفة تحليلية نوعية، تربط بشكل منهجي بين عناصر الشكل (نوع الوسائط، والأسلوب، والسرد)، وعناصر المضمون (الاستمارات، والمشاعر، والأساليب، والقيم، والهدف)، من أجل تصنيف كل إعلان ضمن إطار تحليلي محدد: (إطار توعوي، إطار تنقيفي، إطار تسويقي)، ليعتمد هذا التكامل بين التحليل الكمي والنوعي على معايير تفسيرية واضحة ويعزز من موثوقية النتائج. (Gu et al. 2023).

أداة جمع البيانات:

الدراسة الميدانية: استخدمت الباحثة صحيفة استقصاء من أجل جمع البيانات والمعلومات من المبحوثين عينة الدراسة. الدراسة التحليلية: استخدمت الباحثة استمارة التحليل للمحتوى المكون من عدة فئات تقيس محاور الدراسة. **وحدة التحليل:** اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على وحدة التحليل كما حددها Holsti (1952) و Berelson (1969) وذلك من خلال دراسة الإعلانات التي ينشرها مركز دمر الطبي عبر صفحته على فيس بوك، إلا أن الوحدات التحليلية التي وضعها هولستي وبرلسون، ركزت على المضمون اللفظي، إلا أن البحوث الحديثة في تحليل الوسائط الرقمية كدراسة عطية (2022) أضافت وحدة جديدة تُعرف "بوحدة الشكل"، وتم تفكيك الإعلان إلى مجموعة من الفئات الفرعية، فتم الاعتماد على الوحدات التالية:

1. وحدة الموضوع: من أجل تحليل طبيعة المحتوى الذي يتضمنه الإعلان (تنقيفي، توعوي، تعليمي. الخ)، والاستمارات والأساليب الإقناعية المستخدمة بالإعلان.

2. وحدة الشكل: من أجل تحليل الوسائط المستخدمة (نص، صورة، فيديو.. الخ)، وطبيعة اللغة، والشكل الفني العام للنص الإعلاني.

فئات التحليل: أعدت الباحثة استمارة تحليل المحتوى، لجمع المعلومات المطلوبة، وقامت بتعريف الفئات تعريفاً إجرائياً، تضمنت الفئات التالية:

فئات الشكل: ويُقصد بها الأساليب التي من خلالها يتم تنفيذ الإعلان، أو صياغته، وتندرج تحت فئات ماذا قيل؟ فئة وصف صفحة مركز دمر الطبي: ويُقصد بها الخصائص الشكلية لصفحة مركز دمر الطبي على الفيس بوك، وتتضمن الفئات التالية:

1. الوسائط المتعددة: ويقصد بها طبيعة الوسائط المستخدمة في إعلانات المركز على الفيس بوك وتتضمن (صورة، فيديو، نص، نص+صورة، نص+فيديو، نص+صورة+فيديو).

2. اللغة: ويقصد بها اللغة التي يعتمد عليها المركز في إعلاناته التي ينشرها عبر الفيس بوك، وتضم اللغة (الفصحى، الفصحى البسيطة، العامية، المختلطة).
3. فئة طبيعة المواضيع: ويقصد بها طبيعة الموضوع الذي يتناوله الإعلان (تثقيفي، توعوي، مسابقة، حسومات وعروض، أخرى تذكر)

فئات المضمون:

فئة الاستمالات الإقناعية: ويقصد بها الاستمالات الإقناعية التي يستخدمها مركز دمر الطبي في إعلاناته عبر الفيس بوك، وتتضمن الفئات التالية:

الاستمالات العقلية:

1. الاستشهاد بالمعلومات والأحداث.
 2. تقديم الأرقام والإحصائيات.
 3. تقديم تعريفات للمفاهيم العلمية.
 4. الاستشهاد بمصادر وأقوال مشهورة.
 5. اعتماد المسلمات في التحليل.
- الاستمالات العاطفية: ويقصد بها الاستمالات التي تعتمد على مخاطبة عواطف الجمهور ومشاعره لإثارة انفعالاته وجذبه عاطفياً وتتضمن:

1. الشعارات: مثل صحتك بتهمنا.
 2. الأساليب اللغوية: الاستعارة، والاستفهام، والتشبيه.
 3. دلالات الألفاظ: مثل أشياء لن تتوقعها مصدر شفائك.
 4. الاستشهاد بمصادر كالأطباء.
 5. عرض الرأي على أنه حقيقة: مثل هل تعلم أن هذا سبب السكري؟
- استمالة التخويف: وهي عبارة عن عرض حقائق تثير المخاوف بالخطر الذي قد يتلقاه مثل: هل تعرفين سرطان عنق الرحم؟ فئة الأساليب الإقناعية: ويقصد بها الأسلوب الذي يستخدمه المركز في تقديم الإعلان عبر الفيس بوك ويتضمن:

1. الأدلة والشواهد.
2. عرض جانب واحد من الموضوع.
3. ترتيب الحجج والبراهين.
4. استخدام أهداف واضحة للرسالة.
5. التكرار بالتنويع.

التكرار بالتنويع للكلمات والعبارات الإقناعية: هل استخدمت هذه العبارات للتذكير أم للتأكيد أم لاتخاذ قرار سريع أم للإلحاح في اتخاذ القرار أم مخاطبة العميل المتنقل؟

مضمون الموضوع: ويقصد بها طبيعة المواضيع التي يعلن عنها المركز الطبي عبر الفيس بوك وتتضمن (تجميل، حمل وولادة، أمراض جلدية، عظمية، أطفال، سرطان، أسنان، أخرى تذكر)

الأهداف: ويقصد بها الأهداف التي يسعى المركز لتحقيقها من خلال الإعلانات وتتضمن (الترويج للخدمات، تنشيط خدمة، كسب متعاملين).

الجمهور المستهدف: ويقصد بها الجمهور الذي يستهدفه المركز في إعلاناته، وتتضمن (الرجال، الأمهات، والفنيات، الأطفال، والوالدين، جمهور عام، المهنيين، المعوقين).

الأساليب الفنية لكتابة النص الإعلاني: ويقصد بها الأسلوب الذي يكتب به نص الإعلان وتتضمن (الحديث المباشر، الأسلوب الوصفي، المشكلة والحل، الأسلوب التوضيحي)

فئة الحجة العاطفية: ويقصد بها المشاعر المستخدمة في الإعلان مثل (الطمأنينة، السعادة والفرح، الخوف والقلق)

فئة أسلوب السرد القصصي: والمقصود بهذه الفئة الأسلوب الذي تم استخدامه في تقديم الإعلان مثل (السرد الوظيفي، استخدام تجارب العملاء، الهوية البصرية المعززة، عرض بيانات يقدمها الأطباء).

فئة القيم والمبادئ: ويقصد بها القيم والمبادئ التي يقدمها المركز في إعلاناته مثل (العناية الشخصية، الاهتمام بالمرضى، التحديث المستمر للأجهزة والتقنيات، المسؤولية الاجتماعية، النصائح)

فئة التفاعلية: ويقصد بها عدد الإعجابات والتعليقات، وكذلك المشاركات لإعلانات مركز دمر الطبي على الفيس بوك.

4.1 عينة الدراسة

أ. نطاق الدراسة التحليلية: صفحة مركز دمر الطبي على الفيس بوك:

مسوّغات اختيار مركز دمر الطبي:

1. يحتوي مركز دمر الطبي على 30 من الاختصاصات الطبية بداخله، ويضم أكثر من 150 طبيباً.
2. حاصل على شهادة الأيزو 9001 العالمية للجودة، وهو المركز الطبي الوحيد في سوريا الذي يُحدث موقعاً إلكترونياً خاصاً بالمركز، ويتيح لمستخدميه إنشاء ملفهم الطبي من خلاله.

3. يبلغ عدد المتابعين 100 ألف متابع، وذلك وفقاً لصفحة المركز الرسمية على الفيس بوك.
4. تجمع شبكة الفيس بوك بين مزايا شبكات التواصل الاجتماعي الأخرى كافة، مثل الإنستغرام واليوتيوب والتيك توك، فيمكن من خلاله عرض قوالب الرسائل كافة، مثل النص الطويل، أو القصير، وإرفاق الصور، والفيديو، والروابط، والتعليق، والتفاعل مع الجمهور.
- العينة:** بلغ حجم العينة (100) إعلان لمركز دمر الطبي على فيس بوك بوصفه نموذجاً اعتمدته الباحثة لتحليل الإعلانات.
- الحدود الزمانية:** تتضمن هذه الدراسة إعلانات مركز دمر الطبي بدءاً من 2024/1/1 حتى 2024/9/30
- الدراسة الميدانية:**
- أ. مجتمع الدراسة: عملاء مركز دمر الطبي.
- ب. عينة الدراسة: (100) مبحوث من عملاء مركز دمر الطبي.

جدول 1: خصائص العينة الميدانية

المتغير	ك	%
النوع	ذكر	32%
	أنثى	68%
السن	من 20: 30 سنة	41%
	من 30: 40 سنة	32%
	من 40: 50 سنة	17%
	51 سنة فما فوق	10%
	ابتدائي	5%
المستوى التعليمي	إعدادي	27%
	ثانوي	30%
	جامعي فما فوق	38%

4.2 إجراءات الصدق والثبات

عُرضت استمارة (تحليل المحتوى، وصحيفة الاستقصاء) على محكمين مختصين في مجال الإعلان من جامعة دمشق¹، للاستفادة من خبراتهم وتعديل الاستمارات وفقاً لتعديلاتهم، ومقترحاتهم، وذلك من أجل قياس الصدق الظاهري للاستمارة.

4.3 قياس الثبات إحصائياً

- الدراسة التحليلية: للتأكد من ثبات أداة التحليل، تم استخدام معامل هولستي لقياس الاتفاق بين المحللين، وذلك من خلال عينة عشوائية تمثل (25%) من إجمالي العينة، وتم تطبيق محللين مستقلين دليل التحليل على هذه العينة، وقد بلغت درجة الثبات 0.85، وهي نسبة مقبولة في البحوث الإعلامية، ويعد الثبات مقبولاً إذا تجاوز 0.70.
- الدراسة الميدانية: تم حساب ثبات الأداة ومدى اتساقها باستخدام معامل (ألفا كرو نباخ) من حزمة التحليل الإحصائي للعلوم الاجتماعية SPSS، العزاوي (2021)، وبلغت قيمة الثبات (0.67)، وهي قيمة تُعد مقبولة في الدراسات الإعلامية والاجتماعية.

4.4 المقاييس الإحصائية المستخدمة

أسلوب التكرارات البسيطة، والنسب المئوية.

5. النتائج ومناقشتها

5.1 نتائج الدراسة التحليلية

جدول 2: الوسائط المتعددة المستخدمة في الإعلان

الوسائط	ك	%
نص+صورة	94	94.0%

*أسماء المحكمين الذين قاموا بشكورين بتحكيم استمارتي البحث مرتبة أبجدياً:

- الدكتور: محمد الخضر، كلية الإعلام، قسم العلاقات العامة والإعلان، جامعة دمشق، مدرّس.
- الدكتورة: مزنة كخالة، كلية الإعلام، قسم العلاقات العامة والإعلان، جامعة دمشق، مدرّس.
- الدكتورة: هناء براقوي، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، جامعة دمشق، أستاذ مساعد.

نص+فيديو	6	6.0%
نص+صورة+فيديو	0	0%
فيديو	0	0%
صورة	0	0%
ن	100	100%

تبيّن من الجدول السابق رقم (2) أن (94%) من إعلانات مركز دمر الطبي اعتمدت في الوسائط المتعددة على النص والصورة معاً، و(6%) فقط تضمنت نصاً وفيديو، فيما انعدم استخدام الفيديو أو الصورة من غير محتوى مكتوب، أو اجتماعها معاً؛ نصاً وفيديو وصورة في آن واحد، ويدل ذلك على أن الصورة لها التأثير الأكبر في موقع فيس بوك بالنسبة للإعلانات خلافاً لموقع الإنستغرام الذي يُعرف بمقاطع الفيديو القصيرة، إلى جانب المحتوى المكتوب فوق الصورة، ويعود ذلك تبعاً لنوع الخدمة المقدمة، فالخدمات الصحية تحتاج لشرح ومعلومات أكثر من أي سلعة أخرى، يتم تقديمها للجمهور المستهدف.

جدول 3: التفاعلية في الإعلانات

التفاعلية	%
متوسط عدد التفاعلات للإعلانات	102.38
متوسط عدد التعليقات للإعلانات	110.26
متوسط عدد المشاركات للإعلانات	96

يتضح من الجدول السابق رقم (3) أن متوسط عدد التفاعلات في صفحة مركز دمر الطبي بلغ (102.38)، فيما متوسط عدد التعليقات (110.26)، ومتوسط عدد المشاركات للإعلانات (96)، ويدل ذلك على أن الإعلانات التي ينشرها مركز دمر الطبي وعدد المشتركين بالصفحة لا يتوافق مع حجم التفاعلات، والتعليقات، فالخدمة الصحية تحتاج للتجربة، ولا يعدّ عدد التفاعلات أو التعليقات شرطاً، ودليلاً على شراء العملاء أو الجمهور المستهدف للخدمة، إلا أنه يقيس مدى فاعلية الإعلان ووصوله للجمهور واقتناعه بالخدمة المقدمة، والمحتوى أيضاً.

جدول 4: اللغة المستخدمة في الإعلان

اللغة	ك	%
الفصحى	21	21.0%
الفصحى البسيطة	22	22.0%
العامية	42	42.0%
المختلطة	15	15.0%
ن	100	100%

يتضح من الجدول السابق رقم (4) أن (42%) من الإعلانات تستخدم اللغة العامية في محتوى إعلاناتها، فيما جاءت اللغة الفصحى البسيطة في المرتبة الثانية بنسبة (22%)، وفي المرتبة الثالثة الفصحى بنسبة (21%)، وفي المرتبة الأخيرة المختلطة بنسبة (15%)، ويدل ذلك على أن المركز الطبي يعتمد في إعلاناته عبر فيس بوك على اللغة العامية لقربها من الجمهور بوصفها لغتهم اليومية.

جدول 5: طبيعة المواضيع المعلن عنها

طبيعة المواضيع	ك	%
تثقيفي	14	14.0%
تعليمي	26	26.0%
مسابقة	9	9.0%
حسومات وعروض	27	27.0%
تعريفي	24	24.0%

ن	100	%100
---	-----	------

تبين من الجدول السابق رقم (5)، أن الحسومات والعروض جاءت في المرتبة الأولى بنسبة (27%)، وفي المرتبة الثانية كانت الجانب التعليمي بنسبة (26%)، وفي المرتبة الثالثة التعريفي بنسبة (24%)، ثم التثقيفي في المرتبة الرابعة بنسبة (14%)، وفي المرتبة الأخيرة كانت المسابقات بنسبة (9%)، ويتضح من هذه النتائج أن الحسومات والعروض تغطي على غيرها من المواضيع ويمكن تفسير ذلك بأن المركز اتجه نحو زيادة معدل التفاعل مقارنة بعدد متابعيه كما ظهر لدينا في الجدول السابق رقم (2)، والتعريف عن خدماته، والتذكير بها.

وتلجأ المنظمات والشركات بشكل عام للعروض والحسومات عندما تشعر أن العميل والمتابع لها قد ابتعد، فتسعى من خلال هذه العروض لتذكيرهم بخدماتها وكسب متعاملين جدد لها من خلال هذه العروض والحسومات التي يتم الإعلان عنها في إعلانات المركز على فيس بوك.

جدول 6: الاستمارات الإقناعية في الإعلان

الاستمارات	ك	%
استمالة التخويف	9	%9
الاستمالة العقلانية	71	%71
الاستمالة العاطفية	65	%65

يتبين من الجدول السابق رقم (6) أن الاستمارات العقلانية جاءت في المرتبة الأولى من حيث الاستخدام بنسبة (71%)، وفي المرتبة الثانية كانت الاستمارات العاطفية بنسبة (65%)، وفي المرتبة الثالثة استمالة التخويف بنسبة (9%)، ويمكن تفسير هذه النتيجة أن الاستمالة العقلانية يتم الاعتماد عليها بشكل كبير في الإعلانات التي تتعلق بالصحة، لأن العميل يحتاج للمعلومات والأرقام والتعريفات العلمية ليتأكد من صحة المعلومة والإعلان، والعميل هو مريض يحتاج إلى معلومات دقيقة ومنطقية لتساعده على اتخاذ قرار واع فيما يخص صحته.

وإلى جانب ما تحققه هذه الاستمارات من ولاء للمركز وخدماته، فقد يتم جذب انتباه العميل من خلال الاستمالة العاطفية، وهذا ما يفسر استخدام المركز للاستمارات العاطفية، لكن في المقابل الإعلانات الطبية والمتعلقة بالشأن الصحي لا بد أن تُبنى على المعلومات والأرقام والحقائق المثبتة علمياً، وهذه النتيجة تتفق مع نتيجة دراسة (أمينة مزياني. مرجع سابق) التي توصلت إلى النتيجة ذاتها في الاستمالة العقلانية.

جدول 7: الاستمارات العقلية المستخدمة في الإعلان

الاستمارات العقلية	ك	%
الاستشهاد بالمعلومات والأحداث	56	%56
تقديم الأرقام والإحصائيات	8	%8
تقديم التعريفات للمفاهيم العلمية	35	%35
استخدام الصور	0	%0
الاستشهاد بمصادر وأقوال مشهورة	7	%7
اعتماد المسلمات في التحليل	25	%25

يتضح من الجدول السابق رقم (7) أن الاستشهاد بالمعلومات والأحداث احتلت المرتبة الأولى في الاستمالة العقلية المستخدمة في إعلانات المركز الطبي بنسبة (56%)، وفي المرتبة الثانية جاءت تقديم التعريفات للمفاهيم العلمية بنسبة (35%)، وفي المرتبة الثالثة اعتماد المسلمات في التحليل بنسبة (25%)، وفي المرتبة الرابعة تقديم الأرقام والإحصائيات بنسبة (8%)، وفي المرتبة الخامسة الاستشهاد بمصادر وأقوال مشهورة بنسبة (7%)، ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن المركز الطبي اعتمد في إعلاناته عبر الفيس بوك بشكل كبير على ذكر المعلومات والأحداث التي تزيد مصداقية الإعلان (نجلاء العمري. مرجع سابق. ص: 230)، أي اقتصر في استماراتها العقلية في الإقناع على المعلومات واعتماد المسلمات في التحليل وتقديم التعريفات للمفاهيم العلمية.

ويُعدّ هذا الاستخدام للاستمارات في الإعلانات الطبية توجه صحيح، فالعمل للمراكز الطبية يحتاج معلومات ومفاهيم علمية من مصادر موثوقة، إلا أن المركز استخدم الأرقام والإحصائيات في الإعلان بشكل ضئيل بالرغم من أهمية هذه الاستمالة العقلية، وخصوصاً في المجال الطبي.

جدول 8: الاستمالات العاطفية المستخدمة في الإعلان

الاستمالات العاطفية	ك	%
استخدام الشعارات	66	66%
الأساليب اللغوية	34	34%
دلالات الألفاظ	7	7%
الاستشهاد بمصادر كالأطباء	11	11%
عرض الرأي على أنه حقيقة	18	18%

تبيّن من الجدول السابق رقم (8)، أن استخدام الشعارات في الإعلان جاءت في المرتبة الأولى بنسبة (66%)، وفي المرتبة الثانية الأساليب اللغوية بنسبة (34%)، وفي المرتبة الثالثة استمالة عرض الرأي على أنه حقيقة بنسبة (18%)، وجاء في المرتبة الرابعة استمالة الاستشهاد بمصادر كالأطباء بنسبة (11%)، وجاءت في المرتبة الخامسة استمالة دلالات الألفاظ بنسبة (7%).

وهذه النتيجة تدل على أن إعلانات مركز دمر الطبي اعتمدت في استمالاتها العاطفية في الإعلان على استخدام الشعارات والأساليب اللغوية، ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن المتلقي يتذكر الشعارات في الإعلان أكثر من أية معلومة أخرى واردة في الإعلان، وبالتالي فإن التركيز على الشعارات في الإعلانات وخصوصاً في ظل هذا الكم الهائل من المعلومات التي يبثها مستخدمو وسائل التواصل الاجتماعي، أمر يساعد على حجز حيز للمركز في ذاكرة العميل.

جدول 9: الأساليب الإقناعية المستخدمة في الإعلان

الأساليب الإقناعية	ك	%
الأدلة والشواهد	19	19%
عرض جانب واحد من الموضوع	10	10%
تقديم الحجج والبراهين	30	30%
استخدام أهداف واضحة للرسالة	81	81%
التكرار بالتنوع	34	34%

تبيّن من الجدول السابق رقم (9) أن أسلوب استخدام الأهداف الواضحة في الرسالة جاء في المرتبة الأولى بنسبة (81%)، وفي المرتبة الثانية جاء أسلوب التكرار بالتنوع بنسبة (34%)، وفي المرتبة الثالثة أسلوب تقديم الحجج والبراهين بنسبة (30%)، وفي المرتبة الرابعة جاء أسلوب الأدلة والشواهد بنسبة (19%)، وفي المرتبة الأخيرة جاء أسلوب عرض جانب واحد من الموضوع مقابل عرض الرأي المعارض والمؤيد بنسبة (10%)، ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن الإعلانات المتعلقة بالطب والأمراض والصحة تحتاج للوضوح في هدف الرسالة وقولها بشكل مباشر إلى جانب ذكر الحجج والبراهين وترتيبها في المحتوى الإعلاني (أمينة مزياني. مرجع سابق. ص 245)، واتفقت هذه النتيجة مع نتيجة حنان عبد العال (مرجع سابق).

جدول 10: الهدف من تكرار العبارات والكلمات الإقناعية

الهدف من تكرار العبارات والكلمات الإقناعية	ك	%
التذكّر	11	32.4%
التأكيد وبناء الثقة	12	35.3%
التأثير على اتخاذ القرار	4	11.8%
خلق الشعور بالإلحاح لاتخاذ قرار سريع	6	17.6%
مخاطبة العميل المتنقل	1	2.9%
المجموع	34	100%

يتبيّن من الجدول السابق رقم (10) أن الهدف الرئيسي من تكرار العبارات والكلمات الإقناعية كان للتأكيد وبناء الثقة بنسبة (35.3%)، يليه التذكّر بنسبة (32.4%)، وفي المرتبة الثالثة خلق الشعور بالإلحاح لاتخاذ قرار سريع بنسبة (6%)، وفي المرتبة الرابعة التأثير في اتخاذ القرار بنسبة (4%)، وفي المرتبة الأخيرة مخاطبة العميل المتنقل بنسبة (1%).

ويمكن تفسير هذه النتيجة أن المركز الطبي حاول تكرار الكلمات الإقناعية والعبارات من أجل التأكيد على الفكرة التي تتناولها هذه العبارات وبناء الثقة مع العميل، إلى جانب مساعدته على تذكر الخدمات التي يقدمها وزرع الإعلان في رأسه، وذلك يدل على أن المركز الطبي لا يسعى لجذب العميل المتنقل، أو حتى الضغط على العملاء لاتخاذ قرار مستعجل بشأن الخدمة، ويعود هذا التباين إلى أساس الخدمة التي يقدمها المركز محل الدراسة والتي هي من الخدمات الصحية التي لا ينجح معها أسلوب التأثير في اتخاذ القرار، أو حتى خلق شعور الإلحاح.

جدول 11: مضمون الموضوع المعلن عنه

مضمون الموضوع	ك	%
تجميل	32	32%
حمل وولادة	3	3%
عظمية	4	4%
أطفال	10	10%
سرطان	20	20%
أسنان	5	5%
عام	19	19%
قلبية	6	6%
أمراض الكلى	1	1%
ن	100	100%

تبيّن من الجدول السابق رقم (11) أن موضوع التجميل جاء في مقدمة مضمون المواضيع التي تم الإعلان عنها في إعلانات مركز دمر الطبي على فيس بوك بنسبة (32%)، وتلاها السرطان بنسبة (20%)، والأمراض العامة في المرتبة الثالثة بنسبة (19%)، وفي المرتبة الرابعة كانت لأمراض الأطفال بنسبة (10%)، وفي المرتبة الخامسة الأمراض القلبية بنسبة (6%)، وفي المرتبة السادسة الأسنان بنسبة (5%)، وفي المرتبة السابعة أمراض العظمية بنسبة (4%)، في المرتبة الثامنة جاءت أمراض الحمل والولادة بنسبة (3%)، وفي المرتبة التاسعة جاءت أمراض الكلى بنسبة (1%). ويتضح من هذه النتيجة أن مركز دمر الطبي يولي اهتماماً كبيراً لقسم التجميل فيه، مقارنة بالأقسام الأخرى بالمركز، ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن هذه المواضيع من الإعلانات تستقطب عدداً أكبر من الجمهور النسائي، على أساس أن النساء يستخدمن وسائل التواصل الاجتماعي بشكل أكبر من الرجال Hillsberg & Adelman (2014)، وأن المركز يسعى لتنشيط هذا القسم دوناً عن غيره من الأقسام الأخرى في المركز.

جدول 12: الهدف من الإعلان

الهدف من الإعلان	ك	%
الترويج للخدمات	43	43%
تنشيط الخدمة	24	24%
كسب متعاملين جدد	36	36%
زيادة معدل التفاعل	45	45%

يتبين من الجدول السابق رقم (12) أن زيادة معدل التفاعل جاء في المرتبة الأولى بنسبة (45%)، وفي المرتبة الثانية كانت الترويج للخدمات بنسبة (43%)، وفي المرتبة الثالثة كسب متعاملين جدد بنسبة (36%)، وفي المرتبة الرابعة جاءت تنشيط الخدمة بنسبة (24%)، ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن الهدف من إعلانات مركز دمر الطبي على فيس بوك هو زيادة معدل التفاعل، ويرجع ذلك بسبب إعلانات الحسومات والعروض التي اتبعها المركز في إعلاناته كما اتضح لنا في الجدول السابق رقم (5)، إلى جانب تركيز المركز على جذب متعاملين جدد للمركز من خلال الإعلان عن الحسومات والعروض.

جدول 13: الجمهور المستهدف

الجمهور المستهدف	ك	%
الرجال	7	7%
الأمهات	47	47%
الفتيات	45	45%
الأطفال	1	1%
والدين	12	12%
جمهور عام	34	34%

يتبين من الجدول السابق رقم (13) أن الجمهور المستهدف في إعلانات مركز دمر الطبي كانت الحصة الأكبر للأمهات بنسبة (47%)، يليها الفتيات بنسبة (45%)، وفي المرتبة الثالثة كان الجمهور العام بنسبة (34%)، وفي المرتبة الرابعة جاء جمهور الوالدين بنسبة (12%)، وفي المرتبة الخامسة الرجال بنسبة (7%)، في المرتبة الأخيرة الأطفال بنسبة (1%)، ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن النساء - كما تبين سابقاً - بأنهن أكثر متابعة لوسائل التواصل الاجتماعي من الرجال، إلى جانب أن نسبة الإعلانات عن قسم التجميل قد حصلت على المرتبة الأولى في الجدول السابق رقم (11)، وبالتالي فمن الطبيعي أن يكون الجمهور المستهدف بشكل كبير في إعلانات المركز هن النساء والفتيات.

جدول 14: الأساليب الفنية المستخدم في كتابة النص الإعلاني

الأسلوب الفني	ك	%
الحديث المباشر	61	61%
الأسلوب الوصفي	12	12%
المشكلة والحل	13	13%
الأسلوب التوضيحي	17	17%

يتبين من الجدول السابق رقم (14)، أن الحديث المباشر جاء في المرتبة الأولى بنسبة (61%)، وفي المرتبة الثانية جاء الأسلوب التوضيحي بنسبة (17%)، وفي المرتبة الثالثة أسلوب المشكلة والحل بنسبة (13%)، وفي المرتبة الرابعة الأسلوب الوصفي بنسبة (12%)، وهذا يدل على أن المركز توجه في أسلوب كتابة الإعلانات للتحدث بشكل مباشر عن الخدمة، نظراً لنوعية الجمهور الذي يتم استهدافه عبر الفيس بوك، وهو الجمهور السريع والملول الذي يجب جذب انتباهه بسرعة، إلى جانب أن الإعلانات الخاصة بالصحة والأمراض تحتاج للحديث المباشر في الإعلان عنها، وهذا ما يؤكد النتيجة التي تم التوصل إليها في فئة الأسلوب الإقناعي الأكثر استخداماً في الجدول رقم (9) وهو وضوح الأهداف في الرسالة.

جدول 15: الحجة العاطفية

الحجة العاطفية	ك	%
القلق والخوف	21	21%
الفرح والسعادة	30	30%
العاطفة والحب	20	20%
الطمأنينة	25	25%
القبول والانتماء الاجتماعي	4	4%
المجموع	100	100%

يتبين من الجدول السابق رقم (15) أن الفرح والسعادة جاءت في المرتبة الأولى من جهة الحجة العاطفية المستخدمة في إعلانات المركز الطبي بنسبة (30%)، وفي المرتبة الثانية كانت مشاعر الطمأنينة بنسبة (25%)، في المرتبة الثالثة القلق والخوف بنسبة (21%)، وفي المرتبة الرابعة العاطفة والحب بنسبة (20%)، وفي المرتبة الأخيرة القبول والانتماء الاجتماعي بنسبة (4%)، ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن المركز يسعى في إعلاناته لاستخدام المشاعر كافة وبشكل متوازن

في محتواه، إلا أن تعزيز شعور الانتماء والقبول في المجتمع لدى الجمهور وخصوصاً للذين يعانون من أمراض مستعصية، كان قليلاً جداً مقارنة بغيره، من المشاعر الأخرى التي يعززها في إعلاناته.

جدول 16: استخدام السرد القصصي

استخدام السرد القصصي	ك	%
استخدام تجارب العملاء	7	7%
عرض قصص مبنية على بيانات من قبل الأطباء	31	31%
السرد الوظيفي	48	48%
الهوية البصرية المعززة	14	14%
المجموع	100	100%

يتضح من الجدول السابق رقم (16) أنه تم استخدام أسلوب السرد الوظيفي بشكل كبير بنسبة (48%)، وفي المرتبة الثانية كان أسلوب عرض قصص مبنية على بيانات الأطباء أنفسهم، بنسبة (31%)، وفي المرتبة الثالثة أسلوب الهوية البصرية المعززة بنسبة (14%)، وفي المرتبة الأخيرة استخدام تجارب العملاء بنسبة (7%). وتدل هذه النتيجة على أن المركز الطبي أهمل أهم نوع من أنواع السرد القصصي ألا وهو استخدام تجارب العملاء، فبقدر ما يحتاج العميل أو الجمهور لسماع قصص الأطباء، فإن أكثر ما يؤثر فيه هو سماع قصص من أصحاب التجربة، إلا أن المركز - وكما هو موضح في الجدول السابق - اعتمد بشكل كبير على السرد الوظيفي؛ أي عرض المشكلة والأسباب والحلول الممكن تقديمها، فابتعد بذلك عن التميز في المحتوى المقدم.

جدول 17: القيم والمبادئ التي يركز عليها المركز في محتويات إعلاناته

القيم والمبادئ	ك	%
العناية الشخصية	14	14%
المصادقية	4	4%
الاهتمام بالمرضى	17	17%
التحديث المستمر للأجهزة والتقنيات	24	24%
المسؤولية الاجتماعية	23	23%
الإرشادات الصحية والوقائية	18	18%
المجموع	100	100%

يتبين من الجدول السابق رقم (17) أن أكثر القيم التي كان يركز عليها المركز في محتواه الإعلاني هي التحديث المستمر للأجهزة والتقنيات بنسبة (24%)، ويليهما المسؤولية الاجتماعية بنسبة (23%)، وفي المرتبة الثالثة الإرشادات الصحية والوقائية بنسبة (18%)، وفي المرتبة الرابعة الاهتمام بالمرضى بنسبة (17%)، وفي المرتبة الخامسة العناية الشخصية بنسبة (14%)، وفي المرتبة الأخيرة كانت قيمة المصادقية بنسبة (4%). ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن المركز الطبي كان يحاول التركيز على الأجهزة والتقنيات الجديدة التي يُحدثها في المركز ليبقى العميل على اطلاع بما يحدث، إلا أنه - وفي الوقت ذاته - أهمل الاهتمام بقيمة المصادقية الواضحة في إعلاناته، لكنه قدمها بشكل خفي من خلال الاهتمام بقيمة المسؤولية الاجتماعية، والاهتمام بالمرضى، وتقديم الإرشادات الصحية والوقائية للجمهور، ما فعل قيمة المصادقية بشكل غير مباشر في الإعلانات.

جدول 18: يوضح توزيع الأساليب الإقناعية على نوع محتوى الإعلانات

الأساليب الإقناعية / المحتوى	تثقيفي	تعليمي	مسابقة	حسومات وعروض	تعريفي	المجموع
الأدلة والشواهد	ك	4	8	1	3	18
	%	22.2%	44.4%	5.6%	16.7%	11.1%
عرض جانب واحد من الموضوع	ك	2	6	2	1	12
	%	16.7%	50.0%	16.7%	8.3%	100%

%	16.7	50	16.7	8.3	8.3	100
%	6	13	2	4	3	28
تقديم الحجج والبراهين						
%	21.4	46.4	7.1	14.3	10.7	100
ك	12	20	9	24	20	85
%	14.1	23.5	10.6	28.2	23.5	100
استخدام أهداف واضحة للرسالة						
ك	1	14	2	15	4	36
%	2.7	37.8	5.4	43.2	10.8	100
التكرار بالتنوع						

يتضح من الجدول السابق رقم (18) ومن خلال هذه الإحصائيات أن الأسلوب الأكثر استخداماً في محتوى المسابقات لا ينسجم مع نوع المحتوى، فمحتوى المسابقات لا يحتاج لأسلوب عرض جانب واحد من الموضوع، بل يحتاج لأهداف واضحة، وتكرار للرسالة لتحفيز العميل على الاشتراك فيها، وفيما يخص المحتوى التعريفي تبين أنه كان الأكثر استخداماً لأسلوب استخدام أهداف واضحة للرسالة بنسبة (23.5%)، وهو أسلوب مناسب للمحتوى التعريفي، إلا أن استخدامه كان قليلاً نوعاً ما، وتلاه أسلوب الأدلة والشواهد بنسبة (11.1%)، ثم أسلوب التكرار بالتنوع بنسبة (10.8%)، ثم أسلوب الحجج والبراهين بنسبة (10.7%)، وأخيراً أسلوب عرض جانب واحد من الموضوع بنسبة (8.3%).

نستنتج مما سبق أن محتوى إعلانات مركز دمر الطبي ينسجم مع الأساليب الإقناعية المستخدمة فيها باستثناء محتوى المسابقات الذي لم يعتمد على الأساليب الإقناعية التي تتلاءم وتتوافق معه.

جدول 19: المصفوفة التفاعلية لعناصر الشكل والمضمون

رقم الإعلان	الشكل (الوسائط + اللغة + الأسلوب)	المضمون (الموضوع + الاستمالة + المشاعر + الهدف + الجمهور)	الإطار التحليلي	عدد الإعلانات في الإطار	مستوى التفاعل	التفسير / الملاحظات
إعلان 43	نص + صورة، فصحي بسيطة، عرض جانب واحد	تنقيفي، عقلية، الطمأنينة، رفع الوعي، جمهور عام	إطار تنقيفي عقلاني	34	منخفض (35/5)	لغة واضحة، محتوى علمي مباشر
إعلان 58	نص + صورة، فصحي بسيطة، عرض جانب واحد	تنقيفي، عقلية، الطمأنينة، رفع الوعي، جمهور عام	إطار تنقيفي عقلاني	34	منخفض (35/5)	لغة واضحة، محتوى علمي مباشر
إعلان 95	فيديو، عامية، استفهام + أدلة	تحذيري (سرطان)، تخويف + عقلية، الخوف + القلق، توعية بالخطر، نساء	إطار تحذيري توعوي	33	مرتفع (220/90)	يعتمد على الخوف والفيديو
إعلان 44	فيديو، عامية، استفهام + أدلة	تحذيري (سرطان)، تخويف + عقلية، الخوف + القلق، توعية بالخطر، نساء	إطار تحذيري توعوي	33	مرتفع (220/90)	يعتمد على الخوف والفيديو
إعلان 15	نص + صورة، عامية، تكرار	عرض ترويجي، عاطفية، الفرح، كسب متعاملين، أمهات	إطار تسويقي عاطفي	33	مرتفع (180/75)	صورة عاطفية جذابة تستهدف الأمهات
إعلان 54	نص + صورة، عامية، تكرار	عرض ترويجي، عاطفية، الفرح، كسب متعاملين، أمهات	إطار تسويقي عاطفي	33	مرتفع (180/75)	صورة عاطفية جذابة تستهدف الأمهات

من خلال تحليل المصفوفة التفاعلية التي جمعت بين عناصر الشكل والمضمون كما يتضح في الجدول السابق رقم (19)، فقد تبين أن الإطار التنقيفي ظهر بوضوح في الإعلانات التي هدفت إلى تقديم معلومات طبية مبسطة دون الضغط على المتلقي

لاتخاذ قرار فوري، فمن ناحية المضمون اعتمد هذا الإطار على الاستمالة العقلية من خلال تقديم معلومات توعوية، واستخدم لغة حيادية في شرح المعلومات بعيداً عن إثارة العواطف، أما بالنسبة للشكل فقد استخدم هذا الإطار اللغة الفصحى البسيطة وأسلوباً إقناعياً محدداً من خلال عرض جانب واحد من الموضوع، وبهذا التفاعل بين الشكل والمضمون تم بناء هذا الإطار الذي يهدف لرفع الوعي لدى المتلقي.

فيما تجلّى - أيضاً - الإطار التحذيري الذي تكوّن من تفاعل واضح بين الاستمالات العاطفية وأسلوب الأدلة والحجج والبراهين بوصفه أحد الأساليب الإقناعية، إلى جانب إرفاق فيديو لعرض المعلومات، وهذا التفاعل أسهم في تشكيل إطار اتصالي متماسك، يهدف لإثارة الخوف بهدف الدفع نحو السلوك الصحي الوقائي.

كما أظهرت المصوفاة التفاعلية تكراراً ملحوظاً لاستخدام الإطار التسويقي الذي ركز على العروض والمسابقات، والهدف منه هو تحفيز الجمهور على اتخاذ القرار والحجز لدى المركز، وذلك من خلال استخدام أسلوب التكرار للرسالة الإقناعية، والاستمالة العاطفية لاستثارة عواطف المتلقي وتحفيزه على اتخاذ إجراء حيال الإعلان.

ونستنتج مما سبق أن المركز الطبي قد سعى من خلال إعلاناته لتحقيق عدة أهداف منها الترويج والتثقيف والتحذير، وذلك من خلال بناء إعلاناته شكلاً ومضموناً ضمن أطر معينة تساعد في تحقيق الهدف من هذه الإعلانات.

5.2 الدراسة الميدانية لعملاء مركز دمر الطبي

جدول 20: شكل تفاعل العملاء

ك	%	كيف يكون شكل تفاعلك مع إعلانات المركز الطبي
22	22%	إضافة تعليق
52	52%	الإعجاب
20	20%	للاستفسار عن خدمة
6	6%	الاكتفاء بمشاهدة الإعلان
100	100%	المجموع

تبيّن من الجدول السابق رقم (20) أن غالبية الذين يتفاعلون مع إعلانات مركز دمر الطبي عبر الفيس بوك يتفاعلون عن طريق الإعجاب بالإعلان فقط بنسبة (79.9%)، وتفسير ذلك يعود للسرعة التي يتعامل فيها العميل مع هذا النوع من الإعلانات، فيما حصلت عبارة إضافة تعليق على المرتبة الثانية بعد عبارة الإعجاب، وكانت بنسبة (29.8%)، أما نسبة الذين استفسروا عن الخدمة (27.3%)، والذين اكتفوا بمشاهدة الإعلان كانوا بنسبة (14.2%)، ويمكن تفسير هذه النتيجة أن معظم المبحوثين يتفاعلون مع إعلانات مركز دمر الطبي عبر الفيس بوك، ونستنتج من ذلك أن الإعلانات التي يقدمها المركز تنال إعجاب العملاء، لكن لا تدفعهم بشكل كبير للاستفسار أو التعليق.

جدول 21: عناصر جذب الانتباه

ك	%	ما هو العنصر الذي يجذب انتباهك في إعلانات مركز دمر الطبي عبر الفيس بوك
24	24%	طريقة التصميم
6	6%	الموسيقى
35	35%	المحتوى المكتوب
5	5%	عدد المتفاعلين
10	10%	المعلومات الواردة في الإعلان
20	20%	الشخصية الظاهرة في الإعلان
100	100%	المجموع

يشير الجدول السابق رقم (21) إلى أن عنصر المحتوى المكتوب في الإعلان يأتي في المرتبة الأولى بنسبة (35%)، وطريقة التصميم في المرتبة الثانية بنسبة (24%)، أما المرتبة الثالثة فيأتي عنصر الشخصية الظاهرة في الإعلان بنسبة (20%)، وفي المرتبة الرابعة المعلومات الواردة في الإعلان بنسبة (10%)، والموسيقى في المرتبة الخامسة بنسبة (6%)، أما عدد المتفاعلين فقد جاءت في المرتبة السادسة بنسبة (5%)، وهذا يختلف مع ما جاء في نموذج (AIDCAM)، فالهدف الأول هو جذب الانتباه، والثاني إثارة الاهتمام بالمضمون، وهذا ما نفتته هذه النتيجة، حيث إن المحتوى المكتوب جاء في المرتبة الأولى، والتصميم في المرتبة الثانية.

جدول 22: المضامين الإعلانية المفضلة

ما هو مضمون الإعلان المفضل لديك؟	ك	%
التجميل	53	51.5%
الحمل والولادة	41	39.8%
الأمراض الجلدية	27	26.2%
الأمراض العامة	39	37.9%
أمراض الأطفال	46	44.7%
أمراض السرطان	29	28.2%
أمراض الأسنان	34	33%

يتضح من الجدول السابق رقم (22) أن التجميل جاء في المرتبة الأولى من حيث المضامين التي يفضلها العملاء في إعلانات المركز بنسبة (51.5%)، وفي المرتبة الثانية أمراض الأطفال بنسبة (44.7%)، وفي المرتبة الثالثة كانت للحمل والولادة بنسبة (39.8%)، وفي المرتبة الرابعة الأمراض العامة بنسبة (37.9%)، وفي المرتبة الخامسة أمراض الأسنان بنسبة (33%)، وفي المرتبة السادسة أمراض السرطان بنسبة (28.2%)، وفي المرتبة الأخيرة الأمراض الجلدية بنسبة (26.2%)، وتفسير هذه النتيجة يعود لسببين: الأول أن نسبة الإناث من العملاء حسب الجدول السابق رقم (1) كانت لها الحصة الأكبر بنسبة (68%)، والسبب الثاني أن في تحليل مضمون الإعلانات حسب الجدول السابق رقم (11) كان مضمون إعلانات التجميل هو الأكثر اهتماماً بالنسبة للمركز بنسبة (32%)، وبالتالي كان من الطبيعي أن يكون المحتوى المفضل للعملاء هو ما يخص النساء على وجه التحديد، إلى جانب أن الجمهور المستهدف لدى المركز كان الفتيات بنسبة (45%) كما ظهر لنا في الجدول السابق رقم (13).

جدول 23: المحتوى المفضل

ما المحتوى الذي تفضل عرضه في إعلانات المركز؟	ك	%
التثقيفي	27	26.2%
التعليمي	45	43.7%
المسابقات	78	75.7%
الحسومات والعروض	57	55.3%
التعريفي	48	46.6%

ويتضح من الجدول السابق رقم (23) أن المحتوى الذي يفضل عملاء مركز دمر الطبي عرضه في الإعلانات هو المسابقات في المرتبة الأولى بنسبة (78%)، ويعود ذلك لما يخلق إعلان المسابقة من تحفيز وتجربة تفاعلية متمعة، فيشعرون بالحماس والمشاركة بدلاً من تلقي إعلان تقليدي، ويليه محتوى الحسومات والعروض بنسبة (57%). ويمكن تفسير ذلك بأن الحسومات والعروض تخلق قيمة مضافة لدى العميل وهي إعطاؤه فرصة الحصول على الخدمة بسعر أقل، أو بمميزات إضافية، وفي المرتبة الثالثة المحتوى التعريفي بنسبة (48%)، وفي المرتبة الرابعة المحتوى التعليمي بنسبة (45%)، وأخيراً المحتوى التثقيفي بنسبة (27%).

جدول 24: أسباب المتابعة للإعلانات

ما السبب الذي يجعلك تتابع إعلانات المركز على فيس بوك؟	ك	%
تواجد الأطباء في الإعلانات	51	49.5%
الأسئلة التي يتم طرحها في المحتوى الإعلاني	10	9.7%
عرض تجارب العملاء	63	61.2%
المعلومات مفهومة وبسيطة	45	43.7%
واقعية	38	36.9%
تكرار المعلومة الذي ساعد على تذكرها	36	35%
الثقة بالمعلومات التي يقدمها المركز	57	55.3%

يتضح من الجدول السابق رقم (24) أن من أكثر الأسباب التي تجعل العميل يقتنع بالإعلان هو عرض تجارب العملاء وذلك بنسبة (61.2%)، وذلك لأن العميل عندما يرى تجارب حقيقية لأشخاص آخرين وخصوصاً في مجال الخدمات يشعرون بأن الخدمة موثوقة، ما يقلل من المخاطر والشكوك لديهم، وفي المرتبة الثانية كان الثقة بالمعلومات التي يقدمها المركز بنسبة (55.3%).

ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن العملاء جربوا تلك الخدمات التي أعلن عنها المركز، ما جعلهم يثقون بكل ما ينشره فيما بعد، وفي المرتبة الثالثة كانت عبارة تواجد الأطباء في الإعلانات بنسبة (49.5%)، ويليهما عبارة المعلومات مفهومة وبسيطة بنسبة (43.7%)، ثم عبارة واقعية بنسبة (36.9%)، وتلاها عبارة تكرار المعلومة بنسبة (35%)، وأخيراً عبارة الأسئلة التي يتم طرحها في المحتوى الإعلاني بنسبة (9.7%).

جدول 25: مدى ثقة العملاء

هل تثق في المعلومات التي يقدمها المركز في إعلاناته؟	ك	%
نعم	67	67%
لا	33	33%
المجموع	100	100%

يتضح من الجدول السابق رقم (25) أن عملاء مركز دمر الطبي يثقون بالمعلومات التي يقدمها المركز لهم في إعلاناته عبر الفيس بوك بنسبة (67%) وهذه نسبة عالية مقارنة بالذين لا يثقون بمعلومات إعلانات المركز، ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن حرص المركز على استخدام أساليب إقناعية تتناغم مع جمهوره وتتسمج معه، إلى جانب تعزيز المحتوى بالاستمارات والشخصيات الطبية التي تزيد مصداقية المحتوى، أدى إلى تعزيز ثقة العميل بالمركز، وخضوعه لتجربة الخدمات بعيداً عن الشكوك والقلق.

جدول 26: الأسلوب المفضل لدى العملاء

ما الأسلوب الذي تفضل أن يتم مخاطبتك به في الإعلان؟	ك	%
عرض مشكلة وحل	27	26.2%
عرض تجارب العملاء	70	68%
عرض بيانات ومعلومات ذات مرجع علمي	25	24.3%
تقديم محتوى من قبل الأطباء	61	59.2%

يتضح من الجدول السابق رقم (26) أن الأسلوب الذي يفضل عملاء المراكز الطبية مخاطبتهم به في الإعلانات هو عرض تجارب العملاء لهم بنسبة (68%)، وتلاها أسلوب تقديم الأطباء محتوى ما بنسبة (59.2%)، ثم أسلوب عرض المشكلة والحل بنسبة (26.2%)، وأخيراً أسلوب عرض بيانات ومعلومات ذات مرجع علمي بنسبة (24.3%)، ونستنتج الأرقام السابقة أن العملاء في المحتوى الطبي يحتاجون لأشخاص قاموا بتجربة الخدمة أو الأطباء الذين يقدمون لهم هذه الخدمة، وذلك من أجل الشعور بالاطمئنان والثقة عند التجربة.

5.3 مناقشة فرضيات الدراسة

الفرضية الأولى: تُوظف صفحة مركز دمر الطبي الاستمارات الإقناعية المتنوعة في إعلاناتها عبر الفيس بوك. أثبتت النتائج أنه: هناك تنوع واختلاف في الاستمارات الإقناعية التي استخدمها المركز في إعلاناته بين استمارات عقلية، وعاطفية، وتخويف، إلا أن الاستمارات العقلية احتلت المرتبة الأولى مقارنة بالاستمارات الأخرى، وبالتالي تحققت هذه الفرضية. الفرضية الثانية: تستخدم صفحة مركز دمر الطبي التكرار بالتنوع واستخدام الأهداف الواضحة للرسالة، أساليب إقناعية في إعلاناتها على الفيس بوك.

أثبتت النتائج أنه: هناك تنوع في الأساليب الإقناعية التي اعتمدها مركز دمر الطبي في إعلاناتها على الفيس بوك، إلا أن أسلوب استخدام الأهداف الواضحة للرسالة كان في المرتبة الأولى، وتلاه أسلوب التكرار بالتنوع، وبالتالي تحققت هذه الفرضية. الفرضية الثالثة: تعتمد صفحة مركز دمر الطبي على عديد من الأطر الإعلانية من خلال استخدامها لعناصر الشكل والمضمون من أجل الوصول لجمهورها.

أثبتت النتائج أن: صفحة مركز دمر الطبي اعتمد على ثلاثة أنواع من الأطر الإعلانية والتي تمثلت بالإطار التسويقي والتحذيري والتثقيفي، من خلال توظيفها للاستمارات والأساليب الإقناعية والعناصر الأخرى التي تسهم في تشكيل الإعلان بهدف التأثير بالجمهور وتحفيزه على اتخاذ إجراء بعد مشاهدة الإعلان.

الفرضية الرابعة: تستخدم صفحة مركز دمر الطبي مشاعر القلق والخوف في إعلاناتها على الفيس بوك.

أثبتت النتائج أنه: يوجد تعدد وتنوع في المشاعر التي وظفتها صفحة المركز في إعلاناتها عبر الفيس بوك إلا أن مشاعر الفرح والسعادة كانت الغالبة في إعلاناتها مقارنة بمشاعر الخوف والقلق التي اعتمدها المركز بشكل قليل في إعلاناتها، وبالتالي لم تتحقق هذه الفرضية.

الفرضية الخامسة: تعتمد صفحة مركز دمر الطبي على الفيس بوك على السرد الوظيفي في تقديم محتوى إعلاناتها. أثبتت النتائج أن: صفحة مركز دمر الطبي اعتمدت على السرد الوظيفي بشكل كبير في تقديم إعلاناتها مقارنة بالأساليب الأخرى، وبالتالي تحققت هذه الفرضية.

الفرضية السادسة: تستخدم صفحة مركز دمر الطبي على الفيس بوك أساليب إقناعية تتناغم مع محتوى الإعلانات أثبتت النتائج أن: صفحة مركز دمر الطبي استخدمت في معظم إعلاناتها أساليب إقناعية تتناغم مع محتواها، إلا أنها لم تستخدم الأساليب الإقناعية الملائمة مع محتوى المسابقات، وبالتالي لم تتحقق هذه الفرضية.

5.4 تحليل النتائج مقارنة مع الدراسات السابقة

أظهرت نتائج الدراسة أن صفحة مركز دمر الطبي اعتمدت بدرجة واضحة على مشاعر الخوف والقلق في بعض الإعلانات، إلا أن مشاعر الطمأنينة والسعادة كانت الغالبة، وهو ما لم يتوافق تماماً مع الفرضية الرابعة. وقد تبين من خلال تحليل مضمون الرسائل أن المركز لم يركز بشكل رئيس على إثارة الخوف، بل نوع بين التأثيرات العاطفية بدرجات متفاوتة. تتوافق هذه النتائج جزئياً مع ما توصلت إليه دراسة "أمينة مزيان" (2020) التي أكدت على فعالية الاستمارات العاطفية، إلا أنها ركزت في سياقها على تعزيز الإيجابية دون الاعتماد على مشاعر الخوف. بينما تتقاطع النتائج مع دراسة "حنان عبد العال" (2018) التي أشارت إلى توظيف الخوف في الحملات الوقائية ولكن بشكل أكثر مباشرة، وهو ما كان مختلفاً نوعاً ما في هذه الدراسة، التي استخدمت الخوف ضمناً في الرسائل دون الإفراط فيه. أما دراسة "سندس فؤاد" (2021) فقد أكدت على التأثير القوي للرسائل التحذيرية، وخاصة في المجال الصحي، ما يجعلها متقاربة مع بعض النتائج الجزئية للدراسة الحالية، رغم اختلاف المنصات المستخدمة. وتبرز دراسة "زينب عبد الحليم" (2022) أهمية المزج بين الرسائل العاطفية والعقلانية، وهو ما تحقق بدرجة ملحوظة في هذه الدراسة، خصوصاً مع استخدام أساليب متنوعة لمخاطبة الوجدان والعقل في آن معاً. كما تدعم "يسرى خالد" (2022) هذا الاتجاه من خلال دراستها حول الرسائل الصحية الرقمية، فأشارت إلى فعالية الجمع بين الطمأنينة والتحفيز، وهو ما يعكس جانباً مما توصلت إليه هذه الدراسة أيضاً. أما الفرضية الخامسة، والتي افترضت أن مركز مصر الطبي يحرص على اتساق الرسالة الإقناعية مع محتواها، فقد أيدتها النتائج بشكل كبير، فتبين أن الشكل البصري والنصي يتكاملان لدعم الفكرة نفسها، ويتوافق هذا مع ما أكدته كل من دراسة "سندس فؤاد" و"يسرى خالد"، اللتين أظهرتا أن الانسجام بين عناصر الشكل والمضمون يرفع كفاءة الرسائل الصحية الرقمية. وبناءً على هذه المقارنة، فيمكن القول إن نتائج الدراسة الحالية تتماشى في مجملها مع ما توصلت إليه الأدبيات السابقة، مع تقديم إضافات في كيفية توظيف المشاعر والاتساق الداخلي للرسالة، خصوصاً في السياق التفاعلي لمنصة الفيس بوك.

5.5 نتائج غير متوقعة

خلال تحليل البيانات، برزت بعض النتائج غير المتوقعة ولم تكن مدرجة ضمن الفرضيات الأساسية، فقد تبين أن مركز دمر الطبي لم يعتمد بشكل رئيسي على مشاعر الخوف كما توقعت الفرضية الرابعة، بل كانت الرسائل تركز بدرجة أكبر على الطمأنينة والتحفيز، والتحذير المطمئن الذي يدفع الجمهور إلى أخذ الحيطة دون خوف. ولوحظ - أيضاً - أن نسبة كبيرة من الإعلانات اعتمدت اللغة العامية في مخاطبتها للجمهور، وهو ما يتناقض مع الطابع الجاد في هذا النوع من المحتوى.

5.6 النتائج العامة للدراسة الميدانية

1. يُقدم مركز دمر الطبي إعلانات عبر صفحته على الفيس بوك، تتناغم مع جمهوره في المحتوى، ولا تتناسب معه في الأسلوب الإقناعي.
2. (79.9%) من العملاء يتفاعلون مع إعلانات مركز دمر الطبي على الفيس بوك بالضغط على زر الإعجاب فقط.
3. أكثر عنصر يجذب انتباه العملاء في إعلانات مركز دمر الطبي هو المحتوى المكتوب بنسبة (35%).
4. أكثر المضامين التي يفضل العملاء وجودها في إعلانات مركز دمر الطبي هو التجميل وأمراض الأطفال.
5. يفضل عملاء مركز دمر الطبي محتوى المسابقات بنسبة (75.7%).
6. من أكثر الأسباب التي تُقنع العملاء بالإعلان عرض تجارب العملاء له في الإعلان بنسبة (61.4%).
7. (67%) من عملاء مركز دمر الطبي عينة الدراسة، يتفوق بالمعلومات التي يقدمها المركز في إعلاناتها عبر الفيس بوك.
8. (68%) من عملاء مركز دمر الطبي يفضلون أسلوب عرض تجارب العملاء في محتوى الإعلان.

6. الخاتمة والتوصيات

6.1 لمركز دمر الطبي

1. استخدام استمالة الأرقام والإحصائيات في الرسالة الإعلانية، نظراً لأهميتها والدور الذي تلعبه في الإقناع، وإيصال الرسالة خصوصاً في المجال الطبي.
2. عدم الانحياز لجمهور النساء، والاهتمام بفئة الرجال والجمهور العام في الإعلانات.
3. الاهتمام بإدخال الشخصيات الطبية أو المشهورة في الإعلان، بوصفه نوعاً من الاستمارات العاطفية الإقناعية المؤثرة.
4. العمل على كسب متعاملين جدد في الهدف الإعلاني، وذلك من خلال الإكثار من المسابقات والجوائز، من أجل تعزيز معدل التفاعل والوصول لأكبر قدر من الجمهور.
5. إجراء استطلاعات رأي لزوار المركز من أجل تحديد الطريقة التي سمعوا بها عن المركز وخصوصاً زوار المرة الأولى، لمعرفة ما إذا كانت هذه الإعلانات تصل للعملاء المحتملين أم لا.

6.2 توصيات خاصة بالمنشآت والمؤسسات الخدمية والطبية عموماً

1. توصي الباحثة بتوفير قسم خاص في جميع المؤسسات الخدمية والطبية يُعنى بإجراء بحوث السوق، من أجل فهم العملاء وتحديد احتياجاتهم، ومعرفة ما إذا كانت المؤسسة تسير بالطريق الصحيح أم لا، وأن الإعلانات التي تقدمها تصل للجمهور وتحدث التأثير المطلوب أم لا.
2. وضع خطة لنشر الإعلانات التي يشرف عليها مختصون في مجال الإعلان، تمكنهم من تحديد استراتيجية واضحة، تشمل الهدف من الإعلان أو الحملة الإعلانية، والجمهور المستهدف، والقنوات التي سيتم نشر الإعلان فيها، كذلك الميزانية التي يحتاجها الإعلان.
3. استثمار المؤسسات الخدمية والطبية لوسائل التواصل الاجتماعي بوصفها قنوات حديثة للإعلان والتواصل التفاعلي مع العميل الدائم والمحتمل، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الجمهور هو من يحدد الوسيلة المناسبة لإيصال الإعلان له.
4. توصي الباحثة المؤسسات الخدمية والطبية بعدم الاكتفاء باتخاذ عدد الإعجابات والمشاركات والتعليقات مقياساً لتقويم أداء الحملة الإعلانية، وإجراء بحث تقويم الأداء بعد نشرها لكل حملة إعلانية، لمعرفة ما إذا وصل الإعلان للجمهور، وهل كان الإعلان فعالاً مقارنة بالتكلفة.

6.3 الدراسات المستقبلية

1. إجراء دراسة ميدانية مع عملاء المراكز الطبية من أجل معرفة مدى وصول الإعلان للجمهور، وتحديد نقاط الضعف في الإعلان، كذلك نقاط القوة.
2. إجراء دراسة ميدانية باستخدام المقابلات المعمقة مع المعلنين لمعرفة ما إذا كان هؤلاء المعلنون مدركين للنتائج التي يتوصلون إليها في إعلاناتهم أم لا.
3. إجراء دراسة تحليلية لإعلانات وسائل التواصل الاجتماعي الأخرى (تيليجرام، إنستغرام، واتساب) والمقارنة فيما بينها، من أجل بلورة الخطوط الأساسية للإعلان في كل منها، وتحديد، ومعرفة الاختلافات والفروق فيما بينها.

الإقرارات

- تضارب المصالح **Conflict of interest**: لا يوجد أي تضارب مصالح يؤثر في هذا البحث.
- توافر البيانات والمواد **Availability of data and materials**: البيانات المستخدمة متاحة عند الطلب من المؤلف المسؤول. مصدر التمويل **Funding statement**: مَوَّلَ هذا البحث بالكامل الدكتورة أميمة معراوي، والباحثة هيا حمارشة.
- الموافقة الأخلاقية **Ethical approval**: تم الحصول على الموافقة الأخلاقية من مركز دمر الطبي قبل بدء الدراسة بشكل كامل، كما تم الحصول على الموافقة من جهة البروفيسور أميمة معراوي من أجل الإشراف على هذا البحث والعمل عليه مع الباحثة هيا حمارشة.

7. المصادر والمراجع

7.1 المراجع العربية

- السيد، محمد. (2017). دور استراتيجيات التفكير البصري في صياغة الرسائل الإعلانية على شبكات التواصل الاجتماعي. (رسالة ماجستير غير منشورة منشورة). جامعة حلوان. مصر.
- العاب، أمينة. والعروصي، ياسمين. ونجاة. (2024). الأساليب الإقناعية لصانع المحتوى في الترويج للسياحة الداخلية. دراسة تحليلية لعينة من فيديوهات صانع المحتوى (خبيب) عبر قنواته على اليوتيوب. (رسالة ماجستير منشورة). جامعة ابن خلدون.
- تيارت، مناح من خلال الرابط: [HTTP://DSPACE.UNIV-TIARET.DZ:80/HANDLE/123456789/15149](http://dSPACE.UNIV-TIARET.DZ:80/HANDLE/123456789/15149)
- البكري، فؤادة. (2011). التسويق الاجتماعي وتخطيط الحملات الإعلامية. القاهرة. دار عالم الكتب.
- المحمودي، محمد. سرحان. (2019). مناهج البحث العلمي. صنعاء. دار الكتب.

- بوفاري، هيام، ومزيان، ناريمان. (2021). استخدامات الأساليب الإقناعية لمؤثري الانستغرام في ترويج المنتجات النسائية- دراسة وصفية تحليلية لعينة من منشورات الانستغرام. (رسالة دكتوراه منشورة). جامعة أم البواقي. الجزائر. متاح من خلال الرابط: [HTTPS://THESES-ALGERIE.COM/5206747765887454/MEMOIRE-DE-MASTER/UNIVERSITE](https://theses-algerie.com/5206747765887454/MEMOIRE-DE-MASTER/UNIVERSITE)
- شعبان، كريمة. (2015). الاتصال الخطابي وفن الإقناع. عمان. دار أسامة للنشر والتوزيع.
- شبية، شدوان. علي. (2011). الإعلان المدخل والنظرية. الاسكندرية. دار المعرفة الجامعية.
- عبد، سلام، ومحمد، داليا. وصالح، ياسمين. (2024). الاستراتيجيات الإقناعية المستخدمة في تصميم الإعلان الإلكتروني. المجلة المصرية للدراسات المتخصصة. 41(12). 34_40. تم تحميل الملف من: [HTTPS://EJOS.JOURNALS.EKB.EG/ARTICLE_338197.HTML](https://ejos.journals.ekb.eg/article_338197.html)
- عبد الحليم، زينب. (2024). سيميولوجيا الأساليب الإقناعية المستخدمة في الصفحات الإعلانية بمواقع التواصل الاجتماعي وتأثيرها على السلوك الشرائي. مجلة كلية الآداب. 70 (1). تم تحميل الملف من: [HTTPS://JOURNALS.EKB.EG/ARTICLE_328827.HTML](https://journals.ekb.eg/article_328827.html)
- عبد العال، حنان. (2023). الأساليب الإقناعية المستخدمة عبر مواقع التواصل الاجتماعي إنستغرام ودورها في تسويق الخدمات الحكومية الإلكترونية الجديدة- دراسة حالة منصة مصر الرقمية. المجلة العلمية لبحوث العلاقات العامة والإعلان. 26(1). تم تحميل الملف من: [HTTPS://SJOCs.JOURNALS.EKB.EG/ARTICLE_326158.HTML](https://sjocs.journals.ekb.eg/article_326158.html)
- عبد الكاظم، فؤاد. (2012). استمالات وأساليب الإقناع في العلاقات العامة- دراسة تحليلية للرسائل الإعلانية المرسلية من شركة زين العراق. مجلة الباحث الإعلامي. 16(1). تم تحميل الملف من: [HTTPS://SEARCH.EMAREFA.NET/AR/DETAIL/BIM-318848](https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-318848)
- عطية، سالم. (2022). الخطاب البصري الرقمي بين دلالة الشكل والتأويل- دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من الخطابات البصرية الرقمية عبر الفيسبوك. مجلة جسور المعرفة. 8(4). تم تحميل الملف من: [HTTPS://ASJP.CERIST.DZ/EN/ARTICLES/136](https://asjp.cerist.dz/en/articles/136)
- فخري، مهند. (2022). الاستمالات الإقناعية في مضامين الدعاية الإسرائيلية إزاء الجمهور العراقي بشبكات التواصل الاجتماعي- دراسة تحليلية لصفحة إسرائيل بالهجة العراقية. مجلة دراسات وبحوث إعلامية. 2(3). تم تحميل الملف من: [HTTPS://WWW.RESEARCHGATE.NET/PUBLICATION/374945614_ALASTMALAT_ALAQNAYT_FY_](https://www.researchgate.net/publication/374945614_ALASTMALAT_ALAQNAYT_FY_)
- محمود، أحمد. (2016). أساليب الإقناع المستخدمة في الصفحات الإعلانية بمواقع الشبكات الاجتماعية- دراسة تحليلية. (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية التربية. قسم الإعلام. المنصورة.
- مزيان، أمينة. (2021). الأساليب الإقناعية في مواقع التواصل الاجتماعي دراسة تحليلية للمضامين الصحية لصفحة "ويب طب" عبر شبكة الفيسبوك. (رسالة دكتوراه منشورة). جامعة باتنة. الجزائر. متاح من خلال الرابط: [HTTPS://DSPACE.UNIV-BATNA.DZ/ITEMS/E711CB82-ED3B-4DC3-8439-9D7F0E54EAC0](https://dspace.univ-batna.dz/items/e711cb82-ed3b-4dc3-8439-9d7f0e54eac0)
- مصطفى، سندس. (2024). الاستمالات الإعلانية لمراكز التجميل على الفيس بوك وتأثيرها الإقناعي على المجتمع- دراسة تحليلية وميدانية، مجلة لارك للفلسفة واللغويات والعلوم الاجتماعية. 15(2). تم تحميل الملف من: [HTTPS://LARK.UOWASIT.EDU.IQ/INDEX.PHP/LARK/ARTICLE/VIEW/2792](https://lark.uowasit.edu.iq/index.php/lark/article/view/2792)

7.2 رومنة المراجع العربية

- Abd, S& Mohammed, D& Saleh, Y. (2024). Persuasive strategies used in electronic advertising design. (in Arabic). The Egyptian Journal of specialized studies. 41(12). 34_40. File downloaded from: https://ejos.journals.ekb.eg/article_338197.html
- Abdul aal, H. (2023). Persuasive methods used on social media platforms such as instagram and their role in marketing new e-government services. (in Arabic). The scientific Journal of public relations and advertising research. 26(1). File downloaded from: https://sjocs.journals.ekb.eg/article_326158.html
- Abdul halim, z. (2024). Semiology of persuasive methods used in advertising pages on social networking sites and their impact on purchasing behavior. (in Arabic). Journal of the faculty of arts. 70(1). File downloaded from: https://journals.ekb.eg/article_328827.html
- Abdul kazem, F. (2012). Persuasion approaches and methods in public relations. (in Arabic). Midia researcher magazine. Iraq. 16(1). File downloaded from: <https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-318848->
- Atyaa, g.s. (2022). Digital visual discourse between form and interpretation. (in Arabic). bridges of knowledge magazine. 8(4). File downloaded from: <https://asjp.cerist.dz/en/articles/136>
- AL-ayeb, a. AL-aroosi, Y. AL- aroosi, n. (20224). persuasive methods of content creators in promoting domestic tourism. an analutical study of a sample of content creator khabib videos on his Youtube channel. (in Arabic). (Published Master's thesis). Ibn Khaldoun University. Tiaret. Available through the link: <http://dspace.univ-tiaret.dz:80/handle/123456789/15149>
- AL-Bakri, F. A. (2011). Social marketing campaign planning. (in Arabic). Cairo. Dar Alam Al-Kotob.
- Al- Mahmoudi, M.S. (2019). Scientific Research Methods. (in Arrabic). Sana'a. Dar AL- Kutub.

- Al-Sayed. M. (2017). The role of visual thinking strategies un formulating advertising messages on social media. (in Arabic). (Unpublished Master's thesis). Helwan University. Egypt.
- BuVari, h. Mizyan, N. (20121). The use of persuasive techniques by instagram influencers in promoting women's products. (in Arabic). (Unpublished PHd thesis). university of Oum EL-Bouaghi. Algeria. available from the link: <https://theses-algerie.com/5206747765887454/memoire-de-master/universite>
- Fakhri, M. (2022). Persuasive approaches in israeli propaganda content towards the iraqi public on social media. (in Arabic). Journal of media studies and research. Iraq. 2(3). File downloaded from: https://www.researchgate.net/publication/374945614_alastmalat_alaqnayt_fy_
- Mahmoud, A. (2016). Persuasion techniques used in advertising pages on social networking sites. (in Arabic). (Unpublished master's thesis). Fculty of education, department of media, Mansoura.
- Mazyran, A. (2021). Persuasive methods on social media: an analytical study of health content. (in Arabic). (Unpublished PHD thesis). University of Batna. Algeria. Available through the link: <https://dspace.univ-batna.dz/items/e711cb82-ed3b-4dc3-8439-9d7f0e54eac0>
- Mustafa, S. (2024). The uses of beauty salons' advertising on facebook and their persuasive effect on society. (in Arabic). Lark Journal of philosophy and sociolinguistics. 15(2). File downloaded from: <https://lark.uowasit.edu.iq/index.php/lark/article/view/2792>
- Shaaban, K. (2015). Rhetorical communication and art of persuasion. (in Arabic). Amman. Dar Osama publishing and distribution.
- Sheba, SH. A. (20111). Introduction to advertising and theory. (in Arabic). Aleskandaria. Dar Al-MARIFA university.

7.3 المراجع الأجنبية

- B2B. (2018. April). Syria ranks seventh in the arab world in the number of facebook users. retrieved from: <https://b2b-sy.com/news/48999/>
- Cheong, h. (2020). Advertisers should use both rational appeals. akita international university. China
- Consultancy, m. (2024, April). Social media in the middle east. Retrieved from: <https://www.consultancy-me.com/>
- Entman, R. M. (1993). Framing: Toward clarification of a fractured paradigm. Journal of Communication, 43(4), 51–58. <https://doi.org/10.1111/j.1460-2466.1993.tb01304.x>
- Goffman, E. (1974). Frame analysis: An essay on the organization of experience. Harvard University Press.
- Gu, M., Zhang, Y., & Peng, T. Q. (2023). Advancing frame analysis in the digital media age: A computational communication approach. Digital Journalism, 11(2), 145–163. <https://doi.org/10.1080/21670811.2022.2038673>
- Hillsberg, A. Adelman, D. (2014). Why women are the real power behind social media. New York. <https://www.globalbankingandfinance.com/why-women-are-the-real-power-behind-social-media/>
- Kemp, S. (2023, march). Middle east-reports-darareportal- global digital insights. retrieved from: <https://datareportal.com/reports/tag/Middle+East>
- Kemp, S. (2024, February). Digital 2024; Syria. retrieved from: <https://datareportal.com/reports/digital-2024-syria>
- Radcliffe, d.& abuhamaid, h. & mahliaire, n. (2023). Social media in the middle east 2022 a year in review. University of oregon. 11(2). Retrieved from: https://www.researchgate.net/publication/370170686_social_media_in_the_middle_east_

8. الملاحق

8.1 الاستبانة

السؤال الأول: كيف يكون شكل تفاعلك مع إعلانات مركز دمر الطبي على فيس بوك؟

1. إضافة تعليق
 2. إعجاب
 3. استفسار عن خدمة
 4. الاكتفاء بمشاهدة الإعلان
- السؤال الثاني. ما هو العنصر الذي يجذب انتباهك في إعلانات مركز دمر على فيس بوك؟

1. طريقة التصميم
 2. الموسيقى
 3. المحتوى المكتوب
 4. عدد المتفاعلين
 5. المعلومات الواردة في الإعلان
 6. الشخصية الظاهرة في الإعلان
- السؤال الثالث. هل تثق في المعلومات التي يقدمها مركز دمر الطبي في إعلاناته على فيس بوك؟
1. نعم
 2. لا
- السؤال الرابع. ما السبب الذي يجعلك تتابع إعلانات المركز على فيس بوك؟
1. تواجد الأطباء في الإعلانات
 2. الأسئلة التي يتم طرحها في المحتوى الإعلاني
 3. عرض تجارب العملاء
 4. المعلومات مفهومة وبسيطة
 5. تكرار المعلومة الذي ساعد على تذكرها
 6. الثقة بالمعلومات التي يقدمها المركز
- السؤال الخامس. ما الأسلوب الذي تفضل أن يتم مخاطبتك به في إعلانات المركز؟
1. عرض مشكلة وحل
 2. عرض تجارب العملاء
 3. عرض بيانات ومعلومات ذات مرجع علمي
 4. تقديم الأطباء للمحتوى
- السؤال السادس. ما مضمون الإعلان المفضل لديك في إعلانات المركز على فيس بوك؟
1. تجميل
 2. الحمل والولادة
 3. الأمراض الجلدية
 4. الأمراض العامة
 5. أطفال
 6. سرطان
 7. أسنان
- السؤال السابع. ما المحتوى الذي تفضل عرضه في إعلانات مركز دمر على فيس بوك؟
1. تثقيفي
 2. تعليمي
 3. مسابقات وعروض
 4. تعريف
 5. حسومات

Persuasive Methods and Appeals Used in Social Media Ads: Dumar Medical Center Facebook Page as an Example

Haya Hamarsheh¹, Omaina Marrawi²

^{1,2} Public Relations and Advertising, Faculty of Media, Damascus University, Syria

Corresponding Author: hayaasaleh3@gmail.com

Received: 20/3/2025. Revised: 5/5/2025. Accepted: 24/9/2025. DIO:

Abstract

The study aimed to identify the persuasive methods and appeals techniques used in the advertisements of Dumar Medical Center in Syria (with Facebook as a case study). It also sought to determine the persuasive techniques preferred by customers in these advertisements to assess the extent to which these techniques align with the target audience. The study employed content analysis and survey methods, utilizing a content analysis form as a data collection tool. The study covered the period from January 1, 2024, to September 30, 2024, during which 100 advertisements were published. The field study sample was selected using a purposive sampling method and included 100 individuals from the center's customer base. The findings revealed that the studied platform effectively employed persuasive techniques such as repetition with variation, clear message objectives, and argument-based reasoning. However, there was limited use of evidence and testimonials, as well as the technique of presenting only one side of the topic. The advertisements primarily relied on rational appeals, such as citing information and events and providing scientific definitions, rather than emotional appeals. Among emotional appeals, the most commonly used elements were slogans and symbols. The advertisements employed a variety of frameworks through elements of form and content, ranging from educational and cautionary to promotional. Customers of the studied platform showed a strong interest in advertisements related to cosmetic procedures and pediatric diseases. The study also found that the most preferred persuasive technique among customers was evidence and testimonials, particularly customer experience stories. While the advertising content was generally aligned with the target audience, the persuasive techniques used did not fully resonate with them. Additionally, the advertisements mainly targeted women and girls more than other demographic groups, which influenced the customer base. The field study confirmed this, as the sample included more female respondents than male ones.

Keywords: persuasive appeals, persuasive methods, Facebook, strategy, advertisement.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة وعلاقته بالرفاه النفسي لدى عائلات الشهداء المهدمة بيوتهم في محافظة القدس

تهاني اللوزي¹

دكتوراه في فلسفة التربية، تخصص الإرشاد النفسي والتربوي، فلسطين

الباحث المراسل: tahane.nemer@gmail.com

Received: 20/1/2025. Revised: 18/3/2025. Accepted: 24/9/2025. Published: 30/06/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.6

الملخص

الأهداف: هدفت الدراسة إلى التعرف إلى العلاقة بين اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة والرفاه النفسي لدى عينة من عائلات الشهداء المهدمة بيوتهم في محافظة القدس، والتعرف إلى مستوى اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة ومستوى الرفاه النفسي المنهجية، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي الارتباطي، وتكونت عينة الدراسة من عينة متاحة قوامها (147)، من عائلات الشهداء المترددين على مؤسسات أسر الشهداء في محافظة القدس، الذين أجابوا عن مقياس الرفاه النفسي ومقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة. النتائج: وجود مستوى مرتفع من اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة ومستوى منخفض من الرفاه النفسي، ووجود علاقة ارتباطية سالبة بين اضطراب الصدمة والرفاه النفسي، كما يمكن لأبعاد اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة (تجنب الخبرة الصادمة، واستعادة الخبرة الصادمة) أن تتنبأ بالرفاه النفسي، وعدم وجود فروق في الدرجة الكلية لاضطراب الصدمة والرفاه النفسي تعزى لسنوات استشهاد الفلسطينيين.

الخلاصة: خلصت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية سالبة بين اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة والرفاه النفسي. وأن اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة يسهم في التنبؤ بمستوى الرفاه النفسي، وأن النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية تشير، وبشكل واضح، لوجود آثار نفسية وبدرجات تستحق الرعاية والاهتمام.

الكلمات المفتاحية: اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة، عائلات الشهداء.

1. المقدمة

يعيش الشعب الفلسطيني، وعلى رأسه سكان محافظة القدس، تحت وطأة احتلال طال أمده، وألقى بظلاله الثقيلة على تفاصيل حياتهم اليومية. فقد جرّهم الاحتلال مرات الفقد والاقتلاع، ولم تتوقف سياساته القمعية عند حدود الاستيلاء على الأرض أو تقييد الحركة، بل امتدت لتشمل هدم البيوت فوق ساكنيها، لا سيما منازل عائلات الشهداء، في محاولة لإلحاق الأذى بالأحياء عقاباً على من رحلوا.

وفي ظل هذا الواقع القاسي، يتعرض الأفراد لأحداث تفوق القدرة البشرية على التحمل، يمكن وصفها بأنها خارجة عن حدود التحمل الإنساني، ما يدفع الكثيرين إلى الوقوع في أزمات نفسية شديدة، أبرزها اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة (PTSD). فالفقد المركب الذي تعانيه هذه العائلات: فقد الأحبة وفقد المأوى، يولد ضغوطاً قد تترك آثاراً طويلة الأمد في البنية النفسية للفرد، تؤثر في إحساسه بالأمان والعدالة.

ويعدّ استشهاد أحد أفراد العائلة حدثاً ساحقاً يرافقه بعد ذلك بسنوات عديدة، فالحداد والفجعة يمتدان لفترة طويلة من الزمن. فإن الذكريات والأحداث تسبب الحزن لدى العائلة، في تواريخ معينة، مثل يوم إحياء ذكرى الاستشهاد (Carnelley 2006) عند صدور قرار محكمة الاحتلال بهدم منزل الشهيد، أو منزل عائلة الشهيد، فتدخل العائلة بحالة صدمة لسماع هذا الخبر، فهم لا يستطيعون استيعاب الأمر عندما تقوم قوات الاحتلال باقتحام البيت وأخذ قياساته. ومن أجل تخفيف حزن أهالي الشهداء الذين دمرت منازلهم، تم إنشاء آليات التدخل السريع من خلال عمليات التعاون مع منظمات المجتمع المعنية لهدمة

وتفجيره أو إغلاقه، في حين لا تزال العائلة تبكي على المفقود فيما يتعلق بالحدث الأكثر ضغطاً على حياتهم، ويجب على هذه العائلات تحمل المسؤولية (Asadollahi et al., 2022)

فالمشكلات النفسية والاجتماعية واضطراب ضغوط ما بعد الصدمة والاضطرابات النفسية والاجهاد النفسي Post-Traumatic Stress Disorder (PTSD) منتشرة في كل المجتمعات، غير أن هذه المشكلات أكثر شيوعاً بين الأفراد الذين يواجهون المحن في مناطق تسود فيها الحروب ومناطق الصراع لا سيما الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، فمن الواجب الانتباه لها ودراساتها لما لها من أهمية من أجل أخذ التدابير التي تعالج تلك المشكلات (اللوزي، 2023).

كما إن ويلات الحروب اقترنت دائماً بالاضطرابات النفسية، وإن تشوش الصدمة (أو تشوش شدة ما بعد الصدمة). هو متلازمة تشير إلى مجموعة من الأعراض تظهر عند من تعرضوا للصدمة، والتي كثيراً ما ارتبطت بالحروب، ويعد اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة أحد اضطرابات القلق، والذي يتطور نتيجة التعرض لحدث ضاغط صدمي شديد، يستحث الشعور بالخوف أو الفزع أو العجز الحاد (Fast, 2015).

عند استشهاد أحد أفراد العائلة تقوم قوات الاحتلال الإسرائيلي بأجهزتها الأمنية والعسكرية بمحاصرة عائلة الشهيد، ويحرمونهم من أبسط حقوقهم في الحزن من خلال منع الأسرة من إقامة بيت أجرة للشهيد، وعقاب العائلة بهدم منزلهم أو إغلاقه، وسلب هوياتهم المقدسية، ونفيهم إلى محافظة أخرى، وقطع أرزاقهم، فيتم طرد أفراد عائلاتهم من عملهم في القدس، وجراء ذلك يصحبون بلا مصدر رزق، وهذا يزيد من الضغوط النفسية على كاهل العائلة (عويسات، 2022).

وتعاني عوائل الشهداء من ضغوط كبيرة لإدارة حياتهم، فيواجهون مشاكل مثل الأمراض الجسدية ومشاكل النوم والاكتئاب والموت المبكر، والتي تؤثر في النهاية في حياتهم. ومع ذلك، يمكن لبعضهم أن يتأقلم بسهولة، ويعكس شيئاً من المرونة والتكيف مع قضية هدم بيت الشهيد، والتي يمكن أن تؤثر في صحتهم ونوعية حياتهم. (Parker et al., 2016)

وقد وضعت منظمة الصحة العالمية (WHO): اضطراب ما بعد الصدمة بوصفه أحد أنواع الاضطرابات المرتبطة بالإجهاد، وعرفه التصنيف الدولي الحادي عشر للأمراض بأنه اضطراب قد يتطور بعد التعرض لحدث أو سلسلة من الأحداث الصادمة شديدة الخطورة (WHO, 2022). وهناك عديد من الدوافع والعوامل الخطرة التي تؤدي إلى إحداث ضغوط ما بعد الصدمة، إلا أن السبب الأساس هو مواجهة الفرد للحدث الصادم أو رؤيته له، وبصفة عامة يوجد عاملان من أقوى العوامل التي تحدد النتائج النفسية للصدمة على المدى الطويل، وهما خبرة الفرد في معارضة المواقف وقدرته على مواجهتها، ومستوى المساندة الاجتماعية التي يحصل عليها الفرد بعد وقوع الحدث الصادم، فكلما زادت خبرة الفرد في مواجهة الأحداث الصادمة، وكلما كانت المساندة الاجتماعية أقوى وأكبر، أدى ذلك إلى خفض التوتر والتقليل من الأعراض النفسية التابعة للحدث الصادم.

وتتمثل أبعاد اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة في البعد الأول المعروف باستعادة الخبرة: وهي عبارة عن صور متلاحقة في مخيلة الفرد لما حدث، ولا يستطيع منعها، فيتذكر المكان نفسه الذي تعرض فيه للصدمة، فينتابه ضيق في التنفس والرعشة وسرعة ضربات القلب وهلوسات بصرية وسمعية. والبعد الثاني، وهو تجنب الخبرة: وهي قدرة الفرد على تجنب الأفكار والمشاعر التي تذكره بالحدث الصادم، ومن خلالها يتجنب المواقف الصادمة، فكلما تذكر الموقف الصادم وجد صعوبة في مزاوله الأنشطة اليومية، وأصبح أكثر ميلاً للعزلة والحزن بعيداً عن الحب. والبعد الثالث، وهو الاستئثار: وهي شعور الفرد بالتوتر والغضب وعدم الرغبة في النوم وصعوبة التكيف وعدم الإحساس بمشاعر الآخرين وعواطفهم.

ولذلك يجب تسليط الضوء على هذه الفئة التي يستهدفها الاحتلال للوقوف على الآثار الناجمة عنها جراء سياسة هدم بيوت أهالي الشهداء.

مشكلة الدراسة وتساولاتها: تعد قضايا هدم بيوت أهالي الشهداء من أهم القضايا التي ارتفعت وتيرتها في الآونة الأخيرة، ومع تراكم الأزمات بسبب الاحتلال حيث التمدد الاستيطاني، وجدار الفصل العنصري، والحوادث هنا وهناك، وما تتعرض له محافظة القدس من تضيق الخناق، واقتحامات يومية لمناطقها كافة، وما نتج عنه من هدم بيوت الشهداء، كل هذه الأزمات جعلت أفراد المجتمع عرضة للاضطرابات النفسية. ومن خلال اطلاع الباحثة على الدراسات، ومن خلال عملها، وتوثيق حالات الهدم القسري، التي بلغت - حسب إحصائية الهدم من 7 أكتوبر 2023 حتى نهاية شهر أيلول من العام 2024 - 347 منزلاً، وبلغ عدد بيوت الشهداء المهتمة من 2019 لغاية 2024، (60) بيتاً، ومجموع عدد أفراد عائلات الشهداء المتضررين من عمليات الهدم، (480) فرداً (تقرير محافظة القدس، 2024).

فمعاناة عائلات الشهداء في المجتمع الفلسطيني كبيرة، لا سيما محافظة القدس، ويمثل فقدان أحد أفراد العائلة تهديداً خطيراً بالنسبة للعائلة الفلسطينية؛ كونه يخلف وراءه إرثاً كبيراً من الصدمات المتتالية، يمتد تأثيرها إلى أبعد المراحل المستقبلية، إلى جانب ذلك كله معاناتها جراء هدم منزلها، الذي يجعل هذه العائلة عرضة للضغوط النفسية، واستناداً إلى بيانات تقرير محافظة القدس، النصف السنوي (2024)، بلغ عدد البيوت المهتمة عقاباً لأهالي الشهداء، (60) بيتاً، كان نصيب محافظة القدس منها كبيراً في عدد الشهداء الشباب، الذين سقطوا داخلها من مختلف الفئات العمرية، وكان ما يميز هذه الحالات من الاستشهاد للشباب أن أعمارهم كانت صغيرة، وبعضهم مراهقون أو بالغون في بداية العشرينيات من العمر، وقد يكون أحد أسباب هذه الظاهرة أن القدس محور الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على السيادة عليها بمحاولة الاحتلال محاصرة حركة المواطن المقدسي وفرض سيطرة شبه كاملة على جميع مناحي الحياة.

ويؤكد ذلك ما ورد في دراسة Lambert & Wittig (2022) والتي أظهرت ارتباط التعرض العالي للصدمة بشكل كبير بمزيد من المشكلات المتعلقة بالاحتياجات المادية، وإجهاد اقتصادي أكبر، وضائقة نفسية تؤثر بشكل قوي في مستوى

الرفاه النفسي لدى النساء الأرامل المهمة بيوتهن. لذا ارتأت الباحثة القيام بهذه الدراسة والتي تحاول إظهار طبيعة العلاقة بين ارتباط ضغوط ما بعد الصدمة والرفاه النفسي لدى عائلات الشهداء المهمة بيوتهم في محافظة القدس.

أسئلة الدراسة:

- ما درجة ضغوط ما بعد الصدمة لدى عائلات الشهداء المهمة بيوتهم في محافظة القدس؟
- ما مستوى الرفاه النفسي لدى عائلات الشهداء المهمة بيوتهم في محافظة القدس؟
- هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة والرفاه النفسي لدى عائلات الشهداء المهمة بيوتهم في محافظة القدس؟
- هل توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات عائلات الشهداء المهمة بيوتهم في محافظة القدس على مقياس الرفاه النفسي وفقاً لمتغير سنوات استشهاد الفلسطينيين؟
- هل توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات عائلات الشهداء المهمة بيوتهم في محافظة القدس على مقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة وفقاً لمتغير سنوات استشهاد الفلسطينيين؟

أهمية الدراسة:

الأهمية النظرية:

يعد موضوع الدراسة من الموضوعات المهمة والتي مازالت بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث، من أجل إلقاء الضوء على الجانب السياسي والقانوني والنفسي لدى عائلات الشهداء في فلسطين، وتعدّ - أيضاً - إضافة جديدة للتراث السيكولوجي، وإغناء المعرفة، تفيد كثيراً من المهتمين؛ لأنها تتعرض لفئة مهمة في المجتمع لا سيما في ظل الظروف السياسية للقضية الفلسطينية.

الأهمية التطبيقية:

تفيد الدراسة العاملين في المجال الصحي من خلال معرفة مستوى اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عائلات الشهداء في محافظة القدس وعمل التدخلات النفسية المناسبة من دعم نفسي واجتماعي لهذه الفئات؛ كونهم أكثر عرضة من غيرهم للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية الصعبة.

أهداف الدراسة:

- الكشف عن طبيعة الصلة بين اضطراب إجهادات ما بعد الصدمة والرفاه النفسي لأفراد عينة الدراسة.
- التعرف إلى مستوى كل من اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة ومستوى الرفاه النفسي لدى أفراد عينة الدراسة.
- الكشف عن القدرة التنبؤية لاضطراب ضغوط ما بعد الصدمة بالرفاه النفسي لدى عينة من عائلات الشهداء المهمة بيوتهم في محافظة القدس.
- معرفة ما إذا كانت هناك فروق بين درجات أفراد عينة الدراسة على مقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة ومقياس الرفاه وفقاً لمتغير سنوات استشهاد الفلسطينيين.

مصطلحات البحث:

- تتبنى الباحثة تعريف اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة: لدافيدسون (Davidson, 1995): ويعرفه بأنه مجموعة من الخبرات المؤلمة والأحداث الصادمة، التي تترك الفرد في حالة من الفوضى طويلة الأمد، نتيجة تعرضه لتلك الخبرات والأحداث الكارثية، وتظهر من خلال استبعاد الخبرة الصادمة وتجنبها والاستثارة.
- وتعرف الباحثة اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة إجرائياً بالدرجة الكلية التي يحصل عليها المفحوص على مقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة (Davidson, 1995)، المستخدم في هذه الدراسة.
- تتبنى الباحثة تعريف الرفاه النفسي لرايف (Ryff, 1995): وتعرف رايف الرفاه النفسي بأنه التحديات المختلفة التي يصادفها الأفراد في عملية الارتقاء، وعلى هذا فإن الأفراد يحاولون التمسك بالاتجاهات الإيجابية حول أنفسهم بالرغم من وعيهم بقصورهم (تقبل الذات)، والسعي لتنمية علاقات دافئة وموثوقة (العلاقات الإيجابية مع الآخرين)، وتعديل بيئاتهم لكي تلبي حاجاتهم الشخصية وتفضيلاتهم (التمكن البيئي)، والبحث عن اتخاذ القرار إلى جانب القدرة على مقاومة الضغوط الاجتماعية (الاستقلالية)، وإيجاد معنى في جهودهم وتحدياتهم (الهدف من الحياة)، وتطوير إمكانياتهم من خلال النمو والانفتاح بوصفهم أفراداً (النمو الشخصي).
- وتعرف الباحثة الرفاه النفسي إجرائياً بالدرجة الكلية التي يحصل عليها المفحوص على مقياس (Ryff, 1995)، المستخدم في هذه الدراسة.
- عائلات الشهداء: هم الذين استشهد أحد أبنائهم بسبب القضية الفلسطينية، وكان مسجلاً في سجلات شهداء منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسسة رعاية أسر الشهداء.

محددات الدراسة:

الحد الموضوعي: ويتمثل الحد المنطقي في اضطراب ما بعد الصدمة وعلاقته بالرفاه النفسي لدى عينة من عائلات الشهداء المهمة بيوتهم في محافظة القدس.

الحد المكاني: طبقت هذه الدراسة في فلسطين على عائلات الشهداء المهمة بيوتهم المترددين على مؤسسات رعاية أسر الشهداء في محافظة القدس.

الحد الزمني: 2023 ولغاية شهر أيلول 2024.

2. الإطار النظري

2.1 مراحل اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة

يعدّ تحديد مراحل اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة مسألة عامة؛ لما لها من أهمية بالغة في مساعدة الفرد على فهم ردود الفعل عند التعرض لحدث صادم، وقد حاولت بعض الدراسات تحديد مراحل ذلك الاضطراب، ومنها دراسة (موسى، 2023)، التي توصلت إلى وجود خمس مراحل على النحو التالي:

المرحلة الأولى: مرحلة الانفعال الشديد، ويدخل فيه الصراخ والرفض والاحتجاج والنقمة والخوف الشديد مع فترات من التفكك والذهان.

المرحلة الثانية: النكران والتبليد وعمليات التجنب لكل ما يذكر بالحدث، إلى جانب الانسحاب وتعاطي الكحول والمخدرات وسيلة للسيطرة على الخوف والقلق.

المرحلة الثالثة: التآرجح بين النكران والأفكار الدخيلة التي تترافق مع حالة من اليأس والاضطرابات الانفعالية.

المرحلة الرابعة: العمل من خلال الصدمة، لتصبح الأفكار والصور الدخيلة أخف وطأة، بينما تشتت صور أخرى ويصبح التعامل معها ممكناً كالنكران والتبليد، وتبرز استجابات القلق والاكتئاب والاضطرابات الفسيولوجية.

المرحلة الخامسة: وفي هذه المرحلة يحدث التحسن النسبي في الاستجابة، ولكن المريض لا يصل إلى هذا التحسن بشكل كامل، وتستمر لديه بعض الاضطرابات المزاجية.

ويهتم علم النفس الحديث بدراسة الانفعالات الإيجابية وتحقيق الرفاه النفسي للفرد، كما يسعى إلى البحث في القوى الإيجابية لدى الإنسان، وتعزيز مواطن القوة عنده وتدعيمها وجعلها بديلاً عن التركيز على الجوانب السلبية (Seligman, 2000) & Csikszentmihalyi. ويعدّ الرفاه النفسي من المتغيرات التي حظيت باهتمام الباحثين في مجال علم النفس الإيجابي؛ لأنه يعبر عن الارتياح النفسي والرفاهية والسعادة والرضا وتقبل الحياة (Brazil, Do Brown Lives Matter, 2020) ويشمل الرفاه النفسي على مجموعة واسعة من الأفكار الإيجابية التي تشمل التقويمات عن الذات وحياة الفرد والقناعة بوجود هدف للحياة وتوافر علاقات حسنة مع الآخرين (Ryff & Singer, 2008) فالرفاه النفسي وما يرتبط به من متغيرات يعدّ من المفاهيم الأساسية التي ينبغي التركيز عليها لارتباطها بالصحة النفسية (Jadid Milani et al., 2015) ويرتبط مفهوم الرفاه النفسي بعدد من المتغيرات النفسية، ومنها اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة، فمن الطبيعي أن تكون هناك علاقة دالة بين الضغوط الناجمة عن الصدمة النفسية ومستوى الرفاه النفسي للفرد، فكلما تعرض الفرد للصدمة النفسية والضغوط الناجمة عنها، أدى ذلك إلى انخفاض في مستوى صحته النفسية، ما يؤثر ذلك في تفاعل الفرد في محيطه الأسري والمجتمعي والمهني ((Lambert & Witting, 2022).

2.2 أبعاد الرفاه النفسي عند رايف

البعد الأول: الاستقلالية، فقد قامت رايف بمماثلة بعض الأبعاد، مثل تقرير المصير والاستقلال والضبط الداخلي. وأفكار المرء وتصرفاته ينبغي ألا تحدد بأسباب خارجية عن سيطرته (Shahidi, 2013).

البعد الثاني: التمكن البيئي Environmental mastery: كالشعور بالهيمنة على البيئة والاستخدام الفعال للفرص المحيطة بها، وتتطلب القدرة على التعامل مع بيانات معقدة والتحكم فيها، قدرة الفرد على التقدم في العالم وتغييره بشكل خلاق (Dogaheh et al., 2013).

البعد الثالث: العلاقات الإيجابية Positive Relations: تشير إلى العلاقات الإيجابية مع الآخرين من أهم مؤشرات الصحة النفسية ومعالمها، والرفاه النفسي للفرد (Shahidi, 2013).

البعد الرابع: الحياة الهادفة Purpose in life: ويعني وجود هدف في حياة الفرد، له معناه في ماضيه وحاضره، وبغض النظر عن أنواع الأهداف التي يتم اختيارها فينبغي أن يتم اختيارها واقعياً، وأن تحفز سلوك الفرد وتوجه (Ryff & Singer, 2008).

البعد الخامس: النمو النفسي Personal Growth: وهو الشعور المستمر بالنمو والنضج للذات والانفتاح على الخبرات الجديدة وإدراك الفرد لإمكاناته وتحسين الذات (Afework, 2013).

البعد السادس: تقبل الذات: Self-acceptance وهو موقف إيجابي تجاه الذات، والتقبل لمظاهر مختلفة، منها مثل الجوانب الجيدة والسيئة عن الحياة الماضية (Dogaheh et al 2013).

3. الدراسات السابقة

دراسة (عويسات، 2022): هدفت إلى التعرف إلى تجربة والدي الشهداء لدى استشهاد الأبناء في محافظة القدس، والتعرف إلى الآثار النفسية والاجتماعية لديهم، وتكونت عينة الدراسة من (24) مشاركاً، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي الكيفي وأداة المقابلة باستخدام العينة المتاحة، وأظهرت النتائج أن 70.3% لديهم خوف من فقدان ابن آخر.

دراسة (اللوزي وبركات، 2021): أظهرت أن مستوى اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة جاء مرتفعاً، ووجود فروق في ضغوط الصدمة وقلق المستقبل وفقاً لنوع المستجيب لمصلحة الأم مقارنة بالأب والابن والابنة، ولمصلحة الأب مقارنة بالابن

والابنة، ولمصلحة الابنة مقارنة بالابن، كما أظهرت عدم وجود فروق تبعا لمستوى الهدم والوضع الاقتصادي وعدد الأفراد، كما أظهرت - أيضا - وجود علاقة ارتباط موجبة بين اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة وقلق المستقبل لدى أفراد عينة الدراسة.

دراسة (Khanjani & Younesi, 2021): هدفت إلى إظهار عواقب التكيف في الضائقة النفسية بين عينة من زوجات الشهداء، بلغت (12) امرأة، وأظهرت النتائج ارتباط التعرض العالي للصدمة بشكل كبير بمزيد من المشكلات المتعلقة بعدم الاستقرار النفسي وسوء التكيف لديهن، وإجهاد اقتصادي أكبر، وكشفت النتائج عن ضائقة أعلى بشكل ملحوظ مرتبطة بالمزيد من المشاكل الصحية والنفسية.

دراسة (صبيرة، سعدي، بدر، 2019): هدفت إلى إجراء دراسة ميدانية في منطقة جبلة، بهدف الكشف عن اضطراب ما بعد الصدمة لدى عينة من زوجات الشهداء، بلغ عددهن خمسين زوجة، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في شدة اضطراب ما بعد الصدمة تبعاً لمتغيري فترة الصدمة والمستوى التعليمي، وذلك وفقاً للمنهج الوصفي للدراسة، كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية في شدة اضطراب ما بعد الصدمة تبعاً لمتغير نوع السكن.

دراسة (أبو نبوت، 2018): هدفت إلى دراسة العلاقة بين اضطراب ما بعد الصدمة والوحدة النفسية لدى عينة من أمهات الشهداء على عينة مؤلفة من (85) سيدة من أمهات الشهداء في محافظة درعا. وأظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة إيجابية بين اضطراب ما بعد الصدمة والوحدة النفسية لدى أمهات الشهداء، وكذلك وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أمهات الشهداء اللواتي استشهد ابناؤهن من سنة واحدة إلى 3 سنوات، واللواتي استشهد أبناؤهن من 4 سنوات إلى 6 سنوات لمصلحة سنة واحدة إلى 3 سنوات.

4. إجراءات الدراسة

منهج الدراسة: استخدمت الدراسة الحالية المنهج الوصفي الارتباطي، وبهدف تحديد العلاقة بين اضطراب ما بعد الصدمة والرفاه النفسي لدى أسر الشهداء المهتمة بيوتهم في محافظة القدس.

عينة الدراسة: تكونت العينة الأساسية من (147) عائلة من عائلات الشهداء المهتمة بيوتهم في محافظة القدس بهدف التحقق من أسئلة الدراسة، والجدول التالي يوضح خصائص عينة الدراسة:

جدول 1: وصف عينة الدراسة الأساسية

م	المتغير	العدد	النسبة المئوية
1	العمر	أقل من 20	22.40
		20 - 30	32.70
		أكثر من 30 سنة	44.90
2	سنوات استشهاد الفلسطيني	من 1 إلى 5	17.00
		6 - 10	44.90
		أكثر من 10 سنوات	38.10
3	عدد الأبناء	لا يوجد	18.40
		1 - 3	54.40
		أكثر من 3 أطفال	27.20

الخصائص السيكومترية لمقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة:

في إطار الأدب التربوي، وفي ضوء الدراسات السابقة المتعلقة بمشكلة الدراسة التي تم الاطلاع عليها، وفي ضوء استطلاع رأي عينة من الأساتذة في الجامعات عن طريق المقابلات الشخصية، استخدمت الباحثة مقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدافيدسون الذي بلغ عدد عباراته (17) عبارة.

تم التحقق من صدق المقياس وثباته، ويتضح ذلك فيما يلي:

أولاً: الاتساق الداخلي:

تم حسابه عن طريق إيجاد معامل الارتباط بين العبارة والدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه، والجدول التالي يوضح هذه المعاملات:

جدول 2: الاتساق الداخلي لعبارة مقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة (ن=147)

استعادة الخبرة الصادمة		تجنب الخبرة الصادمة		الاستئثار	
رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط
1	**0.59	5	**0.73	12	**0.58
2	**0.70	6	**0.66	13	**0.68
3	**0.61	7	**0.48	14	**0.48
4	**0.57	8	**0.53	15	**0.67
17	**0.60	9	**0.66	16	**0.64

		**0.77	10		
		**0.71	11		

** دالة عند 0.01

يتضح من جدول (2) أن جميع مفردات أبعاد المقياس كانت دالة عند مستوى 0.01، والذي يؤكد الاتساق الداخلي للمقياس، كما تم حساب الارتباط بين الأبعاد الفرعية والدرجة الكلية للمقياس، وكانت النتائج كما بالجدول التالي:

جدول 3: معاملات الارتباط بين الأبعاد الفرعية والدرجة الكلية لمقياس اضطراب ضغط ما بعد الصدمة

البعد	معامل الارتباط بالدرجة الكلية
استعادة الخبرة الصادمة	**0.84
تجنب الخبرة الصادمة	**0.87
الاستثارة	**0.86

** دال عند 0.01

يتضح من جدول (3) أن الأبعاد تتسق مع المقياس ككل، وتتراوح معاملات الارتباط بين: (0.87 - 84.0) وجميعها دالة عند مستوى (0.01)، ما يشير إلى أن هناك اتساقاً بين جميع أبعاد المقياس، وأنه بوجه عام صادق في قياس ما وضع لقياسه.

- ثبات المقياس:

حسبت قيمة الثبات للعوامل الفرعية باستخدام طريقة ألفا كرونباخ، والتجزئة النصفية، والجدول التالي يوضح هذه المعاملات:

جدول 4: يوضح ثبات أبعاد مقياس اضطراب ضغط ما بعد الصدمة والمقياس ككل

العامل	معامل ألفا كرونباخ	التجزئة النصفية
استعادة الخبرة الصادمة	0.79	0.77
تجنب الخبرة الصادمة	0.75	0.74
الاستثارة	0.78	0.77
المقياس ككل	0.80	0.79

يتضح من الجدول السابق (4) أن جميع معاملات الثبات مرتفعة، والذي يؤكد ثبات المقياس، وذلك من خلال أن قيم معاملات ألفا كرونباخ والتجزئة النصفية كانت مرتفعة، وبذلك فإن الأداة المستخدمة تتميز بالصدق والثبات ويمكن استخدامها علمياً.

الاتساق الداخلي للمقياس:

تم حساب الاتساق الداخلي للمقياس، وذلك بإيجاد معامل الارتباط بين درجة كل عبارة والدرجة الكلية للبعد الفرعي الذي تنتمي إليه، والجدول التالي يوضح هذه المعاملات:

جدول 5: معاملات الارتباط بين درجة كل مفردة والدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه المفردة لمقياس الرفاه النفسي

الاستقلالية	التمكن البيئي	النمو الشخصي	العلاقات الإيجابية	الهدف من الحياة	التقبل الذاتي
المفردة	معامل الارتباط	معامل الارتباط	معامل الارتباط	معامل الارتباط	معامل الارتباط
1	**0.55	2	**0.55	3	**0.73
4	**0.62	5	**0.58	6	**0.66
7	**0.60	8	**0.53	9	**0.57
10	**0.50	11	**0.64	12	**0.77
13	**0.40	14	**0.48	15	**0.66
16	**0.57	17	**0.55	18	**0.64
19	**0.44	20	**0.51	21	**0.68
22	**0.69	23	**0.61	24	**0.61
25	**0.52	26	**0.57	27	**0.69
28	**0.61	29	**0.53	30	**0.67
31	**0.60	32	**0.71	33	**0.73
34	**0.79	35	**0.49	36	**0.41
37	**0.69	38	**0.49	39	**0.54
40	**0.73	41	**0.73	42	**0.73

** دال عند 0.01

يتضح من جدول (5) أن جميع معاملات الارتباط دالة عند مستوي 0.01 وهذا يوضح الاتساق الداخلي للمقياس، وتم حساب معاملات الارتباط بين الأبعاد الفرعية للمقياس والدرجة الكلية له، وكانت النتائج كما بالجدول التالي:

جدول 6: معاملات الارتباط بين أبعاد مقياس الرفاه النفسي والدرجة الكلية

البعد	الدرجة الكلية للمقياس
الاستقلالية	**0.84
التمكن البيئي	**0.81
النمو الشخصي	**0.85
العلاقات الإيجابية	**0.83
الهدف من الحياة	**0.79
التقبل الذاتي	**0.86

** دال عند 0.01

ويتضح من جدول (6) أن الأبعاد تتسق مع المقياس ككل، فتتراوح معاملات الارتباط بين: (0.79 - 0.86) وجميعها دالة عند مستوى (0.01)، ما يشير إلى أن هناك اتساقاً بين جميع أبعاد المقياس، وأنه بوجه عام صادق في قياس ما وضع لقياسه.

ثبات مقياس الرفاه النفسي:

حسبت قيمة الثبات للأبعاد الفرعية باستخدام معامل ألفا كرونباخ والتجزئة النصفية والمقياس ككل، والجدول التالي يوضح هذه المعاملات:

جدول 7: معاملات الثبات لأبعاد مقياس الرفاه النفسي والمقياس ككل

العامل	معامل ألفا كرونباخ	التجزئة النصفية (سبيرمان براون)
الاستقلالية	0.81	0.79
التمكن البيئي	0.83	0.82
النمو الشخصي	0.84	0.81
العلاقات الإيجابية	0.82	0.80
الهدف من الحياة	0.76	0.75
التقبل الذاتي	0.74	0.74
المقياس ككل	0.88	0.85

يتضح من الجدول السابق (7) أن جميع معاملات الثبات مرتفعة، والذي يؤكد ثبات مقياس الرفاه النفسي، وذلك من خلال أن قيم معاملات ألفا كرونباخ والتجزئة النصفية كانت مرتفعة، وبذلك فإن الأداة المستخدمة تتميز بالصدق والثبات ويمكن استخدامها علمياً.

5. نتائج أسئلة الدراسة ومناقشتها

5.1 نتائج التحقق من السؤال الأول:

نص السؤال الأول على: "ما درجة ضغط ما بعد الصدمة لدى عائلات الشهداء المهدمة بيوتهم في محافظة القدس؟ وللتحقق من السؤال، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأبعاد ضغط ما بعد الصدمة والمقياس ككل لدى عائلات الشهداء، ويوضح الجدول التالي ما تم التوصل إليه من نتائج في هذا الصدد:

جدول 8: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأبعاد ضغط ما بعد الصدمة والمقياس ككل لدى عائلات الشهداء والمتوسط الحسابي

البعد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
تجنب الخبرة الصادمة	27.34	3.74
الاستئثار	19.80	2.67
استعادة الخبرة الصادمة	18.72	3.08
الدرجة الكلية	65.86	8.85

- يتضح من جدول (8) أن متوسط درجات العينة بلغ (65.86) وانحراف معياري (8.85) وجاءت الأبعاد مرتبة تنازلياً على النحو الآتي: تجنب الخبرة الصادمة، ثم الاستئثار، ثم استعادة الخبرة الصادمة.
- وهذا يدل على أن عينة البحث ذات مستوى مرتفع من ضغط ما بعد الصدمة. وتعد الباحثة أن تلك الاضطرابات النفسية ومنها الإجهاد النفسي نتيجة الظروف الصادمة التي يعاني منها الإنسان في فلسطين، لا سيما عائلات الشهداء المعرضين على هدم بيوتهم والتي تفوق طاقة الاحتمال الإنساني التي بدت مضارها لكل من يتابع الموقف.
- ومن الملاحظ أن هناك اختلافاً بين استجابة الأفراد لتلك الضغوط ودرجة تأثرهم بالصدمات النفسية، فبعضهم لا يستطيعون تجاوزها، ويتعرضون لاضطرابات نفسية، وآخرون يستخدمون أساليب مختلفة لتحقيق التوافق، كما لوحظ

أن الصدمات النفسية تؤثر - بشكل كبير - في سلوك الأفراد وتوافقهم النفسي وفقاً لقدرتهم على المواجهة ومناعتهم النفسية (حنان دسوقي، 2022، 354). وتتمتع عينة الدراسة بعاملين هامين، بشكلان بيئة خصبة لارتفاع مستوى اضطراب ضغط ما بعد الصدمة، الأول: هو هدم البيت، وهو عامل ترك آثاراً سلبية في العائلة، فأصبحت ضحية للإجهاد النفسي الحاد. أما العامل الثاني، فهو مسالة فقدان أحد أفراد العائلة، وهدم البيت، فخبرة فقدان بحد ذاته لها آثارها الخاصة في العائلة، وتترك آثاراً لا تقل خطورة عن هدم منزلها، وهذا ما أكدته نتيجة هذه الدراسة. ويؤكد على ذلك ما ورد في مقدمة الدراسة بأنه من المتوقع أن تعاني عائلات الشهداء - أيضاً - من مستوى عالٍ من الاضطرابات النفسية، وهذه النتيجة في الواقع تتناسب تماماً مع أدبيات الصحة العقلية، فالشعور بالأمان هو مطلب أساسي للحصول على صحة عقلية جيدة (Assalea, 2016: 28).

5.2 نتائج التحقق من السؤال الثاني:

نص السؤال الثاني على: " ما مستوى الرفاه النفسي لدى عائلات الشهداء المهتمة بيوتهم في محافظة القدس؟". وللتحقق من صحة هذا السؤال، تم استخدام اختبار " ت " للعينة الواحدة للكشف عن دلالة الفروق بين متوسطات درجات أبعاد مقياس الرفاه النفسي لدى العائلة، والمتوسط الحسابي (50%)، ويوضح الجدول التالي ما تم التوصل إليه من نتائج في هذا الصدد:

جدول 9: دلالة الفروق بين متوسطات درجات أبعاد الرفاه النفسي والمقياس ككل لدى عائلات الشهداء والمتوسط الحسابي (50%)

البعد	المجموعة	ن	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة " ت "	مستوى الدلالة
الاستقلالية	العينة	147	16	4.89	12.38	دالة عند مستوى 0.01
	المتوسط الحسابي (50%)	-	21	-		
التمكن البيئي	العينة	147	17.93	5.88	6.32	دالة عند مستوى 0.01
	المتوسط الحسابي (50%)	-	21	-		
النمو الشخصي	العينة	147	15.24	5.15	13.54	دالة عند مستوى 0.01
	المتوسط الحسابي (50%)	-	21	-		
العلاقات الإيجابية	العينة	147	15.60	4.60	14.22	دالة عند مستوى 0.01
	المتوسط الحسابي (50%)	-	21	-		
الهدف من الحياة	العينة	147	16.80	5.55	9.17	دالة عند مستوى 0.01
	المتوسط الحسابي (50%)	-	21	-		
التقبل الذاتي	العينة	147	16.85	5.04	9.97	دالة عند مستوى 0.01
	المتوسط الحسابي (50%)	-	21	-		
الدرجة الكلية	العينة	147	98.43	28.84	11.59	دالة عند مستوى 0.01
	المتوسط الحسابي (50%)	-	126	-		

يتضح من جدول (9)، السابق وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات العينة والمتوسط الحسابي (50%) في الدرجة الكلية للمقياس لمصلحة المتوسط الحسابي، وكان متوسط العينة 98.43 أقل من المتوسط الحسابي (50%) = 126، وكانت قيمة " ت " = 11.59 وهي قيمة دالة إحصائياً عند مستوى 0.01. وهذا يدل على أن عينة البحث ذات مستوى منخفض من الرفاه النفسي. وتفسر الباحثة ذلك من خلال الطبيعة البشرية للإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً لا يمكنه العيش بمفرده دون مشاركة الآخرين أفراحهم وأحزانهم من خلال المشاركة الفاعلة، وهذا ما تفتقده العائلة في المجتمع المعاصر. وبالعودة إلى الإطار النظري للدراسة حول ذلك التأثير، فيشير (Dubey., et al, 2020, 782) إلى أن للضغط النفسي وضغوط الصدمة تأثيراً كبيراً على الجهاز المناعي للفرد عبر الجهاز العصبي والغدي، فالضغوط الحادة لاضطراب ضغط ما بعد الصدمة يحفز الاستجابة المناعية ويجعلها أسرع وأكثر فعالية، في حين أن الضغط المزمن لاضطراب ضغط ما بعد الصدمة يعمل على إنهك الجهاز المناعي العضوي والنفسي أيضاً، ويضعف المناعة النفسية وبالتالي تجد أفراد عينة الدراسة نتيجة كل تلك الضغوط النفسية وارتفاع مستوى اضطراب ضغط ما بعد الصدمة، إلى جانب هدم المنزل في مستوى منخفض من الرفاه النفسي وهذا ما تدل عليه نتيجة هذه الدراسة.

5.3 نتائج التحقق من السؤال الثالث:

نص السؤال الثالث على: " هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين اضطراب ضغط ما بعد الصدمة والرفاه النفسي لدى عائلات الشهداء المهتمة بيوتهم في محافظة القدس؟". ينص على أنه " لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين اضطراب ضغط ما بعد الصدمة والرفاه النفسي لدى عائلات الشهداء المهتمة بيوتهم في محافظة القدس".

وقد حسبت الباحثة معاملات ارتباط بيرسون لمعرفة العلاقة بين مستويات الصحة النفسية واضطراب ما بعد الصدمة لدى ذوي الشهداء الذين دمرت منازلهم في محافظة القدس، وذلك لتأكيد الحسابية، والجدول التالي يوضح النتائج التي توصلت إليها الباحثة:

جدول 10: معاملات الارتباط بين أبعاد اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة وأبعاد الرفاه النفسي لدى عينة من عائلات الشهداء المهتمة بيوتهم في محافظة القدس (ن=147)

الدرجة الكلية	الاستثارة	تجنب الخبرة الصادمة	استعادة الخبرة الصادمة	ضغوط ما بعد الصدمة الرفاه النفسي
**0.62-	**0.56-	**0.59-	**0.59-	الاستقلالية
**0.63-	**0.55-	**0.59-	**0.6-	التمكن البيئي
**0.53-	**0.51-	**0.5-	**0.46-	النمو الشخصي
**0.54-	**0.45-	**0.53-	**0.51-	العلاقات الإيجابية
**0.6-	**0.53-	**0.57-	**0.57-	الهدف من الحياة
**0.53-	**0.46-	**0.5-	**0.52-	التقبل الذاتي
**0.62-	**0.55-	**0.59-	**0.59-	الدرجة الكلية

** دالة عند 0.01

إن معايير الرفاه النفسي والدرجة الكلية وأبعاد اضطراب ما بعد الصدمة لها ارتباط جوهري وسالب، كما هو مبين في الجدول رقم (10)، وعند مستوى الدلالة 0.01 كانت جميع العلاقات دالة، وهذا يشير إلى أنه بين أسر الشهداء الذين دمرت منازلهم في محافظة القدس، كلما ارتفعت مستويات اضطراب ما بعد الصدمة في أبعاده (الإثارة، والتعافي من التجربة الصادمة، وتجنب التجربة الصادمة)، انخفضت مستويات الرفاه النفسي في أبعاده (الاستقلال، والتمكن البيئي، والنمو الشخصي، والعلاقات الإيجابية، وهدف الحياة، وقبول الذات)، وهذه النتيجة تتفق مع نتائج المكون النظري للدراسة الحالية. وبما أن الأسرة التي تعاني من الضغوط الناجمة عن استشهاد أحد أفرادها، وما يتبع ذلك من هدم المنزل، وتهجير الأسرة بأكملها، وإخلائها، فإن لها تداعيات نفسية واقتصادية واجتماعية، فهناك ارتباط معقول بين اضطراب ما بعد الصدمة والصحة النفسية. ويواجهون صعوبة في اكتساب القدرات اللازمة للتعامل مع هذه الأحداث والضغوط بسبب هدم المنزل، ما يقلل من فرص سلامتهم النفسية.

ويؤكد على ذلك ما جاء في دراسة (هزار أبو نبوت، 2018) والتي أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أمهات الشهداء اللواتي استشهد أبنائهن من سنة إلى 3 سنوات واللواتي استشهد أبنائهن من 4 سنوات إلى 6 سنوات لمصلحة سنة واحدة إلى 3 سنوات. كما تشير دراسة (Parker et al., 2016) إلى أن العائلة الفاقدة تعاني من ضغوط أكبر من أولئك الذين لم يتعرض أحد أفرادهم للشهادة لإدارة الحياة.

5.4 نتائج التحقق من السؤال الرابع:

نص السؤال الرابع: "هل توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات عائلات الشهداء المهتمة بيوتهم في محافظة القدس على مقياس الرفاه النفسي وفقاً لمتغير سنوات استشهاد الفلسطيني؟" ينص على أنه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات الرفاه النفسي لدى عائلات الشهداء المهتمة بيوتهم في محافظة القدس وفقاً لمتغير عدد سنوات الاستشهاد الفلسطيني". وقد استخدمت الباحثة تحليل التباين الأحادي للتحقق من صحة هذه الحسابية، وقد توصل إلى النتائج في الجداول التالية:

جدول 11: يوضح الأعداد والمتوسطات والانحرافات المعيارية في جميع أبعاد الرفاه النفسي والدرجة الكلية تبعاً لسنوات استشهاد الفلسطيني

البعد	عدد سنوات الاستشهاد الفلسطيني	ن	م	ع
الاستقلالية	من 1 إلى 5	25	16.76	4.61
	6- 10	66	15.80	5.09
	أكثر من 10 سنوات	56	15.89	4.83
التمكن البيئي	من 1 إلى 5	25	19.56	5.58
	6- 10	66	17.59	6.02
	أكثر من 10 سنوات	56	17.61	5.83
النمو الشخصي	من 1 إلى 5	25	16.00	5.00
	6- 10	66	14.64	5.06
	أكثر من 10 سنوات	56	15.63	5.33
العلاقات الإيجابية	من 1 إلى 5	25	16.64	4.18
	6- 10	66	15.38	4.35

5.07	15.39	56	أكثر من 10 سنوات	الهدف من الحياة
5.26	17.32	25	من 1 إلى 5	
5.53	16.62	66	6- 10	
5.77	16.79	56	أكثر من 10 سنوات	التقبل الذاتي
4.07	17.72	25	من 1 إلى 5	
5.30	16.65	66	6- 10	
5.17	16.70	56	أكثر من 10 سنوات	الدرجة الكلية
25.98	104.00	25	من 1 إلى 5	
29.32	96.68	66	6- 10	
29.65	98.00	56	أكثر من 10 سنوات	

جدول 12: تحليل التباين الاحادي للمقارنة بين متوسطات أبعاد الرفاه النفسي والدرجة الكلية تبعاً لسنوات استشهاد الفلسطيني

البعد	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط مجموع المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
الاستقلالية	بين المجموعات	17.64	2	8.82	0.36	غير دالة
	داخل المجموعات	3478.36	144	24.16		
	الكلية	3496.00	146			
التمكن البيئي	بين المجموعات	79.85	2	39.92	1.15	غير دالة
	داخل المجموعات	4975.47	144	34.55		
	الكلية	5055.32	146			
النمو الشخصي	بين المجموعات	46.79	2	23.39	0.88	غير دالة
	داخل المجموعات	3826.40	144	26.57		
	الكلية	3873.18	146			
العلاقات الإيجابية	بين المجموعات	32.67	2	16.34	0.76	غير دالة
	داخل المجموعات	3062.65	144	21.27		
	الكلية	3095.32	146			
الهدف من الحياة	بين المجموعات	8.88	2	4.44	0.14	غير دالة
	داخل المجموعات	4482.40	144	31.13		
	الكلية	4491.28	146			
التقبل الذاتي	بين المجموعات	22.84	2	11.42	0.44	غير دالة
	داخل المجموعات	3689.86	144	25.62		
	الكلية	3712.71	146			
الدرجة الكلية	بين المجموعات	987.68	2	493.84	0.59	غير دالة
	داخل المجموعات	120430.3	144	836.32		
	الكلية	121418.0	146			

وبما أن جميع قيم "ف" لم تكن ذات دلالة إحصائية، فإن الجدول السابق يوضح عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية لعدد سنوات الاستشهاد بدرجات متفاوتة عبر جميع الأبعاد والدرجة الكلية لمقياس الرفاه النفسي. وتعزو الباحثة عدم وجود فروق في الدرجة الكلية للرفاهية النفسية إلى العمر؛ لأن الظروف المحيطة بالاستشهاد وتأثيراته في الأسرة في المجتمع الفلسطيني متشابهة بشكل أساسي. إن توحيد تجربة الاستشهاد هو ما تسبب في اختفاء هذه الفروق بين أسر الضحايا، بغض النظر عن عدد سنوات الاستشهاد. وبما أن نتائج هذه الدراسة انحرفت عن نتائج دراسة لامبرت وويتنج (2022)، فإن هذا يعد طبيعياً ومتسقاً مع التراث النفسي الذي يربط بين تجربة الضغط والمعاناة وعلاقتها بالرفاهية النفسية، وكذلك الاستقلال وقبول الذات بوصفهما بعدين أساسيين للرفاهية النفسية: وعلى النقيض من الألم المرتفع بشكل ملحوظ والمرتبط بمزيد من القضايا الصحية والنفسية في الأسر المفجوعة وعدد سنوات الاستشهاد، فقد أظهر وجود ارتباط كبير بين التعرض العالي للصدمات والمزيد من القضايا المتعلقة بالمتطلبات المادية وزيادة الضغوط الاقتصادية.

5.5 نتائج التحقق من السؤال الخامس:

نص السؤال الخامس: "هل توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات عائلات الشهداء المهمة بيوتهم في محافظة القدس على مقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة وفقاً لمتغير سنوات استشهاد الفلسطيني؟" ينص على أنه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة من عائلات الشهداء المهمة بيوتهم في محافظة القدس وفقاً لمتغير سنوات استشهاد الفلسطيني". وقد استخدم الباحث تحليل التباين الأحادي للتحقق من صحة هذه الفرضية، وقد توصل إلى النتائج في الجداول التالية:

جدول 13: يوضح الأعداد والمتوسطات والانحرافات المعيارية في جميع أبعاد اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة والدرجة الكلية تبعاً لسنوات استشهاد الفلسطينيين

البعد	عدد سنوات الاستشهاد	ن	م	ع
استعادة الخبرة الصادمة	من 1 إلى 5	25	17.72	3.01
	6- 10	66	18.91	3.14
	أكثر من 10 سنوات	56	18.95	3.00
تجنب الخبرة الصادمة	من 1 إلى 5	25	27.04	3.31
	6- 10	66	27.50	3.82
	أكثر من 10 سنوات	56	27.29	3.89
الاستثارة	من 1 إلى 5	25	20.16	2.58
	6- 10	66	19.91	2.81
	أكثر من 10 سنوات	56	19.50	2.55
الدرجة الكلية	من 1 إلى 5	25	64.92	8.03
	6- 10	66	66.32	9.25
	أكثر من 10 سنوات	56	65.73	8.85

جدول 14: تحليل التباين الاحادي للمقارنة بين متوسطات أبعاد اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة والدرجة الكلية تبعاً لسنوات استشهاد الفلسطيني

البعد	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط مجموع المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
استعادة الخبرة الصادمة	بين المجموعات	30.23	2	15.12	1.60	غير دالة
	داخل المجموعات	1353.33	144	9.40		
	الكلية	1383.57	146			
تجنب الخبرة الصادمة	بين المجموعات	4.11	2	2.05	0.14	غير دالة
	داخل المجموعات	2042.89	144	14.19		
	الكلية	2046.99	146			
الاستثارة	بين المجموعات	9.06	2	4.53	0.63	غير دالة
	داخل المجموعات	1030.82	144	7.16		
	الكلية	1039.88	146			
الدرجة الكلية	بين المجموعات	36.86	2	18.43	0.23	غير دالة
	داخل المجموعات	11409.14	144	79.23		
	الكلية	11446.00	146			

يوضح الجدول السابق أن الدرجة الإجمالية على مقياس اضطراب ما بعد الصدمة لا تختلف بشكل كبير إحصائياً عن عدد سنوات الاعتماد في أي من الخصائص، فكانت جميع قيم "ف" غير دالة إحصائياً. وتفسر الباحثة ذلك بأن عدد سنوات الشهادة ليس العامل الوحيد الذي قد يؤثر في مستوى اضطراب الصدمة لدى عائلات الشهيد، فهناك عامل آخر ومهم يشترك فيه أفراد عينة الدراسة وهو (هدم المنزل)، وتشير الباحثة إلى وجود إيمان راسخ لدى أبناء الشعب الفلسطيني، ومنهم عائلات الشهداء، لا سيما سكان محافظة القدس، فالقدس هي درة التاج وعاصمتنا الأبدية، بالرغم مما تتعرض له من تطهير عرقي، وترحيل جماعي وفردى، وأسرة فلسطين وتهويدها وتهجيرها، وتصاعد وتيرة الاستيطان، وهدم البيوت ومحاولات تهويد المناهج، وما تواجهه من تدنيس يومي للمقدسات، هذا سبب عدم وجود فروق في مستوى الصدمة وفقاً لسنوات استشهاد الفلسطيني.

وتتفق نتيجة هذه الدراسة مع ما جاء من نتائج في دراسة (صبيرو، سعدي، زهرة، 2019) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في شدة اضطراب ما بعد الصدمة تبعاً لمتغيري فترة الصدمة، كما اختلف مع دراسة (هزار أبو نبوت، 2018) فأظهرت النتائج جود فروق ذات دلالة إحصائية بين أمهات الشهداء اللواتي استشهد أبنائهن من سنة واحدة إلى 3 سنوات واللواتي استشهد أبناؤهن من 4 سنوات إلى 6 سنوات لمصلحة سنة واحدة إلى 3 سنوات.

6. توصيات ومقترحات

6.1 توصيات تطبيقية

- تنشيط دور المنشآت الرسمية والحقوقية من أجل تسليط الضوء على ممارسات الاحتلال بحق أسر الشهداء (كهدم البيوت، واعتقال أفراد الأسرة، وسحب الهويات، ولم الشمل وغيره).
- إدراج الصحة النفسية في خطط الطوارئ والإغاثة لعائلات الشهداء المتضررة من السياسات الاحتلالية كالهدم والتهجير.
- إجراء دراسات مستقبلية موسعة، تشمل مناطق مختلفة في فلسطين لقياس أبعاد العلاقة بين الصدمة والرفاه النفسي.
- بناء برامج توعية نفسية مجتمعية للعائلات المهتمة ببيوتهم تركز على دعمهم النفسي وتعزيز صمودهم.

6.2 مقترحات بحثية

- دراسة مقارنة بين مدينتي "غزة"، والقدس" في "رأس المال النفسي و" و"المساندة الاجتماعية" لدى عينة، من المتضررين من الحرب بعد 7 أكتوبر.
- القيام بدراسات مشابهة تتناول متغيرات لم تتطرق إليها الدراسة الحالية (كاحتجاز جثامين الشهداء).
- القيام بدراسة نوعية حول الصدمة والصحة النفسية لعائلات الشهداء المهتمة بيوتهم، فالأبحاث النوعية أو الكيفية تهدف إلى مزيد من الفهم العميق للظاهرة المدروسة.

7. المصادر والمراجع

7.1 المراجع العربية

- أبو يوسف، محمد (2021). تأثير عدوان مايو 2021 على الوضع النفسي والصحة العقلية للنساء والفتيات. مركزك لشؤون المرأة- غزة فلسطين.
- أبو نبوت، هزار (2018). اضطراب ما بعد الصدمة وعلاقته بالوحدة النفسية لدى عينة من أمهات الشهداء في محافظة درعا. مجلة جامعة البعث العلوم الإنسانية، 40، العدد (111).
- بكر، مها. (2020). الذكاء العاطفي وعلاقته بالتعامل مع الضغوط النفسية لدى الأرامل في مدينة أربيل، مجلة أبحاث الذكاء 1، (30)، 136 – 155.
- الجهاز المركزي الفلسطيني للإحصاء (2023). كتاب القدس السنوي الإحصائي (24). الجهاز المركزي للإحصاء، رام الله: فلسطين.
- عبد الحسين، بشرى. (2013). المشكلات التي تعاني منها المرأة العراقية الأرمل في ظل الظروف الراهنة. مجلة البحوث التربوية والنفسية، 2، (30). جامعة بغداد.
- عويسات، ايناس. (2022). تأثير استشهاد الأبناء في النواحي النفسية والاجتماعية لوالدي الشهداء في محافظة القدس. (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القدس، فلسطين.
- صبيرة، سعدي، بدر. (2019). اضطراب ما بعد الصدمة لدى عينة من زوجات الشهداء دراسة ميدانية في منطقة جبلة. مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، 41، العدد (2).
- اللوزي، تهاني. (2023). نمذجة العلاقات السببية بين المناعة النفسية وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية والديموغرافية لدى الأسر المجبرة على هدم منازلهم في القدس. رسالة دكتوراه، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.
- اللوزي، ويركات. (2021). ضغوط ما بعد الصدمة وعلاقتها بقلق المستقبل لدى افراد الاسر المهتمة بيوتهم من الاحتلال الاسرائيلي في مدينة القدس. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، 13، (37)، 35-55.
- المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية مفتاح (2023). تقرير المبادرة الوطنية لتعميق الحوار والديمقراطية. رام الله: فلسطين.
- موسى، أمجد. (2021). اضطراب كرب ما بعد الصدمة وعلاقته ببعض المتغيرات الديموغرافية لدى عينة من الفلسطينيين ومحاولة تشخيص طرق أخرى للمواجهة. المجلة التربوية جامعة سوهاج. 1، (12)، 5242-5294.
- محافظة "القدس" (2024). "تقرير الانتهاكات رقم (24)، والصادر عن محافظة القدس". "القدس": فلسطين.

7.2 رومنة المراجع العربية

- Youssef, M. (2021). The impact of the May 2021 aggression on the psychological state and mental health of women and girls (in Arabic). Women's Affairs Center – Gaza, Palestine.
- Abu Nabout, H. (2018). Post-traumatic stress disorder and its relationship with psychological loneliness among a sample of mothers of martyrs in Daraa Governorate (in Arabic). Al-Baath University Journal for Humanities, 40(111).
- Bakr, M. (2020). Emotional intelligence and its relationship with coping with psychological stress among widows in Erbil city (in Arabic). Intelligence Research Journal, 1, (30), 136–155.
- Palestinian Central Bureau of Statistics. (2023). Jerusalem Annual Statistical Book (24) (in Arabic). Ramallah, Palestine.
- Abd al-Hussein, B. (2013). Problems faced by Iraqi widowed women under current conditions (in Arabic). Journal of Educational and Psychological Research, 2, (30). University of Baghdad.
- Owaisat, I. (2022). The impact of the martyrdom of sons on the psychological and social aspects of the parents of martyrs in Jerusalem Governorate (Unpublished master's thesis, Al-Quds University) (in Arabic). Palestine.
- Sabira, S., & Badr. (2019). Post-traumatic stress disorder among a sample of martyrs' wives: A field study in the Jableh area (in Arabic). Tishreen University Journal for Scientific Research and Studies, 41, (2).
- Al-Louzi, T. (2023). Modeling causal relationships between psychological immunity and its relationship with some psychological and demographic variables among families forced to demolish their

- homes in Jerusalem (Doctoral dissertation, Institute of Arab Research and Studies) (in Arabic). Cairo.
- Al-Louzi, T., & Barakat. (2021). Post-traumatic stress and its relationship to future anxiety among members of families whose homes were demolished by the Israeli occupation in Jerusalem (in Arabic). *Al-Quds Open University Journal for Educational and Psychological Research and Studies*, 13, (37), 35–55.
- The Palestinian Initiative for the Promotion of Global Dialogue and Democracy – MIFTAH. (2023). National Initiative Report for the Promotion of Dialogue and Democracy (in Arabic). Ramallah, Palestine.
- Mousa, A. (2021). Post-traumatic stress disorder and its relationship with some demographic variables among a sample of Palestinians and an attempt to diagnose other coping methods (in Arabic). *Educational Journal – Sohag University*, 1, (12), 5242–5294.
- Jerusalem Governorate. (2024). Violations Report No. (24), issued by the Jerusalem Governorate (in Arabic). Jerusalem, Palestine.

7.3 المراجع الأجنبية

- Agbaria, N., Petzold, S., Deckert, A., Henschke, N., Veronese, G., Dambach, P., Jaenisch, T., Horstick, O., & Winkler, V. (2021). Prevalence of post-traumatic stress disorder among Palestinian children and adolescents exposed to political violence: A systematic review and meta-analysis. *PLOS ONE*, 16(8), e0256426.
- Aida El-Deeb and Yasra Abu Hadros (2014). Psychological resilience and its relationship to strategies for confronting the challenges of contemporary life among widowed women in the Gaza Strip (in Arabic). *Journal of Arab Studies in Education and Psychology*, 50, 12, 386-347.
- Alsea (2016). "Introduction to psychology". Edition 1, Al Azhar University, Gaza, Palestine.
- Amjad Musa (2021). Post-traumatic stress disorder and its relationship to some demographic variables among a sample of Palestinians, and an attempt to diagnose other ways of coping (in Arabic). *Educational magazine, Sohag University*. 1, (12), 5242-5294.
- Asadullahi, A., Karimpoor, L., Kaveh, M. H., & Ghahremani, L. (2022). Effectiveness of resilience training intervention on psychological capital of the underprivileged Widowed Women of Fasā City, Iran. *BMC Women's Health*, 22(1). <https://doi.org/10.1186/s12905-022-01886-9>.
- Bushra Abdel Hussein (2013). The problems that widowed Iraqi women suffer under the current circumstances (in Arabic). *Journal of Educational and Psychological Research*, 2, (30). Baghdad University.
- Carnelley, K. B., Wortman, C. B., Bolger, N., & Burke, C. T. (2006). The time course of grief reactions to spousal loss: Evidence from a national probability sample. *Journal of Personality and Social Psychology*, 91(3), 476–492. <https://doi.org/10.1037/0022-3514.91.3.476>
- Dogaheh, E. R., Jafari, F., Sadeghpour, A., Mirzaei, S., Maddahi, M. E., Hosseinkhanzadeh, A. A., Reza, A., & Arya, M. (2013). Psychological Well-Being and Quality of Life in Addicts Under Methadone Maintenance Treatment.
- Fast Paul Shetler (2015). Development of an evidence-based PTSD pilot study in Port-au-Prince, Haiti. PHD, Graduate School of Public Health. University of Pittsburgh.
- Fast, P. S. (2015). Development of an evidence-based post-traumatic stress disorder pilot study in Port-au-Prince, Haiti.
- Jadid, M., Ashktorab, T., AbedSaeedi, Z., & AlaviMajd, H. (2015). The impact of self-transcendence on physico health status promotion in multiple sclerosis patients attendings Peer support groups. *International Journal of Nursing Practice*, 21(6), 725–732. <https://doi.org/10.1111/ijn.12186>
- Kaseda, E. T., & Levine, A. J. (2020). Post-traumatic stress disorder: A differential diagnostic consideration for COVID-19 survivors. *The Clinician Neuropsychologies*, 34(7–8), 1498–1514. <https://doi.org/10.1080/13854046.2020.1811894>
- Sadri A.S, Khanjani M.S, Younesi S.J, Nabati Saravan E. (2021: Barriers of Adaptability with Spouse -Death in Martyrs' Wives Iranian Journal of War & Public Health. 2021;13(1):71-77.
- Bakr Maha (2020). Emotional intelligence and its relationship to dealing with psychological stress among widows in the city of Erbil (in Arabic), *Journal of Intelligence Research* 1, (30), 136-155. (in Arabic)

- Abu Youssef, M, (2021). The impact of the May 2021 aggression on the psychological situation and mental health of women and girls (in Arabic). Your Center for Women's Affairs - Gaza, Palestine, (in Arabic)
- Al-Sumairi Najah, (2016). The problems of widowed women and their relationship to self-affirmation (in Arabic). Arab Journal of Psychology, 5, Issue (51), 153-168. (in Arabic)
- Parker, L., Riyani, I., & Nolan, B. (2016). The stigmatisation of widows and divorcees (janda) in Indonesia, and the possibilities for agency. Indonesia and the Malay World, 44(128), 27–46. <https://doi.org/10.1080/13639811.2016.1111677>
- Parragues, P.O. (2015). Health and widowhood: Meanings and experience of elderly women in Chile. Scifres. Vol.5, No.8, pp.1272-1276. [10.4236/health.2013.58173](https://doi.org/10.4236/health.2013.58173)
- Ribeiro H, Lima VM, Waldman EA. In the COVID-19 Pandemic in Brazil, do Brown Lives Matter? Lancet Globe Heath. 2020 Auge ;8(8) : e976-e977.DOI : [https://doi.org/10.1016/S2214-109X\(20\)30314-4](https://doi.org/10.1016/S2214-109X(20)30314-4)
- Ryff, C. D., & Singer, B. H. (2008). Know thyself and become what you are: A eudaimonic approach to psychological well-being. Journal of Happiness Studies, 9(1), 13–39. <https://doi.org/10.1007/s10902-006-9019-0>
- Seligman, M. E., & Csikszentmihalyi, M. (2000). Positive psychology. An introduction. The American Psychologist, 55(1), 5–14. <https://doi.org/10.1037/0003-066X.55.1.5>
- Shahidi, M. (2013). Loneliness as a prédiction of components of mental Health.
- Al-Lawzi, T, (2023). Modeling the causal relationships between psychological immunity and its relationship to some psychological and demographic variables among families forced to demolish their homes in Jerusalem (in Arabic). Doctoral PHD, Institute of Arab Research and Studies, Cairo. (in Arabic)
- Al-Lawzi, T & Barakat, Z., (2021). Post-traumatic stress and its relationship to future anxiety among members of families whose homes were destroyed by the Israeli occupation in the city of Jerusalem. Al-Quds Open University (in Arabic). Journal for Educational and Psychological Research and Studies, 13, (37), 35-55. (in Arabic)
- Tsegaye, A. (2013). A Comparative Study of Psychological Well-Being between Orphan and Non-orphan Children in Addis Ababa: The Case of Three Selected Schools in Yeka Sub-city By Afework.
- WHO. (2022). PTSD: a global imperative. Geneva, Switzerland: WHO.

Post-traumatic stress disorder and its Relationship to the Psychological Well-being of the Martyrs' families Whose Homes were Demolished in Jerusalem Governorate

Tahani Al-Lawzi

PhD in Philosophy of Education, specializing in Psychological and Educational Counseling, Palestine
Corresponding Researcher: tahane.nemer@gmail.com

Received: 20/1/2025. Revised: 18/3/2025. Accepted: 24/9/2025. DIO:

Abstract

Objectives: The study aimed to identify the relationship between post-traumatic stress disorder and the psychological well-being among a sample of martyrs' families whose homes were demolished and the levels of post-traumatic stress disorder and the psychological well-being.

Methods: The study used the descriptive approach, and the sample consisted of (147) from the martyrs' families in the Jerusalem Governorate. They answered the psychological well-being and the post-traumatic stress disorder scales.

Results: There were a high level of post-traumatic stress disorder and a low level of psychological well-being. There was also a negative correlation between trauma disorder and the psychological well-being. There were no differences in the total score of the traumatic stress disorder and the psychological well-being attributed to the number of years of martyrdom. **Conclusion:** The study concluded that there was a negative correlation between post-traumatic stress disorder and psychological well-being. Post-traumatic stress disorder contributed to predicting the level of psychological well-being, and the findings of the current study clearly indicated the presence of the psychological effects of varying degrees that require care and attention.

Keywords: post-traumatic stress disorder, martyrs' families.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

دور الإرادة الحرة للعامل في إنهاء عقد العمل بالاستقالة، وفقاً للقانون الفلسطيني

أنس أبو العون

كلية الحقوق، الجامعة العربية الأمريكية، فلسطين

الباحث المراسل: anas.abualoun@aaup.edu

Received: 20/3/2025. Revised: 15/4/2025. Accepted: 22/9/2025. Published: 30/06/2026
DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.7

الملخص

تُعَدُّ الاستقالة من أهم التصرفات القانونية التي يمارسها العامل لإنهاء علاقة العمل، فيُفترض أن تكون نابعة من إرادته الحرة، ومع ذلك، تواجه هذه الظاهرة تحديات عدة، تتمثل في تأثير الضغوط الداخلية والخارجية في صحة القرار، ما يطرح تساؤلات حول مدى حرية التعبير عن الإرادة في تقديم الاستقالة، وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل الإطار القانوني لاستقالة الموظف في ظل القانونين: الفلسطيني والأردني، مع إجراء مقارنة بين النصوص القانونية والأحكام القضائية لتحديد أوجه القصور والتباين في حماية حقوق العامل. واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي المقارن؛ فتم استقراء النصوص التشريعية والقرارات القضائية ذات الصلة، وتحليلها، إلى جانب دراسة العقود العملية ذات العلاقة بعلاقات العمل، وأظهرت النتائج أن القواعد القانونية القائمة لا تضمن دائماً تجسيد الإرادة الحرة للعامل، فتُستغل الثغرات القانونية في بعض الحالات لتحويل الاستقالة إلى إجراء شكلي يخضع لظروف ضغط أو إكراه، كما تبين أن قبول صاحب العمل للاستقالة لا يعني بالضرورة تحقيق إرادة العامل، ما يستدعي ضرورة إعادة النظر في الآليات التشريعية لتعزيز حماية حقوق الطرفين.

وتخلص الدراسة إلى أهمية تبني إصلاحات تشريعية تُعزز الشفافية والعدالة في إجراءات الاستقالة، مع وضع معايير واضحة لتمييز الاستقالة الطوعية عن تلك الناجمة عن الضغوط، وتسهم هذه الرؤية في تحقيق توازن بين حماية حقوق العامل واستقرار بيئة العمل، ما يشكل إضافة نوعية في مجال قانون العمل وإدارة العلاقات العمالية.

الكلمات المفتاحية: الاستقالة، الإكراه، الفصل التعسفي، الاستقالة المشروطة، الإقالة.

المقدمة

تشهد علاقات العمل في العصر الحديث تحولات جوهرية بفعل التطورات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية، ما يبرز أهمية دراسة استقالة الموظف بوظيفها ظاهرة قانونية معقدة تتداخل فيها الإرادة الحرة للعامل مع تأثيرات الممارسات الإدارية والضغوط المحتملة من صاحب العمل. وبالرغم من أن الاستقالة تُعد من الحقوق الأساسية المكفولة للعامل، فإنها قد تُنتزع منه بوسائل غير مشروعة، سواء من خلال الاحتيال والخداع أو عن طريق الإكراه والضغط غير المشروع، ما يفقدها طابعها الإرادي. ومن هذا المنطلق، تسعى هذه الدراسة إلى تحليل الإطار القانوني المنظم لاستقالة الموظف من منظور مقارن، من خلال تقويم مدى صحة التعبير عن الإرادة الحقيقية للعامل في ضوء الاعتبارات الإجرائية والتعاقدية التي يفرضها القانون.

وتبرز أهمية الموضوع من الناحية العملية في دوره في تعزيز استقرار علاقات العمل من خلال توفير إطار قانوني واضح ينظم إجراءات الاستقالة، ما يقلل من النزاعات العمالية الناجمة عن استقالة الموظفين، كما يساهم في حماية حقوق العمال من أية ضغوط أو ممارسات غير مشروعة قد تؤثر في إرادتهم الحرة لإنهاء علاقة العمل، ويضمن في الوقت ذاته لأصحاب العمل تنظيم عمليات إنهاء الخدمة بطريقة قانونية عادلة. إلى جانب ذلك، فإن توضيح الجوانب القانونية للاستقالة يساعد المؤسسات على تبني سياسات موارد بشرية أكثر شفافية وفعالية، بما يساهم في تحقيق بيئة عمل أكثر استقراراً وانسجاماً مع مبادئ العدالة والإنصاف.

وتتجلى الأهمية العلمية لهذا الموضوع في الوضوح النسبي للنقص التشريعي في تنظيم إجراءات الاستقالة ضمن قانون العمل الفلسطيني، فقد اقتصرتا المادتان 35 و 46¹ على شرط الإشعار بوصفه إجراء ضرورياً لإنهاء عقد العمل، دون التطرق إلى تفصيل الجوانب الإجرائية الأخرى المرتبطة بالاستقالة. ومن هذا المنطلق، اتجه الباحث إلى دراسة المادة 23 من قانون العمل الأردني² لما توفره من تنظيم أكثر تفصيلاً لاستقالة الموظف، ما يتيح إنشاء إطار مقارن، يمكن من خلاله تقويم مدى كفاية التنظيم التشريعي في القانون الفلسطيني. كما أن الاستقالة، بوصفها تصرفاً قانونياً ينبع من إرادة منفردة، لا تتمتع بخصوصية تشريعية متكاملة في قانون العمل، ما يستدعي اللجوء إلى القواعد العامة في القانون المدني لتحديد مدى صحة الإرادة وتأثير العيوب التي قد تشوبها. وهذا بدوره يبرز الحاجة الملحة إلى معالجة هذا الفراغ التشريعي وتقديم رؤية قانونية أكثر تكاملاً لحماية حقوق الأطراف في علاقات العمل. وفي هذا السياق، يعدّ الرجوع إلى أحكام قانون العمل الفرنسي والتعرف على موقفه من الاستقالة، إلى جانب الاطلاع على نهج القضاء الفرنسي في هذا الشأن، خطوة مهمة لتعزيز الفهم المقارن وإغناء النقاش العلمي حول تنظيم الاستقالة وإثبات إرادة العامل الحقيقية.

وتتبع إشكالية الموضوع من التباين بين النظرية القانونية التي تُقر بإرادة العامل المنفردة وبين الواقع العملي الذي قد تشوبه ضغوط أو تهديدات، تحرم العامل من حرية الاختيار.

ومن هنا يطرح السؤال الرئيسي التالي: ما مدى كفاية النصوص القانونية النازمة للاستقالة في القانون الفلسطيني والأردني في حماية الإرادة الحرة للعامل عند إنهاء عقد العمل بإرادته المنفردة؟

ويرافق هذا السؤال عدد من الأسئلة الفرعية:

- ما هي الشروط القانونية لصحة الاستقالة بوصفها تصرفاً قائماً على الإرادة الحرة؟
- ما هو الدور الذي يلعبه قبول صاحب العمل في تفعيل آثار الاستقالة؟
- كيف يمكن تفسير النصوص القانونية والأحكام القضائية في ضوء المعايير القانونية الحديثة لضمان عدم استغلال استقالة الموظف وسيلة ضغط؟
- إلى أي مدى تضمن القواعد القانونية حماية الإرادة الحقيقية للعامل في تقديم استقالته من دون التعرض لضغوط أو إكراه غير مشروع؟

وتتلخص أهداف الدراسة في أربعة محاور:

1. توضيح الشروط القانونية لصحة الاستقالة: دراسة المتطلبات الموضوعية التي يجب توافرها لضمان صحة التعبير عن إرادة العامل الحرة في إنهاء عقد العمل.
2. تحديد دور قبول صاحب العمل: تحليل كيفية تأثير قبول استقالة صاحب العمل في تفعيل الآثار القانونية للعقد وإنهائه.
3. تحليل تأثير عيوب الإرادة: استقصاء تأثير الضغوط والإكراه غير المشروع في صحة الاستقالة وتحديد الآثار القانونية الناجمة عنها.

4. تقديم نموذج تطبيقي: بناء نموذج تحليلي يستند إلى مقارنة النصوص القانونية والأحكام القضائية لتطوير الفهم القانوني لاستقالة الموظف وتعزيز حماية حقوق العاملين.

وتعتمد المنهجية المستخدمة في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي المقارن، الذي يقوم على تحليل النصوص القانونية والأحكام القضائية وربطها بالظروف العملية التي تحيط بمسألة الاستقالة، ما يتيح تقديم نموذج تطبيقي يساهم في تطوير الفهم القانوني لهذه الظاهرة المعقدة.

ولتقديم إجابة دقيقة وشاملة لهذه الإشكالية وتحقيق الأهداف المرجوة، يعتمد البحث على منهج وصفي تحليلي مقارن يركز على دراسة النصوص القانونية الواردة في قانون العمل الفلسطيني (رقم 7 لسنة 2000) وقانون العمل الأردني (رقم 8 لسنة 1996 وتعديلاته)، مع تحليل الأحكام القضائية ذات الصلة وربطها بالسياقات العملية المرتبطة بإجراءات الاستقالة. وينقسم البحث إلى مبحثين رئيسيين: المبحث الأول يتناول الشروط الموضوعية لصحة الاستقالة، وينقسم إلى ثلاثة مطالب: المطلب الأول يبحث في الكيفية القانونية للاستقالة بين الإرادة المنفردة والرضا المشترك. والمطلب الثاني يركز على خصوصية التعبير عن إرادة العامل بالاستقالة وفقاً لأحكام قانون العمل. والمطلب الثالث يتناول الكتابة والإشعار بوصفها قيوداً على

¹ تنص المادة 35 من قانون العمل الفلسطيني على أنه

" ينتهي عقد العمل الفردي في أي من الحالات الآتية: ... 4- بناءً على رغبة العامل، شريطة إخطار صاحب العمل خطياً قبل الترتك:

أ- بشهر إذا كان يتقاضى أجره على أساس شهري.

ب- بأسبوع إذا كان يتقاضى أجره على أساس يومي أو أسبوعي أو بالقطعة أو بالعمولة."

كما تنص المادة 46 من القانون نفسه على أنه " يجوز لأي من طرفي عقد العمل غير محدد المدة إنهاؤه بمقتضى إشعار يرسل بعلم الوصول إلى الطرف الآخر قبل شهر من إنهاء العمل"

² تنص المادة 23 من قانون العمل الأردني على:

أ. " إذا رغب أحد الطرفين في إنهاء عقد العمل غير المحدد المدة، فيترتب عليه إشعار الطرف الآخر خطياً برغبته في إنهاء العقد قبل شهر واحد على الأقل، ولا يجوز سحب الإشعار إلا بموافقة الطرفين.

ب. يبقى عقد العمل ساري المفعول طوال مدة الإشعار، وتعدّ مدة الإشعار من مدة الخدمة.

ج. إذا كان الإشعار من طرف صاحب العمل، فله أن يعفي العامل من العمل خلال مدته، وله أن يشغله إلا في الأيام السبعة الأخيرة منها، ويستحق العامل أجره عن مدة الإشعار في جميع هذه الأحوال.

د. إذا كان الإشعار من طرف العامل وترك العمل قبل انقضاء مدة الإشعار، فلا يستحق أجراً عن فترة تركه العمل، وعليه تعويض صاحب العمل عن تلك الفترة بما يعادل أجره عنها."

حرية العامل في الاستقالة. أما المبحث الثاني، فيتناول أثر عيوب الإرادة في الاستقالة، وينقسم إلى مطلبين: المطلب الأول يناقش التحايل على العامل لتقديم استقالته. والمطلب الثاني يتناول عدم صحة الاستقالة الناتجة عن عيب الإكراه.

2. المبحث الأول: الشروط الموضوعية لصحة الاستقالة

تُعد الاستقالة من أبرز الحقوق التي يتمتع بها العامل في إطار علاقته التعاقدية مع صاحب العمل، فتمكّنه من إنهاء عقد العمل بإرادته المنفردة، دون الحاجة إلى موافقة الطرف الآخر. ويُعد هذا الحق انعكاساً لمبدأ حرية العمل وحق الفرد في اختيار مساره المهني وفقاً لظروفه الشخصية والمهنية. ومع ذلك، فإن ممارسة هذا الحق ليست مطلقة، بل تحكمها مجموعة من الضوابط القانونية التي تهدف إلى تحقيق التوازن بين مصالح العامل وصاحب العمل، فلا تؤدي الاستقالة إلى الإضرار غير المسوّغ بالجهة المشغلة أو استغلال العامل لها بشكل تعسفي.

ومن هذا المنطلق، يثور التساؤل حول مدى وجوب وضوح إرادة العامل عند تقديم الاستقالة، وما إذا كان ينبغي أن تكون هذه الإرادة صريحة ومحددة، أم يمكن استخلاصها ضمناً من سلوكه وتصرفاته. كما تبرز إشكالية أخرى تتعلق بمدى صحة الاستقالة المشروطة أو المقرونة بعوامل مستقبلية، وتأثير ذلك في نفاذها القانوني، ولمعالجة هذه الإشكاليات، سيتم تقسيم هذا المطلب إلى فرعين رئيسيين:

يتناول المطلب الأول وجوب أن تكون إرادة العامل واضحة لا لبس فيها، من خلال تحليل الطبيعة القانونية للاستقالة، ومدى اشتراط التعبير الصريح أو إمكانية استنتاج الإرادة ضمناً، إلى جانب ضرورة أن تكون نية العامل في إنهاء العلاقة التعاقدية حاسمة وغير قابلة للتأويل. أما المطلب الثاني، فيبحث في خصوصية التعبير عن الإرادة وفقاً لقانون العمل، وذلك من خلال استعراض القواعد الشكلية المطلوبة لصحة الاستقالة، ومدى اشتراط وصولها إلى علم صاحب العمل، إلى جانب مناقشة آثار تقديم استقالة مشروطة، خاصة إذا كانت مرتبطة بعوامل مستقبلية قد تؤثر في تنفيذها أو بطلانها وأخيراً، يناقش المطلب الثالث الكتابة والإشعار بوصفه قيداً على حرية العامل في الاستقالة، وسيتم تحليل مدى إلزامية تقديم الاستقالة بشكل مكتوب، وأهمية الإشعار المسبق بوصفه ضماناً قانونية لصاحب العمل، إلى جانب التداعيات القانونية في حال عدم الالتزام بهذه المتطلبات.

2.1 المطلب الأول: التكيف القانوني للاستقالة بين الإرادة المنفردة والرضا المشترك:

تُعد الاستقالة حقاً أصيلاً للعامل، تُتيح له استعادة حريته التي كانت محدودة طوال فترة علاقة العمل، دون أن يُلزم بتسويق قراره. وتنص المادة 1-1237L من قانون العمل الفرنسي على إمكانية إنهاء عقد العمل غير المحدد المدة بمبادرة أحد الطرفين، ما يعني أنه في حال رغبة الموظف في تقديم استقالته وإنهاء عقده، فلا يُشترط الحصول على موافقة صاحب العمل لإتمام هذا الإجراء. ويتجلى هذا المبدأ في قرار محكمة النقض الفرنسية رقم 04-45789 الصادر في 20 يونيو 2005، الذي عزز مفهوم الإرادة المنفردة في الاستقالة، بوصفها تصرفاً قانونياً يُعبّر عن رغبة العامل الشخصية في إنهاء العلاقة التعاقدية دون الحاجة إلى موافقة صاحب العمل. كما شدد القرار على تقليص نطاق تدخل صاحب العمل في هذه الإجراءات، ما يؤكد أن دوره يظل محدوداً، ولا يجوز له فرض قيود أو شروط تعيق ممارسة هذا الحق الأساسي.

فالاستقالة تصرف قانوني بالإرادة المنفردة، ينهي فيه العامل عقد العمل من طرف واحد، فلا يحتاج الموظف إلى تسويق هذا الفعل الأحادي أو تفسيره، ولا يتعين عليه أن يثبت أنها تستند إلى سبب مشروع لـ (Tornow, 2012)، ويخضع التصرف بالإرادة المنفردة لأحكام العقود إلا ما تعلق منها بضرورة وجود إرادتين وتطابقهما، وهذا يقتضي من المتصرف بالإرادة المنفردة أن يتمتع بالأهلية اللازمة للالتزام، وأن تخلو إرادته مما يشوب الرضا من عيوب، ومحلاً مستوفياً لشروطه القانونية، وسبباً مشروعاً. (السرحان وخاطر، 2012، ص 334)

ويرى جانب من الفقه (ادكيدك، حازم، 2024، ص 21) أن إنهاء العامل لعقد العمل قد يُعد تصرفاً تعسفياً إذا لم يستند إلى مسوّغات قانونية واضحة، وذلك استناداً إلى أحكام المادة 42 من قانون العمل الفلسطيني التي تتيح للعامل إنهاء عقد العمل بعد إشعار صاحب العمل، شريطة أن يتم ذلك في إطار خمس حالات محددة حصرياً. وبالمفهوم المخالف، فإن قيام العامل بإنهاء عقد العمل دون توافر إحدى هذه الحالات يُعد إنهاءً تعسفياً وغير مشروع، ما يمنح صاحب العمل الحق في المطالبة بالتعويض عن الأضرار الناتجة. وقد كرست محكمة النقض الفلسطينية هذا المبدأ في حكمها رقم 2011/720 الصادر بتاريخ 2013/8/5 (منشورات قسطاس)، فأيدت محكمة الاستئناف اقتطاع جزء من مكافأة نهاية الخدمة تعويضاً لصاحب العمل عن الأضرار الناجمة عن إنهاء العامل لعقد العمل بشكل تعسفي.

وفي المقابل، يرى البعض (أبو شنب، 2010، ص 300) أن نص المادة 42 يُقيد حق العامل في إنهاء عقد العمل بالإرادة المنفردة، فيشترط أن تكون الاستقالة مسببة فقط، وإلا عدت تعسفية، بيد أن هذا الاتجاه يخالف القاعدة الفقهية القائلة: "الجواز الشرعي ينافي الضمان" (الزحيلي، محمد، 2006، ص 539)، التي تؤكد أن ممارسة الحق لا تُرتب ضماناً إذا تمت في إطار ما يجيزه القانون.

ويرى الباحث أن العامل لا يُعد متعسفاً في ممارسة حقه بالاستقالة إلا إذا تجاوز حدود هذا الحق، فيُستخدم وسيلة للإضرار بالغير، أو لتحقيق أغراض غير مشروعة، أو إذا كانت المصلحة المتحققة للعامل من إنهاء العقد ضئيلة مقارنة بالأضرار الراجحة التي تُصيب صاحب العمل. ويُستمد هذا المبدأ من القواعد الواردة في الفقه الإسلامي ومجلة الأحكام العدلية، ويُعتبر

كل تصرف يغلب ضرره على نفعه غير مشروع، سواء أكان الضرر واقعاً على المتعاقد الآخر أم على الغير أم على الجماعة (الدريني، فتحي، 1988، ص 281) ³.

ولكن هل تكفي إرادة العمل المنفردة من أجل ترتيب آثار الاستقالة؟ تُعد إرادة العامل المنفردة كافية لترتيب آثار الاستقالة، فلا يتطلب إنهاء عقد العمل بإرادة العامل المنفردة موافقة صاحب العمل، وذلك وفقاً لأحكام المادة 42 من قانون العمل الفلسطيني، التي جاءت تحت عنوان "ترك العمل مع الاحتفاظ بالحقوق القانونية"، فقد نصت في فقرتها الثانية على أنه: "... استثناءً مما ورد في البند (1) أعلاه، يحق للعامل إذا استقال من عمله خلال السنوات الخمس الأولى أن يستحق ثلث مكافأة نهاية الخدمة، وثلثي مكافأة نهاية الخدمة إذا كانت الاستقالة خلال السنوات الخمس التالية، ويستحق المكافأة كاملة إذا أمضى عشر سنوات أو أكثر في العمل"، وكذلك ما نصت عليه المادة 23 من قانون العمل الأردني.

وهذا ما أكدت عليه محكمة التمييز الأردنية في قرارها رقم 697 لسنة 2013 الصادر بتاريخ 03-06-2013، فقد جاء في حكمها: "والوقوف على حقيقة المقصود فيما ورد في الكتاب المشار إليه، وهو تمسكها بعقد العمل (المجدد) المبرم بينها وبين المدعى عليه، وأنها لا ترغب بإقالة هذا العقد، وأنها متمسكة بحقوقها، فإن ذلك لا يشكل قبولاً من الطاعنة-المدعية- على إيجاب المميز ضده-المدعى عليه- بإقالة العقد المبرم بينهما، وإنما يعني استقالة المدعى عليه من العمل وإنهاء للعقد من جانبه. فإقالة العقد تشترط موافقة إرادة الطرفين واتجاههما إلى إقالته، أي اجتماع الإيجاب والقبول. وإن الإقالة لا تتم إلا بالتراضي أو التقاضي أو بمقتضى نص في القانون، وذلك وفقاً لأحكام المادتين (241 و242) من القانون المدني."

إن تقديم العامل استقالته وقبول صاحب العمل لهذه الاستقالة بمنزلة إقالة للعقد باتفاق الطرفين، ما يُحوّل إنهاء العقد بالإرادة المنفردة إلى إنهاء قائم على التراضي. ويترتب على هذا الاتفاق إعادة الطرفين إلى الحالة التي كانا عليها قبل التعاقد، وبالتالي فلا يحق لصاحب العمل المطالبة بالحقوق أو الالتزامات الناشئة عن عقد العمل الذي تم إنهاؤه بالإقالة، إلا إذا نُصّ صراحةً في العقد على الاحتفاظ بالحقوق في المطالبة بتلك الحقوق أو الالتزامات بموجب شرط صريح وواضح. وهذا الموقف تبنته أحكام المحاكم، سواء محاكم الموضوع أم محكمة التمييز:

وفي هذا الاتجاه، تذهب محكمة التمييز الأردنية في قرارها رقم 1925 لسنة 2015 الصادر بتاريخ 25/11/2015 إلى أن "تقديم العامل الاستقالة وقبول صاحب العمل لها، يُعد بمنزلة فسخ للعقد وإقالة له، إلا أن هذا الفسخ لا يُرتب تنازلاً تلقائياً عن حقوق صاحب العمل أو الالتزامات المترتبة على العامل بموجب العقد أو التعهدات السابقة. ويظل لصاحب العمل الحق في المطالبة بالالتزامات المترتبة على العامل، شريطة أن يكون ذلك مشروطاً أو منصوصاً عليه صراحةً في العقد أو سند التعهد. وبالنظر إلى أن العامل (المميز الأول) كان ملتزماً بموجب سند تعهد بالعمل لدى الشركة لمدة خمس سنوات متواصلة، فإن قبول الاستقالة كان مشروطاً باحتفاظ الشركة بحقوقها في المطالبة بالمبالغ المستحقة، ما يستدعي استمرار الالتزامات المالية أو الحقوق" ³.

وترى محكمة بداية عمان بصفتها الاستئنافية في قرارها رقم 657 لسنة 2022 الصادر بتاريخ 21/02/2022 أن قبول رب العمل لاستقالة العامل يُعد بمنزلة إقالة للعقد باتفاق الطرفين، ما يؤدي إلى اعتداد إنهاء العقد نتيجة هذا الاتفاق، وبالتالي فلا يحق لرب العمل المطالبة بأي تعويض ناشئ عن الاستقالة. فقد جاء في حكم المحكمة: "وفقاً لأحكام المادة (6) من عقد العمل الموقع بين الطرفين، فقد نصت على أن العقد يُجدد تلقائياً سنة بعد سنة ما لم يُبلغ أحد الطرفين الآخر برغبته في عدم تجديده قبل شهر من نهاية العقد. كما تضمنت المادة شرطاً يقضي بأنه في حال ترك الفريق الثاني (المدعى) العمل خلال مدة سريان العقد، فإنه يكون ملزماً بدفع تعويض مالي للفريق الأول (المدعى عليها) يعادل ثلاثة أضعاف راتبه الشهري الإجمالي، محسوباً على أساس راتب الشهر الأخير. ومن الثابت في وقائع القضية أن المدعى قد تقدم باستقالته بتاريخ 13/9/2015 على أن تكون سارية اعتباراً من 13/10/2015، وقبلت المدعى عليها هذه الاستقالة.

وبناءً على ذلك، فإن استقالة المدعى وقبول المدعى عليها لها، تُكيف قانونياً بأنها إقالة للعقد باتفاق الطرفين. وبالتالي، فلا يُمكن تحميل المدعى أي تعويض مالي بموجب المادة (6) من عقد العمل؛ لأنّ ترك العمل لم يكن بإرادة منفردة، بل بناءً على اتفاق مشترك"

ولكي يحدث هذا التحول في التكليف القانوني وما يترتب عليه من آثار، تشترط محكمة التمييز الأردنية أن يتم قبول الاستقالة بالطريقة ذاتها التي قُدمت بها، وذلك في حالة تقديم الاستقالة بشكل كتابي. وقد أوضحت المحكمة في أحد قراراتها أنه: "لا يوجد خلاف بين الطرفين بشأن تقديمها. أما فيما يتعلق بقبول الاستقالة، بما أن عقد العمل المبرم بين الطرفين هو عقد مكتوب، وكان طلب الاستقالة الذي قدمه المدعى - أيضاً - مكتوباً، فإنه لا يجوز في هذه الحالة إثبات قبول الاستقالة باستخدام البيئة الشخصية..."

وكذلك يتعين أن يصدر قبول الاستقالة عن الجهة المختصة بذلك، سواء أكان رب العمل نفسه أم ممثلاً قانونياً أو اتفاقاً عنه، أم أية جهة مخولة بإبرام عقد العمل. وقد أكدت محكمة التمييز الأردنية في حكمها رقم 3368 لسنة 2021، الصادر بتاريخ 10-05-2022، هذا المبدأ بقولها: "استقر القضاء على أن الجهة التي تنظم العقد هي التي تختص بالموافقة على إنهاء العقد وقبول الاستقالة. وبناءً عليه، تبين أن الموافقة على الاستقالة يجب أن تصدر إما عن اللجنة الإدارية أو ممثل المدعى عليها القانوني، وفقاً لما هو ثابت من إشعار مراقب الشركات".

³ الدريني، فتحي، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988

وفي هذا السياق، لا يوجد ما يثبت من خلال الوثائق أن المدعية قد وافقت على الاستقالة، فمجرد إملاء صيغة الاستقالة على المدعية لا يُعدّ موافقة صريحة أو ضمنية، وخاصة أن الصيغة التي أمليت عليها لا تتوافق مع النموذج المعتمد لتقديم الاستقالة. علاوة على ذلك، تنص المادة (30) من قانون العمل على أن صاحب العمل ملزم بتقديم شهادة خدمة للعامل عند انتهاء خدمته بناءً على طلبه، وتعد هذه الشهادة جزءاً من حق العامل، ولا يمكن عدّ إصدارها قبولاً ضمناً للاستقالة". ويرى الباحث أنه من خلال هذا الحكم، يظهر بوضوح أن إصدار شهادة الخدمة لا يعدّ قبولاً ضمناً للاستقالة، بل هو إجراء قانوني مستقل، يجب على صاحب العمل اتخاذه عند طلب العامل وفقاً لنص المادة 30 من قانون العمل، فالموافقة على الاستقالة تستدعي إجراءً منفصلاً يتمثل في موافقة الجهة المختصة أو ممثل صاحب العمل المخول قانونياً، ولا يمكن للموظف أو الشخص المسؤول عن تقديم شهادة الخدمة اعتداد هذا التصرف قبولاً ضمناً للاستقالة.

وعلى عكس الاتجاه الذي يعدّ الاستقالة إنهاءً بالإرادة المنفردة، ترى محكمة النقض الفلسطينية في قرارها رقم 424 لسنة 2015 الصادر بتاريخ 2020/05/27 أن الاستقالة تمثل توافقاً بين إرادة العامل ورب العمل على فسخ العقد، وبالتالي فلا يُعد العامل مستفيداً من أحكام الفقرة الأخيرة من المادة 42 من قانون العمل إلا إذا تمت الموافقة على الاستقالة. وقد ورد في القرار ما يلي: "أما الفقرة الثانية من المادة 42 من الفصل الثالث، فتتص على استثناء خاص يسمح للعامل بالحصول على ثلث مكافأة نهاية الخدمة في حال استقالته خلال السنوات الخمس الأولى. ومعنى الاستقالة يعكس فسخاً للعقد بالتراضي بين الطرفين حيث "أن المفهوم الفقهي واللغوي (لكلمة الاستقالة) هو طلب ان يقال (ويقال استقال من عمله طلب أن يعفى منه) وفي اصطلاح الفقهاء (عقد يتفق به طرفان على رفع عقد سابق بينهما، أي على فسخه وإلغاء حكمه وآثاره وأنه في حال الاستقالة يسمى الطرفان متقاييلين؛ أي أن كل منهما مقبل للآخر؛ ذلك أن الاستقالة يجب أن تقتدر بالإيجاب والقبول وشرطها الرضا بين المتقاييلين ..."

وفي قرار حديث، تذهب محكمة النقض الفلسطينية في قرارها رقم 181 لسنة 2023، الصادر بتاريخ 2024/01/17، عكس الاتجاه السابق، فقد قررت أن العامل لا يستفيد من أحكام الفقرة الثانية من المادة 42 إذا تم إنهاء عقد العمل بالتوافق بين العامل ورب العمل. وجاء في القرار: "وحيث إن المشرع ربط المكافأة بالثلث أو الثلثين في حالة تقديم العامل استقالته من العمل أو إرضائه سنوات معينة في العمل. فالعامل يستحق ثلث مكافأة نهاية الخدمة إذا أمضى خمس سنوات في العمل، وثلثي المكافأة خلال الخمس السنوات اللاحقة، وأقل من عشر سنوات، وفق نص الفقرة 2 من المادة 42 المشار إليها. ولما كانت الطاعنة قد ذكرت في البند الثاني من لائحة الدعوى أن إنهاء عقد العمل كان بالاتفاق بين الأطراف، في حين نجد أنه لم يصدر أي تعقيب من المطعون ضدهم حول هذه الواقعة في لائحة الجوابية. وحيث إن مودى إقالة العقد بالتراضي وإنهائه هو استحقاق الطاعنة مكافأة نهاية الخدمة، المنصوص عليها في المادة 45 من القانون المذكور آنفاً، كاملة، طالما أن حكم المادة 2/42 يتعلق باستقالة العامل من العمل". يتفق الباحث مع ما ذهب إليه المحكمة في القرار الأخير، حيث إن المادة 42 من قانون العمل الفلسطيني لا تشترط وجود إيجاب وقبول بين العامل وصاحب العمل لإتمام الاستقالة. بل تقتصر على تحديد الحق الذي يتمتع به العامل في حال تقديمه للاستقالة خلال السنوات الخمس الأولى من الخدمة، فيما يتعلق بمكافأة نهاية الخدمة. وهذا يؤكد أن الاستقالة تُعد تصرفاً قائماً على الإرادة المنفردة للعامل، دون الحاجة إلى موافقة صاحب العمل. فالاستقالة تُعد حقاً مكفوفاً للعامل لضمان عدم استمرار علاقات العمل إلى أجل غير مسمى، دون أن يكون هناك شرط لقبول رب العمل لها...

2.2 المطلب الثاني: خصوصية التعبير عن إرادة العامل بالاستقالة وفقاً لقانون العمل

لقد نص قانون العمل على قواعد خاصة تتعلق بإنشاء عقد العمل وإنهائه، بهدف توفير أكبر قدر من الحماية للعامل. فمن خلال المادة 35 والمادة 46 من قانون العمل، تم تحديد الطرق التي يمكن من خلالها إنهاء عقد العمل. ومع ذلك، تبقى مسألة التعبير عن إرادة العامل خاضعة لقواعد القانون المدني، فيُعد التعبير عن الإرادة وجوداً فعلياً بمجرد صدوره من صاحبه، ولكن لكي يتحقق الوجود القانوني لهذا التعبير، فيجب أن يصل إلى علم من وُجّه إليه. وهذا ما أكدت عليه محكمة النقض الفلسطينية في حكمها رقم 153+181 الصادر بتاريخ 2009/5/31، فقررت بأن إنهاء أحد الطرفين لعقد العمل بناءً على شرط تعاقدى يبيح ذلك، يُعد تصرفاً قانونياً من جانب واحد، يترتب أثره القانوني من لحظة علم الطرف الآخر به، دون الحاجة إلى قبوله. والعبرة - هنا - ليست فقط في صدور التعبير عن الإرادة، بل في وجوده وجوداً قانونياً لترتيب الآثار القانونية عليه. ويشترط فيمن صدر عنه التعبير أن تكون نيته واضحة في توجيه هذا التعبير إلى الطرف الآخر، فلا يكفي أن يصل التعبير إلى الطرف المعني؛ بل يجب أن يعلم به نتيجة إرادة ووعي صادر عن الشخص الذي عبّر عن الإرادة. وفي هذا الاتجاه تذهب محكمة النقض الفلسطينية⁴ إلى "... أن الثابت من البيانات أن الجمعية ممثلة برئيسها قد أخذت كتاب الاستقالة عن طاوله المدعية داخل مكتبها، وأن الاعتماد على هذه الواقعة بأن المدعية تركت العمل طوعاً بتقديم استقالتها، لا يستند إلى واقع أو قانون، فوجود الاستقالة على طاوله المدعية لا يعدّ تعبيراً عن إرادتها بترك العمل طالما لم تقدمها إلى الجمعية بشكل رسمي، وتكون المدعى عليها بمنزلة من استعجل الشيء قبل أوانه"

وذهبت محكمة التمييز الأردنية في قرار رقم 222 لسنة 2021 الصادر بتاريخ 2021-03-21 إلى: "إن المستفاد من الإيميلات المتبادلة بين الطرفين أن المدعية أشعرت المدعى عليها برغبتها في الاستقالة، ولم تحدد مدة الإشعار، كما لم تحدد

⁴ حكم محكمة النقض الفلسطينية رقم 2010/396 الصادر بتاريخ 2011/5/31 منشورات قسطاس

تاريخ نفاذها، مع أنها أبدت موقفها بعدم رغبتها في البقاء، وأنها ستقوم بتقديم تقرير تسليم المهام، وبعدم إعلام فريقها بذلك... إلا أنها تمسكت بحقها بتحديد تاريخ سريانها... فإن قبول استقالة المدعى عليها واعتداد آخر يوم عمل لها بتاريخ 2017/3/26 لا يعدّ فصلاً لها من العمل... ولأنه لا يوجد في قانون العمل نص يلزم صاحب العمل انتظار العامل حتى يحدد تاريخ سريان استقالته بعد أن أبدى رغبته في ترك العمل، وبذلك، لا تستحق المدعية تعويض فصل تعسفي".

ويرى الباحث أن المحكمة الموقرة جانباً الصواب؛ لأنه يظهر من العبارات التي استخدمتها العاملة في مراسلتها أن نيتها لإنهاء عقد العمل لم تكن واضحة وجازمة على النحو الذي رأتها المحكمة، ففي رسالتها الأولى، استخدمت عبارة: "أعتقد بأنني سأسحب نهائياً، سوف أستقيل... أرجو أن يبقى الموضوع بيننا". هذه الصياغة تشير إلى غياب الجزم واليقين بشأن نيتها الحقيقية للاستقالة، فاستخدام كلمة "أعتقد" يعكس حالة من التردد وعدم الحسم، إلى جانب طلبها إبقاء الأمر سراً، ما يبرز ترددها وعدم وضوح نيتها لإنهاء علاقة العمل فوراً.

أما في رسالتها الثانية، فقد أكدت رغبته في الاستقالة، ولكنها ربطت تنفيذها بظرف مستقبلي يتمثل في عودة رب العمل، فقالت: "سوف أنتظر لحين عودتك، لا أريد أن أعلم فريقي أو أي أحد بالأمر، سوف أقوم بإعداد تقرير تسليم مهامي بالأسبوع المقبل". هذه العبارات تشير بوضوح إلى أنها لم تكن تعزم جعل استقالتها سارية المفعول فوراً، بل أجلت نفاذها إلى حين ترتيب ظروفها، ما يبرز غياب نية التنفيذ الفوري.

ويرى الباحث أن المحكمة لم تراع التحليل الدقيق لدلالة العبارات المستخدمة في المراسلات الإلكترونية. فقد كان واضحاً أن العاملة لم تهدف إلى تقديم استقالة ذات أثر فوري، بل كانت تستكشف إمكانية إنهاء العلاقة التعاقدية مع رب العمل بألية تمنحها الوقت الكافي لترتيب أوضاعها الشخصية والمهنية. ويُستدل على ذلك بما أشار إليه شراح مجلة الأحكام العدلية من أن "الإجارة وفسخ الإجارة من العقود التي يجوز إضافتها إلى المستقيل" (حيدر، علي، 1991، ج1، ص 84). كما ذهب بعض الفقهاء إلى أنه في حال إضافة الإجارة أو فسخها إلى المستقيل، تصبح غير لازمة (القرة داغي، 2008) وينطبق هذا الأمر على إجارة الأدمي، ويجب الرجوع لأحكامه إلى مجلة الأحكام العدلية، التي أخذت بهذه الأحكام والتي تعدّ الشريعة العامة لقانون العمل.

وعلاوة على ذلك، فإن التناقض بين الرسائل الإلكترونية الأولى والثانية الصادرة عن العاملة، يعكس غياب النية الجازمة للاستقالة. الأمر الذي كان يوجب على المحكمة دراسة هذه الرسائل ككل مع الأخذ في الاعتبار ملاسات الحال، بدلاً من اعتداد الاستقالة قائمة بمجرد قبول رب العمل لها. كما أن ما أورده شراح مجلة الأحكام العدلية (حيدر، علي، 1991، ج1، ص 20) يُعزز هذا الرأي، فقد جاء فيه: "أما في الألفاظ غير الصريحة، فيختلف حكم اللفظ الواحد باختلاف مقصد الطرف القائل". وهنا يظهر التطبيق العملي لقاعدة "الأمر بمقاصدها"، فتُحمل الألفاظ غير الصريحة على المجاز، وتُصبح العبرة بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني، وعليه فقد كان الأولى بالمحكمة أن تفسر العبارات المستعملة في ضوء مقصد العاملة والظروف المحيطة بها، وليس - فقط - اعتماد الألفاظ بمعزل عن السياق والمقصد الحقيقي.

كما أنه يشترط في الإرادة الموجهة لتحقيق أثر الاستقالة أن تكون قاطعة وصريحة في التعبير عن نية إنهاء عقد العمل. غير أن الاستقالة قد تأتي مشروطة، ما قد يُفسر على أن العامل لم يقصد إنهاء العلاقة التعاقدية بشكل نهائي، بل ربط استقالته بشروط محددة، كتحسين ظروف العمل أو موافقة صاحب العمل على مطالب معينة. هذا الشرط يعكس رغبة العامل في الحفاظ على حقوقه، فلا يُنهى العقد إلا إذا توافرت الظروف التي اعتقدها ملائمة. في حال تقديم استقالة مشروطة وقبول صاحب العمل لها دون استيفاء الشروط المحددة، فقد لا تُعدّ هذه الاستقالة تعبيراً عن الإرادة الحقيقية للعامل في إنهاء العقد، ما قد يُبطل أثرها القانوني. وتتبع الاستقالة المشروطة للعامل الحق في التراجع عنها إذا لم يتحقق الشرط، فيُفترض أن نيته في ترك العمل كانت مرهونة بتحقيق هذا الشرط، وفي غيابه، يبقى له الحق في سحب الاستقالة. ومع ذلك فإن عدم الجزم في قرار البقاء أو ترك العمل قد يُسبب ضرراً جسيماً لصاحب العمل، ما قد تُكفّره المحكمة بأنه تعسف من العامل في ممارسة حقه بالاستقالة، لما يترتب عليه من إخلال باستقرار العلاقة العمالية ومصالح جهة العمل.

وفي هذا الإطار تذهب محكمة التمييز الأردنية إلى " أن المميز ضده قدم استقالته المشروطة بتاريخ 2016/10/16 بناء على طلب المديرية بقولها له : (إذا غير مراتح قدم استقالتك) وأن المديرية نفسها شرحت عليها بعدم الموافقة في التاريخ ذاته 2016/10/16 وما جاء في شهادة الشاهد الأول من أن المديرية طلبت منه تقديم الاستقالة، والشاهد الثاني من أن المدعي اتصل به وأخبره أنه سيلتحق بعمله، والشاهد الحارس الذي شهد بأنه منع المدعي من دخول المدرسة في اليوم التالي بناء على أوامر المديرية وتعليماتها التي شرحت على الاستقالة بتاريخ 2016/10/20 بالموافقة عليها دون الشروط الواردة عليها بعد أن منعت المدعي من دخول المدرسة وفصله من عمله، وبذلك يكون ما توصلت إليه المحكمة موافقاً لأحكام المادة (26) من قانون العمل وخلافاً للمادة (28) منه وتلزم بأداء أجوره حتى نهاية مدة العقد...."

ويمكن الاستدلال على عدم ثبوت الاستقالة إلا بثبوت الشرط، استناداً إلى ما نصت عليه المادة 82: "المعلق بالشرط يجب ثبوته عند ثبوت الشرط"، يعني أن الشيء المعلق على شرط يكون معدوماً قبل ثبوت الشرط الذي عُلق عليه؛ لأنه لو ثبت الشيء قبل وجود الشرط، لاستوجب ذلك وجود المشروط من دون الشرط، وذلك محال" (حيدر، علي، 1991، ج1، ص81). تؤكد هذه المادة على دور الشرط عاملاً حاسماً في إحداث الأثر القانوني، وهو ما يتسق مع الفقه الإسلامي الذي يولي أهمية خاصة للتعليل الشرطي في العقود والتصرفات. فالشرط يُعد أداة لضبط توقيت تحقق الحقوق والالتزامات، وآلياتها، فيستخدم لضمان تحقق ظروف معينة قبل أن تترتب الآثار القانونية المترتبة عليه.

ولكن ما هو أثر وقف عقد العمل في إمكانية تقديم الاستقالة في أثناء الوقف؟ في بعض الحالات، تفقد الإرادة دورها في تقديم الاستقالة، خصوصاً في حال إيقاف عقد العمل؛ لأنه لا يجوز للعامل تقديم استقالته في هذه الحالة. هذا ما ذهب إليه قرار محكمة التمييز الأردنية في قضيتها رقم 197 لسنة 2012 الصادر بتاريخ 2012/03/18، فقد قررت المحكمة أن "الاستقالة المقدمة من المدعي لكي تكون نافذة ومنتهية لآثارها في عقد العمل، والتي من شأنها إنهاء علاقة العمل مع المدعي عليه بصفته صاحب العمل، لا بد أن يكون المدعي على رأس عمله ويباشر عمله المعتاد لدى المدعي عليه. فإذا كان موقوفاً عن العمل، فلا مجال لاعتداد هذه الاستقالة نافذة ومنتهية لعقد العمل، كما يستفاد من أحكام المادة (23) من قانون العمل. وحيث أن المدعي وعند تقديم استقالته بتاريخ 2005/03/30 كان موقوفاً عن العمل بأمر من المدعي عليه، فإن مؤدى ذلك أن الاستقالة ليس لها أي أثر قانوني في إنهاء علاقة العمل بين الطرفين، بل يبقى عقد العمل قائماً".

ولا يتفق الباحث مع مسلك المحكمة الذي يحرم العامل من إمكانية البحث عن فرصة عمل بديلة خلال فترة توقف العقد، فيرى أن هذا الإجراء قد يؤدي إلى انتهاء الوقف التأديبي بالإنهاء المفاجئ للعقد. ويدعم هذا الرأي جانب من الفقه الذي يشير إلى أن مدة الإشعار لا يجب أن تُمدد لتساوي مدة الوقف، بل يُعد العقد منتهياً بانتهاء فترة الإشعار (الفاطسة، 2005، ص. 304).

2.3 المطلب الثالث: الكتابة والإشعار بوصفه قيда على حرية العامل بالاستقالة

يُعنى هذا المطلب بدراسة القيود القانونية التي تكبل حرية العامل في ممارسة حقه بالاستقالة وفق الأطر التشريعية المنصوص عليها في قوانين العمل الفلسطيني والأردني، مع التركيز على تحليل الأبعاد القانونية والفقهية والقضائية لهذه القيود، والتي يمكن نقاشها ضمن المسائل الآتية:

أولاً: يتناول شرط الكتابة بوصفه آلية إثباتية لتوثيق الاستقالة، من دون اعتدادها شرطاً جوهرياً لانعقادها، مستعرضاً الأحكام القضائية التي عززت هذا التوجه.

ثانياً: يناقش مهلة الإشعار بوصفه قيда إجرائياً، يهدف إلى تحقيق التوازن بين استقرار العلاقة العمالية وحماية مصالح صاحب العمل، مع الإشارة إلى طبيعتها الأمرة في إطار النظام العام الاجتماعي.

ثالثاً: يستعرض إمكانية التراجع عن الاستقالة، ودور الموافقة المتبادلة بين الطرفين في إلغاء آثارها.

2.3.1 الكتابة بوصفها قيда على حرية الإرادة في الاستقالة

اشتراط المشرع على العامل تقديم استقالته كتابة وإعطاء رب العمل مهلة إشعار من أجل تدبر أمور العمل من خلال سد النقص الحاصل بسبب الاستقالة، وفي هذا الإطار تنص المادة 35 من قانون العمل الفلسطيني على أنه ".... بناءً على رغبة العامل، شريطة إخطار صاحب العمل خطياً قبل الترتك..."، بينما تشير المادة 46 إلى أنه "يجوز لأي من طرفي عقد العمل غير محدد المدة إنهاؤه بمقتضى إشعار يرسل بعلم الوصول إلى الطرف الآخر قبل شهر من إنهاء العمل". كما تنص المادة 23 من قانون العمل الأردني على أنه "إذا رغب أحد الطرفين في إنهاء عقد العمل غير المحدد المدة، فيترتب عليه إشعار الطرف الآخر خطياً برغبته في إنهاء العقد قبل شهر واحد على الأقل، ولا يجوز سحب الإشعار إلا بموافقة الطرفين...".

ومن خلال هذين النصين، يتضح أن قانون العمل يشترط الكتابة لتقديم الاستقالة. لكن يبقى التساؤل: هل تتعلق هذه الكتابة بالإثبات أم الانعقاد؟ تتطلب الكتابة في هذا السياق إثبات الإخطار واستيفاء الشروط القانونية لإنهاء عقد العمل. وبذلك، تعدّ ضرورية للإثبات أكثر منها لانعقاد، فهي توثق رغبة العامل في الاستقالة وتضمن حقوق الطرفين في حال حدوث أي نزاع لاحق.

ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال الحكم 5912 لسنة 2019 الصادر عن محكمة التمييز الأردنية بتاريخ 31 ديسمبر 2019، فقد رأت المحكمة "أن الاعتماد على وجوب تقديم الاستقالة كتابياً لا يتفق مع الواقع، فلا يمكن إجبار العامل الذي تقدم باستقالة شفوية على الاستمرار في العمل دون موافقته، وبهذا فإن الشكالية الواردة في عقد العمل بشأن تقديم الاستقالة كتابة لا تلغي إمكانية تقديمها شفويًا وقبول صاحب العمل لها". كما دعمت محكمة التمييز هذا التوجه في قرارها رقم 2104 لسنة 2022، الصادر بتاريخ 24 مايو 2022، ما يعكس استمرارية هذا الاتجاه في الفقه القضائي. وبالتالي، يتضح أن قانون العمل ينظر إلى الكتابة بوصفها وسيلة للإثبات وليس شرطاً لازماً لانعقاد الاستقالة، ما يمنح العاملين مرونة أكبر في تقديم استقالاتهم.

وفي الاتجاه السابق نفسه، ذهبت محكمة استئناف نابلس في قرار 46 لسنة 2023 صادر بتاريخ 25-05-2023 إلى: "إن القول بوجوب أن تكون الاستقالة خطية حتى يتم الأخذ بها، فإننا نجد قولاً مخالفاً للقانون، علماً أن قانون العمل لم يشترط أن يكون عقد العمل كتابياً وإنما أجاز أن يكون كتابياً أو شفهيًا بموجب المادة 24 من قانون العمل رقم 7 لسنة 2000 فإنه لا يشترط بالاستقالة أن تكون خطية، ويمكن للمحكمة استخلاص هذه الواقعة من شهادة الشهود، وعليه فإننا نقرر رد هذا السبب".

ولكن التساؤل المطروح: هل يمكن استخلاص الاستقالة من الإرادة الضمنية للعامل؟ تذهب محكمة النقض الفرنسية إلى أنه في حال عدم تقديم العامل لاستقالة صريحة، فينسب إنهاء العقد قانوناً إلى صاحب العمل بغض النظر عن نية صاحب العمل (J. Mouly, 2000). وإذا رأى صاحب العمل أن إنهاء العلاقة التعاقدية يعود إلى سلوك العامل، فإنه مُلزم باتباع الإجراءات القانونية للفصل. وتؤكد محكمة النقض بشكل ثابت أن غياب العامل، حتى لو كان غير مسوّغ، فلا يمكن أن يُعدّ دليلاً قاطعاً على استقالته (Cass. soc. (2016, février 12). Arrêt n°14-15.016). ولكن تم تعديل أحكام ينص المادة L.

1-1-1237 من قانون العمل إلى ما يلي: «يفترض أن العامل الذي ترك عمله طوعية ولم يُستأنف عمله بعد أن تم إشعاره بضرورة تسوية غيابه واستئناف عمله، عن طريق رسالة مسجلة أو رسالة سلمت باليد مقابل إيصال استلام، ضمن المهلة التي يحددها صاحب العمل، أنه قد استقال عند انتهاء هذه المهلة...».

وقضت محكمة النقض الفرنسية الغرفة الاجتماعية في حكمها الصادر بتاريخ 9 مايو 2019، رقم 18-12.545، بأن بحث العامل عن وظيفة أخرى بعد توقف صاحب العمل عن دفع أجره لا يُشكّل إرادة واضحة وصريحة للاستقالة، وفي هذه القضية، توقفت الشركة عن دفع راتب العامل بسبب فقدان المشروع الذي كان يعمل عليه (إنهاء النشاط المرتبط بمشروع معين)، ما دفعه إلى البحث عن فرصة عمل جديدة، حاولت الشركة تفسير هذا التصرف بأنه استقالة، غير أن محكمة النقض عدّت أن هذا السلوك لا يرقى إلى مستوى تعبير لا لبس فيه عن إرادة العامل في إنهاء عقد العمل من تلقاء نفسه، وبالتالي، فلا يمكن لصاحب العمل الاستناد إلى هذا الفعل لتسوية إنهاء علاقة العمل على أساس الاستقالة.

وقد توجهت محكمة النقض الفلسطينية ذات التوجه الذي اعتمدته محكمة النقض الفرنسية فيما يتعلق بمسألة ترك العامل للعمل. فقد عدّت العامل الذي يترك عمله بمحض إرادته ي بحكم المستقيل. وفي هذا السياق، ورد في حكم محكمة النقض الفلسطينية رقم 144 لسنة 2024، الصادر بتاريخ 10-12-2024، ما يلي: "ولما كانت المحكمة، وعند معالجتها لسبب الطعن الثالث، قد أيدت محكمة الاستئناف بخصوص واقعة الفصل التعسفي التي ثبتت عدم تحققها، فإن الحكم للمدعي ببطلان المكافأة بمقدار الثلثين يتفق مع ما توصلت إليه المحكمة، لثبوت أن تركه للعمل كان اختيارياً. وعليه، فإن تطبيق حكم الفقرة الثانية من المادة (42) من قانون العمل من قبل محكمة الاستئناف جاء تطبيقاً صحيحاً ومتفقاً مع واقع الأوراق. وبموجب هذه المادة، يستحق العامل الذي يترك العمل اختيارياً وبرضاه ثلثي مكافأة نهاية الخدمة إذا كان قد عمل لمدة تزيد على خمس سنوات. ويُعد هذا الفعل بحكم الاستقالة، مما يجعل السبب المذكور في الطعن واجب الرد."

2.3.2 مهلة الإشعار بوصفه قيداً على الاستقالة

تنص المادة (23/أ) من قانون العمل على أنه "إذا رغب أحد الطرفين في إنهاء عقد العمل غير المحدد المدة، فيترتب عليه إشعار الطرف الآخر خطياً برغبته في إنهاء العقد قبل شهر واحد على الأقل ولا يجوز سحب الإشعار إلا بموافقة الطرفين". وفي هذا السياق، توضح المادة 23 أن حق الإشعار عند استقالة العامل يُعدّ من حقوق صاحب العمل؛ فيلتزم العامل بتقديم إشعار خطي لصاحب العمل برغبته في إنهاء العقد قبل شهر واحد على الأقل. ونظراً لأن الإشعار يُعدّ حقاً لصاحب العمل، فإنه يحق له إعفاء العامل من فترة الإشعار وقبول استقالته مباشرة، كما أكدت محكمة التمييز الأردنية في قرارها رقم 5504 لسنة 2020 الصادر بتاريخ 21-01-2021. وعلى النقيض من ذلك، فإن الإنهاء من قبل رب العمل لا يجوز فيه الاتفاق على إعفاء العامل من فترة الإشعار أو تخفيض مدتها، حيث يُعدّ هذا حقاً من حقوق العامل وينطبق عليه وصف النظام العام الاجتماعي (شنب، 2010، ص. 534).

ورد النص على هذا النظام في المادة 4 من قانون العمل الأردني: "أ. لا تؤثر أحكام هذا القانون على أي حق من الحقوق التي يمنحها للعامل أي قانون آخر أو عقد عمل أو اتفاق أو قرار، إذا كان أي منها يترتب للعامل حقوقاً أفضل من الحقوق المقررة له بموجب أحكام هذا القانون. ب. يعدّ باطلاً كل شرط في عقد أو اتفاق، سواء أبرم قبل هذا القانون أم بعده، يتنازل بموجبه أي عامل عن أي حق من الحقوق التي يمنحها إياه هذا القانون".

ويُعدّ النظام العام الاجتماعي مجموعة من المبادئ والقواعد الأساسية التي لا يجوز لأي من طرفي العلاقة العمالية، سواء العامل أو صاحب العمل، انتهاكها، نظراً لطبيعتها الأمرة والفلزمة، ويهدف هذا النظام إلى ضمان الحد الأدنى من الحماية للعامل، مع إتاحة إمكانية تجاوزه باتفاق الأطراف، شريطة أن يكون ذلك في اتجاه يُحقّق حماية أكبر. وبذلك، لا يقتصر النظام العام الاجتماعي على توفير الضمانات الأساسية، بل يُشجع - أيضاً - على تعزيز مستوى الحماية وتحسينها من خلال الاتفاقات التعاقدية التي تصب في مصلحة العمال. (جعوب، 2022، ص. 305)

وقد تبني قانون العمل الفلسطيني المبدأ ذاته في المادة 6 من قانون العمل، فقد نصّ على أن الأحكام الواردة فيه تُعدّ الحد الأدنى لحقوق العمال، التي لا يجوز التنازل عنها، وحيثما وُجد تنظيم خاص لعلاقات العمل، تُطبّق أحكام هذا القانون أو أحكام التنظيم الخاص، أيهما كان أكثر ملاءمة للعامل.

ويُعدّ الإشعار خطوة ضرورية لصاحب العمل لإتاحة فرصة ملائمة للاستعداد لهذا التغيير، ويجب أن يتم وفقاً للمدة المحددة لضمان الحقوق المتبادلة للطرفين، ولا يكون له أثر إلا إذا وصل إلى علم وجه إليه، ويرى بعض الفقهاء (عرفات، 2017، ص. 307) بأنه حسب قانون العمل الفلسطيني خصوصاً المادة 35 فيجب أن يكون الإشعار عبر البريد المسجل مع العلم بالوصول، وفي حال عدم احترام الإشعار بترتيب التعويض، وبذهب جانب من الفقه (نصرة، 2017، ص. 227) إلى أن الإشعار في المادة 35 مفروض على العامل فقط وليس رب العمل، فهو المكلف بإرسال الإشعار للعامل.

2.3.3 لتراجع عن الاستقالة

ويشترط بحسب المادة 23 من قانون العمل الأردني أن يكون هذا الإشعار نهائياً ولا يجوز سحبه إلا بموافقة الطرفين المتعاقدين (أي صاحب العمل والعامل). ولذلك يفقد العامل إمكانية سحب استقالته بعد أن يقوم بتقديمها ولا بد من التوافق مع رب العمل على سحب الاستقالة حسب المادة 23 من قانون العمل الأردني. وفي هذا الاتجاه تذهب محكمة التمييز الأردنية في الحكم رقم 4477 لسنة 2020 صادر بتاريخ 23-11-2020 إلى: "إن المدعي (المميز) عمل لدى المدعى عليها بموجب

عقد عمل غير محدد المدة ابتداء من تاريخ 2018/4/18 وبتاريخ 2018/8/9 قدم المدعي استقالته الخطية وأعطى المدعي عليها إشعاراً لمدة شهر لإيجاد بديل عنه، ثم رجع عن هذه الاستقالة بتاريخ 2018/8/14 وإن المدعي عليها قبلت الاستقالة بتاريخ 2018/8/28. ولأن المدعي أسس دعواه بادعاء أن المدعي عليها فصلته من العمل استناداً إلى الكتاب الصادر عنها بتاريخ 2018/8/28 فإن هذا الكتاب تضمن موافقتها على الاستقالة وليس فصلاً له من العمل. ولأنه لا يجوز الرجوع عن الإشعار الموجه من صاحب العمل أو العامل إلى الآخر إلا بموافقة الطرفين عليه.

ويرى الباحث أنه بالرغم من أن الاستقالة تُعد تصرفاً قانونياً يعبر عن إرادة العامل في إنهاء عقد العمل، فإن القانون الأردني قيد إمكانية التراجع عن هذا التصرف بموافقة الطرف الآخر. ويُعطل هذا التقييد بحماية استقرار العلاقة العمالية؛ لأن صاحب العمل يعتمد على تخطيط مسبق لاستمرارية العمل، ما يضمن عدم الإضرار بمصالحه.

وبالرغم من أن نص المادة 23 من قانون العمل الأردني يُظهر توازناً بين حق العامل في التراجع عن قراره وحق صاحب العمل في الحفاظ على الاستقرار، فإن هذا التوازن قد يُفسر بأنه يميل قليلاً لمصلحة صاحب العمل، فيُقيّد مرونة العامل في تغيير موقفه دون موافقة الطرف الآخر، ولم تنص المادة 35 من قانون العمل الفلسطيني على الحكم السابق نفسه، فهل يفهم من ذلك أن العامل يحق له التراجع عن موافقة رب العمل؟

يذهب جانب من الفقه (عرفات، 2017، ص306) إلى أنه يترتب على إرسال الإشعار عدة آثار، منها عدم جواز سحبه بعد أن يترتب آثاره، ويمكن للأطراف الغاء آثار الإشعار قبل انتهاء مدته والاستمرار بالعمل فلا يوجد ما يمنع ذلك. بل أكثر من ذلك عدت محكمة التمييز الأردنية في قرارها رقم 4477 لسنة 2020 (الصادر بتاريخ 2020-11-23) أن مرور مدة الإشعار دون رد، لا يُعد موافقة ضمنية على الاستقالة، ولو جاءت الموافقة بعد مرور المدة المقررة بالقانون. وقد نصت المحكمة على أنه: "وحيث إن المدعي أسس دعواه بادعاء أن المدعي عليها فصلته من العمل استناداً إلى الكتاب الصادر عنها بتاريخ 2018/8/28، فإن هذا الكتاب تضمن موافقتها على الاستقالة وليس فصلاً له من العمل. وحيث إنه لا يجوز الرجوع عن الإشعار الموجه من صاحب العمل أو العامل إلى الآخر إلا بموافقة الطرفين عليه." إن الاجتهاد السابق يُبرز دور القضاء في تعزيز الاستقرار القانوني وتجنب النزاعات الناتجة عن التفسيرات المتباينة.

ومن ناحية أخرى، قد تطرأ حالة يتم فيها تراجع العامل عن استقالته بصورة ضمنية، ما يلغي القرار السابق؛ إلا أن ذلك يجب أن يكون مصحوباً بموافقة صاحب العمل على سحب الاستقالة. وفي هذا السياق، أشارت محكمة التمييز الأردنية في قرارها رقم 7112 لسنة 2018 (الصادر بتاريخ 2018/12/30) إلى حالة محددة تتعلق بتقديم العامل لاستقالته، حيث أوضحت أنه: "قبول المميز بالإعارة واستمرار صرف رواتبه بعد تقديم الاستقالة، وعدم قبولها واعتباره في إجازة، كل ذلك يعني سحباً ورجوعاً عن الاستقالة، ويكون عقد العمل... لم ينته."

يتفق الباحث مع توجه محكمة التمييز الأردنية التي ترى أن عدم قبول الاستقالة خلال فترة الإشعار واستمرار رب العمل في تنفيذ عقد العمل بين الطرفين – سواء من خلال منح الإجازات أو دفع راتب الموظف، تُعد جميعها مؤشرات دالة على رفض الاستقالة، فالقاعدة تُفيد بأنه لا عبرة بالتصريح الذي يأتي بعد الدلالة (السرطان وخاطر، 2012، ص. 244) أي إن القبول الصريح للاستقالة لا أثر له إذا تراجع رب العمل والعامل ضمناً عن الاستقالة قبل القبول الصريح.

وإلى ذلك، أوضحت محكمة التمييز الأردنية (حقوق) في قرارها رقم 2019/7575 (الهيئة الخامسة) الصادر بتاريخ 2019/2/9 أنه: "إذا تقدم المميز ضده/المدعي باستقالته بتاريخ 2012/11/22 اعتباراً من 2013/1/31 بموجب البند الرابع من عقد العمل، وقامت المميز ضده بقبول هذه الاستقالة بتاريخ 2013/2/6 مع تراخي في قبولها حتى هذا التاريخ، ومع ثبوت استمرار عمل المميز ضده حتى تاريخ إنهاء خدماته، فإن الاستقالة لا تُعتبر نافذة، وتبقى الحالة غير مؤثرة لأن العامل استمر في العمل بعد تاريخ الاستقالة، ولم تتم الموافقة عليها إلا بعد مرور أكثر من شهرين، مما يجعل إنهاء عقد العمل مخالفاً لأحكام القانون."

وقد خلصت المحكمة إلى أن مرور الوقت وعدم قبول الاستقالة وحدهما لا يكفيان للاستدلال على تراجع العامل أو رفض صاحب العمل للاستقالة، بل يجب أن يقترن ذلك بوجود مؤشرات تُظهر استمرار العلاقة التعاقدية بين الطرفين بعد انتهاء فترة الإشعار.

وتعد مدة الإشعار من النظام العام الاجتماعي، فيجوز للأطراف الاتفاق على خلافه في حدود مصلحة العامل، وهذا ما ذهبت إليه محكمة التمييز الأردنية 4482 لسنة 2018 صادر بتاريخ 2018-09-16 أن مدة الإشعار يمكن أن تزيد عن الحد الأدنى المنصوص عليه في قانون العمل، إذا تم الاتفاق بين الطرفين على ذلك. وفقاً للبند 15 من عقد العمل بين الطرفين، تم تحديد مدة إشعار لمدة ثلاثة أشهر، وهو ما يتفق مع أحكام القانون في هذا الصدد. المحكمة أكدت أن مدة الإشعار تعد جزءاً من فترة الخدمة ويستحق العامل أجراً عن تلك المدة إذا عمل خلالها، وإذا لم يُلغ العقد بالإشعار، فالموظف يستحق أجره عن فترة الإشعار، ما دام قد قام بالعمل خلالها. (الداودي، 2004، ص 153)

وقد يتفق العامل مع رب العمل على تمديد مدة الإشعار في حال الاستقالة، وفي الوقت ذاته يُفرض على العامل شرط جزائي إذا استقال قبل مرور مدة معينة، وذلك نظراً للخبرة التي اكتسبها أثناء فترة عمله نتيجة المنح أو الدورات التدريبية التي قدمت له في إطار العمل، وفي هذا السياق، تذهب محكمة التمييز الأردنية إلى "أن النصوص التعاقدية قد تلزم العامل بالعمل لفترة محددة (مثل ثلاث سنوات بعد انتهاء فترة التجربة). وفي حال استقالته قبل انتهاء تلك الفترة، يكون ملزماً بدفع مبلغ محدد (3000 دينار) كتعويض للشركة بدل نقل الخبرة. بالإضافة إلى ذلك، قد يُنص في العقد على التزام العامل بإعطاء إشعار مدته 90 يوماً في حالة الاستقالة."

غير أن المستفاد من هذين النصين الواردين في عقد الاستخدام، كما أكدت محكمة التمييز، هو أن جمع التعويضين عن سبب واحد (وهو الاستقالة) يُعد مخالفة للمبادئ القانونية المستقرة. وقد أكد الفقه والقضاء أنه "لا يجوز جمع تعويضين لسبب واحد، وبناءً على ذلك، فإن الحكم بعدم إلزام الممثلة ببذل الإشعار، والاكتفاء بالحكم لها بالشرط الجزائي البالغ 3000 دينار، يتفق مع أحكام القانون. وقد تم تعزيز هذا المبدأ في قرار محكمة التمييز رقم 2006/3592 بتاريخ 2007/3/26، ما يجعل الحكم برد سببي الطعن متوافقاً مع القواعد القانونية والفقهية". واتفق مع ما ذهبت إليه المحكمة من إجازة تمديد مهلة الإشعار، وذلك لأن الانهاء جاء بفعل العامل نفسه.

3. المبحث الثاني: أثر عيوب الإرادة في الاستقالة

يتناول المبحث الثاني أثر عيوب الإرادة في صحة الاستقالة، مع تسليط الضوء على عيبين رئيسيين، هما التحايل والإكراه. وتُعد هذه القضية محوراً أساسياً في دراسة إنهاء علاقات العمل بالإرادة المنفردة، فتؤثر عيوب الإرادة في مشروعية الاستقالة، وبالتالي في الحقوق المترتبة على العامل. في هذا السياق، يُعد التدليس – أي التحايل أو الإخفاء المتعمد للمعلومات أو استخدام الأكاذيب – سبباً محتملاً لإبطال الاستقالة وإعادة تكيفها بوصفها فصلاً تعسفياً وفقاً للنموذج الفرنسي، الذي يوفر للعامل حقوقاً تعويضية ملائمة.

ومن ناحية أخرى، تبنت المحاكم في الأردن وفلسطين نهجاً أكثر تشدداً في متطلبات الإثبات، فيطلب من العامل تقديم أدلة واضحة تثبت أن الاستقالة لم تكن تعبيراً حقيقياً عن إرادته، سواء نتيجة التحايل أو الإكراه. ففي الأردن، ركزت محكمة التمييز على "ظاهر العقد" وإثبات أن الاستقالة كانت شكلاً شكلياً تحت تأثير خداع معين، بينما شددت محكمة النقض الفلسطينية على ضرورة تقديم قرائن دامغة تثبت فقدان العامل لحرية اختياره بسبب الإكراه. ولمعالجة الإشكاليات التي يثيرها هذا المبحث فسيتم تقسيم المبحث إلى مطلبين؛ الأول: يناقش التحايل على العامل لتقديم استقالته، والثاني: يناقش عدم صحة الاستقالة بسبب عيب الإكراه.

3.1 المطلب الأول: التحايل على العامل لتقديم استقالته

تنص المادة 1137 من القانون المدني الفرنسي المعدل بمرسوم 10 فبراير 2016 على أن "التدليس هو حصول أحد المتعاقدين على رضا الآخر باستخدام طرق احتيالية أو الأكاذيب. يعد تدليساً كذلك، إخفاء أحد المتعاقدين عمداً لمعلومة يعرف صفتها الحاسمة بالنسبة للطرف الآخر".

ويُعرف الغش في إطار القانون بأنه العمل الذي يتضمن تدبيراً غير قانوني، يتمثل في خطأ يُرتكب عبر أفعال مادية أو من خلال الكذب أو إخفاء أحد أطراف العقد المتعمد لمعلومة جوهرية. هذا الإخفاء، الذي يشكل العنصر المادي للغش، يجب أن يكون مقترناً بنية التضليل وإيقاع الطرف المتعاقد الآخر في الخطأ بهدف حمله على إبرام العقد. ومن أجل تحقق الغش، فيشترط أن يكون صادراً عن أحد أطراف العقد، فلا يُعد الغش الناتج عن طرف ثالث سبباً لبطلان العقد، بل يُترتب عليه المسؤولية المدنية التقصيرية للطرف الثالث المعني (Expert, 2020, p.17).

وتُكرس المادة 1138 من القانون المدني السوابق القضائية التي تؤكد على أن الممثل القانوني أو من يتولى مسؤولية أحد الأطراف لا يُعد طرفاً ثالثاً، بل يمتد ذلك إلى مدير الأعمال والعامل المفوض، أو أي طرف يتواطأ مع الطرف المتعاقد لتحقيق الغش، لقد وسعت المادة السابقة نطاق الإخفاء المتعمد للمعلومات الجوهرية، فلم يعد يلزم إثبات خرق واجب الإعلام المنصوص عليه في المادة 1112 من القانون المدني، بل يكفي إثبات أن الطرف المتعاقد قد تعمد إخفاء معلومة كانت له دراية كاملة بأهميتها وتأثيرها المباشر في موافقة الطرف الآخر. (François, 2019)

ولا يشترط القانون الفرنسي وجود الغبن بوصفه عنصراً ضرورياً لإثبات التدليس، فالتدليس يتم بمجرد ثبوت أن أحد الأطراف استخدم وسائل احتيالية للحصول على رضا الطرف الآخر، يترتب على التدليس إبطال العقد بناءً على المادة 1139 من القانون المدني، فيعد الخطأ الناتج عن التدليس "خطأً جوهرياً" يسوّغ الإبطال،

وفي السياق العمالي، إذا طلب صاحب العمل أو من يمثله من العامل تقديم استقالته بحجة إعادة توظيفه لاحقاً، فإن هذا التصرف قد يُعدّ مناورة قانونية غير مشروعة، تهدف إلى التحايل على حقوق العامل، ذلك أن هذه المناورة قد تؤدي إلى حرمان العامل من حقه في التعويض عن الفصل التعسفي، إلى جانب إلغاء أقدميته وإعادة تعيينه بعقد جديد بشروط أقل ملاءمة، وبالتالي يمكن أن يؤثر هذا السلوك في استقرار العامل الوظيفي، ويؤدي إلى التخلص من بعض الالتزامات القانونية المترتبة على صاحب العمل، مثل مستحقات نهاية الخدمة والامتيازات المتعلقة بفترة العمل السابقة، ما يشكل انتهاكاً للنظام العام الاجتماعي (Miné & Lachaux, 2018, p333).

لقد استقر الاجتهاد القضائي على أن الاستقالة أن تتطلب إرادة واعية خالية من العيوب، ولذلك قد يكون الخطأ سبباً في عدم صحة الفعل الانفرادي، وقد يمارس على العامل الخداع والتدليس، فلا تكون إرادته صحيحة، ويجب أن تكون الاستقالة قراراً ذاتياً حرّاً وطوعياً، دون تأثير غير مسوّغ من صاحب العمل. إذا لم يكن الأمر كذلك، فيمكن الطعن في الاستقالة (Ferro, 2023).

وفي الحالات التي يكون فيها رضا العامل معيباً، فإن الجزاء المترتب على ذلك يجب أن يكون مماثلاً للأثر المترتب على التدليس في العقود، فالقانون الفرنسي يُرتب على التدليس قابلية العقد للإبطال أو البطلان النسبي، وبناءً على ذلك يحق

للعامل، الذي وقع ضحية خداع أو تضليل دفعه إلى تقديم استقالته، المطالبة بإبطال الاستقالة لعب في الرضا، ما يتيح له استئناف عمله.

بيد أن القضاء الفرنسي، مستنداً إلى الاعتقاد بأن عودة العامل إلى المؤسسة قد تؤثر في حسن سير العمل، تبني نهجاً مغايراً، فأعاد تكييف إنهاء العلاقة العمالية في مثل هذه الحالات بأنه فصل تعسفي، وفي هذا السياق لا يقتصر القاضي على فحص ما إذا كان إنهاء العقد قد تم بمبادرة العامل، وإنما ينظر - كذلك - في الظروف والملابسات التي أدت إلى هذا الإنهاء، وبما أن إجراءات الفصل لم تُحترم، لا سيما من حيث عدم بيان مسوغاته، فُيعد الفصل في هذه الحالة غير مستند إلى سبب حقيقي وجدي، ما يستوجب ترتيب الآثار القانونية المترتبة على الفصل التعسفي (Pousson, 2018, p. 285). وفي هذا الإطار تذهب محكمة النقض الفرنسية. Cass, Soc. 2011, 31 mai. Arrêt n° 09-68948. إلى أنه نظراً لأن الاستقالة التي قدمتها العاملة كانت بناءً على نصيحة صاحب العمل، والتي كانت تهدف إلى إخفاء استمرار علاقة العمل الأصلية من خلال إعادة الوضع القانوني للعاملة بالشركة، فلا يمكن اعتدادها استقالة صحيحة. وقد رأت المحكمة أن هذه الاستقالة كانت غامضة وغير واضحة، وبالتالي، يجب تقدير حقوق السيدة X بناءً على أقدمية بدأت في 8 أكتوبر 1991 وانتهت في 17 فبراير 2001، وليس من تاريخ العقد الجديد بعد تقديم الاستقالة.

وقررت محكمة النقض الفرنسية أن الاستقالة المقدمة تحت تأثير تحايل صاحب العمل تُعد بمنزلة فصل تعسفي، دون الحاجة إلى تطبيق نظرية البطالان النسبي، ففي هذه الحالة، لا يُشكل عيب الرضا في حد ذاته سبباً لإبطال الاستقالة، وإنما يُعاد تكييفها قانونياً بالنظر إلى الملابسات التي أحاطت بها، بوصفها إنهاءً تعسفياً لعقد العمل، ما يُرتب للعامل الحق في المطالبة بالحقوق كافة، المقررة في حالات الفصل التعسفي.

ويؤثر التساؤل حول ما إذا كان القضاء الأردني والقضاء الفلسطيني قد تبنيّا النهج ذاته، الذي اعتمدته الفقه والقضاء الفرنسي بشأن عدم صحة الاستقالة في الحالات التي يلجأ فيها صاحب العمل إلى استخدام وسائل احتيالية لحمل العامل على تقديم استقالته؟ وفي هذا السياق تقول محكمة التمييز الأردنية قرارها رقم 2637 لسنة 2020 صادر بتاريخ 2020/08/05 منشورات قسطاس: " نجد أن الثابت من أوراق الدعوى وبيناتها أن المميز (المدعي) عمل لدى المدعى عليها من تاريخ 2007/4/2 وبتاريخ 2012/4/22 قدم استقالته بناءً على طلبها ثم أعادت تعيينه بتاريخ 2012/6/24 وأنها اعتبرت فترة عمله مستمرة منذ تاريخ 2007/4/2 كما هو ثابت في الكتاب الصادر عنها المبرز (م 7) من بيناتها، مما يجعل فترة عمله مستمرة من تاريخ 2007/4/2 حتى تاريخ فصله في 2017/9/18".

لم تر محكمة التمييز الأردنية طلب رب العمل من العامل تقديم استقالته لإنهاء لعقد العمل بالإرادة المنفردة لرب العمل ولا يشكل فصلاً تعسفياً؛ لأن تنظيم توقيع عقد جديد وتقديم الاستقالة كانت غاياتها غايات تنظيمية ومالية. واستندت المحكمة إلى العقد المبرم بين الطرفين، فوجدت أن البند (13) من العقد يجيز للمدعى عليها نقل المدعي إلى أي فرع أو مصنع أو مكتب أو شركة تابعة للمجموعة حتى لو أدى ذلك إلى تغيير مكان إقامته، ووافق المدعي على هذا البند ووقعه، فإن هذا الشرط لا يخالف المادة (4) من قانون العمل ويتفق مع المادة (18) من القانون ذاته.

وأضافت أنه نظراً لأن لكل من الشركتين شخصية اعتبارية ومالية وإدارية مستقلة، فإن عملية النقل تستلزم تقديم استقالة المدعي من الشركة الأولى وتنظيم عقد جديد مع الثانية لترحيل حقوقه وامتيازاته إليها لأغراض إدارية ومالية وضريبية وضمن اجتماعي. وبما أن المدعى عليها استعملت حقها حسب العقد، فإن ذلك لا يعطي المدعي الحق في ترك العمل طالما وافق على ذلك في العقد، ما يخالف حكم المادة (3/أ/29) من قانون العمل.

وأكدت التوجه السابق محكمة بداية عمان في قرارها رقم 15 لسنة 2022 الصادر بتاريخ 2022/01/17 أن الاستقالة تصرف قانوني يصدر عن العامل، وإذا اقترنت بقبول صاحب العمل أصبحت إقالة للعقد وأنتجت أثرها القانوني. ومع ذلك، فإذا ثبت أن الاستقالة تمت تحت الإكراه أو الاحتيال، فإنها تُعد باطلة بطلاناً مطلقاً لمخالفتها أحكام قانون العمل والنظام العام الاجتماعي. وأكد القرار أن المشرع وضع قيوداً على إنهاء عقد العمل، مثل شرط شهر الإشعار ومنع تعسف صاحب العمل، ليعد الفصل تعسفياً إذا لم تتحقق الحالات المنصوص عليها في المادة (28) من قانون العمل. كما منح العامل الحق في ترك العمل مع الاحتفاظ بحقوقه، بما في ذلك التعويض عن الفصل التعسفي، وفق المادة (29) من قانون العمل.

وتطبيقاً لذلك، فإذا ثبت أن العامل استقال بناءً على إقناع صاحب العمل أو خداع منه، للحصول على حقوقه التي لم تُمنح له، فإن الاستقالة تكون باطلة. كما أن أي شرط أو اتفاق يتنازل فيه العامل عن حقوقه القانونية يُعد باطلاً وفق المادة (4/ب) من قانون العمل.

واعتمد الاتجاه القضائي الأردني على أن لجوء صاحب العمل إلى الاحتيال على العامل لحمله على تقديم استقالته بهدف التخلص من الأعباء المترتبة على الفصل التعسفي، يُشكل مخالفة صريحة للنظام العام الاجتماعي، كما هو منصوص عليه في المادة (4) من قانون العمل الأردني.

ولم تبتعد محكمة النقض الفلسطينية في قرارها رقم 773 لسنة 2022 صادر بتاريخ 2024/04/22 عن الاتجاه السابق وفحصت مدى اتجاه إرادة العامل الحقيقية نحو الاستقالة، فقد سعى العامل إلى إثبات أن الاستقالة التي تقدم بها كانت شكلية وليست حقيقية، بهدف الحصول على حقوقه، وتنظيم مخالصة لهذا الغرض، فيسعى العامل إلى إثبات أن المخالصة وقعت وهو لا يزال على رأس عمله، ما يمكنه من الطعن فيها. تذهب محكمة النقض الفلسطينية إلى أنه يجب على العامل إثبات أن الاستقالة كانت شكلية، فإن لم يتمكن من ذلك فلا يستطيع الطعن في المخالصة.

ويرى الباحث اتجاه محكمة النقض الفلسطينية يتفق مع النهج الذي اعتمدته القضاء الأردني، فحمل العامل عبء إثبات صورية الاستقالة، وفي حال ثبوت صوريته تُعدّ المخالصة الموقعة بين العامل وصاحب العمل مخالفة للنظام العام، وذلك إذا تضمنت تنازلاً عن أي من الحقوق التي يكفلها القانون للعامل. (أبو العون والشيخ، 2021، ص 296)

ولكن كيف يمكن إثبات شكلية (صورية) الاستقالة؟ يرى جانب من الفقه (المرايط، 2016، ص 111). أن الاستقالة قد لا تكون ناتجة عن إرادة حرة من طرف العامل، وإنما جاءت نتيجة لظروف أسهم رب العمل في خلقها، مثل التهديد بالطرد أو الاحتيال عبر إيهام العامل بأن الاستقالة إجراء شكلي لأغراض تنظيمية ولن تؤثر في منصبه. وفي هذه الحالة، يقع على العامل عبء إثبات تلك الظروف، وفقاً لما تنص عليه المادة 71 من قانون البينات الفلسطيني بجميع وسائل الإثبات.

وقد تكون استقالة العامل شكلية ويستدل على ذلك من خلال وقت تقديمها، فيمكن كتابتها بعد انتهاء عقد العمل، في هذا الإطار ذهبت محكمة التمييز الأردنية في القرار رقم 6464 لسنة 2019 الصادر بتاريخ 2020/01/26 إلى " ... تخطئة محكمة الاستئناف عندما عدت الاستقالة المقدمة بعد عدة أيام من إنهاء المميز ضدها عقد العمل بالإرادة المنفردة، ولا بد للاستقالة أن يكون لها سبب موجود ومنفعة لصاحبها، وأن الطلب من العامل ترك العمل فوراً وإعفاءه من شهر الإنذار، يشكل مبالغة بالتعسف...

ولأن هذه الاستقالة صادرة عن المدعي الذي أكد من خلالها رغبته بالاستقالة من العمل، فإنه لا يستحق بدل فصل تعسفي، وحيث توصلت محكمة البداية بصفتها الاستئنافية للنتيجة ذاتها، فنقرها على ذلك، وإن هذه الأسباب لا ترد على القرار المميز". ويرى الباحث أن تقديم الاستقالة بعد صدور قرار الإعفاء من العمل، يُعدّ قرينة على تحايل رب العمل بهدف تقاضي منح العامل حقوقه القانونية المتعلقة بالفصل التعسفي، أو قد يُفسر على أنه اعتقاد من العامل بأن هذه الخطوة قد تسهل له الحصول على حقوقه دون الحاجة إلى اللجوء إلى القضاء. وبناءً على ذلك، فإذا تم تقديم الاستقالة بطلب من رب العمل، فإن هذا السلوك يشكل إساءة لاستعمال الحق واستغلالاً لتعقيدات الإجراءات القانونية على نحو يضر بمصالح العامل ويحول دون حصوله على حقوقه المستحقة وفقاً لأحكام القانون، ويمكن للعامل إثبات ذلك بجميع وسائل الإثبات (بوزهير، 2022، ص 197).

فإلى أي مدى يمكن للعامل المستقل التمسك بقواعد تفسير العقود لإثبات أن استقالته كانت شكلية ولا تعبر عن إرادته الحقيقية؟ تخضع مسألة تفسير الإرادة الحقيقية للعامل والهدف الذي كان يقصده عند تقديم استقالته لتقدير محكمة الموضوع، ولكن سلطة القاضي محدودة وليست مطلقة ومقيدة بقواعد التفسير، فلا محل للتفسير إذا كانت عبارة العقد واضحة في تركيبها وفي دلالتها على المقصود (محمد، 2017، ص 38). ويرى بعض الفقهاء أن وضوح الألفاظ المستخدمة في العقد لا يعني بالضرورة تطابقها مع الإرادة الحقيقية للمتعاقد، فقد يجد القاضي نفسه مضطراً إلى تأويل النصوص التعاقدية حتى وإن بدت خالية من الغموض، وذلك عندما تشير الملبسات المحيطة بالعقد إلى أن الأطراف لم يعبروا بدقة عن نواياهم الحقيقية. فقد يكون القصد الفعلي للمتعاقدين مختلفاً عن المعنى الظاهر للألفاظ المستخدمة في الاتفاق. ومع ذلك فإن صلاحية القاضي في إعادة تفسير النصوص التعاقدية تخضع لشروطين أساسيين: الأول، أن يفترض أن المعنى الظاهر للعبارة يعكس إرادة الأطراف، ولا يجوز له تجاوز هذا المعنى إلا إذا قدمت وقائع الدعوى ما يسوغ ذلك. والثاني، أنه في حال قرر القاضي تبني تفسير مغاير للمعنى الظاهر، فإنه ملزم بتوضيح الأسس القانونية التي استند إليها في حكمه. وتخضع هذه المسألة لرقابة محكمة النقض، التي تتولى فحص مدى دقة التسبيب القانوني للحكم واتساقه مع المبادئ القانونية المعتمدة (السنهوري، 1997، ص 8-9).

وفي هذا الإطار ذهبت محكمة بداية عمان بصفتها الاستئنافية في قرارها رقم 2560 لسنة 2021 صادر بتاريخ 2021/05/24 إلى أنه " لما كانت عبارات العقد واضحة ولا يجوز الانحراف عنها وتفسيرها تفسيراً مغايراً لإرادة الفرقاء والأطراف، فإن الواضح أن المدعي استقال من العمل بشركة (د) بعام 2014 وأن المدعي التحق للعمل بسوق البحرين وفي 2013/12/23 التحق المدعي للعمل بصيدلية (س) وإن عمله بصيدلية (س) كان لبيع منتجات المدعي عليها فقط، وبالتالي فلا يوجد ما يثبت واقعة عمل المدعي لدى المدعى عليها بعد تقديمه الاستقالة.... وفي ذلك نجد أن عبارات الاستقالة تضمنت الاستقالة من المدعى عليها ذلك أن الأمر لو كان انتقالاً لما احتاج المدعي لكتابة استقالة، ولتم تكوين أن المدعي انتقل انتقالاً، وبالتالي فإن ما هو ثابت بالبينة الخطية أن الاستقالة أنتجت أثرها بتاريخ تقديمها وسبب الاستئناف مستوجب للرد".

واعتمدت المحكمة في قرارها على مبدأ تفسير العقود وفقاً لظاهر النصوص، فرأت أن العبارات الواضحة في العقد لا تحتاج إلى تأويل أو تفسير مخالف لإرادة الأطراف، واستندت إلى أن البينة الخطية، بما في ذلك وثيقة الاستقالة، هي المرجع الأساسي لإثبات الوقائع القانونية، ما يعني أن الاستقالة تعدّ دليلاً قاطعاً على إنهاء العلاقة الوظيفية. كما رأت المحكمة أن تقديم العامل للاستقالة يعني إنهاء علاقته القانونية بالشركة، فلو كان هناك انتقال وظيفي داخل الشركة ذاتها، لتمت الإشارة إلى ذلك صراحة بدلاً من اللجوء إلى تقديم استقالة رسمية، فالأصل في الكلام هو الحقيقة، ولا يجوز حمل اللفظ على المجاز إذا أمكن حمله على معناه الحقيقي. ولا يمكن تطبيق قاعدة الأمور بمقاصدها في هذا الإطار. يذهب جانب الفقه (الحبسي، 2019، ص 384) إلى القول: "إن الألفاظ الصريحة لا تحتاج إلى نية، ويكفي حصول الفعل لترتب الحكم عليها، فالأفعال الصريحة تكون النية متضمنة فيها".

ومن وجهة نظر الباحث أن هذا التفسير يبدو شكلياً، فلم تأخذ المحكمة بعين الاعتبار القاعدة الفقهية القائلة بأن "العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني". فاستمرار العامل في العمل لمصلحة الشركة نفسها، ولكن تحت مسمى وظيفي مختلف وفي دولة أخرى، يشير إلى أن الاستقالة قد تكون شكلية وإجراءً تنظيمياً لا يعكس إنهاءً حقيقياً للعلاقة العمالية، كما أن طبيعة العمل الجديد، التي اقتضت على بيع منتجات الشركة ذاتها، تعدّ مؤشراً على استمرار العلاقة التعاقدية بطريقة غير مباشرة. وكان من الأجدر بالمحكمة أن تتحقق مما إذا كانت الشركة قد استمرت في معاملة العامل بصفته أحد موظفيها، سواء من خلال تقديم مزاي أو استمرار الإشراف الإداري عليه، بدلاً من الاقتصار على النصوص المكتوبة فقط. ويرى بعض

الفقه (سلطان، 2000، ص. 196) أن وضوح عبارات العقد لا يُقاس بوضوح كل جملة على حدة، بل يستمد وضوحه من دلالة العقد ككل مما جاء به من عبارات. ويُعدّ العقد في جوهره وحدة متكاملة الأجزاء والأحكام، ما يستدعي تفسيره وتطبيقه بناءً على صياغة كاملة متصلة الأجزاء، وليس تجزئته إلى معاني منفصلة لكل عبارة. وهذا ما تأكده محكمة النقض الفلسطينية في قرارها رقم 1641 لسنة 2018 صادر بتاريخ 2021/06/14 فقد جاء في قرارها " وأن العبرة في تفسير العقد في الفقه الاسلامي هو بالإرادة الظاهرة لا بالإرادة الباطنة، فيجب الوقوف في تفسير العقد على الصيغ والعبارات الواردة في العقد واستخلاص معناها الظاهر، ولا يجوز الانحراف عن المعنى الظاهر لسير النفس البشرية للعاقدين لمعرفة مقاصدهما؛ لأن العقد بهذا المعنى هو ظاهرة اجتماعية لا ظاهرة نفسية مستترة، وهذه النية تستخلص مما تدل عليه الالفاظ الواردة في العقد، وهذا لا يناقض أن العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني؛ لأن المقصود بها هو أن الذي يعتد به المقاصد والمعاني التي تستخلص من العبارات والصيغ المستعملة ومن العلامات المادية، ولأن الأصل بالكلام الحقيقة ولا عبرة للدلالة في مقابل التصريح، ويحكم بالظاهر فيما يتعذر الاطلاع عليه (م12و13و68) من المجلة.

وفي السياق ذاته، أكدت محكمة النقض الفلسطينية في قرارها رقم 773/2022، الصادر بتاريخ 22/04/2024، الاتجاه ذاته فيما يتعلق بتفسير إرادة العامل الحقيقية عند تقديم الاستقالة. فقد تناولت المحكمة مسألة مدى صحة الاستقالة، وما إذا كانت تعكس إرادة العامل الحقيقية أم أنها مجرد إجراء شكلي لتحقيق غايات أخرى، مثل الحصول على حقوقه العمالية. وأشارت المحكمة إلى أن تنظيم مخالصة بين العامل وصاحب العمل قد يكون وسيلة لإنهاء العلاقة العمالية، إلا أن العامل قد يسعى لاحقاً إلى إثبات أن هذه المخالصة وُقعت أثناء استمراره في العمل، ما يمنحه الحق في الطعن فيها. وفي هذا الصدد، أكدت المحكمة أن عبء إثبات شكلية الاستقالة يقع على عاتق العامل، فيجب عليه تقديم بينة قانونية تثبت أن استقالته لم تكن تعبيراً صادقاً عن إرادته بإنهاء العلاقة العمالية. وفي حال عجزه عن تقديم هذه البينة، فإن الاستقالة تعدّ صحيحة ومنتهجة لأثارها القانونية، ولا يحق له الطعن في المخالصة بدعوى عدم صحتها.

3.2 المطلب الثاني: عدم صحة الاستقالة بسبب عيب الإكراه

إن الواقع العملي يكشف عن حالات يكون فيها تقديم الاستقالة ليس ناتجاً عن إرادة حرة كاملة للعامل، بل نتيجة لممارسات ضاغطة أو تعسفية من جانب صاحب العمل. فقد يلجأ صاحب العمل إلى أفعال أو تصرفات تهدف إلى دفع العامل لتقديم استقالته، ما يجعل الاستقالة في الواقع نتيجة للضغوط غير القانونية.

وفي حال كانت استقالة العامل نتيجة لضغوط أو إكراه، مثل تهديدات أو مضايقات من صاحب العمل، فإن هذه الاستقالة لا تعدّ تعبيراً حرّاً عن إرادته، وبالتالي يُعدّ إنهاء العمل في هذه الظروف غير مشروع، ما يمنح العامل الحق في المطالبة بتعويض عن الأضرار الناتجة عن الفصل التعسفي. (كبره، 1983، ص779)

تنص المادة ٩٤٨ على أن " الإكْرَاهُ هُوَ إِجْبَارٌ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا بِغَيْرِ حَقٍّ مِنْ دُونِ رِضَاةٍ بِالإِخَافَةِ وَيُقَالُ لَهُ الْمُكْرَهُ " ويذهب بعض شراح المجلة إلى أنه يقصد بالعمل الوارد في النص السابق التصرف اللفظي سواء العقد أو الإرادة المنفردة، كالإقرار أو العمل المادي كإتلاف مال الغير. وتتوقف كل تصرفاته على إجازة المكروه بعد زوال الإكراه؛ لأن كل تصرفات المكروه القولية سواء أكان كرها ملجئاً أم غير ملجئ، تتعقد فاسدة، وحينئذ فالخيار للمكروه إن شاء أمضى العقد وإن شاء فسخ (باز، 1986، ص 559-560). ولكن القضاء الفلسطيني والمقارن لم يقرر فسخ الاستقالة المبنيّة على الإكراه، ولكنه رأى أن الاستقالة التي انتزعت من العامل تحت ضغط الإكراه هي عبارة عن فصل تعسفي للعامل.

ومع ذلك تذهب محكمة استئناف عمان في قرارها رقم 2560 لسنة 2021 صادر بتاريخ 2021/05/24 إلى أنه يتعين على العامل الذي تعرض لفصل تعسفي نتيجة الإكراه على تقديم الاستقالة ألا يقتصر في لائحة الدعوى على الادعاء بالفصل التعسفي فحسب، بل يجب عليه أن يُدرج بشكل صريح ادعاءه بتعرضه للإكراه على الاستقالة بوصفه سبباً رئيسياً أدى إلى هذا الفصل. " وحيث نجد أن الثابت فعلاً من خلال بيئة المستأنفة الخطية وتحديد الاستقالة الخطية أن المستأنف ضدها، قامت بتقديم استقالتها من العمل وقد تم قبول المستأنفة تلك الاستقالة، وعليه فإن قيام المستأنف ضدها بتقديم تلك الاستقالة وقبول المستأنف ضدها لها، فيعدّ من قبيل الإقالة لعقد العمل باتفاق الطرفين ولا يشكل فصلاً للمستأنف ضدها من عملها الأمر الذي يجعل من ادعائها بالفصل مخالفاً للحقيقة والواقع والقانون، أما بخصوص أنها قد تقدمت بتلك الاستقالة نتيجة الإكراه، فإننا نجد أنها لم تدع بلائحة دعواها بأنها قد تقدمت باستقالتها من العمل تحت الإكراه وإنما ادعت بفصلها من العمل وعليه فإنه لا يقبل منها الادعاء بذلك "

ولا نتفق مع ما ذهب إليه المحكمة، فقد أشار العامل في لائحة دعواه إلى فصله التعسفي، وإن لم يذكر السبب الذي أدى إلى فصله بطريقة غير مشروعة. وبما أن رب العمل أثبت أن العامل قد قدم استقالته، فإنه يحق للعامل أن يثبت أنه أكره على تقديمها. وتعدّ الاستقالة بالإكراه فصلاً تعسفياً للعامل، وهو ما لا يخرج عن نطاق لائحة الدعوى.

وترى محاكم الموضوع (انظر حكم محكمة بداية جرش الاستئنافية رقم 775 لسنة 2022 صادر بتاريخ 2023/10/22) أن توقيع الاستقالة عند إبرام عقد العمل مع براءة الذمة هي استقالة تحت ضغط الإكراه لأنها وقعت أثناء العمل، كما رأت أن توقيع الاستقالة في الشهر السادس من الحمل هو مخالف لأحكام المادة 27 من قانون العمل الأردني، وبالمقارنة مع قانون العمل الفلسطيني، فلا نجد أحكام قانونية متعلقة بإنهاء عقد العمل أثناء فترة الحمل. ولكن ما هو مفهوم الإكراه وفقاً للاجتهاد القضائي؟

لقد أخذت محكمة التمييز الأردنية (قرار محكمة التمييز الأردنية 4546 لسنة 2010 صادر بتاريخ 2011/05/30) بالمفهوم العام للإكراه الوارد النص عليه في القانون المدني الأردني " في ذلك نجد أن المميز يدعي أن المخالصة والاستقالة التي تحمل توقيع المميز المؤرخة في 2008/3/12 قد أخذت بالإكراه والتغريب وحيث أن الإكراه الذي يعيب الرضا وبعدمه هو إجبار الشخص بغير حق على أن يعمل عملاً دون رضاه عملاً بالمادة (135) من القانون المدني وأنه وفقاً للمادة (136) من القانون ذاته يكون الإكراه ملجئاً إذا كان تهديداً بخطر جسيم محقق يلحق بالجسم أو المال ويكون غير ملجئ إذا كان تهديداً بما دون ذلك.

وأن العبارات التي أوردها المدعي بلانحة الدعوى والتي يستند فيها إلى أن المخالصة والاستقالة أخذت تحت تأثير الإكراه " اللي بعصلج معي بعصلج معه واللي بوقع على الاستقالة إلو مكافأة مجزية وإذا ما بتوقع على الاستقالة بنزل كادر عمال وبطلعكم عن العمل ". فإن مثل هذه العبارات لا تتضمن أي تهديد أو إجبار للتوقيع على الاستقالة ولم ينبثق منها أي خطر قد يلحق بالمدعي في حال عدم تقديم الاستقالة".

وفي الاتجاه نفسه تذهب محكمة النقض الفلسطينية (الحكم رقم 1158 لسنة 2017 صادر بتاريخ 2021/03/10) التي تشترط أن تتوافر في عيب الإكراه الشروط التي تم النص عليها، مجلة الأحكام العدلية نصت على أنه " جاء في أقوالها إنها تعرضت لمضايقات وسحب لصلاحياتها وعدم أخذ رأيها بالعمل وفق أقوال الشاهد محمد أمين سليمان، فإن هذه الأقوال لا تشكل أية مخالفة لأحكام المادة 42 بجميع فقراتها، كما أن هذه الظروف لا يمكن لها أن تعدم الرضا والاختيار لديها لعدم اضطرارها لتقديم الاستقالة، كما لا تنفي إرادتها وقصدها بتمام الاستقالة، طالما لم يبدر عن صاحب العمل أو موظفيه؛ أي تصرف من شأنه أن يكون دافعاً للاستقالة، فلم تبين في أقوالها طبيعة هذه المضايقات، وأن عدم الأخذ برأيها في أمور العمل، ليس من شأنه أن يدفعها للاستقالة وكذلك سحب الصلاحيات، وأن تهديدها بالنقل لم يتم ولم يرد على لسان الشهود ذلك.

وعليه، وقد ثبت من خلال أوراق الدعوى أنها استقالت بإرادة حرة وواعية غير فاقدة للاختيار، فإن ما ذهبت إليه محكمة الاستئناف وركونها على ظاهر ما، ورد في قرار محكمة النقض ليس في محله؛ لأن محكمة النقض أشارت إلى احتمالية أن تكون مكرهه، فتكون جانباً الصواب في فهمها لحكم محكمة النقض ولم يكن استخلاصها لتلك الواقعة سائغاً ومقبولاً يتفق مع ما قدم من بيانات، الأمر الذي يغدو هذا النعي وارد أعلى الحكم الطعين وينال منه.

تشدد المحكمة على شروط الإكراه، فلا تعترف إلا بالإكراه الملجئ الذي ينفي رضا الفرد، واختياره، ما يجعله الأساس المعتمد لإثبات أن الاستقالة مشوبة بعيب الإكراه، ولا يتفق الباحث مع الاتجاه القضائي السائد؛ حيث يرى الفقه (السنهوري، عبد الرزاق، 1997، ص. 132) أن الفرق بين الإكراه الملجئ وغير الملجئ يكمن في جسامته الإكراه، فالإكراه الملجئ يتميز بتأثيره الشامل في التصرفات كافة، سواء أكانت قولية أم فعلية، ما يؤدي إلى إفسادها قانونياً، ويشكل عذراً للإعفاء من المسؤولية في الوقائع المادية، وبالمقابل يقتصر تأثير الإكراه غير الملجئ على التصرفات اللفظية فقط، ولا يُعد عذراً للإعفاء من المسؤولية.

ولكي يُحدث الإكراه أثراً قانونياً حتى لو كان غير ملجئ، فينبغي أن يكون جسيماً، وتُعد جسامته الإكراه مسألة نسبية تعتمد على حالة الشخص المُكره، فالشخص الضعيف لا يتحمل ما يمكن للشخص القوي تحمله، علاوة على ذلك فإن العلاقة بين الوسيلة المستخدمة للإكراه والعمل المُراد فرضه تتطلب تناسباً دقيقاً، ولا يتحقق الإكراه إلا إذا كان الشخص يسعى لتجنب ضرر أكبر من الفعل الذي يُجبر على تنفيذه، وفي سياق استقالة العامل يجوز عذراً الإكراه غير الملجئ سبباً في بطلان الاستقالة إذا تبين أن العامل تعرض لضغوط جسيمة أثرت في إرادته، لتكون هذه الضغوط من طبيعة تؤثر فعلياً في قراره وتُدفعه للاستقالة تقديراً لضرر أكبر. (القرقوري، 2022، ص 78-87)

ويجب على العامل إثبات تأثير واقعة الإكراه في الاستقالة، وتعتمد المحاكم على العبارات الواردة في كتاب الاستقالة للقول بوجود إكراه من عدمه، وفي هذا الإطار ما ذهبت إليه محكمة النقض الفلسطينية بالحكم رقم 597 لسنة 2018 صادر بتاريخ 2021/06/23 " فيما يتعلق بعيب الحكم بعدم الحكم للطاعن ببدل الفصل التعسفي، استناداً إلى أن الطاعن أُجبر على الاستقالة نتيجة عدم دفع بدل المواصلات والعلاوات السنوية رغم المطالبات المتكررة، نجد أن محكمة الاستئناف رفضت هذه المطالبة، المحكمة رأت أن إنهاء العمل لم يكن نتيجة فصل تعسفي، فالمدعي ادعى أنه قدم استقالته مكرهاً، وهو قول دون بيئة وغير صحيح. بعد مراجعة استقالة الطاعن المقدمة للمطعون عليها، نجد أن الأسباب المذكورة في الاستقالة - من الأول إلى الخامس - تتعلق بانتقاداته وملاحظاته على أسلوب العمل. البند السادس يشرح المصارييف التي تكبدها بسبب تنقلاته، والبند السابع يتناول واجبات مدير المبيعات. وفي البند الأخير، يلخص الطاعن ملاحظاته حول سير العمل ويطلب قبول استقالته اعتباراً من 2013/08/21.

هذا يدل على أن الاستقالة كانت بسبب عدم رضاه عن الجانب الإداري للعمل، وليست نتيجة ضغوط رب العمل أو ممارساته التعسفية لإجباره على الاستقالة. فالفصل التعسفي يتطلب أن يكون ترك العمل ناتجاً عن أعمال تعسفية من صاحب العمل، وهو ما لم يتضمنه نص الاستقالة وأسبابها. بناءً على ذلك، ما توصلت إليه المحكمة كان في محله". في السياق نفسه تذهب محكمة التمييز الأردنية بالحكم رقم 8437 لسنة 2023 الصادر بتاريخ 10 مارس 2024 إلى أنه "... ورد في كتاب الاستقالة أنه قدمها لأسباب خاصة ولم يذكر أي سبب آخر أو يحتفظ عليها وحسب الأرقام الواردة فيها ولم يشير فيها إلى أي إكراه أو إجبار أو ضغط مفرس ضده لإجباره على تقديمها، وحيث إن ما ساقه من إكراه أو ضغط نفسي أو تهديد بإقامه دعوى ضده لتقصيره في عمله كمبرر لسماع البيئة الشخصية لا يرقى إلى درجة الإكراه الملجئ الذي يبطل هذه الاستقالة

فيكون سماع البيئة غير منتج حول الظروف والأسباب المحيطة بتقديم الاستقالة مما يجعل مطالبة بالفصل التعسفي لا تستند إلى أساس...

وهنا يدرج الباحث ملاحظتين على هذا القرار:

الملاحظة الأولى: اعتمد القرار على الإرادة الظاهرة للعامل كما وردت في كتاب الاستقالة، ورفض قبول البيئة الشفوية، وهذا يتعارض مع أحكام الفقرة 4 من المادة 29 من قانون البيئات الأردني رقم 30 لسنة 1952، التي تنص على جواز قبول البيئة الشفوية ضد السند في حالة الادعاء بأن السند أخذ عن طريق الغش أو الاحتيال أو الإكراه.

الملاحظة الثانية: اعتمد القرار على مفهوم الإكراه الملجئ شرطاً لعدم صحة الاستقالة، ويرى الباحث أنه كان على المحكمة اعتماد مفهوم الإكراه غير الملجئ، الذي يعيب التصرفات القانونية أيضاً، وفحص مدى تأثير إرادة العامل بهذا الإكراه، نظراً لكونه الطرف الأضعف في العلاقة.

وبينما توسع محاكم الموضوع (محكمة بداية عمان بصفتها الاستئنافية قرار رقم 2075 لسنة 2022 صادر بتاريخ 2022-03-28) من مفهوم الإكراه ولا تشترط فيه أن يكون ملجئاً لا اعتداده معيياً لإرادة العامل المستقيل إلى أن "المستأنف ضدها مارست شتى الوسائل الممكنة لديها لإجبار المدعي/المستأنف على الموافقة على تقديم الاستقالة التي عرضتها المدعي ضدها، وأن قيام المدعي عليها/المستأنف ضدها بتعرض المدعي/المستأنف للضغوط النفسية والعصبية بأن قامت بتغيير المسمى الوظيفي وتغيير المهام الوظيفية ... واستغلت واقعة استعارة الماتور للضغط عليه لتقديم الاستقالة دون أن تنظم محضر تحقيق أو توجيه أي عقوبة حيال ذلك أو حتى تحريك دعوى قضائية ضده، وكل ذلك فيه مخالفة صريحة وواضحة لقانون العمل التي تقضي بأن قيام رب العمل بالضغط على العامل لإجباره على تقديم استقالته أو حثه لترك العمل، هو من قبيل الفصل التعسفي، الذي يتحمل بموجبه رب العمل المسؤولية عن ذلك"

وأكدت محكمة استئناف عمان موقفها في حكمها رقم 1138 لسنة 2019 الصادر بتاريخ 2019/2/4. على أن قيام صاحب العمل بتهديد العامل بتخفيض أجره لإجباره على تقديم استقالته يُعد ضغطاً غير مشروع، يعيب الإرادة الحرة للعامل، ما يجعل الاستقالة غير صحيحة قانوناً. واستناداً إلى المادة (29) من قانون العمل الأردني، التي تضمن للعامل الحق في ترك العمل مع الحفاظ على حقوقه كاملة إذا تعرض لتصرفات غير مشروعة كتخفيض الأجر دون مسوغ، عدت المحكمة أن تقديم الاستقالة تحت هذه الظروف يُعادل الفصل التعسفي، ويترتب عليه إلزام صاحب العمل بتعويض العامل عن الأضرار الناجمة. كما ألزمت المحكمة صاحب العمل ببذل الإشعار، بالرغم من طلب العامل الإغفاء منه، على أساس أن إنهاء العلاقة العمالية كان نتيجة تصرف صاحب العمل تصرفاً غير قانوني.

بعض الشركات تمارس ضغوطاً على موظفيها لإجبارهم على تقديم استقالاتهم، ثم تعيد تعيينهم بعد فترة انقطاع، والهدف من هذا الإجراء هو حساب مكافأة نهاية الخدمة على أساس الراتب عند الانقطاع، ومن ثم حساب مكافأة الخدمة للفترة التالية على أساس الراتب النهائي عند انتهاء العمل، عند نهاية خدمة العامل لأية سبب يطعن بصحة الاستقالة وبطلانها لأنها تمت تحت ضغوط نفسية ووظيفية، وأن البنك استغل هذه الضغوط لإجبار الموظفين على الاستقالة، ويدعي أن عمله مستمر من يوم توقيع العقد الأساسي إلى نهاية مدة العقد، ويدعي العامل أن طلب الاستقالة كان مخالفاً للمادة 4 من قانون العمل. فالعامل يستند إلى قرارات محكمة التمييز التي ترى الفواصل القصيرة في العمل لا تؤثر في استمرارية الخدمة. والمحكمة رأت أن الاستقالة والمخالصة صحيحتان؛ لأنهما وقعتا بعد انتهاء العمل وقبل توقيع عقد العمل الجديد، وبالتالي لا يوجد دليل على الإكراه أو التغيرير.

ويذهب بعض الفقه إلى أن استخدام المتعاقد وسائل مشروعة من أجل الوصول إلى هدف غير مشروع، يشكل فعل إكراه على أن يثبت العامل ذلك (السعودي، 2024، ص 313-339)، ولذلك رفضت محكمة النقض الفلسطينية الحكم رقم 683 لسنة 2023 محكمة النقض تاريخ الفصل: 2024-09-26 اتهام العامل بالسرقة وتهديده باللجوء للدعوى الجزائية فعل إكراه؛ لأن العامل لم يستطع أن يثبت أن استخدام رب العمل لهذه الوسيلة من أجل دفعه للاستقالة. "ولما كانت محكمة الاستئناف قد استندت في قرارها إلى أقوال الشهود التي أوردتها في مدونات حكمها، وأثبتت أن المستأنف قد ترك العمل بإرادته الحرة، وأن اتهامه بسرقة بعض ممتلكات الجهة المستأنف ضدها لم يكن بقصد إجباره على ترك العمل حتى يُعد ذلك فصلاً تعسفياً، بل إن تقديمه للاستقالة جاء بالاتفاق وبمحض إرادته، دون أية ضغوط، وفق شهادة أشرف سلام.

ولما كان مجرد اتهام المطعون ضدها للطاعن بالسرقة، ورغبته في تقديم دعوى جزائية ضده، لا يشكل إكراهاً أو ضغطاً يجرده من إرادته عند تقديم الاستقالة، ولا يمكن تفسيره في إطار الإكراه الذي يفقده حرية الاختيار، فإن محكمة الاستئناف، وقد استندت في حكمها إلى البيئة المقدمة لتعزيز قناعتها بأن استقالة الطاعن كانت طوعية ودون ضغط، تكون قد أسست قرارها على وقائع ثابتة في الأوراق، واستخلصت ذلك استخلاصاً سائغاً من البيئات والوقائع المقدمة في الدعوى. وعليه، فإن ما يدعيه الطاعن في هذا السبب يكون غير قائم على أساس سليم، ما يقتضي رده."

ويرى الباحث أن إثبات ارتكاب العامل لفعل السرقة بدلائل قوية ولملوسة يُحوّل جهة العمل ممارسة حقها القانوني المشروع في إبلاغ العامل بنيتها تقديم شكوى جزائية، دون أن يُعد ذلك إكراهاً، إذ يُعد اللجوء إلى القضاء حقاً مكفولاً لكل متضرر وفقاً للأصول القانونية. ومع ذلك إذا استُخدم هذا الاتهام أداة للضغط أو التهديد غير المسوّغ بهدف إجبار العامل على تقديم استقالته، فقد يُشكل ذلك إكراهاً غير مشروع، فيجد العامل نفسه مضطراً للاستقالة لتفادي المساءلة الجنائية، ما يُفقده حرية الإرادة، ويجعل الاستقالة في جوهرها أقرب إلى الفصل التعسفي المقنع. وفي هذا السياق، يُشار إلى أن مدة تقادم الملاحقة الجزائية في قضايا السرقة تبلغ ثلاث سنوات وفقاً للمادة 12 من قانون الإجراءات الجزائية 3 لسنة 2001 النافذ في

فلسطين، بينما تمتد مدة تقادم المطالبات العمالية، لاسيما المتعلقة بالادعاء بالإكراه على الاستقالة بوصفه حقاً من الحقوق العمالية، إلى خمس عشرة سنة، ما يبرز تفاوتاً زمنياً في حماية الحقوق بين الإطارين: الجزائي والعمالي قد يستخدمه العامل للطعن في صحة الاستقالة.

4. الخاتمة

توصلت الدراسة إلى عديد من النتائج، من أبرزها:

- 1- تركّز المادتان 35 و46 من قانون العمل الفلسطيني على الإجراءات الشكلية، مثل الإشعار الكتابي، دون أن تتضمن ضمانات كافية لحماية الإرادة الحقيقية للعامل. على سبيل المثال، يلاحظ غياب نصوص تُجرّم ممارسة الضغوط النفسية أو التلاعب بالظروف المادية – مثل تهديد العامل بقطع البدلات – ما يُسهم في إجباره على الاستقالة.
- 2- يتبين أن المادتين 35 و46 من قانون العمل الفلسطيني تقتصران على شرط الإشعار بوصفه آلية لإنهاء العقد، دون التفصيل في الإجراءات الإجرائية الأخرى، ما يترك مجالاً للتأويل ويعيق حماية الإرادة الحرة للعامل.
- 3- يُلاحظ أن قانون العمل الفلسطيني لا يتضمن أية مقتضيات صريحة تُنظم عيوب الإرادة في سياق علاقات العمل، ما يستدعي الاعتماد على القانون المدني لتفسير هذه العيوب. غير أن هذا النهج يثير إشكالية جوهرية، فيُعتمد على قواعد عامة غير متخصصة في عقود العمل، ما يُضعف خصوصية التنظيم العمالي.
- 4- تُوفر المادة 23 من قانون العمل الأردني إطاراً تشريعياً أكثر تفصيلاً، يُحدد الإجراءات والشروط الواجب توافرها لإنهاء العقد بالإرادة المنفردة للعامل. ومن أبرز المميزات التي جاءت بها أنها تشترط عدم جواز سحب الإشعار الموجه لإنهاء العقد إلا بموافقة الطرفين، ما يُسهم في ضبط إرادة العامل ويمنع التراجع المفاجئ عن قرار الاستقالة، الأمر الذي يعزز استقرار العلاقة العمالية ويحفظ حقوق الطرفين.
- 5- القصور في المادة 23 من قانون العمل الأردني والمواد 35 و46 من قانون العمل الفلسطيني. اشترطت الكتابة ومهلة الإشعار بوصفها شروطاً لصحة الاستقالة، لكنها تجاهلت:

- حالات الاستقالة الضمنية (كترك العمل دون إشعار بسبب ظروف طارئة).
- حماية العامل من الشروط التعسفية في العقود (كالشرط الجزائي المرتفع عند الاستقالة).
- عدم وجود آلية لمراجعة "الاستقالات المشروطة" كآلية تُقدّم مقابل وعود كاذبة من صاحب العمل.

5. التوصيات

وبناءً على ما تم التوصل إليه من نتائج، يوصي الباحث بما يلي:

- 1- تعديل المادتين 35 و46 من قانون العمل الفلسطيني:

 - إضافة فقرة تُلزم صاحب العمل بإثبات سلامة إجراءات الاستقالة في حال طعن العامل فيها، وذلك لضمان حماية إرادة العامل والتأكد من عدم وقوعه تحت أية ضغوط غير مشروعة.
 - النص صراحةً على أن الاستقالة المقدمة تحت تأثير الضغط المادي أو المعنوي تُعد باطلة، مع فرض غرامات قانونية على صاحب العمل في حال ثبوت انتهاكه لهذه القاعدة.

- 2- إضافة فقرة جديدة لأحكام المادة 46 من قانون العمل الفلسطيني:

 - تنظيم أحكام الاستقالة المشروطة، ليتم النص على أن أية استقالة تُقدّم بناءً على وعود بتحسين ظروف العمل أو مزايا إضافية، تُعدّ لاغية تلقائياً إذا لم تُنفذ تلك الوعود خلال مدة محددة، ما يضمن عدم استغلال صاحب العمل للعامل.

- 3- تعديل شروط سحب الاستقالة حسب المادة 23 من قانون العمل الأردني:

 - السماح للعامل بسحب استقالته خلال أسبوعين من تقديمها دون موافقة صاحب العمل، إذا أثبت وجود ضغوط.

- 4- إعادة تعريف الإكراه في قانون العمل ليشمل الضغوط غير المباشرة كالتهميش الوظيفي أو تخفيض المهام لإجبار العامل على المغادرة.

6. المصادر والمراجع

6.1 المراجع العربية

أبو العون، أنس والشيخ، ثائر، (2021)، الحماية القانونية للعامل في حالات الفصل التعسفي، دار النهضة العربية. الأديكيدك، حازم (2024)، الإنهاء غير المشروع لعقد العمل الفردي في التشريع الفلسطيني: دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، الجامعة العربية الأمريكية. الباز، رستم، (1986). شرح المجلة (الطبعة الثالثة)، دار إحياء التراث العربي.

- الحبسي، خالد، (2019)، قاعدة (الأمر بمقاصدها) وأثرها في تقنين العقود في قانون المعاملات المدني العماني، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية، 28(3)، 375-400.
- الداودي، غالب، (2004)، شرح قانون العمل وتعديلاته (الطبعة الثالثة)، دار وائل.
- الدريبي، فتحي، (1988)، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي (الطبعة الرابعة)، مؤسسة الرسالة.
- السعودي، سليمان، (2024)، الأثر النظامي لغياب الإكراه في العقود وفقاً لنظام المعاملات المدنية السعودي: دراسة تحليلية مقارنة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، 32(2)، 313-339.
- السرحدان، عدنان، خاطر، نوري، (2012)، شرح القانون المدني: مصادر الحقوق الشخصية الالتزامات (الطبعة الخامسة)، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- السنهوري، عبد الرزاق (1997)، مصادر الحق في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة بالفقه الغربي (الجزء السادس)، دار إحياء التراث العربي.
- السلطان، أنور، (2000)، مصادر الالتزام في القانون المدني: دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي (الطبعة الثالثة)، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- الشنوب، محمد، (2010)، شرح أحكام قانون العمل (الطبعة الأولى)، مكتبة الوفاء القانونية.
- الغنطاسة، جعفر (2005)، حالات وقف عقد العمل الواردة في قانون العمل الأردني، مؤنة للبحوث والدراسات - سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، 20(4)، 281-317.
- القره داغي، علي، (2008)، الإجارة على منافع الأشخاص: دراسة فقهية مقارنة في الفقه الإسلامي وقانون العمل [بحث مقدم للدورة الثامنة عشرة للمجلس - باريس].
- القرقوري، منى، (2022)، أركان الإكراه كعيب للرضاء في القانون التونسي. مجلة الفقه والقانون، 118، 78-87.
- الكبره، حسن، (1983)، حقوق العمال في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي.
- المرباط، المهدي، (2016)، استقالة الأجير بين الإكراه على تقديمها وعدم التعسف في استعمالها، مجلة القضاء المدني - سلسلة دراسات وأبحاث، 11، 105-112.
- النصرة، أحمد (2017)، قانون العمل الفلسطيني. د.ن.
- بوزهير، دنيا، (2022)، الاستقالة الاضطرارية ودور القضاء في إثباتها، مجلة القانون المغربي، 49، 175-180.
- جعوب، عمار، (2022)، دور النظام العام الاجتماعي في حماية الطرف الضعيف - العامل - في عقد العمل. مجلة البحوث في العقود وقانون الأعمال، 7(4)، 298-310.
- حيدر، علي، (1991)، شرح مجلة الأحكام العدلية (المجلد الأول)، دار الكتب العلمية.
- عرفات، حسام، (2017)، شرح قانون العمل الفلسطيني: دراسة مقارنة، الكلية العصرية الجامعية.
- نمر، توفيق، (2017)، سلطة القاضي في تفسير العقد، مجلة جامعة البحر الأحمر للعلوم الإنسانية، 4، 31-56.
- الزحيلي، محمد، (2006)، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة (الطبعة الأولى)، دار الفكر.

6.2 رومنة المراجع العربية

- Abu Al-Aoun, Anas, and Al-Sheikh, Thaer, (2021), Legal Protection for Workers in Cases of Arbitrary Dismissal (In Arabic), Dar Al-Nahda Al-Arabiya.
- Al-Adkidak, Hazem (2024), Unlawful Termination of Individual Employment Contracts in Palestinian Legislation: A Comparative Study, Master's Thesis, (In Arabic) Arab American University.
- Al-Baz, Rustum, (1986). Explanation of the Journal (Third Edition), (In Arabic), Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi.
- Al-Habsi, Khalid, (2019), The Principle of "Actions by Objectives" and Its Impact on the Codification of Contracts in Omani Civil Transactions Law, (In Arabic), Journal of the Islamic University for Sharia and Legal Studies, 28(3), 375-400.
- Al-Dawudi, Ghaleb. (2004), Explanation of the Labor Law and its Amendments (Third Edition), (In Arabic), Dar Wael.
- Al-Darini, Fathi (1988), The Theory of Abuse of Rights in Islamic Jurisprudence (In Arabic), (4th ed.). Al-Resalah Foundation.
- Al-Saudi, Suleiman (2024), The Systematic Effect of the Defect of Coercion in Contracts According to the Saudi Civil Transactions Law: A Comparative Analytical Study. (In Arabic), King Abdulaziz University Journal: Arts and Humanities, 32(2), 313-339.
- Al-Sarhan, Adnan, Khater, and Nouri (2012), Explanation of Civil Law: Sources of Personal Rights and Obligations (5th ed.), (In Arabic), Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution.
- Al-Sanhouri, Abdul-Razzaq (1997), Sources of Rights in Islamic Jurisprudence: A Comparative Study with Western Jurisprudence (Part Six), (In Arabic), Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi.
- Al-Sultan, Anwar (2000), Sources of Obligation in Civil Law: A Comparative Study with Islamic Jurisprudence (3rd ed.), (In Arabic), Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution.
- Al-Shanab, Muhammad (2010), Explanation of the Provisions of the Labor Law (first edition), (In Arabic), Al-Wafa Legal Library.

- Al-Fanatseh, Ja'far (2005), Cases of Termination of Employment Contracts Under the Jordanian Labor Law, (In Arabic), Mu'tah Research and Studies - Humanities and Social Sciences Series, 20(4), 281–317.
- Al-Qaradaghi, Ali (2008), Leasehold for the Benefit of Individuals: A Comparative Jurisprudential Study in Islamic Jurisprudence and Labor Law (In Arabic), [Research Submitted to the Eighteenth Session of the Council - Paris].
- Al-Qarqouri, Mona (2022). The Elements of Coercion as a Defect of Consent in Tunisian Law. (In Arabic), Journal of Jurisprudence and Law, 118, 78–87.
- Al-Kira, Hassan (1983). Workers' Rights in Islamic Jurisprudence, (In Arabic), Dar Al-Fikr Al-Arabi.
- Al-Murabit, Al-Mahdi, (2016), Employee Resignation: Between Coercion to Submit It and Non-Arbitrariness in Its Use, (in Arabic), Civil Judiciary Journal - Studies and Research Series, 11, 105–112.
- Al-Nasra, Ahmed (2017), Palestinian Labor Law. d.n.
- Bouzhair, Dunya, (2022), Forced Resignation and the Role of the Judiciary in Proving It, (in Arabic), Moroccan Law Journal, 49, 175–180 .
- Jaaboub, Ammar, (2022), The Role of the Social Public Order in Protecting the Weak Party - the Worker -(In Arabic) in Employment Contracts. Journal of Contract Research and Business Law, 7(4), 298–310.
- Haidar, Ali, (1991), Explanation of the Journal of Judicial Rulings (Volume One), (In Arabic), Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.
- Arafat, Hussam, (2017), Explanation of the Palestinian Labor Law: A Comparative Study, (In Arabic), Modern University College.
- Nimr, Tawfiq, (2017). The Judge's Authority in Interpreting Contracts, (In Arabic), Red Sea University Journal of Humanities, 4, 31–56.
- Al-Zuhayli, Muhammad, (2006), Jurisprudential Rules and Their Applications in the Four Schools of Thought (first edition), (In Arabic), Dar Al-Fikr.

6.3 المراجع الأجنبية

- François, C. (2019). Présentation des articles 1130 à 1144 du nouveau paragraphe 2 "Les vices du consentement". La réforme du droit des contrats. <https://iej.univ-paris1.fr>
- Miné, M., & Lachaux, B. (2018). Droit du travail: Contrat, organisation et droit collectif. Dalloz.
- Mouly, J. (2000). Note sous Cass. soc. 30 mai 2000. Dalloz, 805.
- Pousson, A. (2018). La volonté du salarié de rompre le contrat de travail. In De la volonté individuelle (pp. 285–303). Presses de l'Université Toulouse.

The Role of the Employees' free will in terminating the employment contract through resignation According to the Palestinian Law

Anas Abu Aloun

Faculty of Law, Arab American University, Palestine

Corresponding Author: anas.abualoun@aaup.edu

Received: 20/3/2025. Revised: 15/4/2025. Accepted: 22/9/2025. DIO:

Abstract

The study aimed to analyze the legal framework governing employee resignation under the Palestinian and Jordanian laws, comparing legal texts and judicial rulings to identify the gaps and discrepancies in protecting the employees' rights. The research employed the descriptive, analytical, and comparative methodology, involving the examination and analysis of the relevant legislative texts and judicial decisions in addition to studying the employment contracts related to labor relations. The findings revealed that the existing legal provisions do not always guarantee the genuine free will of the employee as legal loopholes are sometimes exploited to transform resignation into a formal procedure influenced by pressure or coercion. Moreover, the employer's acceptance of a resignation does not necessarily reflect the employee's true intent highlighting the need to revise legislative mechanisms to better safeguard the rights of both parties. The study concluded that it is necessary to adopt legislative reforms that enhance transparency and fairness in the resignation procedures, establishing clear criteria to differentiate voluntary resignation from coerced resignation. This perspective contributes to balancing the employees' rights protection with workplace stability, offering a valuable addition to the labor law and employment relations management.

Keywords: resignation, coercion, unfair dismissal, conditional resignation, dismissal.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

قراءات جديدة في عصري التمدن: الأول والثاني من تاريخ فلسطين القديم؛ من بناء المدن إلى قيام إمبراطورية الهكسوس الكنعانية

فصل زكارة

باحث مستقل، علوم وآثار

الباحث المراسل: faisalz2012@yahoo.com

Received: 14/5/2025. Revised: 22/5/2025. Accepted: 22/9/2025. Published: 30/06/2026
DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.8

الملخص

يتناول البحث مرحلتين زمنييتين أساسيتين من تاريخ فلسطين القديم وعموم كنعان واللتين اصطلح على تسميتهما بعصري التمدن: الأول والثاني، وهما العصر البرونزي المبكر والبرونزي المتوسط. فقد شهد هذان العصران نقلة نوعية حضارية، أطلقها الكنعانيون مع بداية العصر البرونزي المبكر، شملت مختلف الميادين، وأبرزها بناء المدن المحصنة وتطور الزراعة وظهور الملاح الأولى للأبجدية الكنعانية وغيرها، وانتهت مع نهاية حكم الهكسوس الكنعانيين في كل من مصر وكنعان. الأهداف: يقدم البحث قراءة جديدة، تطرح تعريفاً حاسماً للكنعانيين استناداً إلى علم الجينات والهندسة الوراثية، ويتناول أبرز معالم حضارتهم المادية وغير المادية، التي شكلت أساساً لعصري التمدن: الأول والثاني في فلسطين. ويفند البحث الادعاءات التوراتية المزعومة حول بعض الأحداث التاريخية التي شوهدت تاريخ تلك الفترة الزمنية، وأهمها الغزو أو الهجرة الأمورية لفلسطين وعموم كنعان، وما رافقها من هجرة مزعومة للنبي إبراهيم وعائلته والتي تعدّ بداية التاريخ التوراتي. كما يركز البحث على تطور البني السياسية الكنعانية ونسوجها، والتي تمخض عنها قيام إمبراطورية كنعانية مثلت أول دولة مركزية للكنعانيين في المنطقة، وهي دولة الهكسوس، وهذا ما يدحض آراء كثير من الباحثين حول عدم تمكن الكنعانيين من إقامة دولة مركزية لهم، وانحسار تجربتهم السياسية في نظام دولة المدينة.

المنهجية: يعتمد البحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي، وذلك بالاستناد إلى تحليل الروايات التاريخية والنقد العلمي للكشف عن التحريفات. إلى جانب منهجية جديدة بالاستناد إلى نتائج الدراسات الجينية وعلوم البيئة والمناخ، وتقديم قراءات حديثة ومحادية. النتائج: يسهم البحث في تقديم رؤية متكاملة جديدة حول الكنعانيين ومعالم دورهم البارز في تلك الفترة، تستند إلى الأدلة العلمية الناتجة عن التنقيبات الأثرية الحديثة، والبيانات التاريخية المحادية، إلى جانب نتائج الدراسات الجينية وعلوم البيئة والمناخ. إن كل تلك القراءات الجديدة تقدم مشهداً واقعياً شاملاً لعصري التمدن: الأول والثاني، بوصفهما يشكلان علامة بارزة في تاريخ فلسطين القديم.

الكلمات المفتاحية: الكنعانيون، تاريخ فلسطين القديم، الدراسات الجينية، عصر التمدن الأول، عصر التمدن الثاني، الهكسوس.

المقدمة

يتناول هذا البحث فترة زمنية هامة جداً من تاريخ فلسطين القديم، والمتمثلة بملاح المشروع الحضاري للكنعانيين الذي أطلقه خلال العصرين: البرونزي المبكر والبرونزي المتوسط، اللذين سميا بعصري التمدن: الأول والثاني، حيث أسهم هذا المشروع الحضاري في إحداث تطور نوعي في مختلف ميادين الحياة ومجالاتها. **مشكلة البحث:** تتركز مشكلة هذا البحث في توضيح التفسيرات غير العلمية التي قدمت لوصف أحداث عصري التمدن: الأول والثاني، خاصة الادعاءات التوراتية حول غزو أقوام خارجية لفلسطين، إلى جانب طرح تلك التفسيرات لقراءات غير واقعية، شملت عدداً من أحداث تلك الفترة، وخاصة فيما يتعلق بهوية الهكسوس ودولتهم. وفي هذا السياق فإنه يمكن تلخيص مشكلة البحث بالسؤال الرئيسي التالي: هل أطلق الكنعانيون مشروعاً حضارياً متكاملًا في الفترة الزمنية الممتدة من بداية العصر

البرونزي المبكر، وحتى نهاية العصر البرونزي المتوسط؟ وما هي أبرز ملامح ذلك المشروع وطبيعته؟ كما أن هذا البحث يجيب عن الأسئلة الفرعية التالية:

1. من هم الكنعانيون؟ وما هي الحدود الجغرافية لأرضهم؟ وما هي أبرز الادعاءات التوراتية حول أصولهم ومصيرهم؟
2. ما هي ملامح عصر التمدن الأول والذي أطلقه الكنعانيون في العصر البرونزي المبكر، خاصة على صعيد بناء المدن ونشوء نظام دولة المدينة الكنعانية، وغيره؟
3. ما هي أسباب انهيار المراكز الحضارية الكنعانية وانتهاء عصر التمدن الأول، وأهم الفرضيات المتعلقة بذلك الحدث الأساسي في تاريخ فلسطين القديم، خاصة الفرضيات التوراتية؟
4. هل تعرضت فلسطين وعموم بلاد كنعان لغزو الجماعات الأمورية في نهاية عصر التمدن الأول؟
5. ما هي ملامح التطورات الحضارية والتي انطلقت مع بداية العصر البرونزي المتوسط، وسُميت بعصر التمدن الثاني؟ وما هي أبرز ميادين تلك التطورات؟
6. من هم الهكسوس؟ وكيف نشأت دولتهم؟ وما هي طبيعتها وحدودها الجغرافية؟ وما علاقة الكنعانيين بهم؟
7. كيف أسهمت بيانات علوم البيئة والمناخ وعلوم الجينات والهندسة الوراثية في تقديم قراءة علمية محايدة لأحداث عصري التمدن: الأول والثاني في فلسطين، ووقائعهما، وتنفيذ الادعاءات التوراتية الخاصة بهذه المرحلة الزمنية الهامة؟

أهمية البحث: يكتسب هذا البحث أهميته من كونه يسلط الضوء على أحداث فترة زمنية هامة وجوهرية في تاريخ فلسطين القديم. فإن بناء المدن ونشوء نظام دولة المدينة وتطوره إلى الدولة المركزية الكنعانية، إلى جانب التطور البارز في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها، كلها عوامل أسهمت في رسم المشهد الحضاري لعصري التمدن: الأول والثاني، ومن الضروري تقديم قراءة عادلة ومنصفة لذلك المشهد الحضاري الهام، وتظهر جلياً تلك الأهمية لهذا البحث من خلال الأدوات الحديثة التي اعتمدت الدراسة لتقديم قراءات جديدة لعصري التمدن: الأول والثاني، وذلك بالاستناد إلى علوم جديدة ذات صلة تتمثل في علوم الجينات والهندسة الوراثية، وعلوم المناخ والبيئة.

واستناداً إلى بيانات تلك العلوم الجديدة، ونتائجها، قدم البحث تعريفاً جديداً ومحدداً للكنعانيين وأصولهم ومكانتهم التاريخية الحقيقية ومصيرهم، وهو ما يشكل أهمية بارزة في المفهوم والإطار النظري لهذا البحث. أما من الناحية العلمية، فتكمن الأهمية في هذا البحث في أنه قدم قراءات مغايرة لما هو معهود في الأبحاث والدراسات التاريخية، وهذه القراءات استندت إلى معايير علمية واضحة ومحددة، تختلف عن تلك المعايير المتحيزة والتي استندت إليها الدراسات التوراتية الموجهة نتائجها مسبقاً بحكم مرويات العهد القديم. أما الأهمية العملية، فيعد هذا البحث إضافة نوعية جديدة إلى مكتبة الباحث والطالب في علوم التاريخ والإنسان، فهو يستند إلى مناهج علمية جديدة، قدمت نتائج ذات مصداقية عالية، تضيف للأبحاث والدراسات قيد الإعداد نظرة جديدة على ملامح تاريخ فلسطين القديم.

أهداف البحث: يمكن تحديد أهداف هذا البحث على النحو التالي:

1. تقديم تعريف محدد للكنعانيين، وتحديد أصولهم ودورهم الحضاري في التاريخ القديم لفلسطين ومنطقة شرق المتوسط.
2. تقديم قراءة علمية محايدة لملامح المشروع الحضاري الكنعاني في فلسطين خلال عصري التمدن: الأول والثاني.
3. تنفيذ الادعاءات التوراتية حول الكنعانيين والأحداث التاريخية البارزة في عصري التمدن: الأول والثاني.
4. تطوير سياقات البحث التاريخي التقليدي ومفاهيمه، وذلك من خلال اعتماد أدوات ونوافذ علمية أخرى تستطيع تقديم قراءات حاسمة لأحداث التاريخ القديم.

منهجية البحث: تم اعتماد منهجين علميين في هذا البحث، وهما المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال وصف البيانات التاريخية وتحليلها ونقدها بأسلوب علمي، لتصحيح مسار تلك البيانات الخاصة بفترة العصرين: البرونزي المبكر والمتوسط من تاريخ فلسطين القديم، إلى جانب استخدام منهج علمي جديد، وذلك بالاستناد إلى بيانات الدراسات الجينية الحديثة ونتائجها، فقد شهد علم الجينات والهندسة الوراثية تطوراً ثورياً، يمكن من خلاله تقديم قراءات حاسمة لتاريخ فلسطين القديم بمختلف فتراته وعصوره، إلى جانب استخدام البيانات الحديثة من علوم البيئة والمناخ والتي قدمت تفسيرات علمية واقعية لأحداث تلك الفترة، وخاصة ما يتعلق بأسباب انهيار المراكز الحضارية الكنعانية مع نهاية العصر البرونزي المبكر.

2. من هم الكنعانيون؟

تناول عديد من الباحثين دراسة أصل اسم الكنعانيين، واستبعدوا تلك التفسيرات التي لا تستند إلى مصادر تاريخية موثقة، ومن ضمنها التفسير التوراتي لمفردة كنعان بأنها اشتقاق من المفردة السامية كنع، بمعنى انخفض وانحنى، وهو دلالة على سكان الأراضي المنخفضة؛ أي الكنعانيين. إن ذلك التفسير لم يعد مقبولاً في الأوساط العلمية، وذلك لأن الكنعانيين قد سكنوا في مختلف المناطق على اختلاف تضاريسها، فقد سكنوا في المرتفعات الجبلية والوديان والسهول والسواحل وغيرها. ويرجح الباحثون أن صيغة كيناخو الواردة في نصوص مدينة نوزي ذات الثقافة الحورية في بلاد الرافدين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، التي تعني الصبغة الأرجوانية هي الأقرب للدلالة على أصل مفردة كنعان ومعناها، وقد وردت - أيضاً - بصيغة

قريبة (كيناخا، كيناخي، كيناخي) في رسائل تل العمارنة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. (مناصرة، 2013، ص5؛ إبراهيم، 2010، ص 11؛ حلايقة، 2024، ص 316).

وقبل أن يتم استكمال البحث في تفاصيل اسم كنعان والكنعانيين، فمن الضروري الاستهلال أولاً بالتسمية الخاصة ببلاد الشام قبل الألفية الثانية قبل الميلاد، فإن كثيراً من الباحثين يجمعون على أن تسمية بلاد الشام، خاصة الجزء الشمالي منها، قد عرفت في الألف الثالثة حتى بداية الألف الثانية قبل الميلاد بأنها أرض أمورو، وهذا الاسم موثق في ألواح طينية بالمسمارية الأكادية في بلاد الرافدين (الشواف، 2006، ص93؛ إبراهيم، 2010، ص 11)، ومن هنا جاء اسم الأموريين، فكلمة أمورو مشتقة من المفردة السومرية (مار تو)، ويقابلها بالصيغة الأكادية (أمورو) وتعني جهة الغرب من موقع بلاد الرافدين في الشرق، وأقدم نص سومري يذكر تلك المفردة يعود إلى 2600 ق. م. في موقع شروباك (تل فارة)، وتطور المفهوم من الناحية الجغرافية؛ أي الجهة الغربية لبلاد الرافدين، وهي بلاد الشام، إلى المفهوم الإثني لوصف مجموعة بشرية تستقر في الغرب من بلاد الرافدين، وبدأ هذا الاستخدام الإثني إشارة إلى الأموريين ابتداء من العصر الأكادي لبلاد الرافدين حوالي 2220 ق. م. (حلايقة، 2024، ص296-297). ومع بداية الألفية الثانية، وحسب نصوص ماري المذكورة أعلاه، بدأ يظهر اسم كنعان والكنعانيين، ولتوضيح العلاقة بين الأموريين والكنعانيين، فإن عديداً من العلماء والباحثين يذهبون باتجاه أنها مجموعة واحدة غير منفصلة، عرفت بالأمورية في مرحلة العصر البرونزي المبكر، ومن ثم عرفت بالكنعانية مع بداية العصر البرونزي الوسيط، ويذكر عديد من الباحثين أن مجموعة كبيرة من العمال الكنعانيين توجهوا إلى بلاد الرافدين مع نهاية الألفية الثالثة وبداية الألفية الثانية قبل الميلاد، وخاصة في عهد سلالة أور الثالثة، وهناك سمي أولئك الكنعانيون بالأموريين؛ أي "الغربيين" لأنهم جاءوا من الغرب، ومن هنا اتخذت التسمية شكلاً اثنيّاً بعد أن كان جغرافياً كما ذكر سابقاً. استقر أولئك الكنعانيون في بابل وعدة مناطق أخرى من بلاد الرافدين، وتغلغلوا هناك، فتمكن بعضهم من تولي مناصب قيادية عسكرية واقتصادية، ضمن النخب البابلية، والارتقاء إلى مراتب عليا كحكام مدن وملوك، ومن ضمنهم ملك بابل حمورابي الذي ينتمي إلى أسرة كنعانية بالأصل (زودن، 2003، ص 28-29).

ويمكن تقديم تحليل وتفسير منطقي وبتسلسل زمني محكم لنشأة مفردة كنعان وتطور استخدامها للدلالة على حرفة ومهنة تختص بصناعة الصباغ الأرجواني وتجارتها؛ ليستخدِم مصطلحاً جغرافياً فيما بعد. إن هذا التطور في استخدام المصطلح من حرفي إلى جغرافي قد حدث - على الأغلب - في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وبالاتحاد على المصادر التاريخية، فإنه يمكن توضيح ذلك التطور، فقد ذكرت نصوص مملكة ماري (تل الحريري، شمال شرق سوريا) العائدة إلى منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد، الكنعانيين بوصفهم مجموعة بشرية. وبعد ثلاثة قرون استخدمت كلمة كنعان في نصوص مملكة الالاح (تل العيشانة شمال سوريا) العائدة للقرن الخامس عشر قبل الميلاد، للدلالة على منطقة جغرافية باسم أرض كنعان، تقع جنوب مملكة قطنا (تل المشرفة شمال شرق حمص في سوريا). ويمكن الاستنباط من ذلك التسلسل أن مفردة كنعان أو كنعاني أطلقت بداية على شخص امتن حرفة الصباغة الأرجوانية باللونين الأحمر والأزرق، وتاجر بهذه الصباغ، ثم منح هذا الاسم لعائلة ذلك الشخص، ومن ثم لقبيلته، ومن ثم لشعب انحدر من ذلك الشخص الكنعاني الذي امتن حرفة الصباغة والتجارة بها، ليسموا فيما بعد كنعانيين، أو - وفقاً لما هو دارج في اللغة الحديثة - الصباغين أو الدباغين، وتطورت التسمية لتطلق على المنطقة الجغرافية التي سكنها ذلك الشعب والتي عرفت بأرض كنعان (بلاد الشام حالياً). وتطور المفهوم الجغرافي ليأخذ شكلاً سياسياً معيناً، ورد في مراسلات تل العمارنة بعدة صيغ أكادية ومصرية (كنعان، كيناخي، كيناخي، باكنعان)، حملت عدة دلالات، منها الإشارة إلى المقاطعة المصرية في عموم سوريا، وبالأخص الساحل الفينيقي، ودلالة أخرى تشير إلى المقاطعة المصرية (فلسطين وفينيقياً وسوريا)، وحددت تلك الدلالات بناء على طبيعة المراسلة وجهاتها (حلايقة، 2024، ص 319).

يستنتج مما سبق أن التطور النوعي في علوم التاريخ والآثار والعلوم الأخرى ذات الصلة، مكنت الباحثين من تقديم قراءات موضوعية ومنطقية مقبولة لعديد من القضايا الخاصة بالكنعانيين، وهو ما تم ملاحظته ورصده من خلال الاستعراض السابق، إلا أن هناك قضايا أخرى ما زالت مجهولة، ولم يتم تقديم إجابات حاسمة لها، حتى إن بعض تلك القراءات التي قدمها الباحثون سابقاً لم تعط - أيضاً - إجابات حاسمة، بل أعطت مؤشرات حول بعض التفاصيل المتعلقة بالكنعانيين، ومثال ذلك، نشأة الكنعانيين وانتماءاتهم العرقية ومصيرهم، فهذه العناصر ما زالت غامضة وغير محسومة. لقد ظهرت في الآونة الأخيرة نوافذ جديدة يمكن استثمارها للحصول على قراءات حاسمة وشفافية لكل ما هو غامض في تاريخ الكنعانيين، ولعل من أبرز تلك النوافذ ما اصطلح على تسميته بعلم الأنساب الجيني (الجيولوجيا)، فقد شهد هذا العلم تطوراً ثورياً في العقدين الأخيرين، من خلال استخدام تقنيات وأدوات مبتكرة في فحص الحمض النووي (DNA) والهندسة الوراثية التي لم تكن معروفة من قبل في البحث التاريخي والآثري. ويستند هذا البحث، فضلاً عن المراجع التقليدية التاريخية والأثرية، إلى عدة دراسات جينية خاصة بالتركيب الجيني لشعوب الشرق القديم، ومن ضمنهم الكنعانيون، وهذا ما يشكل إضافة علمية نوعية، يقدمها هذا البحث من أجل الحصول على قراءات حاسمة بشأن العناصر التي لم تتمكن العلوم الأخرى من توضيحها والخاصة بالكنعانيين. ويمكن استعراض نتائج أهم الدراسات التي تناولت التركيبة الجينية للكنعانيين، وتوضيح أصولهم ومصيرهم، على النحو التالي¹:

¹ إن الدراسات الجينية المستعرضة قد صدرت باللغة الإنجليزية، واستخدمت في الترجمة إلى العربية بعض المفردات والإضافات لتوضيح بعض التسميات والمواقع الجغرافية، كاعتماد كلمة فلسطين بدل إسرائيل في بعض الدراسات، وإضافة تسميات فلسطينية حديثة للمواقع الجغرافية القديمة الواردة في بعض الدراسات، كتل المتسلم للإشارة إلى مجدو الكنعانية.

2.1 "تأثير التركيب الجيني القديم من العصر الحجري النحاسي في إسرائيل على الاختلاط السكاني ودوره في التحول الثقافي".

(Ancient DNA from Chalcolithic Israel reveals the role of population mixture in cultural transformation)

صدرت هذه الدراسة عام 2018، وتناولت بشكل تفصيلي متطور التركيب الجيني للكنعانيين، وأشرف عليها فريق متخصص من 12 باحثاً بقيادة إيداوين هارني Eadaoin Harney، من عدة معاهد ومراكز علمية متخصصة في علوم الجينات والآثار والإنسان. ودرس فريق البحث عينات الحمض النووي لرفات 22 شخصاً، وجدوا في كهف بالقرب من بلدة البقيعة في منطقة الجليل الأعلى، شمال فلسطين، ويعود الرفات إلى الفترة من (4500-3900 ق.م.)؛ أي العصر الحجري النحاسي، وبيّنت تلك العينات أن سكان جنوب بلاد الشام (فلسطين) في العصر النحاسي كانوا يستمدون 57% من جيناتهم من أسلافهم الفلاحين المحليين والذين عرفوا بالنطوفيين، وذلك من العصر الحجري الحديث (النبولي)، و26% من جيناتهم مستمدة من الفلاحين الأناضوليين من العصر النحاسي، و17% مستمدة من فلاحي شمال بلاد الرافدين – زاغروس إيران، من العصر النحاسي. وبيّنت نتائج الدراسة أن التكوين الجيني لسكان فلسطين في العصر البرونزي تشكل على النحو التالي: 58% مستمدة من جينات النطوفيين المحليين من العصر الحجري الحديث، وأكثر من 40% من سكان شمال بلاد الرافدين (جبال زاغروس – إيران) من العصر النحاسي، ونسبة قليلة أو لا شيء من أناضولي العصر النحاسي. وأوضحت الدراسة ضمن نتائجها العامة أن هناك انسجاماً واستمرارية وراثية للتكوين الجيني لسكان جنوب بلاد الشام بالرغم من اعتماد ذلك التكوين على ثلاثة مصادر وراثية، هي النطوفي المحلي (النسبة الأكبر)، والإيراني، والأناضولي (Harney, 2018, p 8-9).

2.2 "تاريخ التركيب الجيني للعصر البرونزي في جنوب بلاد الشام".

(The Genomic History of the Bronze Age Southern Levant)

صدرت هذه الدراسة عام 2020، وأشرف عليها فريق بحثي مكون من 35 باحثاً بقيادة ليلي أغرانات تامير Lily Agranat-Tamir، وهم متخصصون في علوم الجينات والآثار والإنسان، وتركزت على دراسة التركيب الجيني لسكان جنوب بلاد الشام (فلسطين) في العصور البرونزية، فدرس الفريق عينات الحمض النووي لـ 73 فرداً من خمسة مواقع أثرية، تعود للعصور البرونزية والحديدية في مناطق جنوب بلاد الشام (35 فرداً من تل المتسلم - مجدو، يعود تاريخ رفاتهم إلى العصر البرونزي الوسيط والمتأخر، باستثناء فرد واحد يعود تاريخه إلى العصر الحديدي المبكر، و 21 فرداً في وسط الأردن (شمال شرق عمان)، معظمهم من العصر البرونزي المتأخر. و13 فرداً من وسط فلسطين، يعود تاريخ رفاتهم إلى العصر البرونزي الوسيط، وفرد واحد من منطقة بيت معكة، شمال فلسطين، يعود تاريخ رفاتهم إلى العصر الحديدي). وأكدت نتائج هذه الدراسة على نتائج الدراسة السابقة، فأظهرت أن الـ 73 فرداً - المفترض أنهم كنعانيون - ينحدرون من مصدرين جينيين: 1- سكان العصر الحجري الحديث، وهم المحليون الأوائل (النطوفيون). 2- سكان زاغروس (إيران – شمال بلاد الرافدين) من العصر النحاسي، وسكان الأناضول من العصر النحاسي. وأظهرت النتائج أن المجموعات "الكنعانية" المختلفة تشبه بعضها البعض وراثياً أكثر من المجموعات السكانية الأخرى (Agranat-Tamir, 2020, 1146-1147).

2.3 "الاستمرارية والاختلاط في التسلسلات الجينية في الألفيات الخمسة الماضية لتاريخ بلاد الشام؛ من الكنعانيين القدامى وحتى اللبنانيين المعاصرين".

(Continuity and admixture in the last five millennia of Levantine history from ancient Canaanite and present-day Lebanese genome sequences)

صدرت هذه الدراسة عام 2017، وأشرف عليها 16 باحثاً بقيادة مارك هابر Marc Haber، وهم مختصون في علوم الجينات والإنسان والأحياء الحاسوبية وينتمون إلى عدة دول. توثق هذه الدراسة، التي اصطلح على تسميتها (دراسة صيدا)، نتائج هامة خاصة بالتكوين الجيني للكنعانيين للعصر البرونزي في منطقة بلاد الشام وعلاقتها باللبنانيين الحاليين. وتبين نتائج دراسة عينات حمض نووي مستمدة من رفات خمسة أشخاص كنعانيين، سكنوا مدينة صيدا اللبنانية في العصر البرونزي المتوسط، بلغ عمر الأشخاص بحدود 3700 سنة، أن هؤلاء الكنعانيين الخمسة مستمدة جيناتهم من النطوفيين المحليين من العصر الحجري الحديث، ومن الوافدين من شمال بلاد الرافدين (منطقة جبال زاغروس/ إيران) من العصر الحجري النحاسي. وتبين الدراسة أن هذا الاختلاط الجيني جرى في مرحلة مبكرة ما بين 4600-3500 ق.م. في العصر الحجري النحاسي، وذلك جراء تغيرات مناخية كبيرة وجفاف وقحط ضرب شمال بلاد الرافدين. ووضحت نتائج الدراسة - أيضاً - أن المجموعات الثقافية المختلفة، والتي عرفت في العصر الحديدي، مثل المؤابيين والعمونيين والفينيقيين وغيرهم، كونوا هويات ثقافية مستقلة، لكنهم يعودون إلى جذور جينية كنعانية، وهذا ما تبين من خلال مقارنات عينات صيدا مع عينات أخرى من موقع عين غزال في الأردن ومواقع أخرى.

وتبيّن الدراسة - أيضاً - أن التكوين الجيني لسكان بلاد الشام في العصر الحديدي، في الساحل والداخل، كان مستمدّاً بنسبة 93% من نظراء أولئك الكنعانيين الصيداويين الخمسة، والباقي (7%) من السهوب الأوراسية (مناطق الأناضول والقرية منها)، على الأغلب الحثيين. وقرنت الدراسة عينات 99 فرداً من اللبنانيين الحاليين مع عينات الكنعانيين الخمسة من مدينة صيدا، وتبين أن اللبنانيين الحاليين يستمدون معظم أصولهم الجينية من الكنعانيين، ما يعني استمرارية وراثية كبيرة في بلاد الشام منذ العصور البرونزية على الأقل (Haber, 2017, 5-8).

بعد استعراض نتائج أهم الدراسات الجينية والخاصة بالتركيب الجيني لسكان منطقة بلاد الشام، وبالأخص فلسطين، منذ العصر الحجري الحديث وحتى العصر الحديدي، فإنه من الواضح أن الكنعانيين هم شعب نشأ في أرضه ونما فيها، ولم يأت من أية منطقة أخرى، وأنه امتداد طبيعي بيولوجي لأجداده النطوفيين والذين يشكلون المصدر الأساسي للغالب لجيناته، بالرغم من وجود مصادر جينية أخرى ثانوية من شمال بلاد الرافدين ومنطقة الأناضول. إن تلك الدراسات قد استخدمت تقنيات متطورة لتمييز عينات الحمض النووي المختلفة لرفات عدد كبير من الأشخاص الذين عاشوا في فلسطين وبلاد الشام، منذ العصر الحجري الحديث، وحتى العصر الحديدي وما بعده. فتلك العينات قد تم أخذها من عديد من المواقع المختلفة في فلسطين ولبنان وسوريا والأردن، وضمن فترات زمنية مختلفة، كما هو مذكور سابقاً، وقد وضعت موضع الدراسة ضمن منهج علمي بيولوجي، وضح انسجام التركيبة الجينية لسكان بلاد الشام بمختلف مناطقها منذ العصر الحجري النحاسي، وحتى العصر الحديدي، وهذا يقود إلى الاستنتاج بأن هناك شعباً ذا تركيبة جينية أصيلة وموحدة نشأ في هذه المنطقة بشكل طبيعي، وتطور فيها، وأن فرضيات بأن الكنعانيين هم عبارة عن مجموعة من الشعوب مختلطة الأجناس بثقافات وأصول متعددة قد سقطت، وسقطت معها - أيضاً - فرضيات، وخاصة التوراتية منها، بأن الكنعانيين جاءوا من جزيرة العرب ضمن هجرات الساميين الأوائل إلى منطقة الهلال الخصيب، وغيرها. وعليه، فإن كل الأسماء التي وردت في المصادر التاريخية المختلفة مثل الأموريين، والكنعانيين، والهكسوس، والفينيقيين، والآراميين، والأدوميين، وغيرهم، كل تلك المجموعات تنتمي لشعب واحد اختلفت تسمياته وفقاً للأمم والمناطق المجاورة لبلاده عبر مختلف العصور. كما أن تلك الدراسات، وخاصة دراسة صيدا، قد وضحت استمرارية التركيب الجيني الكنعاني لسكان المنطقة حتى الوقت الحالي، وهذه الاستمرارية تشكل دليلاً على عدم صحة الادعاءات التوراتية بإبادة الكنعانيين وانقراضهم.

3. عصر التمدن الأول (العصر البرونزي المبكر 3200 - 2000 ق.م)

قسم العلماء والمختصون هذا العصر إلى أربع مراحل رئيسية، وهي:

3.1 المرحلة الأولى 3200-3000 ق.م.

اختلف المختصون بآثار فلسطين حول تسمية هذه المرحلة وتحديد فترتها الزمنية، فقد عدها بعضهم بأنها مرحلة متأخرة من العصر الحجري النحاسي، وأطلق عليها - أيضاً - مرحلة ما قبل التمدن، وذكر آخرون بأنها مرحلة مبكرة من العصر البرونزي القديم. لقد تميز الشرق القديم ومن ضمنه فلسطين مع نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد، بتغيرات جوهرية اجتماعية واقتصادية ومعمارية، وأبرز ما لوحظ في فلسطين في تلك الفترة، اكتشاف مدافن مقطوعة من الصخر، تعود لجماعات اتبعت ثقافة جديدة تختلف عما كان سائداً في العصر الحجري النحاسي، واستقرت تلك الجماعات في مواقع مؤقتة، لا تتسم بملامح الاستيطان الدائم، كما هو المعهود في المجتمعات الزراعية القروية، وكانت أقرب إلى المعسكرات المؤقتة أو مواقع سكن موسمية. وتشير مكتشفات تلك المدافن إلى أنها كانت بسمتها العامة مدافن جماعية تحتوي الواحدة منها بضع مئات من الهياكل، وهذا يوضح الاستخدام طويل الأمد لها. كما استخدمت الكهوف الصخرية في فلسطين لهذه الغاية - أيضاً - مع وجود غرف داخل تلك الكهوف ضمن ترتيب معين للهياكل المكتشفة، ووجد مع بعض الهياكل المدفونة مخلفات لمراسم جنازية كالأدوات الفخارية والبازلتية وغيرها. ودار جدل حول شكل المكتشفات وأصول صانعيها، فقد تم اكتشاف نمطين للفخار في فلسطين؛ الأول في الشمال، تميز بلونه الرمادي المصقول، والآخر في الجنوب، مصقول باللون الأحمر، وأعاد كثير من العلماء ذلك الاختلاف في النمطين إلى وصول مجموعتين بشريتين إلى فلسطين مع نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد، وآخرون أبدوا رأياً مغايراً بأن تلك الأنماط الفخارية جاءت تطوراً طبيعياً لنمط الفخار في العصر الحجري النحاسي السابق، وأن هناك استمرارية للسكان من العصر الحجري النحاسي إلى البرونزي المبكر، وأنه لا يوجد أي إثبات علمي على حدوث هجرات إلى فلسطين في هذه الفترة (إبراهيم، 2010، ص 121-125). وهذا - أيضاً - ما تؤكدته نتائج الدراسات الجينية المستعرة في البند السابق، والتي لم تشر إلى أية هجرات حصلت بعد العصر الحجري النحاسي بشكل كبير وشامل.

وتشير الدراسات إلى وجود علاقات قوية بين فلسطين وجوارها مع نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد، وهو ما تظهره عديد من المخلفات الأثرية المتبادلة بين فلسطين وكل من مصر وبلاد الرافدين والأناضول، وهو ما يعطي مؤشراً على قوة التبادل التجاري بين فلسطين وجوارها في تلك الفترة، وتحقيق رخاء واستقرار اقتصاديين، ما أدى إلى زيادة سكان فلسطين، وتطور نمط استقرارهم ليصبح على شكل مدن محصنة مستقلة، وبداية ما يعرف بمرحلة التمدن. (الهودلية، 1992، ص 8؛ إبراهيم، 2010، ص 131).

لقد بدأت مرحلة التمدن بالتطور النوعي للزراعة في فلسطين، وعموم كنعان. إن ذلك التطور قاد إلى تنظيم العمل الزراعي، وبداية ظهور ما يمكن وصفها بالأنظمة التي تدير العمل وتشرف عليه، وهو ما أدى إلى انتعاش اقتصادي أسهم

في تعزيز استقرار السكان وزيادة عددهم، الأمر الذي أدى إلى توسع القرى الزراعية لتصبح مدناً، وفيما بعد شكلت نظاماً سياسية عرفت بدويلات المدن الكنعانية، والتي سيتم التركيز عليها في المرحلة التالية.

3.2 المرحلة الثانية 2700-3000 ق.م

عرفت هذه المرحلة في عديد من الدراسات بأنها مرحلة التمدن الأول، ليس فقط في فلسطين، بل في عموم كنعان، فقد اتخذ الكنعانيون لأنفسهم نمطاً حضارياً باتجاه الاستقرار والتمدن، وذلك من خلال بناء المزيد من المدن المحصنة وتطويرها. أما في فلسطين، فقد انتشرت هذه المدن المحصنة في مختلف المناطق على اختلاف تضاريسها، وأصبح تأسيس تلك المدن بما يرافقه من مساحات دفاعية وسكنية، يتم بتخطيط مسبق. شكلت المدينة في هذه المرحلة وحدة سياسية مستقلة قائمة بذاتها لتشكل اللبنة الأساسية لنظام دولة المدينة، مع وجود بعض القرى الزراعية في محيطها، ومن أهم هذه المواقع: تل المتسلم (مجدو) وتل تعنك، وتل الفارعة الشمالي، وخربة الكرك، وأريحا وتل أم حماد الشرقي، وكذلك التل (عي) وتل النصبة، وتل الدوير (لخيش) وعراد وتل أبو شوشة (جازر) وتل بيت مرسيم، ورأس العين وخربة الشيخ ميصر وتل أحمد العريني، وجاوة شرق الأردن وغيرها من عديد المدن. تميزت هذه المرحلة باستعمال عجلة الفخار بشكل واسع، وتطورت صناعة البرونز في فلسطين في هذه المرحلة، فقام الحرفيون الكنعانيون بخلط النحاس بالقصدير بنسب معينة، وإنتاج أدوات ومنتجات برونزية متعددة الأشكال والوظائف (إبراهيم، 2010، ص 125-127). وفي هذه المرحلة تطورت العلاقة التجارية بشكل لافت بين فلسطين وجيرانها خاصة مصر، حيث اعتمدت الأخيرة على المواد الخام والمفقودة لديها، فتركزت الصادرات الكنعانية لمصر على العسل والخمر والزيت وخشب الصنوبر والصمغ والنحاس وغيرها من المنتجات الزراعية والمعدنية (طه، 2000، ص 205-206). وشكلت هذه المرحلة قفزة نوعية حضارية في كل المجالات، وعرفت بحضارة التمدن الأولى، وقد برزت كثير من النماذج الحضارية الكنعانية اللافتة في هذه المرحلة وما بعدها، وكان التطور الحضاري في منطقة شمال كنعان أو سوريا أسرع وتيرة من مناطق الجنوب، ومن أبرز تلك النماذج مملكة إبلا القديمة، والتي أجمع عديد من الباحثين أن سميتها الثقافية كنعانية ولغتها تعد اللغة الكنعانية الأولى، وتعد نموذجاً مبكراً للحضارة الكنعانية المدنية المزدهرة في الألف الثالثة قبل الميلاد (السواح، 2002، ص 20).

ويقع موقع إبلا القديم والمعروف حالياً بتل مريديخ، جنوب غرب حلب في شمال سوريا بالقرب من بلدة سراقب. ذكرت إبلا في النصوص الرافدية القديمة، إلا أن موقعها كان مجهولاً حتى عام 1968 حينما عثر أحد فلاحي المنطقة على تمثال مقطوع الرأس يحمل نقشاً مسمارياً، ذكرت فيه مدينة إبلا مرتين، وتمكن الباحثون من خلاله الاستدلال على موقع إبلا القديم. وقد كشفت نتائج التنقيبات للبعثات الأثرية للأعوام 1974-1976 عن كنوز الأرشيف الخاص بالقصر الملكي، والتي أكدت أن إبلا كانت مهداً لأول حضارة مدنية مبكرة في كنعان. واحتوى الأرشيف المكتشف على أكثر من 17 ألف وثيقة ملكية، حيث يعد أقدم أرشفة رسمية في العالم، واحتوت الرقم المكتشفة على معلومات وبيانات اجتماعية واقتصادية وسياسية، توضح أن مملكة إبلا كانت دولة مزدهرة وقوية في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، وأن جذورها امتدت لما قبل ذلك التاريخ. كما وضحت الوثائق أن إبلا كانت ممتدة جغرافياً لتشمل أكثر من 14 ولاية إدارية، وأنها اعتمدت نمطاً اقتصادياً متطوراً يقوم على الزراعة والتجارة بشكل أساسي (شعبان، 2013، ص 7-12).

3.3 المرحلة الثالثة 2300-2700 ق.م

مع بداية هذه المرحلة استمر تطور المدن وانتشارها، إلا أنه ورد فيها - أيضاً - حالات هجران ودمار لمدن أخرى (إبراهيم، 2010، ص 127-128). وفي دراسة تلك الحالة من الهجران والدمار، ظهرت عديد من النظريات التي حاولت تفسير ذلك الهجران، وكان من أبرزها تعرض المنطقة لغزو خارجي واسع.

تعد نهاية المرحلة الثالثة من العصر البرونزي المبكر بداية انهيار مظاهر الحياة المدنية في فلسطين، وعموم بلاد كنعان وانتهاء عصر التمدن الأول، وساد بعد ذلك نمط جديد، تمثل في الانتقال من حضارة مدنية قائمة على الزراعة والتجارة، إلى نمط تكيفي قائم على الرعي والزراعة البعلية المحدودة. إن تفسيرات ذلك التحول الجوهري بالاعتماد على فرضيات الغزو والهجرة لم يعد مقبولاً في الأوساط العلمية، وتركز الدراسات الحديثة على فهم العوامل الذاتية لهذا الانهيار للحضارة المدنية في ذلك الوقت، وبرزت فرضيات جديدة لافتة، تعتمد على معايير علمية، تتمثل في أن التغيرات في المناخ والبيئة لمنطقة شرق المتوسط كانت السبب الرئيسي الذي أدى إلى تدمير النظام المعيشي الزراعي، وانهيار حضارة المراكز المدنية التي قامت على ذلك النظام (طه، 2000، ص 207).

ولفهم حقيقة ما حدث، واعتماداً على بيانات علوم البيئة والمناخ، فإنه في الفترة بين 2400-2350 ق.م، ازدادت وتيرة الاضطرابات البيئية والمناخية، وشملت معظم مناطق شرق المتوسط ومصر، فقد رصد انخفاض كبير في معدلات هطول الأمطار، وبدأت مرحلة قحط وجفاف كبيرين، واستمرت حتى 1950 ق.م، أي مع بداية العصر البرونزي المتوسط، وتميزت فترة القحط بارتفاع كبير في درجات الحرارة، وانخفاض شديد في منسوب المياه، أدى إلى انهيار زراعي عظيم، وسبب كارثة كبرى في المنطقة بأكملها، ورافق فترة القحط والجفاف تغير ديموغرافي كبير، فتناقص عدد السكان، وتغيرت توزيعاتهم في مختلف مناطق كنعان، ومن ضمنها فلسطين. ومن هنا رصدت بعض الهجرات الداخلية من مناطق جنوب فلسطين وشرقيها إلى مناطق الشمال، كما رصدت بعض الهجرات للكنعانيين خارج كنعان، وانتقالهم شرقاً إلى مناطق بلاد الرافدين، وأطلق عليهم "الأموريين" كما ذكر سابقاً، لأنهم جاءوا من منطقة الغرب، وتم توثيق هذه الهجرة في عدة نصوص رافدية. كما رصدت هجرة أخرى تمثلت في انتقال بعض الكنعانيين جنوباً إلى الجزيرة العربية. واختلفت طرق مواجهة السكان لهذه

التغيرات المناخية، وحافظت المدن الغنية بالموارد المائية في بعض المناطق من كنعان مثل سوريا وشمال فلسطين، على استقرارها، وفي مناطق أخرى تحول اهتمام السكان بالرعي وتربية المواشي بدلا من الزراعة التقليدية (تومبسون، 1995، ص 127).

3.4 المرحلة الرابعة 2300-2000 ق.م

شهدت هذه المرحلة الانتقال من البرونزي المبكر إلى البرونزي المتوسط، وفي هذه المرحلة ترسخت التحولات الجذرية في النواحي السياسية والاجتماعية والدينية والمعمارية، ليس في فلسطين فقط، بل بالشرق بأكمله، وذلك ناتج بشكل أساسي عن انهيار الحضارة المدينية؛ بسبب الكارثة البيئية والمناخية التي استمرت في هذه المرحلة، وحتى بداية البرونزي المتوسط، ولعله من المفيد التطرق مرة أخرى إلى تلك التفسيرات التي رجحت نظرية الغزو، ومن ضمنها التفسيرات التوراتية، التي ادعت أن غزوا وهجرة أمورية كاسحة تعرضت لها فلسطين ومنطقة شرق المتوسط بأكملها، وأن الأموريين هم من أنهوا حضارة العصر البرونزي المبكر، فاعتمدت تلك التفسيرات على نتائج تنقيبات عالمية الآثار الإنجليزية كاثلين كينيون Kathleen Kenyon وغيرها، فقد اكتشفت كينيون مدافن فردية تعود لهذه المرحلة الزمنية، والتي عدت نمطاً جديداً، اختلف عن أنماط الدفن الجماعي التي كانت سائدة قبل ذلك. وصنفت كينيون مخلفات بعض المدافن في أريحا لسبع مجموعات، وتوصلت لنتيجة أنها تعود لمجموعة قبلية بدوية ذات أصل واحد، ومن مخلفات تلك المدافن قطع فخارية وأسلحة وأدوات زينة مثل الخرز وقطع برونزية، وكان الهيكل يوضع بشكل قرفصائي دون مراعاة أي اتجاه، والأغلب أن رواد تلك المدافن كانوا بدوا رحلا غير مستقرين، وانتشرت هذه المجموعات، وبالتالي المدافن، ليس فقط في فلسطين، وإنما في معظم مناطق الشرق. وفسر الباحثون التوراتيون نتائج تنقيبات كينيون بأنها غزو أموري لفلسطين ومنطقة كنعان (إبراهيم، 2010، ص 171-174).

وقد كثر من الباحثين المجددين، ومن ضمنهم رواد مدرسة الحد الأدنى (المقلون)، والتي تشكلت في أواسط تسعينيات القرن الماضي نتيجة نشوء فكر تجديدي نقدي للمرويات التوراتية وتفسيراتها، ففندوا فرضية تعرض فلسطين خلال المرحلة الرابعة من البرونزي المبكر، وحتى المرحلة الأولى من البرونزي المتوسط، لغزو بدوي أموري خارجي، واعتمدوا في تفنيدهم على الدراسات المقارنة لعديد من علماء الآثار والمختصين، ومن ضمنهم كاثلين كينيون Kathleen Kenyon وأيجات ديغر Egat Diager وغيرهم، فقد أجروا مقارنات للمكتشفات الفخارية وبعض الأواني وتسلسلها عبر مختلف مراحل العصر البرونزي المبكر، وكانت النتائج تتركز في أن كل تلك المخلفات تحمل سمة ثقافية واحدة مستقرة، بالرغم من وجود بعض الاختلافات الطفيفة، كما تمت مقارنة التسلسل الزمني المفترض للغزو الأموري، مع التسلسل للمجموعات والأنماط الثقافية المحلية، وتوصلت تلك الدراسات إلى نتيجة ترجح أن سمة الاستقرار السكاني في فلسطين كانت هي الغالبة بشكل عام، كما أن سمة الرعي والبداءة كانت جزءاً من الثقافة المحلية في فلسطين، وأن هذه الثقافة انتشرت بشكل ملحوظ مع نهاية البرونزي المبكر، نتيجة للتأقلم والتكيف مع التغيرات البيئية والمناخية التي تمت الإشارة إليها في نهاية المرحلة الثالثة (تومبسون، 1995، ص 130-131).

لقد فرضت التغيرات المناخية والبيئية حالة من الانعزال الاجتماعي لسكان فلسطين، وكنعان بشكل عام، مع نهاية العصر البرونزي المبكر، وهو ما أدى إلى بعض التغيرات الثقافية اللغوية مثل ما ذكر فيما يتعلق بالمدافن، والتي أصبحت فردية بعد أن كانت جماعية، ودون مراعاة تقاليد الدفن التي كانت سائدة قبل الكارثة، إلا أن هذه التغيرات لم تكن جذرية بل شكلية، ولم تنجم عن تأثير ثقافة أجنبية أو خارجية جاءت نتيجة لغزو أقوام أجانب. فالسكان المحليون في كنعان استمروا بوجودهم منذ العصر الحجري النحاسي وما قبله، وأن التغير كان لغوياً وليس اثنيًا، وأن نمط الثقافة المحلية التي ظهرت مع بداية البرونزي المبكر استمرت بلامحها الرئيسية حتى نهاية العصر الحديدي (تومبسون، 1995، ص 124).

وما يعزز تلك التفسيرات العلمية لفرضية الغزو والهجرة الأمورية نتائج الدراسات الجينية التي وردت سابقاً، خاصة دراسة (إيادوين هارني) Eadaoin Harney وفريقه، والتي أكدت على استمرارية التركيب الجيني لسكان جنوب بلاد الشام من العصر الحجري النحاسي، وحتى نهاية العصر البرونزي، وبالتالي لم يرصد أي تدفق جيني أجنبي في فترة البرونزي المبكر (Harney & et. al, 2018, p8-9).

إن انهيار الحضارة المدينية الكنعانية مع نهاية البرونزي المبكر، أدى إلى توقف الحياة في المراكز المدينية كافة في عديد من مناطق كنعان، وظهر التدمير في سياق شامل على طول البلاد وعرضها. وبدأ هذا الانهيار الحضاري مع نهاية المرحلة الثالثة من البرونزي المبكر، أي القرن 23 ق.م. تقريباً، ورافق هذا الانهيار اختلاف الأنماط المعيشية للكنعانيين، وأهم تلك الاختلافات التحول إلى نظام الحياة الرعوية في بعض مناطق كنعان وخاصة جنوب فلسطين وشرقها. وتزامن هذا الانهيار الحضاري في كنعان مع انتشار حالة الفوضى في مصر المجاورة، بعد انتهاء حكم الأسرة السادسة، وانهيار الدولة الأكادية في بلاد الرافدين، وتنازع الممالك الناشئة بعدها (طه، 2000، ص 206).

3. عصر التمدن الثاني (العصر البرونزي المتوسط 2000 – 1550 ق.م.)

ينسب إلى هذا العصر بروز نهضة نوعية في المجالات كافة، بعد الانهيار الحضاري الذي شهدته فلسطين ومناطق كنعان كافة، مع نهاية البرونزي المبكر بسبب الكارثة البيئية والمناخية، وهناك عديد من الباحثين الذين أطلقوا عليه عصر التمدن

الثاني أو مرحلة التمدن الثاني، فشهدت فلسطين وعموم بلاد كنعان نهضة نوعية وتطوراً بارزاً في ميادين الزراعة والبناء وفنون العمارة والصناعة خاصة الفخارية منها والأسلحة، إلى جانب التطور الكبير على صعيد التبادل التجاري مع معظم مناطق الشرق القديم، ومن أبرزها مصر القديمة. وتميز هذا العصر بتوافر المصادر المكتوبة عن فلسطين بشكل كبير (إبراهيم، 2010، ص 175-178).

ويقسم عديد من الباحثين العصر البرونزي المتوسط إلى مرحلتين رئيسيتين؛ الأولى من 2000 إلى 1700 ق.م.، والثانية من 1700 إلى 1550 ق.م.، أما المرحلة الأولى فقد تميزت بانحسار الجفاف والقحط الذي ساد فلسطين ومعظم مناطق الشرق القديم مع نهاية العصر البرونزي المبكر، وسادت فترة طويلة من الرطوبة والاعتدال المناخي، وشهدت هذه الفترة المستقرة مناخياً زيادة في عدد سكان فلسطين، وعودة الاستيطان والاستقرار في المناطق والمدن التي هجرت سابقاً بسبب الكارثة البيئية والمناخية من البرونزي المبكر. كما شهدت هذه المرحلة عودة السكان إلى النشاط الزراعي التقليدي المتمثل بنموذج الزراعة القروية في مختلف مناطق فلسطين، الأمر الذي أدى إلى انتعاش الزراعة خاصة في مجال زراعة الزيتون والأشجار المثمرة الأخرى (تومبسون، 1995، ص 128).

إن اعتدال المناخ والاستقرار البيئي المرافق له أدباً إلى استقرار سياسي واجتماعي واقتصادي، ليس في فلسطين فحسب، بل في معظم مناطق الشرق. ففي مصر بدأ عهد الأسرة الثانية عشرة والمملكة المتوسطة، وفي بلاد الرافدين أسست الجماعات الأمورية الكنعانية حكماً جديداً في بابل وما حولها، والتي ينتمي إليها الملك حمورابي. وفي كنعان أعيد تعمير المدن المهجورة وزاد عدد السكان، وكان ذلك واضحاً في المناطق السورية والفلسطينية، كما أعيدت النهضة العمرانية لمختلف المدن الكنعانية، وازدهارها من جديد (السواح، 2002، ص 21).

ويربط عديد من الباحثين التوراتيين وعلى رأسهم وليم أولبرايت William Albright فترة بداية العصر البرونزي المتوسط بأنها تعاصر مرحلة الأنبياء في الكتاب المقدس العبري، خاصة النبي إبراهيم، فهو وعائلته هاجروا من أور في بلاد الرافدين في رحلته الشهيرة، حسب مرويات العهد القديم إلى كنعان، ويقدر التوراتيون تاريخ هذه الرحلة المقدسة ما بين القرنين: العشرين والتاسع عشر قبل الميلاد. ويربط التوراتيون هذا الحدث بالغزو والهجرة الأمورية مع نهاية العصر البرونزي المبكر وبداية العصر البرونزي المتوسط (أولبرايت، 1971، ص 86؛ كفاي، 2019، ص 12). لقد تم تفنيد فرضيات الهجرة والغزو الأموري سابقاً تفصيلاً علمياً قاطعاً. أما بالنسبة لهجرة الأنبياء المذكورة في الكتاب المقدس وخاصة هجرة النبي إبراهيم، فقد نقضها عديد من المؤرخين وعلماء آثار مجدودن، ومن أبرزهم عالما الآثار الإسرائيليان: إسرائيل فinkelstein، ونيل سيلبرمان Neil Silberman، اللذان يؤكدان في كتابهما الشهير (التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها) على التنفيديات العلمية السابقة للغزو الأموري المفترض لكنعان. أما بالنسبة لهجرة النبي إبراهيم، فيوضحان أن تاريخ ذلك الانتقال لا يتطابق مع البيانات التاريخية والتسلسل الزمني للأحداث في تلك الفترة، ويشددان على أن عديداً من علماء الآثار التوراتيين أمثال جوردن ومازار وغيرهم حاولوا جاهدين خلق تواريخ مُفترضة تتوافق مع هجرة النبي إبراهيم، امتدت من البرونزي المتوسط وحتى الحديدي المبكر، ولم ينجحوا في إيجاد أية صلة تاريخية لذلك الانتقال المفترض (فinkelstein وسيلبرمان، 2007، ص 65).

وبالعودة إلى ملامح نهضة كنعان في البرونزي المتوسط، فإن أبرز ملامح تلك النهضة هي نضوج البنى السياسية للمدن الفلسطينية أمثال شكيم (نابلس)، ومجدو (تل المتسلم)، وحاصور (تل القدح) وغيرها، وتعزيز نظام دولة المدينة وتطوره، ومن الضروري الإشارة إلى أن المدن السورية شمال كنعان كانت أكثر تطوراً وامتداداً ونفوذاً، وشكلت دول مدنية مزدهرة سبقت نظيراتها في فلسطين. إلا أن المدن الفلسطينية كانت في خبطى سريعة نحو التطور في مختلف الميادين. فسياسياً رُصد كثير من التحالفات السياسية بين العائلات الحاكمة لتلك المدن، إلا أنها لم تصل إلى درجة تشكيل دولة مركزية في فلسطين أو في عموم كنعان، لكنها شكلت تطوراً سياسياً لافتاً في تلك الفترة. أما على صعيد التجارة الدولية، فقد اكتسبت المدن الفلسطينية مكانة تجارية مهمة، خاصة في التجارة مع بلاد الرافدين ومصر القديمة، كتجارة الزيوت والخمور وغيرها (السواح، 2002، ص 23).

وتوضح وثائق مملكة ماري (تل الحريري) في عديد من وثائق الأرشيف الملكي الأهمية التجارية لبعض المدن الفلسطينية مثل مدينة حاصور (تل القدح) شمال سهل الحولة، شرقي صفد في شمال فلسطين، والتي عدت في فترة البرونزي المتوسط مركزاً حضارياً مرموقاً. وتشير إحدى الوثائق إلى تفاصيل إقامة رسولين من بابل ومرافقيهم في حاصور في أثناء عودتهم من رحلة رسمية، وتعطي هذه الوثيقة مؤشرات حول مكانة حاصور وتطورها. وتظهر وثيقة أخرى الأهمية التجارية لمدينة حاصور، فتوثق حركة ثلاث حمولات قصدير مرسله من عيلام عبر ماري إلى حاصور، وتلك الإرساليات مسجلة باسم ملك حاصور (بيني - أدا)، عدت حاصور ممرّاً تجارياً رئيسياً إلى باقي المدن الفلسطينية وصولاً إلى مصر. وفي تلك الفترة عد معدن القصدير مهماً جداً في صناعة البرونز المتطورة (الشواف، 2006، ص 155).

وشهد العصر البرونزي المتوسط، حسب عديد من الباحثين، هجرات محدودة لمجموعات سكانية إلى كنعان من مناطق متفرقة من الأناضول، عرفت بالهجرات الحورية وذلك في القرن السابع عشر قبل الميلاد، ويعتقد كثير من الباحثين أن الانتماءات العرقية لتلك المجموعات هي هندو - أوروبية. لقد تطور وجود الحوريين، خاصة في مناطق شمال بلاد الرافدين وكنعان، لتشكيل كيان سياسي عرف تاريخياً بمملكة ميتاني في مرحلة لاحقة (السواح، 2002، ص 26). وبالعودة إلى نتائج

الدراسات الجينية المستعرضة سابقاً، فلا يمكن رصد أي تدفق جيني أجنبي كبير في هذه الفترة، ما يعطي مؤشراً إلى أن تلك الهجرة الحورية كانت محدودة جداً، ودون تأثير يذكر.

ورصدت في العصر البرونزي المتوسط تحركات محدودة لمجموعات عرفت تاريخياً بالخايبرو أو العايبرو، ويجمع عديد من الباحثين على أن الخايبرو متعدد العرقيات، وهم أشبه بالمرتزقة، ولم تعرف لهم لغة أو ثقافة محددة، بل عملوا جنوداً وفلاحين وقطاع طرق في مختلف المناطق الكنعانية، وأول المصادر التاريخية التي تشير إليهم هي وثائق ماري (تل الحريري)، كما أشارت إليهم بعض النصوص الحثية بوصفهم جنوداً. أما نصوص اللاخ (تل العطشانة) فأشارت إليهم بوصفهم مجموعات قدمت خدمات للملوك والحكام مقابل أجور نقدية وعينية، وتشير إلى أن مناطق سكن تلك المجموعات كانت مشبوهة وتأوي المطلوبين للعدالة؛ وبذلك عد الخايبرو فئة اجتماعية متدنية، وليس مجموعة إثنية أو عرقية محددة، ولم تحتل أية مرتبة في الهيكل الاجتماعي الكنعاني في فترة العصر البرونزي المتوسط. وهذا ما ينفذ الادعاءات التوراتية بربط العبرانيين القدامى بفئة العايبرو ووجودهم التاريخي في معظم مناطق كنعان (السواح، 2002، ص 27).

وشهدت المرحلة الأولى من العصر البرونزي المتوسط تطوراً ملموساً في العلاقة بين كنعان ومصر، وقد تكون فلسطين - أي جنوب كنعان - تصدرت تلك العلاقة تجارياً وسياسياً، بسبب القرب الجغرافي، وتعد قصة سنوحي هي أولى المصادر التاريخية المصرية التي تتحدث عن فلسطين وكنعان في تلك الفترة، وعدت تلك الوثيقة سيرة ذاتية مدونة للاجئ السياسي مصري، يعود تاريخها إلى 1950 ق. م. وتتخلص تلك السيرة الذاتية بأن ضابطاً مصرياً يدعى سنوحي لجأ إلى جنوب كنعان، أي فلسطين، بعد وفاة الفرعون أمنمحات الأول، وتجول في مختلف مناطق كنعان، واستقر في إحدى ولايات رتنو العليا، وبدأت رحلة لجوئه ابتداء من الدلتا المصرية، فرافق قافلة تجارية عائدة إلى كنعان، وذهب بداية إلى جبيل، لكنه لم يستقر فيها كثيراً بسبب علاقتها الجيدة بالنظام المصري الجديد، ومن ثم انتقل إلى منطقة كيدم، وهي صحراء كنعان، ثم انتقل إلى رتنو العليا في فلسطين. وفي ضيافة ملكها عامي أنشئ الذي عينه والياً على إحدى ولاياته، وتميزت تلك المنطقة التي استقر فيها سنوحي بخصوبة الأراضي، ووفرة الأشجار المثمرة. توثق قصة سنوحي عديد من البيانات والمعلومات التاريخية لكنعان في تلك الفترة، فقد تحدثت عن الكيانات السياسية وأسمائها مثل كيدم، وهي صحراء كنعان الشرقية، وفخو وهي فينيقية، وكوش جنوب فلسطين. وتوضح الوثيقة شكل التنظيم السياسي والاجتماعي في كنعان، ومن ضمنها رتنو، فقد ساد نظام قبلي باقتصاد رعوي. وأشارت إلى الصراعات الداخلية بين القبائل الكنعانية. وتؤكد وثيقة سنوحي أن هناك استقلالاً ذاتياً في المناطق الداخلية لكنعان التي استقبلته لاجئاً سياسياً، على عكس الساحل الكنعاني الذي خضع للنفوذ المصري (طه، 2000، ص 210-211).

أما نصوص اللغات المصرية التي تعود للقرن التاسع عشر قبل الميلاد، فتعد من المصادر التاريخية المصرية المتميزة في توفير المعلومات التاريخية عن كنعان وعلاقتها بمصر، فهي تبين مدى تنامي النفوذ المصري في كنعان، ومدى خضوع الكنعانيين لذلك النفوذ، أو تمردهم عليه. ونصوص اللغات المصرية، أو حاملات اللغات المصرية، هي عبارة عن كسر فخارية اكتشفت في مصر، وأعيد بناء تلك الكسرات، وقراءة ما كتب عليها. وكانت عبارة عن مجسمات أو أواني تحمل كتابات سحرية، يُكتب عليها أسماء الحكام في المناطق التي تقع تحت نفوذ مصر، وكذلك أسماء أعداء مصر، وُثم تحطيمها، ودفن كسرهما لكي تحمل بسحرها هذا الرعب إلى قلوب الأعداء، وتلحق بهم الهزيمة أمام مصر. وتغطي نصوص اللغات معظم مناطق كنعان بما فيها فلسطين، وأعداء آخرين من مناطق أخرى أسيوية، ويستشف من تلك النصوص - أيضاً - مدى تطور المدن وعمرانها في فلسطين مع بداية البرونزي المتوسط، كما وفرت تلك النصوص بيانات مهمة حول أسماء الحكام والمدن والمناطق الجغرافية المختلفة في كنعان. ومن المهم الإشارة إلى أن بعض تلك النصوص أوردت ذكر مدينة أورساليمو (القدس) وبعض حكامها، فتتوافق تلك الفترة مع فترة وصول النبي إبراهيم إلى أور سالم، واستقبال ملكها ملكي صادق له، وحسب المرويات التوراتية وتفسيراتها. وعدّ عديد من الباحثين أن نصوص اللغات المصرية الخاصة بأورساليمو (القدس) فندت ذلك الادعاء التوراتي، فلم تتضمن اسم ملكي صادق بوصفه أحد حكام أور سالم، بل ذكرت حكماً مثل باقير هامو، وسازانو، وأشارت نصوص اللغات إلى المعتقدات الدينية للمجموعات الملعونة، ومن ضمنها الكنعانيون وآلهتهم، وأبرزها بعل (الشواف، 2006، ص 87-90).

وشهدت المرحلة الأولى من العصر البرونزي المتوسط ظهور ملامح لمشروع حضاري كنعاني، نضج وانتشر في العصور اللاحقة، وتتمثل تلك الملامح فيما يعرف بالكتابة السينائية والفلسطينية الكنعانية القديمة، وهي تعد البدايات الأولى للأبجدية الكنعانية التي تطورت فيما بعد، وانتشرت في مختلف أرجاء العالم. وتتخلص تلك الملامح في النقوش الأولى التي اكتشفت في كل من وادي الحول في مصر وسيناء مواقع أخرى في فلسطين مثل لخيش (تل الدوير) والتي تعود إلى القرنين: التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد. هذه النقوش المتأثرة بالكتابة الهيروغليفية، كتبها عمال كنعانيون عملوا في المناجم لاستخراج المعادن الثمينة، سواء في وادي الحول أو في منطقة سربيط الخادم في سيناء ومناطق أخرى جنوب كنعان، وهذه النقوش عبارة عن خطوط ورموز وصور، تمثل بداية لنظام كتابي جديد ومستقل، جرى تطويره في أوغاريت (رأس شمرا شمال غرب سوريا) في القرنين: الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، حيث عرفت بأبجدية أو غاريت، والتي كتبت بالخط المسماري. ومع بداية العصر الحديدي نضجت تلك الأبجدية بشكلها النهائي والتي عرفت بالأبجدية الفينيقية والتي تكونت من اثنين وعشرين حرفاً، وانتشرت في مختلف مناطق العالم القديم، وخاصة في بلاد الإغريق (حلايقة، 2024، ص 49).

ومع حلول القرن الثامن عشر قبل الميلاد، بدأ الضعف والفوضى يتغلغلان في مصر القديمة، خاصة مع نهاية حكم الأسرة الثالثة عشرة؛ الأمر الذي أدى إلى إنهاء النفوذ المصري على فلسطين، وبعد نهاية ذلك النفوذ بدأ يتبلور واقع سياسي

جديد تمثل في ظهور الهكسوس على المسرح التاريخي، وقيام دولتهم. والهكسوس - حسب المصادر الإغريقية المتأخرة - تعني حكام البلاد الأجنبية، ومع بداية فترة الهكسوس تنتهي المرحلة الأولى من البرونزي المتوسط، وتبدأ المرحلة الثانية والتي استمرت حتى 1550 ق.م. وقام الحكام الهكسوس، وهم عبارة عن أرستقراطية عسكرية من أصل آسيوي، بإخضاع مصر وكنعان لحكمهم ليشكلوا الأسرة الحاكمة الخامسة عشرة حسب التسلسل المصري، وقد أسسوا عاصمة لهم سميت أفاريس، شرقي دلتا النيل، وهناك جدل وآراء متضاربة حول تلك الفترة الزمنية، وأصول هذه المجموعة، وكيفية قيامهم بهذا الدور التاريخي الهام (طه، 2000، ص 209-214).

وساد عديد من النظريات في الأدبيات والدراسات الكلاسيكية حول أصول الهكسوس وصعودهم وسقوطهم، واعتمدت تلك النظريات بشكل أساسي على مصدر تاريخي متأخر من الحقبة الهلنستية في القرن الثالث قبل الميلاد، وهو نص المؤرخ المصري مانيثو، الذي أطلق الاسم اليوناني "الهكسوس" وتعني الملوك الرعاة، على أولئك الغزاة، وصور ذلك الغزو على أنه غضب إلهي حل بمصر، وأنهم قاموا بغزو مصر بوحشية وأبادوا أهلها ودمروا مدنهم بلا رحمة. وذهبت تلك النظريات الكلاسيكية باتجاه أن الهكسوس لم يأتوا إلى مصر دفعة واحدة وبغزو مباشر، وإنما بدأوا بالانتقال والهجرة إليها في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، واستقروا ومكنوا أنفسهم فيها خلال خمسين عاماً. وحسب رواية مانيثو، أنهم قاموا بتعيين رئيساً لهم وهو "سالاتيس" الذي قادهم للهجوم على المصريين في مرحلة ضعفهم، وانتصروا عليهم مستخدمين العربات التي تجرها الخيول، والتي لم تكن معروفة في مصر آنذاك. أما أصول الهكسوس، فقد ربط أغلب الباحثين أصولهم وحركتهم بهجرات الشعوب الهندو-أوروبية القادمة من الشمال ما بين 2000-1800 ق.م. وبذلك فإن الهكسوس هم مجموعة مختلطة من عدة أعراق شملت حوريين وكنعانيين وآسيويين وحتى البدو العرب، وكانت تلك المجموعات بقيادة حورية، وقد اعتمد أولئك الباحثون في تحديد ذلك الأصل المختلط على نمط الأسلحة والعربات وأبنيتهم المصممة على شكل "مستطيل"، وألهمهم وسماتهم الشخصية من حيث الشكل والبنية الجسدية، كل تلك العوامل تؤكد أن الهكسوس مجموعة مختلطة من عدة أعراق، وأن نخبتهم وموجههم كانوا من الحوريين الميثانيين. ويجمع أولئك الباحثون على أن امبراطورية الهكسوس التي امتدت من أعالي الفرات في الشمال وحتى بلاد النوبة في الجنوب، بنيت على الحكم بالعنف والإرهاب مستغلين تفوقهم العسكري، ولم تتسم علاقة حكامها بأية صفة إنسانية أو روحية مع محكومياتها، وأن ذلك الاحتلال لم يدم كثيراً بسبب سياسة الاضطهاد والعنف التي رسخوها، وتجاهلهم لإقامة وحدة سياسية ودينية في الأراضي التي يحكمونها؛ الأمر الذي أدى إلى سقوط حكمهم في النهاية (بولس، 2018، ص 88-91).

وفي ظل تطور علوم التاريخ والآثار ظهرت نظريات جديدة تعطي صورة أوضح لماهية الهكسوس، وكيفية ظهورهم على المسرح الدولي وأصولهم الحقيقية، وتفند معظم الفرضيات التي طرحتها الدراسات الكلاسيكية سابقة الذكر. وفي هذا السياق، يطرح عديد من الباحثين أن الهكسوس بالأساس أو بسمتهم الغالبة هم الكنعانيون، وأنهم تاريخياً تواجدوا في منطقة الدلتا أو شمال مصر ما قبل الألف الثالثة قبل الميلاد نتيجة للتفاعل الحضاري المتميز بين مصر وكنعان، خاصة جنوبها فلسطين، وأن الكنعانيين قد شكلوا غالبية السكان في الدلتا المصرية مع حلول العصر البرونزي المتوسط، ويعد ذلك الوجود الكنعاني أو الآسيوي هو القاعدة الأساسية التي انطلق منها حكم الهكسوس (السواح، 2002، ص 24).

إن التنقيبات الأثرية الحديثة شرق دلتا النيل المصرية أظهرت أن النقوش والأختام التي تحمل أسماء حكام الهكسوس تدل على أنهم كنعانيون، وأثبتت أن ظهور الهكسوس في مصر كان عملية تدريجية للهجرة من كنعان إلى مصر، بدلا من كونه حملة عسكرية خاطفة، ومن أهم تلك التنقيبات ما قام به مانفريد بيتاك Manfred Bietak في الموقع الأثري لأفاريس (تل الضبعة) عاصمة الهكسوس، فقد بينت المخلفات الأثرية تأثيراً كنعانياً كبيراً ومتزايداً في الفخاريات والعمارة والقبور في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، في عهد السلالة الخامسة عشرة. وأكدت تنقيبات بيتاك أن الحضور الكنعاني في الدلتا جاء نتيجة لهجرة سلمية تدريجية طويلة الأمد، أدت في النهاية إلى السيطرة الكاملة على تلك المنطقة. تخالف تلك النتائج ما جاء به مانيثو الذي كتب نصه بعد أكثر من 1300 سنة من الحدث نفسه، وأنه على الأغلب قد أسقط على روايته فيما يخص الهكسوس آثار الغزو الآشوري والبابلي والفرسي في القرنين: السابع والسادس قبل الميلاد، وأن ذكريات تلك الغزوات كانت ما زالت حاضرة في زمن مانيثو في القرن الثالث قبل الميلاد، وتؤكد التنقيبات الأثرية في موقع أفاريس (تل الضبعة) انتهاء التأثير الكنعاني بالكامل في القرن السادس عشر قبل الميلاد، وهي الفترة التي انتهى فيها حكم الهكسوس لمصر (فنكلشتاين وسيلبرمان، 2007، ص 88-90).

أما أصل كلمة الهكسوس، وهي مفردة يونانية استخدمها مانيثو في نصه الشهير، وهي تظهر بالصيغة المصرية القديمة (حقاو خوست) وتعني حكام البلاد الأجنبية، وهي تعبير مصري قديم يطلق على النخبة السياسية الحاكمة. استخدمت هذه الكلمة المصرية لقباً لقائد قافلة تجارية كنعانية مصورة على جدران قبر خنوم - حوتب الثاني من عهد الفرعون سنوسرت الثاني من الأسرة الثانية عشرة، في موقع بني حسن، وأطلق عليه (إيشاب حقا خوست)، ومن ذلك الوصف لقائد القافلة، فإن الهكسوس موثق وجودهم في مصر منذ القرن العشرين قبل الميلاد، أي قبل حكم الهكسوس بزمان طويل، وارتبط الهكسوس بشكل كبير بفلسطين وذلك بانتقالهم منها إلى مصر، وأن فلسطين شكلت قاعدتهم الأساسية للدفاع بعد خروجهم من مصر أمام الهجمات المصرية في نهاية حكمهم، وتؤكد كثير من المخلفات الأثرية في المواقع الفلسطينية كالجعلان والمدافن والتحصينات الدفاعية على ارتباطهم بفلسطين، حتى إن عاصمتهم أفاريس أقاموها بالقرب من فلسطين (حلايقة، 2024، ص 331-332). ومع حلول عام 1720 ق.م. سيطر الكنعانيون بشكل كامل على منطقة الدلتا وعلى معظم مراكز القيادة المصرية كالقلاع والحصون، والتي كانت مهجورة أصلاً بسبب حالة الفوضى والتخبط التي عاشتها مصر مع نهاية حكم الأسرة

الثالثة عشرة. وعين الكنعانيون في الدلتا ملكاً لهم، معلنين قيام دولة الهكسوس لتضم مصر وبلاد كنعان (سوريا وفلسطين)، وحكموا دولتهم تلك من عاصمتهم أفارس (تل الضبعة). إن أكثر ما تميزت به دولة الهكسوس هو التفوق العسكري المتمثل في استخدام تقنيات حربية جديدة مثل العربية التي تجرها الخيول. تعود تلك المهارات والأساليب الحربية المبتكرة لفئة الماريانو، وهي ارسناتية عسكرية كنعانية استعان بها حكام الهكسوس الكنعانيون في إقامة دولتهم وتثبيت حكمهم مقابل منحهم الأراضي الزراعية. وينسب — أيضاً — للهكسوس إدخال نمط جديد متطور للتحصينات الدفاعية للمواقع والمدن في مختلف المناطق التي حكموها، خاصة فلسطين، ويتمثل هذا النمط في إقامة أسوار دفاعية متينة على قاعدة أو دكة مائلة محاطة بخندق مائي، إلى جانب الأبراج ومرافق أخرى دفاعية حول المدينة. وعدت من المميزات البارزة عمرانياً وعسكرياً للمرحلة الثانية من العصر البرونزي المتوسط (حلايقة، 2024، ص 334).

وخلافاً لرواية مانيثو والدراسات الكلاسيكية، فإن الهكسوس أثروا وتأثروا بشكل كبير في علاقة إنسانية وروحية مع المصريين، فقد عبدوا الآلهة المصرية مع استحضار بعض أنماط الآلهة الكنعانية، مثل (عنات) التي أصبحت مشهورة وانتشرت عبادتها في مصر. وأدخل الهكسوس العربات التي تجرها الخيول إلى مصر، والتي عرف اسمها بكنعانية الهكسوس بالمركية، وهو الاسم الذي يرد في نصوص أوغاريت. وجلب الهكسوس الكنعانيون — أيضاً — إلى مصر معدن البرونز وصناعة الفخار وصناعة النسيج، وازدهرت التجارة في عهدهم خاصة مع جزر المتوسط وبلاد الرافدين والأناضول، واتسمت فترتهم بالرخاء والازدهار. ومن أشهر ملوك الهكسوس الكنعانيين إلى جانب الملك سالياتاس، كل من ماتى بري، أفوفيس الأول، وأفوفيس الثاني، وميروسير بعل، ويعقوب حر، وأميني، وغيرهم، واتخذ أولئك الملوك لقباً مصرياً إلى جانب الاسم الكنعاني، وتلك العادة أخذوها من الفراعنة المصريين قبلهم، فعلى سبيل المثال، اتخذ أشهر ملوك الهكسوس الكنعانيين سالياتاس لقباً مصرياً وهو سه-خاين-رع، والذي في العادة يكون اللقب هو تعبير عن دعم الإله المصري رع لذلك الملك وتأييد له (مقدسي، 2011، ص 354-356).

وانتهى حكم الهكسوس في مصر بطريقة تدريجية عبر فترة زمنية طويلة، ولم يكن الفراعنة المصريون في طيبة جنوب مصر (مصر العليا)، على رضا من وجود الهكسوس وعلاقتهم بهم، وخضوعهم للهكسوس ودفعهم للجزية والضرائب رغم تمتعهم بما يشبه الحكم الذاتي، وسبب ذلك لهم الشعور بالإهانة، وحفزهم عبر جيل كامل للسعي لإخراج الهكسوس من بلادهم، إلى أن جاء الفرعون أحمس من الأسرة الثامنة عشرة (1570 – 1545 ق. م.) وقام بهزيمة الهكسوس وإخراجهم من مصر عام 1550 ق. م. وطاردهم إلى شاروحيين أو تل العجول (مدينة غزة جنوب فلسطين)، وهزمهم بعد حصار للمدينة دام ثلاث سنوات. لقد وثقت حملة أحمس وهزيمته للهكسوس في مصر وفلسطين في نقش شهير على قبر ضابط يدعى أحمس، شارك في حملة الفرعون أحمس الأول على الهكسوس، ويظهر هذا التوثيق سير الحملة بما فيها حصار شاوحيين (طه، 2000، ص 219-220).

ويجمع معظم العلماء والمؤرخون على أن سنة 1550 ق. م. تعد نهاية العصر البرونزي المتوسط (عصر التمدن الثاني)، وهي فترة انهيار حكم الهكسوس، وتحرر مصر وعودة الحكم لطبقة المصريين، وتأسيس الأسرة الثامنة عشرة على يد الفرعون أحمس. ورغم دمار بعض المدن جراء الحروب الهكسوسية المصرية خاصة في فلسطين، فإنها تعاود النهوض من جديد، وتتخذ لنفسها سمات حضارية مجدداً في إطار جديد، حمل عنوان الوصاية المصرية على مقاطعة كنعان بما فيها فلسطين (إبراهيم، 2010، ص 187).

4. الخاتمة

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات التي تعيد النظر في عديد من الفرضيات التاريخية التقليدية حول الكنعانيين وعصري التمدن: الأول والثاني، مستنداً إلى الأدلة الحديثة والتي وفرتها التقنيات الأثرية الأخيرة، ونتائج الدراسات الجينية وبيانات علوم المناخ والبيئة، وكان من أبرز هذه النتائج:

- إن الكنعانيين شعب يشكل مجموعة اثنية محددة، ذات انتماء عرقي منسجم وأصيل مستمد من أجدادهم النطوفيين ومن قبلهم، فالجينات النطوفية تشكل النسبة الأكبر في التركيب الجيني للكنعانيين، مع وجود إسهامات جينية فرعية منسجمة من شمال بلاد الرافدين والأناضول، ويعد الكنعانيون، كأجدادهم النطوفيين، من شعوب البحر الأبيض المتوسط، أو الشعوب المتوسطية، وأنهم طوروا ثقافة مادية مورثة من أجدادهم النطوفيين عبر الأجيال، لتشمل النواحي الاجتماعية والدينية والاقتصادية في حياتهم كافة، وأنهم نما وتطوروا في الأراضي التاريخية التي سكن فيها أجدادهم، وهي كنعان أو منطقة بلاد الشام حالياً.
- إن كل تلك التسميات، كالأموريين والكنعانيين والفينيقيين والآراميين والفلسطينيين والأدوميين والمؤابيين وغيرها، التي أطلقت على شعوب المنطقة منذ البرونزي المبكر وحتى العصر الحديدي وما بعده، على الأغلب تعود لشعب واحد ومجموعة اثنية محددة، وأن جزءاً من هذه التسميات، وخاصة التي شاعت في العصر الحديدي، جاءت نتيجة قيام مجموعات كنعانية بتطوير هويات ثقافية ولغوية فرعية لها، وأن الكنعانيين لم يتعرضوا للإبادة الشاملة أو الانقراض كما يدعى، وإنما بقيت سماتهم الجينية الغالبة سائدة في شعوب بلاد الشام المعاصرة (سوريا، وفلسطين، ولبنان، والأردن)؛ وذلك لأنه من غير المعقول أن يستطيع من تعرض للإبادة توريث جيناته بمثل هذا التسلسل المحكم والمنسجم ليصل إلى الوقت الحاضر.

- إن لأصول مفردة كنعان وكنعاني مدلولاتها الخاصة، فأصبح من المنطقي والمقبول تبني تلك الفرضية حول علاقة تلك المفردة بالصيغة الأرجوانية، خاصة للباحثين الفلسطينيين اعتماداً على دراسات علمية سابقة، مع ضرورة استبعاد الفرضيات كافة والتي طرحها من خلال الأدبيات والدراسات المتأثرة بالفكر التوراتي، خاصة الفلسطينية منها.
- إن ملامح التطور الحضاري خلال عصري التمدن: الأول والثاني كان تطوراً محلياً طبيعياً، ولقد انعكس على مختلف الميادين وبشكل أساسي على بناء المدن وتحصينها، التي شكلت نواة أساسية لما عرف بنظام دولة المدينة والتي اعتبرت مراكز حضارية متقدمة، رعت استقرار المجتمعات الكنعانية فيها وتمدها وازدهارها.
- في ضوء تطور علوم التاريخ والآثار والعلوم ذات الصلة، خاصة علوم البيئة والمناخ، وعلوم الجينات والهندسة الوراثية فقد عززت - بشكل كبير - فرضية الكارثة البيئية والمناخية سبباً رئيسياً لانهايار عصر التمدن الأول، مع نهاية العصر البرونزي المبكر، وفي الوقت نفسه تقدم تقنيات علمية محايدة للدعوات التوراتية حول الغزو الخارجي، وهجرات الأقوام الأجنبية إلى فلسطين وعموم كنعان. وتقدم نتائج الدراسات الجينية - أيضاً - دعماً علمياً قوياً لتلك التقديرات، فالتركيبة الجينية لسكان فلسطين وعموم كنعان لم تتغير، وحافظت على انسجامها منذ العصر البرونزي المبكر وحتى العصر الحديدي وما بعده، ولم ترصد أية تدفقات جينية أجنبية كبيرة تذكر قد أحدثت خللاً في تلك التركيبة الجينية السائدة، وذلك بطبيعة الحال لا يشمل التفاعلات الجينية الحضارية الطبيعية الناجمة عن علاقات الشعوب وتفاعلها السلمي في ميدان التبادل التجاري وغيره.
- إن الكنعانيين في بعض الظروف الاستثنائية مثل الكوارث المناخية والبيئية، قد أحدثوا تغييراً طفيفاً وسطحياً في بعض ملامح ثقافتهم المادية بمختلف تفرعاتها، وهذا الأمر يعطي مؤشراً قوياً إلى مدى قدرتهم في التأقلم والتكيف مع أفسى الظروف التي يواجهونها. ولا يمكن تفسير ذلك التغيير بأنه نابع من هوية ثقافية مستقلة لجماعات غازية أو مهاجرة إلى فلسطين وعموم كنعان.
- إن الكنعانيين في أقصى تطور حضاري وصلوا إليه، قد أقاموا دولة الهكسوس التي تميزت بلعب دور حضاري بارز في العصر البرونزي المتوسط، وكان لهذا الدور تأثير عميق في ترسيخ قيم ومفاهيم جديدة في السياسة والحكم ونمط الدولة المركزية للأمم الأخرى. رغم أن بعض الباحثين يرون أن الكنعانيين لم ينشئوا دولة مركزية في تاريخهم، وأن أقصى تنظيم سياسي لهم كان نظام دولة المدينة، فإن ظهور دولة الهكسوس يفند تلك الآراء، فدولة الهكسوس دولة مركزية كنعانية بامتياز، ذات نمط إمبراطوري، امتدت أراضيها عبر قارتي آسيا وإفريقيا لتشمل ليس فقط الجغرافية الكنعانية وما حولها في آسيا، بل تمتد إلى الجغرافيا المصرية حتى بلاد النوبة والسودان في إفريقيا، واستمرت لأكثر من مئة وخمسين عاماً، وتعد من أبرز ملامح عصر التمدن الثاني وأعظمه.
- ويقدم البحث توصيات محددة يمكن الاستئناس بها خاصة في مجال تعزيز البحث العلمي التاريخي بالاستناد إلى علوم جديدة تقدم قراءات علمية غير تقليدية لمختلف الفترات الزمنية لتاريخ فلسطين القديم، ويمكن صياغة هذه التوصيات على النحو التالي:
- قيام الباحثين باعتماد معايير علمية حديثة غير تقليدية لتطوير العمل البحثي التاريخي، وتركيز تلك المعايير الحديثة في استثمار أية إمكانيات متاحة للاستفادة من العلوم الأخرى لتعزيز ذلك العمل البحثي.
- دعوة الباحثين الفلسطينيين، وخاصة الشباب منهم، إلى اعتماد منهج علمي متكامل، يستند إلى معايير ذات مصداقية علمية عالية، لتكون نواة لما يمكن تسميته مشروعاً تأسيسياً لمدرسة علم الآثار الفلسطيني.
- أهمية قيام الباحثين، وخاصة الفلسطينيين منهم، بتقديم أبحاث نقدية للدراسات الكلاسيكية، وخاصة التوراتية منها لتفنيد الفرضيات غير العلمية التي روجت لها تلك الدراسات.
- ضرورة قيام الجهات المختصة ذات العلاقة، خاصة في فلسطين وعلى رأسها المكتبات العامة بمختلف تصنيفاتها، بإجراء مراجعة وتقويم شاملين ضمن خطة علمية محددة لعديد من الأدبيات والدراسات الكلاسيكية والتي تصنف مراجع ثابتة ذات مصداقية عالية، ووضع آلية للتعامل مع تلك المراجع.

5. المصادر والمراجع

5.1 المراجع العربية

- أولبرايت، وليم (1971)، آثار فلسطين، ترجمة الدكتور زكي إسكندر والدكتور محمد عبد القادر محمد، ط1، القاهرة، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- إبراهيم، معاوية (2010)، دراسات في آثار فلسطين، عمان، الأردن، دار البركة للنشر والتوزيع.
- حلايقة، عصام (2024)، التراث اللغوي الكنعاني المكتوب من فلسطين، ط1، رام الله، فلسطين، المكتبة الوطنية الفلسطينية بولس، جواد (2018)، الموسوعة التاريخية: شعوب الشرق الأدنى وحضاراته تاريخ مقارن منذ الأصول حتى يومنا. الجزء الأول، ط2، بيروت، لبنان، دار سائر المشرق للنشر والتوزيع.
- تومبسون، توماس (1995)، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة: صالح علي سوداح، ط1، بيروت، لبنان، بيسان للنشر والتوزيع زودن، فون (2003)، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، ط1، دمشق، سوريا، دار المدى للثقافة والنشر.

السواح، فراس (2002)، أرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، الطبعة الخامسة، دمشق، سوريا، علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة

شعبان، تغريد (2013)، ممالك سوريا القديمة: مكتبة أبيلا وبلاد الشام، ط1، دمشق، سوريا، دار صفحات للنشر والتوزيع

الشواف، قاسم (2006)، فلسطين التاريخ القديم الحقيقي منذ ما قبل التاريخ حتى الخلافة العباسية، ط1، بيروت، لبنان، دار الساقى

طه، حمدان (2000)، العلاقات ما بين مصر وكنعان في العصر البرونزي، المؤتمر الخامس عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، دمشق، سوريا، 2000، المنظمة العربية للتربية والثقافة.

فنكلشتاين، إسرائيل وسيلبرمان، نيل أشر (2007)، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ترجمة سعد رستم، ط1، دمشق، سوريا، صفحات للدراسات والنشر.

كفافي، زيدان، (2019)، فلسطين خلال العصر الحديدي الأول نحو 1000-1200 ق.م. دراسة مقارنة بين الروايات التوراتية والبيانات الأثرية، مجلة أدوماتو.

مقدسي، فايز، (2011)، الهكسوس في التاريخ، مجلة المعرفة، مجلد 50 (576)، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، سوريا. ص 348-357

مناصرة، عز الدين (2013)، فلسطين الكنعانية (قراءة جديدة في تاريخ فلسطين القديم)، عمان، الأردن، الصايل للنشر والتوزيع.

الهودلية، صلاح (1992)، أنظمة الدفاع في دويلات المدن في شمال الأردن وفلسطين خلال العصر البرونزي القديم، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن.

5.2 رومنة المراجع العربية

- Albright, W. (1971). The Archeology of Palestine (in Arabic). (1st ed). Egypt, Higher Council for Islamic Affairs.
- Boulos, J. (2018), The Historical Encyclopedia: The Peoples and Civilizations of the Near East: A Comparative History from the Origins to the Present Day (in Arabic). Part One, 2nd ed., Beirut, Lebanon, Dar Saer Al-Mashreq Publishing and Distribution.
- Al-Houdaliyya, S. (1992). Defense Systems in City-States in Northern Jordan and Palestine during the Early Bronze Age (in Arabic), Master's Thesis, Yarmouk University, Jordan.
- Al-Sawah, F. (2002), Aram Damascus and Israel in History and Biblical History (in Arabic), Fifth Edition, Damascus, Syria, Aladdin Publishing, Distribution, and Translation.
- Al-Shawaf, Q. (2006), Palestine: The True Ancient History from Prehistory to the Abbasid Caliphate (in Arabic), 1st ed., Beirut, Lebanon, Dar Al-Saqi
- Finkelstein, I. & Silberman, N. (2005). *The Bible Unearthed* (in Arabic). (1st ed). Syria: Safahat for Studies and Publishing.
- Halayqa, I. (2024), The Written Canaanite Linguistic Heritage of Palestine (in Arabic), (1st ed.), Ramallah, Palestine, Palestinian National Library.
- Ibrahim, M. (2010), Studies in the Archaeology of Palestine (in Arabic), Amman, Jordan, Dar Al-Barakah Publishing and Distribution.
- Kafafi, Z. (2019), Palestine during the Iron Age I (circa 1000-1200 BC): A Comparative Study between Biblical Narratives and Archaeological Data (in Arabic), Adumatu Journal.
- Manasra, I. (2013), Canaanite Palestine (A New Reading in the History of Ancient Palestine) (in Arabic), Amman, Jordan, Al-Sayel Publishing and Distribution.
- Maqdisi, F. (2011), The Hyksos in History (in Arabic), Al-Ma'rifa Journal, Volume 50, Issue 576, Ministry of Culture and Guidance, Damascus, Syria, pp. 348-357.
- Shaaban, T. (2013), Ancient Kingdoms of Syria: The Library of Ebla and the Levant (in Arabic), 1st ed., Damascus, Syria, Safahat Publishing and Distribution
- Soden, W. (1908). Introduction to the Civilizations of the Ancient East (in Arabic). Translated by Donald, G. Schley. Michigan: William B. Eerdmans Publishing Company Grand Rapids.
- Taha, H. (2000), Relations between Egypt and Canaan in the Bronze Age (in Arabic), 15th Conference on Archaeology and Cultural Heritage in the Arab World, Damascus, Syria, 2000, Arab League Educational, Cultural and Scientific Organization
- Thompson, T. (1995). The Ancient History of the Israelite People (in Arabic). (1st ed). Lebanon: Bissan. Publishing and Distribution.

5.3 المراجع الأجنبية

- Agranat-Tamir, L et al.(2020), The genomic history of the Bronze Age southern Levant. Cell 181.5 p 1146 - 1147

- Haber, M, et al.(2017), Continuity and admixture in the last five millennia of Levantine history from ancient Canaanite and present-day Lebanese genome sequences. The American Journal of Human Genetics 101.2,
- Harney, É, et al (2018). Ancient DNA from Chalcolithic Israel reveals the role of population mixture in cultural transformation. Nature communications 9.1, p 8-9.

New Readings in the First and Second Urbanization Eras of the Ancient History of Palestine - From City Construction to the Establishment of the Canaanite Hyksos Empire

Faisal Zakarneh

Independent researcher, science and archaeology

Corresponding Author: faisalz2012@yahoo.com

Received: 14/5/2025. Revised: 22/5/2025. Accepted: 22/9/2025. DIO:

Abstract

Objectives: The research provided a new reading that proposed a precise identification of the Canaanites based on genetics and genetic engineering and dealt with the most prominent features of their material and immaterial civilization that set the basis of the first and second eras of urbanization in Palestine. The research refuted the alleged biblical claims about some historical events that distorted the history of that period, the most important of which is the Amorite invasion or migration to Palestine and the entire Canaan, and the accompanying alleged migration of the Prophet Abraham and his family that deemed to be the beginning of biblical history. The research also focused on the development and maturity of the Canaanite political structures, resulting in the establishment of a Canaanite empire that represented the first central state for the Canaanites in the region, the Hyksos state. This refuted the views of many researchers about the inability of the Canaanites to establish their own central state, and the decline of their political experience in the city-state system. **Methodology:** The research adopted the historical and descriptive analytical methods, analyzing historical narratives and scientific criticism to reveal distortions, alongside a new methodology based on genetic studies and environmental and climate sciences, providing modern and neutral readings. **Results:** The research contributes to providing a new integrated vision about the Canaanites and their prominent role in that period, based on scientific evidence resulting from modern archaeological excavations, neutral historical data, in addition to the results of genetic studies, environment and climate sciences. All these new readings provide a comprehensive realistic scene of the first and second eras of urbanization as a milestone in the ancient history of Palestine.

Keywords: Canaanites, history of ancient Palestine, genetic studies, first urbanization, second urbanization, Hyksos



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تستخدمها معلمات في المدارس الحكومية في مديرية رام الله والبيرة، ومجالات توظيفها في العملية التعليمية التعلمية

نور كرزون¹

¹مديرية التربية والتعليم، وزارة التربية والتعليم، فلسطين
الباحث المراسل: noor.karzoun@gmail.com

Received: 17/7/2024. Revised: 2/9/2024. Accepted: 5/10/2025. Published: 30/06/2026
DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.9

الملخص

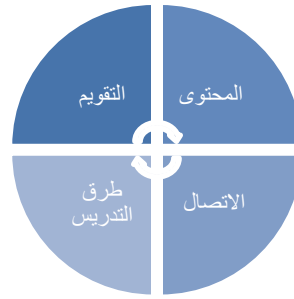
هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف إلى تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تستخدمها معلمات في المدارس الحكومية، في مديرية رام الله والبيرة، واستكشاف مجالات توظيفها في العملية التعليمية التعلمية. ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم التصميم الكيفي، وبشكل محدد المنهج الوصفي النوعي، من خلال إعداد استبانة مفتوحة الأسئلة، وشاركت في الدراسة خمس معلمات من مدارس المديرية، وذلك بعد التحقق من صدق الأداة وثباتها. وأظهرت النتائج أن توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية يتوزع على خمس مجالات، وهي: المحتوى، والتقويم، وطرق التدريس، والتواصل، والتخطيط. كما أظهرت النتائج أن أكثر التقنيات التي توظفها المعلمات هي: الروبوتات التعليمية، والواقع الافتراضي، والواقع المعزز، والمنصات التعليمية المدعومة بالذكاء الاصطناعي. وبيّنت النتائج - أيضاً - أن توظيف التقنيات في مجال المحتوى يتم من خلال عرض المحتوى التعليمي، وإعداده من خلال المنصات الافتراضية، وأن توظيف التقنيات في مجال التقويم يتم من خلال التقويم التشخيصي، والتقويم الآلي، وإنشاء الاختبارات الإلكترونية، وتقديم توجيهات شخصية. وأن توظيف التقنيات في مجال طرق التدريس يتم من خلال المحاكاة، والتعليم الإلكتروني، والتعليم التفاعلي، والتعليم المخصص. واقتصر توظيف التقنيات في مجال التواصل على الرد الآلي، ومنصات التواصل الاجتماعي. وفي ضوء النتائج، أوصت الدراسة بتوسيع استخدام تقنيات التعليم الافتراضي، والواقع المعزز، والروبوتات التعليمية، والمنصات التعليمية المدعومة بالذكاء الاصطناعي في مدارس مديرية رام الله والبيرة، مع ضرورة تطوير البنية التحتية، وتدريب المعلمين على توظيف هذه التقنيات بفعالية. كما أوصت بتوفير الدعم اللازم لتفعيل الروبوتكس، وأنظمة التدريس الذكية، والأنظمة الخبيرة في العملية التعليمية التعلمية في مدارس المديرية.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، العملية التعليمية التعلمية، تقنيات، التعليم.

1. المقدمة

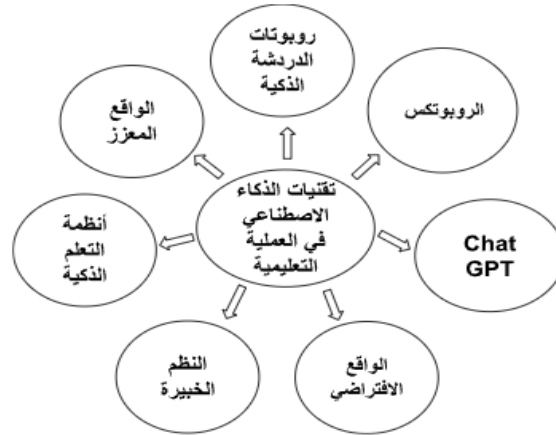
أتاحت التطورات التكنولوجية المتسارعة في مجال الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence (AI) كثيراً من الفرص والإمكانيات، وفرضت التقنيات الرقمية التي وفّرها هذا المجال تحديات جديدة في الممارسات اليومية، أدت إلى تحديث طرق الحصول على المعلومات، وطرق الاتصال والتواصل (خليدة، 2023). وتتبع أهمية هذه التطورات من كون الذكاء الاصطناعي يُعد أحد أبرز المجالات البحثية التي سعت منذ منتصف القرن العشرين إلى محاكاة الذكاء البشري بواسطة الآلات، وتعود جذوره إلى مؤتمر كلية دارتموث في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1956م، الذي يعد الانطلاقة الرسمية لهذا الحقل العلمي (تره، 2021). حين وضع العالم الأمريكي جون مكارثي الأسس الأولى لهذا المجال، وصك هذا المصطلح خلال هذا المؤتمر، وعرفه بأنه علم صناعة الآلات الذكية وهندستها، وخاصة برامج الحاسوب الذكية (الفرماوي، 2021). ومع تزايد الاهتمام في استكشاف

هذه القدرة لدى الآلات، وتراكم الجهود البحثية والعلمية، وتطور برامج الحاسوب ومعالجة المعلومات، تم تطبيق الذكاء الاصطناعي في مجال التعليم، وأتاحت تقنياته الذكية إمكانيات واسعة، أدت إلى انتشارها على نطاق واسع في الممارسات التعليمية، ما أدى إلى تمهيد الطريق لتطوير أنظمة التدريس الذكية، والروبوتات التعليمية، والتطبيقات التفاعلية بين الإنسان والحاسوب (Ouyang and jiao, 2021). وأصبحت هذه الأنظمة التكنولوجية بما تعتمد عليه من تقنيات ذكية تساهم في دعم عملية التعليم في مجالات عدة، لتقدم تعلمًا أكثر تفاعلية وتخصيصًا وكفاءة، وتساهم في تمكين المعلمين من بناء دافعية طلابهم والحفاظ عليها، وتهيئة بيئات تعلم نشطة، وإعداد مصادر تعلم مختلفة، وأداء الوظائف الإدارية المختلفة، مثل مراجعة الواجبات وتصنيفها بشكل أكثر فعالية وكفاءة، وتحقيق جودة أعلى في أنشطتهم التعليمية (Pardamean et al, 2022). إلى جانب تسهيل تعلم الطلاب، وتيسير استخدام التعلم المستقل (Adams et al., 2023). ونظرًا لاستفادة الأنظمة التعليمية من التقنيات الذكية وما تنتجه من إمكانيات التعلم الآلي والقدرة على التكيف، فقد تم تخصيص المناهج والمحتوى بما يتماشى مع احتياجات الطلبة، ما عزز الاستيعاب والاحتفاظ بالمعلومات، وتحسين تجربتهم التعليمية، والجودة الشاملة للتعلم، وذلك لقدرة هذه التقنيات على تحليل بيانات الطلبة، وتحديد نقاط القوة والضعف لديهم، بما يعزز فاعلية العملية التعليمية في مجالاتها المختلفة (chen et al., 2020). ويعبر الشكل رقم (1) عن المجالات الرئيسية لتوظيف التقنيات الذكية في العملية التعليمية.



الشكل 1: مجالات توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية، الخيري، 2020، ص 124

يمثل الشكل رقم (1) مجالات توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية التي أوضحتها الخيري (2020)، وهي: المحتوى، وطرق التدريس، والتقييم، والاتصال والتواصل. ويوفر الذكاء الاصطناعي في كل من هذه المجالات مجموعة من الإمكانيات، فعلى سبيل المثال، تقدم تقنياته الذكية في مجال عرض المحتوى التعليمي الوثائق السمعية والبصرية الحديثة، ووسائل تعليمية تيسر للمتعلم استخدام المحاكاة لمفاهيم ومعارف يصعب بالفعل ممارستها في الصف (المهدي، 2021، ص 137)، كما توفر تطبيقاته دورات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات ضمن نظام STEM (Zafari et al., 2022)، إلى جانب إنتاج البرامج التعليمية والتدريسية لكتب المناهج القادرة على التفاعل والتحاور مع الطلبة (الفرماوي، 2021). وفي مجال طرق التدريس، تعزز تطبيقات الذكاء الاصطناعي طرق التدريس المبتكرة؛ فهي تساهم في تحويل العملية التعليمية من اتباع النمط التقليدي إلى النمط التفاعلي والمخصص (Middle East Professional Learning Initiative, 2023) وتوفر منصات ذكية للتعلم عن بعد، وطرقًا جديدة للتفاعل مع المعلومات، تعمل على تيسير التعلم المخصص والتعلم الشخصي المرتكز على الطلبة (تره، 2020; Ouyang and jiao, 2021)، فضلًا عن أنها تقدم روبوتات المساعدين والمدرسين الروبوتات، والفصول الذكية، والتعليم الفردي (لويس والعرب، 2023، ص 6). كما يمكن استخدام هذه التقنيات في مجال التقييم لتحليل إجابات الطلبة، وتقديم تقارير مفصلة للمواد الدراسية، واختبارات عن بعد بأنظمة رقابية (الخيري، 2020)، وتمكن المعلمين من توليد الأسئلة، كما تلعب دورًا في التقييم الفوري للطلبة ورصد إجاباتهم، لمساعدتهم على تطوير أدائهم المدرسي، وتقديم التغذية الراجعة الفورية والمستمرة لهم (شحاتة، 2022، ص 208). وفي مجال التواصل يساهم الذكاء الاصطناعي في تعزيز طرق الاتصال والتواصل بين المتعلمين، لمعالجة القضايا التعليمية من خلال التعلم المباشر، مع المعلم من جهة، وبالتعاون مع الزملاء من جهة أخرى (Ouyang and jiao, 2021). كما يساهم أيضًا - في تقديم منصات تعليم ذكية للتعلم عن بعد (تره، 2020)، ويوفر المشاركة المحسنة (Middle East Professional Learning Initiative, 2023)، وتساهم تقنياته الذكية في إنتاج برامج تعليمية وتدريبية للمقررات التعليمية قادرة على التفاعل والتحاور مع الطلبة (الفرماوي، 2021). وفي السنوات الأخيرة، تعددت تقنيات الذكاء الاصطناعي المستخدمة في قطاع التعليم، وتسارع ظهورها بشكل كبير. وفي الشكل رقم (2) بعض التقنيات التي يمكن توظيفها في المجالات المختلفة للعملية التعليمية:



الشكل 2: تقنيات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية

ويوضح الشكل رقم (2) مجموعة من تقنيات الذكاء الاصطناعي التي يمكن توظيفها في المجالات المختلفة للعملية التعليمية التعليمية، وهي: أنظمة التعلم الذكي، والروبوتكس، والنظم الخبيرة، وروبوتات الدردشة الذكية، والواقع المعزز، والواقع الافتراضي، ChatGPT. وفيما يلي عرض لتلك التقنيات، وكيفية توظيفها:

- أنظمة التعلم الذكية (Intelligent Tutoring Systems): وهي أنظمة حاسوبية مصممة لدعم التعليم وتحسينه وتيسير التعلم بطريقة مجدية وفعالة، ليتم من خلالها استخدام تقنيات الحوسبة والذكاء الاصطناعي التي تعمل على تتبع أعمال الطلبة وإرشادهم، وتحديد نقاط القوة والضعف الموجودة لديهم، وتقديم الدعم اللازم لهم في الوقت المناسب (الخبيري، 2020، ص 138). ويعد التعلم الآلي من أنظمة التدريس الذكي التي تم اختبارها على الطلبة، والتي أثبتت أنها تسهل التعلم وترفع كفاءة العملية التعليمية، خصوصا في مجالات الرياضيات والعلوم والتكنولوجيا (العزل وآخرون، 2021، ص 41-42).
- الروبوتكس (Robotics): ويعد واحدا من أكثر تطبيقات الذكاء الاصطناعي تقدما، فهو يهتم ببناء هياكل مادية تعمل وفقا لمنطق بشري، ويمكن برمجتها أو توصيلها بالحاسب الآلي لتأدية مهام معينة (الطوخي، 2021). ويستخدم الروبوت في توظيف استراتيجيات تعليم تتمركز حول المتعلم، مثل: التعلم التعاوني، والتعلم الذاتي، والمناقشة، وحل المشكلات، والاكتشاف، واستخدام الألعاب التعليمية (الشامي، 2020، ص 178). ويلعب دورا بارزا في نمو المهارات المختلفة لدى الطلبة، وفي تحسين الدافعية، وإثارة الاهتمام للتعلم، ورفع التحصيل الدراسي (أحمد، 2023، ص 11). ونتيجة لأهمية الروبوت في تنمية قدرات الطلبة ومهارات التفكير العليا، فإن وزارة التربية والتعليم الفلسطينية تتبنى استخدامه ضمن منحنى STEM في التعليم، ليشكل الروبوت إحدى زوايا هذا المنحنى، بهدف تمكين الطلبة من تطوير نظام تكنولوجي مادي لأداء مهمة معينة تختصر الوقت والجهد، وذلك من خلال تعزيز قدراتهم في برمجة الروبوت، ما يتيح تسخيرها في اتخاذ قرار أو أداء مهمة، إلى جانب تمكينهم من بناء الجانب الميكانيكي والدوائر الكهربائية والإلكترونية (وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، 2022).
- روبوتات الدردشة التفاعلية (Chat bots): وتعد من التطبيقات البرمجية المحفزة على التعلم، والتي تم ابتكارها بهدف محاكاة لغة التفاعل البشري الذكية، من خلال النص أو الخطاب، ويمكن استخدامها أداة للتعلم أو للوصول إلى نظام للمعلومات، ومن فوائد استخدامها في العملية التعليمية: أنها توفر الوقت للعمل مع الطلبة بشكل أكبر، والتأكد من مدى استيعابهم للمحتوى التعليمي، ومساعدتهم على تكيف ونيرة تعلمهم وفقا لاحتياجاتهم، كما تمكنهم من الوصول إلى المحتوى التعليمي بنقرة واحدة في أي زمان ومكان (مطر، وصالح، 2021).
- نشات جي بي تي (ChatGPT): والذي يُعد نوعا من نماذج لغة GPT (المحولات التوليدية المدربة مسبقاً) التي تم تدريبها خصيصاً لإنشاء نص استجابة لمدخلات اللغة الطبيعية، وهو مصمم لمحاكاة المحادثة البشرية، ويمكن استخدامه في برامج الدردشة الآلية، والمساعدات الافتراضيين، وأدوات ترجمة اللغة. ويعد ChatGPT أداة قوية تغير طريقة التفاعل مع التكنولوجيا، وتتيح تواسلاً طبيعياً وبديهياً أكثر بين البشر والآلات، ويتم استكشاف استخدامه في التعليم وسيلة لتعزيز تعلم الطلاب ومشاركتهم، وأداة لمحاكاة المحادثات الواقعية، وتزويد الطلبة بتعليقات فورية حول قواعد اللغة والمفردات الخاصة بهم، ومساعدتهم على تحسين مهاراتهم في الكتابة (Božić and Poola, 2023).
- الواقع الافتراضي (VR): تمتلك تكنولوجيا الواقع الافتراضي القدرة على تنمية التعلم الذاتي المتمركز حول الطالب، عن طريق استكشاف عالم أقرب للواقعية وأكثر تفاعلية (شاهين، 2023). وتمكن هذه التقنية الطالب من خوض تجارب مختلفة

مثل زيارة أماكن افتراضية وهو جالس في مكانه عبر أجهزة خاصة تساعده في الاندماج بشكل كلي، إما من خلال نظارات الواقع الافتراضي، أو من خلال وحدات تحكم مع استشعار الحركة، بما يساهم في تنمية قدرات المتعلم، وتمنحه القدرة على إدراك بعض البيانات العلمية المعقدة التي يصعب فهمها بالأبعاد الثنائية، مثل التعرف إلى المجموعة الشمسية (مختار، 2022).

● الواقع المعزز (AR): ويعرف بأنه نظام يدمج بيانات الواقع الافتراضي مع البيانات الواقعية باستخدام تقنيات وأساليب خاصة تضفي جو المتعة إلى التعلم، وتساهم في اكتشاف المتعلمين للمعلومات بأنفسهم، وتزيد من إبداعهم وقدراتهم التخيلية (الخير، 2020). وتعمل هذه التقنية على عرض المحتوى بشكل ثنائي أو ثلاثي الأبعاد للمشاهد في محيطهم، لخلق عرض مركب يدمج بين الواقع والخيال، وتتيح مجموعة من الخيارات التعليمية محاكاة عمليات معقدة مثل تشريح جسم الإنسان (مختار، 2022). ومن أهم نماذج هذه التقنية: تطبيقات الفصول الدراسية التي تتيح للمتعلمين توظيف أجهزةهم، للاندماج في التجارب والخبرات التعليمية بسهولة (شاهين، 2023).

● النظم الخبيرة (expert systems): تعد النظم الخبيرة من النظم الحاسوبية المعقدة التي تقوم بتجميع معلومات متخصصة في مجال محدد، وتمكن الحاسوب من تطبيق تلك المعلومات أو الخبرات لحل مشكلات مماثلة، بما يتيح التفاعل والتعاون بين المتعلم والنظام. وتتميز النظم الخبيرة بالقدرة على توليد الأسئلة تلقائياً، وبأعداد غير محدودة، وبدرجات متفاوتة الصعوبة حسب قدرة المتعلم، كما تتمكن من محاكاة سلوك المتعلم في السمات التي تكسبه المعرفة، وتهتم بتصميم نظم تساهم في حل المشكلات والتفسير المنطقي والتعلم (الخير، 2020).

مشكلة الدراسة وأسئلتها: يشهد قطاع التعليم تحولات متسارعة في ضوء الثورة الرقمية والتطورات المتلاحقة في مجال الذكاء الاصطناعي، الذي بات يشكل إحدى الركائز الأساسية في تطوير العملية التعليمية وتحسين مخرجاتها. فأشارت دراسة تشاسينيول وآخرين (Chassignol et al., 2018) إلى دور بيانات التعلم المخصصة التي توفرها التقنيات الذكية في تحسين جودة العملية التعليمية، وتقديم دعم خاص للطلبة بما يمكنهم من التعلم بفاعلية أكبر. ونظراً لما توفره هذه التقنيات من إمكانيات متعددة، مثل التعلم التكيفي، وتحليل البيانات التعليمية، وتصميم بيئات تفاعلية محفزة للتفكير، فإن وزارة التربية والتعليم الفلسطينية أولت هذا المجال اهتماماً متزايداً، وبدأت بتوظيفه ضمن منحنى التعليم القائم على العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات (STEM). وقد تجلّى هذا الاهتمام من خلال تنفيذ عدد من المشاريع المرتبطة بالذكاء الاصطناعي، ودعم الأبحاث العلمية ذات الصلة، وتقديم الجوائز الموجهة للسياسات التعليمية، مثل "جائزة الدكتوراة فتحية نصرو للبحث التربوي"، فضلاً عن تشجيع المدارس على المشاركة في مسابقات عالمية كمسابقة Technovation للفتيات، وتنظيم مخيمات تكنولوجية تهدف إلى تنمية مهارات البرمجة والروبوت والذكاء الاصطناعي بالتعاون مع مؤسسات محلية ودولية (وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، 2024). وبالرغم من هذا التوجه الطموح، فقد أظهرت دراسة ضميمي (Demaidi, 2023) أن المنهاج الفلسطيني – في مادة التكنولوجيا – لا يزال يشهد فجوات معرفية في موضوع الذكاء الاصطناعي، فتفتقر كتب الصفوف: الخامس والسادس والسابع والتاسع والثاني عشر، إلى أي محتوى ذي صلة، بينما يقتصر كتاب الصف الثامن على مقدمة عامة حول الروبوت وتاريخ الذكاء الاصطناعي، وقد تضمنت كتب الصفين: العاشر والحادي عشر مدخلاً إلى الروبوتكس وأنظمة التحكم دون تناول صريح لمفاهيم الذكاء الاصطناعي.

ويتضح مما سبق أنه بالرغم من التطور السريع الذي يشهده العصر الحالي بسبب الثورة التكنولوجية الهائلة، والتوجهات الطموحة نحو التعليم التقني، فالذكاء الاصطناعي لازال لا يحظى بالاهتمام المطلوب في عديد من المؤسسات التعليمية (2023) (Almalki). وبالرغم من تحفيز وزارة التربية والتعليم الفلسطينية على استخدام الذكاء الاصطناعي، وإدماج تقنياته في قطاع التعليم المدرسي (وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، 2022، 2024)، فتشير الملاحظات الميدانية إلى ضعف إدماج تقنيات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية في المدارس الفلسطينية، ومحدودية أعداد الكوادر التعليمية القادرة على توظيفه، خصوصاً في ظل مناهج ذات قدرات محدودة في مجال الذكاء الاصطناعي (Demaidi, 2023). وقد وقع اختيار الباحثة على موضوع الدراسة الحالية بسبب قلة الدراسات والأبحاث الفلسطينية التي تطرقت إلى تقنيات الذكاء الاصطناعي ومجالات توظيفها في العملية التعليمية التعليمية. كما استندت الباحثة إلى ملاحظتها الشخصية، من خلال موقعها الوظيفي مديرة مدرسة حكومية تابعة لمديرية رام الله والبيرة، فلاحظت وجود قصور في استخدام التقنيات التكنولوجية في العملية التعليمية التعليمية، لاسيما تقنيات الذكاء الاصطناعي. ما يسوغ الحاجة الملحة لإجراء بحث يركز على تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تستخدمها معلمات في المدارس الحكومية في مديرية رام الله والبيرة، ومجالات توظيفها في العملية التعليمية التعليمية، وذلك بغية تحديد تلك التقنيات للانطلاق منها نحو استخدام أكثر شمولية لأدوات الذكاء الاصطناعي، وفتح آفاق جديدة لتطوير المناهج الدراسية واستراتيجيات التدريس وتقنيات التعليم. وبناء على ما سبق، تتضح فجوة بحثية تستدعي تكثيف الجهود العلمية في هذا المجال الحيوي، الأمر الذي دفع الباحثة إلى طرح الأسئلة الآتية، والتي تشكل محاور مشكلة الدراسة:

- ما مجالات العملية التعليمية التعليمية التي توظف فيها معلمات المدارس الحكومية في مديرية رام الله والبيرة تقنيات الذكاء الاصطناعي؟

- ما تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تستخدمها معلمات المدارس الحكومية في مديرية رام الله والبيرة في العملية التعليمية التعلمية؟
أهداف الدراسة:

- التعرف إلى مجالات العملية التعليمية التعلمية التي توظف فيها معلمات المدارس الحكومية في مديرية رام الله والبيرة تقنيات الذكاء الاصطناعي.
- التعرف إلى تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تستخدمها معلمات المدارس الحكومية في مديرية رام الله والبيرة في العملية التعليمية التعلمية.

أهمية الدراسة: تأتي هذه الدراسة استجابةً للتوجهات الحديثة على المستويين العالمي والمحلي، وتكمن الأهمية النظرية للدراسة الحالية في أنها دراسة علمية بحثية، استندت إلى دراسات علمية مهمة في مجال تقنيات الذكاء الاصطناعي في التعليم، كما تسهم بإغناء المعرفة العلمية في هذا المجال، وتفتح الآفاق أمام الباحثين لطرق هذا الجانب البحثي المهم والمتجدد باستمرار. وتتمثل الأهمية التطبيقية لهذه الدراسة في أنها تسلط الضوء على الممارسات التعليمية، ما يسهم في تقديم فهم واقعي لمجالات إدماج تقنيات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية التعلمية، وتبسيط الضوء على التقنيات التي يتم توظيفها فعلياً في المدارس، بما يسهم في دعم تطوير المناهج التعليمية من خلال إدماج استراتيجيات تدريس قائمة على الذكاء الاصطناعي، تراعي الفروق الفردية بين الطلبة، وتحفيز التربيين على استكشاف إمكانيات جديدة لتقنيات الذكاء الاصطناعي في تعزيز جودة التعليم في مجالات العملية التعليمية المختلفة.

محددات الدراسة: اقتصرت هذه الدراسة على المحددات الآتية:

- الحدود الموضوعية: تقنيات الذكاء الاصطناعي، ومجالات توظيفها في العملية التعليمية التعلمية.
- الحدود المكانية: مديرية رام الله والبيرة.
- الحدود البشرية: خمس معلمات في مدارس حكومية.
- الحدود الزمانية: العام الدراسي 2023 / 2024.

مصطلحات الدراسة: تتضمن الدراسة الحالية عدداً من المصطلحات، وفيما يلي تعريفها مفاهيمياً وإجرائياً:

الذكاء الاصطناعي: هو علم حديث نسبياً من علوم الحاسوب، يهدف إلى ابتكار أنظمة الحاسبات الذكية التي تحاكي أسلوب الذكاء البشري نفسه، وتصميمها، وتمكين تلك الأنظمة من أداء المهام بدلاً من الإنسان، ومحاكاة وظائفه باستخدام خواصها الكيفية، وعلاقتها المنطقية والحسابية (خليدة، 2023).

الذكاء الاصطناعي (إجرائياً): تعرفه الباحثة بأنه نظام إلكتروني يتضمن تقنيات وتطبيقات وأنشطة إلكترونية، يتم توظيفها في العملية التعليمية التعلمية لتلبية احتياجات الطلبة.

تقنيات الذكاء الاصطناعي: هي القدرة الفعالة التي تمتلكها أنظمة الآلات والبرامج الحاسوبية على التوصية باتخاذ إجراءات، أو الشروع بتنفيذها، بطريقة كانت تعد في السابق حكراً على القدرات البشرية (الطوخي، 2021).

تقنيات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية (إجرائياً): تعرفها الباحثة بأنها آليات توظيف الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية، وتشمل: الآلات، والطرق، والأدوات، والأساليب، والبرامج، والتطبيقات التي تستخدمها معلمات المدارس الحكومية في مديرية رام الله والبيرة.

مجالات العملية التعليمية التعلمية (إجرائياً): تتمثل مجالات العملية التعليمية التعلمية، كما وردت في الدراسة الحالية، في أربع مجالات رئيسية، وهي: طرق التدريس، والمحتوى التعليمي، والتقويم، والاتصال والتواصل.

2. الدراسات السابقة

بعد استعراض مفصل للتقنيات الذكية التي يمكن توظيفها في العملية التعليمية، تبرز الحاجة إلى الوقوف على ما توصلت إليه الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع، بهدف رصد التوجهات البحثية ذات الصلة، وتحديد الفجوات المعرفية التي يمكن أن تسهم هذه الدراسة في معالجتها.

ومن أبرز الدراسات التي تناولت توظيف الذكاء الاصطناعي في التعليم، دراسة تشاسينيول وآخرين (Chassignol et al., 2018)، التي هدفت إلى استكشاف اتجاهاته، وتحليل مدى تأثيرها في تطوير البيئات التعليمية، باتباع منهجية المراجعة السردية للأدبيات المقدمة في مجال الذكاء الاصطناعي في التعليم ضمن أربع فئات، وهي: المحتوى التعليمي المخصص، وطرق التدريس المبتكرة، والتقويم المعزز بالتكنولوجيا، والتواصل بين الطالب والمعلم. وأظهرت الدراسة أن تطبيق تقنية الذكاء الاصطناعي يوفر عدداً من الفرص لتطوير الدورات التدريبية المفتوحة على الإنترنت، وأن تنفيذ الأنظمة الذكية يسهم في تقويم عدد كبير من المهام، واكتشاف فجوات التعلم والتعليم، وقياس تقدم التعلم بشكل أكثر فاعلية، وتحسين جودة العملية التعليمية.

ومن أجل معرفة تطبيقات الذكاء الاصطناعي التربوية لتطوير العملية التعليمية، قامت دراسة مقاتل وحسني (2021) بإجراء بحث موسع حول الموضوع، باعتقاد أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يفتح آفاقاً جديدة، في المناهج الدراسية وتقنيات

التعليم، وهذا ما جعل التربويين يغتنمون هذه الخدمات والمزايا الفريدة التي توفرها تطبيقاته لأغراض التعليم، مع ضرورة الحرص على الاستخدام الجيد لنجاح البرامج التعليمية.

وحول التقنيات التي يوفرها الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية التعلمية، وبالاكتفاء على تحليل المصادر والبيانات المتوفرة من خلال النظريات والمفاهيم، بحثت دراسة أندونيسية أجرتها فيتريا (Fitria, 2021) في تلك التقنيات، من خلال جمع البيانات باستخدام الوثائق من الكتب، والمقالات، والمجلات الوطنية والدولية. وأظهرت نتائج الدراسة تطبيق تقنيات الذكاء الاصطناعي في نطاق واسع على منصات تكنولوجيا التعليم المختلفة، مثل: المرشد الافتراضي، والمساعد الصوتي، والمحتوى الذكي، ومترجم العروض التقديمية، ومنصات الدورات التدريبية العالمية مثل: MOOCs, Udemy, Google AI, Coursera. إلى جانب التقييم التلقائي، والتعلم المخصص، والألعاب التعليمية، ونظام التدريس الذكي.

وللبحث في استخدام المعلمين لتقنيات الذكاء الاصطناعي، وطرق التعلم الآلي لتحليل بيانات المعلمين، أجرى سيليك وآخرون (Celik et al., 2022) دراسة اتبعت منهجية المراجعة للدراسات والأبحاث المنشورة حول الموضوع. وقد أظهرت نتائجها أن الذكاء الاصطناعي يوفر للمعلمين عديداً من الفرص لتحسين تخطيط تعليمهم، وتنفيذه، وتقويمه، كما أبرزت دور المعلمين في تطوير تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي، وتشمل هذه الأدوار عمل النماذج لتدريب خوارزمياته، والمشاركة في تطويره، من خلال التحقق من دقة أنظمة التقييم الآلية للذكاء الاصطناعي.

وناقشت دراسة زافاري وآخرون (Zafari et al., 2022) مجالات العملية التعليمية التي استخدمت الذكاء الاصطناعي جنباً إلى جنب مع فوائده ذات الصلة في مختلف المراحل الدراسية، والتقنيات والبيانات التي أسهمت في توظيفه، ولتحقيق أهداف الدراسة تم إجراء مراجعة منهجية للأدبيات المتوفرة سواء المقالات، أو أوراق المؤتمرات المنشورة بين عامي 2011 و 2021 في قواعد بيانات Web of Science و Scopus، وتم تصنيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي إلى مهام أداء الطالب والتدريس وغيرها. وأظهرت النتائج أن التعلم الآلي ونظام التدريس الذكي من أكثر التقنيات شيوعاً، وأن استخدام دورات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات (STEM) يتم بشكل كبير بواسطة الذكاء الاصطناعي.

ومن أجل تحديد أهمية استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مؤسسات التعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة، ودورها في ضمان جودة التعليم، وذلك من خلال المعايير الدولية المتعارف عليها، قامت شاهين (2023) بدراسة اتبعت خلالها المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمت الاستبانة أداة أساسية لجمع البيانات. وتوصلت النتائج إلى أن استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي بمؤسسات التعليم يعمل على زيادة جودة التعليم، فضلاً عن أن تحول التعليم التقليدي إلى أدوات وتطبيقات ذكية في متناول الطلاب يوفر محاكاة للواقع، ويجعل الطالب أكثر عمقا في التفكير، وحل المشكلات المحيطة به، كما يحقق استدامة التعليم.

وفي السياق الزمني ذاته، أجرت كوميسانيا وآخرون (Comesaña et al., 2023) منهجية المراجعة، بهدف تجميع الأبحاث التي تركز على تقنيات الذكاء الاصطناعي في التعليم، وكيفية استخدامها في تحسين تقويم طلاب المرحلتين الابتدائية والثانوية. واستوفت تسع دراسات بحثية أصلية، نُشرت بين عامي 2010 و 2023، المعايير المحددة في مراجعة الأدبيات. وقد أظهرت النتائج تركيز الدراسات على تقويم الطلاب، والتنبؤ بأدائهم، وأتمتة التقويمات، وجعلها أكثر موضوعية باستخدام الشبكات العصبية أو معالجة اللغة الطبيعية، إلى جانب استخدام الروبوتات التعليمية لتحليل عملية التعلم، واكتشاف العوامل المحددة التي تجعل الفصول الدراسية أكثر جذباً وتحفيزاً للطلبة.

ومن أجل تحليل الجوانب البليومترية -الاتجاهات العددية والنوعية- لمنشورات المجالات حول الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية، قامت دراسة كاراجا وكيلكان (Karaca & Kılcan, 2023) باستخدام أداة R-Studio لفحص البيانات التي تم جمعها من قاعدة بيانات Web of Science، وذلك ضمن حقول الفهرس المسموح بها للمقالات، هي: SCI-Expanded و SSCI و ESCI. وأظهرت النتائج ازدياد المقالات حول تقنيات الذكاء الاصطناعي بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة، مع الاهتمام المتزايد بموضوعات مثل تعلم اللغة، وروبوتات الدردشة، ومشاركة الطلاب وأدائهم، والتعلم الإلكتروني، والتعلم التعاوني.

وللكشف عن مدى جاهزية المعلمين من مرحلة الروضة وحتى الصف الثاني عشر، أجرى كيم وكوون (Kim and Kwon, 2023) دراسة هدفت إلى استكشاف تجارب معلمي المدارس الابتدائية، في كوريا الجنوبية، في تدريس مناهج الذكاء الاصطناعي وفحص كفاءاتهم. واتبعت الدراسة المنهج المختلط، فتم جمع البيانات الكمية والنوعية، من خلال استبانة ومقابلات مع 67 معلماً في المدارس الابتدائية، الذين يعملون في المدارس الرائدة في مجال الذكاء الاصطناعي. وأظهرت النتائج أن المعلمين كانوا الأقل ثقة في معرفة المحتوى، تليها المعرفة التكنولوجية والمعرفة التربوية ذات الصلة.

وبغية مناقشة تأثير استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي في الممارسة التعليمية، والبحث في مدى تبني الأكاديميين لتلك الأدوات أو رفضهم لها بوصفها طرق تدريس، وأجرى لاوان وآخرون (Lawan et al., 2023) دراسة تناولت برنامج الذكاء الاصطناعي التوليدي ChatGPT بهدف استكشاف إمكانات التعلم المقلوب المعدل، وتسليط الضوء على أهمية التعلم المعكوس والذكاء الاصطناعي التوليدي GAI في المشهد التعليمي للقرن الحادي والعشرين. واقترحت الدراسة نموذجاً تعليمياً مقولباً معدلاً يجمع بين جوانب التعلم الفردي والنشط للتعلم المعكوس، والقدرات التكيفية للذكاء الاصطناعي التوليدي. وتوصلت الدراسة إلى

أن النموذج المقترح للتعلّم المعكوس سيمكّن الطلاب من الانخراط بفاعلية في عملية التعلّم، وتعزيز قدراتهم على الاحتفاظ بتعلمهم، من خلال استبدال الدور التقليدي للمعلم باستخدام أنظمة GAI في إنشاء المحتوى التعليمي.

3. المنهجية

اتبعت الدراسة الحالية التصميم الكيفي، وبشكل محدد المنهج الوصفي النوعي الذي يتم استخدامه من أجل وصف الظواهر، وفهم الأفكار والآراء، واستكشاف تجارب المبحوثين بصورة مفصلة في سياق حياتهم الطبيعية، وذلك من خلال جمع البيانات باستخدام الأدوات النوعية، ومنها: الاستبانة المفتوحة، والمقابلات، والملاحظات (Creswell, 2014). وتقوم هذه المنهجية على تنظيم البيانات وتصنيفها إلى مواضيع أو أنماط، باستخدام طرق متنوعة مثل: الترميز، والتحليل الموضوعي لتحديد هيكل أساسية للظاهرة المدروسة (Flick, 2018). وتم استخدام هذا المنهج بشكل محدد من أجل فهم آراء المعلمات واستكشاف تجاربهن في توظيف الأدوات الذكية لدعم العملية التعليمية التعلّمية، من خلال جمع البيانات باستخدام الاستبانة مفتوحة الأسئلة، وتوزيع استجاباتهن في جدول يضم جميع الاستجابات بشكل منظم، لتسهيل تحليلها، وقراءتها، وتحديد المواضيع الرئيسية، ومن ثم تصنيفها إلى محاور وفئات تعبر عن واقع استخدام المعلمات الفعلي للذكاء الاصطناعي.

3.1 المشاركون في الدراسة

تناولت الدراسة مجموعة صغيرة من المعلمات اللواتي يستخدمن تقنيات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية التعلّمية، في مديرية رام الله والبييرة، وعددهن خمس معلمات. يوضح الجدول رقم (1) خصائص المعلمات المشاركات في الدراسة.

جدول 1: خصائص المعلمات المشاركات في الدراسة

الرقم	رمز المعلمة	المؤهل العلمي	التخصص	عدد سنوات الخبرة	المرحلة التعليمية
1	(م1)	بكالوريوس	هندسة أنظمة حاسوب	5 سنوات فما دون	الأساسية العليا، والثانوية
2	(م2)	بكالوريوس	تكنولوجيا	من 5 – 10 سنوات	الأساسية العليا
3	(م3)	بكالوريوس	علم حاسوب	5 سنوات فما دون	الأساسية العليا، والثانوية.
4	(م4)	بكالوريوس	تكنولوجيا	أكثر من 10 سنوات	المرحلة الثانوية
5	(م5)	ماجستير	كيمياء	أكثر من 10 سنوات	المرحلة الثانوية

يتضمن الجدول رقم (1) الرموز الرقمية التي تم تخصيصها للمعلمات المشاركات في الدراسة، وهي: (م1، م2، م3، م4، م5)، والمؤهل العلمي لكلّ منهن، والذي توزع بين درجتَي البكالوريوس والماجستير، والتخصصات الأكاديمية التي تنوعت بين هندسة أنظمة حاسوب، وتكنولوجيا، وعلم حاسوب، وكيمياء، كما يُظهر الجدول عدد سنوات الخبرة التي تباينت بين المعلمات، والمراحل التعليمية التي يقمن بتدريسها، والتي اقتصرت على مرحلتَي التعليم الأساسية العليا والثانوية.

3.2 أداة الدراسة

لتحقيق أهداف الدراسة والإجابة عن أسئلتها، فقد تم اعتماد الاستبانة ذات الأسئلة المفتوحة، بوصفها أداة كيفية لجمع البيانات والمعلومات، وتألفت من جزأين، تضمن الجزء الأول معلومات عامة حول المشاركات في الدراسة، وتضمن الجزء الثاني أسئلة مفتوحة حول مجالات العملية التعليمية التعلّمية التي يتم فيها توظيف الذكاء الاصطناعي، والتقنيات التي يتم استخدامها، وكيفية استخدامها. وطورت الباحثة الأداة بالرجوع إلى الإطار النظري، ودراسة تشاسينيول (Chassignol et al., 2018)، إلى جانب الاستفادة من آراء المحكمين للحصول على الأداة بصيغتها النهائية، ومن ثم تم توزيع أداة الدراسة على المشاركات، وطلب منهن الإجابة عن الأسئلة في ضوء خبرتهن العملية في توظيف الذكاء الاصطناعي، وتم استلام الاستجابات بعد أسبوع من توزيع الأداة عليهن عبر الإيميل.

3.3 صدق الأداة

للتحقق من صدق أداة الدراسة الحالية، فحصت الباحثة صدق المحتوى، من خلال عرض أداة الدراسة على مجموعة من المحكمين المختصين في مجالي التربية والتعليم، وتكنولوجيا التعليم، وعددهم (6) محكمين من ذوي الخبرة، من أجل الأخذ بأرائهم والكشف عن مدى ملاءمة بنود الأداة واتساقها مع مجالات توظيف الذكاء الاصطناعي في التعليم، والتقنيات التي يتم استخدامها، إلى جانب استطلاع آرائهم حول شمولية الأسئلة وسلامة صياغتها اللغوية، ووضوح المعنى، ومن ثم الاستجابة لأرائهم، بإجراء التعديلات اللازمة من حذف وإضافة أو تعديل في ضوء الاقتراحات، والملاحظات، والآراء المقدمة.

3.4 ثبات الأداة

تم التحقق من ثبات الأداة باستخدام طريقتين، وهما:

1. التحقق من الثبات بالحصول على ثلاث استجابات من أفراد خارج العينة، مع تعديل مواضع الأسئلة.
2. التحقق من ثبات تحليل الأداة من خلال طريقة التحليل عبر الزمن، فتم تحليل الباحثة للمرة الأولى، ومن ثم إعادة التحليل بعد شهر، ومن ثم استخدام معادلة هولستي للتحقق من ثبات الأداة، كما ورد في طعيمة (Taima, 2004):

$$\text{نسبة الثبات} = \frac{2 \times (\text{الفقرات التي تم الاتفاق عليها بين التحليلين})}{\text{فقرات التحليل الأول} + \text{فقرات التحليل الثاني}} \times 100\%$$

وظهر من خلال استخدام معادلة هولستي أن نسبة ثبات الأداة هي: (93.8%) وهي نسبة مناسبة لأغراض الدراسة الحالية.

3.5 خطوات التحليل

اتبعت الدراسة الحالية الخطوات الآتية في تحليل البيانات:

- جمع الاستبانات وتفرغ كل الاستجابات النصية لكل سؤال على شكل جدول في ملف رقمي (word).
- توثيق بيانات المشاركات على شكل رموز (م، 1، م، 2، م، 3..).
- قراءة البيانات عدة مرات لفهم السياق العام والمضمون.
- تسجيل الملاحظات والأفكار المبدئية في هوامش النصوص.
- تحديد وحدة التحليل، وهي المواضيع المطروحة أو الأفكار الرئيسة التي ذكرتها المشاركات.
- تصنيف الأفكار الرئيسة ضمن سؤالي الدراسة الرئيسين.
- تحديد الفئات الفرعية المرتبطة بالأفكار الرئيسة بناء على المعنى، وتحديد عناوين للمواضيع المكررة.
- التحقق من الثبات للتأكد من اتساق الرموز والتحليل عبر إعادة الترميز بعد مدة زمنية، واحتساب نسبة الاتفاق لضمان ثبات النتائج.
- استخلاص النتائج وعرض اقتباسات لما كتبه بعض المعلمات ووضعه بين علامتي تنصيص، وتقديم رسومات بيانية.
- مقارنة النتائج مع الأدبيات والدراسات السابقة.

4. عرض النتائج

4.1 النتائج المتعلقة بالسؤال الأول

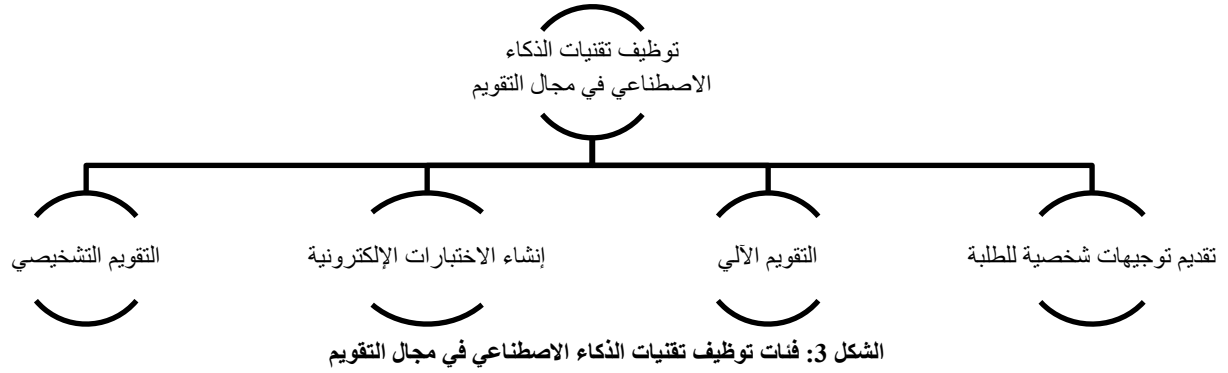
والذي ينص على: "ما مجالات العملية التعليمية التعلمية التي توظف فيها معلّات المدارس الحكومية في مديرية رام الله والبيرة تقنيات الذكاء الاصطناعي؟"

للإجابة عن هذا السؤال تم تحليل المواضيع والأفكار التي تطرقت إليها المعلّات، وتم تصنيفها ضمن خمس مجالات رئيسة، ومن ثم تحديد الفئات الفرعية ذات الصلة بكل مجال منها، وفيما يلي عرض لأهم المواضيع التي تم التوصل إليها:

المحور الأول: توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال التقويم:

تحدثت جميع المعلّات عن موضوعات مختلفة ضمن مجال التقويم، فأشارت المعلمة (م1) إلى هذا المجال من خلال التطرق لموضوع "تقديم توجيهات شخصية" للطلبة، وأظهر التحليل اهتمام المعلّات في موضوع التقويم الآلي، فتحدثت المعلمة (م2) عن: "التصحيح الآلي للامتحانات وأوراق العمل الإلكترونية"، وأوضحت المعلمة (م3) إمكانية "استخدام خوارزميات التعلم الآلي لتقويم أداء الطلبة وتقديم الملاحظات". وتطرقت المعلمات إلى موضوع إنشاء الاختبارات الإلكترونية، فأوضحت المعلمة (م5) إمكانية توظيف التقنيات في مجال التقويم من خلال: "إنشاء الاختبارات الإلكترونية وتزويد الطلبة بالتغذية الراجعة الفورية".

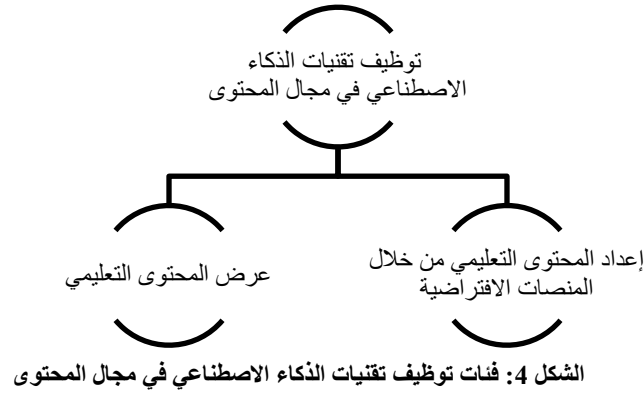
وأشارت المعلمة (م4) إلى توظيف التقنيات الذكية في "تصميم أدوات التقويم وبنائها وأوراق العمل". وتحدثت المعلمة (م1) عن موضوع "التقويم التشخيصي". ويظهر الشكل رقم (3) أبرز النتائج المتعلقة بهذا المحور.



يوضح الشكل رقم (3) فئات توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال التقويم التي ظهرت من خلال التحليل، وهي: تقديم توجيهات شخصية للطلبة، والتقويم الآلي، وإنشاء الاختبارات الإلكترونية وأوراق العمل، والتقويم التشخيصي.

المحور الثاني: توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال المحتوى:

تحدثت ثلاث معلمات من أصل خمس معلمات، كن قد شاركن في الدراسة عن توظيف التقنيات في مجال إعداد المحتوى التعليمي، من خلال الدروس الافتراضية والواقع الافتراضي، فأشارت المعلمة (م1) إلى الموضوع وقالت: "يتم استخدام برامج المحاكاة والواقع افتراضي في عرض المحتوى التعليمي". وتطرقت معلمتان إلى توظيف التقنيات في مجال عرض المحتوى من خلال العروض التقديمية والفيديوهات التعليمية لعرض المحتوى التعليمي. ويظهر الشكل رقم (4) أبرز النتائج المتعلقة في هذا المحور.

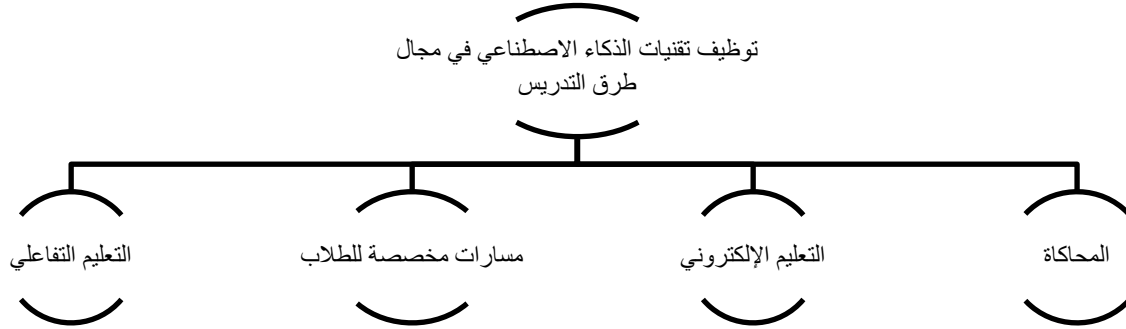


ويوضح الشكل رقم (4) فئتي توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال المحتوى، وقد ظهرت من خلال التحليل، وهما: تصميم المحتوى التعليمي من خلال تصميم الدروس الافتراضية والعروض التقديمية، وعرض المحتوى التعليمي من خلال عرض دروس تفاعلية عبر الشاشة الذكية، واستخدام الواقع الافتراضي، والفيديوهات التعليمية.

المحور الثالث: توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال طرق التدريس:

تطرقت إحدى المشاركات في الدراسة إلى توظيف المحاكاة بوصفها طريقة تدريس، فأوضحت المعلمة (م1): "يتم استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في تعليم التكنولوجيا حسب الموضوع التعليمي، فيتم استخدام تقنيات المحاكاة في حالة غياب القطع الإلكترونية مثلاً". كما تطرقت إلى التعلم الإلكتروني، وأكدت على: "استخدام تقنيات التقويم في حالة استخدام التعليم عن بعد أو عند استخدام مختبر الحاسوب، وغيرها من التقنيات". وتطرقت معلمتان إلى العروض التقديمية بوصفها طريقة تدريس جذابة بصرياً، وتفاعلية للمادة التعليمية، فذكرت المعلمة (م4): "إنشاء عروض تقديمية جذابة بصرياً وتفاعلياً". وتطرقت ثلاث معلمات إلى التعلم التفاعلي، سواء عن طريق اللعب أو إنشاء دروس تعليمية بطريقة تفاعلية، وفي هذا السياق، تحدثت المعلمة (م4) عن الموضوع، وأكدت على: "إيجاد بيئة تفاعلية وردود فعل سريعة وذلك يعتمد حسب التقنية المستخدمة". وحول موضوع تخصيص التعليم، تطرقت المعلمة (م3) للموضوع وقالت: "يتضمن تخصيص المناهج الدراسية القائم على الذكاء الاصطناعي إنشاء

مسارات تعليمية مخصصة للطلبة بناء على احتياجاتهم وتفضيلاتهم الفردية"، وأشارت المعلمة (م1) إلى: "مساعدة الطلبة ذوي صعوبات التعلم" كما ذكرت التعلم الذاتي بوصفه طرق تدريس معتمدة عليه. ويظهر الشكل رقم (5) أبرز النتائج المتعلقة في هذا المحور.

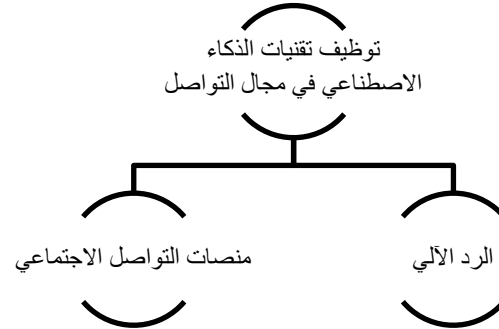


الشكل 5: فئات توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال طرق التدريس

ويوضح الشكل رقم (5) فئات توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال طرق التدريس التي ظهرت من خلال التحليل، وهي: المحاكاة، والتعليم الإلكتروني، ومسارات مخصصة للطلبة، والتعليم التفاعلي.

المحور الرابع: توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال التواصل:

ذكرت المعلمة (م5) أنها تستخدم التقنيات في: "التواصل مع الطلبة فقط"، وذكرت المعلمة (م2) استخدام: "الرد الآلي" دون توضيح لآلية استخدامه، وذكرت معلمتان استخدام الذكاء الاصطناعي في منصات التواصل الاجتماعي، فتحدثت المعلمة (م4) عن الموضوع من زاوية أخرى، وقالت إنها توظف تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال التواصل من خلال: "مراقبة قنوات التواصل الاجتماعي وتحليلها، وتقويم بيانات الوسائط الاجتماعية التي ينتجها المستخدمون". وعند إجابة المعلمات عن السؤال الآتي الذي يرتبط في مجال التواصل: "هل تستخدم تقنيات الذكاء الاصطناعي للتواصل مع أولياء الأمور؟ إذا كانت إجابتك نعم، كيف يتم ذلك؟" أجابت خمس معلمات أنهن لا يستخدمن تلك التقنيات للتواصل مع أولياء الأمور. ويظهر الشكل رقم (6) أبرز النتائج المتعلقة في هذا المحور.

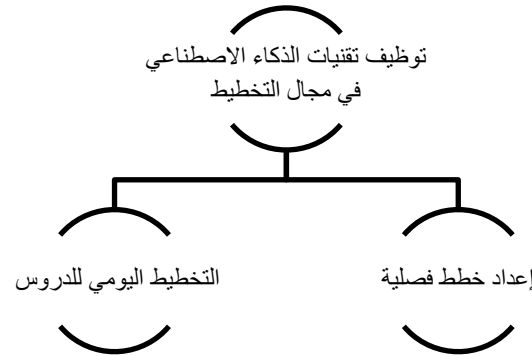


الشكل 6: فئات توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال التواصل

ويوضح الشكل رقم (6) فئتي توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال طرق التواصل اللتين ظهرتتا من خلال التحليل، وهما: الرد الآلي، ومنصات التواصل الاجتماعي، وذكرت جميع المعلمات أنهن لا يستخدمن التقنيات للتواصل مع أولياء الأمور. ويظهر من التحليل ضعف استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال التواصل.

المحور الخامس: توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال التخطيط:

تطرق المشاركون في الدراسة إلى استخدام التقنيات الذكية في مجال التخطيط، من خلال تحديد نوعين من التخطيط في العملية التعليمية التعليمية، فذكرت المعلمة (م4): "إعداد الخطط الدراسية" بينما أشارت المعلمة (م5) إلى: "إعداد خطط فصلية". ما يوضح تنوعاً في ممارسات التخطيط التي يمكن تدعيمها بالأدوات الذكية. وتبرز هذه الملاحظات دور التقنيات الذكية في دعم التخطيط التنظيمي على عديد من المستويات، ما يساهم في تحسين جودة العملية التعليمية التعلمية وضمان استمراريتها. ويظهر الشكل رقم (7) النتائج المتعلقة في هذا المحور.



الشكل 7: فئات توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال التخطيط

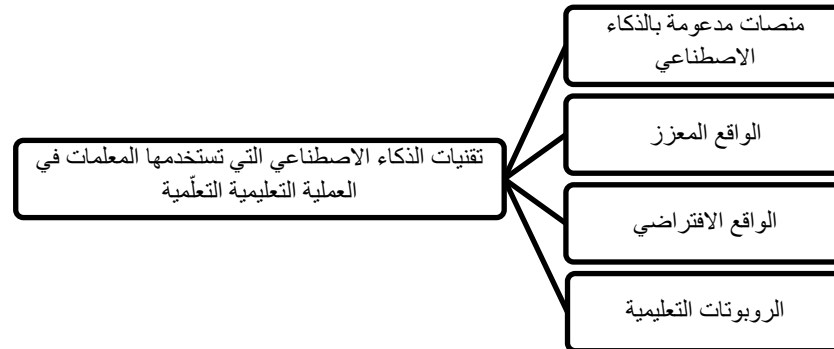
ويوضح الشكل رقم (4) فئتي توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال المحتوى، اللتين ظهرتتا من خلال تحليل البيانات، وهما: إعداد خطط فصلية، والتخطيط اليومي للدروس. بما يظهر إمكانية استخدام التقنيات الذكية في التخطيط الذي يشكل مرحلة مهمة من المراحل الجوهرية في العملية التعليمية. ومع ذلك، لم تتطرق المشاركات إلى آلية استخدام التخطيط، أو للبرمجيات التي يمكن استخدامها في التخطيط سواء على مستوى تخطيط الدروس أو الخطط الفصلية. ما يفتح المجال للمزيد من البحث المستقبلي في هذا الجانب.

4.2 النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني

والذي ينص على: "ما تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تستخدمها معلمات المدارس الحكومية في مديرية رام الله والبيرة في العملية التعليمية التعليمية؟"

وللإجابة عن هذا السؤال تم قراءة البيانات، وتحليلها، وتحديد محور واحد للتقنيات المستخدمة، يضم أربع فئات، وفيما يلي عرض لأهم المواضيع التي تم التوصل إليها:

أشارت المعلمة (1م) إلى أنها تستخدم: "الروبوتات التعليمية والواقع الافتراضي"، بينما أشارت المعلمة (2م) إلى أنها تستخدم: "عديدا من التطبيقات والتقنيات، ومنها "AR، VR"، وتطرق (3م) إلى: "Minecraft" وعرفت على أنها "لعبة برمجية هدفها التفكير في حل المشكلات والألغاز"، ورصدت المعلمة (4م) أدوات وبرمجيات مدعومة بالذكاء الاصطناعي تستخدمها، ومنها: ClassPoint.AI, LinkedIn, machinelearningforkids, QuillBot, Google classroom, Microsoft teams. ويظهر الشكل رقم (8) تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تستخدمها المعلمات المشاركات في الدراسة.



الشكل 8: تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تستخدمها المعلمات المشاركات في الدراسة

ويُظهر الشكل رقم (8) اقتصار تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تستخدمها المعلمات المشاركات في الدراسة، على أربع فئات، وهي: الروبوتات التعليمية، والواقع الافتراضي، والواقع المعزز، ومنصات وبرمجيات مدعومة بالذكاء الاصطناعي. كما يظهر تعدد التقنيات التي يتم استخدامها في العملية التعليمية التعليمية، ما يعكس تبايناً في الخبرة الرقمية ومستوى الوعي التربوي لدى المعلمات.

5. مناقشة النتائج

5.1 مناقشة نتائج السؤال الأول:

والذي ينص على: "ما مجالات العملية التعليمية التي توظف فيها معلمات المدارس الحكومية في مديرية رام الله والبيرة تقنيات الذكاء الاصطناعي؟"

أظهرت نتائج التحليل تطرق المعلمات إلى مجال التقييم أكثر من غيره من المجالات، وتعزو الباحثة ذلك إلى أن تقنيات الذكاء الاصطناعي تعمل على توفير الوقت والجهد في إنشاء الاختبارات، وتقييم الطلبة، ب إلى جانب ما توفره من دقة، وتغذية راجعة فورية. ومن ناحية أخرى، أظهرت النتائج عدم تطرق المعلمات إلى موضوع تحليل إجابات الطلبة، وتعزو الباحثة ذلك إلى وجود فجوة مهارية ومعرفية لدى المعلمات فيما يخص دور الذكاء الاصطناعي في تحليل بيانات الطلبة وإجاباتهم والاستفادة منها في تحسين التدريس والتقييم التكويني. وقد يكون سبب هذه الفجوة وجود قصور في التنمية المهنية في هذا المجال، فيتم تنفيذ دورات وورشات عمل تدريبية في مجال الذكاء الاصطناعي تركز على الاختبارات الإلكترونية والتصحيح الآلي، دون تعمق في تحليل إجابات الطلبة وتقديم تقارير مفصلة للمواد الدراسية وتوليد أسئلة. وتتفق هذه النتائج مع دراسة شحاته (2022) في تعزيز تقنيات الذكاء الاصطناعي قدرة المعلمين على إنشاء الاختبارات، والتقييم الفوري للطلبة، ورصد إجاباتهم. وتختلف مع دراسة الخيري (2020) باستخدام التقنيات في تحليل إجابات الطلبة، وتقديم تقارير مفصلة للمواد الدراسية، وتوليد أسئلة.

وأظهر التحليل إقتصار المحتوى التعليمي، من وجهة نظر المعلمات المشاركات في الدراسة، على إعداد المحتوى التعليمي من خلال المنصات الافتراضية، وعرض المحتوى التعليمي من خلال العروض التقديمية والفيديوهات. ولم تُظهر النتائج تخصيص المحتوى التعليمي، أو تصميم محتوى يتلاءم مع احتياجات الطلبة، كما لم تظهر النتائج - أيضاً - استخدام التقنيات في التدريس حسب نظام STEM الذي يجري العمل عليه في عدة مدارس حكومية حسب التقارير الصادرة عن وزارة التربية والتعليم الفلسطينية (2022؛ 2024) سواء عبر أنشطة المدارس الصيفية، أو عبر التعليم الرسمي لمنهاج التكنولوجيا، أو من خلال تنفيذ الدورات التدريبية المتعددة للطلبة والمعلمين والمشرفين التربويين حول الموضوع، وتعزو الباحثة سبب عدم ظهور التقنيات من خلال STEM في تحليل نتائج الدراسة إلى قلة عدد المعلمات المشاركات في الدراسة، وطبيعة منهج الدراسة، وترى الباحثة أن هذه النتيجة تمثل مرحلة أولية في استخدام التقنيات، فتركز على استخدام التقنيات لعرض المحتوى على الطلبة، وإعداده من خلال المنصات الافتراضية، وليس تطوير محتوى تفاعلي ذكي، أو إنتاج برامج تعليمية قادرة على التفاعل والتحاور معهم، أو تصميم برمجيات، أو تطبيقات تساعد على فهم المحتوى التعليمي أو المواد الدراسية، مثل تحويل النصوص أو الأصوات إلى فيديوهات أو دروس تعليمية، وغيرها من أشكال تطوير المحتوى التفاعلي باستخدام الذكاء الاصطناعي. وتتفق النتيجة الحالية مع دراسة فيتريا (Fitria, 2021) في وجود تقنيات تعليمية مختلفة للذكاء الاصطناعي في مجال عرض المحتوى التعليمي، وتختلف مع دراسة زافاري وآخرون (Zafari et al., 2022) التي أظهرت استخدام دورات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات (STEM) بشكل كبير بواسطة الذكاء الاصطناعي.

وأظهرت نتائج الدراسة أن طرق التدريس التي يتم اعتمادها من خلال الذكاء الاصطناعي تسمح للطلاب بأن يكون محور العملية التعليمية، سواء من خلال التوجيه الذاتي، أو من خلال جعل التعليم تفاعلياً وأكثر جاذبية، أو من خلال استخدام مسارات مخصصة للطلبة، تمكنهم من التعلم حسب قدراتهم. وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى أن استخدام التقنيات بوصفها طرق تدريس يساعد في مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة، ويحررهم من التعلم بأسلوب واحد، ويجعل الموقف التعليمي أكثر تشويقاً وجاذبية لهم، ويربطهم بالحياة الواقعية، كما يساعد في تعزيز دور المعلم بوصفه ميسراً للعملية التعليمية. ومن ناحية أخرى، لم تُظهر النتائج توظيف المعلمات لتقنيات الذكاء الاصطناعي في تنمية مهارات التفكير الناقد أو الإبداعي أو حل المشكلات، وهي من المهارات العليا التي تُعدّ جوهرًا في التعليم المعاصر. وترى الباحثة أن هذا الغياب لا ينفي وجود توجه لدى المعلمات نحو استخدام أساليب تدريس تفاعلية، تسعى إلى إشراك الطلبة وجعلهم محورًا للعملية التعليمية. ومع ذلك، يُلاحظ أن هذا التوجه يظل في إطار ضيق وشكلي، فيقتصر غالبًا على استخدام أدوات تكنولوجية مثل العروض التقديمية والفيديوهات، دون التعمق في استراتيجيات تدريس تدعم مهارات التفكير العليا. كما أن استخدام المحاكاة الذي أشارت إليه المعلمات لم يكن مقروناً بشرح لآليات دمجها في أنشطة تعليمية واضحة. ما يشير إلى قصور في تفعيلها التربوي. كما لم تُظهر نتائج التحليل في مجال طرق التدريس استخدام التقنيات في تنفيذ المشاريع العلمية التي تتم فعلياً في السياق الفلسطيني، سواء من خلال مشاريع تصميم الروبوتات التعليمية التي تعمل وزارة التربية والتعليم الفلسطينية على تنفيذها عبر الأنشطة التكنولوجية، ومخيمات STEM الصيفية، أو من خلال المسابقات التي يتم تنفيذها ضمن معرض فلسطين للعلوم والتكنولوجيا، وغيرها من المشاريع. وفي الوقت ذاته، لم تظهر نتائج الدراسة الابتكار في توظيف التقنيات في العملية التعليمية، مثل استخدامها في التعلم المعكوس أو تصميم تقنيات ذكاء اصطناعي على مستوى فلسطين، أو استخدامها في تعليم طلاب المراحل الأساسية الدنيا. وقد تشير هذه النتائج إلى وجود ضعف في البنية التحتية التربوية الرقمية، وقصور في فهم فلسفة الذكاء الاصطناعي في التعليم القائمة على أنه منظومة تعليمية قادرة على دعم الطلبة بالمراحل الدراسية كافة، ومستويات التفكير، كما تشير هذه النتائج إلى وجود فجوة بين رؤية وزارة التربية والتعليم نحو

إدماج الذكاء الاصطناعي في التعليم، وغياب التوجهات أو المعايير التربوية لاستخدامه في المراحل التعليمية المختلفة. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة كل من مقاتل وحسني (2021) ودراسة أويانغ وجياو (Ouyang and jiao, 2021) في تعزيز تطبيقات الذكاء الاصطناعي لطرق التدريس التي تسهم في تيسير التعلم المخصص، وتحرير المتعلمين من التعلم بأسلوب واحد. بينما لم تتفق هذه النتيجة مع دراسة زافاري (Zafari et al., 2022) في أن توظيف التعلم الآلي وأنظمة التدريس الذكية تعد من أكثر الأساليب شيوعاً بين فئات الذكاء الاصطناعي.

وأظهر التحليل اقتصر استخدام التقنيات الذكية في مجال التواصل على الرد الآلي، ومنصات التواصل الاجتماعي، وعدم استخدامها في التواصل مع أولياء الأمور. وتغزو الباحثة سبب توظيف الرد الآلي في العملية التعليمية التعليمية؛ كونها من التقنيات التي توفر إجابة فورية، وبالتالي توفر الوقت والجهد، إلى جانب تعزيز طرق الاتصال والتواصل لمعالجة القضايا التعليمية بين الطلبة من ناحية، ومع المعلم من ناحية أخرى، كما أن استخدام تلك التقنيات عبر منصات التواصل الاجتماعي يوفر المرونة في وقت وكيفية الحصول على المعلومة، وفي السياق الفلسطيني، تستخدم التقنيات للتواصل مع أولياء أمور الطلبة من خلال الرد الآلي للرسائل عبر صفحات المدارس، والمنصات الرسمية للوزارة، كما تستخدم لمراقبة تفاعل الطلبة مع الأنشطة التعليمية في المنصات الاجتماعية المختلفة. كما تقدم عدداً من منصات الألعاب والبرامج التعليمية المدعومة بالذكاء الاصطناعي توجهات للطلبة، وإرشادات لهم، تمكنهم من الوصول إلى الإجابة أو توضح لهم طريقة التعلم، وتعد هذه إحدى آليات التواصل التي لم تذكرها المعلمات في الدراسة. وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع دراسة أويانغ وجياو (Ouyang and jiao, 2021) في تعزيز التقنيات لطرق الاتصال والتواصل بين المعلم والطلبة، ولكنها تختلف مع دراسة الفرماوي (2021) في أنها لم تظهر توظيف فروض تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي وبديهيته على إنتاج برامج تعليمية وتدريبية للمقررات التعليمية، قادرة على التفاعل والتحاور مع الطالب. كما تختلف مع دراسة كاراكا وكيلكن (Karaca and Kılcan, 2023) من ناحية عدم التطرق إلى استخدام التقنيات الذكية في تعلم اللغة.

وفي مجال التخطيط، أظهر التحليل تطرُّق المعلمات لاستخدام الخطط الدراسية، وإعداد الخطط الفصلية، ولم تتضمن إجابات المعلمات تفاصيل حول كيفية استخدام التقنيات الذكية في تصميم الخطط الدراسية اليومية والفصلية. وترى الباحثة أن انتشار الدورات التدريبية حول تطبيقات الذكاء الاصطناعي لإعداد الخطط، من خلال تطبيقات مثل: magic school، وغيره من التطبيقات الذكية التي توفر إمكانية التخطيط الدراسي للمعلم بأقل وقت وجهد، وتيسر الأعمال الإدارية عليه، يسهم في زيادة توظيفها في العملية التعليمية، وإغناء المنهج المدرسي، وإغناء طرق التدريس المستخدمة. كما ترى الباحثة من موقعها الوظيفي بوصفها مديرة مدرسة أنَّ الاهتمام يزداد في موضوع توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية، ويظهر ذلك من خلال الدورات التدريبية التي يتم تقديمها للمعلمين ومديري المدارس في استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي، سواء على مستوى العناقد أو على مستوى المؤسسات والجمعيات المحلية التي تقدِّم ورشات العمل والدورات التدريبية التطويرية في مجال الأدوات الذكية.

وتتفق النتيجة الحالية مع دراسة سيليك وآخرين (Celik et al., 2022) التي أظهرت نتائجها أن الذكاء الاصطناعي يوفر للمعلمين عدداً من الفرص لتحسين تخطيط تعليمهم، وتنفيذه، وتقويمه.

5.2 مناقشة نتائج السؤال الثاني

والذي ينص على: "ما تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تستخدمها معلمات المدارس الحكومية في مديرية رام الله والبيرة في العملية التعليمية التعليمية؟"

أظهر التحليل أنَّ توظيف المنصات والبرمجيات المدعومة بالذكاء الاصطناعي يظهر أكثر من التقنيات الأخرى، وظهر ذلك من خلال رصد المشاركات لبرامج مدعومة بالذكاء الاصطناعي، مثل: ClassPoint.AI, Microsoft teams ولكن لم تتمكن الباحثة من التعرف إلى آليات استخدام تلك التقنيات بشكل مفصل بسبب طبيعة الدراسة. ومن ناحية أخرى، يشير تنوع أدوات الذكاء الاصطناعي وتقنياته في التعليم إلى وعي المعلمات بوجود أدوات ذكية داعمة للعملية التعليمية، فتسهم الروبوتات التعليمية والواقع الافتراضي والواقع المعزز في خلق بيئات تعلم تفاعلية تعزز الاستكشاف الذاتي، وتسهم في ربط المحتوى التعليمي بالسياق الحسي للطلبة، الأمر الذي يتطلب توسيع استخدامها في التعليم. ومن ناحية أخرى، لم يُظهر تحليل النتائج استخدام الروبوتات ChatGPT والنظم الخبيرة، وأنظمة التعليم الذكية، بالرغم من توافر كل منها في واحدة على الأقل من المدارس الحكومية في مديرية رام الله والبيرة، ومديريات أخرى، وذلك على حد علم الباحثة، وكما أظهرته التقارير الصادرة عن وزارة التربية والتعليم الفلسطينية (2024). توافقت هذه النتائج مع دراستي كوميسانو وتشن (Chen et al., 2020) اللتين أظهرتا التركيز على استخدام الروبوتات التعليمية، ودراسة كاراكا وكيلكن (Karaca and Kılcan, 2023) التي أظهرت الاهتمام في روبوتات الدردشة. ودراسة فيتريا (Fitria, 2021) التي أظهرت نتائجها أن الذكاء الاصطناعي قد تم تطبيقه على نطاق واسع على منصات تكنولوجيا التعليم المختلفة مثل المرشد الافتراضي والمحتوى الذكي.

وتعزو الباحثة النتيجة السابقة إلى أن كثيرا من المنصات المدعومة بالذكاء الاصطناعي متوافرة مجانا وسهلة التوظيف في العملية التعليمية التعليمية مثل: Microsoft teams, ClassPoint.AI, LinkedIn, Google classroom، خصوصا في ظل وجود مبادرات تحفز المعلمين على استخدامها وتدريبهم عليها بما يضمن استخدام الطرق التفاعلية والجاذبة للطلبة، سواء في أثناء التعلم عن بعد، أو في أثناء التعلم المدمج الذي تتجه الأنظار نحوه نتيجة آثاره الإيجابية على الطلبة، وعلى استدامة تعلمهم، وأن تلك التقنيات تتيح استخدام وسائل تعليمية قد لا تكون متوافرة في المدرسة. وفي الوقت نفسه، تمنح الروبوتات التعليمية المعلم القدرة على تسريع التعلم، والمرونة في توصيل المعلومة، ولذلك يلجأ المعلمون إلى استخدامها، بينما قد يجدون صعوبة في توظيف الروبوتات أو النظم الخبيرة؛ كونها بحاجة إلى الدعم المادي، والتدريب العملي اللازم لتوظيفها في السياق الفلسطيني الذي يعاني من وجود عديد من التحديات، ومحدودية الإمكانيات والخبرات.

وبناء على النتائج السابقة، ترى الباحثة أن توظيف التقنيات لا يزال في مراحله الأولى في مدارس مديرية رام الله والبيرة، فلم تتطرق المعلومات المشاركات في الدراسة إلى التعلم الآلي وما يتضمنه من تطوير أنظمة قادرة على التعلم من البيانات والتكيف معها، أو التعلم العميق الذي يتضمن استخدام الشبكات العصبية الاصطناعية لتحليل بيانات الطلاب، أو الروبوتات التي يحتاج تكاليف عالية وبرمجة خاصة، وتدريب وبنية تحتية، تدعم استخدامها في المدارس.

كما ترى الباحثة أن تصميم المحتوى التعليمي باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، يتجاوز تصميم الدروس الافتراضية التي تقوم المعلمات بإعدادها وتنفيذها من خلال تطبيق Teams، والتي تعد إحدى التطبيقات التي يدعمها الذكاء الاصطناعي، وأكثرها استخداما في العملية التعليمية في المدارس الفلسطينية، نظرا لدعم الوزارة لها وتوظيفها خصوصا بعد جائحة كورونا، والاضطرار للتعلم عن بعد، وإلحاق المعلمين بالدورات اللازمة لتوظيفها. ومن هنا ترى الباحثة أن لوزارة التربية والتعليم الفلسطينية دورا كبيرا في تعزيز دور الذكاء الاصطناعي في التعليم المدرسي، وتطوير توظيفه في المجالات المختلفة، وذلك من خلال عديد من الخطوات، ومنها: توضيح التوجهات أو المعايير التربوية لاستخدام الذكاء الاصطناعي في المراحل التعليمية المختلفة، وتطوير المناهج بما يتلاءم مع العصر التكنولوجي الجديد، فضلا عن تطوير قدرات الهيئات التدريسية والإدارية من خلال سلسلة من الدورات التدريبية المتعمقة في توظيف الذكاء الاصطناعي في مجالات العملية التعليمية المختلفة، مع توفير البنية التحتية اللازمة لتنفيذه في المدارس الفلسطينية، ودعم المبادرات الفردية الرامية إلى تطوير الأداء التقني ماديا ومعنويا، إلى جانب ضرورة تعميم التجارب الناجحة.

6. مقترحات لدراسات مستقبلية

- بناء على نتائج الدراسة الحالية، تقترح الباحثة تنفيذ الدراسات المستقبلية الآتية:
- تنفيذ دراسات تطبيقية، بهدف استكشاف آليات توظيف تقنيات الواقع الافتراضي، والواقع المعزز، والروبوتات التعليمية في مدارس مديرية رام الله والبيرة، وقياس مدى فاعليتها في تحسين العملية التعليمية التعليمية.
- تنفيذ دراسات تجريبية على منصات تعليمية ذكية، يتم توظيفها بشكل فعلي في العملية التعليمية، ودراسة أثرها في تحسين الطلبة، وفي مستوى دافعتهم نحو التعلم.
- إجراء دراسات تحليلية باتباع أسلوب الملاحظة المباشرة، وتحليل مواقف تعليمية تتضمن توظيف التقنيات، للبحث في فاعلية التقنيات في مجالات العملية التعليمية المختلفة.

توصيات الدراسة

- بناء على نتائج الدراسة، توصي الباحثة بالآتي:
- إعداد خطة وطنية شاملة لاستخدام الذكاء الاصطناعي في المدارس، تتضمن معايير تربوية واضحة وإرشادات مرنة تراعي الخصائص الفريدة لكل مرحلة تعليمية، وتعمل على صياغة سياسات وممارسات تعليمية تساعد المعلمين والطلبة على استخدام التقنيات الذكية بطريقة فعالة وأخلاقية، تُسهم في تحسين نواتج التعلم.
- استخدام آليات مدروسة في تطوير محتوى المناهج الدراسية في فلسطين لدمج تقنيات الذكاء الاصطناعي، في مجالات العملية التعليمية المختلفة لتشمل محتوى المنهاج، وطرق التدريس، والتقويم، والتخطيط، والتواصل.
- توسيع استخدام تقنيات الواقع الافتراضي، والواقع المعزز، والروبوتات التعليمية، والمنصات الذكية في مديرية رام الله والبيرة، وزيادة أعداد المدارس والكوادر التي توظف تلك التقنيات.
- توفير الدعم البشري والمادي اللازمين لتفعيل أنظمة التدريس الذكية، والروبوتات، والأنظمة الخبيرة في مدارس المديرية.
- تحفيز المعلمين الذين يستخدمون تقنيات الذكاء الاصطناعي في التعليم، وإلحاقهم بورشات عمل تدريبية، ومسابقات محلية وإقليمية، ومؤتمرات حول تقنيات الذكاء الاصطناعي للإسهام في تطوير ممارساتهم، ونقل خبراتهم.

7. المصادر والمراجع

7.1 المراجع العربية

- أحمد، عبد السلام. (2023). دراسة حول استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغات في الدول العربية. *المجلة الليبية للدراسات الأكاديمية المعاصرة*، 1(1)، 9-19.
- تره، مريم. (2021). تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتسريع في عملية رقمنة التعليم. وقائع المؤتمر الدولي الأول: التعليم الرقمي في ظل جائحة كورونا، ملحق مجلة الجامعة العراقية، 15(2)، 13-22.
- خليدة، مهيبة. (2023). تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تطوير التعليم الإلكتروني (التعليم الرقمي). *المجلة العربية للتربية النوعية*، 7(25)، 313-334.
- الخبري، صبرية. (2020). درجة امتلاك معلمات المرحلة الثانوية بمحافضة الخرج لمهارات توظيف الذكاء الاصطناعي في التعليم. دراسات عربية في التربية وعلم النفس، 119(119)، 121-153.
- الشامي، غادة. (2020). هندسة المنهج واستشراف مستقبل الابتكار التكنولوجي في العصر الرقمي، الطبعة الأولى. الرياض- السعودية: مكتبة الرشد.
- شاهين، هالة. (2023). الذكاء الاصطناعي وتحويل التعليم من التلقين إلى تطبيق أدوات تضمن استدامة التعليم. *المجلة العربية للتربية النوعية*، 7(26)، 139-146.
- شحاتة، نشوى. (2022). توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية. *مجلة الجمعية المصرية للكمبيوتر التعليمي*، 10(2)، 205-214.
- طعيمة، رشدي. (2004). تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية. القاهرة- مصر: دار الفكر العربي.
- الطوخي، محمد. (2021). تقنيات الذكاء الاصطناعي والمخاطر التكنولوجية. *الفكر الشرطي*، 30(116)، 59-100.
- العتل، محمد والعنزي، إبراهيم والعجمي، عبد الرحمن. (2021). دور الذكاء الاصطناعي (AI) في التعليم من وجهة نظر طلبة كلية التربية الأساسية بدولة الكويت. *مجلة الدراسات والبحوث التربوية*، 1(1)، 30-64.
- الفرماوي، ايمان. (2021). برنامج قائم على النظرية الاتصالية باستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي وأثره في تنمية مهارات التفكير المنطومي في مادة الدراسات الاجتماعية. *مجلة بحوث*، 5(2)، 160-209.
- لويس، ماري والعزب، محمد. (2023). مستقبل التعليم والتعلم في عصر الذكاء الاصطناعي. *المجلة الدولية للذكاء الاصطناعي في التعليم والتدريب*، 3(2)، 1-8.
- مختار، بكاري. (2022). تحديات الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في التعليم. *مجلة المنندى للدراسات والأبحاث الاقتصادية*، 6(1)، 286-305.
- مطر، أسماء، وصالح، محمد. (2021). فعالية برنامج قائم على روبوتات الدردشة التفاعلية "Chat bots" في تحسين اضطرابات اللغة التعبيرية لدى ذوي الإعاقة العقلية البسيطة. *مجلة كلية التربية*، 32(128)، 669-702.
- مقاتل، ليلى وحسني، هنية. (2021). الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته التربوية العملية التعليمية. *مجلة علوم الإنسان والمجتمع*، 10(4)، 109-127.
- المهدي، مجدي. (2021). التعليم وتحديات المستقبل في ضوء فلسفة الذكاء الاصطناعي. *مجلة تكنولوجيا التعليم والتعلم الرقمي*، 2(5)، 97-140.
- وزارة التربية والتعليم الفلسطينية. (2022). مدرسة أندية STEM.
- وزارة التربية والتعليم الفلسطينية. (2024). الذكاء الاصطناعي، قطاع التربية والتعليم.

7.2 رومنة المراجع العربية

- Ahmed, A. (2023). A study on the use of artificial intelligence in language education in Arab countries (in Arabic). *Libyan Journal of Contemporary Academic Studies*, 1(1), 9-19.
- Al-Atal, M., Al-Anzi, I., & Al-Ajmi, A. (2021). The role of artificial intelligence (AI) in education from the perspective of students at the College of Basic Education in Kuwait (in Arabic). *Journal of Educational Studies and Research*, 1(1), 30-64.
- Al-Farmawi, E. (2021). A program based on connectivism theory using artificial intelligence applications and its impact on developing systemic thinking skills in social studies (in Arabic). *Buhuth Journal*, 5(2), 160-209.
- Al-Khaybari, S. (2020). The degree of secondary school teachers' possession of artificial intelligence employment skills in education (in Arabic). *Arab Studies in Education and Psychology*, 119(119), 121-153.
- Al-Mahdi, M. (2021). Education and future challenges in light of the philosophy of artificial intelligence (in Arabic). *Journal of Educational Technology and Digital Learning*, 2(5), 97-140.

- Al-Shami, G. (2020). Curriculum engineering and foresight of technological innovation in the digital age, first edition (in Arabic). Riyadh, Saudi Arabia: Al-Rushd Library.
- Al-Toukhi, M. (2021). Artificial intelligence technologies and technological risks (in Arabic). Police Thought, 30(116), 59–100.
- Khalida, M. (2023). Applications of artificial intelligence in developing e-learning (digital education) (in Arabic). Arab Journal of Qualitative Education, 7(25), 313–334.
- Lewis, M., & Al-Azab, M. (2023). The future of education and learning in the age of artificial intelligence (in Arabic). International Journal of Artificial Intelligence in Education and Training, 3(2), 1–8.
- Matar, A., & Saleh, M. (2021). Effectiveness of a program based on interactive chat bots in improving expressive language disorders among individuals with mild intellectual disabilities (in Arabic). Faculty of Education Journal, 32(128), 669–702.
- Mokhtar, B. (2022). Challenges of artificial intelligence and its applications in education (in Arabic). Forum Journal for Economic Studies and Research, 6(1), 286–305.
- Muqatil, L., & Hosni, H. (2021). Artificial intelligence and its educational applications in the learning process (in Arabic). Journal of Human and Society Sciences, 10(4), 109–127.
- Palestinian Ministry of Education. (2022). STEM Clubs School (in Arabic).
- Palestinian Ministry of Education. (2024). Artificial intelligence (in Arabic). education sector.
- Shahata, N. (2022). Employing artificial intelligence applications in the educational process (in Arabic). Egyptian Society for Educational Computing Journal, 10(2), 205–214.
- Shaheen, H. (2023). Artificial intelligence and transforming education from indoctrination to applying tools that ensure sustainability (in Arabic). Arab Journal of Qualitative Education, 7(26), 139–146.
- Taima, R. (2004). Content analysis in the humanities (in Arabic). Cairo, Egypt: Dar Al-Fikr Al-Arabi.
- Tarrah, M. (2021). Applications of artificial intelligence and acceleration in the process of digitizing education (in Arabic). Proceedings of the First International Conference: Digital Education in the Shadow of the COVID-19 Pandemic, Supplement of the Iraqi University Journal, 15(2), 13–22.

7.3 المراجع الأجنبية

- Adams, c. Pente, P. Lerner, G. and Rockwell, G. (2023). Ethical principles for artificial intelligence in K-12 education. Computers and Education: Artificial Intelligence, 4.
- Almalki, W. (2023). The Role of Artificial Intelligence Applications in Enhancing Educational Strategies in Higher Education (Literature Review). Journal of Educational and Psychological Sciences, 7(5), 93 – 107.
- Božić, V. and Poola, I. (2023). Chat GPT and education. ResearchGate.
- Celik, I. Dindar, M. Muukkonen, H. and Järvelä, S. (2022). The Promises and Challenges of Artificial Intelligence for Teachers: A Systematic Review of Research. TechTrends. 66, 616–630.
- Chassignol, M. Khoroshavin, A. Klimova, A. and Bilyatdinova, A. (2018). Artificial Intelligence trends in education: a narrative overview. Procedia Computer Science, 136, 16–24.
- Chen, L. Chen, P. and Lin. Z. (2020). Artificial Intelligence in Education: A Review. IEEE Access. 8, 75264-75278.
- Comesaña, M. Díaz, X. Janeiro, A. Torres, J. Prado, I. and Kriebel, D. (2023). Impact of artificial intelligence on assessment methods in primary and secondary education: Systematic literature review. Revista de Psicodidáctica (English ed), 28 (2), 93-103.
- Creswell, J. (2014). Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches (4th ed): SAGE Publications.
- Demaidi, M. (2023). Artificial intelligence national strategy in a developing country. AI & Soc.
- Fitria, T. (2021). Artificial intelligence (AI) in education: Using AI tools for teaching and learning process. Prosiding Seminar Nasional & Call for Paper STIE AAS, 4(1), 134–147.
- Flick, U. (2018). An introduction to qualitative research (6th ed). SAGE Publications.
- Karaca, A. and Kılcan, B. (2023). The Adventure of Artificial Intelligence Technology in Education: Comprehensive Scientific Mapping Analysis. Participatory Educational Research (PER), 10 (4), 144-165.

- Kim, K. and Kwon, K. (2023). Exploring the AI competencies of elementary school teachers in South Korea. *Computers and Education: Artificial Intelligence*, 4.
- Lawan, A. Muhammad, B. Tahir, A. Yarima, K. Zakari, A. Abdullahi, A. Hussaini, A. Kademi, H. Danlami, A. Sani, M. Bala, A. and Lawan, S. (2023). Modified Flipped Learning as an Approach to Mitigate the Adverse Effects of Generative Artificial Intelligence on Education. *Education Journal*, 12 (4), 136-143.
- Middle East Professional Learning Initiative. (2023). Artificial Intelligence Webinar Series, Session 1: Embrace AI Transform Education: Engage Minds. The president and fellows of Harvard College.
- Ouyang, F. and jiao, P. (2021). Artificial intelligence in education: The three paradigms. *Computers and Education: Artificial intelligence*, 2.
- Pardamean, B. Suparyanto, T. Cenggoro, T. Sudigyo, D. and Anugrahana, A. (2022). AI-Based Learning Style Prediction in Online Learning for Primary Education. *IEEE Access*, 10, 35725-35735.
- Zafari, M. Bazargani, J. Niaraki, A. and Choi, S. (2022). Artificial Intelligence Applications in K-12 Education: A Systematic Literature Review. *IEEE Access*.

Artificial Intelligence Techniques Used by Female Teachers in the Public Schools in the Directorate of Ramallah and Al-Bireh and Their Applications in the Teaching and Learning Process

Noor Karzoun

Directorate of Education, Ministry of Education, Palestine
Corresponding Author: Noor.karzoun@gmail.com

Received: 17/7/2024. Revised: 2/9/2024. Accepted: 5/10/2025. DIO:

Abstract

The study aimed to identify the artificial intelligence Techniques used by female teachers in the public schools in the Ramallah and Al-Bireh Directorate and explore the areas of their use in the teaching and learning process. To achieve the study's objectives, a qualitative research design was adopted, specifically a descriptive qualitative approach. An open-ended questionnaire was developed, and five female teachers from the public schools in the directorate participated in the study after verifying the validity and reliability of the instrument. The results revealed that the integration of AI technologies in the educational process was distributed into five main domains: content, assessment, teaching methods, communication, and planning. The results also indicated that the most commonly used techniques were educational robots, virtual reality (VR), augmented reality (AR), and AI-powered educational platforms respectively. Additionally, the findings showed that AI techniques were utilized in the content domain through the presentation and preparation of educational material via virtual platforms. In addition, the assessment techniques were used through diagnostic assessment, automated assessment, creating electronic tests, and providing personal guidance. For the teaching methods, E-learning, interactive learning and personalized learning were used. Furthermore, the field of communication was limited to the automated responses and social media platforms. Accordingly, the study recommended expanding the use of virtual education technologies, augmented reality, educational robotics, and AI-supported platforms in the schools of the Ramallah and Al-Bireh Directorate. It also emphasized the importance of developing school infrastructure and training teachers to effectively utilize these technologies. Furthermore, the study recommended providing the necessary support to implement robotics, intelligent tutoring systems, and expert systems in the teaching and learning process in the schools of the directorate.

Keywords: artificial intelligence (AI), educational learning process, teaching, techniques.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

دور التوجه الاستراتيجي في تحقيق اليقظة الريادية دراسة تطبيقية على شركات الطاقة الشمسية في مصر

إيمان عبد المعبود^{1*}، فاطمة جاد الله²، أميرة الزهيري³
قسم إدارة الأعمال، كلية التجارة، جامعة الأزهر، فرع البنات، القاهرة
1,2,3
*الباحث المراسل: dremantaha40@gmail.com

Received: 14/5/2025. Revised: 11/6/2025. Accepted: 31/12/2025. Published: 30/06/2026
DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.10

الملخص

هدف البحث إلى تحديد دور التوجه الاستراتيجي في تحقيق اليقظة الريادية للمديرين في شركات الطاقة الشمسية في مصر، من خلال عينة قوامها (331) مفردة، من المديرين في الشركات محل الدراسة: (مديرو الإدارة العليا، ومديرو الإدارة الوسطى، ومديرو الإدارة التنفيذية). وقد بلغ إجمالي عدد قوائم الاستقصاء المستردة والصحيحة (317) قائمة، بنسبة استجابة قدرها (95%). وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج الهامة، أهمها: وجود تأثير معنوي إيجابي لإجمالي التوجه الاستراتيجي في إجمالي اليقظة الريادية، وتبرز أن التوجه الاستراتيجي يشكل مدخلاً أساسياً لتعزيز اليقظة الريادية، وتوفر إطاراً يمكن الانطلاق منه لإعادة النظر في استراتيجيات القطاعات الأخرى، بما يسهم في تطوير بيئات عمل داعمة للمهارات الإدراكية والخصائص الريادية لدى المديرين والعاملين على حد سواء. وأخيراً قدم البحث مجموعة من التوصيات، ومن أهم هذه التوصيات: حث المنظمات على تبني نهج استراتيجي، يعتمد على توجه استراتيجي مصحوب برؤية طويلة المدى، والاهتمام بتوفير بيئة داعمة لتطوير المهارات الإدراكية والخصائص الريادية لدى العاملين.

الكلمات المفتاحية: التوجه الاستراتيجي، اليقظة الريادية، شركات الطاقة الشمسية.

1. المقدمة

تتسم بيئة الأعمال في الوقت الحاضر بدرجة عالية من الديناميكية والتغير المتسارع في الظروف التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية العالمية والمحلية، ما أوجب على المنظمات - باختلاف أشكالها - أن تستجيب لهذه التغيرات من خلال تصميم استراتيجيات فعالة ومتكاملة على مستوى أنشطة المنظمة، لتكون قادرة على التعامل مع هذه البيئة المتغيرة ومواجهة المنافسة العالمية الجديدة. هذا إلى جانب ما يكشف عنه الواقع من ضرورة توافر رؤية واضحة تتوافق مع التفكير الإبداعي الخلاق في رسم التوجه الاستراتيجي.

ويعد التوجه الاستراتيجي Strategic Orientation سمة من سمات العصر الحديث، وأداة رئيسية تمكن المنظمات من رسم المسارات الصحيحة لتحقيق الأهداف المنشودة في البناء والتقدم، كما أنه يعد مدخلاً تقوم المنظمة بتطبيقه للوصول إلى الأداء المتميز والمستمر في أنشطتها وأعمالها، والذي يعمل على إرساء نهج متبع لتحسين الأداء على المدى البعيد. وتُعبّر اليقظة الريادية Entrepreneurial Alertness عن قدرة المنظمة على رؤية المستقبل، ما يساعدها على أن تكون أكثر وعياً بالتغيرات والتحولات والفرص، وأكثر قدرة على تنظيم المعلومات في مختلف مجالات المعرفة المتعلقة بتطوير الفرص الجديدة، وتفسيرها. هذه المعلومات قد تكون حول التطورات التكنولوجية أو السوقية التي توفر فرصاً لخلق قيمة أكبر، ما يمكن المنظمات من إدراك الفرص المحتملة بشكل أسرع.

وتُعدّ الطاقة الكهربائية بشكل عام، والطاقة المتجددة بشكل خاص، قاطرة التقدم والتنمية، ولهذا حظيت مشروعات الطاقة المتجددة باهتمام عالمي متزايد، نظراً للفوائد الاقتصادية التي توفرها، مثل الإسهام في الوفاء بالطلب المستقبلي للطاقة الكهربائية، والإسهام - كذلك - في خفض غازات الاحتباس الحراري، ومواجهة التغير المناخي، وخفض كميات

الوقود الأحفوري (البترول – الفحم – الغاز الطبيعي) المستخدم في إنتاج الطاقة الكهربائية، إلى جانب الإسهام في التنوع الاقتصادي، وتوفير فرص العمل، وإنعاش الاقتصاد.

وقد أولت وزارة الكهرباء والطاقة المتجددة المصرية اهتماماً خاصاً بالطاقات المتجددة، فاعتمدت استراتيجياتها على تنوع مصادر الطاقة، والتوسع في استخدام الطاقة المتجددة، وترشيد استخدام مصادر الطاقة التقليدية. وتتمتع مصر بمميزات جغرافية ومناخية، فهي إحدى دول منطقة الحزام الشمسي الأكثر مناسبة وملاءمة لتطبيقات الكهرباء وإنتاجها من الطاقة الشمسية، ما يتيح فرص الاستثمار في مجال الطاقة الشمسية، ولتعظيم الاستفادة من هذه المصادر، فقد تم وضع استراتيجية للطاقة المتجددة، تستهدف الوصول بنسبة إسهام الطاقة المنتجة من الطاقات المتجددة إلى (20 %) من إجمالي الطاقة الكهربائية المنتجة في مصر عام 2023، وتصل الساعات المستهدفة لمشروعات إنتاج الكهرباء من الطاقة الشمسية خلال تلك الفترة إلى حوالي (2900) ميجاوات. (الوكالة الدولية للطاقة المتجددة IRENA, 2022, توقعات الطاقة المتجددة مصر)

وفي إطار ما تقدم، ونظرًا لما تقدمه الطاقة الكهربائية بشكل عام والطاقة المتجددة بشكل خاص في مجال التقدم والتنمية، فقد ارتأت الباحثة أن يتم تعميق المفاهيم الخاصة بمتغيرات الدراسة وتطبيقها على هذا القطاع الهام، وذلك من خلال دراسة العلاقة بين التوجه الاستراتيجي واليقظة الريادية في قطاع الطاقة الشمسية في مصر.

2. البحوث والدراسات السابقة

تمت مراجعة البحوث والدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة وتحليلها، لوضع الإطار العام للدراسة الحالية، ومعرفة الأبعاد الخاصة بمتغيراتها، وتحديد صياغة الفروض العلمية، وتوضيح أهمية الدراسة، وكذلك تحديد الفجوة البحثية في هذه الدراسات، والتي أدت إلى القيام بهذه الدراسة الحالية، والاستفادة منها في استخلاص التوجهات والمحاور الأساسية للدراسة الحالية، وسوف يتم عرض البحوث والدراسات السابقة من الأقدم إلى الأحدث، وذلك على النحو التالي:

2.1 البحوث والدراسات التي تناولت التوجه الاستراتيجي:

1- دراسة (Pehrsson, 2020) هدفت الدراسة إلى اختبار العلاقة بين التوجه الاستراتيجي (التوجه الريادي، والتوجه بالسوق)، والأداء في الشركات متعددة الجنسيات، وقد أجريت الدراسة على عينة قوامها (178) شركة من الشركات متعددة الجنسيات السويدية العاملة في السوق المحلية السويدية وفي مختلف الأسواق الخارجية. وتم استخدام أسلوب الاستقصاء أداة لجمع البيانات الأولية، وتمثلت وحدة المعاينة في كبار المديرين المسؤولين عن التصدير والأسواق الخارجية، وأوضحت الدراسة أن أنواع التوجه الاستراتيجي: (التوجه بالسوق، والتوجه الريادي) يؤديان إلى تحقيق مستويات مرتفعة لأداء الشركات متعددة الجنسيات. فمن خلال التوجه الاستراتيجي تتمكن المنظمات من تحقيق النجاح والمحافظة على نموها وبقائها، ما يجعلها تسعى باستمرار إلى تطوير استراتيجيتها، وتحسينها، وتعديلها، وتطوير منتجاتها، واستخدام أدوات ووسائل متجددة، والاستفادة من المعارف والعلوم والتطبيقات التي يستحدثها ويطورها الباحثون باستمرار، وما يزيد من أهمية التوجه الاستراتيجي ارتباطه ببعض المتغيرات الهامة ومنها الاستدامة الاقتصادية.

2- دراسة (Nugroho, et al., 2022) التي هدفت إلى اختبار التأثيرات المتعددة للتوجهات الاستراتيجية (التوجه الريادي، والتوجه التكنولوجي، والتوجه بالسوق) في أداء شركات الخدمات التعليمية، والدور الوسيط للقدرة على تبني تكنولوجيا المعلومات في هذه العلاقة. وقد أجريت الدراسة على عينة قوامها (3455) شركة من الشركات الصغيرة والمتوسطة الحجم، العاملة في مجال الخدمات التعليمية في إندونيسيا وسنغافورة، وهي مقسمة كالتالي: (3400) شركة من إندونيسيا، و(55) شركة من سنغافورة، وقد توصلت إلى أن التوجه بالسوق يؤثر بشكل مباشر في أداء الشركات؛ أي أن التوجه بالسوق من خلال التركيز والحفاظ على استراتيجيات خلق قيمة للعملاء، بوصفه أحد استراتيجيات التوجه بالسوق، يساعد في تحسين أداء الشركات وخلق ميزة تنافسية.

3- دراسة (Yang, et al., 2022) التي هدفت إلى اختبار تأثير الميزة التنافسية بوصفها متغيراً وسيطاً في العلاقة بين التوجه الاستراتيجي: (التوجه بالعملاء، والتوجه بالمنافسين، والتوجه التكنولوجي، والتوجه الشبكي، والتوجه الابتكاري) والاستدامة الاقتصادية للشركات الصغيرة والمتوسطة الحجم. وقد أجريت الدراسة على عينة قوامها (284) شركة صغيرة ومتوسطة الحجم تعمل في قطاعات متعددة: (الأغذية والملابس والتأمين) في إندونيسيا. وقد تم استخدام أسلوب الاستقصاء أداة لجمع البيانات، وتمثلت وحدة المعاينة في أصحاب الشركات (المالكين) وأعضاء مجالس الإدارة والمديرين العموميين، لما لديهم من سلطة اتخاذ القرارات الاستراتيجية للمنظمات. وبلغ عدد القوائم الصحيحة (111) قائمة. وتوصلت إلى وجود تأثير ذي دلالة إحصائية وإيجابية للتوجه الاستراتيجي في الاستدامة الاقتصادية، إلى جانب أن الميزة التنافسية بوصفها متغيراً وسيطاً قد زادت من تأثير التوجه الاستراتيجي في الاستدامة الاقتصادية.

4- دراسة (عبيدات & العبد الله، 2025) التي هدفت إلى التعرف إلى أثر التوجهات الاستراتيجية بأبعادها المتمثلة في التوجه التسويقي، والتوجه الريادي، والتوجه التكنولوجي، والتوجه التعليمي، في تحقيق الميزة التنافسية في بنك صفوة الإسلامي بالأردن. واعتمدت الدراسة على أسلوب الحصر الشامل، فجرى توزيع الاستبانات على مديري الإدارات العليا والوسطى

في الإدارة الرئيسة لبنك صفوة الإسلامي، والبالغ عددهم (137) مديرًا. وقد استُخدم أسلوب الاستقصاء أداة رئيسة لجمع البيانات، فيما بلغ عدد الاستبيانات المستردة والصالحة للتحليل (117) استبانة. وتشير نتائج الدراسة إلى أن التوجهات الاستراتيجية، بمختلف أبعادها: (التسويقي، والريادي، والتكنولوجي، والتعليمي)، تمثل عاملاً جوهرياً في تعزيز الميزة التنافسية لدى بنك صفوة الإسلامي. فقد تبين أن لهذه التوجهات أثراً ذا دلالة إحصائية في دعم أبعاد الميزة التنافسية المتمثلة في خفض التكلفة، وتحسين الجودة، وتعزيز المرونة، وزيادة سرعة تقديم الخدمات. وتدل هذه النتيجة على أن تبني البنك لتوجهات استراتيجية واضحة يسهم بشكل مباشر في رفع كفاءته التشغيلية وتعزيز قدرته على الاستجابة لمتطلبات العملاء والتغيرات في بيئة العمل المصرفي، الأمر الذي يمنحه قدرة أكبر على المنافسة في السوق المصرفية.

2.2 البحوث والدراسات التي تناولت اليقظة الريادية

1- دراسة (Campos.,2021)، التي هدفت إلى استكشاف ما إذا كانت أبعاد اليقظة الريادية تؤثر في نماذج الأعمال من خلال أنماط الابتكار في الشركات الصغيرة والمتوسطة الحجم. وقد أجريت الدراسة على عينة قوامها (665) شركة صغيرة ومتوسطة الحجم، تعمل في قطاع تصنيع الأجهزة الإلكترونية في المكسيك، وتمثلت وحدة المعاينة في: رواد الأعمال وأصحاب الشركات والمديرين، وتم استخدام أسلوب الاستقصاء أداة لجمع البيانات، وقد توصلت إلى أن أبعاد اليقظة الريادية لها تأثيرات مختلفة في أنماط الابتكار، والتي لها تأثيرات مختلفة في كفاءة نماذج الأعمال وحداثتها، ما يمكن رواد الأعمال من اتخاذ القرارات بسرعة وسهولة أكبر.

2- دراسة (Yang.,et al.,2022) التي هدفت إلى تحليل العلاقة بين الذكاء الثقافي المعرفي واليقظة الريادية في ظل الاختلافات البيئية المدركة لدى المهاجرين والهوية العالمية. وقد أجريت الدراسة على عينة قوامها (684) رائد أعمال من المهاجرين العاملين في الولايات المتحدة الأمريكية، ينتمون إلى (92) دولة مختلفة، بمتوسط خبرة عمل تبلغ 12 عامًا. وتم استخدام أسلوب الاستقصاء أداة لجمع البيانات، كما تم إرسال القوائم عبر البريد الإلكتروني، وكان عدد القوائم الصحيحة (555) قائمة. وقد توصلت إلى أن الذكاء الثقافي المعرفي للمهاجرين يسهم في تحقيق اليقظة الريادية بطريقة إيجابية، إلى جانب ذلك، فإن الاختلافات البيئية المدركة لدى المهاجرين والهوية العالمية يعملان بشكل إيجابي على زيادة العلاقة بين الذكاء الثقافي المعرفي واليقظة الريادية.

3 – دراسة (الجابري، 2025) التي هدفت إلى التعرف إلى مستوى الممارسة الفعلية لليقظة الريادية داخل الجامعات اليمنية بمحافظة أب، وتحليل طبيعة العلاقات المباشرة وغير المباشرة بينها وبين تحسين السمعة الجامعية. كما تركزت الدراسة على اختبار الدور الوسيط الذي تؤديه وسائل التواصل الاجتماعي في تعزيز هذه العلاقة، بما يسهم في توضيح كيفية توظيف اليقظة الريادية في دعم مكانة الجامعات ورفع قدرتها التنافسية. وقد أجريت الدراسة على عينة قوامها (206) مفردات من العاملين في الجامعات اليمنية: (حكومية وأهلية) بمحافظة أب، وتم استخدام أسلوب الاستقصاء أداة لجمع البيانات. وأظهرت نتائج الدراسة أن هناك علاقة ذات تأثير مباشر ودلالة إحصائية بين اليقظة الريادية وكلٍّ من وسائل التواصل الاجتماعي والسمعة الجامعية. كما بينت النتائج وجود تأثير غير مباشر ذي دلالة إحصائية لليقظة الريادية في السمعة الجامعية من خلال الدور الوسيط لوسائل التواصل الاجتماعي، الأمر الذي يؤكد أهمية هذه الوسائل في تعزيز أثر اليقظة الريادية في تحسين السمعة الجامعية.

2.3 البحوث والدراسات التي تناولت العلاقة بين التوجه الاستراتيجي واليقظة الريادية

دراسة (Bilal.,et al.,2021) أشارت إلى أن اليقظة الريادية تزيد قوة العلاقة بين التوجه الريادي ونجاح الشركات الصغيرة والمتوسطة. وعليه كان هدف الدراسة هو اختبار العلاقة بين التوجه الريادي ونجاح الشركات الصغيرة والمتوسطة. وقياس تأثير اليقظة الريادية وتحليلها من خلال البحث والمسح، والاقتران والترابط، والتقييم والحكم، بوصفها متغيراً وسيطاً في العلاقة بين التوجه الريادي ونجاح الشركات الصغيرة والمتوسطة.

وقد أجريت الدراسة على عينة قوامها (600) شركة من الشركات الصغيرة والمتوسطة العاملة في قطاعات المنسوجات والأغذية والمشروبات والمواد الكيميائية في باكستان، وتم استخدام أسلوب الاستقصاء أداة لجمع البيانات. وتمثلت وحدة المعاينة في أصحاب المشروعات، وكان عدد القوائم الصحيحة (389) قائمة، بمعدل استجابة قدره (65%). وتوصلت الدراسة إلى أن اليقظة الريادية تزيد قوة العلاقة بين التوجه الريادي ونجاح الشركات الصغيرة والمتوسطة. فقد ثبت من خلال النتائج أن التوجه الريادي واليقظة الريادية مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بمالكي الشركات الصغيرة والمتوسطة الذين كانوا أكثر يقظة في البحث عن المعلومات وتقويمها واستخدامها لاستكشاف الفرص. ويوضح هذا أن جميع أبعاد التوجه الريادي، مثل التوجه الذاتي، والاستباقية، والعنوانية التنافسية، والمخاطرة، والابتكار، تؤدي إلى تحقيق اليقظة الريادية.

2.4 التعليق على البحوث والدراسات السابقة

بناءً على ما تقدم، وفي ضوء البحوث والدراسات السابقة التي تم عرضها، فيمكن استخلاص ما يلي:
بالرغم من أن غالبية الدراسات والبحوث السابقة التي تناولت متغيرات البحث قد تم إجراؤها على المنظمات الصناعية بمختلف أنواعها، والخدمية، والتجارية، والتعليمية، وغير ذلك، وبالرغم من تناول المتغيرات في القطاع الخدمي، فإنه -

وعلى وجه الخصوص - لم تحظ المنظمات التي تعمل في قطاع الطاقة المتجددة (شركات الطاقة الشمسية) بالاهتمام الكافي فيما يتعلق بهذه المتغيرات. فهناك ندرة حقيقية في هذا المجال، لذا فإن الدراسة الحالية تركز على قطاع الطاقة المتجددة؛ نظرًا لأهمية الطاقة المتجددة التي تعد الركيزة الأساسية لإحداث التنمية الشاملة في المجتمعات كافة، وشریان التنمية في شتى مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية. وتعدّ الطاقة الكهربائية بشكل عام، والطاقة المتجددة بشكل خاص، قاطرة التقدم والتنمية، ولهذا حظيت مشروعات الطاقة المتجددة باهتمام عالمي متزايد؛ نظرًا للفوائد الاقتصادية التي توفرها، مثل الإسهام في الوفاء بالطلب المستقبلي للطاقة الكهربائية، والإسهام في خفض غازات الاحتباس الحراري، ومواجهة التغير المناخي، وخفض كميات الوقود الأحفوري (البترول - الفحم - الغاز الطبيعي) المستخدم في إنتاج الطاقة الكهربائية، إلى جانب الإسهام في التنوع الاقتصادي، وتوفير فرص العمل وإنعاش الاقتصاد. ومن هنا تبرز الفجوة البحثية التي يسعى هذا البحث إلى سدها، من خلال اختبار العلاقة بين التوجه الاستراتيجي واليقظة الريادية في شركات الطاقة الشمسية، بوصفها نموذجًا مهمًا لقطاع يتميز بخصوصية بيئية وتنظيمية عالية، ويمكن لاحقًا مقارنته بقطاعات أخرى لتوسيع نطاق النتائج. وفي إطار ما تقدم، ونظرًا لما تقدمه الطاقة الكهربائية بشكل عام، والطاقة المتجددة بشكل خاص، في مجال التقدم والتنمية، فقد ارتأى الباحثون أن يتم تعميق المفاهيم الخاصة بمتغيرات البحث وتطبيقه على هذا القطاع الهام، وذلك من خلال دراسة دور التوجه الاستراتيجي في تحقيق اليقظة الريادية للمديرين في شركات الطاقة الشمسية في مصر.

3. مشكلة البحث

تمثل عملية تحديد التوجه الاستراتيجي- بشكل واضح ودقيق - المهمة الأساسية والأولى بالنسبة للمنظمات، فتعتمد مختلف الأنشطة في المنظمات؛ من تحديد الأهداف المختلفة، واختيار الاستراتيجيات، ووضع الخطط العملية، وتخصيص الموارد، وتحقيق القدرات الديناميكية التي تساعد المنظمات على تحقيق أهدافها، إلى فعالية تحديد الاتجاه بشكل متكامل. فأية منظمة مهما كان حجمها، تحتاج إلى أن تدرك تمامًا وضعها الحالي أين هي الآن؟ وكيف تريد أن تكون في المستقبل؟ وما هو المأمول في الواقع الإداري لهذه المنظمات؟

كما يعد قطاع الطاقة المتجددة أحد أهم القطاعات الرئيسية في مصر، والذي يُعد أحد العوامل الرئيسية للدفع قُدُمًا بالتنمية الاقتصادية في مصر، فيمثل نحو (13%) من الناتج المحلي الإجمالي (الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، دراسة الطاقة الجديدة والمتجددة في مصر، إصدار يوليو 2023). وبالتالي فإن النمو الاقتصادي في مصر يتوقف على أمن موارد الطاقة واستقرارها، لذا فقد ارتأى الباحثون أن يتم تعميق المفاهيم الخاصة بمتغيرات الدراسة وتطبيقها على هذا القطاع الهام، وذلك من خلال دراسة دور التوجه الاستراتيجي في تحقيق اليقظة الريادية في قطاع الطاقة الشمسية في مصر.

وبناءً على ما سبق، فيمكن بلورة مشكلة الدراسة في التساؤل الآتي:

" ما مدى إسهام التوجه الاستراتيجي في تحقيق اليقظة الريادية للمديرين في الشركات محل الدراسة العاملة في قطاع الطاقة الشمسية؟ "

3.2 أهداف البحث:

هدف البحث إلى تحديد دور التوجه الاستراتيجي في تحقيق اليقظة الريادية للمديرين في شركات الطاقة الشمسية في مصر ". ويتطلب لتحقيق هذا الهدف الآتي:

- قياس الاختلافات في اتجاهات المستقضي منهم (المديرين) في الشركات محل الدراسة نحو مدى توافر أبعاد التوجه الاستراتيجي وفقًا للمستوي الإداري وتحليلها".
- قياس الاختلافات في اتجاهات المستقضي منهم (المديرين) في الشركات محل الدراسة نحو مدى توافر أبعاد اليقظة الريادية وفقًا للمستوي الإداري وتحليلها".
- دراسة أثر التوجه الاستراتيجي في تحقيق اليقظة الريادية في الشركات محل الدراسة.

3.3 أهمية البحث

تجلت أهمية البحث من خلال البحث في أهمية المتغيرات التي تناولها: (التوجه الاستراتيجي، واليقظة الريادية) ومن خلال التطبيق كذلك: (شركات الطاقة الشمسية في مصر). وتتمثل هذه الأهمية في جانبها العلمي والعملية.

الأهمية العلمية:

- اكتسب البحث أهميته في تناوله متغيرات، تُعد من أهم المتغيرات التي تناولتها أدبيات علوم الإدارة الاستراتيجية وريادة الأعمال؛ فالدراسة الحالية تتناول هذه المتغيرات الهامة والتي تحقق للمنظمات - خاصة تلك التي تعمل في قطاع الطاقة المتجددة - مواصلة تقدمها، واتخاذ التوجه المناسب للتكيف مع التغيرات البيئية وظروف عدم التأكد، وإزالة الصعوبات ووضع الحلول الجذرية لما يعترضها من مشاكل، والعمل على تحسين الجودة وزيادة الإنتاجية.
- أسهم البحث في تقديم أدلة يمكن للمديرين في شركات الطاقة الشمسية في مصر، الاسترشاد بها لمواكبة التطورات المتسارعة، من خلال تسليط الضوء على أهمية التوجه الاستراتيجي ودوره في تحقيق اليقظة الريادية.

- أسهم البحث في إغناء المكتبة العربية بموضوع جديد قد يحظى باهتمام الباحثين والممارسين، ويعد نقطة انطلاق لدراسات أخرى في التوجه الاستراتيجي وأثره في تحقيق اليقظة الريادية في مجال الطاقة المتجددة، خاصة أن الدراسات العربية في هذا المجال قليلة.
- محاولة سد الفجوة البحثية من خلال تحديد دور التوجه الاستراتيجي وتحليله لتحقيق اليقظة الريادية في القطاع محل البحث، وتعزيزه، وتوضيح الطبيعة التبادلية والتأثيرية للعلاقات بين المتغيرات محل البحث.

الأهمية العملية:

- استمدت الدراسة أهميتها من القطاع الذي طبقت عليه الدراسة، ألا وهو قطاع الطاقة المتجددة، وهو أحد أهم القطاعات الرئيسية في مصر، والذي يُعد أحد العوامل الرئيسية للدفع قُدماً بالتنمية الاقتصادية في مصر، فيمثل نحو (13%) من الناتج المحلي الإجمالي: (الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، ودراسة الطاقة الجديدة والمتجددة في مصر، إصدار يوليو 2023).
- تتضح أهمية شركات الطاقة الشمسية (مجال التطبيق) في إسهامها في توفير احتياجات الطاقة للقطاعات المختلفة، وهو ما يؤدي إلى تحقيق وفر في استهلاك الطاقة التقليدية، هذا إلى جانب تجنب الآثار السلبية للوقود الأحفوري: (البترو/ الفحم/ الغاز الطبيعي) في البيئة.
- أسهمت الدراسة الحالية في تقديم توصيات للمديرين والممارسين، قد تساعدهم في تطوير آليات العمل، وتحقيق أهداف الشركات التي يعملون بها.

3.4 فروض البحث

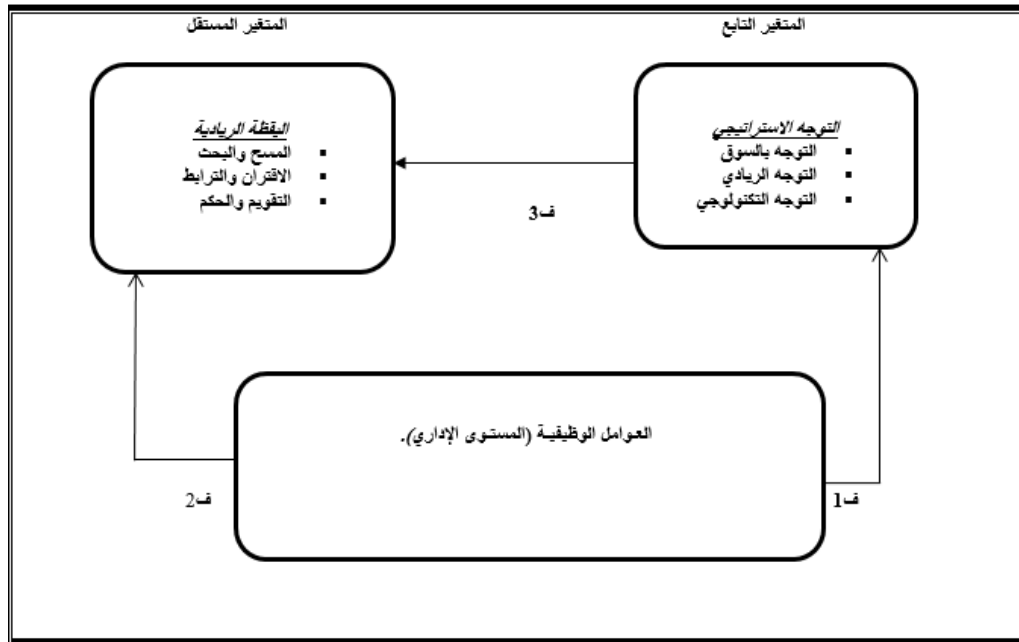
سعى البحث إلى تحقيق الأهداف السابقة من خلال اختبار مدى صحة الفروض التالية، أو عدم صحته.

الفرض الأول: من المتوقع وجود اختلافات ذات دلالة إحصائية في اتجاهات المستقضي منهم نحو مدى توافر أبعاد التوجه الاستراتيجي، وفقاً للمستوى الإداري في الشركات محل البحث.

الفرض الثاني: من المتوقع وجود اختلافات ذات دلالة إحصائية في اتجاهات المستقضي منهم نحو مدى توافر أبعاد اليقظة الريادية، وفقاً للمستوى الإداري في الشركات محل البحث.

الفرض الثالث: من المتوقع وجود تأثير معنوي للتوجه الاستراتيجي وأبعاده: (التوجه بالسوق، والتوجه التكنولوجي، والتوجه الريادي) في اليقظة الريادية وأبعادها في الشركات محل البحث.

هذا ويوضح الشكل التالي رقم (1) الرسم التخطيطي لبحث العلاقات بين متغيرات البحث.



الشكل 1: رسم تخطيطي لبحث العلاقة بين متغيرات البحث (المصدر: إعداد الباحثة)

3.5 الإطار المعرفي لمتغيرات البحث

3.5.1 التوجه الاستراتيجي

ترجع البدايات الأولى لاستخدام مصطلح التوجه الاستراتيجي Strategic Orientation إلى الإسهامات التي قدمها كل من (Miles & Snow., 1978) من خلال تعريف التوجه الاستراتيجي من خلال دور المنظمة بوصفها منقبا Prospector، ومدافع Defender، ومحللا Analyzer، ومتفاعلا Reactor، نقلاً عن (Alanit., et al., 2019). ثم بعد

ذلك طور (Venkatraman.,1989) مقياساً لمفهوم التوجه الاستراتيجي ليشمل العناصر التالية: العدوانية Aggressiveness والقدرة التحليلية Analysis، والدفاعية Defensiveness، والتوجه نحو المستقبل Futurity، والاستباقية Proactiveness، والمخاطرة Riskiness. نقلاً عن (Alobaidi & Kitapci., 2019, p. 55) ولقد حظي التوجه الاستراتيجي باهتمام كبير في أدبيات الإدارة الاستراتيجية وريادة الأعمال وبحوث التسويق، استناداً إلى فكرة أن نجاح المنظمة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقدرة على تبني استراتيجية واضحة تناسب البيئة الخارجية سريعة التغير.

وعرف كل من (Cassia, & Zilber.,2016. , p.448) التوجه الاستراتيجي أنه "مجموعة من المبادئ الإرشادية القادرة على تشكيل إجراءات اتخاذ القرارات الإدارية للمنظمة والتي تساعد المديرين على استخدام الموارد التنظيمية بشكل فعال". في حين عرفه (Syahdan.,et al.,2020,p.1152) أنه "الأنشطة الاستراتيجية التي تقوم بها المنظمة لتطوير أنشطتها وتحسينها من أجل أداء أفضل".

وفي السياق ذاته، يرى كل من (Adiguzel& Cakir,2022,p.2) أنه "جهود المنظمة لخلق سلوكيات تنظيمية ملائمة، تؤثر في القيم والمعتقدات والمعايير والثقافة التنظيمية، ما يساعدها على اكتساب ميزة تنافسية في السوق".
اتضح من التعريفات السابقة أن التوجه الاستراتيجي هو "مبادئ تقوم على أسس وتوجهات سوقية وتكنولوجيا وريادية تسترشد بها المنظمة لتحديد أهدافها الاستراتيجية للتفاعل مع السوق، والتأثير في أنشطتها من خلال القيم والمعتقدات، التي تساعد على ممارسة السلوكيات، التي تهدف إلى ضمان بقاء المنظمة ونموها ضمن إطار تصور استراتيجي بعيد الأمد". ويشمل التوجه الاستراتيجي ثلاثة أبعاد، تتمثل في الآتي:

- التوجه بالسوق: Market Orientation "ويقصد به قدرة المنظمة على جمع المعلومات عن السوق ونشرها في المنظمة بقصد ملائمة المنتجات لحاجات العملاء، ما يساعد على خلق قيمة مميزة لعملائها". (Richard., et al.,2018., p.102)
- التوجه التكنولوجي: Technological Orientation ويقصد به "قدرة المنظمة على الاستثمار في أنواع تكنولوجيا جديدة ومتطورة واستخدامها في مجال تطوير المنتجات الجديدة". (Mehmood & Zafar.,2019., P.947)
- التوجه الريادي: Entrepreneurial Orientation "يشير إلى قدرة المنظمة على تبني السلوكيات الإبداعية والاستباقية، وتبني المخاطرة المحسوبة، في محاولة منها لخلق الفرص واستثمارها". (Wang., et al.,2020, p.153)

3.5.2 الیقظة الريادية

يعود التطور التاريخي لمفهوم الیقظة الريادية إلى القرن الثامن عشر، عندما ذكر كل من (Say, 1964, Cantillon,1931. , in Sharma.,2019, p.218) أن بعض الأفراد يمكنهم التعرف إلى الاختلافات في قيمة السلع عبر قطاعات السوق المختلفة، واستغلال هذه المعرفة لتحقيق الربح.

وفي عام (1973) طور Kirzner مفهوم الیقظة الريادية، فوصف الأفراد الأكثر یقظة بأنهم يمتلكون القدرة التي تساعد على التعرف إلى الفرص. وعرفها بأنها: عملية ومنظور يساعد بعض الأفراد على أن يكونوا أكثر وعياً وإدراكاً بالتغيرات والتحولات والفرص والإمكانيات التي يتجاهلها الآخرون. (Kirzner,1979, in Sharma. , 2019, p.218). ثم ذكر في وقت لاحق، أن الیقظة الريادية هي نزعة دافعة للأفراد لتشكيل صورة عن المستقبل. (Kirzner, 1985, in Campos., 2020., p.248)

وتعني "مجموعة مميزة من المهارات الإدراكية ومهارة معالجة المعلومات، والقدرة على رؤية مستقبل المنظمة بالاعتماد على مهارات البحث عن المعلومات، والاقتران والترابط والتقويم والحكم، وذلك من خلال تراكم المعرفة، وتقويمها، واختيارها، المعرفة التي يمكن أن تقود المنظمة إلى اغتنام الفرص المحتملة أمام المنظمة". وتشتمل الیقظة الريادية على ثلاثة أبعاد، تتمثل في الآتي:

- المسح والبحث: Scanning and search ويقصد به "البحث بشكل مستمر لتحديد المعلومات أو التغيرات التي تحدث في البيئة، ما يساهم في وضع الأسس لتطوير الأطر المعرفية". (Adomako., et al.,2018, p.455)
- الاقتران والترابط: Association and connection "ويقصد به "القدرة على جمع المعلومات وبناءها من خلال وضعها على شكل بدائل مرتبطة ومعالجتها". (Liang., 2019, p.157)
- التقويم والحكم: Evaluation and Judgment يشير إلى "القدرة على تقويم المعلومات الجديدة التي تم جمعها ومعالجتها، والحكم عليها وفقاً لكونها فرصاً جديدة للمنظمة". (Li, et al., 2020. , p.3)

4. منهجية البحث

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لوصف الظاهرة موضع الدراسة، والتعرف إلى مكوناتها، وتحليل اتجاهات المستقضي منهم نحو مدى توافر أبعاد التوجه الاستراتيجي ودورها في تحقيق الیقظة الريادية.

4.1 مجتمع البحث وعينته

اشتمل مجتمع البحث على الشركات التي تعمل في مجال توليد الكهرباء من الطاقة الشمسية المرتبطة بالشبكة الحكومية، وعددها (106) شركة في محافظات القاهرة والجيزة والقليوبية والإسكندرية، وذلك لتوافر المعايير التالية في تلك الشركات من دون غيرها من الشركات الأخرى:

- الشركات الحاصلة على تراخيص لمزاولة نشاط إنتاج طاقة كهربائية من الطاقة الشمسية، والتي تنتج 50 ميغا وات.
- الشركات الحاصلة على شهادات تأهيل للعمل في مجال تكنولوجيا الخلايا الفوتوفلاطية لمزاولة نشاط إنتاج طاقة كهربائية من الطاقة الشمسية، والتي تنتج أكثر من 500 كيلو وات حتى 20 ميغا وات.
- توافر مجموعة من الآليات في هذه الشركات، فهي تشمل عقوداً طويلة الأجل، وبأسعار مناسبة، وبالتالي يتم التعاقد مع هذه الشركات لمدد طويلة تصل إلى 25 عاماً، ما قد يسمح للممارسين والباحثين بعمل دراسات دقيقة وواقعية وفقاً للمعطيات المتوافرة.
- الشركات التي أسهمت في المشروعات القومية للطاقة الشمسية لمدى إسهاماتها في الدفع قُدماً بالتنمية الاقتصادية في مصر.

وقد تم تحديد حجم العينة الممثلة لمجتمع الدراسة بالاعتماد على أسلوب العينة العشوائية الطبقية باستخدام <http://www.calculator.net/sample-size-calculator.html> 24، وتبين أن حجم العينة الممثلة لمجتمع الدراسة يبلغ (331) مفردة، عند نسبة خطأ (5%) ومستوى ثقة (95%)، وقد تم توزيع مفردات العينة على الشركات محل الدراسة وفقاً لنسبة عدد المديرين في كل شركة إلى إجمالي عدد المديرين في جميع الشركات محل الدراسة، وقد بلغ إجمالي عدد قوائم الاستقصاء المستردة والصحيحة (317) قائمة استقصاء، بنسبة استجابة قدرها (95%) من إجمالي 331 قائمة استقصاء موزعة.

4.1 توصيف العينة

تم استخدام التحليل الوصفي للبيانات لتوصيف العينة وفقاً للعوامل الشخصية (النوع-المرحلة العمرية)، والعوامل الوظيفية (مدة الخبرة – المستوى الإداري) باستخدام التكرارات والنسب المئوية، وقد أسفرت نتائج التحليل الإحصائي عما يلي، وذلك كما يوضحه الجدول التالي رقم (1):

جدول 1: توصيف عينة الدراسة بحسب العوامل الشخصية والوظيفية (ن=317)

المتغير	التكرارات	النسب المئوية
النوع:		
ذكر	239	75.39%
أنثى	78	24.61%
المرحلة العمرية:		
من 25 إلى أقل من 35 سنة	50	15.77%
من 35 إلى أقل من 45 سنة	168	53.00%
من 45 سنة فأكثر	99	31.23%
مدة الخبرة الوظيفية:		
أقل من 10 سنوات	77	24.29%
من 10 إلى أقل من 20 سنة	156	49.21%
من 20 سنة فأكثر	84	26.50%
المستوى الإداري:		
إدارة عليا	55	17.35%
إدارة وسطى	139	43.85%
إدارة تنفيذية	123	38.80%
إجمالي عينة الدراسة:	317	100.00%

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي.

- توزيع مفردات العينة وفقاً لمتغير النوع: أشارت النتائج إلى أن النسبة الأعلى من الذكور وقد بلغ عددهم (239) مفردة بنسبة (75.39%)، في حين بلغ عدد الإناث (78) مفردة بنسبة (24.61%).
- توزيع مفردات العينة وفقاً لمتغير العمر: تضمنت عينة الدراسة، بحسب متغير المرحلة العمرية، (50) مفردة من الفئة العمرية: (من 25 إلى أقل من 35 سنة)، بنسبة (15.77%)، و (168) مفردة من الفئة: (من 35 إلى أقل من 45 سنة) بنسبة (53%)، و (99) مفردة من الفئة من (45 سنة فأكثر)، بنسبة (31.23%).
- توزيع مفردات العينة وفقاً لمتغير مدة الخبرة الوظيفية:

تضمنت عينة الدراسة - بحسب متغير مدة الخبرة الوظيفية - (77) مفردة من الفئة: (أقل من 10 سنوات) بنسبة (24.29%)، و (156) مفردة من الفئة: (من 10 إلى أقل من 20 سنة) بنسبة (49.21%)، و (84) مفردة من الفئة: (من 20 سنة فأكثر)، بنسبة (26.5%).

توزيع مفردات العينة وفقاً لمتغير المستوى الإداري:

تضمنت عينة الدراسة - بحسب متغير المستوى الإداري - (55) مفردة من فئة: "إدارة عليا"، بنسبة (17.35%)، و (139) مفردة من فئة: "إدارة وسطى"، بنسبة (43.85%)، و (123) مفردة من فئة: "إدارة تنفيذية"، بنسبة (38.8%).

وفيما يتعلق بالدرجة الوظيفية لأفراد عينة الدراسة في كل مستوى إداري، فقد كانت على النحو الآتي:

- بالنسبة لمستوى الإدارة العليا: تضمنت عينة الدراسة (22) مفردة من فئة رئيس مجلس إدارة، بنسبة (6.94%)، و (24) مفردة من فئة عضو مجلس إدارة، بنسبة (7.57%)، و (9) مفردة من فئة عضو منتدب بنسبة (2.84%)،

- بالنسبة لمستوى الإدارة الوسطى: تضمنت عينة الدراسة (14) مفردة من فئة مدير الموارد البشرية بنسبة (4.42%)، و (19) مفردة من فئة مدير تطوير الأعمال، بنسبة (5.99%)، و (10) مفردات من فئة مدير الاستثمار بنسبة (3.15%)، و

(10) مفردات من فئة مدير التشغيل والصيانة بنسبة (3.15%)، و (12) مفردة من فئة مدير العمليات والتصميم، بنسبة (3.79%)، و (12) مفردة من فئة مدير تكنولوجيا المعلومات بنسبة (3.79%)، و (12) مفردة من فئة مدير العلاقات

العامة بنسبة (3.79%)، و (10) مفردة من فئة مدير الإنتاج بنسبة (3.15%)، و (12) مفردة من فئة مدير تنفيذ المشروعات، بنسبة (3.79%)، و (11) مفردة من فئة مدير المبيعات بنسبة (3.47%)، و (17) مفردة من فئة مدير التسويق بنسبة (5.36%).

- بالنسبة لمستوى الإدارة التنفيذية: تضمنت عينة الدراسة (19) مفردة من فئة مساعد مدير تطوير الأعمال، بنسبة (5.99%)، و (15) مفردة من فئة مشرف التشغيل والصيانة، بنسبة (4.73%)، و (15) مفردة من فئة مساعد مدير تنفيذ

المشروعات، بنسبة (4.73%)، و (18) مفردة من فئة مشرف الدعم الفني بنسبة (5.68%)، و (17) مفردة من فئة مشرف جودة بنسبة (5.36%)، و (11) مفردة من فئة منسق التدريب، بنسبة (3.47%)، و (28) مفردة من فئة مدير خدمة العملاء بنسبة (8.83%).

4.2 أدوات القياس المستخدمة:

المقياس الأول: المتغير المستقل (التوجه الاستراتيجي):

تم تصميم مقياس التوجه الاستراتيجي بالاعتماد على مقاييس كل من:

(Beliaeva.,et al.,2020.; Simone.,2020.; Hakala.,2010.; Al-Ansari.,et al., 2013.; Kumar., Das.,2020) , وتكون المقياس من (16) عبارة موزعة على ثلاثة أبعاد كالآتي:

- البعد الأول: التوجه بالسوق: وتم قياسه من خلال (6) عبارات.

- البعد الثاني: التوجه الريادي: وتم قياسه من خلال (6) عبارات.

- البعد الثالث: التوجه التكنولوجي: وتم قياسه من خلال (4) عبارات.

المقياس الثاني: المتغير التابع (اليقظة الريادية):

تم تصميم مقياس اليقظة الريادية بالاعتماد على مقياس ((Tang.,et al.,2012), ويتكون المقياس من (12) عبارة موزعة على ثلاثة أبعاد كالآتي:

- البعد الأول: المسح والبحث: وتم قياسه من خلال (5) عبارات.

- البعد الثاني: الاقتراح والتربط: وتم قياسه من خلال (4) عبارات.

- البعد الثالث: التقويم والحكم: وتم قياسه من خلال (3) عبارات.

4.3 أداة الدراسة

استخدمت الدراسة الميدانية قائمة استقصاء تضم مقياسين: (التوجه الاستراتيجي، واليقظة الريادية) بغرض جمع البيانات من عينة البحث، وقد تم إعداد هذه الأداة في ضوء ما أسفر عنه الجانب النظري من عرض وتحليل للدراسات السابقة، والأدبيات العلمية المتخصصة في مجال الدراسة، ومن ثم تم تحكيم تلك الأداة والتأكد من صلاحيتها بحساب معاملات الثبات والصدق البنائي، وذلك على النحو الآتي:

4.3.1 الحكم على دقة أدوات القياس المستخدمة:

يهدف تقنين المقياس إلى التأكد من مدى صلاحيته وجودته، وذلك من خلال معامل الصدق والثبات الخاص به، وقد تم التأكد من صدق المقياس وفقاً للصدق المنطقي، وذلك من خلال عرض المقياس على عينة من العاملين (الممارسين) في الشركات محل البحث؛ لاستطلاع آرائهم، وكذلك وفقاً للصدق الإحصائي، وذلك من خلال استخدام معامل ألفا كرونباخ، بهدف قياس معامل الثبات (درجة الاعتمادية)، والصدق الذاتي الذي يمثل الجذر التربيعي لمعامل الثبات، وذلك على مستوى جميع الأبعاد الخاصة بالتوجه الاستراتيجي واليقظة الريادية، وذلك كما هو موضح في الجداول التالية: رقم (2)، ورقم (3).

جدول 2: معاملات الصدق والثبات لمقياس التوجه الاستراتيجي

البُعد	عدد العبارات	معامل الثبات (Cronbach's Alpha)	الصدق
التوجه بالسوق	6	0.911	0.951
التوجه الريادي	6	0.923	0.960
التوجه التكنولوجي	4	0.920	0.959
إجمالي التوجه الاستراتيجي	16	0.971	0.985

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي.

يتضح من الجدول السابق، رقم (2) أن قيمة معامل ألفا كرونباخ لثبات مقياس التوجه الاستراتيجي قد بلغت (0.971)، كما تراوحت قيم معامل الثبات للأبعاد الفرعية من (0.911) إلى (0.923)، وجميعها قيم أعلى من الحد الأدنى المقبول لمعامل الثبات وهو (0.70). ويشير تحليل الثبات إلى ارتفاع مستوى الثبات لمقياس التوجه الاستراتيجي، وبالتالي ارتفاع الثقة في نتائج تطبيقه وسلامة البناء عليها.

جدول 3: معاملات الثبات لمقياس اليقظة الريادية

البُعد	عدد العبارات	معامل الثبات Cronbach's Alpha	مستوى الثبات
المسح والبحث	5	0.923	0.960
الاقتراح والترابط	4	0.896	0.946
التقويم والحكم	3	0.881	0.942
إجمالي اليقظة الريادية	12	0.963	0.981

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي.

يتضح من الجدول السابق، رقم (3) أن قيمة معامل ألفا كرونباخ لثبات مقياس اليقظة الريادية قد بلغت (0.963)، كما تراوحت قيم معامل الثبات للأبعاد الفرعية من (0.881) إلى (0.923)، وجميعها قيم أعلى من الحد الأدنى المقبول لمعامل الثبات. ويشير تحليل الثبات إلى ارتفاع مستوى الثبات لمقياس اليقظة الريادية، وبالتالي الثقة في نتائج تطبيقه وسلامة البناء عليها.

5. عرض نتائج البحث ومناقشتها

تم تحليل البيانات الخاصة بالبحث باستخدام البرنامج الإحصائي IBM SPSS Statistics، وفيما يلي عرض نتائج الوصف الإحصائي لمتغيرات البحث وأبعادها الفرعية، وتحليلها، ونتائج دراسة العلاقات الارتباطية بينها، ومن ثم عرض النتائج الخاصة باختبار فروض البحث، وتحليلها، كما يلي:

5.1 نتائج الوصف الإحصائي لمتغيرات البحث

بتحليل البيانات الواردة في الجدول التالي، رقم (4) الخاص بالمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، ومعاملات الاختلاف لمتغيرات البحث وأبعادها الفرعية، تبين الآتي:

أولاً: متغير التوجه الاستراتيجي:

جدول 4: النتائج الخاصة بمدى توافر أبعاد التوجه الاستراتيجي (ن=317)

م	العبرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الترتيب وفقاً للمتوسط الحسابي
---	--------	-----------------	-------------------	----------------	-------------------------------

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الترتيب وفقاً للمتوسط الحسابي
1	التوجه بالسوق	3.73	0.86	23.18%	2
2	التوجه الريادي	3.51	1.12	32.02%	3
3	التوجه التكنولوجي	3.89	0.86	22.18%	1
	إجمالي أبعاد التوجه الاستراتيجي	3.69	0.91	24.80%	—

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي.

- أظهرت اتجاهات عينة الدراسة اتجاهًا إيجابيًا نحو مدى توافر أبعاد التوجه الاستراتيجي، بمتوسط حسابي (3.69)، وانحراف معياري، قدره (0.91)، ومعامل اختلاف (24.80%). وتشير هذه النتيجة إلى أن الشركات محل الدراسة تتبنى مبادئ قائمة على توجهات سوقية وتكنولوجية وريادية، تسهم في تحديد أهدافها الاستراتيجية والتفاعل مع متغيرات السوق، بما يعزز قدرتها في التأثير في أنشطتها من خلال منظومة قيم ومعتقدات توجه سلوكياتها الاستراتيجية، بما يضمن بقاءها ونموها على المدى الطويل.
- إن ترتيب درجة توافر أبعاد التوجه الاستراتيجي مجتمعة - مرتبة وفقاً للمتوسط الحسابي - كانت - وفقاً لآراء مفردات عينة الدراسة - على النحو التالي: جاء بعد التوجه التكنولوجي في المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (3.89). يليه بعد التوجه بالسوق في المرتبة الثانية، بمتوسط حسابي (3.73). وأخيراً بعد التوجه الريادي في المرتبة الثالثة، بمتوسط حسابي (3.51).
- وتعكس هذه النتائج أن الشركات محل الدراسة تولي أهمية واضحة للاستثمار في التكنولوجيا الحديثة والمتطورة، وتوظيفها في تطوير المنتجات الجديدة مثل الألواح الشمسية، والبطاريات، والأنظمة المتكاملة، وحوامل الألواح الشمسية، وغيرها من المنتجات ذات الكفاءة العالية في توليد الكهرباء. كما تسعى هذه الشركات إلى تحسين منتجاتها وخدماتها بما يتلاءم واحتياجات العملاء، وذلك من خلال التطوير المستمر للتكنولوجيا الحالية، والتفاعل مع متغيرات السوق. ويظهر - كذلك - التزامها بالبحث والتطوير ودمج التقنيات الحديثة في منتجاتها. وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة (Yang, et al., 2022)، والتي أكدت أن التوجه التكنولوجي يمكّن الشركات من توظيف أحدث التقنيات في تطوير منتجاتها وخدماتها، بما يتيح للعملاء خيارات متعددة من منتجات عالية الجودة ذات قيمة مضافة. الأمر الذي ينعكس إيجاباً على استدامة الشركات وزيادة قبولها في الأسواق، ويساعدها في تحقيق ميزة تنافسية مستدامة.
- ثانياً: متغير اليقظة الريادية:

جدول 5: النتائج الخاصة بمدى توافر أبعاد اليقظة الريادية (ن=317)

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الترتيب
1	المسح والبحث	3.88	0.76	19.55%	2
2	الاقتراح والترباط	3.74	0.98	26.21%	3
3	التقويم والحكم	4.12	0.68	16.59%	1
	إجمالي أبعاد اليقظة الريادية	3.90	0.76	19.37%	—

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي

- أظهرت اتجاهات مفردات عينة الدراسة اتجاهًا إيجابيًا نحو مدى توافر أبعاد اليقظة الريادية، بمتوسط حسابي (3.90)، وانحراف معياري قدره (0.76)، ومعامل اختلاف (19.37%). وتشير هذه النتائج إلى أن الشركات محل الدراسة تتمتع بمجموعة من المهارات الإدراكية، إلى جانب قدرات متميزة في معالجة المعلومات، ورسم تصورات مستقبلية بالاعتماد على مهارات البحث عن المعلومات، والاقتراح والترباط، والتقويم والحكم، وذلك من خلال تراكم المعرفة وتقويمها واختبارها بما يمكنها من اغتنام الفرص المحتملة.
- إن ترتيب درجة توافر أبعاد اليقظة الريادية مجتمعة - مرتبة وفقاً للمتوسط الحسابي - كان على النحو التالي، وذلك وفقاً لآراء مفردات عينة الدراسة: جاء بعد التقويم والحكم في المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (4.12)، يليه بعد

المسح والبحث في المرتبة الثانية، بمتوسط حسابي (3.88)، وأخيراً بعد الاقتران والترابط في المرتبة الثالثة. بمتوسط حسابي (3.74).

وتدل هذه النتائج على أن الشركات محل الدراسة تقوم بتقويم المعلومات الجديدة التي تم جمعها ومعالجتها والتي تتعلق بأحدث أنواع التكنولوجيا المستخدمة في توليد الكهرباء من الطاقة الشمسية، مثل تكنولوجيا الخلايا الفوتوضوئية "PV Photovoltaic Cells"، إلى جانب المعلومات التي تخص الأسواق الجديدة والمشروعات التي تقوم الحكومة بإنشائها مثل مشروع بنبان، وكومبو، والكريمت، وأيضاً المعلومات التي تتعلق باحتياجات العملاء وتقضياتهم، فيما يتعلق بالمنتجات التي تقدمها الشركة من ألواح شمسية وبطاريات وأنظمة متكاملة وحامل الألواح الشمسية، وغيرها من المنتجات والتي تكون ذات جودة عالية في كفاءة توليد الكهرباء، وبأسعار مناسبة، وتوفير أنظمة للصيانة وخدمات ما بعد البيع، وتقديم الخدمة، والحكم عليها بوصفها فرصاً جديدة للشركة، وتصفية المعلومات غير الضرورية، والتميز بين المعلومات القادرة على تقديم حلول جديدة ومبتكرة في شكل فرص، والتميز بين ما يعدونه مربحاً وغير مربح، وبين الفرص عالية القيمة مقابل الفرص منخفضة القيمة. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (Campos.,2021) والتي أشارت نتائجها إلى أن الأفراد، عندما يصلون إلى مرحلة التقويم والحكم من البقطة الريادية، يقومون بتقويم البدائل المختلفة التي يتم تقديمها لشركاتهم، داخلياً وخارجياً. وهو أحد العناصر الهامة لتحقيق البقطة الريادية، فيعكس قدرة الفرد على تطوير نظرة ثاقبة لقيمة المعلومات التي يتجاهلها الآخرون، وإجراء تقويم لما إذا كانت المعلومات الجديدة تقدم أية فرصة محتملة يتجاهلها الآخرون.

5.2 نتائج اختبار فروض البحث

في ضوء التحليل الإحصائي للبيانات المجمعة، فتم اختبار فروض البحث كما يلي:

5.2.1 قياس الاختلافات في اتجاهات المستقصى منهم (المديرون) في الشركات محل الدراسة، نحو مدى توافر متغيرات البحث

نتائج اختبار الفرض الأول: من المتوقع وجود اختلافات ذات دلالة إحصائية في اتجاهات المستقصى، منهم نحو مدى توافر أبعاد التوجه الاستراتيجي في الشركات محل الدراسة، وفقاً للمستوى الإداري في الشركات محل البحث. أولاً: قياس مدى وجود اختلافات في الاتجاهات نحو مدى توافر أبعاد التوجه الاستراتيجي وفقاً لمتغير المستوى الإداري: تم اختبار مدى وجود اختلافات في الاتجاهات نحو مدى توافر أبعاد التوجه الاستراتيجي وفقاً لمتغير المستوى الإداري، ومدى جوهرية هذه الاختلافات، باستخدام اختبار Kruskal–Wallis Test، وحساب قيمة (H) عند درجة ثقة 99%. وقد كانت النتائج على النحو التالي، كما هو موضح في الجدول رقم (6).

جدول 6: الاختلافات في استجابات عينة الدراسة حول مدى توافر أبعاد التوجه الاستراتيجي، ونتائج اختبار Kruskal–Wallis Test لقياس جوهرية الاختلافات وفقاً لمتغير المستوى الإداري (ن=317)

البعد	المستوى الإداري	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	متوسط الرتب	قيمة (H)	الدلالة الإحصائية
التوجه بالسوق	إدارة عليا	55	4.43	0.33	242.73	78.03	0.00
	إدارة وسطى	139	3.83	0.76	165.80		
	إدارة تنفيذية	123	3.30	0.90	113.87		
التوجه الريادي	إدارة عليا	55	4.45	0.35	248.54	80.77	0.00
	إدارة وسطى	139	3.64	0.95	161.23		
	إدارة تنفيذية	123	2.95	1.21	116.44		
التوجه التكنولوجي	إدارة عليا	55	4.37	0.41	214.43	37.73	0.00
	إدارة وسطى	139	3.97	0.82	166.24		
	إدارة تنفيذية	123	3.58	0.94	126.03		
إجمالي أبعاد التوجه الاستراتيجي	إدارة عليا	55	4.42	0.30	241.15	73.00	0.00
	إدارة وسطى	139	3.79	0.80	164.90		

* هي عبارة عن مجموعة من الألواح (خلايا شمسية) مصنعة من مواد أشباه موصلات كالسيليكون والجرمانيوم وغيرهم، لها القدرة على القيام بعملية التحويل الكهروضوئي، أي تحويل الإشعاع الشمسي مباشرة إلى طاقة كهربائية.

البعد	المستوى الإداري	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	متوسط الرتب	قيمة (H)	الدالة الإحصائية
	إدارة تنفيذية	123	3.24	0.97	115.60		

** دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01) (المصدر: نتائج التحليل الإحصائي)

- أشارت النتائج إلى أن قيمة (H) بالنسبة لإجمالي أبعاد التوجه الاستراتيجي، كانت (73)، بدلالة إحصائية قدرها (0.00)، وهو ما يعني وجود اختلافات ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية (0.01) في استجابات عينة الدراسة بحسب متغير المستوى الإداري، وقد كانت أعلى المتوسطات لفئة "إدارة عليا"، بمتوسط حسابي قدره (4.42)، وكانت أقل المتوسطات لفئة "إدارة تنفيذية"، بمتوسط حسابي (3.24)، كما توجد اختلافات ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01) في كل بعد من أبعاد التوجه الاستراتيجي، وقد أوضح اختبار Bonferroni Test للمقارنات البعدية أن تلك الاختلافات لمصلحة فئة "إدارة عليا" مقارنة بفئتي "إدارة وسطى وإدارة تنفيذية"، كما توجد اختلافات لمصلحة فئة "إدارة وسطى" مقارنة بفئة "إدارة تنفيذية".
 - أن أعلى رتبة للمتوسطات المتعلقة بالتوجه الاستراتيجي، كانت لمستوى "الإدارة العليا"، فبلغت رتب متوسطات أبعاد التوجه الاستراتيجي: (التوجه بالسوق- والتوجه الريادي- والتوجه التكنولوجي) لهذا المستوى (242.73)، (248.54)، (214.43)، على التوالي، وهي أعلى قيمة مقارنة بكل المستويات الأخرى.
 - أسفرت النتائج عن أن هذه الاختلافات هي اختلافات ذات دلالة إحصائية، فبلغت قيمة (H) للتوجه بالسوق (78.03)، وبلغت (80.77) للتوجه الريادي، كما بلغت (37.73) للتوجه التكنولوجي، وهي قيم معنوية عند درجة ثقة 99%، وكانت معنوية الاختبار (0.00)، (0.00)، (0.00)، (0.00) للتوجه بالسوق، والتوجه الريادي، والتوجه التكنولوجي على التوالي.
- وتعد هذه النتائج منطقية، فالمديرون في مستوى الإدارة العليا، يتمتعون بالقدرة على التعامل مع المشكلات، وبلورة الرؤية المستقبلية للشركة، إلى جانب التفكير الاستراتيجي طويل المدى، كما يتوافر لديهم الإدراك الجيد للتغيرات البيئية السريعة، وسرعة الاستجابة لها والتكيف معها، كما يقومون بتوضيح الأهداف والتوجيه اللازم لمستقبل المنظمة ككل، إلى جانب تحديد التوجهات المستقبلية التي تساعد على البقاء والاستمرار والنمو.
- نتائج اختبار الفرض الثاني: من المتوقع وجود اختلافات ذات دلالة إحصائية في اتجاهات المستقضي منهم نحو مدى توافر أبعاد اليقظة الريادية في الشركات محل الدراسة، وفقاً للمستوى الإداري في الشركات محل البحث.
- ثانياً: قياس مدى وجود اختلافات في الاتجاهات نحو مدى توافر أبعاد اليقظة الريادية وفقاً لمتغير المستوى الإداري.
- تم اختبار مدى وجود اختلافات في الاتجاهات نحو مدى توافر أبعاد اليقظة الريادية وفقاً لمتغير المستوى الإداري، ومدى جوهرية هذه الاختلافات، باستخدام اختبار Kruskal-Wallis test، وحساب قيمة (H) عند درجة ثقة 99%. وقد كانت النتائج على النحو التالي كما هو موضح في الجدول رقم (7).

جدول 7: الاختلافات في استجابات عينة الدراسة حول مدى توافر أبعاد اليقظة الريادية، ونتائج اختبار Kruskal-Wallis test لقياس جوهرية الاختلافات وفقاً لمتغير المستوى الإداري (N=317)

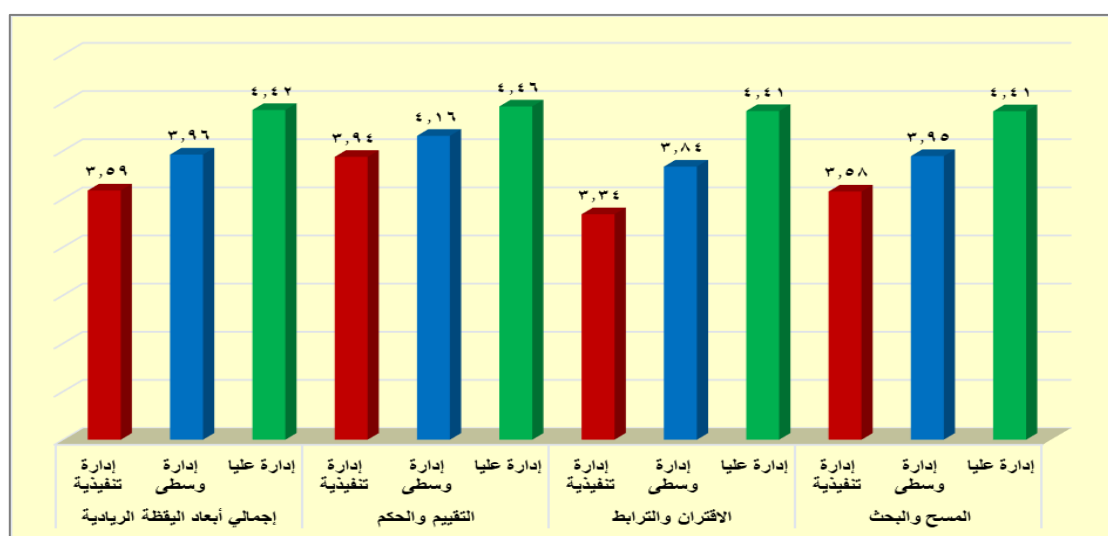
البعد	المستوى الإداري	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	متوسط الرتب	قيمة (H)	الدالة الإحصائية
المسح والبحث	إدارة عليا	55	4.41	0.39	225.36	50.11	0.00
	إدارة وسطى	139	3.95	0.71	165.29		
	إدارة تنفيذية	123	3.58	0.80	122.21		
الاقتراح والتربط	إدارة عليا	55	4.41	0.38	230.61	56.38	0.00
	إدارة وسطى	139	3.84	0.91	164.35		
	إدارة تنفيذية	123	3.34	1.05	120.94		
التقويم والحكم	إدارة عليا	55	4.46	0.43	210.36	29.73	0.00
	إدارة وسطى	139	4.16	0.68	162.70		
	إدارة تنفيذية	123	3.94	0.72	131.85		
إجمالي أبعاد اليقظة الريادية	إدارة عليا	55	4.42	0.33	226.12	50.29	0.00
	إدارة وسطى	139	3.96	0.71	164.70		
	إدارة تنفيذية	123	3.59	0.80	122.55		

** دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01) (المصدر: نتائج التحليل الإحصائي)

- أشارت النتائج إلى أن قيمة (H) بالنسبة لإجمالي أبعاد اليقظة الريادية كانت (50.29)، بدلالة إحصائية قدرها (0.00). وهو ما يعني وجود اختلافات ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01) في استجابات العينة بحسب متغير المستوى الإداري، وقد كانت أعلى المتوسطات لفئة "إدارة عليا"، بمتوسط حسابي قدره (4.42)، وكانت أقل المتوسطات لفئة "إدارة تنفيذية"، بمتوسط حسابي (3.59)، كما توجد اختلافات ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة

(0.01) في كل بعد من أبعاد البقطة الريادية، وقد أوضح اختبار Bonferroni Test للمقارنات البعدية أن تلك الاختلافات لمصلحة فئة "إدارة عليا" مقارنة بفئتي "إدارة وسطى وإدارة تنفيذية"، كما توجد اختلافات لمصلحة فئة "إدارة وسطى" مقارنة بفئة "إدارة تنفيذية".

- أن أعلى رتبة للمتوسطات المتعلقة بالبقطة الريادية كانت لمستوي "الإدارة العليا"، فبلغت رتب متوسطات أبعاد البقطة الريادية: (المسح والبحث - والاقتتران والترابط - والتقييم والحكم) لهذا المستوى (225.36)، (230.61)، (210.36)، على التوالي، وهي أعلى قيمة مقارنة بكل المستويات الأخرى.
 - أسفرت النتائج عن أن هذه الاختلافات هي اختلافات ذات دلالة إحصائية، فبلغت قيمة (H) للمسح والبحث (50.11)، وبلغت (56.38) للاقتتران والترابط، كما بلغت (29.73) للتقييم والحكم، وهي قيم معنوية عند درجة ثقة 99%، وكانت معنوية الاختبار (0.00)، (0.00)، (0.00)، للمسح والبحث، والاقتتران والترابط، والتقييم والحكم على التوالي. وتعد هذه النتائج منطقية، فالمديرون في مستوى الإدارة العليا يتمتعون بثراء وترابط مخططاتهم وأطرهم المعرفية، وكيفية تهيئتها وإعدادها لتفعيلها، واستخدامها في خلق القيمة وتقويم الفرص، من خلال خبراتهم ومخزون المعرفة السابقة الموجود لديهم، وربطها بالمحفزات الخارجية والداخلية، لقدرتهم على فهم التغيرات والفرص والمواقف غير المرئية، وإدراكها، ومن ثم تتوافر في الشركات التي يعملون بها مستوى مرتفع من البقطة الريادية، نتيجة اتباعها نهجا استباقيا في عمليات المسح والبحث، والاقتتران والترابط، والتقييم والحكم.
- ويوضح الشكل التالي رقم (2) المتوسطات الحسابية لاستجابات عينة الدراسة حول مدى توافر أبعاد البقطة الريادية بحسب متغير المستوى الإداري.



الشكل 2: المتوسطات الحسابية لاستجابات عينة الدراسة حول مدى توافر أبعاد البقطة الريادية بحسب متغير المستوى الإداري (المصدر: نتائج التحليل الإحصائي)

5.3 نتائج دراسة العلاقات الارتباطية بين متغيرات البحث

تم دراسة الارتباط بين متغيرات البحث وأبعادهما الفرعية باستخدام معامل ارتباط بيرسون Pearson Correlation، وتحليل البيانات المبينة في الجدول رقم (8)، وتبين وجود علاقة ارتباط موجبة ودالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01) بين إجمالي التوجه الاستراتيجي وإجمالي البقطة الريادية، بمعامل ارتباط (0.85)، كما أن جميع معاملات الارتباط بين أبعادهما الفرعية جاءت دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01)، فتراوحت قيم معاملات الارتباط بين الأبعاد الفرعية من (0.54) إلى (0.86)، وهو ما يعني وجود علاقة طردية بين تلك الأبعاد الفرعية. وتبين وجود علاقة دالة إحصائية بين إجمالي البقطة الريادية وأبعاد مقياس التوجه الاستراتيجي (التوجه بالسوق)، (التوجه الريادي)، (التوجه التكنولوجي)، بمعاملات ارتباط (0.78)، (0.83)، (0.80) على التوالي عند مستوى دلالة (0.01). أي أنه كلما زادت درجة ممارسة المديرين في الشركات محل الدراسة لأبعاد التوجه الاستراتيجي، زادت درجة تحقيق البقطة الريادية.

جدول 8: معاملات الارتباط بين أبعاد التوجه الاستراتيجي وإجمالي البقطة الريادية (ن=317)

المتغيرات	المسح والبحث	الاقتتران والترابط	التقييم والحكم	إجمالي أبعاد البقطة الريادية
التوجه بالسوق	معامل الارتباط	0.74	0.79	0.78
	الدلالة الإحصائية	0.00	0.00	0.00
التوجه الريادي	معامل الارتباط	0.77	0.86	0.83
	الدلالة الإحصائية	0.00	0.00	0.00

المتغيرات	المسح والبحث	الاقتراح والترابط	التقييم والحكم	إجمالي أبعاد اليقظة الريادية
التوجه التكنولوجي	معامل الارتباط	0.74	0.80	0.80
	الدالة الإحصائية	0.00	0.00	0.00
إجمالي أبعاد التوجه الاستراتيجي	معامل الارتباط	0.79	0.61	0.85
	الدالة الإحصائية	0.00	0.00	0.00

** دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01) أو أقل (المصدر: نتائج التحليل الإحصائي)

- اختبار معنوية العلاقات التأثيرية بين إجمالي التوجه الاستراتيجي وإجمالي اليقظة الريادية:
- نتائج اختبار الفرض الثالث: من المتوقع وجود تأثير معنوي للتوجه الاستراتيجي وأبعاده: (التوجه بالسوق، والتوجه التكنولوجي، والتوجه الريادي) في اليقظة الريادية في الشركات محل البحث.
 - ولاختبار معنوية العلاقات التأثيرية بين إجمالي التوجه الاستراتيجي وإجمالي اليقظة الريادية، فقد تم استخدام نموذج تحليل الانحدار الخطي البسيط Simple Linear Regression لتحديد تأثير إجمالي التوجه الاستراتيجي في إجمالي اليقظة الريادية، وتم استخدام نموذج تحليل الانحدار الخطي المتعدد Multiple Linear Regression، لتحديد أكثر أبعاد التوجه الاستراتيجي تأثيراً في إجمالي أبعاد اليقظة الريادية، والتعرف إلى الإسهام النسبي لأبعاد التوجه الاستراتيجي في التأثير في مستوى اليقظة الريادية، وقد أسفرت نتائج الاختبار عما يلي:

5.3.1 نموذج الانحدار الخطي البسيط Simple Linear Regression

تبيين من تحليل نموذج الانحدار الخطي البسيط الآتي، وذلك كما هو موضح في الجدول التالي رقم (9).

جدول 9: نموذج الانحدار البسيط لتحديد أثر إجمالي التوجه الاستراتيجي على إجمالي اليقظة الريادية (ن=317)

المتغير التابع	المتغير المستقل	المعاملات غير المعيارية		معامل الانحدار المعياري (B)	اختبارات (T- Test)		اختبار ف (F- Test)		معامل التحديد (R ²)
		قيمة (B)	الخطأ المعياري		قيمة (t)	الدالة الإحصائية	قيمة (F)	الدالة الإحصائية	
اليقظة الريادية	التوجه الاستراتيجي	0.70	0.02	0.85	28.11	0.00	789.93	0.00	0.71
	ثابت الانحدار	1.32	0.09	—	14.02	0.00			

(F) ** دالة إحصائية عند مستوى معنوية (0.01) أو أقل.

(T) ** دالة إحصائية عند مستوى معنوية (0.01) أو أقل.

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي.

• معامل التحديد R²

تبين أن المتغيرات المستقلة (التوجه الاستراتيجي)، تفسر (0.71) من التغير الكلي في المتغير التابع المتمثل في إجمالي (اليقظة الريادية)، وهو ما يشير إلى قدرة نموذج الانحدار على تفسير نسبة (71%) من التباين في اليقظة الريادية بناءً على التباين في التوجه الاستراتيجي، وباقي النسبة (0.29) ترجع إلى الخطأ العشوائي في المعادلة، أو ربما لعدم إدراج متغيرات مستقلة أخرى، وكان من المفروض إدراجها ضمن النموذج، أو لاختلاف طبيعة نموذج الانحدار عن النموذج الخطي.

• اختبار معنوية المتغير المستقل:

باستخدام اختبار (T- test) نجد أن المتغير المستقل (التوجه الاستراتيجي)، له تأثير معنوي في النموذج الخطي البسيط، فبلغت قيمة (T) (28.11)، وذلك عند مستوى معنوية أقل من (0.01).

• اختبار معنوية جودة توفيق نموذج الانحدار:

لاختبار معنوية جودة توفيق نموذج الانحدار ككل، تم استخدام اختبار (F- test)، وكانت قيمة (F) (789.93)، وهي ذات معنوية عند مستوى دلالة أقل من (0.01)، وهو ما يشير إلى معنوية النموذج، ويدل على جودة تأثير نموذج الانحدار.

• معادلة النموذج:

أوضح اختبار (T-test) أن قيم معامل الانحدار وثابت الانحدار جاءت معنوية عند مستوى دلالة (0.01)، وبالتالي يمكن وضع العلاقة الرياضية لأثر التوجه الاستراتيجي على اليقظة الريادية على الصورة الآتية:

$$\text{اليقظة الريادية} = 1.32 \text{ الثابت} + 0.70 * \text{التوجه الاستراتيجي} \quad (1)$$

أي أنه عند ارتفاع مستوى التوجه الاستراتيجي بمقدار درجة واحدة، فإن اليقظة الريادية ترتفع بمقدار (0.70) درجة، وباستخدام وحدات الانحراف المعياري- ولأن قيمة معامل الانحدار المعيارية (β) تساوي (0.85) - فإنه عند ارتفاع مستوى التوجه الاستراتيجي بمقدار وحدة معيارية واحدة، فإن اليقظة الريادية ترتفع بمقدار (0.85) وحدة معيارية. وبناءً على ما تقدم، فيمكن قبول الفرض الثالث الرئيسي من البحث؛ أي أنه يوجد تأثير معنوي للتوجه الاستراتيجي في اليقظة الريادية في الشركات محل الدراسة.

5.3.2 نموذج الانحدار الخطي المتعدد التدريجي: Multiple Linear Regression

للتعرف إلى الإسهام النسبي لأبعاد التوجه الاستراتيجي في التأثير على مستوى اليقظة الريادية، وتحديد أكثر أبعاد التوجه الاستراتيجي تأثيراً في درجة تحقيق اليقظة الريادية وتنميتها، تم استخدام تحليل الانحدار الخطي المتعدد، وجاءت النتائج كما هو موضح في الجدول التالي رقم (10).

جدول 10: نموذج الانحدار الخطي المتعدد لتحديد أكثر أبعاد التوجه الاستراتيجي تأثيراً على إجمالي اليقظة الريادية (ن=317)

المتغير التابع	المتغير المستقل	المعاملات المعيارية		معامل الانحدار المعيارى (β)	اختبار (T- Test)		اختبار (F- Test)		معامل التحديد (R^2)
		قيمة (B)	الخطأ المعياري		قيمة (t)	الدالة الإحصائية	قيمة (F)	الدالة الإحصائية	
اليقظة الريادية	التوجه بالسوق	0.13	0.06	0.15	2.29	0.02	275.98	0.00	0.72
	التوجه الريادي	0.26	0.05	0.38	4.88	0.00			
	التوجه التكنولوجي	0.31	0.05	0.36	6.47	0.00			
	ثابت الانحدار	1.27	0.13	—	9.87	0.00			

(F) ** دالة إحصائية عند مستوى معنوية (0.01) أو أقل

(T) * دالة إحصائية عند مستوى معنوية (0.05) أو أقل

المصدر: نتائج التحليل الإحصائي

• معامل التحديد R^2

تفسر المتغيرات المستقلة (أبعاد التوجه الاستراتيجي)، (0.72) من التغير الكلي في المتغير التابع المتمثل في إجمالي (اليقظة الريادية)، وهو ما يشير إلى قدرة نموذج الانحدار على تفسير نسبة (72%) من التباين في اليقظة الريادية بناءً على التباين في أبعاد التوجه الاستراتيجي، وباقي النسبة (0.28) ترجع إلى الخطأ العشوائي في المعادلة، أو ربما لعدم إدراج متغيرات مستقلة أخرى كان من المفروض إدراجها ضمن النموذج، أو لاختلاف طبيعة نموذج الانحدار عن النموذج الخطي.

• اختبار معنوية المتغير المستقل:

أوضح اختبار (T- test) أن قيم معامل الانحدار جاءت معنوية عند مستوى دلالة (0.05) فأقل لأبعاد التوجه الاستراتيجي كافة، فبلغت قيمة (t) لبعد التوجه الريادي (4.88)، بمعامل انحدار معياري (β) (0.38)، وهو البعد الأكثر تأثيراً في اليقظة الريادية، يليه بُعد التوجه التكنولوجي حيث بلغت قيمة (t) لهذا البعد (6.47)، بمعامل انحدار معياري (0.36)، وأخيراً بُعد التوجه بالسوق، حيث بلغت قيمة (t) لهذا البعد (2.29)، بمعامل انحدار معياري (0.15).

• اختبار معنوية جودة توفيق نموذج الانحدار:

لاختبار معنوية جودة توفيق نموذج الانحدار ككل، تم استخدام اختبار (F- test)، وكانت قيمة (F) (275.98)، وهي ذات دلالة معنوية عند مستوى أقل من (0.01)، وهو ما يشير إلى معنوية النموذج، ويدل على تأثير المتغيرات المستقلة المتمثلة في (التوجه الريادي، والتوجه بالسوق، والتوجه التكنولوجي)، في اليقظة الريادية، ومن ثم جودة تأثير نموذج الانحدار.

ويتضح من نتائج تحليل الانحدار الخطي المتعدد السابقة، أن أكثر أبعاد التوجه الاستراتيجي تأثيراً في درجة تحقيق اليقظة الريادية، هو بعد "التوجه الريادي" وهو يعكس أهمية تبني المديرين في الشركات محل الدراسة السلوكيات الإبداعية والاستباقية، وتبني المخاطرة المحسوبة والتي تمكنهم من البحث بشكل مستمر لتحديد المعلومات أو التغيرات التي تحدث في البيئة واستخدامها في مجال توليد الطاقة الكهربائية من الطاقة الشمسية، للاستفادة من الفرص واستغلالها، وجمع المعلومات وبنائها من خلال وضعها على شكل بدائل مرتبطة، ومعالجتها، والتركيز على تلقي معلومات جديدة، ودراسة الخيارات والبدائل المتعددة، وتعزيز قدراتهم على التفكير بشكل غير تقليدي، وإدراك العلاقات بين المعلومات التي قد تبدو

غير ذات صلة، وتوضيحها، وتفسيرها، وتقويم المعلومات الجديدة التي تم جمعها ومعالجتها، والحكم عليها بوصفها فرصا جديدة للشركة. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (Bilal, et al., 2021) والتي أشارت نتائجها إلى أن التوجه الريادي والبقطة الريادية مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، فجميع أبعاد التوجه الريادي (مثل التوجه الذاتي، والاستباقية، والعدوانية التنافسية، والمخاطرة، والابتكار) تؤدي إلى تحقيق البقطة الريادية، أي البحث، وتجريب منتجات مختلفة، وتقديمها واستكشاف عمليات تكنولوجيا جديدة.

6. نتائج البحث

في ضوء نتائج الاختبارات الإحصائية، توصل البحث إلى مجموعة من النتائج الجوهرية التي تبين الدور المحوري للتوجه الاستراتيجي في تحقيق البقطة الريادية.

- ثبت صحة الفرض الأول من البحث، والذي ينص على: "من المتوقع وجود اختلافات ذات دلالة إحصائية في اتجاهات المستقضي منهم نحو مدى توافر أبعاد التوجه الاستراتيجي في الشركات محل الدراسة وفقاً للمستوى الإداري"، فقد ثبت وجود اختلافات ذات دلالة إحصائية في اتجاهات عينة الدراسة نحو التوجه الاستراتيجي وفقاً لمتغير المستوى الإداري. ويعكس ذلك أن إدراك المديرين للتوجه الاستراتيجي يختلف باختلاف موقعهم التنظيمي، لتبرز الإدارة العليا أكثر وعياً وروية مستقبلية مقارنة بالمستويات الأخرى. ومن وجهة نظر الباحثة، يُفسر هذا الاختلاف بارتباط الإدارة العليا بمسؤولية صياغة الاستراتيجيات، بينما قد تركز الإدارات التنفيذية على الجوانب التشغيلية اليومية أكثر من التفكير الاستراتيجي.

- ثبت صحة الفرض الثاني من الدراسة، والذي ينص على: "من المتوقع وجود اختلافات ذات دلالة إحصائية في اتجاهات المستقضي منهم نحو مدى توافر أبعاد البقطة الريادية في الشركات محل الدراسة وفقاً للمستوى الإداري"، فقد ثبت وجود اختلافات ذات دلالة إحصائية في اتجاهات عينة الدراسة نحو البقطة الريادية وفقاً لمتغير المستوى الإداري. هذه النتيجة تتسق مع طبيعة العمل الإداري؛ فالإدارة العليا تتميز بقدرتها على ربط المعلومات واستشراف المستقبل، ما يعزز مستويات البقطة الريادية لديهم. بينما تتأثر المستويات التنفيذية غالباً بحدود المهام الروتينية، وهو ما يضعف قدرتهم على استشراف التغيرات الخارجية. وترى الباحثة أن ذلك يؤكد ضرورة إشراك جميع المستويات الإدارية في عمليات التفكير الاستراتيجي والتخطيط المستقبلي، حتى لا يظل التركيز مقتصرًا على القمة الإدارية فقط.

- ثبت صحة الفرض الثالث الرئيسي من الدراسة، والذي ينص على: "من المتوقع وجود تأثير معنوي للتوجه الاستراتيجي وأبعاده في البقطة الريادية في الشركات محل البحث". فقد تبين من خلال التحليل الإحصائي للبيانات الآتي:

- تبين وجود علاقة ارتباط موجبة ودالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01) بين إجمالي التوجه الاستراتيجي وإجمالي البقطة الريادية بمعامل ارتباط (0.85)، كما أن جميع معاملات الارتباط بين أبعادهما الفرعية جاءت دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01)، فقد تراوحت قيم معاملات الارتباط بين الأبعاد الفرعية من (0.54) إلى (0.86)، وهو ما يعني وجود علاقة طردية بين تلك الأبعاد الفرعية. فقد تبين وجود علاقة دالة إحصائية بين إجمالي البقطة الريادية وأبعاد مقياس التوجه الاستراتيجي (التوجه بالسوق)، و(التوجه الريادي)، و(التوجه التكنولوجي)، بمعاملات ارتباط (0.78)، (0.83)، (0.80) على التوالي عند مستوى دلالة (0.01). ويعكس هذا الارتباط أن المديرين في شركات الطاقة الشمسية لا ينظرون إلى التوجه الاستراتيجي بوصفه إطاراً نظرياً فقط، بل يوظفونه عملياً بوصفه أداة للتنبؤ بالفرص واستغلالها. ومن وجهة نظر الباحثة، فإن قوة هذا الارتباط تقسّر بخصوصية القطاع محل الدراسة، حيث يتطلب سوق الطاقة الشمسية استباقية عالية في مواجهة التقلبات التكنولوجية والفرص الاستثمارية، بما يتفق مع ما توصلت إليه دراسة (Campos, 2021) حول أهمية دمج الابتكار بالتوجهات الاستراتيجية في الصناعات الديناميكية.

- تبين أن بُعد التوجه الريادي، وهو البعد الأكثر تأثيراً في البقطة الريادية، فقد بلغت قيمة (t) (4.88) بمعامل انحدار معياري (β) (0.38)، يليه بُعد التوجه التكنولوجي، حيث بلغت قيمة (t) لهذا البعد (6.47)، بمعامل انحدار معياري (0.36)، وأخيراً بُعد التوجه بالسوق، حيث بلغت قيمة (t) لهذا البعد (2.29)، بمعامل انحدار معياري (0.15). وترى الباحثة أن هذه النتيجة تعكس الطبيعة الديناميكية لقطاع الطاقة الشمسية؛ ليشكل الابتكار والريادة التكنولوجية العنصر الأبرز في القدرة على المنافسة. فالشركات في هذا القطاع تحتاج إلى سلوكيات استباقية، واستعداد لتحمل المخاطر، وتبني الابتكار وسيلة أساسية لاغتنام الفرص، بما يتفق مع ما توصلت إليه دراسات عالمية مثل (Campos, 2021) و(Yang et al., 2022). ويوضح الجدول التالي رقم (11) نتائج اختبار الفروض الثلاثة موضع الدراسة، ويوضح القرارات المتعلقة بقبولها أو رفضها:

جدول 11: نتائج اختبار فروض البحث

رقم الفرض	نص الفرض	النتائج الإحصائية	القرار بخصوص الفرض	تفسير الباحثة
الفرض الأول	من المتوقع وجود اختلافات ذات دلالة إحصائية في اتجاهات المستقضي منهم نحو مدى توافر	وجود فروق ذات دلالة إحصائية	قبول الفرض	يختلف إدراك المديرين للتوجه الاستراتيجي حسب مواقعهم التنظيمية؛ الإدارة العليا أكثر وعياً

رقم الفرض	نص الفرض	النتائج الإحصائية	القرار بخصوص الفرض	تفسير الباحثة
	أبعاد التوجه الاستراتيجي في الشركات محل الدراسة وفقاً للمستوى الإداري			استراتيجيًا.
الفرض الثاني	من المتوقع وجود اختلافات ذات دلالة إحصائية في اتجاهات المستقضي منهم نحو مدى توافر أبعاد اليقظة الريادية في الشركات محل الدراسة وفقاً للمستوى الإداري	وجود فروق ذات دلالة إحصائية	قبول الفرض	الإدارة العليا تتميز بقدرة أكبر على استشراف المستقبل مقارنة بالمستويات التنفيذية
الفرض الثالث	من المتوقع وجود تأثير معنوي للتوجه الاستراتيجي وأبعاده في اليقظة الريادية في الشركات محل الدراسة.	ارتباط قوي بين التوجه الاستراتيجي واليقظة الريادية عند مستوى دلالة (0.01) ومعامل ارتباط (0.85)، معاملات الارتباط الفرعية (0.86-0.54) أكثر الأبعاد تأثيراً: التوجه الريادي ($t=4.88$, $\beta=0.38$) ثم التوجه التكنولوجي ($t=6.47$, $\beta=0.36$) ثم التوجه بالسوق ($t=2.29$, $\beta=0.15$).	قبول الفرض	القطاع محل الدراسة يعتمد بقوة على الابتكار والريادة التكنولوجية كعوامل أساسية للقدرة التنافسية.

المصدر: إعداد الباحثة.

7. توصيات البحث والمقترحات المستقبلية

7.1 توصيات البحث

انطلاقاً من النتائج السابقة، تقدم الباحثة مجموعة من التوصيات العملية، وذلك كما هو موضح بالجدول التالي رقم (12):

جدول 12: التوصيات العملية المقترحة

التوصية	الإجراءات العملية المقترحة	الجهة/المسؤول عن التنفيذ	الإطار الزمني
- حث المنظمات على تبني نهج استراتيجي، يعتمد على توجه استراتيجي مصحوب بروية طويلة المدى، وتفكير ابتكاري ومعرفة عميقة بكيفية إدارة أنشطتها وأعمالها، مع ضرورة التركيز على أهم التوجهات التي توجه أنشطة المنظمة.	- إعداد خطة استراتيجية (5 - 10 سنوات) تتضمن أهدافاً ابتكارية واضحة. - تشكيل لجنة استراتيجية لمراجعة الخطة سنوياً. - ربط تقويم المديرين بمؤشرات أداء مرتبطة بالابتكار.	الإدارة العليا + التخطيط الاستراتيجي.	متوسط - طويل المدى.
- اهتمام المنظمات بتبني رؤية مستقبلية تركز على الابتكار والمعرفة العميقة بإدارة الأنشطة، بما يتوافق مع الممارسات العالمية في قطاعات الطاقة والتكنولوجيا.	- إنشاء مركز داخلي للبحث والتطوير. - ربط مكافآت الموظفين بعدد الأفكار الجديدة المقبولة. - التعاون مع الجامعات ومراكز الأبحاث.	الإدارة العليا + الموارد البشرية + الشركات.	متوسط المدى.
- ضرورة مشاركة المديرين في مختلف المستويات الإدارية في الأنشطة الاستراتيجية التي تقوم بها الشركة لتطوير أنشطتها وتحسينها لتحقيق أداء أفضل، إلى جانب ضرورة تقديم الدعم لتعزيز تطور المهارات الابتكارية، وبما يساعد على البقاء والاستمرار والنمو، وهو ما يتفق مع ممارسات ناجحة في شركات عالمية مثل (Tesla) و (Siemens) ليتم تمكين	- عقد اجتماعات استراتيجية ربع سنوية بمشاركة جميع المستويات. - تنظيم ورش عمل ابتكار داخلية. - اعتماد نظام اقتراحات مفتوح للأفكار الاستراتيجية	الإدارة العليا + الوسطى + التنفيذية.	قصير - مستمر.

التوصية	الإجراءات العملية المقترحة	الجهة/المسؤول عن التنفيذ	الإطار الزمني
المستويات الإدارية الوسطى والتنفيذية في عمليات الابتكار وصنع القرار.			
- اهتمام المنظمات بتوفير بيئة داعمة لتطوير المهارات الإدراكية والخصائص الريادية لدى الأفراد، لكي يكونوا أكثر وعياً وإدراكاً بالتغيرات والتحديات والفرص الموجودة في البيئة المحيطة التي يغفلها الآخرون، ورؤية مستقبل المنظمة بشكل أشمل، إلى جانب تنظيم المعلومات وتفسيرها في مختلف مجالات المعرفة المتعلقة بتطوير تلك الفرص. كما في شركات التكنولوجيا الكندية التي تركز على التدريب المستمر ورصد الفرص من خلال وحدات بقطة متخصصة.	- إعداد برامج تدريب شهرية في التفكير الاستراتيجي وريادة الأعمال. - تخصيص ميزانية سنوية للتدريب. - إنشاء وحدة بقطة استراتيجية لرصد الفرص.	إدارة الموارد البشرية + وحدة البقطة الاستراتيجية.	قصير-متوسط المدى.
- تشجيع الاهتمام بمراحل تحقيق البقطة الريادية في مختلف المستويات الإدارية من خلال البحث عن المعلومات وجمعها وتقييمها لتحديد الفرص التي يغفلها الآخرون ووضعها على شكل بدائل مرتبطة.	- اعتماد نظام رصد دوري للأسواق والمنافسين. - استخدام أدوات تحليل البيانات والتنبؤ بالفرص. - إصدار تقارير بقطة ربع سنوية بمشاركة الموظفين.	وحدة البقطة الاستراتيجية + تكنولوجيا المعلومات.	قصير - مستمر.

المصدر: إعداد الباحثة.

7.2 توصيات ببحوث ودراسات مستقبلية

- إجراء دراسات مقارنة بين قطاع الطاقة المتجددة العام والخاص في تحديد أثر البقطة الريادية بوصفه متغيراً وسيطاً في العلاقة بين التوجه الاستراتيجي والقدرات الديناميكية.
- توسيع نطاق الدراسات المستقبلية ليشمل قطاعات أخرى مثل البنوك، والأدوية، والسياحة، والتكنولوجيا الرقمية، وذلك بهدف التحقق من مدى ثبات العلاقة بين التوجه الاستراتيجي والبقطة الريادية أو اختلافها، عبر بيئات تنظيمية وسوقية متباينة. فإجراء هذه المقارنات من شأنه أن يعمق الفهم العلمي، ويوضح كيف يمكن للتوجهات الاستراتيجية أن تسهم في تعزيز البقطة الريادية وفقاً لاختلاف خصائص القطاع والسياق المؤسسي.
- إجراء (مقارنات دولية) بين قطاع الطاقة المتجددة في مصر ونظيره في الدول الناشئة (مثل الهند والبرازيل) والمتقدمة (مثل ألمانيا والولايات المتحدة) لتحديد أوجه التشابه والاختلاف في دور البقطة الريادية بوصفه متغيراً وسيطاً بين التوجه الاستراتيجي والقدرات الديناميكية.
- اختبار دور البقطة الريادية بوصفه متغيراً وسيطاً بين التوجه الاستراتيجي والميزة التنافسية المستدامة في سياقات عالمية، بما يتيح بناء إطار نظري يقارن بين الدول النامية والمتقدمة.

8. المصادر والمراجع

8.1 المراجع العربية

- الجابري، عدنان طه علي محمد. (2025). البقطة الريادية وأثرها على السمعة الجامعية في الجامعات اليمنية بتوسيط وسائل التواصل الاجتماعي (محافظة أب أنموذجاً). المجلة التربوية الشاملة، 13(1)، 111-155.
- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء. (2023). دراسة الطاقة الجديدة والمتجددة في مصر. إصدار يوليو 2023.
- الوكالة الدولية للطاقة المتجددة. (2022). IRENA، توقعات الطاقة المتجددة، مصر.
- عبيدات، عبد الله مشعل & عبد الله، خالد موسى. (2025). التوجهات الاستراتيجية وأثرها في تحقيق الميزة التنافسية: دراسة تطبيقية على بنك صفوة الإسلامي. مجلة البصائر لبحوث الأعمال، 1(2)، 1-13.

8.2 رومنة المراجع العربية

- Al-Jabari, A. T. A. M. (2025). Entrepreneurial Alertness and Its Impact on University Reputation in Yemeni Universities: The Mediating Role of Social Media (Ibb Governorate as a Model). Comprehensive Educational Journal, 3(1), 111–155. (in Arabic).

- Central Agency for Public Mobilization and Statistics. (2023). Study of New and Renewable Energy in Egypt. July 2023 Issue. (in Arabic).
- International Renewable Energy Agency (IRENA). (2022). Renewable Energy Outlook: Egypt. (in Arabic).
- Ubaydat, A. M., & Al-Abdullah, K. M. (2025). Strategic Orientations and Their Impact on Achieving Competitive Advantage: An Applied Study at Safwa Islamic Bank. *Al-Basaer Journal of Business Research*, 1(2), 1–13. (in Arabic).

8.3 المراجع الأجنبية

- Adiguzel, Z., & Cakir, F. S. (2022). Examining the effects of strategic orientation and motivation on performance and innovation in the production sector of automobile spare parts. *European Journal of Management Studies*, 1(3), 1–23.
- Adomako, S., Danso, A., & Narteh, B. (2018). Entrepreneurial alertness and new venture performance: Facilitating roles of networking capability. *International Small Business Journal*, 36(1), 453–472.
- Alanit, E., Kamarudin, S., Alrubaiee, L., & Tavakoli, R. (2019). A model of the relationship between strategic orientation and product innovation under the mediating effect of customer knowledge management. *Journal of International Studies*, 12(3), 232–242.
- Al-Ansari, Y., Altalib, M., & Sardoh, M. (2013). Technology orientation, innovation and business performance: A study of Dubai SMEs. *The International Technology Management Review*, 3(1), 1–11.
- Alobaidi, M., & Kitapci, O. (2019). Strategic orientation, market orientation and business performance: In searching for integration, evidence from Turkey. *Montenegrin Journal of Economics*, 14(3), 53–70.
- Beliaeva, T., Shirokova, G., Wales, W., & Gafforova, E. (2020). Benefiting from economic crisis? Strategic orientation effects, trade-offs, and configurations with resource availability on SME performance. *International Entrepreneurship and Management Journal*, 16(1), 165–194.
- Bilal, A. R., Fatima, T., Iqbal, S., & Imran, M. K. (2022). I can see the opportunity that you cannot! An nexus between individual entrepreneurial orientation, alertness, and access to finance. *European Business Review*, 34(4), 556–577.
- Bilal, A. R., Fatima, T., Iqbal, S., & Imran, M. K. (2022). Disentangling the individual entrepreneurial orientation and SMEs success nexus: An action-based interplay of exploration activities and entrepreneurial alertness. *Journal of Entrepreneurship in Emerging Economies*, 14(6), 976–1000.
- Campos, H. M. (2021). Moderating role of entrepreneurial alertness on the relationship between entrepreneurial passion and strategic change. *Journal of Organizational Change Management*, 34(5), 1107–1124.
- Cassia, A. D. R., & Zilber, S. N. (2016). Strategic orientation and innovative activities: An analysis using the PINTEC data from 1998 to 2011. *Gestão & Produção*, 23(3), 447–458.
- Hakala, H. (2011). Strategic orientations in management literature: Three approaches to understanding the interaction between market, technology, entrepreneurial and learning orientations. *International Journal of Management Reviews*, 13(2), 199–217.
- Kumar, S., & Das, S. (2020). Integrated framework of strategic orientation, value offerings and new venture performance. *Decision*, 47(1), 3–17.
- Li, C., Murad, M., Shahzad, F., Khan, M. A., Ashraf, S. H. F., & Dogbe, C. S. (2020). Entrepreneurial passion to entrepreneurial behavior: Role of entrepreneurial alertness, entrepreneurial self-efficacy and proactive personality. *Frontiers in Psychology*, 11, 1–19.
- Liang, C. (2019). How entrepreneur personality affects agrirural entrepreneurial alertness. *Journal of Entrepreneurship, Management and Innovation*, 15(1), 147–169.
- Mehmood, K. K., & Zafar, H. (2019). Effect of strategic orientation on competitive advantage: Mediating role of innovation. *Pakistan Journal of Social Sciences*, 39(3), 945–957.
- Nugroho, A., Prijadi, R., & Kusumastuti, R. (2022). Strategic orientations and firm performance: The role of information technology adoption capability. *Journal of Strategy and Management*, 15(4), 691–717.

- Pehrsson, T. (2020). Do types of strategic orientations make a difference? A study of MNCs' performance in foreign markets. *European Business Review*, 32(1), 26–45.
- Richard, K., Daihani, D. U., & Kristaung, R. (2018). The effect of strategic orientation and dynamic capability in turbulent environment on commercial bank performance in Indonesia with corporate social responsibility as moderating variable. *The International Journal of Business & Management*, 6(1), 101–111.
- Syahdana, R., Djaelani, Y., & AR Mahdia, S. (2020). Strategic orientation and the performance of SMEs in Indonesia: The mediating role of access to finance. *Management Science Letters*, 10(5), 1151–1160.
- Tang, J., Kacmar, M. M., & Busenitz, L. (2012). Entrepreneurial alertness in the pursuit of new opportunities. *Journal of Business Venturing*, 27(1), 77–94.
- Wang, X., Dass, M., Arnett, D. B., & Yu, X. (2020). Understanding firms' relative strategic emphases: An entrepreneurial orientation explanation. *Industrial Marketing Management*, 84, 151–164.
- Yang, J., Yu, M., Tang, J., & Ma, J. (2022). Cognitive cultural intelligence and entrepreneurial alertness: Evidence from highly educated, employed immigrants in the USA. *Cross Cultural & Strategic Management*, 29(2), 427–447.
- Yang, M., Jaafar, N., Al Mamun, A., Salameh, A. A., & Che Nawi, N. (2022). Modelling the significance of strategic orientation for competitive advantage and economic sustainability: The use of hybrid SEM–neural network analysis. *Journal of Innovation and Entrepreneurship*, 11(44), 1–28.

9. الملحق

ملحق 1: حجم العينة من المديرين في شركات الطاقة الشمسية محل الدراسة.

اسم الشركة	إجمالي عدد المديرين	عدد القوائم الموزعة	عدد القوائم المستردة	نسبة الاستجابة لكل شركة
شركة إنفينيتي للطاقة الشمسية	91	13	12	92 %
شركة أم أم أي دي 30 للطاقة المتجددة	83	12	10	83 %
شركة فونيكس باور للطاقة	77	11	10	91 %
شركة وينرجي للطاقة المتجددة	89	13	12	92 %
شركة الكازار إنرجي مصر للطاقة	87	12	12	100 %
شركة طاقة عربية للطاقة الشمسية	84	12	11	92 %
شركة الدلتا للطاقة المتجددة	62	9	9	100 %
شركة حورس للطاقة الشمسية	88	12	12	100 %
شركة رايزنج صن للطاقة	78	11	10	91 %
شركة الصبح للطاقة الشمسية	85	12	11	92 %
شركة أكسيس إيجيبت للطاقة الشمسية	90	13	12	92 %
شركة فاس للطاقة المتجددة	86	12	12	100 %
شركة صن إنفنت ايس	83	12	11	92 %
شركة أكسيس بيلدنغ إنرجي للطاقة الشمسية	74	10	10	100 %
شركة الكرم للطاقة	77	11	10	91 %
شركة انترو للطاقة الشمسية	53	7	7	100 %
شركة سولتاج للطاقة الشمسية	86	12	12	100 %
شركة تي كي لأنظمة الطاقة الشمسية	66	9	9	100 %
شركة ألفا للطاقة الشمسية	74	10	10	100 %
شركة إرسك لحلول الطاقة	82	12	11	92 %
شركة أكوا باور انيرجي	88	12	12	100 %
شركة بيليكتريك تربل سي	51	7	7	100 %
شركة رع للطاقة الشمسية	73	10	10	100 %
شركة برفكت أنرجي لأنظمة الطاقة الشمسية	63	9	8	89 %
شركة سولار ايز أيجت	52	7	7	100 %
شركة المصرية لتنمية الطاقة الشمسية	74	10	10	100 %
شركة إس بي أنرجي للطاقة الشمسية	65	9	9	100 %
شركة كومبليت انيرجي سبليوشنز	52	7	7	100 %
شركة انفرا للطاقة الشمسية	71	10	10	100 %

اسم الشركة	إجمالي عدد المديرين	عدد القوائم الموزعة	عدد القوائم المستردة	نسبة الاستجابة لكل شركة
شركة ذي سولار كومباني إيجيبت للطاقة	66	9	9	%100
شركة انتر سولار إيجيبت للطاقة الشمسية	54	8	7	%87
شركة أرينا للطاقة الشمسية	58	8	8	%100
الإجمالي	2362	331	317	%95

المصدر: من واقع إدارات الموارد البشرية والمواقع الرسمية للشركات محل الدراسة.

The Role of Strategic Orientation in achieving Entrepreneurial Alertness: An Empirical Study on Solar Energy Companies in Egypt

Eman Abdel Maaboud¹, Fatma Gadallah², Amira El-Zuhairi³

^{1,2,3}Department of Business Administration, Faculty of Commerce, Al-Azhar University, Girls' Branch, Cairo

Corresponding Author: dremantaha40@gmail.com

Received: 14/5/2025. Revised: 11/6/2025. Accepted: 31/12/2025. DIO:

Abstract

The research aimed to determine the role of strategic orientation in achieving of entrepreneurial Alertness for Managers in solar energy companies in Egypt, Through a sample of (331) individual, from managers in the companies under study, managers (senior management, middle management and executive management), The total number of recovered and correct survey lists reached (317), with a response rate of (95%). The research has reached a set of results, the most important of which are, The presence of statistically significant differences in the surveyed trends towards the availability of the dimensions of strategic orientation and entrepreneurial alertness according to the management level in the companies under study, It has also been proven that there is a positive correlation between all dimensions of strategic orientation and the dimensions of entrepreneurial Alertness, It is also proved that there is a positive moral influence of the overall strategic orientation in the total entrepreneurial alertness. Finally, the research presented a set of recommendations, the most important of which are Urging organizations to adopt a strategic approach based on a strategic orientation accompanied by a long-term vision, and attention to providing a supportive environment for the development of cognitive skills and entrepreneurial characteristics of employees.

Keywords: Strategic Orientation, Entrepreneurial Alertness, Solar Energy Companies.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY

مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

التعلم الإلكتروني في ظل الحرب ودوره في تعزيز الصمود المجتمعي رغم التحديات لدى طلبة جامعة الأقصى بغزة

حسن مهدي¹، مهند التعبان²

^{1,2} قسم المناهج والتدريس، كلية التربية، جامعة الأقصى

الباحث المراسل: hasan.r.mahdi@gmail.com

Received: 22/7/2025. Revised: 29/1/2026. Accepted: 15/4/2026. Published: 30/06/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.11

الملخص

هدفت الدراسة إلى استكشاف دور التعلم الإلكتروني في تعزيز الصمود المجتمعي (الفردى والجماعي) لدى طلبة جامعة الأقصى بغزة خلال الحرب منذ أكتوبر 2023، مع التركيز على التحديات التقنية والنفسية وإمكانية إسهامه في التنمية المجتمعية طويلة الأمد. اعتمدت الدراسة المنهج المختلط (كمي-نوعي)؛ ففي الجانب الكمي، استخدمت المنهج الوصفي التحليلي من خلال استبانة مقننة طبقت على عينة غير احتمالية من نوع الاستجابة الذاتية، قوامها 298 طالباً وطالبة من كلية التربية خلال الفصل الدراسي الثاني 2023-2024، وتم التحقق من صدق الاتساق الداخلي للمجالات (0.564 و 0.915)، وثباتها (0.911). ولدعم النتائج الكمية، وتفسيرها، أجري استقصاء نوعي مكمل عبر نموذج إلكتروني (Google Forms) على عينة غير احتمالية من 46 طالباً وطالبة (منهم نازحون في خيام وبيوت مستأجرة ومقيمون في منازلهم)، شمل 9 أسئلة مفتوحة تم تحليلها وفق طريقة PEEL. أظهرت النتائج الكمية إسهاماً كبيراً للتعلم الإلكتروني في تعزيز الصمود المجتمعي (متوسطات حسابية 3.53-3.74)، مع تصدر تحديات التعلم الإلكتروني (متوسط 4.02، وزن نسبي 80.32%) بسبب انقطاع الكهرباء والإنترنت. كما كشفت عن فروق دالة إحصائية لمصلحة النازحين في مخيمات الخيام في الصمود الجماعي وأثر التعلم في التنمية المجتمعية، وعن علاقة عكسية دالة بين التحديات والصمود. أكدت الاستجابات النوعية هذه النتائج، فبرز التعلم الإلكتروني أداة لخلق روتين يومي، وتعزيز الثقة بالنفس، وكسر العزلة عبر المجموعات الرقمية، وتوثيق خبرات الصمود لنقلها إلى الأجيال، بالرغم من تفاقم الضغط النفسي والتحديات التقنية. وأوصت الدراسة بتحسين البنية التحتية التقنية، وتوفير منصات غير متصلة بالإنترنت، وتصميم برامج تعليمية مخصصة للنازحين، وتعزيز الدعم النفسي عبر المنصات الرقمية، وتشجيع توثيق التجارب الرقمية لدعم التنمية المجتمعية في مرحلة إعادة الإعمار.

الكلمات المفتاحية: التعلم الإلكتروني، الصمود المجتمعي، التعليم الطارئ، الحرب، جامعة الأقصى.

1. المقدمة والخلفية النظرية

تعاني غزة من حرب طاحنة ومستمرة، أدت إلى تدمير واسع النطاق للبنية التحتية، بما في ذلك المؤسسات التعليمية، ما هدد استدامة التعليم العالي. ووفقاً لتقرير "Palestine's Education Overview-2024"، تضررت جميع مؤسسات التعليم العالي في غزة (Education Cluster, 2025, February)، فقد تعرضت هذه المؤسسات لتدمير منهجي وصف بـ "الإبادة التعليمية educide"، ما يعكس استراتيجية تهدف إلى القضاء على رأس المال البشري والمؤسسي. وقد تأثرت جامعة الأقصى بشكل خاص، فعانت أضراراً جسيمة، ما دفعها للتحويل نحو منصات رقمية بوصفها حلاً طارئاً لضمان استمرارية التعليم ومواجهة مخاطر ظهور "أجيال ضائعة" (Rabaia & Habash, 2024)، ولأن التعليم حق إنساني (Kheang, O'Donoghue, & Clarke, 2018) يعزز الصمود المجتمعي والعدالة الاجتماعية، ولأن الأزمات تكشف عن عدم استعداد الأنظمة التعليمية في المؤسسات العليا لمواجهة الكوارث، بسبب تأثيرها الكبير في العملية التعليمية بسبب غياب أنظمة تعليمية بديلة، بما يؤكد الحاجة الملحة لتصميم بيئات تعليمية إلكترونية شاملة تضمن نقل التعليم بفعالية وأمان خلال الأزمات (Mansour, Elsayed, Alashkar, & El Khatib, 2024)؛ لذا، برز - في هذا السياق - التعليم في حالات الطوارئ استجابة فورية تمهد الطريق لتطبيق التعلم الإلكتروني ليكون حلاً مستداماً لدعم الصمود المجتمعي للطلاب والمجتمع في غزة.

1.1 التعليم الطارئ عن بُعد: المفهوم والعوامل والتحديات

يعدّ التعليم الطارئ عن بُعد عملية تعليمية مؤقتة، تستخدم أدوات رقمية بديلة لتقديم التعليم عن بُعد استجابةً لأزمة أو طارئ، على عكس التعليم عبر الإنترنت المصمم بعناية والذي يتطلب تخطيطاً مسبقاً وإعداداً طويل الأمد، فالتعليم الطارئ عن بُعد يهدف إلى ضمان استمرارية التعليم خلال الأزمات، من خلال التحول السريع إلى منصات رقمية دون الإعداد الكافي (Hodges, Moore, Lockee, Trust, & Bond, 2020)، كما يُعد التعليم في حالات الطوارئ وسيلة لتوفير الحماية النفسية والاجتماعية، وتعزيز المهارات الحياتية، ودعم استمرارية التعليم خلال الأزمات مثل الحروب أو الكوارث الطبيعية. فخلال جائحة كورونا، أدى التحول السريع إلى التعليم عن بُعد إلى تحديات، مثل نقص المهارات التقنية، وضعف البنية التحتية (Mahruf, et al., 2021).

ويعتمد نجاح الأدوات والمنصات الرقمية في التعليم الطارئ عن بُعد على جودة البنية التحتية التقنية المتاحة، وتوافر الأجهزة والإنترنت رغم الظروف الصعبة، وتدريب المعلمين على استخدامها بفعالية، وتصميم محتوى تفاعلي يلبي احتياجات المتعلمين في الأزمات (Means, Bakia, & Murphy, 2014)، ففي مناطق النزاع مثل غزة، تفاقمّت التحديات بسبب تدمير 72% من أبراج الاتصالات، ما تسبب في انقطاعات متكررة في الإنترنت، وعرقلة مبادرات مثل "الطالب الزائر" التي أطلقتها وزارة التعليم العالي لتسجيل طلاب غزة في جامعات الضفة الغربية، فقد واجه الطلاب صعوبات في التسجيل والدراسة من بيئات النزوح مثل الخيام نتيجة ضعف البنية التحتية التقنية، ما يبرز الحاجة إلى حلول مثل المنصات غير المتصلة بالإنترنت (Rabaia & Habash, 2024).

وقد أجبرت الحرب الجامعات على التحول السريع إلى منصات رقمية لتجنب توقف العملية التعليمية، فاستخدم المعلمون وسائل التواصل الاجتماعي، مثل فيسبوك وواتساب، ومنصات مثل MS Teams لدعم التعليم رغم القيود المفروضة على الحركة، ومع ذلك، يواجه هذا التحول تحديات كبيرة، بما في ذلك نقص الكهرباء والاتصال بالإنترنت، والقيود الإسرائيلية على دخول المواد التعليمية بوصفها جزءاً من سياسة "المواد ذات الاستخدام المزدوج"، ما يحد من توافر الأدوات المكتبية والموارد التعليمية (OCHA, 2023)، ووفقاً لتقرير "Palestine's Education Overview-2024" يواجه التعلم الإلكتروني في غزة تحديات كبيرة بسبب نقص الكهرباء والاتصال بالإنترنت (Education Cluster, 2025, February).

لقد واجهت مؤسسات التعليم العالي تحديات كبيرة خلال التحول السريع إلى التعلم الإلكتروني خلال الأزمات، بما في ذلك نقص التدريب على استخدام الأنظمة الرقمية، وضعف البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات، وقلة الموارد التعليمية الرقمية، ما يؤثر في دافعية الطلاب وفعالية العملية التعليمية (Mansour, Elsayed, Alashkar, & El Khatib, 2024)، فعلى عكس التحولات المخطط لها من التعليم وجهًا لوجه إلى التعليم المدمج أو عبر الإنترنت، فإن التحول إلى التعليم الطارئ عن بُعد يكون سريعاً وغير مخطط له، ما يتطلب من المعلمين اتخاذ قرارات فورية بشأن استخدام الأدوات الرقمية وطرق التدريس دون الإعداد الكافي الذي يستغرق عادةً من ستة أشهر إلى تسعة أشهر. ورغم التحديات، فقد أسهم التعليم الطارئ عن بُعد في الحفاظ على الأداء الأكاديمي خلال الأزمات (Iglesias-Pradas, Hernández-García, Chaparro-Peláez, & Prieto, 2021)، ما يدعم إمكانية تطبيقه في غزة في سياق الأزمات. ولأنّ فعالية التعليم الطارئ عن بُعد ترتبط بمعالجة تلك التحديات، فقد اقترحت الدراسات تحسين البنية التحتية التقنية، وتوفير تدريب للمعلمين على استخدام الأدوات الرقمية، وزيادة التفاعل من خلال استراتيجيات تعليمية مبتكرة، مثل المناقشات التفاعلية والتقييمات المستمرة (Hodges, Moore, Lockee, Trust, & Bond, 2020) وبالتالي يُشكل التعليم الطارئ عن بُعد جسراً نحو التعلم الإلكتروني، فيوفر إطاراً يمكن تطويره لتقديم تعليم مستدام في ظل الأزمات.

1.2 التعلم الإلكتروني: حل مستدام في الأزمات

يُعرف التعلم الإلكتروني بأنه تعلم قائم على استخدام التكنولوجيا الرقمية؛ بهدف تقديم المحتوى التعليمي وتسهيل التفاعل بين المتعلمين والمعلمين عبر الإنترنت، ما يتيح مرونة في الزمان والمكان (Clark & Mayer, 2016)، كما يُعد التعلم الإلكتروني حلاً فعالاً في الأزمات، يمكنه توفير استمرارية التعليم رغم التحديات اللوجستية والأمنية. ففي سياق الحروب، يبرز دوره في الحفاظ على النظام التعليمي من خلال توفير بيئة تعليمية آمنة ومستدامة، لتمكين الطلاب والمعلمين من مواصلة العملية التعليمية، وقد أشار (Nistor, 2022) إلى أن التعلم الإلكتروني يسمح بمواصلة التدخلات الاجتماعية مع الأفراد، ما يساهم في تقليل الشعور بالعزلة وتعزيز الصمود المجتمعي في ظل ظروف الحرب.

ويعتمد التعلم الإلكتروني على التكنولوجيا لتقديم تجربة تعليمية مرنة، ما يجعله حلاً فعالاً في سياقات الأزمات التي أدت إلى انهيار النظام التعليمي بغزة بشكل فعلي بسبب الحرب، فتضررت أو دمرت جميع مؤسسات التعليم العالي، ما جعل استمرارية التعليم التقليدي مستحيلة (Education Cluster, 2025, February) حيث يمكن للأجهزة التي تعمل بالطاقة الشمسية والمنصات الرقمية، دعم التعليم في مناطق الأزمات من خلال توفير حلول مستدامة ومرنة (Gresham & Reyes, 2023).

وقد أظهرت دراسة أجريت على طلاب الجامعات الأردنية أن التعلم الإلكتروني عزز دافعتهم بنسبة 73.7% بفضل سهولة الوصول إلى المواد التعليمية، وفرص التعلم الذاتي، والتواصل الفعال مع المعلمين، ما أسهم في تحسين الأداء الأكاديمي

خلال أزمة كوفيد-19 (Krishan, Almsaiden, Njadat, & Abohelalah, 2023)، تلك النتائج تؤكد إمكانية استخدام التعلم الإلكتروني حلاً مستداماً في غرة لدعم استمرارية التعليم وتعزيز الصمود المجتمعي في ظل الحرب وما بعدها بسبب الانهيار الكامل للمؤسسات التعليمية والبنية التحتية. كما أظهرت نتائج دراسة (مهدي و الحناوي، 2021) تصورات إيجابية تجاه استخدام المنصات الإلكترونية، فأسهل التعلم الإلكتروني في تمكين المعلمين من نقل المعرفة وتطوير مهارات الطلاب، ما يعزز قدرة المجتمع على مواجهة الأزمات، وقد أضافت دراسة (مهدي، 2021) بأنه رغم التصورات المختلطة لدى الطلاب الذين لديهم توجه نحو التعلم الإلكتروني، فإن بعض المعايير (مثل سهولة الوصول إلى المنصات) تحققت بنسبة عالية، بينما عانى الطلاب من نقص في معايير أخرى، مثل جودة التفاعل والدعم الفني، ومن جانب آخر أظهرت دراسة استقصائية بجامعة عين شمس أن المنصات الإلكترونية المستخدمة خلال جائحة كوفيد-19 وبعده، عانت من قصور في التصميم العام، أدوات التواصل، الاستراتيجيات التعليمية، والتغذية الراجعة، فقد أعرب الطلاب وأعضاء هيئة التدريس عن عدم رضاهم عن فعالية هذه المنصات، ما يستدعي تطوير بيئات تعليمية إلكترونية متكاملة (Mansour, Elsayed, Alashkar, & El Khatib, 2024)، ورغم ذلك فيمكن اعتداد التعلم الإلكتروني واحداً من أفضل الاستراتيجيات التي يمكن اعتمادها للتعليم والتعلم، فقد أثبت التعلم الإلكتروني فعاليته في الأزمات، حين أدت جائحة كوفيد-19 لزيادة كبيرة في اعتماد التعلم الإلكتروني، ما أثر في حياة الطلاب ورفاهيتهم. كما يُعد رضا الطلاب عن التعلم الإلكتروني مؤشراً رئيسياً لقبول هذا النظام التعليمي، فيعتمد نجاحه على عدة عوامل، مثل: جاهزية المعلمين، والبنية التحتية المؤسسية، والمحتوى التعليمي (Bou-Hamad & El Danaoui, 2024). وبالتالي يمكن القول بأن تجربة التعلم الإلكتروني تواجه تحديات نفسية وتقنية، فقد أدخلت الأزمات تعقيدات جديدة في مشهد التعليم العالي من خلال إدخال ضغوط مرتبطة بالصحة، والعزلة الاجتماعية، وتغيرات نمط الحياة.

1.3 التعلم الإلكتروني وتعزيز الصمود المجتمعي

يُعرف الصمود بأنه القدرة على التكيف والتعافي في مواجهة الشدائد، سواء أكانت حروباً أم كوارث طبيعية، ما يتيح للأفراد والمجتمعات التعامل مع الأضرار الجسدية والعاطفية (Moret-Tatay, et al., 2025)، كما يُعرف الصمود المجتمعي بأنه قدرة المجتمع على التكيف والتعافي من الصدمات والكوارث من خلال تعزيز الروابط الاجتماعية والموارد المشتركة (Norris, Stevens, Pfefferbaum, Wyche, & Pfefferbaum, 2008)، ففي سياق الحروب، يلعب الصمود المجتمعي دوراً حاسماً في الحفاظ على الهوية الثقافية والتماسك الاجتماعي، ما يساعد الأفراد على مواجهة التحديات النفسية والجسدية (Ungar, 2013)، ويُعد التعليم أحد العوامل الرئيسية في بناء هذا الصمود، فيوفر للطلاب الأمل والمهارات اللازمة للمستقبل، ويعزز الشعور بالانتماء والمشاركة المجتمعية (Shah, Paulson, & Couch, 2019)، إلى جانب ما سبق، قد يسهم التعلم الإلكتروني في تعزيز الصمود المجتمعي في غرة من خلال إنشاء منصات للتفاعل الاجتماعي والتعليمي بالرغم من الظروف القاسية، فقد اقترحت مبادرات مثل إنشاء حاضنات أكاديمية متنقلة مجهزة بالإنترنت عالي السرعة ومصادر طاقة شمسية لتوفير بيئات تعليمية مستقرة، ما يساعد الطلاب على استعادة الشعور بالانتماء، وعلى سبيل المثال، عززت مبادرة "إعادة بناء الأمل" بجامعة بيرزيت فرص التواصل الاجتماعي وخففت من الضغوط النفسية عبر المجتمعات التعليمية الافتراضية، فقدم 140 أستاذاً متطوعاً 155 مقرراً دراسياً لـ 10000 طالب وطالبة من غرة (Norris, Stevens, Pfefferbaum, Wyche, & Pfefferbaum, 2008; Rabaia & Habash, 2024)، وقد أشارت دراسة (Wang, Gao, Cheng, Zhang, & Wu, 2021) إلى أن مبادرات مثل "Balcony Garden" في بكين إلى أن التعلم الإلكتروني يمكن أن يعزز التماسك الأسري والصمود المجتمعي من خلال المجتمعات التفاعلية عبر الإنترنت. وبالتالي فيمكن القول بأن التعلم الإلكتروني يعد أداة فعالة في تعزيز الصمود المجتمعي من خلال توفير منصات للتفاعل الاجتماعي والدعم النفسي، ما يساعد الطلاب على التكيف مع الظروف الصعبة (Mansour, Elsayed, Alashkar, & El Khatib, 2024)، ففي غرة، يمكن للتعلم الإلكتروني أن يوفر بيئة تعليمية مستقرة تساهم في تقليل الضغوط النفسية وتعزيز الشعور بالانتماء من خلال المجتمعات التعليمية الافتراضية، كما يمكنه دعم التنمية المجتمعية من خلال تمكين الطلاب بالمهارات اللازمة للمشاركة في إعادة بناء مجتمعهم بعد الأزمات، ويمكن أيضاً - أن يعزز هذا الدعم من خلال إنشاء مجتمعات تعليمية افتراضية تدعم التواصل والتكيف النفسي، فقد تسببت الحرب في خسارة هائلة في رأس المال البشري والمؤسسي، وفقدان التعليم، ما أعاد التنمية البشرية في غرة عقوداً إلى الوراء وبشكل يهدد بظهور "أجيال ضائعة" (ESCWA & UNDP, 2024)، إلى جانب ما سبق، يلعب الدعم الاجتماعي من الأسرة والأصدقاء والمجتمع دوراً حاسماً في تعزيز الصمود، فيخفف من الآثار السلبية للتوتر والصدمات النفسية ويسهل التعافي (Moret-Tatay, et al., 2025; Masten, 2018)، ويؤكد الصمود الثقافي والاجتماعي على أهمية الدعم المجتمعي في مواجهة الصدمات (Ungar, 2013). كما يمكن للتعلم الإلكتروني أن يعزز هذا الصمود في غرة من خلال الحفاظ على الهوية المجتمعية والتواصل الاجتماعي عبر منصات رقمية، ويشير "ميلر وريسموسين" إلى أن الصمود يساعد في تطوير آليات تكيف إيجابية ودعم الصحة النفسية في سياقات النزاع (Miller & Rasmussen, 2017)، وقد اقترحت دراسة حديثة نموذجاً لبيئة تعليمية إلكترونية للتعليم عن بُعد، يتضمن بوابات للطلاب وأعضاء هيئة التدريس والإداريين، مع أدوات مثل الروبوتات التعليمية، والألعاب التعليمية، والإرشادات الصحية؛ بهدف دعم الجوانب المعرفية، والمهارية، والنفسية للمتعلمين، ما يعزز الصمود في الأزمات (Mansour, Elsayed, Alashkar, & El Khatib, 2024).

وفي ضوء ما سبق تبرز الحاجة لهذه الدراسة في الربط بين التعلم الإلكتروني بوصفه بديلاً طارئاً للتعليم التقليدي في ظل الحرب المدمرة على قطاع غزة، وبين دوره في تعزيز الصمود المجتمعي لدى طلبة جامعة الأقصى. كما تسهم الدراسة في استكشاف هذا الارتباط في سياق حرب مستمرة، فيبرز التعلم الإلكتروني أداة للحفاظ على استمرارية التعليم، وتقليل العزلة النفسية، ونقل المعرفة، وتعزيز الروابط الاجتماعية بالرغم من التحديات التقنية والنفسية الشديدة الناتجة عن "الإبادة التعليمية" والتدمير المنهجي للبنية التحتية، من خلال تحسين البنية التقنية، وتصميم منصات غير متصلة بالإنترنت، ودمج الدعم النفسي ضمن المنصات الرقمية، وتطوير برامج مخصصة للنازحين، ما يسهم في تعزيز الصمود المجتمعي، ومنع ظهور "أجيال ضائعة"، ودعم إعادة بناء المجتمع الفلسطيني بعد الأزمة.

مشكلة الدراسة: بصفتنا باحثين في مجال التعليم خلال الأزمات، دفعنا الواقع القاسي في غزة لإعداد هذه الدراسة، وخاصة أننا نعيش هذا الواقع بتحدياته ومخاطره كافة، فقد تسببت الحرب المستمرة والحصار الاقتصادي في تهديد استدامة التعليم العالي، خاصة في جامعة الأقصى التي عانت من أضرار جسيمة. (Education Cluster, 2025, February) لقد أدركنا، من خلال متابعة تقارير مثل "Palestine's Education Overview-2024"، أن تدمير المؤسسات التعليمية يمثل استراتيجية منهجية تهدف إلى القضاء على رأس المال البشري، وهو ما يُعرف بـ "الإبادة التعليمية" (Rabaia & Habash, 2024). هذا الواقع ولد لدى الباحثين شعوراً بالمسؤولية لاستكشاف كيف يمكن للتعلم الإلكتروني أن يدعم استمرارية التعليم ويعزز الصمود المجتمعي لدى طلاب جامعة الأقصى، مستلهمين من تقارير ودراسات مثل ما أشار إليه (UNICEF, 2021) بأن تطبيق التعلم الرقمي في سياقات الطوارئ محدود بسبب تحديات البنية التحتية، لكنه يظهر إمكانية تعزيز استمرارية التعليم، مع مخاطر تفاقم عدم المساواة التعليمية. إلى جانب دراسة (Radwan, Radwan, Radwan, & Pandey, 2021) التي بينت أنه في سياقات الأزمات، يواجه الطلاب في غزة تحديات كبيرة في التعلم عن بُعد بسبب الحصار الإسرائيلي، ونقص الأجهزة الإلكترونية، وانقطاع الكهرباء والإنترنت، ما يزيد من الإجهاد النفسي ويؤثر سلباً في الأداء الأكاديمي والصمود المجتمعي. وكذلك دراسة (Pinchuk, Feldman, Seleznova, & Virchenko, 2025) التي بينت أن تدمير البنية التحتية التعليمية وفترات الغارات الجوية الطويلة تسببت في زيادة الإجهاد النفسي وانخفاض الأداء الأكاديمي بنسبة تصل إلى 17.4% إلى جانب الاكتئاب الشديد، ما يستلزم تدخلات لدعم التعلم الإلكتروني والصمود المجتمعي. ولأن التحديات في غزة قد تفاقم بسبب النزوح المتكرر والضغط النفسي الناتجة عن العنف، فقد لمسنا - من خلال التواصل مع طلاب ومعلمين في غزة - صعوباتهم في الوصول إلى التعليم بسبب انقطاع الكهرباء وضعف الإنترنت، ما أعاق مبادرات مثل "الطالب الزائر" (Rabaia & Habash, 2024) هذه التحديات عززت قناعتنا بضرورة حلول تعليمية مبتكرة، بالاستناد إلى أبحاث مثل (Hodges, Moore, Locke, Trust, & Bond, 2020)، التي أشارت إلى إمكانية التعليم الطارئ عن بُعد في الحفاظ على الأداء الأكاديمي خلال الأزمات، بالرغم من الحاجة إلى تحسين البنية التحتية التقنية. وكذلك (UNICEF, 2021) التي بينت أن في سياقات الطوارئ مثل الحروب، يواجه تطبيق حلول التعلم الرقمي تحديات كبيرة تتعلق بالبنية التحتية، لكنه يظل أداة واعدة لضمان استمرارية التعليم ودعم الصمود المجتمعي من خلال توفير فرص التعلم عن بُعد.

إن إيماننا بدور التعليم أداة لتعزيز الصمود المجتمعي، كما أكدت دراسة (Norris, Stevens, Pfefferbaum, Wyche, & Pfefferbaum, 2008) دفعنا للتركيز على التعلم الإلكتروني حلاً مستداماً، فقد ألهمتنا تجارب مثل مبادرة "إعادة بناء الأمل" بجامعة بيرزيت، التي دعمت 10,000 طالب من غزة، ما يعكس قدرة المنصات الرقمية على تعزيز التواصل الاجتماعي وتخفيف الضغوط النفسية (Rabaia & Habash, 2024). كما استلهمنا من دراسة (Mansour, Elsayed, Alashkar, & El Khatib, 2024)، التي اقترحت بيانات تعليمية إلكترونية متكاملة لدعم الجوانب النفسية والمعرفية للمتعلمين في الأزمات.

ومن هنا فقد جاءت الدراسة الحالية محاولة للكشف عن دور التعلم الإلكتروني في تحقيق الصمود المجتمعي لدى طلبة جامعة الأقصى في ظل الحرب الطاحنة التي تعرض لها قطاع غزة والتي أدت إلى تدمير البنية التحتية وتعطل المسيرة التعليمية واضطرار المؤسسات إلى اللجوء إلى التعلم الإلكتروني بديلاً كلياً ومستمر، وبالتالي فقد حددت مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

ما دور التعلم الإلكتروني في ظل الحرب في تعزيز الصمود المجتمعي رغم التحديات لدى طلبة جامعة الأقصى بغزة؟
الأسئلة الفرعية للدراسة: ويتفرع عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما واقع دور التعلم الإلكتروني في ظل الحروب في تعزيز الصمود المجتمعي بالرغم من التحديات لدى طلبة جامعة الأقصى؟
2. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات طلبة جامعة الأقصى على مقياس الصمود المجتمعي، تعزى للمتغيرات التالية: (نوع الجنس، والبرنامج الدراسي، والمستوى الدراسي، ومكان الإقامة، والتكنولوجيا المستخدمة، وواقع الإنترنت، وواقع الكهرباء)؟
3. هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات عينة الدراسة بين الصمود الفردي، والصمود الجماعي، وأثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية، وتحديات التعلم الإلكتروني؟

أهداف الدراسة:

1. التعرف إلى واقع دور التعلم الإلكتروني في ظل الحروب في تعزيز الصمود المجتمعي رغم التحديات لدى طلبة جامعة الأقصى.
2. الكشف عن دلالة الفروق عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات طلبة جامعة الأقصى على مقياس الصمود المجتمعي، تعزى للمتغيرات التالية: (نوع الجنس، والبرنامج الدراسي، والمستوى الدراسي، ومكان الإقامة، والتكنولوجيا المستخدمة، وواقع الانترنت، وواقع الكهرباء).
3. الكشف عن دلالة العلاقة عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات عينة الدراسة بين الصمود الفردي، والصمود الجماعي، وأثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية، وتحديات التعلم الإلكتروني.

فرضيات الدراسة:

1. لا توجد فروق ذات دلالة عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات طلبة جامعة الأقصى على مقياس الصمود المجتمعي، تعزى للمتغيرات التالية: (نوع الجنس، والبرنامج الدراسي، والمستوى الدراسي، ومكان الإقامة، والتكنولوجيا المستخدمة، وواقع الانترنت، وواقع الكهرباء).
2. توجد علاقة ذات دلالة عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.01$) بين متوسطات استجابات عينة الدراسة بين الصمود الفردي، والصمود الجماعي، وأثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية، وتحديات التعلم الإلكتروني.

أهمية الدراسة: تتجلى أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

1. تسليط الضوء على موضوع ذي أهمية كبيرة بالنسبة للمجتمع الفلسطيني، وهو الصمود المجتمعي للطلبة، وهذا يأتي في سياق التحديات الاستثنائية التي يعيشها طلبة التعليم العالي في قطاع غزة في ظل الحرب الطاحنة المستمرة منذ عام 2023.
2. تناولها موضوعاً جديداً لم تسبق دراسته بشكل مكثف، ألا وهو الربط بين التعلم الإلكتروني بوصفه بديلاً للتعلم التقليدي في ظل الحرب من جهة، وربطه بتحقيق دور نفسي واجتماعي من خلال تحقيق الصمود المجتمعي من جهة أخرى، ما يضيف قيمة علمية وعملية للمجال البحثي.
3. تزويد المعنيين بتحسين حالة الطلبة النفسية والاجتماعية من أجل ضمان تحقيق الأهداف التعليمية خلال الحرب أو بعدها، بدءاً من الجامعات ووزارة التربية والتعليم والمخططين والمشرفين والمعلمين والباحثين بمخرجات الدراسة وتوصياتها لتسهم في تحقيق تحسينات واضحة من خلال توجيه التركيز نحو تلبية احتياجات التعليم في هذا السياق.
4. تحليل الجوانب الإيجابية والسلبية للتعلم الإلكتروني خلال الطوارئ وخاصة الحرب التي تختلف معطياتها بوصفها أزمة عن الأزمات الأخرى مثل الصحة وكوفيد 19، ما يسهم في تعزيز الجوانب الإيجابية ومعالجة الجوانب السلبية لتحقيق أهداف التعليم المرجوة.

حدود الدراسة: تتمثل حدود الدراسة في الآتي:

- الحد المكاني: جامعة الأقصى بغزة.
- الحد الزمني: الفصل الدراسي الثاني من العام (2023-2024م).
- الحد الموضوعي: دور التعلم الإلكتروني في تحقيق الصمود المجتمعي.
- الحد البشري: طلبة كلية التربية بجامعة الأقصى.
- الحدود المفاهيمية: تقتصر الدراسة على تعريف "التعلم الإلكتروني" بوصفه استخدام المنصات الرقمية (Moodle، WhatsApp، Zoom) في ظل الحرب فقط، و"الصمود المجتمعي" بوصفه قدرة طلبة جامعة الأقصى على التكيف والتعافي ضمن بيئة التعلم الإلكتروني، مقاساً عبر أربع مجالات محددة: (الصمود الفردي والجماعي، والتحديات، وأثر التعلم في التنمية المجتمعية). ولا تشمل مفاهيم أوسع مثل الصمود الاقتصادي أو السياسي، ولا تتجاوز سياق طلبة الجامعة في غزة.
- الحدود الإجرائية: تقتصر على استبانة إلكترونية موزعة على طلبة كلية التربية فقط (عينة 298 من 4597 طالباً في الفصل الثاني 2023-2024)، معتمدة على بيانات كمية، مع دمج استقصاء نوعي مكمل عبر نموذج إلكتروني (Google Forms) على عينة غير احتمالية من (46) طالباً وطالبة، شمل أسئلة مفتوحة لاستكشاف التجارب الشخصية، وذلك نظراً لصعوبة عقد مقابلات وجاهية بسبب ظروف الحرب، ما يعزز تفسير النتائج الكمية بعمق نوعي أكبر دون التأثير في الترابط العام للبحث.

مصطلحات الدراسة: عرف الباحث مصطلحات الدراسة إجرائياً، كما يلي:

- التعلم الإلكتروني: ويعرفه الباحث إجرائياً بأنه النمط التعليمي الذي يعتمد على توظيف الإنترنت والمنصات الرقمية، مثل الموديل والرووم والواتس آب، في تقديم المحتوى الأكاديمي والتفاعل مع الطلبة في جامعة الأقصى خلال فترة الحرب على غزة.
- الصمود المجتمعي: يعرفه الباحث إجرائياً بأنه قدرة طلبة جامعة الأقصى بغزة على التكيف والتعافي من الحرب من خلال تعزيز التواصل والموارد المجتمعية ضمن بيئة التعلم الإلكتروني المقرر لجامعة الأقصى استخدامها بوصفها بديلاً عن التعليم الوجاهي الذي انقطع نتيجة للحرب الطاحنة المدمرة لكل مقومات الحياة، ويُقاس من خلال استجاباته على فقرات مقياس الصمود المجتمعي.

2. إجراءات البحث الميدانية

2.1 منهج البحث

اعتمدت الدراسة المنهج المختلط (كمي-نوعي) للكشف عن دور التعلم الإلكتروني في تعزيز الصمود المجتمعي لدى طلبة جامعة الأقصى خلال فترة الحرب على غزة. في الجانب الكمي، استخدمت المنهج الوصفي التحليلي لجمع بيانات كمية من أفراد العينة باستخدام استبانة مقننة، وتحليل الفروق بينهم وفقاً لمتغيرات ديموغرافية مثل نوع الجنس، والمستوى الدراسي، ومكان السكن، والتوفر التكنولوجي، دون تدخل الباحث في أي متغيرات، وذلك لفهم العلاقة بين استخدام التعلم الإلكتروني ومظاهر الصمود المجتمعي لدى الطلبة. أما في الجانب النوعي، فقد اعتمدت على استقصاء مفتوح عبر نموذج إلكتروني (Google Forms) لاستكشاف التجارب الشخصية لعينة غير احتمالية، ما يسمح بدمج النتائج الكمية مع تفسيرات نوعية عميقة لتعزيز الفهم الشامل للظاهرة.

2.2 مجتمع البحث وعينه:

اعتمدت الدراسة عينة غير احتمالية من نوع الاستجابة الذاتية (Voluntary Response Sample)، فتم تعميم رابط الاستبانة إلكترونياً على مجتمع الدراسة (4597 طالباً وطالبة) خلال الحرب في الفصل الدراسي الثاني 2023-2024، وتم التعامل مع جميع الاستجابات الصالحة التي وردت (298 استجابة)، والجدول التالي يوضح خصائص العينة:

جدول 1: وصف عينة الدراسة

المتغير التصنيفي	التكرار	الوزن النسبي
نوع الجنس	أنثى	236
	ذكر	62
البرنامج الدراسي	الإجمالي	298
	بكالوريوس	277
المستوى الدراسي	دراسات عليا	21
	الإجمالي	298
مكان الإقامة	أول	127
	ثاني	125
موقع السكن	ثالث	34
	رابع	12
موقع السكن	الإجمالي	198
	منزل	114
موقع السكن	مخيم نزوح	184
	الإجمالي	298

ولدعم تفسير النتائج الكمية، تم إجراء استقصاء نوعي مكمل عبر Google Forms على عينة غير احتمالية من 46 طالباً، شمل أسئلة مفتوحة لاستكشاف التجارب الشخصية.

2.3 أدوات الدراسة

- استخدم الباحثان الاستبانة لتحقيق الهدف من الدراسة والمتمثل بالكشف عن واقع دور التعلم الإلكتروني في تعزيز الصمود المجتمعي لدى طلبة جامعة الأقصى في ظل الحرب، وتم بناؤها وفقاً للخطوات التالية:
- بعد الاطلاع على الأدب التربوي والبحوث المتخصصة ذات العلاقة، تم إعداد الصورة الأولية للمقياس لتتضمن (30) فقرة
 - تم عرض المقياس على مجموعة من السادة المحكمين من ذوي الاختصاص في تكنولوجيا التعليم والتعلم الإلكتروني وعلم النفس، قدر عددهم بخمسة محكمين، وقد تم الأخذ بملاحظاتهم كافة.
 - التجريب الاستطلاعي: وقد تم تطبيق الاستبانة على (30) طالب وطالبة من خارج عينة الدراسة؛ بهدف التحقق من صدق الاتساق الداخلي واحتساب الثبات، وقد جاءت النتائج كما يلي:
 - صدق الاتساق الداخلي: وقد استخدم من أجل الكشف عن مدى اتساق كل فقرة مع مجالها ومع الدرجة الكلية للاستبانة، فجاءت جميعها دالة وفقاً لاختبار بيرسون، وجاءت النتائج كما يلي:

جدول 2: قيم معاملات الاتساق الداخلي بين الفقرات والمجالات الفرعية والمقياس ككل

رقم الفقرة	الصمود الفردي	الصمود الجماعي	تحديات التعلم الإلكتروني	أثر التعلم الإلكتروني على التنمية المجتمعية	المقياس ككل
1	0.759**				0.747**

.564**	.632**	2
.785**	.824**	3
.701**	.751**	4
.573**	.741**	5
.639**	.814**	6
.598**	.717**	7
.711**	.791**	8
.679**	.884**	9
.655**	.797**	10
.666**	.743**	11
.729**	.789**	12
.573**	.834**	13
.632**	.846**	14
.679**	.809**	15
.893**	.841**	16
.751**	.773**	17
.632**	.769**	18
.797**	.632**	19
.815**	.915**	20
.731**	.852**	21
.795**	.793**	22
.682**	.809**	23
.782**	.893**	24
.880**		الصمود الفردي
.856**		الصمود الجماعي
.632**		تحديات التعلم الإلكتروني
.893**		أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية

**معاملات الارتباط بيرسون دالة عند مستوى 0.01

- ثبات المقياس: من أجل الكشف عن ثبات مجالات الاستبانة والاستبانة ككل، تم استخدام اختبار ألفا كرونباخ والتجزئة النصفية، فجاءت جميعها مرتفعة وتعكس ثباتاً عالياً للمقياس ومجالاته الفرعية، وجاءت النتائج كما يلي:

جدول 3: قيم ثبات مجالات المقياس والمقياس ككل

المجال	التجزئة النصفية		ألفا كرونباخ
	قبل التعديل	بعد التعديل	
الصمود الفردي	0.842	0.774	0.873
الصمود الجماعي	0.877	0.919	0.958
تحديات التعلم الإلكتروني	0.885	0.907	0.951
أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية	0.866	0.877	0.934
الدرجة الكلية	0.911	0.932	0.965

بعد إدخال التعديلات المطلوبة وخاصة حذف (6) وهي (من مجال الصمود الفردي "يسمح التعلم الإلكتروني بمواصلة الدراسة في أي وقت رغم الظروف الحربية" و "يساعد التعلم الإلكتروني في الحفاظ على الثقة الذاتية أثناء الأزمات". ومن مجال الصمود المجتمعي "يعزز التعلم الإلكتروني التواصل بين الأصدقاء والزلاء في المجتمع". و "يوفر التعلم الإلكتروني فرصاً لتطوير المهارات الشخصية لمواجهة الحرب". ومن مجال تحديات التعلم الإلكتروني "يقفل نقص الإنترنت من فعالية التعلم الإلكتروني في الصمود". ومن مجال أثر التعلم الإلكتروني "يسهم التعلم الإلكتروني في زيادة الوعي بالآزمات المستقبلية".)، تم التوصل للصورة النهائية لمقياس الصمود المجتمعي ليشمل (24) فقرة موزعة على أربع مجالات هي: الصمود الفردي (يتضمن بعدين فرعيين في كل منهما (3) فقرات)، والصمود الجماعي (يتضمن بعدين فرعيين في كل منهما (3) فقرات)، وتحديات التعلم الإلكتروني وأثرها في الصمود (يتضمن بعدين فرعيين في كل منهما (3) فقرات)، وأثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية (يتضمن بعدين فرعيين في كل منهما (3) فقرات). وقد تم الاعتماد على سلم ليكرت الخماسي (1-5) في تحديد الإجابات، وكانت كالتالي: لا أوافق بشدة (1)، لا أوافق (2)، محايد (3)، أوافق (4)، أوافق بشدة (5).

الجانب النوعي: الاستقصاء المفتوح وطريقة التحليل (PEEL) ولدعم تفسير النتائج الكمية واستكشاف الأبعاد العميقة لتجارب الطلبة، تم إجراء استقصاء نوعي مكمل عبر نموذج إلكتروني (Google Forms) على عينة غير احتمالية قوامها 46 طالباً

وطالبة من طلبة كلية التربية بجامعة الأقصى (منهم نازحون في خيام وبيوت مستأجرة ومقيمون في منازلهم)، وذلك لصعوبة إجراء مقابلات وجاهية بسبب ظروف الحرب والنزوح المستمر. شمل الاستقصاء تسعة أسئلة مفتوحة رئيسية، صيغت بعناية لتغطي الأبعاد الرئيسية للبحث: (الصمود الفردي والجماعي، والتحديات التقنية والنفسية، والأثر في التنمية المجتمعية)، وهي كالتالي:

1. كيف تصف تجربتك الشخصية مع التعلم الإلكتروني خلال فترة الحرب حتى الآن؟ ما الذي يبرز في ذهنك أولاً عند التفكير فيها؟
 2. ذكرت نسبة كبيرة من الطلبة في دراسة علمية أن التعلم الإلكتروني ساعدهم على مواصلة الدراسة رغم الأوضاع الصعبة. كيف ساعدك ذلك شخصياً على الشعور بالاستمرارية أو الأمل في المستقبل؟ هل هناك لحظة محددة تتذكرها؟
 3. ما الذي يجعل التعلم الإلكتروني يساعد (أو لا يساعد) في تعزيز ثقتك النفسية أو شعورك بالاستقرار أثناء الضغوط الحربية؟
 4. من وجهة نظرك، كيف يسهم التعلم الإلكتروني (مثل المجموعات على واتساب أو المناقشات عبر المنصات) في تقوية الروابط الاجتماعية أو الشعور بالانتماء داخل المجتمع في ظل النزوح؟
 5. كيف تنقل المعرفة أو المهارات التي تكتسبها من التعلم الإلكتروني إلى أفراد أسرتك أو جيرانك؟ هل تشعر أن هذا يسهم فعلياً في بناء قدرة المجتمع على مواجهة التحديات؟
 6. كانت انقطاعات الكهرباء والإنترنت من أبرز التحديات في الدراسة. صف لي يوماً دراسياً نموذجياً بالنسبة لك: كيف تتعامل مع هذه الانقطاعات، وكيف تؤثر في قدرتك على التركيز أو الاستفادة من الدروس؟
 7. ما الذي يجعل الضغط النفسي الناتج عن الحرب يقلل من استفادتك من التعلم الإلكتروني؟ وما الذي يمكن أن يخفف هذا التأثير من وجهة نظرك؟
 8. قال الكثيرون إن التعلم الإلكتروني يساعد في نقل خبرات مواجهة الأزمات إلى الأجيال المقبلة. كيف ترى أنت دورك (أو دور زملائك) في نقل هذه الخبرات عبر المنصات الرقمية إلى المجتمع الأوسع؟
 9. في رأيك، كيف يمكن للتعلم الإلكتروني أن يسهم في تمكين الشاب أو المرأة في المجتمع الفلسطيني بعد انتهاء الحرب أو في مرحلة إعادة الإعمار؟
- تم تحليل الاستجابات النوعية وفق طريقة (PEEL (Point – Evidence – Explanation – Link)، ليتم استخراج النقطة الرئيسية (Point) من كل محور، ثم دعمها بالأدلة المباشرة من الاستجابات (Evidence) مع ذكر المستجيب ورقمه، ثم تفسيرها وتأييدها بدراسات سابقة ذات صلة (Explanation)، وأخيراً ربطها بباقي محاور البحث أو التوصيات (Link).

2.4 الأساليب الإحصائية المستخدمة:

- صدق الاتساق الداخلي والثبات.
- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية.
- اختبار تحليل التباين المتعدد بدون تفاعل.
- وقد تم اعتماد المحك التالي لتفسير النتائج:

جدول 4: المحك المعتمد في تفسير المتوسطات الحسابية	طول الخلية	الوزن النسبي المقابل له	درجة الموافقة
من 1.80 - 1	من 36%-20%	قليلة جداً	
أكبر من 1.80 - 2.60	أكبر من 52%-36%	قليلة	
أكبر من 2.60 - 3.40	أكبر من 68%-52%	متوسطة	
أكبر من 3.40 - 4.20	أكبر من 84%-68%	كبيرة	
أكبر من 4.20 - 5	أكبر من 100%-84%	كبيرة جداً	

3. نتائج الدراسة

للإجابة عن تساؤل الدراسة الأول والذي ينص على ما يلي: ما واقع دور التعلم الإلكتروني في ظل الحروب في تعزيز الصمود المجتمعي رغم التحديات لدى طلبة جامعة الأقصى؟، استخدم الباحث المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية والدرجة المحكية لكل فقرة في مجالها والمجالات وللمقياس ككل، وجاءت النتائج كما يلي:

جدول 5: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي والمحك والترتيب لمجالات المقياس والمقياس ككل	م	المجالات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	المحك	الترتيب
1	التعليم المستمر	3.60	0.83	71.92%	كبيرة	1	

2	الدعم النفسي والاجتماعي	3.47	0.85	69.37%	كبيرة	2
#	الصمود الفردي	3.53	0.77	70.65%	كبيرة	#
1	الروابط الاجتماعية	3.56	0.89	71.28%	كبيرة	2
2	نقل المعرفة وتنمية المهارات	3.57	0.89	71.50%	كبيرة	1
#	الصمود الجماعي	3.57	0.83	71.39%	كبيرة	#
1	محدودية الموارد	4.14	0.77	82.73%	كبيرة	1
2	التحديات النفسية والاجتماعية	3.90	0.79	77.92%	كبيرة	2
#	تحديات التعلم الإلكتروني	4.02	0.73	80.32%	كبيرة	#
1	تمكين المجتمع	3.72	0.83	74.34%	كبيرة	2
2	تعزيز الوعي لمواجهة الأزمات	3.77	0.90	75.30%	كبيرة	1
#	أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية	3.74	0.82	74.82%	كبيرة	#

يتضح من الجدول أعلاه: أن واقع دور التعلم الإلكتروني في ظل الحروب في تعزيز الصمود المجتمعي رغم التحديات لدى طلبة جامعة الأقصى، جاء بدرجات كبيرة في المجالات الرئيسة الأربعة ومجالاتها الفرعية، فجاء مجال تحديات التعلم الإلكتروني بالترتيب الأول، وبمتوسط حسابي (4.02) ووزن نسبي (80.32%). تلاه مجال أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية، بمتوسط حسابي (3.74) ووزن نسبي (74.82%)، ثم مجال الصمود الجماعي بمتوسط حسابي (3.57) ووزن نسبي (71.39%)، وأخيرًا مجال الصمود الفردي بمتوسط حسابي (3.53) ووزن نسبي (70.65%). وبالنسبة للمجالات الفرعية لكل مجال رئيس، فقد جاءت كما يلي:

- جاءت المجالات الفرعية للصمود الفردي بدرجات محكية كبيرة وبمتوسطات حسابية ما بين (3.47-3.6) ليحصل مجال (التعليم المستمر) على الترتيب الأول، بمتوسط حسابي (3.6) ووزن نسبي (71.92) في حين جاء مجال (الدعم النفسي والاجتماعي) في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي (3.47) ووزن نسبي (69.37).
 - جاءت المجالات الفرعية للصمود الجماعي بدرجات محكية كبيرة وبمتوسطات حسابية ما بين (3.56-3.57) ليحصل مجال (نقل المعرفة وتنمية المهارات) على الترتيب الأول، بمتوسط حسابي (3.57) ووزن نسبي (71.5). في حين جاء مجال (الروابط الاجتماعية) في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي (3.56) ووزن نسبي (71.28).
 - جاءت المجالات الفرعية لتحديات التعلم الإلكتروني بدرجات محكية كبيرة وبمتوسطات حسابية ما بين (3.9-4.14) ليحصل مجال (محدودية الموارد) على الترتيب الأول، بمتوسط حسابي (4.14) ووزن نسبي (82.73). في حين جاء مجال (التحديات النفسية والاجتماعية) في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي (3.9) ووزن نسبي (77.92).
 - جاءت المجالات الفرعية لأثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية بدرجات محكية كبيرة وبمتوسطات حسابية ما بين (3.72-3.77) ليحصل مجال (تعزيز الوعي لمواجهة الأزمات) على الترتيب الأول، بمتوسط حسابي (3.77) ووزن نسبي (75.3). في حين جاء مجال (تمكين المجتمع) في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي (3.72) ووزن نسبي (73.34).
- وبالنسبة لفقرات المجالات الفرعية فقد جاءت كما يلي:
- مجال التعليم المستمر:

جدول 6: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي والمحك والترتيب لفقرات مجال التعليم المستمر					
م	الفقرات/المجالات الفرعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	المحك
1	ساعدني التعلم الإلكتروني في مواصلة دراستي رغم الأوضاع الصعبة.	3.93	0.83	78.52%	كبيرة
2	يوفر التعلم الإلكتروني لي فرصة لتطوير مهاراتي المهنية والأكاديمية.	3.39	1.05	67.85%	متوسطة
3	يمنحني التعلم الإلكتروني شعورًا بالأمل في بناء مستقبل أفضل	3.47	1.03	69.40%	كبيرة
#	التعليم المستمر	3.60	0.83	71.92%	كبيرة

يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن مجال التعليم المستمر تراوحت ما بين (3.39-3.93)، وجاءت الفقرة: "ساعدني التعلم الإلكتروني في مواصلة دراستي رغم الأوضاع الصعبة." في المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (3.93)، وبنسبة مئوية (78.52%)، وبمستوى كبير، تلاها الفقرة: "يمنحني التعلم الإلكتروني شعورًا بالأمل في بناء مستقبل أفضل" بمتوسط حسابي قدره (3.47)، وبنسبة مئوية (69.4%)، بينما جاءت الفقرة: "يوفر التعلم الإلكتروني لي فرصة لتطوير مهاراتي المهنية والأكاديمية." بمتوسط حسابي قدره (3.39)، وبنسبة مئوية (67.85%) وبمستوى كبير.

- مجال الدعم النفسي والاجتماعي:

جدول 7: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي والمحك والترتيب لفقرات مجال الأجهزة التقنية

م	الفقرات/المجالات الفرعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	المحك	الترتيب
1	يقلل التواصل مع المدرسين وزملاء الدراسة عبر التعلم الإلكتروني من شعوري بالعزلة	3.41	1.09	68.26%	كبيرة	2
2	يسهم التعلم الإلكتروني في تعزيز ثقتي بقدرتي على مواجهة التحديات	3.62	1.00	72.35%	كبيرة	1
3	أشعر بأن الاستمرار في التعلم الإلكتروني يعزز من استقرار نفسي أثناء الأزمات	3.38	1.09	67.52%	متوسطة	3
#	الدعم النفسي والاجتماعي	3.47	0.85	69.37%	كبيرة	#

يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن مجال الدعم النفسي والاجتماعي تراوحت ما بين (3.38-3.62)، وجاءت الفقرة: "يسهم التعلم الإلكتروني في تعزيز ثقتي بقدرتي على مواجهة التحديات." في المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (3.62)، وبنسبة مئوية (72.35%)، وبمستوى كبير، ثم تلاها الفقرة: "يقلل التواصل مع المدرسين وزملاء الدراسة عبر التعلم الإلكتروني من شعوري بالعزلة" بمتوسط حسابي بلغ (3.41)، وبنسبة مئوية (68.26%) وبمستوى كبير، ثم جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة "أشعر بأن الاستمرار في التعلم الإلكتروني يعزز من استقرار نفسي أثناء الأزمات" بمتوسط حسابي (3.38) وبنسبة مئوية (67.52%) وبمستوى متوسط.

- مجال الروابط الاجتماعية:

جدول 8: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي والمحك والترتيب لفقرات مجال الروابط الاجتماعية

م	الفقرات/المجالات الفرعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	المحك	الترتيب
1	أسهمت منصات التعلم الإلكتروني في إبقاء العلاقات بين الطلبة والمدرسين قوية رغم الظروف الصعبة	3.46	1.06	69.13%	كبيرة	3
2	أشعر بأن المشاركة في أنشطة التعلم الجماعية الإلكترونية تقوي الروح الجماعية لدينا بوصفنا مجتمعاً	3.65	1.02	72.95%	كبيرة	1
3	يساعد التعلم الإلكتروني في بناء شبكات دعم اجتماعي بين الطلبة في غزة	3.59	0.98	71.74%	كبيرة	2
#	الروابط الاجتماعية	3.56	0.89	71.28%	كبيرة	#

يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن مجال الروابط الاجتماعية تراوحت ما بين (3.46-3.65)، وجاءت الفقرة: "أسهمت منصات التعلم الإلكتروني في إبقاء العلاقات بين الطلبة والمدرسين قوية رغم الظروف الصعبة" في المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (3.65)، وبنسبة مئوية (72.95%)، وبمستوى كبير، ثم تلاها الفقرة: "يساعد التعلم الإلكتروني في بناء شبكات دعم اجتماعي بين الطلبة في غزة" بمتوسط حسابي بلغ (3.59)، وبنسبة مئوية (71.74%) وبمستوى كبير، بينما جاءت الفقرة: "ساهمت منصات التعلم الإلكتروني في إبقاء العلاقات بين الطلبة والمدرسين قوية رغم الظروف الصعبة" في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي بلغ (3.46)، وبنسبة مئوية (69.13%)، وبمستوى كبير.

- مجال نقل المعرفة وتنمية المهارات:

جدول 9: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي والمحك والترتيب لفقرات مجال نقل المعرفة وتنمية المهارات

م	الفقرات/المجالات الفرعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	المحك	الترتيب
1	يوفر التعلم الإلكتروني فرصة لمشاركة المهارات والمعرفة المكتسبة مع أفراد الأسرة أو الجيران	3.47	1.03	69.33%	كبيرة	3
2	أعتقد أن التعلم الإلكتروني يسهم في بناء كوادر شبابية قادرة على خدمة المجتمع في ظل الأزمات	3.58	1.05	71.61%	كبيرة	2
3	يسهم التعلم الإلكتروني في تنمية قدرات الأفراد داخل المجتمع للتعامل مع تحديات الحرب	3.68	0.96	73.56%	كبيرة	1
#	نقل المعرفة وتنمية المهارات	3.57	0.89	71.50%	كبيرة	#

يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن مجال نقل المعرفة وتنمية المهارات تراوحت ما بين (3.47-3.68)، وجاءت الفقرة: "يسهم التعلم الإلكتروني في تنمية قدرات الأفراد داخل المجتمع للتعامل مع تحديات الحرب." في المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (3.68)، وبنسبة مئوية (73.56%)، وبمستوى كبير، تلاها الفقرة: "أعتقد أن التعلم الإلكتروني يساهم في بناء كوادر شبابية قادرة على خدمة المجتمع في ظل الأزمات." بمتوسط حسابي قدره (3.58)، وبنسبة مئوية (71.61%)، وبمستوى كبير، بينما جاءت الفقرة: "يوفر التعلم الإلكتروني فرصة

لمشاركة المهارات والمعرفة المكتسبة مع أفراد الأسرة أو الجيران." في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي بلغ (3.47)، وبنسبة مئوية (69.33%)، وبمستوى كبير. مجال محدودية الموارد:

جدول 10: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي والمحك والترتيب لفقرات مجال محدودية الموارد

م	الفقرات/المجالات الفرعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	المحك	الترتيب
1	ضعف البنية التحتية التكنولوجية يقلل من فعالية التعلم الإلكتروني في تعزيز الصمود	4.03	0.89	80.67%	كبيرة	3
2	تؤثر قلة الموارد المادية في قدرة الأفراد على الاستفادة من التعلم الإلكتروني	4.12	0.89	82.48%	كبيرة	2
3	تؤدي انقطاعات الإنترنت والكهرباء إلى إعاقة دور التعلم الإلكتروني في بناء الصمود	4.25	0.90	85.03%	كبيرة جدًا	1
#	محدودية الموارد	4.14	0.77	82.73%	كبيرة	#

يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن مجال محدودية الموارد تراوحت ما بين (4.03-4.25)، وجاءت الفقرة: "تؤدي انقطاعات الإنترنت والكهرباء إلى إعاقة دور التعلم الإلكتروني في بناء الصمود" في المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (4.25)، وبنسبة مئوية (85.03%)، وبمستوى كبير جدًا، تلاها الفقرة: "تؤثر قلة الموارد المادية في قدرة الأفراد على الاستفادة من التعلم الإلكتروني." بمتوسط حسابي قدره (4.12)، وبنسبة مئوية (82.48%)، وبمستوى كبير، بينما جاءت الفقرة: "ضعف البنية التحتية التكنولوجية يقلل من فعالية التعلم الإلكتروني في تعزيز الصمود." في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي بلغ (4.03)، وبنسبة مئوية (80.67%)، وبمستوى كبير.

- مجال التحديات النفسية والاجتماعية:

جدول 11: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي والمحك والترتيب لفقرات مجال التحديات النفسية والاجتماعية

م	الفقرات/المجالات الفرعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	المحك	الترتيب
1	يؤثر الضغط النفسي الناتج عن الحرب في استفادتي من التعلم الإلكتروني	4.05	0.92	80.94%	كبيرة	1
2	تواجهني صعوبات في التكيف مع متطلبات التعلم الإلكتروني بسبب الظروف المحيطة	3.94	0.90	78.86%	كبيرة	2
3	أعتقد أن التحديات الاجتماعية (مثل المسؤوليات الأسرية) تحد من فاعلية التعلم الإلكتروني في تعزيز الصمود.	3.70	0.98	73.96%	كبيرة	3
#	التحديات النفسية والاجتماعية	3.90	0.79	77.92%	كبيرة	#

يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن مجال التحديات النفسية والاجتماعية تراوحت ما بين (3.7-4.05)، وجاءت الفقرة "يؤثر الضغط النفسي الناتج عن الحرب في استفادتي من التعلم الإلكتروني" في المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (4.05)، وبنسبة مئوية (80.94%)، وبمستوى كبير، تلاها الفقرة "تواجهني صعوبات في التكيف مع متطلبات التعلم الإلكتروني بسبب الظروف المحيطة" بمتوسط حسابي قدره (3.94)، وبنسبة مئوية (78.86%)، وبمستوى كبير بينما جاءت الفقرة: "أعتقد أن التحديات الاجتماعية (مثل المسؤوليات الأسرية) تحد من فاعلية التعلم الإلكتروني في تعزيز الصمود." في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي بلغ (3.7)، وبنسبة مئوية (73.96%)، وبمستوى كبير.

- مجال تمكين المجتمع:

جدول 12: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي والمحك والترتيب لفقرات مجال تمكين المجتمع

م	الفقرات/المجالات الفرعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	المحك	الترتيب
1	ساعد التعلم الإلكتروني في توفير فرص تعليمية لأفراد لم يكن بمقدورهم الوصول إلى التعليم التقليدي	3.75	0.96	74.97%	كبيرة	1
2	أعتقد أن التعلم الإلكتروني يعزز من قدرة المجتمع على التكيف مع تحديات الأزمات	3.68	1.04	73.62%	كبيرة	3
3	يسهم التعلم الإلكتروني في تمكين المرأة والشباب ضمن المجتمع الفلسطيني	3.72	0.94	74.43%	كبيرة	2
#	تمكين المجتمع	3.72	0.83	74.34%	كبيرة	#

يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن مجال تمكين المجتمع تراوحت ما بين (3.68-3.75)، وجاءت الفقرة "ساعد التعلم الإلكتروني في توفير فرص تعليمية لأفراد لم يكن بمقدورهم الوصول إلى التعليم التقليدي." في المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (3.75)، وبنسبة مئوية (74.97%)، وبمستوى كبير، تلها الفقرة: "يسهم التعلم الإلكتروني في تمكين المرأة والشباب ضمن المجتمع الفلسطيني." في بمتوسط حسابي بلغ (3.72)، وبنسبة مئوية (74.43%)، وبمستوى كبير. بينما جاءت الفقرة: "أعتقد أن التعلم الإلكتروني يعزز من قدرة المجتمع على التكيف مع تحديات الأزمات." في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي بلغ (3.68)، وبنسبة مئوية (73.62%)، وبمستوى كبير.

- مجال تعزيز الوعي لمواجهة الأزمات:

جدول 13: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي والمحك والترتيب لفقرات مجال تعزيز الوعي لمواجهة الأزمات						
م	الفقرات/المجالات الفرعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	المحك	الترتيب
1	يسهم التعلم الإلكتروني في زيادة وعي الأفراد بطرق التكيف مع الأزمات والحروب	3.76	0.96	75.23%	كبيرة	2
2	يساعد التعلم الإلكتروني في نقل خبرات مواجهة الأزمات إلى الأجيال القادمة	3.82	0.99	76.31%	كبيرة	1
3	أعتقد أن الاستمرار في التعلم الإلكتروني يمكن أن يقلل من تأثير الحروب المستقبلية في التعليم	3.72	1.08	74.36%	كبيرة	3
#	تعزيز الوعي لمواجهة الأزمات	3.77	0.90	75.30%	كبيرة	#

يتضح من الجدول أعلاه أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن مجال تعزيز الوعي لمواجهة الأزمات تراوحت ما بين (3.72-3.82)، وجاءت الفقرة "يساعد التعلم الإلكتروني في نقل خبرات مواجهة الأزمات إلى الأجيال القادمة." في المرتبة الأولى، بمتوسط حسابي قدره (3.82)، وبنسبة مئوية (76.31%)، وبمستوى كبير، تلها الفقرة: "يسهم التعلم الإلكتروني في زيادة وعي الأفراد بطرق التكيف مع الأزمات والحروب." بمتوسط حسابي بلغ (3.76)، وبنسبة مئوية (75.23%)، وبمستوى كبير. بينما جاءت الفقرة: "أعتقد أن الاستمرار في التعلم الإلكتروني يمكن أن يقلل من تأثير الحروب المستقبلية في التعليم." في المرتبة الأخيرة، بمتوسط حسابي بلغ (3.72)، وبنسبة مئوية (74.36%)، وبمستوى كبير.

وللإجابة عن تساؤل الدراسة الثاني، والذي ينص على: هل توجد فروق ذات دلالة عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات طلبة جامعة الأقصى على مقياس الصمود المجتمعي، تعزى للمتغيرات التالية: (نوع الجنس، والبرنامج الدراسي، والمستوى الدراسي، ومكان الإقامة، والتكنولوجيا المستخدمة، وواقع الانترنت، وواقع الكهرباء)؟، استخدم الباحث تحليل التباين المتعدد من دون تفاعل. وقد جاءت النتائج كما هي موضحة في الجدول التالي:

جدول 14: تحليل التباين المتعدد (من دون تفاعل) على الدرجة الكلية والأبعاد الفرعية لمقياس الصمود المجتمعي						
مصدر التباين	المقياس	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
النموذج	الصمود الفردي	3725.954 ^a	12	310.496	519.675	0.000
	الصمود الجماعي	3806.716 ^b	12	317.226	461.308	0.000
	تحديات التعلم الإلكتروني	4816.644 ^c	12	401.387	774.515	0.000
	أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية	4186.340 ^d	12	348.862	537.645	0.000
نوع الجنس	الصمود الفردي	0.948	1	0.948	1.587	0.209
	الصمود الجماعي	1.565	1	1.565	2.276	0.132
	تحديات التعلم الإلكتروني	0.268	1	0.268	0.516	0.473
	أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية	2.437	1	2.437	3.756	0.054
البرنامج الدراسي	الصمود الفردي	1.661	1	1.661	2.779	0.097
	الصمود الجماعي	0.004	1	0.004	0.005	0.942
	تحديات التعلم الإلكتروني	0.095	1	0.095	0.183	0.669
	أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية	0.976	1	0.976	1.504	0.221
المستوى الدراسي	الصمود الفردي	2.632	3	0.877	1.469	0.223
	الصمود الجماعي	3.179	3	1.060	1.541	0.204
	تحديات التعلم الإلكتروني	4.338	3	1.446	2.790	0.041
	أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية	5.971	3	1.990	3.067	0.028
مكان الإقامة	الصمود الفردي	1.272	1	1.272	2.129	0.146
	الصمود الجماعي	3.655	1	3.655	5.315	0.022

التكنولوجيا المستخدمة	تحديات التعلم الإلكتروني أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية	4.305	1	4.305	8.308	0.004	دال
واقع الإنترنت	الصمود الفردي الصمود الجماعي تحديات التعلم الإلكتروني أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية	4.075	1	4.075	6.279	0.013	دال
واقع الكهرباء	الصمود الفردي الصمود الجماعي تحديات التعلم الإلكتروني أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية	0.307	1	0.307	0.514	0.474	غير دال
		1.081	1	1.081	1.571	0.211	غير دال
		0.360	1	0.360	0.694	0.405	غير دال
		0.684	1	0.684	1.054	0.306	غير دال
الخطأ	الصمود الفردي الصمود الجماعي تحديات التعلم الإلكتروني أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية	0.165	2	0.165	0.138	0.871	غير دال
		0.384	2	0.384	0.279	0.757	غير دال
		0.273	2	0.273	0.263	0.769	غير دال
		0.281	2	0.281	0.216	0.806	غير دال
الإجمالي	الصمود الفردي الصمود الجماعي تحديات التعلم الإلكتروني أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية	0.742	2	0.742	0.621	0.538	غير دال
		0.458	2	0.458	0.333	0.717	غير دال
		0.763	2	0.763	0.736	0.480	غير دال
		1.350	2	1.350	1.040	0.355	غير دال
		170.880	286	0.597			
		196.673	286	0.688			
		148.218	286	0.518			
		185.577	286	0.649			
		3896.833	298				
		4003.389	298				
		4964.861	298				
		4371.917	298				

يتضح من الجدول السابق ما يلي:

- لا توجد فروق ذات دلالة عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات طلبة جامعة الأقصى على جميع مجالات المقياس: (الصمود الفردي، والصمود الجماعي، وتحديات التعلم الإلكتروني، أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية) تعزى للمتغيرات: نوع الجنس والبرنامج الدراسي، والتكنولوجيا المستخدمة، وواقع توافر الإنترنت وواقع توافر الكهرباء.
- لا توجد فروق ذات دلالة عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات طلبة جامعة الأقصى على المجالات: (الصمود الفردي، والصمود الجماعي) تعزى لمتغير المستوى الدراسي.
- توجد فروق ذات دلالة عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات طلبة جامعة الأقصى على مجالات المقياس: (تحديات التعلم الإلكتروني، وأثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية) تعزى لمتغير المستوى الدراسي. ولتحديد اتجاه الفروق استخدم الباحث اختبار شيفيه، وقد تبين أن الفروق في مجال تحديات التعلم الإلكتروني جاءت بين (مستوى أول، ومستوى ثالث) ولمصلحة مستوى أول، وكذلك جاءت الفروق في أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية بين (مستوى ثاني، ومستوى ثالث) ولمصلحة مستوى ثالث، كما يتضح من الجدول التالي:

جدول 15: نتائج اختبار شيفيه لدلالة الفروق وفقاً لمتغير المستوى الدراسي

القياس	مستوى دراسي (أ)	مستوى دراسي (ب)	فرق المتوسطات (أ - ب)	مستوى الدلالة
تحديات التعلم الإلكتروني	أول	ثالث	0.3947*	0.047
أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية	ثاني	ثالث	0.4408*	0.048

- لا توجد فروق ذات دلالة عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات طلبة جامعة الأقصى على مجال (الصمود الفردي) تعزى لمتغير مكان الإقامة.
 - توجد فروق ذات دلالة عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات طلبة جامعة الأقصى على مجالات المقياس: (الصمود الجماعي، وتحديات التعلم الإلكتروني، وأثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية) تعزى لمتغير مكان الإقامة.
- ولتحديد اتجاه الفروق استخدم الباحث المتوسطات الحسابية، وقد جاءت الفروق في مجال الصمود الجماعي بين (مقيم في منزل، ومقيم في مخيم نزوح) لمصلحة المقيم في مخيم النزوح، وفي مجال تحديات التعلم الإلكتروني بين (مقيم في منزل، ومقيم في مخيم نزوح) لصالح المقيم في مخيم النزوح، وفي مجال أثر التعلم الإلكتروني على التنمية المجتمعية بين (مقيم في منزل، ومقيم في مخيم نزوح) لمصلحة المقيم في مخيم النزوح، كما يتضح من الجدول التالي:

القياس	مكان الإقامة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الصمود الجماعي	منزل	3.45	0.94
	مخيم نزوح	3.64	0.76
تحديات التعلم الإلكتروني	منزل	3.88	0.77
	مخيم نزوح	4.10	0.69
أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية	منزل	3.63	0.88
	مخيم نزوح	3.81	0.78

للإجابة عن تساؤل الدراسة الثالث والذي ينص على: هل توجد علاقة ذات دلالة عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات عينة الدراسة بين الصمود الفردي، والصمود الجماعي، وأثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية، وتحديات التعلم الإلكتروني؟، استخدمت الباحثة اختبار بيرسون، وجاءت النتائج كما يلي:

جدول 17: نتائج اختبار بيرسون للكشف عن العلاقة بين المتغيرات		
القياس	تحديات التعلم الإلكتروني	معامل الارتباط بيرسون
الصمود الفردي	Sig. (2-tailed)	0.000
الصمود الجماعي		0.000
أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية		0.000

0.01** الارتباط دال عند مستوى دلالة 0.01**.

يتضح من الجدول أعلاه أن: جميع قيم الارتباط بيرسون بين الصمود الفردي، والصمود الجماعي، وأثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية، وتحديات التعلم الإلكتروني جاءت دالة حيث أنها أقل من (0.01) وهذا يعني أنه يوجد علاقة عكسية ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.01$) بين متوسطات استجابات عينة الدراسة في الصمود الفردي، والصمود الجماعي، وأثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية، وتحديات التعلم الإلكتروني. وتعتبر هذه العلاقة سلبية عكسية وزيادة في مستوى الصمود الفردي، والصمود الجماعي، وأثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية، يقابلها نقصان في تحديات التعلم الإلكتروني وكذلك النقصان في مستوى الصمود الفردي، والصمود الجماعي، وأثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية يقابلها زيادة في تحديات التعلم الإلكتروني.

4. مناقشة النتائج

تشير النتائج إلى أن التعلم الإلكتروني يسهم بشكل كبير في تعزيز الصمود المجتمعي لدى طلبة جامعة الأقصى، فحصلت جميع المجالات الرئيسية على درجات محكية كبيرة: (متوسطات حسابية تتراوح بين 3.53 و 4.02). ومع ذلك، تصدر تحديات التعلم الإلكتروني المجالات بمتوسط حسابي (4.02) ووزن نسبي (80.32%)، ما يعكس أن التحديات البيئية والنفسية تشكل عائقاً رئيسياً أمام فعالية التعلم الإلكتروني، بينما يظل دوره في تعزيز الصمود ملحوظاً.

4.1 الصمود الفردي

تشير النتائج إلى أن الصمود الفردي (بمتوسط حسابي 3.53 ووزن نسبي 70.65%) جاء بدرجة كبيرة، مع تصدر مجال "التعليم المستمر" (متوسط 3.60، وزن نسبي 71.92%) على "الدعم النفسي والاجتماعي" (متوسط 3.47، وزن نسبي 69.37%). هذه النتيجة تتماشى مع قدرة التعلم الإلكتروني على تمكين طلاب جامعة الأقصى من مواصلة تعليمهم رغم الحرب والحصار في غزة، فقد وفرت منصات مثل Moodle و WhatsApp مرونة في الوصول إلى المحتوى التعليمي

في ظل ظروف غير مستقرة، وهذا يتفق مع (UNICEF, 2021) التي بينت أنه في سياقات الطوارئ مثل الحروب، يظل التعلم الرقمي أداة واعدة لضمان استمرارية التعليم ودعم الصمود المجتمعي من خلال توفير فرص التعلم عن بُعد، كما أشار (مهدي و الحناوي، 2021) إلى أن استخدام المنصات الإلكترونية أسهمت في استمرار العملية التعليمية رغم التحديات التي فرضتها جائحة كورونا، ما عزز قدرة المعلمين على التكيف مع الأوضاع الطارئة، وكذلك مع دراسة (Mahruf, et al., 2021) التي أكدت أن التعلم الإلكتروني يقدم فرصاً لاستمرار التعليم، وزيادة الوصول إلى الموارد التعليمية، وتعزيز الصمود النفسي من خلال توفير بيئة تعليمية آمنة وتفاعلية، ويتفق ذلك مع (Iglesias-Pradas, Hernández-García, Chaparro-Peláez, & Prieto, 2021) التي أشارت إلى أن التعليم الطارئ عن بُعد، مكّن الطلاب من إدارة وقتهم بفعالية خلال الأزمات، ما سمح بالوصول إلى المحتوى التعليمي في أوقات تناسب ظروفهم الصعبة، كما أكد (Mansour, 2024) أن استخدام منصات مثل Zoom و Microsoft Teams خلال جائحة كوفيد-19 دعم استمرارية التعليم في الجامعات المصرية، ما يعزز فكرة أن الأدوات الرقمية يمكن أن تكون فعالة في سياقات الأزمات، وهو ما يعكسه المتوسط العالي للفقرة "ساعدني التعلم الإلكتروني في مواصلة دراستي رغم الأوضاع الصعبة" (متوسط 3.93، وزن نسبي 78.52%). ما يعزز فكرة أن التعلم الإلكتروني يوفر أملاً واستقراراً للطلاب في سياق الحرب (Shah, Paulson, & Couch, 2019).

ومع ذلك، فالمتوسط الأقل لفقرة "يوفر التعلم الإلكتروني لي فرصة لتطوير مهاراتي المهنية والأكاديمية" (متوسط 3.39، وزن نسبي 67.85%) قد يعكس تحديات مثل ضعف البنية التحتية التقنية أو نقص التدريب على استخدام المنصات الرقمية، كما أشار (Hodges, Moore, Locke, Trust, & Bond, 2020)، أما بالنسبة للدعم النفسي والاجتماعي، فإن المتوسط العالي لفقرة "يسهم التعلم الإلكتروني في تعزيز ثقتي بقدرتي على مواجهة التحديات" (متوسط 3.62، وزن نسبي 72.35%) يدعم قدرة التعلم الإلكتروني على تقليل العزلة وتعزيز الصحة النفسية، ومع ذلك، فإن المتوسط المنخفض نسبياً لفقرة "أشعر بأن الاستمرار في التعلم الإلكتروني يعزز من استقرار نفسي أثناء الأزمات" (متوسط 3.38) قد يعكس الضغوط النفسية الشديدة التي يواجهها الطلاب بسبب الحرب.

وفي سياق تعزيز هذه النتائج الكمية، تكشف الاستجابات النوعية للطلبة عن أبعاد أعمق لدور التعلم الإلكتروني في بناء الصمود الفردي، فتبرز تجاربهم الشخصية كيف يسهم في خلق شعور بالاستمرارية والإنجاز رغم الظروف القاسية، مع ظهور فروق ديموغرافية واضحة بناءً على مكان الإقامة.

Point (النقطة الرئيسية): تؤكد النتائج الكمية والنوعية معاً أن التعلم الإلكتروني يلعب دوراً مهماً في تعزيز الصمود الفردي، خاصة من خلال توفير شعور بالاستمرارية والإنجاز رغم الظروف القاسية، مع فروق ديموغرافية واضحة بناءً على مكان الإقامة Evidence (الدليل): بلغ متوسط الصمود الفردي 3.53، مع تصدر مجال «التعليم المستمر» (3.60)، وأكدت الاستجابات النوعية من 46 طالباً (حوالي 70%) هذا الاتجاه؛ إذ قالت إحداها (أنثى، نازحة في بيت): «ساعدني التعلم الإلكتروني على الاستمرار وعدم الانقطاع عن دراستي رغم الظروف الصعبة، وكان يمنحني شعوراً بالأمل بالمستقبل. أكثر ما أتذكره هو إحساسي بالإنجاز عند حضور محاضرة أو تسليم واجب» [مستجيب 2]، وأضافت أخرى (أنثى، نازحة في خيمة): «يساعد التعلم الإلكتروني في خلق حالة من الروتين اليومي وسط الفوضى، مما يعطي شعوراً بالأمان والهدف» [مستجيب 3]، كما أشارت طالبة ثالثة (أنثى، نازحة في خيمة): «اللحظة عندما تمكنت من إنهاء دراسة السنة الأولى رغم ضعف الإنترنت، حينها شعرت بإنجاز» [مستجيب 4]، وأكدت طالبة أخرى (أنثى، نازحة في خيمة): «التعلم الإلكتروني ساعدني في تعزيز ثقتي بنفسي وانا في هدف عندي لازم اكمله» [مستجيب 5]، بينما وصفت إحداها (أنثى، نازحة في بيت): «ما يساعد: أنه يعطي شعوراً بالإنجاز في الوقت الذي تتعطل فيه كل مظاهر الحياة، أشعر بالثقة لأنني لا أزال أكتسب مهارات جديدة» [مستجيب 44] Explanation (التفسير): يمكن تفسير هذا الدور الإيجابي بأن التعلم الإلكتروني – رغم قصوره التقني – يخلق روتيناً يومياً يمنح الطالب إحساساً بالسيطرة والتقدم وسط الفوضى الحربية، ما يعزز الثقة بالنفس والأمل في المستقبل، خاصة لدى النازحين في الخيام، الذين يعتمدون عليه وسيلة للحفاظ على الروتين (كما في نحو 65% من الاستجابات من هذه الفئة)، ومع ذلك يبقى المتوسط الأقل في «الدعم النفسي والاجتماعي» (3.47) مؤشراً على أن الضغط النفسي المستمر يحد من الاستفادة الكاملة، كما أبرزت الاستجابات النوعية التي ركزت على الإنجازات الشخصية بوصفها مصدراً رئيسياً للصمود، ويتوافق هذا التفسير مع دراسات سابقة مثل (UNICEF, 2021) التي أكدت دور التعلم الرقمي في ضمان الاستمرارية خلال الطوارئ، و (Moret-Tatay, et al., 2025) التي أشارت إلى ارتفاع الدعم الاجتماعي لدى اللاجئين، و (Pinchuk, Feldman, Seleznova, & Virchenko, 2025) التي ربطت بين الضغوط الحربية والأداء الأكاديمي Link (الربط): هذا التوازن بين الإيجابيات والقيود يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمجال الصمود الجماعي، حيث يمكن أن يتحول الإنجاز الفردي إلى دعم جماعي إذا تم تعزيز التواصل الرقمي، خاصة لدى الإناث النازحات اللواتي أظهرن في الاستجابات ديموغرافياً صموداً أعلى في الحفاظ على الروتين اليومي.

4.2 الصمود الجماعي

جاء الصمود الجماعي بمتوسط حسابي 3.57 ووزن نسبي 71.39%، مع تفوق طفيف لمجال "نقل المعرفة وتنمية المهارات" (متوسط 3.57، وزن نسبي 71.50%) على "الروابط الاجتماعية" (متوسط 3.56، وزن نسبي 71.28%). وهذا يتماشى مع (Norris, Stevens, Pfefferbaum, Wyche, & Pfefferbaum, 2008) التي عرّفت الصمود المجتمعي

بأنه قدرة المجتمع على تعزيز الروابط الاجتماعية، فيوفر التعليم في حالات الطوارئ الحماية النفسية والاجتماعية، ويعزز المهارات الحياتية التي تمكن الأفراد من مواجهة الأزمات مثل الحروب أو الكوارث الطبيعية، ما يدعم الصمود المجتمعي من خلال استمرارية التعليم (Mahruf, et al., 2021)، و فقد أظهرت الفقرة "أشعر بأن المشاركة في أنشطة التعلم الجماعية الإلكترونية تقوي الروح الجماعية لدينا كمجتمع" (متوسط 3.65، وزن نسبي 72.95%) أعلى متوسط، مما يعكس قدرة المنصات الرقمية على إنشاء مجتمعات تعليمية افتراضية، حيث دعمت المنصات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي التكافل الاجتماعي في غزة، وبالتالي يتفق مع (مهدي و الحناوي، 2021) في أن المنصات الإلكترونية أتاحت فرصة التفاعل بين المعلمين والطلاب، ما أسهم في تعزيز الروابط الاجتماعية ودعم المجتمع التعليمي خلال الأزمة، كما أكدت (Moret-Tatay, et al., 2025) أن الدعم الاجتماعي يعزز الصمود في سياق الحرب. وهذا يعكس قدرة التعلم الإلكتروني على الحفاظ على الهوية المجتمعية، أكدت - أيضاً - دراسة (Bou-Hamad & El Danaoui, 2024) أن استمرارية التعليم عبر المنصات الإلكترونية أسهمت في الحفاظ على الروابط الاجتماعية والدعم النفسي للطلاب خلال الأزمات. أما بالنسبة لمجال "نقل المعرفة وتنمية المهارات"، فإن المتوسط العالي للفقرة "يسهم التعلم الإلكتروني في تنمية قدرات الأفراد داخل المجتمع للتعامل مع تحديات الحرب" (متوسط 3.68، وزن نسبي 73.56%) يعكس دور التعليم في تمكين الطلاب من المهارات اللازمة لإعادة بناء المجتمع، ويتفق مع نتائج دراسة (Wang, Gao, Cheng, Zhang, & Wu, 2021) التي أشارت إلى أن التعلم الإلكتروني يعزز التماسك الأسري والصمود المجتمعي من خلال المجتمعات التفاعلية عبر الإنترنت، ومع ذلك، فالمتوسط الأقل للفقرة "يوفر التعلم الإلكتروني فرصة لمشاركة المهارات والمعرفة المكتسبة مع أفراد الأسرة أو الجيران" (متوسط 3.47) قد يعكس القيود المفروضة على الحركة والتواصل في غزة بسبب الحصار والحرب (OCHA, 2023).

وفي سياق تعميق فهم هذه النتائج الكمية، تكشف الاستجابات النوعية للطلبة عن البعد الجماعي لدور التعلم الإلكتروني، فيتحول إلى فضاءات رقمية للتواصل والانتماء تعزز الصمود الجماعي، خاصة في ظل النزوح والتشتت، مع بروز فروق ديموغرافية مرتبطة بمكان الإقامة والجنس.

Point (النقطة الرئيسية): يبرز التعلم الإلكتروني بوصفه عاملاً رئيسياً في تعزيز الصمود الجماعي من خلال تحويل المنصات الرقمية إلى فضاءات للتواصل والانتماء، خاصة في سياق النزوح، مع فروق ديموغرافية بناءً على مكان الإقامة والجنس Evidence (الدليل): سجل متوسط الصمود الجماعي 3.57، مع تفوق واضح للطلبة في مخيمات النزوح، وأكدت غالبية الاستجابات النوعية (حوالي 83%) هذا الدور؛ فقالت إحدى الطالبات (أنثى، نازحة في خيمة): «يكسر التعلم الإلكتروني عزلة النزوح؛ فالمجموعات التعليمية عبر واتساب لا تقتصر على الدروس فقط، بل تصبح مجتمعات افتراضية مساندة» [مستجيب 3]، وأضافت أخرى (أنثى، نازحة في بيت): «يتيح لنا التواصل المستمر مع الزملاء عبر مجموعات واتساب والمناقشات، ما يقلل شعور العزلة أثناء النزوح» [مستجيب 2]، كما أكدت طالبة أن نقل المعرفة يحدث بشكل يومي: «أقوم بمشاركة المعلومات المفيدة... سواء أكانت نصائح صحية، أم مهارات تقنية، أم قصصاً ملهمة، مع من حولي» [مستجيب 3]، ووصفت إحداهن (أنثى، نازحة في خيمة): «التعلم الإلكتروني خفف شعور الوحدة في ظل النزوح اللي عشنا...» [مستجيب 5]، بينما أشارت أخرى (أنثى، نازحة في بيت): «يسهم في كسر العزلة من خلال إنشاء جروبات الواتساب التي تعوضنا عن فقدان المكان الجغرافي» [مستجيب 44] Explanation (التفسير): يعكس هذا التحول المنصات الرقمية إلى بديل عن الروابط الجغرافية المفقودة بسبب النزوح والتشتت، ما يعزز الشعور بالانتماء المشترك والدعم المتبادل، خاصة لدى الإناث النازحات في الخيام، اللواتي يظهرن في 75% من الاستجابات المتعلقة بالدعم الجماعي، وهو ما يفسر - جزئياً - التفوق الإحصائي للنازحين في مخيمات الخيام، فيصبح التواصل الرقمي أداة بقاء اجتماعي أكثر أهمية من التواصل الواجهي، كما تظهر الاستجابات المتعددة التي تركز على الدعم المعنوي والتبادلي، ويتوافق هذا التفسير مع دراسات سابقة مثل (Norris, Stevens, Pfefferbaum, Wyche, & Pfefferbaum, 2008) التي حددت الصمود المجتمعي بالقدرة على تعزيز الروابط الاجتماعية والموارد المشتركة في أوقات الأزمات، و (Wang, Gao, Cheng, Zhang, & Wu, 2021) التي أكدت دور المجتمعات الإلكترونية في تعزيز التماسك الاجتماعي وتقليل العزلة أثناء الأزمات، و (Rabaia & Habash, 2024) التي وصفت المنصات الرقمية بأنها أداة فعالة لتقليل العزلة وتعزيز الدعم الجماعي في سياق غزة، إلى جانب (Moret-Tatay, et al., 2025) التي أظهرت أن التواصل الرقمي يرفع مستوى الدعم الاجتماعي المدرك لدى الفئات النازحة واللاجئة Link (الربط): هذا الدور الجماعي يمتد تأثيره إلى مجال التحديات، فيمكن أن يخفف التواصل الرقمي بعضاً من آثار الانقطاعات التقنية والضغط النفسي إذا تم تصميمه بشكل أفضل، خاصة لدى الذكور المقيمين في البيوت الذين يظهرن في الاستجابات حاجة أكبر للدعم الجماعي، ما يفتح الباب أمام تطوير استراتيجيات رقمية أكثر شمولية تربط بين الصمود الفردي والجماعي في سياقات النزوح الممتد.

4.3 تحديات التعلم الإلكتروني

جاء مجال تحديات التعلم الإلكتروني في الترتيب الأول بمتوسط حسابي 4.02 ووزن نسبي 80.32%، مع تصدر "محدودية الموارد" (متوسط 4.14، وزن نسبي 82.73%) على "التحديات النفسية والمجتمعية" (متوسط 3.90، وزن نسبي 77.92%). هذه النتيجة تؤكد التحديات الكبيرة التي يواجهها التعلم الإلكتروني في غزة، مثل انقطاع الكهرباء وضعف الإنترنت (Education Cluster, 2025, February)، ويعكس المتوسط العالي جداً للفقرة "تؤدي انقطاعات الإنترنت

والكهرباء إلى إعاقة دور التعلم الإلكتروني في بناء الصمود" (متوسط 4.25، وزن نسبي 85.03%) التدمير المنهجي للبنية التحتية، حيث أشار (Rabaia & Habash, 2024) إلى تدمير 72% من أبراج الاتصالات في غزة، كما أن المتوسط العالي للفقرة "تؤثر قلة الموارد المادية في قدرة الأفراد على الاستفادة من التعلم الإلكتروني" (متوسط 4.12) يتماشى مع القيود على دخول المواد التعليمية بسبب سياسة "المواد ذات الاستخدام المزدوج" ويتفق مع (مهدي و الحناوي، 2021) في إشارة المعلمين إلى أن انقطاعات الإنترنت ونقص الأجهزة المناسبة شكلت عائقاً رئيسياً أمام فعالية التعلم الإلكتروني، وكذلك مع دراسة (مهدي، 2021) ودراسة (Mahruf, et al., 2021) من حيث مواجهة الطلاب تحديات تقنية مثل ضعف الإنترنت ونقص الأجهزة، وهي تحديات قد تتفاقم في ظل الحروب بسبب تدمير البنية التحتية.

وفيما يتعلق بـ "التحديات النفسية والاجتماعية"، فإن المتوسط العالي للفقرة "يؤثر الضغط النفسي الناتج عن الحرب في استفادتي من التعلم الإلكتروني" (متوسط 4.05) يعكس حاجة الطلبة للدعم النفسي بسبب النزوح والعنف، كما أن المتوسط الأقل نسبياً للفقرة "أعتقد أن التحديات الاجتماعية (مثل المسؤوليات الأسرية) تحد من فاعلية التعلم الإلكتروني" (متوسط 3.70) قد يشير إلى أن الضغوط النفسية لها تأثير أكبر من التحديات الاجتماعية في سياق الحرب. ويتفق مع (Mahruf, et al., 2021) في التأكيد على أن الأزمة أثرت في الرفاهية النفسية بسبب القلق، والعزلة، والضغط الاقتصادي.

في الجانب الآخر، تكشف النتائج الكمية والنوعية معاً عن التحديات الجوهرية التي تحد من فعالية التعلم الإلكتروني، فتبرز الاستجابات الشخصية للطلبة كيف تتحول هذه العوائق التقنية والنفسية إلى عقبات يومية تعيق الاستفادة الكاملة، مع بروز فروق ديموغرافية مرتبطة بمكان الإقامة.

وتظل التحديات التقنية والنفسية هي العائق الأكبر أمام فعالية التعلم الإلكتروني، كما أظهرت النتائج الكمية والنوعية على حد سواء، مع فروق ديموغرافية بناءً على مكان الإقامة Evidence (الدليل): بلغ متوسط التحديات 4.02 (أعلى المجالات)، وأكد نحو 91% من المستجيبين أن انقطاع الكهرباء والإنترنت يشكل عقبة يومية؛ فقد وصف أحدهم (ذكر، نازح في بيت): «يبدأ يومي بمحاولة شحن الأجهزة في القليلة التي تتوافر فيها الكهرباء... وعندما ينقطع الإنترنت أثناء محاضرة مباشرة، أشعر بإحباط شديد وتشتت في التركيز» [مستجيب 44]، وأضاف آخر (ذكر، نازح في خيمة): «أغلب امتحاناتي النصفية طلبت إعادتها بسبب انقطاع الإنترنت في تلك الفترات» [مستجيب 6]، أما الضغط النفسي، فقد وصفه الطلبة بأنه يسبب «التشتت الذهني الدائم بسبب الخوف على السلامة الشخصية والعائلية» [مستجيب 3، أنثى، نازحة في خيمة]، و«يجعل العقل في حالة تأهب دائم للمخاطر» [مستجيب 44، أنثى، نازحة في بيت]، كما قالت طالبة (أنثى، نازحة في خيمة): «انقطاع الإنترنت أو الكهرباء كان يؤثر في شكل سلبي ويزيد التوتر بسبب عدم توافر البدائل» [مستجيب 5]، وأكدت أخرى (أنثى، نازحة في خيمة): «الضغط النفسي يقلل التركيز ويخفف التنظيم والدعم النفسي» [مستجيب 4 Explanation (التفسير): تؤدي هذه الانقطاعات المتكررة إلى إحباط متراكم وفقدان الثقة في استمرارية العملية التعليمية، بينما يفاقم الضغط النفسي (الخوف، والقلق، وعدم الأمان) التشتت الذهني ويقلل الدافعية، ما يفسر العلاقة العكسية الدالة بين التحديات والصمود (-) 0.346 إلى -0.467)، كما تظهر الاستجابات المتكررة التي تربط التوتر اليومي بالأداء الدراسي، خاصة لدى النازحين في الخيام (80% من الاستجابات من هذه الفئة تشير إلى زيادة التوتر)، ويتوافق هذا التفسير مع دراسات سابقة مثل (Rabaia & Habash, 2024) التي أشارت إلى تدمير البنية التحتية بوصفها عائقاً رئيسياً أمام التعلم الإلكتروني في غزة، ومهدي و الحناوي (2021) التي أكدت تأثير انقطاعات الإنترنت والكهرباء في فعالية التعلم الإلكتروني وتزايد التوتر النفسي، إلى جانب (Mahruf, et al., 2021) التي ربطت بين الأزمات المستمرة والانخفاض في الرفاهية النفسية والأداء الأكاديمي. Link (الربط): معالجة هذه التحديات – كما اقترح الطلبة أنفسهم (مرونة المواعيد، تسجيل المحاضرات، دعم نفسي) – ضرورية لتعزيز الأثر الإيجابي في التنمية المجتمعية، مع مراعاة الفروق الديموغرافية مثل تفوق الإناث في وصف الدعم النفسي، ما يربط بين الحد من التحديات ورفع مستوى الصمود الفردي والجماعي في سياقات النزوح الممتد.

4.4 أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية

جاء هذا المجال بمتوسط حسابي 3.74 ووزن نسبي 74.82%، مع تفوق "تعزيز الوعي لمواجهة الأزمات" (متوسط 3.77، وزن نسبي 75.30%) على "تمكين المجتمع" (متوسط 3.72، وزن نسبي 74.34%). ما يؤكد على دور التعلم الإلكتروني بوصفه حلاً مستداماً في الأزمات، وقد أظهرت الفقرة "يساعد التعلم الإلكتروني في نقل خبرات مواجهة الأزمات إلى الأجيال القادمة" (متوسط 3.82، وزن نسبي 76.31%) أعلى متوسط، ما يعكس قدرة التعلم الإلكتروني على الحفاظ على الهوية المجتمعية وتعزيز الصمود الثقافي، كما أن المتوسط العالي للفقرة "ساعد التعلم الإلكتروني في توفير فرص تعليمية لأفراد لم يكن بمقدورهم الوصول إلى التعليم التقليدي" (متوسط 3.75) يتماشى مع دور التعليم في تعزيز العدالة الاجتماعية (Kheang, O'Donoghue, & Clarke, 2018) وكذلك يتفق مع (مهدي و الحناوي، 2021) من حيث مساهمة التعلم الإلكتروني في تمكين المعلمين من نقل المعرفة وتطوير مهارات الطلاب، ما يعزز قدرة المجتمع على مواجهة الأزمات. وكذلك مع دراسة (مهدي، 2021) من حيث إسهام التعلم الإلكتروني في تمكين الطلاب من مواصلة تعليمهم، ما يعزز الصمود المجتمعي من خلال بناء قدراتهم المعرفية والمهنية في مواجهة الأزمات.

وفي الجانب المقابل، تبرز النتائج الكمية والنوعية معاً إمكانية التعلم الإلكتروني في الإسهام في التنمية المجتمعية طويلة الأمد، حيث تتحول تجارب الطلبة إلى مصدر لنقل الخبرات وتمكين الأفراد، مع ظهور فروق ديموغرافية في التركيز على التمكين بناءً على الجنس ومكان الإقامة.

Point (النقطة الرئيسية): يمتلك التعلم الإلكتروني إمكانية كبيرة للإسهام في التنمية المجتمعية طويلة الأمد من خلال نقل الخبرات وتمكين الأفراد، مع فروق ديموغرافية في التركيز على التمكين بناءً على الجنس ومكان الإقامة Evidence (الدليل): بلغ متوسط الأثر 3.74، وأكد نحو 67% من المستجيبين أهمية توثيق الخبرات؛ فقالت إحداهن (أنثى، نازحة في خيمة): «أرى دوري في توثيق قصص الصمود الرقمي؛ أي كيف استطعنا الاستمرار في التعلم رغم انقطاع الكهرباء والإنترنت» [مستجيب 3]، وأضافت أخرى (أنثى، نازحة في بيت): «في مرحلة إعادة الإعمار، سيسمح للشباب والنساء بالوصول إلى أسواق العمل العالمية عبر العمل عن بُعد واكتساب مهارات تقنية مطلوبة دولياً» [مستجيب 44]، كما أكدت طالبة أخرى (أنثى، نازحة في خيمة): «يمكن للتعلم الإلكتروني تمكين الشباب والمرأة بتطوير مهاراتهم وزيادة فرص العمل والمشاركة في إعادة بناء المجتمع» [مستجيب 4]، وأشارت إحداهن (أنثى، نازحة في خيمة): «نتعاون نحن الطلبة مع بعضنا البعض ونساعد بعضنا بعضاً ضمن العمل الجماعي» [مستجيب 5]، بينما وصفت أخرى (أنثى، مقيمة في بيتها): «دوري ودور زملائي هو توثيق خبرات الأزمات وتحويلها لمحتوى رقمي بسيط (فيديوهات/دورات قصيرة) يصل للجميع» [مستجيب 42] Explanation (التفسير): يتجاوز التعلم الإلكتروني دوره التعليمي الأكاديمي ليصبح وسيلة لتوثيق «معرفة الصمود» ونقلها إلى الأجيال، كما يفتح آفاقاً للتمكين الاقتصادي والاجتماعي (خاصة للشباب والمرأة) من خلال المهارات الرقمية والعمل عن بعد، ما يجعله أداة تنموية مرنة في سياق ما بعد الحرب، كما تبرز الاستجابات المتعددة التي تركز على التعاون والمشاركة بوصفها عناصر أساسية للتنمية، خاصة لدى الإناث النازحات (70% من الاستجابات تؤكد التمكين للمرأة)، ويتوافق هذا التفسير مع دراسات سابقة مثل مهدي والحناوي (2021) التي أكدت إسهام التعلم الإلكتروني في نقل المعرفة وتطوير المهارات في سياقات الطوارئ، ومهدي (2021) التي ربطت بين المنصات الرقمية وتمكين الطلاب والمجتمع المحلي، إلى جانب (Kheang, O'Donoghue, & Clarke, 2018) التي أشارت إلى دور التعليم الرقمي في تعزيز العدالة الاجتماعية والمشاركة المجتمعية، و (Rabaia & Habash, 2024) التي أكدت أن توثيق التجارب الرقمية يساهم في بناء معرفة مجتمعية مستدامة في سياق غرة Link (الربط): هذا الإمكان التنموي يعتمد على تقليل التحديات التقنية والنفسية، ما يجعل تنفيذ التوصيات (منصات غير متصلة، دعم نفسي، تدريب رقمي) شرطاً أساسياً لتحقيق هذا الأثر المستدام، مع التركيز على الفروق الديموغرافية للنازحين، خاصة الإناث اللواتي أظهرن وعياً أعلى بدور التوثيق والتمكين في إعادة البناء المجتمعي.

4.5 مناقشة الفروق بين المتغيرات

- عدم وجود فروق دالة لمتغيرات (نوع الجنس، والبرنامج الدراسي، والتكنولوجيا المستخدمة، وواقع الإنترنت، وواقع الكهرباء): تشير النتائج إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين استجابات الطلاب بناءً على هذه المتغيرات في جميع المجالات. هذا يعكس تجانس تجربة التعلم الإلكتروني بين الطلاب بغض النظر عن هذه العوامل. على سبيل المثال، عدم وجود فروق بناءً على نوع الجنس يتماشى مع فكرة أن التحديات الناتجة عن الحرب (مثل انقطاع الكهرباء وضعف الإنترنت) تؤثر في الجميع بشكل متساوٍ تقريباً، كما ورد في (Education Cluster, 2025, February)، كما أن عدم وجود فروق بناءً على التكنولوجيا المستخدمة أو واقع الإنترنت والكهرباء قد يعكس الاعتماد الواسع على وسائل بديلة مثل WhatsApp وFacebook، ما يقلل من تأثير هذه المتغيرات في تجربة التعلم.
- وجود فروق دالة بناءً على المستوى الدراسي: تشير النتائج إلى وجود فروق دالة في مجالي "تحديات التعلم الإلكتروني" (بين المستوى الأول والثالث، لمصلحة المستوى الأول) و"أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية" (بين المستوى الثاني والثالث، لمصلحة المستوى الثالث). هذه الفروق قد تعكس اختلاف مستويات النضج الأكاديمي والخبرة في استخدام المنصات الرقمية. على سبيل المثال، الطلاب في المستوى الأول قد يواجهون تحديات أكبر بسبب قلة خبرتهم في التعليم الجامعي مقارنة بالطلاب في المستوى الثالث، الذين قد يكونون أكثر تكيفاً مع المنصات الرقمية، أما بالنسبة لأثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية، فإن تفوق المستوى الثالث قد يعكس إدراكهم الأعظم لدور التعليم في إعادة بناء المجتمع.
- وجود فروق دالة بناءً على مكان الإقامة: تظهر فروق دالة في مجالات "الصمود الجماعي"، "تحديات التعلم الإلكتروني"، و"أثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية" بين المقيمين في المنازل ومخيمات النزوح، لمصلحة المقيمين في مخيمات النزوح. هذه النتيجة قد تبدو مفاجئة، لكنها يمكن تفسيرها، فالطلاب في بيئات النزوح (مثل الخيام) قد يعتمدون بشكل أكبر على التعلم الإلكتروني وسيلة للحفاظ على التواصل الاجتماعي والتعليمي، كما أن المقيمين في مخيمات النزوح قد يكونون أكثر تحفيزاً لاستخدام التعلم الإلكتروني أداة للصمود بسبب الظروف القاسية التي يواجهونها، ما يعزز شعورهم بالروح الجماعية، وهذا يتفق مع ما ورد عن (Moret-Tatay, et al., 2025) فقد سجل اللاجئون درجات أعلى في الدعم الاجتماعي مقارنة بغير النازحين، ومع ذلك، التحديات الأكبر في مخيمات النزوح (متوسط 4.10 مقابل 3.88 للمنازل) تعكس ضعف البنية التحتية في هذه البيئات، كما ورد في (Education Cluster, 2025, February).

بعد مناقشة المجالات الأربعة الرئيسية للدراسة، يأتي تحليل الفروق بين المتغيرات ليكشف عن أنماط إضافية في تجارب الطلبة، فتبرز الفروق الدالة في متغيري المستوى الدراسي ومكان الإقامة عناصر مهمة لفهم التباين في مستويات الصمود والتحديات، وهو ما يدعمه السياق النوعي للاستجابات.

Point (النقطة الرئيسية): يمتلك التعلم الإلكتروني إمكانية كبيرة للإسهام في التنمية المجتمعية طويلة الأمد من خلال نقل الخبرات وتمكين الأفراد، مع فروق ديموغرافية في التركيز على التمكين بناءً على الجنس ومكان الإقامة Evidence (الدليل): بلغ متوسط الأثر 3.74، وأكد نحو 67% من المستجيبين أهمية توثيق الخبرات؛ فقالت إحداهن (أنثى، نازحة في خيمة): «أرى دوري في توثيق قصص الصمود الرقمي؛ أي كيف استطعنا الاستمرار في التعلم رغم انقطاع الكهرباء والإنترنت» [مستجيب 3]، وأضافت أخرى (أنثى، نازحة في بيت): «في مرحلة إعادة الإعمار، سيسمح للشباب والنساء بالوصول إلى أسواق العمل العالمية عبر العمل عن بُعد واكتساب مهارات تقنية مطلوبة دولياً» [مستجيب 44]، كما أكدت طالبة أخرى (أنثى، نازحة في خيمة): «يمكن للتعلم الإلكتروني تمكين الشباب والمرأة بتطوير مهاراتهم وزيادة فرص العمل والمشاركة في إعادة بناء المجتمع» [مستجيب 4]، وأشارت إحداهن (أنثى، نازحة في خيمة): «نتعاون نحن الطلبة مع بعضنا البعض ونساعد بعضنا بعضاً ضمن العمل الجماعي» [مستجيب 5]، بينما وصفت أخرى (أنثى، مقيمة في بيتها): «دوري ودور زملائي هو توثيق خبرات الأزمة وتحويلها لمحتوى رقمي بسيط (فيديوهات/دورات قصيرة) يصل للجميع» [مستجيب 42] Explanation (التفسير): يتجاوز التعلم الإلكتروني دوره التعليمي الأكاديمي ليصبح وسيلة لتوثيق «معرفة الصمود» ونقلها إلى الأجيال، كما يفتح آفاقاً للتمكين الاقتصادي والاجتماعي (خاصة للشباب والمرأة) من خلال المهارات الرقمية والعمل عن بعد، ما يجعله أداة تنموية مرنة في سياق ما بعد الحرب، كما تبرز الاستجابات المتعددة التي تركز على التعاون والمشاركة بوصفها عناصر أساسية للتنمية، خاصة لدى الإناث النازحات (70% من الاستجابات تؤكد التمكين للمرأة)، ويتوافق هذا التفسير مع دراسات سابقة مثل مهدي والحنوي (2021) التي أكدت إسهام التعلم الإلكتروني في نقل المعرفة وتطوير المهارات في سياقات الطوارئ، ومهدي (2021) التي ربطت بين المنصات الرقمية وتمكين الطلاب والمجتمع المحلي، إلى جانب (Krishan, Almsaiden, Njadat, & Abohelalah, 2023) التي أشارت إلى دور التعليم الرقمي في تعزيز العدالة الاجتماعية والمشاركة المجتمعية، و (Rabaia & Habash, 2024) التي أكدت أن توثيق التجارب الرقمية يساهم في بناء معرفة مجتمعية مستدامة في سياق غرة Link (الربط): هذا الإمكان التنموي يعتمد على تقليل التحديات التقنية والنفسية، ما يجعل تنفيذ التوصيات (منصات غير متصلة، دعم نفسي، تدريب رقمي) شرطاً أساسياً لتحقيق هذا الأثر المستدام، مع التركيز على الفروق الديموغرافية للنازحين، خاصة الإناث اللواتي أظهرن وعياً أعلى بدور التوثيق والتمكين في إعادة البناء المجتمعي.

4.6 مناقشة العلاقة بين المتغيرات

تشير نتائج اختبار بيرسون إلى وجود علاقة عكسية دالة إحصائياً عند مستوى ($\alpha \leq 0.01$) بين تحديات التعلم الإلكتروني وكل من الصمود الفردي (-0.346)، الصمود الجماعي (-0.362)، وأثر التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية (-0.467). هذه العلاقة العكسية تعني أن زيادة التحديات (مثل انقطاع الإنترنت أو الضغوط النفسية) تقلل من مستويات الصمود الفردي والجماعي وتأثير التعلم الإلكتروني في التنمية المجتمعية. هذا يتماشى مع تأثير نقص البنية التحتية التقنية والضغوط النفسية في فعالية التعلم الإلكتروني (Mansour, Elsayed, Alashkar, & El Khatib, 2024)، على سبيل المثال، تدمير 72% من أبراج الاتصالات وانقطاع الكهرباء يعيقان استمرارية التعليم (Rabaia & Habash, 2024)، ما يقلل من قدرة الطلاب على تحقيق الصمود. تتماشى أيضاً مع (Hodges, Moore, Lockee, Trust, & Bond, 2020) التي ربطت ضعف البنية التحتية بانخفاض فعالية التعليم الطارئ، ومع دراسة (Bou-Hamad & El Danaoui, 2024) التي وجدت علاقة سلبية بين الضغط النفسي ورضا الطلاب عن التعلم الإلكتروني ومع ذلك، العلاقة السلبية المتوسطة تشير إلى أن التعلم الإلكتروني لا يزال يحقق تأثيراً إيجابياً رغم التحديات، كما أكدت دراسة (Krishan, Almsaiden, Njadat, & Abohelalah, 2023) حول زيادة دافعية الطلاب بفضل التعلم الإلكتروني.

5. استنتاجات وتوصيات

1. تؤكد النتائج أن التعلم الإلكتروني يلعب دوراً كبيراً في تعزيز الصمود الفردي والجماعي في غرة، خاصة من خلال استمرارية التعليم وتعزيز الروابط الاجتماعية. ومع ذلك، يجب تعزيز الدعم النفسي ضمن المنصات الإلكترونية لتخفيف الضغوط النفسية.
2. تبرز النتائج أهمية معالجة تحديات البنية التحتية (مثل الكهرباء والإنترنت) من خلال حلول مبتكرة مثل المنصات غير المتصلة بالإنترنت أو الأجهزة التي تعمل بالطاقة الشمسية.
3. تشير الفروق الدالة بناءً على مكان الإقامة إلى ضرورة تصميم برامج تعليمية مخصصة للطلاب في مخيمات النزوح، مع التركيز على توفير موارد تقنية مستدامة.
4. العلاقة العكسية بين التحديات والصمود تؤكد أهمية تحسين البنية التحتية التقنية وتدريب المعلمين لتقليل التحديات وزيادة فعالية التعلم الإلكتروني.

6. المصادر والمراجع

6.1 المراجع العربية

مهدي، حسن ربحي. (2021). تصورات طلبة جامعة الأقصى نحو التعلم الإلكتروني في ظل كوفيد 19: مدخل لتطوير إطار عمل التعلم الإلكتروني في مؤسسات التعليم العالي. *مجلة البلقاء للبحوث والدراسات*، 24(1)، الصفحات 110-124.

مهدي، حسن ربحي، والحنوي، أشرف أكرم. (2021). تصورات معلمي ومعلمات المدارس الخاصة نحو استخدام المنصات الإلكترونية في عملية التعلم خلال جائحة كورونا من وجهة نظرهم وعلاقتها ببعض المتغيرات. *مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية*، 13(4)، الصفحات 246-277.

6.2 رومنة المراجع العربية

Mahdi, H. R. (2021). *Taṣawwūrāt Ṭalabat Jāmi'at al-Aqṣā Nahwa al-Ta'allum al-Ilīktrūnī fī Zill Kūfīd-19: Madkhal li-Taṭwīr Itār 'Amal al-Ta'allum al-Ilīktrūnī fī Mu'assasāt al-Ta'līm al-Ālī. Majallat al-Balqā' lil-Buḥūth wa al-Dirāsāt*, 24(1), 110–124. (in Arabic).

Mahdi, H. R., & Al-Hinnawi, A. A. (2021). *Taṣawwūrāt Mu'allimī wa Mu'allimāt al-Madāris al-Khāṣṣah Nahwa Istikhdām al-Manaṣṣāt al-Ilīktrūniyyah fī 'Amaliyyat al-Ta'allum Khilāl Jā'ihat Kūrūnā min Wijhat Naẓarihim wa 'Alāqatuhā bi-Ba'd al-Mutaghayyirāt. Majallat Jāmi'at Umm al-Qurā lil-'Ulūm al-Tarbawiyyah wa al-Nafsiyyah*, 13(4), 246–277. (in Arabic).

6.3 المراجع الأجنبية

Bou-Hamad, I., & El Danaoui, M. (2024). Exploring the effects of e-learning readiness and psychological distress on graduate students' e-learning satisfaction during the COVID-19 pandemic: A descriptive study from Lebanon. *Heliyon*, 10(12), pp. 1-9. doi:https://doi.org/10.1016/j.heliyon.2024.e33257

Clark, R., & Mayer, R. (2016). *E-learning and the science of instruction: Proven guidelines for consumers and designers of multimedia learning*. John Wiley & Sons. doi:10.1002/9781119239086

Education Cluster. (2025, February). Education overview 2024: State of education in Gaza and West Bank - Current realities and future priorities. ReliefWeb. <https://reliefweb.int/report/occupied-palestinian-territory/education-overview-2024-state-education-gaza-and-west-bank-current-realities-and-future-priorities-february-2025>.

ESCWA & UNDP. (2024). Gaza war: Expected socioeconomic impacts on the State of Palestine [Policy brief]. United Nations Economic and Social Commission for Western Asia, & United Nations Development Programme. Retrieved from https://www.unescwa.org/sites/default/files/pubs/pdf/gaza-war-expected-socioeconomic-impacts-palestine-policy-brief-english_1.pdf

Gresham, J., & Reyes, J. (2023). *Safeguarding Learning in Ukraine through Digitalization and Blended Learning : Intervention and Transition Roadmap* (English). Washington: DC: World Bank Group. Retrieved from <http://documents.worldbank.org/curated/en/099061823081518319>

Hodges, C., Moore, S., Lockee, B., Trust, T., & Bond, A. (2020). The difference between emergency remote teaching and online learning. Retrieved from <https://er.educause.edu/articles/2020/3/the-difference-between-emergency-remote-teaching-and-online-learning>: EDUCAUSE Review.

Iglesias-Pradas, S., Hernández-García, A., Chaparro-Peláez, J., & Prieto, J. (2021). Emergency remote teaching and students' academic performance in higher education during the COVID-19 pandemic: A case study. *Computers in Human Behavior*, 119, pp. 1-18. doi:https://doi.org/10.1016/j.chb.2021.106713

Kheang, T., O'Donoghue, T., & Clarke, S. (2018). *Primary School Leadership in Cambodia: Context-Bound Teaching and Leading*. Palgrave Macmillan. doi:https://doi.org/10.1007/978-3-319-76324-8

Krishan, E., Almsaiden, A., Njadat, E., & Abohelalah, A. (2023). The Impact of E-Learning on the Learning Motivation of Jordanian University Students. *Journal of Educational and Social Research*, 13(5), pp. 313-27. doi:DOI: <https://doi.org/10.36941/jesr-2023-0139>

Mahruf, C., Shohel, M., Mahmud, A., Azhar, U., Urmee, M., Naveed Anwar, M., . . . Ashrafuzzaman, M. (2021). Education in Emergencies, Mental Wellbeing and E-Learning. *IntechOpen*. doi:https://doi.org/10.5772/intechopen.97425

- Mansour, N., Elsayed, A., Alashkar, S., & El Khatib, M. (2024). Developing a model for a distance learning environment to confront crises and disasters. *Education Journal*, 13(2), pp. 59-76. doi:<https://doi.org/10.11648/j.edu.20241302.13>
- Masten, A. (2018). Resilience theory and research on children and families: Past, present, and promise: Resilience theory and research. *Journal of Family Theory & Review*, 10(1), pp. 12-31. doi:<https://doi.org/10.1111/jftr.12255>
- Means, B., Bakia, M., & Murphy, R. (2014). *Learning online: What research tells us about whether, when and how*. Routledge. doi:<https://doi.org/10.4324/9780203095959>
- Miller, K., & Rasmussen, A. (2017). The mental health of civilians displaced by armed conflict: An ecological model of refugee distress. *Epidemiology and Psychiatric Sciences*, 26(2), pp. 129-138. doi:<https://doi.org/10.1017/S2045796016000172>
- Moret-Tatay, C., Zharova, I., Cloquell, A., Pérez-Bermejo, M., Murphy, M., & Arteaga, F. (2025). Social support increases resilience and affect in non-displaced Ukrainians and refugees after a year of war. *Psicothema*, 37(1), pp. 22-32. doi:<https://doi.org/10.70478/psicothema.2025.37.03>
- Nistor, G. (2022). The social benefits of E-learning in the practice of social work. In *Proceedings of IAC 2022* (pp. 153-159). Vienna: Czech Institute of Academic Education. ISBN 978-80-88203-28-5.
- Norris, F., Stevens, S., Pfefferbaum, B., Wyche, K., & Pfefferbaum, R. (2008). Community Resilience as a Metaphor, Theory, Set of Capacities, and Strategy for Disaster Readiness. *Am J Community Psychol*, 41, pp. 127-150. doi:10.1007/s10464-007-9156-6
- OCHA. (2023). Humanitarian needs overview 2023: Occupied Palestinian Territory. Retrieved from <https://www.ochaopt.org/content/humanitarian-needs-overview-2023>: United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs.
- Pinchuk, I., Feldman, I., Seleznova, V., & Virchenko, V. (2025). Braving the dark: mental health challenges and academic performance of Ukrainian university students during the war. *Social Psychiatry and Psychiatric Epidemiology*, pp. 1-12. doi:<https://doi.org/10.1007/s00127-025-02867-7>
- Rabaia, I., & Habash, L. (2024). Destruction of higher education (educide) in the Gaza Strip: Assessment and support mechanisms. Agence Française de Développement (AFD).
- Radwan, E., Radwan, A., Radwan, W., & Pandey, D. (2021). Perceived stress among school students in distance learning during the COVID-19 pandemic in the Gaza Strip, Palestine. *Augmented Human Research*, 6(12), pp. 1-13. doi:<https://doi.org/10.1007/s41133-021-00050-6>
- Shah, R., Paulson, J., & Couch, D. (2019). The Rise of Resilience in Education in Emergencies. *Journal of Intervention and Statebuilding*, 14(3), pp. 303-326. doi:<https://doi.org/10.1080/17502977.2019.1694390>
- Ungar, M. (2013). Resilience, trauma, context, and culture. *Trauma, Violence, & Abuse*, 14(3), pp. 255-266. doi:<https://doi.org/10.1177/1524838013487805>
- UNICEF. (2021). Effectiveness of digital learning solutions to improve educational outcomes: A review of the evidence. UNICEF for every child.
- Wang, Y., Gao, Q., Cheng, Z., Zhang, J., & Wu, Y. (2021). Creating solace and hope during COVID-19: An innovative Internet-based social work intervention. *International Social Work*, 64(2), pp. 251-254. doi:<https://doi.org/10.1177/0020872820959379>.

E-Learning Amid War and Its Role in Enhancing Community Resilience Despite Challenges Among Al-Aqsa University Students in Gaza

Hasan Mahdi¹, Muhannad Al-Taaban²

^{1,2} Department of Curriculum and Instruction, Faculty of Education, Al-Aqsa University

Corresponding Author: hasan.r.mahdi@gmail.com

Received: 22/7/2025. Revised: 29/1/2026. Accepted: 15/4/2026. DIO:

Abstract

The study aimed to explore the role of e-learning in enhancing community resilience (individual and collective) among students of Al-Aqsa University in Gaza during the war since October 2023, with a focus on technical and psychological challenges and its potential contribution to long-term community development. The study adopted a mixed-methods approach (quantitative-qualitative). In the quantitative part, it employed the descriptive-analytical method using a standardized questionnaire applied to a non-probability voluntary response sample of 298 male and female students from the Faculty of Education during the second semester of the 2023-2024 academic year. The internal consistency validity of the domains was verified (Pearson correlation coefficients ranging from 0.564 to 0.915, all significant at the 0.01 level), and reliability was confirmed (Cronbach's alpha for the domains ranged from 0.842 to 0.885, and 0.911 for the total scale). The questionnaire covered four main domains: individual resilience, collective resilience, e-learning challenges, and the impact of e-learning on community development. To support and interpret the quantitative findings, a complementary qualitative survey was conducted via an electronic form (Google Forms) on a non-probability sample of 46 students (including those displaced in tents, rented houses, and those residing in their own homes), comprising 9 open-ended questions analyzed using the PEEL method (Point–Evidence–Explanation–Link). The quantitative results revealed a significant contribution of e-learning to enhancing community resilience (arithmetic means ranging from 3.53 to 3.74), with e-learning challenges topping the list (mean 4.02, relative weight 80.32%) due to electricity and internet outages. The findings also showed statistically significant differences in favor of students displaced in displacement camps in collective resilience and the impact of e-learning on community development, as well as a significant inverse relationship between challenges and resilience. The qualitative responses confirmed these findings, highlighting e-learning as a tool for creating daily routines, boosting self-confidence, breaking isolation through digital groups, and documenting resilience experiences for transmission to future generations, despite intensified psychological pressure and technical challenges. The study recommended improving technological infrastructure, providing offline platforms, designing customized educational programs for displaced students, enhancing psychological support through digital platforms, and encouraging the documentation of digital experiences to support community development during the reconstruction phase.

Keywords: E-learning, Community Resilience, Emergency Education, War, Al-Aqsa University.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

جينالوجيا التأويل عند مفسري النص القرآني بين القرنين الأول والسابع الهجريين

منى عوض الله¹، ضرار بني ياسين²
^{1,2} قسم الفلسفة، كلية الآداب، الجامعة الأردنية
 الباحث المراسل: mna9180456@ju.edu.jo

Received: 27/10/2025. Revised: 3/2/2026. Accepted: 11/6/2026. Published: 30/06/2026
 DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.12

الملخص

تبحث هذه الدراسة في مسارات الصيرورة الدلالية لمعنى التأويل، والبناء المعرفي لمفهومه، في السياق الفكري لدى علماء المسلمين، خاصة في مراحل انبثاق المفهوم وبنية تشكلاته، ولا سيما عند مفسري القرآن، في الفترة الممتدة بين القرنين الأول والسابع الهجريين، من خلال فحص دلالات الكلمة في مواضع ورودها في النص القرآني (17 موضعاً)، هي: الآية 7 من سورة آل عمران (مكرر)، الآية 59 من سورة النساء، الآية 53 من سورة الأعراف (مكرر)، الأيتان 78 و82 من سورة الكهف، الآية 35 من سورة الإسراء، الآيات 6 و21 و36 و37 و44 و45 و100 و101 من سورة يوسف، الآية 39 من سورة يونس، بتتبعها في أعمال المفسرين مدار بحث الدراسة، معتمدة المنهج الجينالوجي الذي سنعنى من خلاله في رسم بيانية معرفية لمفهوم التأويل في الإسلام، وتحديد عتبات صيرورته، ورصد تحولات استعماله، وحدود صلاحياته، بالوقوف على نواقص المقاربات الأولية عند كل عتبة أو حد جديد، وتتبع تطورات، وصولاً إلى صيغته التي استقام عليها عند نهاية تلك الحقبة. وتحققاً لذلك، فسّمت الدراسة إلى ثلاثة محاور؛ يتناول الأول منها العلاقة بين التأويل والتفسير، ويتتبع الثاني مسار مفهوم التأويل في الفترة التي تغطيها الدراسة. أما المحور الأخير فيعرض مرجعيات المفسرين في فهمهم لدلالات النص القرآني واحتمالاته.

الكلمات المفتاحية: التأويل، التفسير، التطور التاريخي.

1. المقدمة

دأب علماء الإسلام الأوائل، من متكلمين ومفسرين ونحويين، على القول: إنّ النص القرآني يتفق مع كلام العرب في وجوه التعبير، ومناط المعاني والدلالات، لكن الكلام في اللسان العربي منه ما يكون مفهوماً بمجرد سماعه، ومنه ما يدفع القارئ أو السامع إلى التدبر، وإعمال العقل لفهم المراد والمعنى المقصود، فالنصوص الدينية، قد يصعب فهمها عند تلقّيها أو سماعها للوهلة الأولى، فتستوجب التأويل لفهم المراد منها، بسبب كثافة الرمز والمجاز فيها. والواقع أنّ مفهوم التأويل في العلوم الدينية، والقرآنية منها على وجه الخصوص، ظلّ من المفاهيم التي يصعب الاتفاق على دلالتها، وحدودها، وأحقيتها بين الإثبات والنفي عند العلماء والمفسرين المسلمين في الحقب المختلفة، ولا سيما مع ترادف مفهومي التفسير والتأويل، وتشاكلهما عند هؤلاء بصورة يصعب معها وضع تعريفين جامعين مانعين لهما، فضلاً عن إنشاء تكوينية مرجعية أو قواعدية لكلّ منهما، تُيسر للباحث الإحاطة اللازمة بإبستمية التأويل مقابل إبستمية التفسير، وهذا منطلق مهمّ للباحثين المحدثين والمعاصرين، للوقوف على إشكالية التأويل في الفكر الإسلامي، ومن ثمّ فهم تشكلاته، ومساراته، وتعيّقات نظامه، ومرجعياته. ولا بد من الإشارة هنا إلى أنّ التراث، بوصفه نتاجاً لاشتغال العقل الإسلامي على النصّ الديني، هو - في جزء منه - عملية فكرية تأويلية للفاعلين الاجتماعيين من المسلمين، وبما هو كذلك، فإنّه لن يكون محصناً ولا مستعلاً فوق العقل النقديّ عند القدماء والمحدثين على حدّ سواء، وهذا ما كان في صنيع الغزالي وابن رشد، في نظريتهما التأويلية.

لقد وجّهت سيادة التراث في المسار التكويني للفكر الإسلامي النّصّورات، والافتراضات المشكّلة في الأزمنة البعيدة والحاضرة للمسلمين، فكان لا بد من التوصل إلى نتيجة مفادها إخضاع التراث لسلطة العقل، فللثراث سمة معرفية في الماضي ممتدة إلى الحاضر، ومثلما أنّه كان مشروطاً بالجهد التأويلي للمسلمين وتاريخيته، كذلك هو اليوم - بصورة أو بأخرى - مُشكّل تأويلياً بتاريخيتنا، فكان لا بدّ من طرح تحديّ التّقي والتواصل والفهم العابر للذّات.

وفضلاً عن الجهود التأويلية التي شكّلت مسار التأويل عند مفسري النصّ القرآني في حقبة عديدة، نجد أنّ بعض مفكري الإسلام تركوا أثراً واضحاً في التقعيد لقوانين التأويل، مثل الغزالي وابن رشد وغيرهما، حين لاحظوا المغالاة والتعسف والإسراف الذي لحق بالتأويل، ولا سيما عند الفرق المذهبية التي جعلت منه موضع تنافس كبير، وقد أوضح الغزالي هذا المسلك فرأى أنّ "بين المعقول والمنقول تصادم في أول النظر، وظاهر الفكر، والخائضون فيه تحزّبوا إلى مفرط بتجريد النظر إلى المنقول، وإلى مفرط بتجريد النظر إلى المعقول، وإلى متوسط طمع في الجمع والتلفيق" (الغزالي، 1940: صفحة 6). أمّا ابن رشد، فكشف بدوره مدى اضطراب المسلمين في التأويل اضطراباً أدى إلى وجود فرق منحرفة، وظهور جماعات ضالّة ومضلّة، ذهبت إلى صرف ألفاظ الشرع إلى تأويلات زعموا أنّها الحق، ودفعهم شططهم وعسفهم إلى القول: إنّ من حاد عن هذه التأويلات من المسلمين فهو إمّا مبتدع، وإمّا كافرٌ مُستباحُ الدم والمال (ابن رشد، 1999: صفحة 62-64). ولما كانت هذه الدراسة تشخص بحثياً ومعرفياً إلى غرض تعقب صيرورة التأويل وتشكلاته عند المفسرين الأوائل للنصّ القرآني، فلا بدّ من بيان أنّ بذور هذه الصيرورة قد سبقت نشأة العلوم الإسلامية منذ عهد مبكر من ظهور الإسلام، ثم رافقت هذه العلوم أمداً بعيداً، ولا تزال. وما دفع إلى تسريع هذه الحركة الفكرية نشأة اتجاهات مذهبية، وعقدية، وأيديولوجية، فعرف التأويل، مصطلحاً ومسلحاً بحثياً، طريقاً له في عالم الاعتقاد الإسلامي، ولكن لا بدّ أنّ نجد له بذوراً في الفترة المُسمّاة بعهد الصحابة والتابعين، قبل أن تأخذ مسارات التأويل منحرجات عدّة، فرضها الوعي الإسلامي الجديد الذي أخذ يفتح على فضاءات ثقافية خارجية، فصار المجتمع الإسلامي فضاءاً للتعددية الدينية، والإثنية، والتنوع الفكري، فضلاً عن احتدام الانقسامات والخصومات الداخلية بين أهل الإسلام نفسه. عندئذٍ، غدا التأويل حقلاً أثيراً في مباحث العلوم الدينية والكلامية والفلسفية والصوفية، ووجد أصحاب هذه المباحث في التأويل طريقاً للولوج إلى فهم المعاني المحتملة للقرآن، وإدراكها، وتفسيرها، خاصة حين سمحوا لعقولهم بتجاوز ظاهر الآيات إذا لم يدلّ على المعاني التي يريدها الشرع.

هكذا أسهمت ظروف واشتراطات عقديّة دينيّة، وأخرى سياسيّة أيديولوجيّة، في اندراج فئات عديدة من العلماء والمفسرين، فضلاً عن الفرق المذهبية، وانخراطها في الجدال والنقاشات المتعلقة بتفسير النصّ القرآني. وقد أشار ابن رشد إلى ما تسببت به الانقسامات المذهبية من اضطرابات واختلافات؛ يقول: "ولما تسلط على التأويل في هذه الشريعة من لم تتميز له هذه المواضع، ولا تميز له الصنف من الناس الذي يجوز التأويل في حقهم، اضطرب الأمر فيها، وحدث فيهم فرق متباينة يكفر بعضهم بعضاً، وهذا كلّ جهل بمقاصد الشرع، وتعدّ عليه" (ابن رشد، 1999: صفحة 151).

ومهما يكن الأمر في شيوع التفسير منذ الصدر الأول في الإسلام، فالمُحقّق أنّ أهل هذه الفترة، ومن شايهم من علماء الإسلام، قد سلّموا بوجود الظاهر والباطن، والمُحكم والمُتشابه، في النصّ القرآني، لكنّ اختلافهم كان في أي الآيات التي يجب تأويلها، وأيها تُؤخذ على ظاهرها، وأنّ التأويل لا يستقيم إلاّ بمراعاة طباع أذهان الناس المتفاوتة في الفهم والتقدير، وأنّ الاستدلال في التأويل يحصل بما شأنه تجويز الفهم، والتمييز بين ما يُدرك على ظاهره من اللفظ، وما هو متشاكل لا يُدرك إلاّ بالبرهان أو الدليل، ما يستدعي تأويله بالطرائق المصرّح بها (بني ياسين، 2016: صفحة 292-293).

فرضية البحث: يقوم الإشكال الأبرز الذي انطلقت منه الدراسة على أساس أنّ مفهوم التأويل في الإسلام الذي انخرطت في مساراته فرق ومذاهب وجماعات علمية وعقدية كلامية، فضلاً عن طوائف المفسرين، مرّ، خلال الفترة الممتدة بين القرنين الأول والسابع الهجريين، بظروف وتحولات شكّلت عتبات معرفية انتقالية، وضعت علامات فارقة لبناء المفهوم، بعيداً عن أصوله التكوينية الأولى. من هنا، تفترض الدراسة أنّ المفسرين المسلمين، مع عنايتهم بتشكيل المفهوم، بما يتقاطع مع حاجتهم إلى تحقيق لفظ التأويل وتأصيله لغوياً، بوصفه شرطاً من شروط صنعّة التفسير، عرفوا - كذلك - حاجتهم إلى بناء مفهوم يرتبط ببيان العلاقة بين النظام النحوي ومسار المعنى، لخدمة النظام القرآني بعمومه.

أهداف الدراسة: ويمكن تحديد أهداف هذه الدراسة بالآتي:

1. تتبّع التطور التاريخي لمفهوم التأويل عند مفسري النصّ القرآني في الفترة الواقعة بين القرنين: الأول والسابع الهجريين.
2. تبين العلاقة بين مفهوم التأويل وتقسيم الآيات إلى مُحكماتٍ ومُتشابهاتٍ عند مفسري النصّ القرآني في الفترة التي تغطيها الدراسة.
3. الإضاءة على أثر مرجعيّات مفسري النصّ القرآني، وانتماءاتهم المذهبية، في فهمهم للتأويل، وأصوله، وحدوده، وضوابطه.

2. الدراسات السابقة

ثمة دراسات عدّة تناولت موضوع تأويل النصّ القرآني عند المفسرين، منها دراسة محمد شلبي، المعنونة بـ "ظاهر التأويل بين جمهور المفسرين وأصحاب التأويل الغربي (الهيرمينوطيقا): دراسة تأصيلية نقدية" (2020)، والتي تناولت مفهوم التأويل عند جمهور المفسرين، مقارنةً باتباع التأويل في المدرسة الحداثيّة، وسعت إلى بيان الآثار المترتبة على "التأويل الفاسد" الذي يتجاوز القواعد اللغوية المقررة في فهم النصوص. كما عرضت موقف جمهور المفسرين من التعامل مع ظاهر النصّ القرآني، مقابل موقف أصحاب مدرسة التأويل الغربي. وقد خلّصت الدراسة إلى القول بأنّ الأصل في النصّ القرآني العمل بظاهر معناه، ما لم تكن ثمة حاجة للخروج عنه، وأنّ للتأويل ضوابط وشروطاً، وأنّ ثمة فرقاً في مفهوم التأويل بين المسلمين وأتباع التأويلية الغربية.

أما دراسة عمار قرفي (2014)، المعنونة بـ "التأويل عند المفسرين القدامى"، فبحثت طبيعة التأويل ومنهجه، مع تركيزها على الجانب اللغوي، وعرضت جهود المفسرين والمؤولين في النظر في ألفاظ القرآن، وأساليبه، وبيانه، وبلاغته، في الكناية والاستعارة، وغيرها من قضايا اللغة. وقد خلصت الدراسة إلى أن التأويل وجه من أوجه الصراع الأيديولوجي بين الأديان والتراث الشعبي، وأن التأويلية تمثل وجهًا من أوجه النقد الداخلي في الثقافة الإسلامية، أو المضمون الفكري والروحي في الدين الواحد، وأن العملية التأويلية تتناول النص القرآني والحديث النبوي بوصفهما نصوصًا لغوية، تعكس تجربة بشرية، مؤسسة في الفكر البشري، وأن ما يفعله المؤولون هو محاولة نقل هذه التجربة من الحالة الفكرية إلى الواقع الإنساني. كذلك دراسة كمال المقابلة (2009) التي جاءت بعنوان "أثر الدلالة اللغوية في التأويل عند المفسرين"، والتي تناولت مسألة اعتماد المفسرين الدلالة اللغوية في فهمهم معاني النص القرآني، وأثر دلالة الأسماء والأفعال وحروف المعاني في التأويل عندهم. وقد خلصت إلى أن المفسرين أولوا عنايتهم، في تأويلهم للنص القرآني، للمعاني أكثر من الألفاظ، وأن دلالة الأسماء كانت أكثر سعة في التأويل لديهم من دلالة الأفعال وحروف المعاني. ومن الدراسات التي تناولت التأويل عند مفسري النص القرآني - أيضًا - دراسة محمد عباس الجبوري (2008)، المعنونة بـ "تأويل المتشابه عند المفسرين"، وقد بحثت هذه الدراسة العلاقة بين المحكم والمتشابه، في إطار التقابل الدلالي بالمعنى العام والخاص، وتناولت المتشابه الحقيقي والنسبي في النص القرآني، وأسباب المتشابه، واتجاهاته الرئيسية، ثم بحثت نظرية التأويل في القرآن من حيث معنى التأويل، وآلياته، ومرجعياته، وأقوال العلماء فيه، واتجاهات فهمه ومستوياتها.

وثمة دراسات تناولت التأويل عند الفرق الإسلامية التي انعكست اتجاهاتها - بطبيعة الحال - على أنساق التأويل عند المفسرين، منها دراسة زينب بومهدي (2022)، بعنوان "إشكالية تأويل النص الديني في الفكر الإسلامي: المعتزلة أنموذجًا"، التي بحثت علاقة المؤول بالنص، وتطرق خلال ذلك إلى علاقة التأويل بالتفسير، وتناولت مسألة التأويل العقلي وسلطة النص، والتأويل المجازي عند المعتزلة، مع توسع في أسس الفكر الاعتزالي، وطرح نماذج من التأويل عند أصحاب هذا الفكر. وقد خلصت الدراسة إلى القول بأفضلية المعتزلة وأسبقيتهم في إعلاء مكانة العقل في الفكر الإسلامي. كذلك دراسة محمود عبد الغفار بني حمدان (2014)، المعنونة بـ "التأويل عند الفرق الإسلامية الغالية: دراسة تحليلية نقدية"، والتي تتبعت أصول الطرائق التأويلية التي انتهجتها الفرق الإسلامية الغالية، والغايات التي سعت إلى تحقيقها بتأويلها النصوص الدينية، والآثار المترتبة عليها. وقد قدمت الدراسة نماذج لتلك التأويلات عند كل من: غلاة الإثني عشرية، والتبصيرية، والإسماعيلية، والقرامطة، وإخوان الصفا، والدروز. وخلصت الدراسة إلى أن هذه الفرق قد تأثرت بالتأويل الرمزي لدى حكماء اليهود، وأن من الأهداف التي سعت إليها من خلال ذلك هدم أصول الدين، ومصادرة التشريع الإسلامي، والطعن في الدين من داخله، وأن الآثار المترتبة على تأويلات هذه الفرق للنصوص الدينية تركزت باعتناق أفكار مخالفة للعقيدة، منها: تأليه غير الله، وتكفير الآخرين، وإنكار اليوم الآخر، وإنكار الفرائض والعبادات وغيرها.

أما هيثم محمد سرحان، فقدّم دراسة بعنوان "التأويل الدلالي عند المعتزلة" (2002)، بحثت نظرية التأويل الاعتزالية، وتناولت الحاجات المعرفية والعقائدية التي تجعل من التأويل ضرورة ملحة، ورصدت مبادئ النظام العقلي عند المعتزلة، ومفهوم التأويل عندهم، بما يشمل موضوعات المواضع، وقانون الإحالة، والتعدد الدلالي، وبُنية القصد، ثم عالجت الدراسة نظام الاستدلال وتعيين الدلالة، وآليات التأويل الدلالي ومستوياته. وقد توصلت إلى أن المواضع هي النظام الذي يمكن من خلاله الحكم على مصداقية التأويل، وأن فهم دلالة الكلام تكون بتمثل حكمة المتكلم وغايته ومقصده، وأن دلالة العقل، بوصفها نصًا، تمثل نظامًا "يمنح النص حقيقته الدلالية"، وأن النظام الرمزي للغة يتيح عملية التواصل والفهم، كما أكدت الدراسة على إخراج التصورات اللسانية العربية من سياق البحث العقائدي، وإدراجها في سياقات جديدة. كذلك قدم قدور أحمد الثامر (2001)، دراسة بعنوان "موقف المتكلمين من التأويل في الفكر الإسلامي"، بحثت آراء المفسرين والمؤولين والمتكلمين - بمدارسهم ومذاهبهم المختلفة - في معنى التأويل، وقوانينه وضوابطه، وأثر اللفظ والاصطلاح، والمحكم والمتشابه، في نشوء التأويل وتطوره، ومناهج التأويل عن المتكلمين والفلاسفة العرب. كما تناولت الدراسة أنواع التأويل في الفكر الإسلامي، ومناهج المؤولين، والمنهج الفلسفي في التأويل، وموقف كل من أهل السنة والأشاعرة والمعتزلة من كلام الله، وردود السلف على قول المعتزلة بالاستدلال بالأحداث والجعل على خلق القرآن. وقد انتهجت الدراسة المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، والمنهج المقارن، لخدمة أغراض البحث.

من خلال العرض السابق، يُلاحظ أن معظم الدراسات التي بحثت التأويل، سواء عند مفسري النص القرآني أو الفرق الإسلامية، تناولت المفهوم بوصفه أحد المحاور التمهيدية في الكتابة البحثية في هذا الحقل، بنقلها تعريفات المصطلح من المصادر اللغوية والأصولية المعروفة، ولم تجعل المفهوم موضوعًا للبحث في حد ذاته، وهذا ما يميز هذه الدراسة التي وظفت المنهج الجينيالوجي لتتبع نشأة مفهوم التأويل وتطوره تاريخيًا، خلال فترة محدّدة، امتدت بين القرنين الأول والسابع الهجريين، مع عقد مقاربات بين طبقات مفسري النص القرآني في فهمهم لأصل المفهوم وحدوده وضوابطه ومجالاته.

3. منهجية البحث

اعتمدت الدراسة المنهج الجينيالوجي لبناء كرونولوجيا التأويل¹ عند مفسري النص القرآني، بين القرنين الأول والسابع الهجريين، وهو منهج نقدي يبحث في أصول الأفكار والمفاهيم والقيم، ويكشف عن الظروف التي تشكلت في ظلها، والدوافع التي أسهمت في نشأتها ثم تطورها. وعليه، فإن المنهج الجينيالوجي يساعد - هنا - في تجلية الدوافع، والظروف، والتحديات السياسية والاجتماعية والأيدولوجية التي أثرت في تشكيل مفهوم التأويل، وكيفية استعمال المفسرين الأصول اللغوية في ضبط حدوده ومجالاته، وتعرف النظام المعرفي الذي حكم الأنساق التأويلية التي طوروها. فما يميز هذه الدراسة عن غيرها أنها لا تكتفي بتناول مفهوم التأويل في سياق زمني عام، وإنما تتفحصه خلال فترات تاريخية محددة، وضمن مسار لغوي يقدم نظرة مقربة لفهم المفسرين دلالات الألفاظ ومراتبها، وأساليب اللغة واستعمالاتها. ولعل أهم ما تقدمه أنها تقف على العتبات المعرفية المفصلية لتحولات المفهوم، وتحدد متى ظهرت الفروق التي أسهمت في تشكيل بنيته بصورتها النهائية. بناءً على ما سبق، فإن هذه الدراسة تتناول مفهوم التأويل عند المفسرين الذين شملتهم، ضمن البعد الفلسفي الذي تحلل من خلاله الأصول الفكرية التي أطرت، والبعد التاريخي الذي تنتبج من خلاله نشأة المفهوم، وتطوره عبر مراحل متعددة، مستفيدة من التقسيم الزمني الذي قدمه (مارشال هودجسون Marshall Hodgson) للتاريخ الإسلامي في كتابه مغامرة الإسلام، ذلك أنه يتيح قراءة المفهوم في رحم بيئاته التي تخلق فيها ونما، جنباً إلى جنب مع المسارات المعرفية والمنهجية السائدة في تلك المراحل. وستغطي هذه الدراسة الفترة الممتدة بين القرنين الأول والسابع الهجريين، مقسمة إلى ثلاث مراحل: تغطي الأولى القرنين الثاني والثالث، واخترنا لتمثيلها تفسير مقاتل بن سليمان (80-150 هـ)، وتغطي الثانية القرنين الرابع والخامس، واخترنا لتمثيلها جامع البيان لابن جرير الطبري (224-310 هـ) والنكت والعيون للموردي (364-450 هـ)، في حين تشمل المرحلة الثالثة القرنين الخامس والسادس، واخترنا لتمثيلها الكشف عن حقائق التنزيل للزمخشري (467-538 هـ)، ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (544-604)². مع تعزيزها باستشهادات لمفسرين آخرين في كل مرحلة من هذه المراحل.

4. النتائج ومناقشتها

4.1 بين التأويل والتفسير

يعرف التفسير لغةً بالبيان، جاء في لسان العرب لابن منظور (2003): "الفسرُ البيان، فسّر الشيء يفسره بالكسر، ويفسره بالصّم، فسّراً، وفسّره: أبانه، والتفسير مثله... واستفسرته كذا، أي سألته أن يفسره لي" (5: صفحة 55). أما اصطلاحاً، فهو كما يورده الجرجاني (2004) في معجم التعريفات: "توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة" (صفحة 57).

أما التأويل، وهو موضوع بحث هذه الدراسة، فنأخذ من تعريفاته: آل يؤول أولاً، وأول يؤول تأويلاً، ومعناه، كما يرد في النقوش ومعاجم اللغة العربية منذ كتاب العين حتى أحدثها اليوم، يأتي في دلالات عدة؛ ففي النقوش العربية انحصر معنى لفظ "أول" بعاد أو رجع أو أعاد أو أرجع، أو بمعنى البداية، والآل القوم³. ولم تُكتشف نقوش عربية تحمل معاني أخرى له. ثم جاء معناه في النصوص والشواهد العربية بمثل هذين المعنيين ومعاني أخرى غيرها، فالأول ما سلف (150 ق. هـ)، وأول الشيء مطلعُه وبدايته (100 ق. هـ)، وأول أرجع، والأول المرجع والمرء، والأول المراجعة، والأول الأسبق والمبدأ والمطلع، وأول بمعنى سبق، والأولي المتقدم في الزمن (100 ق. هـ)، والأول الذي تُفتَح به الأعداد (100 ق. هـ)، وآل الرجل أهل بيته، وآله أتباعه وأنصاره (150 ق. هـ)، وسُموا آلاً لأن الفرد يرجع إليهم ويرجعون إليه (ابن فارس الرازي، 1979: 1/160)، وآل الرعية ساسها (70 ق. هـ)، والآل السياسة والتدبير، والإيالة السياسة، والإيالة الطبيعية والسؤس (50 ق. هـ)، والآل السراب (50 ق. هـ). أما لفظ التأويل، فجاء في تأويل الرويا، ومعناه "الإخبار بما يصير إليه أمرها" (100-110 ق. هـ). ثم صار للتأويل، بعد مجيء الإسلام، معاني أخرى جديدة، فأوله بمعنى نجاة، وآل نجا (13-17 ق. هـ)، وآل إلى الشيء تحوّل إليه ومال، وآل الرجل شخصه، أي أنهم يعبرون عن عشيرته والمقصود شخصه (13 ق. هـ)، وآل الخيمة عمدها (13 ق. هـ)، والمال العاقبة والمصير (2 ق. هـ)، فتأويل الكلام عاقبته وما يؤول إليه، والتأويل الجمع، وتأويل الكلام "جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واحد لا إشكال فيه" (ابن منظور، 2003: 1/194)، وهو المردود، أول الشيء مردوده، وهو التدبير والتقدير، أول الكلام أي قدره. والتأويل البيان وتوضيح المعنى، أول الكلام بيّنه (فسره) (3 ق. هـ). وجاء بمعنى العدول، وصرف الكلام عن معناه الظاهر إلى معنى آخر يحتمله (189 هـ). أما "آل" فجاءت بمعنى رجّح، وبمعنى ردّ، آل

¹ التسلسل الزمني لتطور مفهوم التأويل.

² استبعدت الدراسة تفاسير أتباع الفرق الباطنية، فالهدف - هنا - رصد الملامح المبكرة؛ لتشكل مفهوم التأويل، وتحولاتها، وهو أمر لا ينسجم

وطبيعة التفاسير الرمزية أو الإشارية التي ترتبط فيها دلالات النص برموز موروثة محددة مسبقاً.

³ للتفاصيل يُنظر: مادة "أول"، المعجم التاريخي للغة العربية - الشارقة، شوه في 2024/3/22، في: <https://2u.pw/DsP1xm8>؛ معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، شوه في 2024/3/22، في: <https://2u.pw/ZWjgMyu4>. أما نظائر اللفظ في نقوش اللغات السامية الأخرى، ففي الأرامية والسريانية "أولاً" بمعنى البداية، وفي العبرية "أول" بمعنى ظاهر الجسم أو البدن، وفي الجعزية "أول" بمعنى الدخان أو الضباب. يُنظر: المعجم التاريخي للغة العربية - الشارقة.

الشيء رده، وآل عنه ارتد عنه، وآل عليه أي عطف، وآل بمعنى ضمير ونخف، آل الجسم أي نخف، وآل من الشيء أضغفه (7 هـ)، وآل البعير عظامه (22 هـ)، وآل الجبل أطرافه (90 هـ)، وآل خثر، آل اللبن أو الشراب أي خثر، والآيل الذكر من الوعول، وسُمي آيلاً لأنه يؤول إلى الجبل، أي يرجع إليه ويتحصن به، وآل على القوم ولي عليهم، والآلة الحالة والطريقة ونعش الميت، والآلة أداة الصانع، وسُميت بذلك لأنه يؤول إليها (أي يرجع) ويسوسها، والآلية الكيفية، والمؤئل الملجأ (الفراهيدي، 2003: 1/100؛ ابن فارس الرّازي، 1979: 1/158-162؛ ابن عباد، 1994: 10/376-378؛ الأصفهاني، [د.ت.]: 1/39-40؛ السبكي، [د.ت.]: صفحة 23-24؛ ابن منظور، 2003: 1/197؛ الرّمخسري، أساس، 1998: صفحة 39؛ الفيروزآبادي، 2008: صفحة 83-84).

وخلاصة ما سبق أنّ التأويل، وفق دلالاته اللغوية، حمل قبل الإسلام ثلاثة معانٍ؛ فجاء بمعنى المرجع والمرد، وبمعنى البداية والمطلع، ثم ظهر استعمال جديد له في عام (100 ق. هـ)، وهو تأويل الرؤيا بمعنى مأل أمرها ومصبره. وفي عام (70 ق. هـ) ظهر معنى جديد للفظ، فصارت "آل" تعني أصلح وسان، فهذه ثلاثة معانٍ لفعل التأويل قبل الإسلام، بعد استبعاد المعاني غير المتعلقة بفعل أو حدثان، مثل الآل بمعنى السراب أو الخشب. وارتبطت باللفظ معانٍ جديدة بعد مجيء الإسلام، أهمّها: أوله بمعنى نجاة، وآل الشيء بمعنى تحوّل إليه ومال، وآل بمعنى ضمير وخثر، والتأويل بمعنى الجمع، وبمعنى التدبير والتقدير، وبمعنى البيان وتوضيح المعنى (التفسير)، وتوسّع مفهوم تأويل الرؤيا ليصير التأويل على عومه يفيد المصير والمال والعاقبة، ثم جاء أخيراً بمعنى صرف الكلام عن معناه الظاهر إلى معنى آخر يحتمله.

أما التأويل اصطلاحاً، فهو ما عكفت هذه الدراسة على تتبعه، ورصد تطوره، في الفترات التاريخية التي تغطيها، كما سيظهر في منتها. وإذا كنّا نبحث هنا في دور المفسرين بتشكيل مفهوم التأويل، فالأصل أن نتقاطع حاجتهم إلى تحقيق لفظ التأويل وتأصيله لغوياً، بوصفه شرطاً من شروط صنعة التفسير (الرمخسري، الكشف، 1998: صفحة 96؛ الراغب الأصفهاني، [د.ت.]: صفحة 4)، مع حاجتهم إلى هذا التأصيل لبناء المفهوم، لكن هل هذا فعلاً ما كان يصرف عليه المفسرون جهدهم في أثناء قراءتهم للنصّ القرآني؟ هل كانوا مشغولين بسؤال المفهوم الذي هو "توحيد المتنوّع في فكرة واحدة" (زيادة، 1986: 1/768)؟ يشير سبحان خليفات (2004) إلى أنّ المفسرين انشغلوا ببحث العلاقة "بين النظام النحوي ومسير المعنى"، بدلاً من التركيز على العلاقة بين الكلمات في العبارة الواحدة من جهة، والعلاقة بين العبارات بعضها ببعض من جهة أخرى. وهذا الاهتمام بتطور الاستعمالات اللغوية ونموها لم يكن يُقصد به تضخيم عدد المفردات ومرامتها، وإثما يفترض بالضرورة وجود جدل أو حوار مستمر بين النصّ القرآني واللغة، ومن هنا وُظفت العلاقات النحوية في النصّ لخدمة "النظام القرآني"، مع محاولة رصد إضافات القرآن إلى اللغة (1: صفحة 9)، وهذا ما سنلمحه في سيرة التأويل بين أيدي المفسرين في الفترة التي تغطيها هذه الدراسة.

لقد بدأ المسلمون يتلمسون طريقهم في تأويل النصّ القرآني منذ عهد النبوة، واتسعت مسالك التأويل لديهم باتساع المسافة الزمنية بعيداً عن ذلك العهد، فظهرت التفسيرات، وكانت علّة الحاجة إليها قولهم بدقّة معاني ألفاظ النصّ القرآني، أو تعدّد احتمالات المعنى للفظ الواحد، أو نقص شروحات بعض المسائل الواردة فيه، فتعرّزت ضرورة كشف معانيه، أو ترجيح احتمالاتها، أو بسط الموجز من ألفاظه ومسائله (السيوطي، 2008: صفحة 760)، وكان لهم في ذلك مدارس ومناهج (الأصفهاني، 2008: صفحة 26-39؛ ابن تيمية، 1972: صفحة 38-55)، جميعها غايتها الوصول إلى المعنى المُراد في النصّ، لكنّها اختلفت حول درجات اللفظ (الحقيقة، والمجاز، والمنقول غرقاً، والمنقول شرعاً)، ودرجات ذلك المعنى (المُحكم، والمتشابه، والظاهر، والباطن، والمبين، والمفسّر، والمؤوّل) (الطاهري، 2011: صفحة 216)، فاختلّفت، تبعاً لذلك، تأويلاتهم لكلام الله في كتابه.

وثمة فرق بين الكلام منطوقاً ومكتوباً، إذ تُعرّف كتابة النصّ أنّها تتيمّم للكلام المنطوق مشافهةً أو سماعاً، تقوم مقامه وتحجبه في الوقت نفسه، بالنظر إلى أنّها تلغي علاقة الحوار المفترضة بين المتكلم والسماع، بعد تحوّل الكلام إلى نصّ مكتوب، أو بعد "ولادة النص" مدوّناً (ريكور، 1990: صفحة 67)، ومن ثم فإنّ قراءة النصّ هي بالضرورة فعل تأويل لكلام محجوب غاب قصد معناه بغياب قائله عياناً، وترك فهمه للقارئ. لكن هذا الوصف لا ينسجم تماماً مع كامل النصّ القرآني، فبعض مواضع نُقلت معها معانٍ توقيفية بنصّ الأحاديث النبوية الشارحة لها⁴، بينما ترك بعضها لفهم القارئ، وحتى هذه كانت تؤوّل أحياناً في طبقة معيّنة من المفسرين، ثم تُنقل إلى الطبقات اللاحقة بالرواية والسماع، دون إعادة نظر أو تأمل، تحرّجاً أو دفعاً للاستشكال. وهذا التداخل بين غلق المعنى على ما جاءت النصوص النبوية مبنيّة له في بعض المواضع، وانفتاحه للمفسر الأوّل على احتمالات عدّة في مواضع أخرى، ثم توارث المفسرين اللاحقين تأويلات المفسرين السابقين، جعل مصطلحي التفسير والتأويل يبدوان كأنهما يفيدان الدلالة نفسها، أو مترادفان وكأنّهما شيء واحد.

ويُشار - هنا - إلى أنّ المادة اللغوية (ف س ر) واشتقاقاتها، بمعنى التبيان، هي من المواد اللغوية المؤلّدة؛ أي المُحدثة، التي جاء بها القرآن، بمعنى أنّها لم تُستعمل في العربية قبل النصّ القرآني الذي ورد فيه لفظ التفسير مرّة واحدة فقط، في

⁴ واعتمد في تأريخ هذه المعاني على: معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، شوهد في 2024/3/22، في: <https://2u.pw/ZWjgMyu4>؛ المعجم

التاريخي للغة العربية - الشارقة، شوهد في 2024/3/22، في: <https://2u.pw/DsPlxm8>؛
⁵ ترصد بعض المؤلفات 119 موضعاً نُقل تفسيرها عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، ويزيد عدد هذه المواضع أو يقل تبعاً للحكم على صحة الأحاديث أو ضعفها، أو تبعاً لاختيار الأخذ بالضعيف أو تركه. يُنظر: بن أبو عمه، أبو محمد السيد إبراهيم. (1990). الصحيح المسند من التفسير النبوي للقرآن الكريم. طنطا: دار الصحابة للتراث؛ الباتلي، خالد بن عبد العزيز. (2011). التفسير النبوي: مقدمة تأصيلية معد دراسة حديثة لأحاديث التفسير النبوي الصريح. الرياض: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع.

الآية: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: 33)، وعنها يقول الفخر الرازي (ت 606هـ): "أحسن تفسيراً لأجل ما فيه من المزية في البيان والظهور. ولما كان التفسير هو الكشف عن الكلام، وُضع موضع معناه، فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت، كما قيل معناه كذا وكذا" (الرازي، 130: 318/6). وعن الجذر "فَسَّرَ" يقول الجوهري (ت 398هـ) في الصحاح: "الفسرُ البيان ... وأظنه مؤلداً" (الجوهري، 2009: صفحة 888). وقد انحصرت المعاني التي أوردها المفسرون لمفردة التفسير هذه في الدلالة على: التبيان، والتفصيل، والكشف عما يدل عليه الكلام.

وما يهتمان في هذه المسألة الإشارة إلى أنه بالرغم من شيوع تداول دلالاتي تأويل النص وتفسيره عند مفسري النص القرآني، فإن تعلق إحداهما بالأخرى لم يرد في اللغة قبل ظهور الإسلام (أي حتى عام 13 ق. هـ)، فكان أول ورود للفظ التأويل بهذا المعنى – فيما اطلعنا عليه من الشواهد – قول أبي طالب في قصيدته عن لقائه، والنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، بحيرى الراهب في بصرى الشام (علماً أننا نورد هذه الأبيات المنقولة على لسان أبي طالب لغاية حصر الشواهد التي ورد فيها التأويل بمعنى التفسير، بعيداً عن النقد التاريخي الموجّه لقصة النبي مع بحيرى الراهب): "فجاؤوا وقد همّوا بقتل محمدٍ، فردّهم عنه بحسن خصام. بتأويله التوراة حتى تيقنوا، وقال لهم رُمتم أشدّ مرام. أتبعون قتلاً للنبي محمدٍ، خُصصنتم على شؤم بطول أثم"، وتأويل التوراة هنا يعني تفسيرها (النبدي، 1950: صفحة 161؛ المطليبي، 1978: صفحة 73-77)⁶، ثم دعاء النبي لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل" (ويعود هذا الشاهد إلى العام 11 هـ)⁷، عند من حمله على معنى التفسير، ثم ما تنقله المصادر عن عائشة بنت أبي بكر، تقول في ردّها على تفسير عروة بن الزبير آية ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (البقرة: 158): "إنّ هذه الآية لو كانت كما أولّتها... (النسائي، 2001: صفحة 279)⁸، أي فسرتها (ويعود هذا الشاهد إلى العام 58 هـ)⁹. في حين لم ترد مفردة التأويل بمعنى تفسير الكلام والنصوص في أي شاهد سبق هذه التواريخ. وكما سبق القول، يصعب الاتفاق على دلالات كلمة التأويل في العلوم الدينية القرآنية، فمن المفسرين من عنى بها التفسير، مثلما يُراد بها إصابة الحقيقة التي يؤدي إليها الأمر أو الخبر، ومنهم من وقف موقف التفرقة بين التفسير والتأويل، على اعتداد أنّ معنى التفسير بيان وضع اللفظ إمّا حقيقة أو مجازاً، أمّا التأويل فهو تفسير باطن اللفظ تجاوزاً عن ظاهره. والواقع أنّ جيل الصحابة والتابعين الذين كانوا يميلون إلى عدم التفرقة بين التأويل والتفسير تحرّجوا من القول بالرأي في القرآن، ووقفوا في منهجهم في التفسير عند النقل، وهو منهج يقوم على الرواية والسماع، وكانوا أميل إلى التشدد في قبول التفسير ما لم يرد فيه قول للنبي (صلى الله عليه وسلم) أو الصحابة، لكن مع تطوّر المجتمع الإسلامي، اتسعت دائرة النشاط العقلي، وشاع التوسع في الرأي في الاعتقاد والتفسير، فانتسج مجال التأويل.

والواضح في كتب اللغة العربية القديمة، أنّ الأوائل من علماء اللغة والمفسرين، ذهبوا إلى الربط على مقتضى الترادف بين مفردتي التأويل والتفسير، وقد أظهر الخليل أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) القول إنّ التأويل "تفسير الكلام الذي لا تختلف معانيه" (الفراهيدي، [د. ت.]: 369/1). وإلى مثل هذا ذهب أبو عبيدة التيمي (ت 210 هـ) في وقوفه عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ (آل عمران: 7)، بقوله: "التأويل التفسير والمرجع" (التيمي، 1954: 86/1)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ (الأعراف: 53). أمّا الطبري (ت 310 هـ)، فكان التأويل عنده مشاكلاً أو مرادفاً لمعنى التفسير، فهما شيء واحد، ويتكرّر في تفسيره للأبيات قوله: "القول في تأويله تعالى..."، ويقصد بذلك تفسيرها، ثم بعد ذلك يُفصح الرأي بهذا المعنى بقوله: "وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنّه التفسير والمرجع والمصير" (الطبري، [د. ت.]: 204/6). ولم يخرج ابن تيمية (ت 728 هـ) المتأخّر عن هذا المسار، معتمداً رأي بعض العلماء والمفسرين المتقدمين، فرأى أنّ للتأويل في لفظ السلف معنيين؛ "أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقارباً أو مترادفاً، وهذا – والله أعلم – هو الذي عناه مجاهد أنّ العلماء يعلمون تأويله، ومحمد بن جرير الطبري في تفسيره، القول في تأويل قوله كذا، واختلف أهل التأويل في هذه الآية ومُرَاد التفسير" (ابن تيمية، 1408 هـ: 108/2).

وما يجدر ذكره هنا أنّ التأويل في الاستعمال القرآني لم يرد بالمعنى الاصطلاحي، كما درج استعماله في معاجم اللغة العربية المتأخّرة، وعند أهل الفرق من المتكلمين وغيرهم، ومما يؤيد ذلك ما ذهب إليه صاحب تفسير المنار، الشيخ رشيد رضا، بقوله: "إنّما غلط المفسرون في تفسير التأويل في الآية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾؛ لأنّهم جعلوه بالمعنى الاصطلاحي، وأنّ تفسير كلمات القرآن بالمواصفات الاصطلاحية قد كان منشأ غلطٍ يصعب حصره" (رضا، 1972: 143/3). وبالرغم من هذه المواقف في المعارف القرآنية التي تذهب إلى القول: إنّ التفسير والتأويل يدلّان على معنى واحد، فإنّ بعض العلماء المتأخّرين ناهضوا هذا الرأي وعدّوه جهلاً في قواعد التفسير والتأويل، ومن ذلك قول ابن حبيب النيسابوري (ت 406 هـ) إنّ "قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل لما اهتموا إليه" (الذهبي، [د. ت.]: 16/1)، الأمر الذي يدلّ على وجود فوارق بينهما.

وقد ظلّ التداخل بين دلالاتي كلمتي التفسير والتأويل فترة من الزمن، ثمّ عادتا إلى حالة الافتراق مع ظهور علم القرآن في القرن الخامس الهجري، ما يعني أنّ استعمال لفظ التأويل بمعنى التفسير دلالة ذات نشأة إسلامية – إنّ صحّ التعبير – شاعت خلال الفترة بين القرنين الأوّل والخامس الهجريين، ولم يتوقف استعمالها بهذا المعنى لاحقاً. وفي هذا السياق، يشير

⁶ المعجم التاريخي للغة العربية – الشارقة، شوهدي في 2024/3/21، في: <https://2u.pw/DsP1xm8>

⁷ المرجع نفسه.

⁸ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، كتاب السنن الكبرى، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001)، نسخة المكتبة الشاملة، شوهدي في 2024/3/21، في: <https://2u.pw/VNhwie5w>.

⁹ معجم الدوحة التاريخي، مرجع سابق.

نصر حامد أبو زيد (2014)، في كتابه الخطاب والتأويل، إلى أنه بالتفريق بين المصطلحين، صار التفسير يرتبط بالرواية والمأثور (صفحة 173-174)، وتتمثل مهمته في توضيح الألفاظ المبهمة والمشككة، والكشف عن معانيها (شقير، 2023: صفحة 44)، ويتفق هذا مع ما ذهب إليه بعض المفسرين، من ذلك قول أبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت 427هـ) في تعريفه للتفسير بأنه "كشف المنغلق وإطلاق المحتبس عن فهمه" (الثعلبي النيسابوري، 2002: 87/1)، بينما يرتبط التأويل بالدراسة، وذلك بـ "إرجاع الكلام إلى أحد احتمالاته العقلانية" (شقير، 2023: صفحة 44). في حين ذهب الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) إلى أن التفسير أهم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ، بينما أكثر استعمال التأويل في المعاني، ولعله قصد التعبير والنظم. ويزيد الثعلبي في التفريق بين المصطلحين أن التفسير يختص بعلم نزول الآيات وأسباب نزولها، وهو ما لا يصح إلا باستماع الأثر، أما التأويل فيراه أسهل السبيلين، لأنه ليس إلا "صرف الآية إلى معنى يحتمله" (النيسابوري، 2002: 87/1). ومن جهة أخرى يذكر الزمخشري (1998) في الكشف أن التفسير أعم من التأويل، فالأول يهتم بمفردات الألفاظ، ويستخدم في الكتب الإلهية خاصة في غريب الألفاظ، أو فيما لا يمكن تصوّره إلا بمعرفته، في حين يهتم الثاني بالمعاني والجمل، ويستخدم في غيرها من الكتب، ويوظف على وجه الخصوص أحياناً، وعلى وجه العموم أحياناً أخرى (1: صفحة 43).

والحقيقة أن إحصاء أقوال الدارسين لعلوم القرآن في مسألة التفريق بين التفسير والتأويل أمر يتسع، فيكاد لا يخلو مرجع مختص أو كتاب تفسير محقق من تفصيل حولها، وهي مسألة مهمة بغير شك، إلا أن هذه الدراسة، بما هي بحث في بداية نشأة المفهوم ومراحل تطوره، ستركز على الأسئلة المتعلقة بمعنى التأويل ومحدداته.

4.2 حريات التأويل

4.2.1 التأويل بوصفه تفسيراً (القرنين الثاني والثالث الهجريين)

ربط مفسرو النص القرآني في هذه الفترة معنى التأويل بالتفسير والبيان في بعض مواضع ورودها، فجاءت بهذا المعنى في مواضع متفرقة عند عدد منهم، من ذلك تفسير زيد بن علي (79-121هـ) والفراء (144-207هـ) للآية السابعة من سورة آل عمران (ابن الحسين، 1376هـ: صفحة 156؛ الفراء، 1955: 191/1)، وتفسير أبي عبيدة التيمي (110هـ-210هـ) للآية 53 من سورة الأعراف (التيمي، 1954: صفحة 216)، وتفسير يحيى بن سلام (124هـ-200هـ) للآية 82 من سورة الكهف (التيمي، 2004: صفحة 200). أما في أغلب المواضع، فمالوا إلى حصر معناها بالعاقبة والمرجع والمصير. وإذا نظرنا إلى تفسير مقاتل بن سليمان (ت 150هـ)، بوصفه نموذجاً ممثلاً لهذه الحقبة، فيلاحظ أن الممارسة التأويلية لديه كانت أقرب إلى الشرح المباشر للألفاظ، والأخذ بمعناها الظاهر، مع الاعتماد على الروايات والقصص التفسيرية، وضمن سياق لغوي بسيط؛ فغاية التأويل عنده تحديد المقصود من الألفاظ، أو بيان أسباب النزول، أو تعيين المرجع في الآيات. وهو يعرف التأويل في مقدمة تفسيره بأنه العاقبة، ومنتهى ما يكون وكم يكون، أو التفسير والبيان، أو تعبير الرؤيا، أو بيان النوع. ويقسمه إلى أربعة أنواع، هي: تأويل العدول، وهو المقبول، وتأويل الغالين، وهذا تحريف للنص، وتأويل المبطلين، وهذا انتحال، وأخيراً تأويل الجاهلين. وبناءً على ذلك، يفصل في أنواع الخطاب القرآني ومستوياته، فمنه العام والخاص، والمحكم والمتشابه، والمفسر والمُبهَم، والناسخ والمنسوخ، والمقدم والمؤخر (ابن سليمان، 2002: 26-27). لكنه مع ذلك لا ينظر إلى التأويل نظرة منهجية، أو يبني له نظاماً معقداً، بل ينظر إليه بوصفه تفسيراً بيانياً مباشراً، يهدف إلى توضيح المعنى.

وثمة ملاحظة - هنا - يصعب تجاهلها في بحث الفعل "أول"، بمعنى رجع أو أرجع، والتأويل بمعنى المرجع، فتعامل - هنا - مع فعل يتأرجح بين الحدث المتعلق بالماضي والمستقبل معاً، فهل هو المرجع بمعنى بداية الأمر ومنطلقه وأوليته السابقة، أو قبلية، أم المرجع بمعنى مآل الأمر ومرده وعاقبته وصيرورته مستقبلاً؟ وبصيغة أخرى، هل هو بداية الأمر أم آخره؟ الظاهر أن مفسري النص القرآني في هذه الحقبة اختاروا ترجيح الدلالة المستقبلية للفعل، وحصروه بها، ومالوا إلى ربط التأويل بالمآل والعاقبة، ولو أنهم أخذوا المعنى على وجهيه، فإن الدلالة بالنتيجة تحتمل المعنيين؛ فالمآل بمعنى الرجوع إلى الأصل الأول يوازي معنى الصيرورة مستقبلاً الذي لا وجود له إلا باتصاله بالمبدأ أو الأصل، فكانت هذه أول عتبة لاستعمال اللفظ ودلالته في سياق النص القرآني، فبالرغم من أن المفسرين لم يتحدثوا معنى جديداً للفظ، أو ينقطعوا عن أصله اللغوي، فإنهم حصروه بأحد استعمالاته، وهذه لحظة مهمة في تطور مفهوم التأويل. إلا أن تحديد تطور المفهوم في هذه الحقبة بحصره بأصل لغوي واحد، والقول بوقوفه عند هذا الحد، وفق ما جاء في التفسيرات المعروفة التي سبقت الإشارة إليها، والتي عرّف بعضها التأويل بـ "علم العاقبة"، يظل أمراً غير حاسم في ظل الظروف السياسية والثقافية التي سادت في ذلك الوقت، فالمسارات التي سلكها المفسرون وقتئذ كانت تتسجم مع النمط الثقافي والفكري الذي ساد في ظل حكم المروانيين والعباسيين في العصر العباسي الأول، المتسمين بالمركزية والملك المطلق، تحت شعار وحدة الجماعة.

خلال هذه الحقبة، شهدت الدولة الإسلامية استقراراً داخلياً ونُدرة في الاضطرابات، يقابله خفوت في النشاط العسكري التوسعي، مقابل عنف مفرط في قمع المعارضين، مثل الشيعة والخوارج. وهذه الحال خلقت ميلاً عاماً ضد التغييرات الجذرية العلنية في شتى السياقات الثقافية والاجتماعية - بالرغم من تعدد الخلفيات الثقافية واللغوية، والدينية، والمذهبية الدينية، (هودجسون، 2021: 421-769) - كما ظهر ما اصطُلح عليه بـ "أهل السنة والجماعة" الذين تمسكوا بمبدأ استمرارية الجماعة، والوحدة المعنوية للمجتمع الإسلامي، وعارضوا الشيعة والخوارج، مقابل الحركات الباطنية السرية التي أفرزتها المعارضة. وقد طوّرت هذه الحركات السرية فلسفاتها الخاصة حول مسائل الحكم والعقيدة وكيفية قراءة النص القرآني، ومنها من أدرك مبكراً مركزية التأويل في التأسيس لأفكارها وفلسفتها، ولعل أبرزها الدعوة الإسماعيلية التي كان لأتباعها عناية

واهتماماً بتأويل آيات القرآن، وستظهر ثمرة ذلك في بعض ما وصلنا من مؤلفاتهم في مطلع الفترة اللاحقة. إلى جانب بدايات ظهور الجدل الكلامي مع ظهور فرقة القدرية، وعلى رأسها معبد الجهني (ت 80 هـ) وغيلان دمشقي (ت 106 هـ)، وفرقة الجبرية، وعلى رأسها الجهم بن صفوان (ت 128 هـ) والجعد بن درهم (ت 105 هـ). والمعلوم أن هاتين الفرقتين دفعتا التأويل في القرآن إلى مسالك غير مسبوقة.

4.2.2 التأويل بوصفه ترجيحاً دلاليًا (القرنين الرابع والخامس الهجريين)

عند بعض المفسرين في هذه الحقبة إلى إنشاء تعريف مبسط لفعل التأويل في إطار هذا المعنى، فلم يعد لفظاً يرتبط بعدد من المعاني والدلالات المتغيرة بتغير السياقات، وهذا ما فعله الطبري حين عرفه في تفسيره بأنه "من تأول، تفعل، آل هذا الأمر إلى كذا، أي رجع بما أغنى عن إعادته"، والتأويل العاقبة والجزاء وما يؤول إليه الأمر، والتأويل التصديق، وتعبير الروبا. (الطبري، [د.ت.]: 506/8)، ثم إن الممارسة التأويلية أصبحت، مع الطبري، أكثر منهجية وانضباطاً، فبيّن المعنى المراد من الآيات بعرض الأقوال الماثورة والترجيح بينها، وبذلك فإن منهجه يقوم على الرواية (اعتماد أقوال الصحابة والتابعين) واللغة والسباق. وهو لا يكتفي بنقل الروايات، بل يرجح بينها، مع تعليل لغوي وأصولي، فتحوّل التفسير من مجرد نقل للروايات إلى تحليل نقدي للأقوال، وبدأ التأويل يكتسب شكلاً منهجياً علمياً منضبطاً. ثم توسّع المعنى عند الماوردي (ت 450 هـ) ليشمل التحليل اللغوي والفقه والدلالي، فيورد في تفسيره احتمالات تفسيرية عدة، مستنداً إلى اللغة والفقه وأقوال السلف. وهو لا يكتفي بنقل الروايات والترجيح بينها، بل يظهر الاحتمالات الدلالية للنص، وهذا تطوّر في المفهوم، إذ يظهر فيه تحليلاً تعديلاً للمعنى.

وفيما يتعلّق بمفهوم التأويل وتحولاته، فيُشار إلى محاولة الماتريدي اقتراح مفهوم محدّد له بتعريفه بـ "علم العاقبة، وعلم ما يؤول إليه الأمر"، وهذه المحاولة تلخّص عتية في تحولات المفهوم، فإذا سألنا: ماذا يعني علم العاقبة؟ هل هو علم بمعنى أنّه يمثل بناءً منهجياً ومفاهيمياً خاصاً بمالات الأمور ونهاياتها؟ وهل يعني ذلك أنّه علمٌ تنبئُ أو ماورائي؟ هنا تحديداً يظهر نقص هذه المقاربة الأولية البسيطة التي طرحها الماتريدي بإطلاق وصف "العلم" على التأويل، دون أن يقدم ما يعكس أي تحوّل طرأ على هذه المفردة؛ مع وجوب التحرز، وعدم التوسّع في استنتاج دلالة مفهوم العلم الذي أورده، فأغلب الظن أن مفردة العلم - هنا - تدلّ على معنى الدراية بالمعنى، أو بيان المعنى وكشفه، وأقصى ما يعطيه النصّ القرآني للمؤول، من غير تعسفٍ وخروج على مواضع اللسان العربي.

4.2.3 التأويل بوصفه بناءً بلاغياً (القرنين الخامس والسادس الهجريين)

لم يكتفِ مفسرو النصّ القرآني في هذه الفترة بمعاني لفظ التأويل التي استقرّ عليها المفسرون في الفترة السابقة، وإنما أضاف بعضهم إليها أبعاداً جديدة؛ فالى جانب التأويل بمعنى العاقبة والمرجع والمصير، وبمعنى التفسير، والتأويل بمعنى تعبیر الرؤيا، صار التأويل مع الزمخشري (ت 538 هـ) مرتبطاً بالبلاغة والنحو والتحليل البياني للنص، وصار يعتمد في الكشف على أدوات علم المعاني والبيان لإظهار إعجاز النصّ القرآني، ويستعمل التأويل وفق رؤيته الكلامية الاعتزالية. وقد قدّم الزمخشري، في تفسيره للآية السابعة من سورة آل عمران - ونصّها: ﴿هو الذي أنزل عليكم الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلّ من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ (آل عمران: 7) - معنى إضافياً لفعل التأويل، فأشار إلى ارتباطه بالفحص والتأمل والنظر والاستدلال، فكانت هذه بمنزلة بداية ولادة دلالة جديدة للمفردة، أرساها الفخر الرازي بعده في تفسيره لهذه الآية أيضاً، بما يفيد معنى النظر في احتمالات دلالة النصّ، ومعرفة أسرار وخفاياه.

ومثلت الآية السابعة من سورة آل عمران حالةً مختلفةً عند أصحاب التفاسير، فباتت توصّل عندهم لقاعدة في فهم النصّ القرآني كاملاً، فقسّمت آياته - وفقها - إلى نوعين: الأول قطعيّ الدلالة، واضح غير مجمل أو محتمل، ويتوافق ظاهره مع باطنه، ولا يمكن حمله على غير معناه المفهوم ظاهرياً، وسُمّيت آيات هذا النوع بالمُحكّمات، والنوع الثاني مُشكّلٌ وغامضٌ وظنّيّ الدلالة، ويتضمن معاني عدةً محتملةً، وسُمّيت آيات هذا النوع بالمتشابهات. وتتلخّص هذه القاعدة بأن ما كان ظاهر المعنى، ولم تتعدّد احتمالاته من الألفاظ، يؤخذ بمعناه البين والمفهوم، وما تعدّدت معانيه، وخفي مقصوده، يؤوّل بالانتقال من المعنى الظاهر الراجح إلى معانٍ أخرى مرجوحة، بعد نظرٍ وتأملٍ وفحصٍ واستنباطٍ واستدلالٍ، شرط وجود دليلٍ أو قرينةٍ تؤكّدها، وهذا الدليل إما أن يكون لفظياً أو عقلياً، والأول ضعيف وباطل؛ لأن الدلائل اللفظية ليست قطعية لكونها إلى نقل اللغات والإعراب والتصريف والاستقاق من جهة، وإلى عدم المجاز أو التخصيص، أو الإضمار، أو عدم وجود المعارض النقلية أو العقلية من جهة أخرى، وجميعها وجوه ظنيّة. وعليه، فإن الانتقال من الراجح إلى المرجوح يحتاج إلى دليلٍ عقليّ قطعيّ، إذا بدا أنّ المعنى الظاهر محالٌ عقلاً (الرازي، 1981: 182-183).

وقد تطوّر هذا الفهم لمعنى المتشابه في هذه الحقبة، بعد أن كان المفسرون السابقون يفرّقون بين الآيات المُحكّمات والمتشابهات وفق معايير أبسط، يمكن إجمالها بتحديد المُحكّمات بالآيات الناسخة والمتشابهات بالآيات المنسوخة، أو القول: إنّ المُحكّمات هي التي بُيّنت، وفُصِّلَت، وأُثبِتَت حُججها وأدلتها على: الحلال والحرام، والوعد والوعيد، والثواب والعقاب، والأمر والزجر، والخبر والمثل، والعظة والعبرة. وهذه يؤمّن بها ويعمل بها، وقد حدّدها بعضهم بالآيات (151-153) من سورة الأنعام، بينما المتشابهات حروف التّهجي في أوائل السور، وهذه يؤمّن بها ولا يعمل بها. ثم صار القول: إنّ المُحكّم هو اللفظ المكشوف المعنى غير المشترك الذي لا يحتمل عند سامعه غير معنى واحد، فمُراده واضحٌ ومحدّدٌ بعينه، أمّا المتشابه

فهو المتماثل الذي يتعارض فيه الاحتمال، ويُردُّ إلى المُحكَّم، ويُحمل على معناه، أو ما يؤدي ظاهره إلى غير ما يؤدي إليه باطنه. والمُحكَّم لا يحتمل التأويل، أو لا يحتمل غير وجه واحد من التأويل، بينما المُتشابه الذي يكون اللفظ فيه متشابهًا والمعنى مختلفًا، ويحتمل تأويله أوجهًا عدة (الهواري، 1990: 267/1؛ الجصاص، 1992: 4-3/2؛ الجوزي، 2002: صفحة 177-179؛ النيسابوري، 1991: 180-179/1؛ البغوي، 1989: صفحة 8-9؛ السمعاني، 1997: صفحة 293-294؛ الواحدي، 1995: صفحة 199؛ الماوردي، [د.ت.]: 370-369/1؛ الثعلبي، 2015: 40-28/8؛ القيسي، 2008: 953-951/2؛ السمرقندي، 1993: 247-245/1؛ الطبري، [د.ت.]: 182-170/6؛ الماتريدي، 2005: 307-303/1).

في هذه الفترة، كانت الدولة الإسلامية تسير بخطى حثيثة نحو التفكك السياسي (هودجسون، 2021: 32-28/2؛ ابن الأثير، 1997: 629-628/8؛ 66-61/99)، فلم تعد ذات نظام حكم مركزي مطلق، وصار يُنظر إلى الخلافة بوصفها إحدى مؤسسات الشريعة، وبدأ التأسيس لنظرية السياسة الشرعية التي كان الماوردي (ت 450 هـ) أول المشتغلين بها، وحاول فيها إضفاء شرعية قانونية على حكم الأمراء، وأعيد صوغ المجتمع الإسلامي، وفق أسس جديدة أكثر مرونة، فانعكس ذلك حرية أكبر على الأفراد، وانفتاحًا، ونضجًا فكريًا، وثقافيًا، بدا ظاهرًا في كثرة المؤلفين، وغزارة مؤلفاتهم. كذلك شهدت هذه الحقبة صعودًا مؤقتًا للمذهب الشيعي، وزيادة في نتائجهم الفكري (هودجسون، 2021: 27/2؛ 54، 83) الذي وصلنا منه (من تلك الحقبة) في موضوع هذه الدراسة كتاب أساس التأويل للعثمان بن حيون التميمي المغربي (ت 363 هـ) الذي عكس تفريق الإسماعيليين المبكر بين التفسير والتأويل، في وقت كانت فيه جميع الفرق الإسلامية تساوي بين اللفظين، فحمل التفسير لديهم دلالة بيان المعنى، في حين تضمن التأويل رأي المؤول فيما يؤوله، مشيرًا بذلك إلى معنى باطن رمزي أو إشاري، وفي هذا يقول: "لا بد لكل محسوس من ظاهر وباطن، فظاهره ما تقع الحواس عليه، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بأنه فيه، وظاهره مشتمل عليه وهو زوجه وقرينه" (المغربي، [د.ت.]: صفحة 28). بذلك كانت الإسماعيلية من أوائل الفرق التي التفتت إلى مسألة الظاهر والباطن في معنى التأويل، وإن أخذت عندهم منحى الرمزية الذي قد يعني عدم حتمية وجود دليل لفظي أو عقلي بين المفردة والرمز الذي تحيل إليه، ويظهر هذا جليًا في التأويلات التي يسوقها الكتاب المشار إليه.

في المقابل، قدم المعتزلة في هذه الحقبة آراء حول الاستدلال العقلي في تفسير الآيات، مهدت الطريق لبورقة فهم جديد لمبحث التأويل، فحين ربط الزمخشري التأويل بالنظر والاستدلال، إنما كان يتمثل مذهبه الاعتزالي في فهم الأدلة، والحكم على تأويلها، وموقفه من صفة الكلام الإلهي، التي هي عندهم صفة فعل لا صفة ذات، ومن ثم موقفهم من مسألة الاصطلاح أو التوقيف في اللغات، فالمواضعة التي هي النظام الرمزي الذي تفهم منه الدلالات اللغوية للألفاظ ليست توقيفية عند المعتزلة، وإنما مصطلح عليها، أي توفيقية أو اتفاقية، وهذه مسألة تخدّمهم في تأويل آيات الصفات بما يتوافق مع مذهبهم في نفي التشبيه، أو تنزيه الله عن مشابهة البشر. ومن جهة أخرى، جعلوا الإشارة الحسية شرطًا في المعرفة الضرورية، ولما كانت الإشارة الحسية لا تجوز على الله، فإذن لا يمكن بحال معرفة قصده، ومؤدى ذلك القول: إن معرفة البشر، أو حتى الملائكة، بقصد الله ليست ضرورية، كما هو الحال بالنسبة إلى معرفة صفاته، وكلاهما "معرفة نظرية كسبية استدلالية" (أبو زيد، الاتجاه العقلي: صفحة 68-74). ثم دمج الرازي (ت 606 هـ)، في مفاتيح الغيب، التفسير مع علم الكلام والفلسفة والمنطق، وكان منهجه في ذلك اللجوء إلى التأويل في حال اقتضى ظاهر النص اللجوء إلى تفسير عقلي أو كلامي أوسع، وبذلك تحول التأويل عنده إلى مناقشة معرفية شاملة، تجمع بين اللغة والعقل والجدل الفلسفي.

إذن، لم يعد التأويل، منذ هذه الحقبة، يشير إلى أحد الأصول اللغوية، ولم يعد محصورًا بدلالات لفظية ضيقة على غرار عاقبة الأمور ومآلاتها، وإنما هو فعل وممارسة عقلية، تشمل النظر والتأمل والتفكير، ثم الفهم والاستيعاب والمقارنة، ثم الاستنباط والاستنتاج، أي أنه صائر رويديًا رويديًا باتجاه نظرية في فهم النص. وبيبلور الرازي هذه الفكرة في ربطه بين "اللفظ المؤول" (يسمى الرازي المعنى المرجوح الذي يمكن أن يُصرف إليه اللفظ "مؤولًا") وأفعال العقل في تعريف المُتشابه والمشكل من الآيات، بقوله: "ويُحتمل أن يُقال إنه [أي المشكل] الذي لا يُعرف أن الحق ثبوته أو عدمه، وكان الحكم بثبوته مساويًا للحكم بعدمه في العقل والدّهن، ومشابهًا له، وغير متميز أحدهما عن الآخر بمزيد رجحان، فلا جزم سمي غير المعلوم مُتشابهًا"، وفي قوله: "وأما المُجمل والمؤول فهما مشتركان في أن دلالة اللفظ عليه غير راجحة، وإن لم يكن راجحًا لكنه غير مرجوح، والمؤول مع أنه غير راجح فهو مرجوح لا بحسب الدليل المنفرد، فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمُتشابه؛ لأن عدم الفهم حاصل في القسمين جميعًا، وقد بينّا أن ذلك يُسمى مُتشابهًا، إما لأن الذي لا يُعلم يكون النفي فيه مُشابهًا للإثبات في الدّهن، وإما لأجل أن الذي يحصل فيه التّشابه يصير غير معلوم" (الرازي، 1981: 181/7). فالتأويل الذي هو صرف المعنى من الراجح إلى المرجوح، أو من الظاهر إلى الباطن، بوجود دليل عقلي منفصل، يقوم أساسًا على اشتغال الدّهن بمحاولة إثبات المعنى أو نفيه، وتوقفه على هذا الاشتغال سببه العجز عن إصدار حكم أولي بأحد الأمرين، ويسبق ذلك اشتغال آخر في التفريق بين المُحكَّم والمُتشابه، إذ لم يُقر المفسرون قواعدًا للتمييز بينهما، ويسبق هذا أيضًا قبول تعدد احتمالات المعنى، بل الإيمان بذلك. وجدير بالذكر هنا، أن الرازي في شرحه المتعلق بالألفاظ المؤولة لم يقل صراحةً أنه يقدم تعريفًا للتأويل، بل كان يفترض أنه جزء من عملية التفسير، وتأكيده ذلك قوله: "واعلم أن التأويل هو التفسير" (الرازي، 1981: 7/189).

والحقيقة أن مسألة المُحكَّم والمُتشابه شكّلت مخرجًا للمفسرين لتقديم فهم ينسجم مع مذاهبهم، فصار كل واحد منهم يدعي أن ما يتوافق مع مذهبه من الآيات مُحكَّم، وما يتوافق مع مذهب خصومه مُتشابه (الرازي، 2011: صفحة 227)، وهذا ما فعله المعتزلة مثلًا حين قرروا أن الآيات التي تتوافق مع آرائهم وأصولهم العقلية المتعلقة بالعدل والتوحيد، آيات مُحكمات يؤخذ بظاهر معناها، في حين وصفوا الآيات المخالفة لوجهة نظرهم مُتشابهات يمكن تأويلها وحملها على غير ظاهرها (أبو

زيد، الاتجاه العقلي، 2014: صفحة 164). وعليه، فإن دلالة اللفظ المؤول تتحدد في نهاية الأمر تبعاً لرأي المؤول ومرجعياته، وهذا يقودنا إلى سؤال المرجعية: ما هي مرجعية المؤول في الكشف عن دلالات مفردات النص وعباراته، أو في رده إلى أحد احتمالاته؟

5. مرجعيات التأويل عند المفسرين

بحسب ريكور، لا يوجد نص بلا مرجعية، فالنصوص ليست معلقة في الفراغ، بل مرتبطة بالعالم الذي توجد فيه (ريكور، 1990: صفحة 68)، ويشمل هذا العالم: لغة النص، والمشكلات التي يعالجها، وأفكار المؤلف، وتصورات القارئ أو المؤول، والحوار بينهما. وهذه الجوانب وغيرها مما مرّ على التأويلية الغربية، جاءت مثيلاتها - أيضاً - في التفسيرات الإسلامية لشروط المفسر، وآداب التفسير (السيوطي، 2001: صفحة 128-131)، وقوانين التأويل، التي نستطيع أن نستخلص منها خمس مرجعيات اعتمدها المفسرون، ووضعوها في اعتباراتهم في أثناء تعاملهم مع النص، هي: أولاً: النص نفسه، ويُعرف بـ "تفسير القرآن بالقرآن"، أي فهم النص بالنص نفسه، ويشمل ذلك شرح المجلد، وتقييد المطلق، وتخصيص العام، وتفسير مفردة بأخرى، أو توضيح دلالات الألفاظ بعد مقاربتها بعضها ببعض. وأهم الفرضيات التي تقوم عليها هذه المرجعية الفرضية القائلة: إن صاحب الكلام أعلم بمقصده (يوسف، 2020: صفحة 38-40). ثانياً: النصوص الأخرى، ويُعرف بتفسير القرآن بالأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين، أو بأقوال أهل البيت أو الأئمة عند من قال بذلك؛ أي فهم النص بنصوص موازية وشارحة، ما يعني التوجه إلى موضوع النص بدلاً من التركيز على مفرداته، والبحث في علاقته مع نصوص أخرى لتحصيل المعنى، واستخراج القواعد والأحكام المتعلقة به. وتنطلق هذه المرجعية من فرضية أولى مفادها وحدة مصدر الأحاديث النبوية والنص القرآني (كلاهما وحي)، وفرضية ثانية مفادها أن الصحابة والتابعين، والأئمة بعدهم، أعلم من غيرهم بحقيقة المعنى الذي جاء به النص، لقرب المسافة الزمنية التي تربطهم به (ابن تيمية، 1972: صفحة 95)، ما يجعلهم أعلم بأحوال نزوله. إلى جانب افتراض سلامة مقصدهم، وحسن فهمهم (يوسف، 2020: صفحة 42-44)، وصلاح أعمالهم، وامتلاكهم علوم اللغة والقرآن والسنة التي تلقوها من النبي (السيوطي، 2001: صفحة 131).

ثالثاً: رأي المؤول، وهو ما يُعرف بـ "التفسير بالرأي" (يفرق بعض المشتغلين في علوم القرآن بين التفسير بالرأي والتأويل، فيحرّمون الأوّل تحريماً مطلقاً، بينما يفصلون في حكم الثاني بين الجواز والمنع، إذ يشترط من يجزونه جملة من الشروط) (السيوطي، التحرير، 2001: صفحة 130-131)، أو الاتجاه العقلي في التفسير، ويعني الأخذ بالاعتبار التوظيفية الدلالية للألفاظ، ثم الأخذ بأرجح هذه الدلالات، لوجود دليل مرجح، وفيه يُشترط أن يكون المؤول عالماً بعلوم اللغة: (النحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبدیع)، إلى جانب علمه بالقراءات، وأصول الدين، وأصول الفقه، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والحديث، وفوقها الموهبة من الله (والمقصود بالموهبة القدرة الطبيعية - غير المكتسبة - التي يمتلكها البعض على فهم مقاصد الكلام)، ومن فسّر برأيه دون تحقّق هذه الشروط صار تفسيره - عند بعضهم - غير مقبول (السيوطي، 2001: صفحة 130-131). ويقدم آخرون على هذه الشروط شرطاً آخر هو امتلاك "القدرة العقلية على معرفة ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه". وقد جعل المعتزلة هذا الشرط مقدّماً على جميع الشروط الأخرى الواجب توفرها في المؤول، لأنه كي يكون عالماً بأصول الفقه الذي سيبنى عليه علمه بأحكام المشرع، وأسبابها التي ستساعده في فهم الدلالة، مع علمه باللغة، لا بدّ له أن يكون عالماً بعقل الله وتوحيده، وما يجب عليه من الصفات، وما يستحيل، وما يُستحسن منه، وما لا يُستحسن أو يقبح (أبو زيد، الاتجاه العقلي، 2014: صفحة 165).

رابعاً: المنطق، وهو مرجعية عند من قال بجوازه من المفسرين، فكما أن النص القرآني لا يصح أن يجاوز قواعد المنطق (السيوطي، 2001: صفحة 129)، كذلك تفسيره يأتي ضمن حدود تلك القواعد. والمنطق كما يعرفه الجرجاني "آلة قانونية تعصم مراعاتها ذهن عن الخطأ في الفكر" (الجرجاني، 2004: صفحة 196). ويظهر القرآن نصاً مراعي المنطق من صور الاستدلال المتضمنة فيه التي تشمل: قياس الإضمار الذي تُحذف فيه إحدى مقدّماته لفظياً، وقياس التمثيل الذي يتجلى في أسلوب طرح الأمثال والمقايضة عليها، وقياس الخلف الذي يتلخص باستخراج الحكم أو النتيجة من نفي نقيضها (الزايدي، 2021: صفحة 111-113).

خامساً: الإشارة والرمز، وهو ما يُعرف بالتفسير الإشاري والتفسير الباطني عند القائلين به، وهذا التفسير لا يلتفت إلى المفردات ولا دلالاتها الظاهرية المتعلقة بها، فهو لا يبحث العلاقة بين اللفظ والمعنى، وإنما العلاقة بين الظاهر (ما تقع عليه الحواس) والباطن (ما يحيط به العلم)، أي أنه يهتم بالإشارة أو الرمز المؤسس على الموروث العرفاني في رؤيته للكون (الطاهري، 2011: صفحة 216-218؛ ابن حيون التميمي، [د.ت.]: صفحة 28). وهذه المرجعية تقوم على فرضية مفادها أن البشر لا يمكنهم الإحاطة بكلام الله الذي يتضمّن مفاهيم وأسراراً ودقائق لا يعلمها إلا من حاز علماً وكشفاً من الله (الماتريدي، 2005: 281/1). وجليّ هنا أن فكرة الباطن المشار إليها في هذه المرجعية، أو هذا الشكل من أشكال التفسير، لا تتفق مع التأويل بما هو عملية بحث في المعنى الباطن أو باطن المعنى، كما بيّن سابقاً، بل لعلهما مسألان متناقضتان، إذ يُسّم التأويل بالافتتاح على احتمالات معاني متعددة قابلة للتوالد، في حين ينعلق الباطن في التفسير الإشاري أو الرمزي على علامات محدّدة، فالاعتقاد بوجود هذه العلامات أو الرموز يُنهى جميع الاحتمالات الممكنة لدلالات المفردة. والواقع أن الباطنية قد انفردوا إلى حد بعيد بهذا النوع من التفسير الذي لا يتفق مع معنى التأويل ودلالاته ومنهجه، وهو أقرب أن يكون

لوثاً من المذهبية في التأويل، بمعنى توظيف التأويل لأغراض مذهبية صريحة، تتعسف في ليّ أعناق التّصوص، وصرفها عن دلالاتها الظاهرة والمجازية، إلى معنى في باطن المؤول واعتقاده.

ولا يخرج المفسرون الذين شملتهم الدراسة في تحديد مرجعياتهم عما سبقت الإشارة إليه، وهم متفقون على غلبتها، لكنهم يختلفون على أولوية تفعيلها بسبب اختلافهم حول مفهوم المحكم والمتشابه من الآيات أولاً، ثم اختلافهم حول فهم العلاقة بين الدال والمدلول وشروط الدلالة الكلامية ثانياً، وذلك بسبب ارتباط هذه المرجعيات بالمذاهب الفكرية التي ينتمي إليها المفسرون، والتي تسهم في بناء أنماط التأويل أو أنساقه عندهم. وبالرجوع إلى بعض المفسرين الذين شملتهم الدراسة، نجد أغلبهم يضع لنفسه قاعدة في تفسير القرآن وبيان المتشابه منه، فنرى مقاتل بن سليمان مثلاً يرجع إلى أشباه المفردة في آيات أخرى، وما فيها من أمثال وفرائض وأحكام وحدود، وأخبار الأولين، ثم أقوال المفسرين السابقين حولها (ابن سليمان، 2002: صفحة 26-27). وهذا ما سلكه ابن أبي زمنين في تفسيره أيضاً، مع عنايته بالمعاني المعجمية، والوجه النحوية للمفردات، والقراءات القرآنية للآيات (ابن أبي زمنين، 2002: صفحة 30-32). في حين ذهب السمرقندي إلى الجمع بين تفسير القرآن بنفسه، وتفسيره بالحديث النبوي، وبأقوال الصحابة والتابعين، وكذلك التفسير بالرأي، شرط أن يكون المفسر عالماً باللغة وأحوال التنزيل (السمرقندي، 1993: صفحة 50-51). وكذلك الماتريدي الذي فسر بعض الآيات بآيات أخرى، وفسرها أحياناً بالأحاديث النبوية، وبأقوال الصحابة والتابعين، لكن العقل كان مرجعته الأكثر حضوراً، إلى جانب اهتمامه الفلسفي (الماتريدي، 2005: صفحة 305-309). أما التستري فالتفت إلى الإشارات والمعاني الباطنية لظاهر الآيات (التستري، 2004: صفحة 77).

وعلى وجه خاص، يظهر النسق العام في تفسير النص القرآني عند الرازي باستعانتها بنصوص أخرى، خاصة أقوال الصحابة والتابعين والرواة والفهاء والمفسرين، وأحياناً الأحاديث النبوية، ويعززه باستشهادات شعرية. كما أنه يُعنى بأسباب النزول، ويهتم بالجانب اللغوي، فيستعين باشتقاقات المفردات للدلالة على معانيها. ثم إنه يقرر خمسين قاعدة في تفسير الألفاظ وفهم معانيها، منها: أن اللفظ الواحد قد يراد به معان متعددة يرتبط بعضها ببعض، وأن الألفاظ تُقسم إلى مُهمل أو معلوم أو مُستعمل، والألفاظ المُستعملة تُقسم إلى "مفرد" لا يدل شيء من أجزائه على شيء من المعاني مطلقاً، و"مركب" لا يدل جزء من أجزائه على شيء من المعاني ما دام جزءاً، أما إذا أضيف جزء إلى آخر صار كل واحد منهما يدل على معنى، وأخيراً "مؤلف" يدل كل جزء من أجزائه على معنى. كما يوضح أن دلالة الألفاظ على مدلولاتها ليست ذاتية حقيقية، وإن حصل اتفاق أن يناسب اللفظ معناه، وهذه الدلالة - أيضاً - لا يمكن الجزم بأنها توقيفية، ولا الجزم بأنها مصطلح عليها، ومن ثم فإن جميع اللغات قد تكون توقيفية أو اصطلاحية، بعضها أو كلها، ودلالات الألفاظ على معانيها "ظنية لأنها موقوفة على نقل اللغات"، وهي تتعلق بما في الأذهان لا الأعيان، أي تتعلق برأي المؤول وفهمه، والمعنى الذي يخفى على جمهور الناس وعمومهم لا يكون مسمى باللفظ المشهور، وأن المعنى ليس اسماً للموجودات والأعيان، وإنما هو اسم لصورة ذهنية لدى المتكلم، والكلام فعل يعرف به الإنسان غيره عما في ضميره (الرازي، 1981: صفحة 22-36). ويتبع الرازي مبحثه هذا المتعلق بالألفاظ ومعانيها، مباحث أخرى تتناول مسائل في الصوت والحروف وأحكامها، وأقسام الاسم وأحكامها، والفعل وإعرابه. ولعل هذا التنوع في المرجعيات، والعناية الخاصة التي أولاها الرازي لعلم المعاني والبيان والبلاغة، وتقعيده لها بالتفصيل المُشار إليه، مع علمه بطرائق المتكلمين، واهتمامه بالاستدلال والاستنباط، وقوله بظاهر المعنى وباطنه، إضافة إلى تحرره الظاهر من الانحيازات المذهبية، هي التي جعلته يسبق غيره من المفسرين في تقديم إضافات تحليلية مهمة في مبحث التأويل، أرست أركان مفهومه، دون الانفصال عن أصله اللغوي الذي يحمل معنى الصيرورة بالانتقال من معنى إلى آخر لم يكن معتبراً ثم صار كذلك بعد الالتفات إليه.

6. الخاتمة والتوصيات

6.1 الخاتمة

للتأويل في الإسلام مساره التاريخي الخاص الذي بدأ بعلاقة ترادفية مع التفسير، ثم تحرر من هذه الثنائية بانتقاله إلى ميدان علم المعاني والاستدلال والاشتغال العقلي، لينتهي إلى صيغة أولية تعرف التأويل بأنه انتقال من المعنى الظاهر إلى معنى باطن، لوجود دليل عقلي يوجبه. وهو مسار قادت إليه بنية النص القرآني التي وضعت مفردة التأويل في سياقات تفيد الصيرورة، ثم ربطته بمعنى المحكم والمتشابه من الآيات. وقد بينت هذه الدراسة أن التأويل في النص القرآني مرّ، خلال الفترة التي تناولتها، بعتبات انتقالية، وضعت علامات فارقة في تحولات مفهومه وتطورات، وهذه خلاصة بأهم ما خرجت به:

أولاً: بالرغم من أن مفسري النص القرآني خلال الفترة الممتدة بين القرنين: الأول والسابع الهجريين، لم يتعاملوا مع التأويل بوصفه علماً مستقلاً، له قواعده وأصوله وحدوده وضوابطه، فإن المفهوم مرّ خلال الفترة التي تغطيها الدراسة بمسار تطوري متصاعد، ففي البداية ظلّ المفسرون ملتزمين ببعض دلالاته اللغوية المعروفة عند العرب قبل الإسلام، أو التي أضافها الإسلام لاحقاً، خاصة التأويل بمعنى الصيرورة والمال أو العاقبة، وبمعنى الكشف والتفسير. ونلاحظ في هذا السياق أن التأويل أخذ مع مقاتل بن سليمان طابع الشرح الروائي، ثم تطور مع الطبري فأخذ شكل التفسير المنهجي الترجيحي، ثم انتقل إلى صورة التعدد الدلالي والتحليل الفقهي - اللغوي مع الماوردي، ثم إلى صورة التأويل البلاغي العميق مع الزمخشري، ثم التأويل العقلي الفلسفي لدى الرازي.

ثانيًا: شكّلت الآية السابعة من سورة آل عمران مفتاحًا لعلم التأويل عند المسلمين، إذ ربطت التأويل بالمتشابه من الآيات، فتطوّر مفهومه عند المفسرين بالتزامن مع تطوّر فهمهم لمعاني المحكم والمتشابه من الآيات، ويلاحظ ذلك بارتباط تلك المعاني بأحكام تتعلق بهذا التصنيف للآيات، فأنحصر معنى المحكمات في الحُقة الأولى بـ: الآيات النَّاسِخَات، وما يُعمل به منهن، أو المفصلات المبيّنات الدالات على الحرام والحلال والثواب والعقاب والوعد والوعيد. أما المتشابهات فعكس ذلك: المنسوخات اللاتي لا يُعمل بهنّ، باستثناء الإضافة التي قدّمها الطبري حول معنى المتشابه التي قال فيها: إنّ المتشابهات مُتشابهاتٌ في التلاوة، مُختلفاتٌ في المعنى. ثمّ بدأ المفسرون بعد ذلك يقدّمون معاني مختلفة لهما، فالمحكم - كما يذكر الجصاص - هو الذي "يردّ إليه المتشابه ويُحمل على معناه"، و"ما لا يحمل إلّا معنى واحدًا"، وسُمّي مُحكمًا؛ لأنّ دلالاته واضحة، أمّا المتشابه فهو "ما يحمل معنيين"، وسُمّي متشابهًا؛ لأنّه "أشبه المحكم من وجه، واحتمل معناه معنى المحكم" (الجصاص، 1335هـ: 2/3)، أو هو كما يذكر السمرقندي: "الذي يكون اللفظ يشبه اللفظ والمعنى مختلف" (السمرقندي، 1993: 1/246)، أو هما كما يذكر الماوردي: "المحكم ما لم يحتمل من التأويل إلّا وجهًا، والمتشابه ما احتمل أوجهًا"، والمحكم ما قام بنفسه، ولم يحتج إلى استدلال"، و"ما كانت معاني أحكامه معقولة"، والمتشابه "ما كانت معاني أحكامه غير معقولة" (الماوردي، [د.ت.].، صفحة 369-370). وهذا التطوّر في المعنى يشمل مفسرين آخرين غير الذين تناولتهم الدراسة.

ثالثًا: انعكست انتماءات المفسرين المذهبية، ومرجعياتهم التي اعتمدها في أنساقهم في التعامل مع النصّ القرآني، على تمييزهم الآيات المحكمات من المتشابهات في النصّ القرآني، ومن ثمّ تأويلها بما يتماشى مع تلك المذاهب. وفي هذا السياق، يظهر أن المعتزلة قد سبقوا غيرهم من الفرق الإسلامية إلى فتح باب التأويل، بتقديمهم العقل مصدرًا من مصادر المعرفة، واعتبارهم الاستدلال سبيلًا لفهم النصّ القرآني، بما يتماشى مع عقيدتهم في نفي التشبيه، فكانوا بذلك روادًا في هذا المجال، إذ لم يكن التأويل ليخرج من إطار دلالاته اللغوية التي حُصر بها دون الالتفات إلى دور الاستدلال العقلي في فهم دلالة النصّ.

رابعًا: استخلصت الدراسة خمس مرجعيّات أو منطلقات اعتمدها المفسرون في فهمهم النصّ القرآني، مع اختلافهم في بعضها، وهي: النصّ القرآني نفسه، والنصوص الشارحة له، ورأي المؤلّ، والمنطق، والرمز. وقد كان لهذه المرجعيّات دور بارز في تحديد ممارستهم التأويلية للنصّ القرآني، بناءً على فهمهم لمعنى التأويل وأصوله وضوابطه.

6.2 التوصيات

1. توصلت الدراسة إلى أنّ التأويل عند مفسرين النصّ القرآني بات، مع نهاية القرن السادس الهجري، على عتبة تشكيل مفهوم يعكس منهجيّة لها مسارها المستقل، لذا فإنّها توصي بتتبع تطوّر المفهوم وصولاً إلى التأويلية المعاصرة، واستكشاف اللحظة التي تقاطع فيها التأويل العربي الإسلامي مع التأويلية الغربية.
2. تطرّقت الدراسة - دون توسّع - إلى مذهب المفسرين من المعتزلة في كلام الله وصفته، وموقفهم من تأويله، وإمكان معرفة البشر قصده، وهذه مسألة جوهرية تحتاج إلى مزيد من البحث، لذا فإنّها توصي بتوسيع البحث في العلاقة بين مقصد الله والمعاني التي يريدّها في نصّه من جهة، والقيود التي تحكم الفهم الإنساني لها من جهة أخرى.

7. المصادر والمراجع

7.1 المراجع العربية

- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب. [د.ت.]. *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز. ج 1. [مكة]: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- الأصفهاني، محمد علي الرضائي. (2008). *مناهج التفسير واتجاهاته: دراسة مقارنة في مناهج تفسير القرآن الكريم*. ترجمة قاسم البيضاني. بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
- الباتلي، خالد بن عبد العزيز. (2011). *التفسير النبوي: مقدمة تأصيلية معد دراسة حديثة لأحاديث التفسير النبوي الصريح*. الرياض: دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (1989). *تفسير البغوي: معالم التنزيل*. تحقيق النمر، محمد عبد الله وضميرية، عثمان جمعة والحشر، ليتمان مسلم. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- بني حمدان، محمود عبد الغفار. (2014). *التأويل عند الفرق الإسلامية الغالية: دراسة تحليلية نقدية*. (رسالة دكتوراة). كلية الدراسات العليا، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.
- بني ياسين، ضرار. (2016). التأويل على مقتضى القياس البرهاني: دراسة في النظرية التأويلية عند ابن رشد. *Journal of Social Sciences (CES & RJ-JSS)*. 5. (3).
- بومهدي، زينب. (2022). إشكالية تأويل النص الديني في الفكر الإسلامي: المعتزلة أنموذجًا. *مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية*. (1).
- التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس. (2004). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد علي. القاهرة: دار الحرم للتراث.
- التيمني، أبو عبيدة معمر بن المثنى. (1954). *مجاز القرآن*. تحقيق محمد فواد سزكين. ج 1. مصر: محمد سامي أمين الخانجي.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. (1408 هـ). *التفسير الكبير*. تحقيق عبد الرحمن عميرة. ج 2. بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. (1972). *مقدمة في أصول التفسير*. تحقيق عدنان زرزور. دمشق: [د.ن.].
- الثامر، قدور أحمد. (2001). موقف المتكلمين من التأويل في الفكر الإسلامي. (أطروحة دكتوراه). كلية الآداب، جامعة بغداد.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم. (2015). *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*. تحقيق عبد الله بن جمعة أبو طعيمة. مج 8. جدة: دار التفسير.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم. (2002). *الكشف والبيان: المعروف تفسير الثعلبي*. دراسة وتحقيق أبو أحمد بن عاشور. ج 1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الجبوري، محمد عباس. (2008). *تأويل المتشابه عند المفسرين* (أطروحة دكتوراه). كلية الفقه، جامعة الكوفة.
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف. (2004). *معجم التعريفات*. تحقيق محمد صديق المنشاوي. القاهرة: دار الفضيلة.
- الجصاص، أبو البكر أحمد بن علي. (1335هـ). *أحكام القرآن*. ج 2. [د.م.]: مطبعة الأوقاف الإسلامية.
- الجصاص، أبو البكر أحمد بن علي. (1992). *أحكام القرآن*. تحقيق محمد الصادق قمحاوي. ج 1. بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (1954). *المنصف: شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري*. تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين. ج 1، ط 1. وزارة المعارف والعلوم، دار إحياء التراث القديم.
- الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي. (2002). *زاد المسير في علم التفسير*. بيروت: دار ابن حزم.
- الجوهري، أبو النصر إسماعيل. (2009). *الصاحح: تاج اللغة وصحاح العربية مرتب ترتيباً ألفبائياً وفق أوائل الحروف*. القاهرة: دار الحديث.
- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس. (1997). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق أسعد محمد الطيب. مكة/ الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- ابن حيّون التميمي، النعمان. [د.ت.]. *كتاب أساس التأويل*. تحقيق عارف تامر. بيروت: منشورات دار الثقافة.
- خلفيات، سحبان. (2004). *منهج التحليل اللغوي – المنطقي في الفكر العربي الإسلامي: النظرية والتطبيق*. ج 1. عمان: منشورات الجامعة الأردنية – عمادة البحث العلمي.
- الذهبي، محمد حسين. (2000). *التفسير والمفسرون*. ج 1. القاهرة: مكتبة وهبة.
- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر. (2011). *تأسيس التقديس*. بيروت: دار نور الصباح.
- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر. (1981). *تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب*. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر. (1308هـ). *تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب*. مصر: المطبعة الخيرية.
- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد. (1999). *فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال*. دراسة وتحقيق محمد عمارة. ط 3. القاهرة: دار المعارف.
- رضا، محمد رشيد. (1972). *تفسير المنار*. ج 3. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ريكور، بول. ما هو النص. (1990). ترجمة عبد الله عازار. مجلة العرب والفكر العالمي. (12).
- زروخي، الدراجي وأحمد الزايدي. (2021). *الجدل والبرهان المنطقي في القرآن الكريم*. مجلة الإناسة وعلوم المجتمع. (9).
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد. (1998). *أساس البلاغة*. تحقيق محمد باسل عيون السود. ج 1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد. (1998). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. الرياض: مكتبة العبيكان.
- ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. (2002). *تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين*. تحقيق أبو عبد الله بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز. القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
- زيد بن علي بن الحسين. (1376هـ). *تفسير غريب القرآن*. تحقيق محمد جواد الحسيني الجلاي. قم: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي.
- أبو زيد، نصر حامد. (2014). *الاتجاه العقلي في التفسير: دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي؛ الرباط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
- أبو زيد، نصر حامد. (2014). *الخطاب والتأويل*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي؛ بيروت: مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
- أبو زيد، نصر حامد. (2003). *فلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند ابن عربي*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي؛ بيروت: مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
- السبكي، محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف. [د.ت.]. *المختار من صحاح اللغة*. القاهرة، مطبعة الاستقامة.
- سرحان، هيثم محمد. (2002). *التأويل الدلالي عند المعتزلة*. (رسالة ماجستير). كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.
- ابن سلام، يحيى. (2004). *تفسير يحيى بن سلام*. تحقيق هند شلبي، ج 1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن سليمان، مقاتل. (2002). *تفسير مقاتل بن سليمان*. تحقيق عبد الله محمود شحادة. ج 1. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. (1993). *تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم*. تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النوتي، ج 1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي. (1997). *تفسير القرآن*. تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم. الرياض: دار الوطن.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (2008). *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق شعيب الأرنؤوط. دمشق/ بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (2001). *التحبير في علم التفسير*. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- شقيير، محمد. (2023). *نظرية في التأويل: قراءة جديدة في مشروع أبي حامد الغزالي*. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- شليبي، محمد. (2020). *ظاهر التأويل بين جمهور المفسرين وأصحاب التأويل الغربي (الهيرمنوطيقا): دراسة تأصيلية نقدية*. حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا. (12).
- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام. (1999). *تفسير عبد الرزاق*. تحقيق محمود محمد عده. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الطاهري، محمد الهادي. (2011). *عقائد الباطنية في الإمامة والفقهاء والتأويل عند القاضي النعمان*. بيروت: الانتشار العربي.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. [د. ت.]. *تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق محمود محمد شاکر ومراجعة أحمد محمد شاکر. مصر: دار المعارف.
- ابن عباد، إسماعيل. (1994). *المحيط في اللغة*. تحقيق محمد حسن آل ياسين. ج 10. بيروت: عالم الكتب.
- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق. (2001). *تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن أبي عمه، أبو محمد السيد إبراهيم. (1990). *الصحيح المسند من التفسير النبوي للقرآن الكريم*. طنطا: دار الصحابة للتراث.
- الغزالي، أبو حامد. (1940). *قانون التأويل*. تحقيق محمد زاهد الكوثري. القاهرة: مطبعة الأنوار.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين. (1979). *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ج 1. [د. م.]: دار الفكر.
- الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد. (1955). *معاني القرآن*. تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار. ج 1. [القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية].
- الفرايدي، الخليل بن أحمد. (2003). *كتاب العين (مرتباً على حروف المعجم)*. ترتيب وتحقيق عبد الحميد هندواي. ج 1. بيروت، دار الكتب العلمية.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (2008). *القاموس المحيط (مرتباً ترتيباً ألفبائياً وفق أوائل الحروف)*. تعليقات أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي. القاهرة، دار الحديث.
- قرفي، عمار. (2014). *التأويل عند المفسرين القدامى*. مجلة التواصل. (37).
- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب. (2008). *الهداية إلى بلوغ النهاية*. مج 2. الشارقة: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة.
- الماتريدي، أبو المنصور محمد بن محمد بن محمود. (2005). *تأويلات أهل السنة: تفسير الماتريدي*. تحقيق مجدي باسلوم. ج 1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الموردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب. [د. ت.]. *النكت والعيون في تفسير الماوردي*. مراجعة وتعليق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. ج 1. بيروت: دار الكتب العلمية؛ مؤسسة الكتب الثقافية.
- المطلبي، محمد بن إسحاق. (1978). *كتاب السير والمغازي*. تحقيق سهيل زكار. ط 1. [د. م.]: دار الفكر.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم. (1989). ج 1. مصر: مجمع اللغة العربية – الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث.
- ابن المنذر النيسابوري، أبو بكر محمد بن إبراهيم. (2002). *كتاب تفسير القرآن*. تحقيق سعد بن محمد السعد. المدينة المنورة: دار المآثر.
- المقابلة، كمال. (2009). *أثر الدلالة اللغوية في التأويل عند المفسرين*. المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية. 5 (3).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم. (2003). *لسان العرب*. مج 1، ط 2. بيروت، دار صادر.
- الموسوعة الفلسفية العربية. (1986). *معن زيادة (رئيس التحرير)*. مج 1. [د. م.]: معهد الإنماء العربي.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. (2001). *كتاب السنن الكبرى*. تحقيق حسن عبد المنعم شليبي. بيروت: مؤسسة الرسالة، نسخة المكتبة الشاملة، شوه في 2024/3/21، في: <https://2u.pw/VNhwie5w>.
- النبيدي، محمد خليل الخطيب. (1950). *غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب*. طنطا: مطبعة الشعراوي.
- النيسابوري، الحسن بن محمد القمي. (1996). *غرائب القرآن و رغائب الفرقان*. مج 2. بيروت: دار الكتب العلمية.
- النيسابوري، محمود بن أبي الحسن. (1991). *إيجاز البيان عن معاني القرآن*. تحقيق حنيف بن حسن القاسمي، مج 1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- الهواري، هود بن محكم. (1990). *تفسير كتاب الله العزيز*. تحقيق بالحاج بن سعيد شريفي. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- هودجسون، مارشال. (2021). *مغامرة الإسلام: الضمير والتاريخ في حضارة عالمية*. ترجمة أسامة غاوجي. ج 1. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد. (1995). *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق صفوت عدنان داوودي. بيروت: الدار الشامية؛ دمشق: دار القلم.
- يوسف، عبد السلام. (2020). *علم التفسير: تاريخه أصوله مناهجه*. إسطنبول: سونكاغ للنشر والطباعة.

7.2 رومنة المراجع العربية

- Abu Zaid, Nasr Hamid. (2003). *The Philosophy of Interpretation: A Study of Qur'anic Interpretation According to Ibn Arabi (in Arabic)*. Casablanca: Arab Cultural Center; Beirut: Mominoun Without Borders Foundation.
- Abu Zaid, Nasr Hamid. (2014). *Discourse and Interpretation (in Arabic)*. Casablanca: Arab Cultural Center; Beirut: Mominoun Without Borders Foundation.

- Abu Zaid, Nasr Hamid. (2014). Rational Trend in Interpretation: A Study of the Issue of Metaphor in the Qur'an According to the Mu'tazila (in Arabic). Casablanca: Arab Cultural Center; Rabat: Mominoun Without Borders Foundation.
- Al-Baghawi, Abu Muhammad al-Husayn bin Mas'ud. (1989). Tafsir al-Baghawi: Ma'alim al-Tanzil (in Arabic). Edited by al-Nimr, Muhammad Abdullah, Damiriyah, Othman Juma & al-Harsh, Liman Muslim. Riyadh: Dar Tayyiba for Publishing and Distribution.
- Al-Batli, Khalid bin Abdul Aziz. (2011). Prophetic Interpretation: A Foundational Introduction and a Hadith Study of Explicit Prophetic Interpretation Hadiths (in Arabic). Riyadh: Dar Kunooz Ishbiliya for Publishing and Distribution.
- Al-Dhahabi, Muhammad Husayn. (2000). Al-Tafsir wa al-Mufasssirun (in Arabic). vol. 1. Cairo: Wahba Library.
- Al-Farahidi, al-Khalil bin Ahmad. (2003). Kitab al-Ayn (arranged alphabetically) (in Arabic). Arranged and edited by Abd al-Hamid Hindawi. vol. 1. Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah.
- Al-Farra, Abu Zakariya Yahya bin Ziyad. (1955). Ma'ani al-Qur'an (in Arabic). Edited by Ahmad Yusuf Najati & Muhammad Ali al-Najjar. vol. 1. [Cairo: Dar al-Kotob al-Misriyya].
- Al-Fayruzabadi, Majd al-Din Muhammad bin Yaqoub. (2008). Al-Qamus al-Muhit (arranged alphabetically) (in Arabic). Commentary by Abu al-Wafa Nasr al-Hawrini al-Misri al-Shafi'i. Cairo: Dar al-Hadith.
- Al-Ghazali, Abu Hamid. (1940). Qanun al-Ta'wil (in Arabic). Edited by Muhammad Zahid al-Kawthari. Cairo: Al Anwar Press.
- Al-Hawari, Hud bin Muhkam. (1990). Tafsir Kitab Allah al-Aziz (in Arabic). Edited by Balhaj bin Saeid Sharifi. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.
- Al-Isfahani, Abu al-Qasim al-Hussein bin Muhammad, al-Raghib. [n. d.]. Vocabulary of the Strange Words of the Qur'an (in Arabic). Edited by the Center for Studies and Research at the Nizar Mustafa al-Baz Library. vol. 1. [Mecca]: Nizar Mustafa al-Baz Library
- Al-Isfahani, Muhammad Ali Al-Rida'i. (2008). The explanations Methods and Approaches: A comparing Study on Quran Explanation (in Arabic). Translated by Qasim Al-Baydani. Beirut: Center of civilization for the development of islamic thought.
- Al-Jassas, Abu al-Bakr Ahmad bin Ali. (1335 AH). Ahkam al-Qur'an (in Arabic). vol. 2. [n.p.]: Islamic Endowments Press.
- Al-Jassas, Abu al-Bakr Ahmad bin Ali. (1992). Ahkam al-Qur'an (in Arabic). Edited by Muhammad al-Sadiq Qamhawi. vol. 1. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi & al-Tarikh al-'Arabi foundation.
- Al-Jawhari, Abu al-Nasr Ismael. (2009). Al-Sihah: Taj al-Lughah wa Sihah al-arabiyyah, (arranged alphabetically according to the first letters) (in Arabic). Cairo: Dar al-Hadith.
- Al-Jawzi, Abu al-Faraj Jamal al-Din Abd al-Rahman bin Ali. (2002). Zad al-Masir fi Ilm al-Tafsir (in Arabic). Beirut: Dar Ibn Hazm.
- Al-Jubouri, Muhammad Abbas. (2008). Interpretation of Ambiguous Verses among Commentators (in Arabic). (Phd dissertation). College of Jurisprudence, University of Kufa.
- Al-Jurjani, Ali bin Muhammad al-Sharif. (2004). Mu'jam al-Ta'rifat (in Arabic). Edited by Muhammad Siddiq al-Minshawi. Cairo: Dar al-Fadila.
- Al-Maturidi, Abu al-Mansur Muhammad bin Muhammad bin Mahmud. (2005). Ta'wilat Ahl al-Sunnah: Tafsir al-Maturidi (in Arabic). Edited by Majdi Baslum. vol. 1. Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah.
- Al-Mawardi, Abu al-Hasan Ali bin Muhammad bin Habib. [n.d.]. Al-Nukat wa al-Oyun fi Tafsir al-Mawardi (in Arabic). Reviewed by al-Sayyid bin Abd al-Maksud ibn Abd al-Rahim. vol. 1. Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah; Cultural Books Foundation.
- Al-Muqabala, Kamal. (2009). The impact of linguistic Meaning on Interpretation Among Commentators (in Arabic). Jordan Journal of Islamic Studies. 5 (3).
- Al-Mutalibi, Muhammad bin Ishaq. (1978). Kitab al-Siyar wa al-Maghazi (in Arabic). Edited by Suhayl Zakkar. 1st ed. [n.p.]: Dar al-Fikr.
- Al-Nasa'i, Abu Abd al-Rahman Ahmad bin Shu'ayb. (2001). Kitab al-Sunan al-Kubra (in Arabic). Edited by Hasan Abd al-Mun'im Shalabi. Beirut: al-Risalah Foundation, copy of al-Maktabah al-Shamila, accessed 21/3/2024, at: <https://2u.pw/VNhwie5w>.
- Al-Nidi, Muhammad Khalil al-Khatib. (1950). Ghayat al-Matalib fi Sharh Diwan Abi Talib (in Arabic). Tanta: al-Sha'rawi Press.

- Al-Nisaburi, al-Hasan bin Muhammad al-Qummi. (1996). Ghara'ib al-Qur'an wa Ragha'ib al-Furqan (in Arabic). vol. 2. Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah.
- Al-Nisaburi, Mahmud bin Abi al-Hasan. (1991). Ijaz al-Bayan an Ma'ani al-Qur'an (in Arabic). Edited by Hanif bin Hasan al-Qasimi. vol. 1. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.
- Al-Qaysi, Abu Muhammad Makki bin Abi Talib. (2008). Al-Hidayah ela Bulugh al-Nihayah (in Arabic). vol. 2. Sharjah: College of Graduate Studies and Scientific Research – University of Sharjah.
- Al-Razi, Fakhr al-Din Abu Abd Allah Muhammad ibn Omar. (1981). al-Tafsir al-Kabir wa Mafatih al-Ghayb (in Arabic). Beirut: Dar al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution.
- Al-Razi, Fakhr al-Din Abu Abd Allah Muhammad bin Omar. (2011). Ta'sis al-Taqqis (in Arabic). Beirut: Dar Nour al-Sabah.
- Al-Razi, Fakhr al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Omar. (1308 AH). Al-Tafsir al-Kabir and Mafatih al-Ghayb (in Arabic). Egypt: Al-Matba'ah al-Khayriyyah.
- Al-Sam'ani, Abu al-Muzaffar Mansur bin Muhammad bin Abd al-Jabbar al-Tamimi. (1997). Tafsir al-Qur'an (in Arabic). Edited by Abu Tamim Yasir bin Ibrahim. Riyadh: Dar al-Watan.
- Al-Samarqandi, Abu al-Layth Nasr bin Muhammad bin Ahmad bin Ibrahim. (1993). Tafsir al-Samarqandi (Bahr al-eulum) (in Arabic). Edited by Ali Muhammad Muawwad, Adil Ahmad Abd al-Mawjud & Zakariya Abd al-Majid al-Nuti, vol. 1. Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah.
- Al-San'ani, Abd al-Razzaq bin Hammam. (1999). Tafsir Abd al-Razzaq (in Arabic). Edited by Mahmoud Muhammad Abduh. Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah.
- Al-Subki, Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid & Muhammad Abd al-Latif. [n.d.]. almukhtar min sihah allugha (in Arabic). Cairo: Al-Istiqamah Press.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr. (2001). Al-Tahbir fi Eilm al-Tafsir (in Arabic). Beirut: Dar al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr. (2008). Al-Itqan fi Ulu al-Qur'an (in Arabic). Edited by Shu'ayb al-Arna'ut. Damascus/Beirut: Al-Risalah Publishers.
- Al-Tabari, Abu Ja'far Muhammad bin Jarir. [n.d.]. Tafsir al-Tabari: Jami' al-Bayan an Ta'wil Ayi al-Qur'an (in Arabic). Edited by Mahmud Muhammad Shakir. reviewed by Ahmad Muhammad Shakir. Egypt: Dar al-Ma'arif.
- Al-Taheri, Muhammad al-Hadi. (2011). The Esoteric Beliefs in the Imamate - Jurisprudence and Interpretation According to Al-Qadi Al-Nu'man (in Arabic). Beirut: Arab Diffusion Company.
- Al-Taymi, Abu Ubaidah Ma'mar bin al-Muthanna. (1954). Majaz al-Qur'an (in Arabic). Edited by Muhammad Fuad Sezgin. vol. 1. Egypt: Muhammad Sami Amin al-Khanji.
- Al-Tha'labi, Abu Ishaq Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim. (2002). Al-Kashf wa al-Bayan (in Arabic). Edited by Abu Ahmad bin Ashur. vol. 1. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Al-Tha'labi, Abu Ishaq Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim. (2015). Al-Kashf wa al-Bayan an Tafsir al-Qur'an (in Arabic). Edited by Abdullah bin Juma Abu Ta'ima. vol. 8. Jeddah: Dar al-Tafsir.
- Al-Thamer, Qaddour Ahmed. (2001). The Position of Theologians on Hermeneutics in Islamic Thought (in Arabic). (Phd dissertation). College of Arts, University of Baghdad.
- Al-Wahidi, Abu al-Hasan Ali bin Ahmad. (1995). Al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-Aziz (in Arabic). Edited by Safwat Adnan Dawoudi. Beirut: Dar al-Shamiyya; Damascus: Dar al-Qalam.
- Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Jar Allah Mahmoud bin Omar bin Ahmad. (1998). Asas al-Balaghah (in Arabic). Edited by Muhammad Basil Euyun al-Suwd. vol. 1. Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah.
- Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Jar Allah Mahmoud bin Omar bin Ahmad. (1998). Al-Kashshaf an Haqayiq Ghawamid al-Tanzil wa Euyun al-Aqawil fi Wujuh al-Ta'wil (in Arabic). Edited by Adil Ahmad Abd al-Mawjud & Ali Muhammad Mu'awwad. Riyadh: Maktabat al-eabaikan.
- Bani Hamdan, Mahmoud Abdel Ghaffar. (2014). The interpretation in the extremist Islamic Sects: An Analytical Critical Study (in Arabic). (Phd dissertation). College of Graduate Studies, World Islamic Sciences and Education University.
- Bani Yassin, Derar. (2016). Hermeneutics according to Predicate Inference :A study in Averroes Hermeneutic Theory of Ibn Rushd (in Arabic). Journal of Social Sciences (CES & RJ-JSS). 5 (3).
- Boumeihdi, Zeinab. (2022). The Problem of Interpreting Religious Texts in Islamic Thought: The Mu'tazila as a Model (in Arabic). Al-Hikma Journal for Philosophical Studies. (1).

- Hodgson, Marshall. (2021). The venture of Islam: Conscience and History in a world Civilization. Translated by Osama Ghawji (in Arabic). vol. 1. Beirut: Arab Network for Research and Publishing.
- Ibn Abbad, Ismael. (1994). Al-Muhit fi al-Lughah (in Arabic). Edited by Muhammad Hasan Al Yasin. vol. 10. Beirut: Alam al-Kotob.
- Ibn Abi Ammu, Abu Muhammad al-Sayyid Ibrahim. (1990). Al-Sahih al-Musnad min al-Tafsir al-Nabawi le al-Qur'an al-Karim (in Arabic). Tanta: Dar al-Sahaba le al-Turath.
- Ibn Abi Hatim, Abd al-Rahman bin Muhammad bin Idris. (1997). Tafsir al-Qur'an al-Azim (in Arabic). Edited by As'ad Muhammad al-Tayyib. Mecca/Riyadh: Nizar Mustafa al-Baz Library.
- Ibn Abi Zamanin, Abu Abd Allah Muhammad bin Abd Allah. (2002). Tafsir al-Qur'an al-Aziz (in Arabic). Edited by Abu Abd Allah bin Okasha & Muhammad bin Mustafa al-Kanz. Cairo: Al-Farouk Modern Printing & Publishing.
- Ibn al-Mundhir al-Naysaburi, Abu Bakr Muhammad bin Ibrahim. (2002). Kitab Tafsir al-Qur'an (in Arabic). Edited by Sa'd bin Muhammad al-Sa'd. Medina: Dar al-Ma'athir.
- Ibn Atiyyah al-Andalusi, Abu Muhammad Abd al-Haqq. (2001). Tafsir Ibn Atiyyah: Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-Aziz (in Arabic). Edited by Abd al-Salam Abd al-Shafi' Muhammad. Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah.
- Ibn Faris, Ahmad bin Faris bin Zakariya Abu al-Hussein. (1979). Mu'jam Maqayis al-Lughah (in Arabic). Edited by Abd al-Salam Muhammad Harun. vol. 1. [n.p.]: Dar al-Fikr.
- Ibn Hayyun al-Tamimi, al-Nu'man. [n.d.]. Kitab Asas al-Ta'wil (in Arabic). Edited by Arif Tamer. Beirut: Dar al-Thaqafa Publications.
- Ibn Jinni, Abu al-Fath Othman. (1954). Al-Munsif: The Commentary of Imam Abu al-Fath Othman bin Jinni al-Nahwi on Kitab al-Tasrif by Imam Abu Othman al-Mazini al-Nahwi al-Basri (in Arabic). Edited by Ibrahim Mustafa & Abd Allah Amin. vol. 1, 1st ed. Ministry of Education and Science, Dar Ihya' al-Turath al-Qadim.
- Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din bin Mukarram. (2003). Lisan al-Arab (in Arabic). vol. 1. 2nd ed. Beirut: Dar Sader.
- Ibn Rushd, Abu al-Walid Muhammad bin Ahmad. (1999). Fasl al-Maqal fima bayn al-Hikmah wa al-Shari'ah min al-Ittisal (in Arabic). Study and verification by Muhammad Amara. 3rd ed. Cairo: Dar al-Ma'arif.
- Ibn Sallam, Yahya. (2004). Tafsir Yahya bin Sallam (in Arabic). Edited by Hind Shalabi, vol. 1. Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah.
- Ibn Sulayman, Muqatil. (2002). Tafsir Muqatil bin Sulayman (in Arabic). Edited by Abdullah Mahmoud Shahada. vol. 1. Beirut: al-Tarikh al-Arabi foundation.
- Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Ahmad bin Abd al-Halim. (1408 AH). Al-Tafsir al-Kabir (in Arabic). Edited by Abd al-Rahman Umayrah. vol. 2. Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyyah.
- Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Ahmad bin Abd al-Halim. (1972). Introduction to the Principles of Interpretation (in Arabic). Edited by Adnan Zarzur. Damascus: [n.p.].
- Khalifat, Sahban. (2004). The Logical and Linguistic Methodology in the Arab Islamic Thought (Theory and Application) (in Arabic). vol. 1. Amman: Publications of the University of Jordan - Deanship of Scientific Research.
- Mu'jam Alfaz al-Qur'an al-Karim (in Arabic). (1989). vol. 1. Egypt: The Arabic Language Academy – General Administration for Dictionaries and Heritage Revival.
- Qarfi, Ammar. (2014). Interpretation among the Ancient Commentators (in Arabic). Al-Tawasul Journal. (37).
- Ricoeur, Paul. What is a Text (in Arabic). (1990). Translated by Abdullah Azar. Al-Arab wa al-Fikr al-Alami Journal. (12).
- Rida, Muhammad Rashid. (1972). Tafsir al-Manar (in Arabic). vol. 3. Cairo: The Egyptian General Book Organization.
- Sarhan, Haitham Muhammad. (2002). Semantic Interpretation According to the Mu'tazila (in Arabic). (Master's Thesis). Faculty of Graduate Studies, University of Jordan.
- Shalabi, Muhammad. (2020). The Ostensible Meaning of the Holy Qur'an among the Audience of Islamic Interpreters and Western Interpreters: Theoretical and Practical study (in Arabic). Annals of the Faculty of Fundamentals of Religion and Islamic Da'wah in Tanta. (12).

- Shuqair, Muhammad. (2023). An Interpretation Theory: A New Reading in the Thought of Abu Hamid al-Ghazali (in Arabic). Doha/Beirut: The Arab Center for Research and Policy Studies.
- The Arabic Philosophical Encyclopedia (in Arabic). (1986). Ma'n Ziyadah (ed). vol. 1. [n.p.]: Arab Development Institute.
- Youssef, Abd al-Salam. (2020). The Science of Exegesis: Its History, Principles, and Methods (in Arabic). Istanbul: Sonkağ Publishing and Printing.
- Zaid bin Ali bin al-Hussein. (1376 AH). Tafsir Gharib al-Qur'an (in Arabic). Edited by Muhammad Jawad al-Husseini al-Jalali. Qom: Matba'at Maktab al-I'lam al-Islami.
- Zarroukhi, al-Daraji & Ahmad al-Zaidi. (2021). Dialectic and Logical Proof in the Holy Qur'an (in Arabic). Journal of Anthropology and Social Sciences. (9).

Genealogy of Interpretation among the Interpreters of the Qur'anic Text between the 1st and 7th Hijri Centuries

Mona Awadallah¹, Darrar Bani Yassin²

^{1,2} Department of Philosophy, Faculty of Arts, University of Jordan

Corresponding Author: mna9180456@ju.edu.jo

Received: 27/10/2025. Revised: 3/2/2026. Accepted: 11/6/2026. DIO:

Abstract

The study investigated the semantic meaning of the concept of *ta'wīl* (Interpretation) and the cognitive structure of the concept within the intellectual context of the Muslim thought with particular attention to the relevant developmental. The focus was on the Qur'anic interpretation as articulated by the Muslim interpreters between the 1st and 7th Hijri Centuries. The study proceeded by examining the semantic fields of the term as it appears in the Qur'anic text in seventeen occurrences, namely Verses: 7 of Āl 'Imrān (twice), 59 of al-Nisā', 53 of al-A'rāf (twice), 78 and 82 of al-Kahf, 35 of al-Isrā', 6, 21, 36, 37, 44, 45, 100, and 101 of Yūsuf, and 39 of Yūnus. The study adopted a genealogical methodology, which used the semantic and cognitive frameworks.

Accordingly, the study was divided into three main sections: The first addressed the relationship between *ta'wīl* and *tafsīr*; the second traced of the concept of *ta'wīl* during the period covered by the study; the final section examined the referential frameworks upon which Qur'anic interpreters relied in their understanding of the semantic possibilities and interpretive horizons of the Qur'anic text.

Keywords: interpretation, interpreters, historical development.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY

مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

محل

المسؤولية الجنائية عن الجرائم المرتكبة في إطار استخدام الذكاء الاصطناعي

"الإشكاليات المعاصرة والآفاق المستقبلية"

محمد بدوسي

كلية القانون، جامعة الاستقلال، فلسطين

الباحث المراسل: ma_badousi@pass.ps

Received: 22/5/2025. Revised: 29/1/2026. Accepted: 11/6/2026. Published: 30/06/2026
DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.13

الملخص

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف إلى ماهية الذكاء الاصطناعي، والتميز بين قدراته والذكاء الإنساني، ومدى إمكانية الاعتراف به محلاً للمسؤولية الجزائية بصورتها التقليدية الموجودة حالياً في القانون الجنائي، والبحث في بعض الإشكاليات الناجمة عن الاستخدامات السلبية له على صعيد القانون الجنائي، وكذلك التعرف إلى الجرائم التي قد تقع منه، وإيضاح نطاق المسؤولية الجنائية عنها، وطبيعة الجزاء الذي يتناسب وخصوصية هذه الجرائم، فاعتمدت الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي لجمع المعلومات من مصادر مختلفة، وتحليل العناصر التي تقوم عليها المسؤولية الجزائية، ووصف واقع هذه المشكلة بأبعادها المختلفة على الصعيد القانوني والفقه، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أبرزها: أن فهم قدرات الذكاء الاصطناعي يشكل مسألة هامة في تحديد مكانته بوصفه موضوعاً للمسؤولية الجنائية، كما أن إخضاع جرائم الذكاء الاصطناعي للمسؤولية الجنائية المباشرة بأحكامها التقليدية، تعد في الوقت الحالي فكرة غير قابلة للتطبيق؛ وذلك لارتباطها بعدد من النتائج المترتبة على صعيد إجراءات الملاحقة والعقوبة. كما أوصت الدراسة بضرورة العمل على تحديد مكانة الذكاء الاصطناعي في القانون قبل الاعتراف به محلاً للمسؤولية الجنائية، والتوسع في دائرة المسؤولية الجزائية للأطراف ذات العلاقة بالذكاء الاصطناعي، وفرض عقوبات مشددة على الجرائم المرتكبة باستخدام هذه التقنيات، وإجراء الأبحاث المتخصصة في علم النفس للتعرف إلى قدرات الذكاء الاصطناعي التي يمكن - بناء عليها - الاعتراف به محلاً للمسؤولية الجنائية.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، جرائم الذكاء الاصطناعي، المسؤولية الجنائية، محل المسؤولية الجنائية، الشخصية القانونية.

1. المقدمة

أثار استخدام الذكاء الاصطناعي بشكل واسع في حياة المجتمع عديداً من الإشكاليات القانونية؛ ففي الوقت الذي ما زال فيه المشرع في مختلف دول العالم يبحث عن الحلول القانونية لمواجهة الآثار السلبية التي نجمت عن استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة، والتي كان من نتائجها انتشار الجرائم الإلكترونية بمختلف أنواعها وتصنيفاتها، ظهر تحدٍ آخر وضع المشرع الجنائي أمام إشكاليات غير تقليدية، تمثلت في استخدام هذا الذكاء في ارتكاب الجريمة. فالمشرع في الدول التي لم تحظ بمستوى متقدم على صعيد التطور التكنولوجي في مجال الذكاء الاصطناعي، لم يكن جاهزاً لمواجهة الآثار القانونية الناجمة عن هذا التطور، فخلت بعض الأنظمة القانونية من أي نصوص أو قوانين خاصة يمكن تطبيقها على العلاقات التي قد تنشأ عن استخدام هذه التقنيات لأغراض إجرامية. وبهذا الصدد أشارت بعض الدراسات إلى أن واحدة من النتائج السلبية وغير المقصودة للطفرة الأخيرة في تطوير الذكاء الاصطناعي، هي الاستخدام المحتمل لهذه التقنيات في ارتكاب الجريمة، والتي منها على سبيل المثال لا الحصر، استخدامه في ارتكاب الاحتيال الذي يستهدف مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي (King, et al: 2020,p89) كما أن تطور هذا الذكاء واتساع نطاق استخدامه قد يزيد من احتمال حدوث انتهاك القوانين، الأمر الذي يتطلب من المشرع التدخل لإجراء تعديل في التنظيم القانوني لهذا الاستخدام، مثل الحاجة إلى إعادة هيكلة النظام القانوني، لاسيما إذا تبين في المستقبل أن الذكاء الاصطناعي قد تحول إلى مفكر يشبه الإنسان، له مشاعره وعواطفه، فالقوانين بهذه الحالة

سوف تحتاج إلى تعديل لتشمل دور أنظمة الذكاء الاصطناعي في المجتمع، وهذا يتطلب من المشرع مراجعة الإطار القانوني الحالي لمواءمته مع الاحتياجات المتغيرة في المجتمع (Paulius: 2015, p37)

فمن أبرز التحديات التي نتجت عن استخدام الذكاء الاصطناعي على صعيد القانون الجنائي، موضوع المسؤولية الجنائية، فقواعد هذا القانون لاسيما الموضوعية منها، ارتبطت بالأصل بمبادئ وأحكام وضعت لتطبق على الجرائم التي تقع من جهات يعترف المشرع بمركز قانوني محدد لها. فطبقت أحكامها على الإنسان والشخص الاعتباري، كما ربط المشرع الجنائي قيامها بتحقيق مجموعة من الشروط لابد من توافرها لدى مرتكب السلوك الإجرامي.

مشكلة البحث: أدى عدم تحديد المركز القانوني للذكاء الاصطناعي وغياب الإطار القانوني الناظم للمسؤولية الجنائية المترتبة عن استخدامه لأغراض إجرامية في بعض الدول، إلى ظهور عديد من التحديات أمام المشرع، تمثلت في كيفية مواجهة الآثار السلبية التي قد تنشأ في هذا المجال، وتحديد الجهة المسؤولة عن هذه الجرائم، لاسيما المسؤولية الجنائية بصورتها المباشرة. وعليه فيمكن طرح إشكالية هذا البحث في السؤال الرئيسي التالي: ما مدى إمكانية الاعتراف بالذكاء الاصطناعي محلاً للمسؤولية الجنائية من منظور المبادئ العامة التي تحكم تطبيقها في القانون الجنائي الحالي؟

أسئلة البحث: في ضوء الإشكالية المطروحة للبحث، سنحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما هي ماهية الذكاء الاصطناعي؟
2. ما هي أهم قدرات الذكاء الاصطناعي التي يمكن أخذها بالاعتبار في إقرار مسؤوليته الجنائية؟
3. ما هي أوجه الاختلاف بين قدرات الذكاء الاصطناعي والذكاء البشري؟
4. ما مدى إمكانية منح أنظمة الذكاء الاصطناعي الشخصية القانونية؟
5. هل يسهم الاعتراف بالشخصية القانونية للذكاء الاصطناعي في تحديد نطاق مسؤوليته الجنائية؟
6. ما هي جرائم الذكاء الاصطناعي وطبيعة الجزاء الذي يمكن فرضه عليها؟
7. ما هو الأساس القانوني للمسؤولية الجنائية للجهات ذات العلاقة بجرائم الذكاء الاصطناعي؟

أهداف البحث:

1. التعرف إلى ماهية الذكاء الاصطناعي.
2. توضيح قدرات الذكاء الاصطناعي، لاسيما تلك التي يمكن أن يؤسس عليها قيام المسؤولية الجنائية.
3. التعرف إلى بعض أنواع الجرائم الناتجة عن الاستخدامات السلبية لتقنيات الذكاء الاصطناعي.
4. الوقوف على أهم الإشكاليات التي يثيرها استخدام الذكاء الاصطناعي على مستوى التشريع الجنائي.
5. التعرف إلى مدى إمكانية منح الذكاء الاصطناعي مركزاً قانونياً خاصاً.
6. تحديد نطاق المسؤولية الجنائية عن الجرائم الواقعة من الذكاء الاصطناعي.
7. التعرف إلى طبيعة الجزاء الذي يمكن فرضه على جرائم الذكاء الاصطناعي.

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في تناوله واحدة من أهم القضايا القانونية المعاصرة، التي ظهرت نتيجة استخدام الذكاء الاصطناعي لأغراض إجرامية، والمتعلقة بتحديد محل المسؤولية الجنائية عن الجرائم المرتكبة في هذا المجال، والبحث في مدى إمكانية تطبيق قواعد المسؤولية الجنائية بمفهومها التقليدي على هذه الجرائم، إلى جانب التطرق إلى أهم التحديات التي تفرضها هذه الأنظمة على صعيد المسؤولية الجنائية، وتكمن أهمية الدراسة - كذلك - في تقديم تصور لتحديد نطاق المسؤولية الجنائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي والإسهام في وضع إطار قانوني ناظم للعلاقات الناشئة عن استخدامه بشكل عام، وصولاً إلى إيجاد تنظيم قانوني واضح للمسؤولية الجنائية عن الجرائم التي تقع حالياً، أو التي قد تقع مستقبلاً باستخدام هذه التقنيات.

منهج البحث: انطلاقاً من طبيعة الإشكاليات التي يثيرها موضوع الذكاء الاصطناعي على مستوى المسؤولية الجنائية، استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لجمع المعلومات من خلال الرجوع إلى مصادر ومراجع مختلفة، والاطلاع على الآراء الفقهية والدراسات التي بحثت في التنظيم القانوني للذكاء الاصطناعي ونطاق المسؤولية الجنائية للأطراف ذات العلاقة بالجرائم التي تقع من هذه الأنظمة، وتحليل مختلف العناصر التي تقوم عليها، وكذلك وصف واقع هذه المشكلة بأبعادها المختلفة على الصعيد القانوني والفقه، وذلك في سبيل تقديم توصيات ومقترحات عملية تسهم في تطوير الإطار القانوني في هذا المجال.

تقسيم البحث: لمعالجة الإشكاليات المطروحة سيتم تقسيم البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: ماهية الذكاء الاصطناعي.

المبحث الثاني: المسؤولية الجنائية عن الجرائم ذات العلاقة بالذكاء الاصطناعي.

2. الدراسات السابقة

أ. دراسة (عثمان، 2026): إشكالية تطبيق أحكام المسؤولية الجنائية على جرائم الذكاء الاصطناعي: تناولت هذه الدراسة بعض الإشكاليات القانونية المرتبطة بتطبيق أحكام المسؤولية الجنائية عن الجرائم التي تقع باستخدام الذكاء الاصطناعي، إلى جانب التكييف القانوني لهذه الجرائم وتحديد المسؤولية عنها، فتم توضيح مفهوم الذكاء الاصطناعي وخصائصه، مع ذكر العناصر الأساسية للمسؤولية الجنائية.

وخلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، كان من أهمها: وجود قصور في أحكام المسؤولية الجنائية بصورتها التقليدية، وعدم إمكانية تطبيقها على جرائم الذكاء الاصطناعي.

وتوصلت الدراسة إلى بعض التوصيات، منها: ضرورة قيام المشرع بإجراء تعديلات قانونية لمواجهة هذه الجرائم، إلى جانب فرض عقوبات تتناسب وخصوصية هذه الجرائم.

ب. دراسة (المالكي، 2026): المسؤولية الجنائية عن جرائم تقنيات الذكاء الاصطناعي:

تناولت الدراسة التصنيف القانوني لجرائم الذكاء الاصطناعي والمسؤولية الجنائية عنها، فوضحت الدراسة ماهية الذكاء الاصطناعي وأنواع جرائمه ومسؤولية الأطراف ذات العلاقة بهذه الجرائم.

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، كان من أبرزها: المسؤولية عن جرائم الذكاء الاصطناعي يتطلب تحديد نطاق العلاقة بين المصنع والمستخدم والمبرمج والمالك.

وتوصلت الدراسة إلى توصيات، كان من أهمها: العمل على سن تشريعات خاصة، تنظم استخدام هذه الأنظمة، وكذلك حصر أنواع الجرائم التي قد تقع منها.

ج. دراسة (الحمداني، 2025): المسؤولية الجنائية الوطنية الناشئة عن استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي:

تناولت الدراسة الأساس القانوني للمسؤولية الجزائية عن الأفعال التي تقع نتيجة استخدام الذكاء الاصطناعي، مبينة أن هذا الأساس لا يزال قائماً على مبدأ الشرعية الجنائية، والإشكاليات المرتبطة في تطبيقه على هذه الأنظمة، وأوضحت الدراسة خصائص المسؤولية الجنائية ومدى إمكانية تطبيقها على الأفعال الإجرامية الناتجة عن الذكاء الاصطناعي.

وأظهرت نتائج هذه الدراسة وجود فجوة تشريعية تتعلق بعدم وضع تعريف قانوني لأنظمة الذكاء الاصطناعي، وعدم القدرة على حصر الأطراف المسؤولة عند وقوع جريمة أو ضرر من هذه الأنظمة. وتوصلت الدراسة إلى توصيات تتمحور حول أهمية تطوير منظومة قانونية حديثة، تستوعب المخاطر الجديدة، وتوفير حماية جنائية فعالة منها.

د. دراسة (حسن، 2023): واقع الشخصية القانونية للذكاء الاصطناعي:

تناولت الدراسة الإشكاليات القانونية المتعلقة بمنح أنظمة الذكاء الاصطناعي مركزاً قانونياً مستقلاً، فبحثت الدراسة بمجالات استخدام الذكاء الاصطناعي ومفهوم الشخصية القانونية، ومدى إمكانية الاعتراف بها لهذه الأنظمة.

وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج، من أبرزها: منح الذكاء الاصطناعي الشخصية القانونية مسألة تقتضيها الضرورة العملية، وذلك بسبب تمتعه بخصائص تشابه الصفات البشرية، وأن مسألة منحها لا ترتبط بالصفة الإنسانية، وإنما يتم ذلك كلما دعت الضرورة العملية.

ومن أبرز التوصيات التي توصلت إليها الدراسة: ضرورة قيام المشرع بمنح الشخصية القانونية المستقلة لهذه الأنظمة، وتعديل الأنظمة القانونية بشكل يضمن حقوقها الكاملة.

هـ. دراسة (ادلبي، 2023) المسؤولية الجنائية الناتجة عن أعمال الذكاء الاصطناعي:

تناولت هذه الدراسة تحليل موقف المشرع على المستوى الوطني والإقليمي والدولي؛ لإيجاد الحل القانوني الأمثل بالنسبة للمسؤولية الجنائية عن أفعال الذكاء الاصطناعي، وكذلك التكيف القابل للتطبيق من الناحية القانونية والاجتهادات الفقهية والقضائية المقارنة، وبحثت هذه الدراسة بماهية الذكاء الاصطناعي وخصائصه، والإطار القانوني الناظم لأحكام المسؤولية الجنائية عن أفعاله، وتطرق - كذلك - للمبادئ الأخلاقية التي تحكم هذه الأفعال.

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها: بالرغم من التطور الذي وصل إليه الذكاء الاصطناعي، فإنه لم يحقق حتى الآن الاستقلال التام عن الإنسان، وبالتالي يتحمل المسؤولية الجنائية عن أعماله الإجرامية، الأطراف ذات العلاقة بها، وأن أي إقرار بمسؤوليتها مستقبلاً يجب أن يكون بعد التأكد من ثبوت عناصر المسؤولية الجنائية، لاسيما الإدراك والتميز، وأن تكون هذه المسؤولية محدودة من خلال إيقاع جزاء يتناسب وطبيعتها.

وقد توصلت الدراسة إلى توصيات، كان من أبرزها: ضرورة العمل على تشخيص خطورة الجرائم الناجمة عن الاستخدامات السلبية للذكاء الاصطناعي، وتعزيز التعاون الدولي في مواجهة هذه الجرائم، ومعالجة القصور في القوانين الوطنية والإقليمية الدولية لإيجاد إطار قانوني ناظم لمكافحة هذا النوع من الجرائم.

3. ماهية الذكاء الاصطناعي

يشكل التعرف إلى ماهية الذكاء الاصطناعي نقطة البداية في إطار التنظيم القانوني لاستخدامه، ففهم هذا المصطلح يمكن المشرع والفقهاء القانونيين والباحثين في مختلف العلوم سواء القانونية أو غيرها من العلوم الاجتماعية، من الإلمام بحقيقة هذا الذكاء، وعليه سنقسم هذا المبحث إلى مطلبين؛ في الأول نتطرق فيه لتعريف الذكاء الاصطناعي وأنواعه، وفي المطلب الثاني: خصائص الذكاء الاصطناعي وتمييزه عن الذكاء البشري.

3.1 تعريف الذكاء الاصطناعي وأنواعه

قبل الخوض في موضوع المسؤولية الجنائية عن الجرائم المرتكبة في إطار استخدام الذكاء الاصطناعي، لابد لنا في البداية من فهم ماهية هذه الذكاء، لكي نتمكن من استظهار القدرات التي يمتلكها، وبالتالي الحكم على مدى توافر الأساس الذي يمكن عليه بناء الإطار القانوني الخاص به، من حيث قيام المسؤولية الجنائية تجاهه. وعليه سنتناول في الفرع الأول أهم التعريفات التي وضعت للذكاء الاصطناعي، وفي الفرع الثاني نبين أهم أنواع الذكاء الاصطناعي.

3.1.1 تعريف الذكاء الاصطناعي:

وفي مستهل الحديث عن تعريف الذكاء الاصطناعي، فلا بدّ من الإشارة إلى مكوناته التي "تقوم على مفهومين، تم الجمع بينهما لتكوين مفهوم واحد، لكنهما من الناحية النظرية مفصولان عن بعضهما ويتطوران في بيئة لتكييف السلوك، ألا وهما: الذاكرة، ويمثلها التخزين، وهو شكل من أشكال الذكاء تسمى - أيضا - الذكاء السلبي. والاستدلال، وهو القدرة على التحليل مع إدراك العلاقات بين الأشياء والمفاهيم من أجل فهم الحقائق، ويكون ذلك عن طريق استعمال الذاكرة، والمنطق ووسائل أخرى مستسفاة من العلوم الرياضية" (في أبو علي، 2024، ص19).

وأما من ناحية التعريفات التي وضعها المختصون للذكاء الاصطناعي، فقد تعددت، فظهر من خلالها عدم الاتفاق على مفهوم واحد محدد له، فانقسمت ما بين اتجاه يقوم على تعريفه من خلال مقارنته بالذكاء البشري، واتجاه آخر ركز في تعريفه على قدرة هذه الأنظمة على تحليل المشكلات وحلها. (p2 Kuklinska , 2021).

وفي هذا الصدد أشارت اللجنة الدائمة المعنية بقانون براءة الاختراع التابعة للمنظمة العالمية للملكية الفكرية إلى وجود تباين في تعريفات الذكاء الاصطناعي، لكنها بالمقابل قدمت مفهوما له بوصفه نظاما يقوم على التعلم والشبكات العصبية، حيث تجمع هذه التكنولوجيا ما بين التعلم العميق والشبكات العصبية في أداء المهمات وحلها، بعد تزويدها بأمثلة لمدخلات ومخرجات دون برمجتها بشكل مباشر. (تقرير اللجنة الدائمة المعنية بقانون براءة الاختراع التابعة للمنظمة العالمية للملكية الفكرية 2019، ص9-14).

وكما عرف بأنه عبارة عن مجموعة من الحلول التكنولوجية التي تسمح بمحاكاة الوظائف المعرفية البشرية والحصول على نتائج قابلة للمقارنة على الأقل، بنتائج النشاط الفكري للإنسان عند أداء مهام محددة، يشمل مجمع الحلول التكنولوجية البنية التحتية للمعلومات والاتصالات، والبرمجيات، بما في ذلك تلك التي تستخدم أساليب التعلم الآلي لمعالجة البيانات والبحث عن الحلول. (Shchitova, 2020, p618)

ويطلق جانب آخر من المختصين أحيانا على هذا الذكاء، مصطلح الذكاء الآلي، ويعرفه بالذكاء الذي يظهر قدرة الآلة أو أنظمة الكمبيوتر على أداء المهام التي تتطلب عادة الذكاء البشري، مثل الإدراك البصري، والتعرف إلى الكلام، واتخاذ القرار، والترجمة (Smyth, 2019, p99-109)

ويتضح لنا من التعريفات السابقة أن الغاية الأساسية من وجود هذا الأنظمة، تتلخص في فهم العملية الذهنية الشائكة التي يقوم بها العقل البشري، من خلال مجموعة من القدرات، كالقدرة على جمع البيانات والمعلومات وتحليلها، و القدرة على التفكير والإدراك، والتعلم من الأخطاء، والخبرات السابقة. (كريم، 2022، ص56)

وكما يري آخرون أن التعريفات الحديثة للذكاء الاصطناعي، تركز في تحديدها لمفهومه على المنطق بدلاً من ربطه بالإنسانية، فهي تتناول تعريفه من زاوية قدرة الأنظمة على التفكير بعقلانية، فهي - من وجه نظرهم - مدفوعة بالأهداف والأسباب، لتعمل الآلة بطريقة، يمكن وصفها بأنها موجهة نحو الهدف (Bonfim, 2022, p.24)

فالذكاء الاصطناعي يقوم على مجموعة من العناصر التي تظهر قدرته على القيام ببعض المهام التي يقوم بها العقل البشري، وعدم استقلالية هذه الأنظمة عن تدخل الإنسان الذي يعدّ الأساس في إدخال البيانات وغيرها من المعلومات. كما أن التعريفات السابقة تحصر مفهوم الذكاء الاصطناعي بالقدرة على القيام ببعض الإمكانات العقلية لدى الإنسان، كالقدرة على التخطيط والتفكير والتعلم وبناء نوع من تصور المعرفة والتواصل باللغة الطبيعية.

ولكن في مقابل ذلك، هناك من يرى أنه بالرغم من وجود تباين في التعريفات التي وضعها الفقه والمختصون لهذا الذكاء، فإنها تتفق فيما بينها في جوانب كثيرة، لعل أهمها هو الكيفية التي تجعل هذه الأنظمة قادرة على محاكاة التفكير البشري، كما أن الهدف الأساسي من تطويرها، هو جعلها قادرة على الإدراك والتصرف كالإنسان (منظر، 2024، ص59) وبناء على ما تقدم، فيمكن اقتراح تعريف للذكاء الاصطناعي، بأنه عبارة عن تطبيقات حاسوبية ذكية تعتمد على التفكير الذاتي المتطور من أجل أداء وظائف معينة، أو تحقيق هدف معين، والتصرف بصورة مستقلة نسبياً عن التدخل البشري، وذلك من خلال البرمجة والتدريب، بناءً على بيانات ومعلومات يتم تزويدها بها سلفاً. أو يمكن القول إنها عبارة عن أنظمة تمتلك بعض القدرات العقلية التي تشبه - إلى حد ما - الذكاء الإنساني، مثل القدرة على تلقي المعلومات ومعالجتها وغيرها من القدرات التي يتميز بها العقل البشري.

3.1.2 أنواع الذكاء الاصطناعي:

للتعرف إلى أنواع الذكاء الاصطناعي أهمية بالغة في فهم مدى التطور الذي يتميز به كل نوع، لاسيما فيما يتعلق في البحث في مدى اكتمال قدراتها على محاكاة القدرات البشرية، وبالتالي عمل مقارنة نستطيع من خلالها الحكم على هذه الأنظمة وقدرتها التي يمكن بناء عليها الإقرار بمسؤولية الجنائية أم لا، ونتيجة لذلك ظهر عديد من التصنيفات لهذه الأنواع، وضعت بناءً على معيار يقوم على درجة تعقيد هذه الأنظمة. وتوضيحا لهذا الأنواع، سنستعرضها على النحو الآتي:

(1) الذكاء الاصطناعي المحدود أو الضعيف: وهو ذكاء تم تصميمه لحل مشكلة معينة أو مجموعة صغيرة نسبياً من المشكلات. ومن الأمثلة على هذا النوع: " الآلة الحاسبة، والهاتف المحمول، ومحركات البحث في الإنترنت، والآلات في المصانع وفي الزراعة وغيرها" (ابو علي، 2025، ص24)

(2) الذكاء الاصطناعي العام أو القوي: وهو في مستوى الذكاء البشري نفسه، وقادر على حل مجموعة واسعة من المشاكل، ويمتلك القدرة على تحقيق مجموعة متنوعة من الأهداف، وتنفيذ مجموعة من المهام في سياقات مختلفة، لذا يجب أن يكون قادراً على التعامل مع المشكلات والمواقف المختلفة التي توقعها المبرمجون. (Goertzel, 2014,p2) ومن الأمثلة على نماذجها في العصر الحالي: " السيارات ذاتية القيادة وروبوتات الدردشة الفورية وبرامج المساعدة الذاتية الشخصي وغيرها من النماذج (ادلبي، 2023، ص24)

(3) الذكاء الاصطناعي الفائق: ذكاء تجاوز مستوى الذكاء الموجود عند الإنسان، وهو عبارة عن سيناريو مستقبلي قائم على الخيال العلمي، وهو المستوى الذي قد تصل معه هذه الأنظمة إلى درجة من الوعي الذاتي التام، ما يجعلها تتفوق على ذكاء البشر في كل شيء، وكذلك فهمه وتكوين آرائه واستنتاجاته الخاصة. (Aljaber, & other 2022,p.55) وهو يعد مشروعاً افتراضياً من الذكاء الاصطناعي، ولم يتم تصميم أي نموذج أو تطبيقه حتى الآن (أورده ابو علي 2025، ص25) وتأسيساً على ذلك، ومن خلال استعراض أنواع الذكاء الاصطناعي، يلاحظ أنه ذكاء لم يتجاوز - في أنواعه المختلفة وفي جميع مراحل تطوره - فكرة امتلاكه بعض القدرات العقلية التي يمتلكها الإنسان، ولم يتم تطويره بشكل تتطابق فيه مع قدرات الإنسان، لاسيما القدرات العاطفية، وقدرة الإدراك، وتقويم المواقف والظروف المختلفة، وإصدار الأحكام بشأنها.

3.2 خصائص الذكاء الاصطناعي وتمييزه عن الذكاء البشري

تمت الإشارة في المطلب السابق إلى أن الذكاء الاصطناعي بأنواعه المختلفة، يتمتع بعدد من القدرات التي جعلت منه - إلى حد كبير - يشبه الذكاء الإنساني، الأمر الذي يصعب معه في بعض الأحيان الفصل بينهما بشكل دقيق، وفي محاولة لتوضيح هذا المسألة، سنتناول موضوع هذا المطلب من خلال تقسيمه إلى فرعين، في الأول نبحث فيه بخصائص الذكاء الاصطناعي، وأما الثاني فنخصصه للتمييز بين قدرات الذكاء الاصطناعي والذكاء الإنساني.

3.2.1 خصائص الذكاء الاصطناعي:

تشكل خصائص الذكاء الاصطناعي محور الاهتمام من الناحية القانونية، لاسيما في القانون الجنائي، فيعد فهم حقيقتها عنصراً أساسياً في التعرف إلى قدراته بالمقارنة مع الذكاء الإنساني، وعليه سنستعرض أهمها لإبراز أوجه اختلافه عن الذكاء البشري على النحو الآتي:

1. القدرة على التعلم والتكيف: تظهر هذه القدرة من خلال دعم أنظمة الذكاء الاصطناعي بخوارزميات معقدة، تعمل على تهيئة الإمكانيات لها للقيام بالتعلم والتكيف (الملا، 2021: ص114).
 2. إنتاج اللغات الطبيعية ومعالجتها: تتمثل في قدرة الذكاء الاصطناعي على التفاعل مع البشر، وفهم اللغة البشرية المكتوبة أو المنطوقة وتفسيرها وإنشائها.
 3. التعرف إلى القياسات، فتستخدم البيانات الحيوية الخاصة بجسم الإنسان، التي يمكن إدخالها لنظام الذكاء الاصطناعي والتي تمكنه - فيما بعد - من فهمها بسهولة وبالتالي التعرف إليها (Sikender, 2020: p170)
 4. القدرة على تحليل البيانات الضخمة والمعقدة: وهي خاصية تمكن أنظمة الذكاء الاصطناعي من معالجة الكثير من البيانات والمعلومات الخاصة بالأفراد لإيجاد الأنماط والأفكار، وتحليلها للتنبؤ بالتطورات التي تطرأ عليها (بن عودة: 2022، ص194)
 5. القدرة على الاستدلال: وهي تتمثل في قدرة الذكاء الاصطناعي على محاولة اكتشاف شيء ما أو فكرة من خلال البيانات أو المعلومات أو المستندات التي يتم تزويده بها.
 6. التعامل مع البيانات المتضاربة: وتظهر قدرة للذكاء الاصطناعي على معالجة بيانات يشوبها الخطأ أو التناقض. (عبد الوهاب، 2023: ص683)
 7. أتمتة العمليات: وهي القدرة على القيام بالأعمال الأساسية التي يستطيع الإنسان القيام بها عن طريق البرمجة وتطبيقات خاصة، يتم تعليمها آلية العمل من خلال مجموعة من العمليات المتتابعة (ادلبي: 2023).
- وبلاحظ من الخصائص السالفة الذكر أن الذكاء الاصطناعي يمتلك مجموعة من القدرات، تجعله يتميز بنوع من الاستقلالية، تمكنه من القيام بعدد من المهام الفكرية التي لا توجد عادة لدى الأشياء الأخرى، والتي قد يترتب عليها آثار عديدة تتطلب إيجاد حلول قانونية لها، كما أن وصول هذه الأنظمة مرحلة متقدمة من التطور قد ينتج عنه ظهور علاقات جديدة مع الإنسان على مستوى التواصل النفسي والاجتماعي، الأمر الذي يستدعي وجود تنظيم قانوني لهذه العلاقة بما يشمل العلاقات السلبية الناشئة عنها، والمتمثلة بارتكاب أفعال تعد جرائم من الناحية القانونية.
- كما أن الميزات التي يتمتع بها الذكاء الاصطناعي تجعل منه كياناً فريداً من نوعه مقارنة بالتقنيات الأخرى التي طورها الإنسان، وذلك لأنها تمتلك القدرة على التحكم الذاتي واتخاذ قرارات مستقلة لم يكن مخططاً لها والتنبؤ بها من قبل مصمميها (Bonfim, 2022: p53).

فبالتمعن في هذه القدرات نلاحظ أن تقنيات الذكاء الاصطناعي تقوم على برمجة أجهزة صممت لتحقيق أهداف معقدة، تعمل في البعد الرقمي على إدراك بيئتهم من خلال الحصول على البيانات وتفسيرها سواء منها المنظمة أو غير

المنظمة، التي تم جمعها للقيام بالتفكير والمعرفة، أو معالجة المعلومات وتحديد الإجراءات الأفضل الذي يجب اتخاذه لتحقيق هدف محدد (Referenced in Bonfim, 2022: p.23-24)

فالخصائص التي تميز بها هذه الأنظمة، كالقدرة على التفكير والتعلم والتذكر والتخطيط، هي بالأصل قدرات توجد حصرياً عند الإنسان، فهي التي تجعل الذكاء الاصطناعي - إلى حد ما - يتشابه مع الذكاء البشري، وهي التي تؤهله للقيام بالمهام المطلوبة منها بعد إخضاعه لبرمجة خاصة.

ولكن بالرغم من القدرات المذكورة، فإن هذا الذكاء قد يرتبط أداؤه بعدد من السلبيات التي قد تقع بسبب اعتماده بالكامل على الخوارزميات والبرامج التي طورها المبرمج، وإمكانية قرصنة المعلومات السرية، وعدم قبول مثل هذا النظام، بسبب الافتقار إلى المنطق واحتمال وقوع الأخطاء في أثناء تطويره، لاسيما إذا كان المبرمجون هم من يدخل مثل هذه الأخطاء عند تشفير تطبيقات الأنظمة الذكية، فهناك احتمال الوصول إلى استنتاجات خاطئة. (منظر، 2024: ص 66).

كما أن القدرات التي تمتلكها هذه التقنيات، ومحاولات الإنسان الحثيثة لتطويرها إلى درجة تتشابه بها قدراتها مع قدرات البشر، فإنه لا يمكن الوصول بهذا الاتجاه إلى درجة الاتقان الكامل لدرجة التطابق مع القدرات العقلية للإنسان، فهي مجرد آلات وأنظمة بلا روح ولا عواطف (Almazroui, S. & Samudin, S. 2026, p1504).

والخلاصة أنه يمكن القول: إن فهم قدرات الذكاء الاصطناعي وخصائصه، لا سيما الذكاء الأكثر تطوراً منه، يعد نقطة البداية في وضع إطار قانوني، تنظم من خلاله العلاقات المختلفة، التي تنشأ من جميع مجالات استخدامه، وبالتالي الإجابة عن الأسئلة الهامة المتعلقة بالمركز القانوني لهذه التقنية ومسؤوليته الجنائية عن الأفعال الضارة التي قد تقع منه، والتعرف إلى مدى إمكانية الاعتراف به فاعلاً للجريمة، وبالتالي إقرار مسؤوليته الجنائية على غرار المسؤولية الجنائية عن الجرائم التي يرتكبها الشخص الطبيعي أو المعنوي.

3.2.2 الذكاء الاصطناعي وتمييزه عن الذكاء البشري:

يعرف الذكاء البشري بأنه الصفة العقلية التي تتكون من القدرة على التعلم من الخبرة، والتكيف مع المواقف الجديدة، وفهم المفاهيم المجردة والتعامل معها، واستخدام المعرفة للسيطرة على البيئة، ومع ذلك فإن السؤال حول الأساس الذي يحدد مفهوم الذكاء البشري على وجه التحديد، لا زال محل جدال ونقاش، لاسيما بين الباحثين في مجال الذكاء الاصطناعي، هذا بالرغم من وجود إجماع على أن الذكاء يتكون من عمليات متعددة، وليس من قدرة واحدة. (Sternberg, 2024)

وتبرز الأهمية في تحديد أوجه الاختلاف بين الذكاء الاصطناعي والبشري؛ بالإسهام - بشكل كبير - في محاولة فهم حقيقته بالمقارنة مع الذكاء الإنساني، وبالتالي القدرة على معالجة الإشكاليات المتعلقة بالمسؤولية الجنائية عن الجرائم الناتجة عن استخدامه (دهشان، 2020، ص 10)

وفي مجال مقارنة قدرات الذكاء الاصطناعي بالذكاء البشري، يوصف الأخير عموماً بسمات خاصة، تجمع بين الصفات التي تظهر القدرات المتنوعة لدى الإنسان. وفي المقابل يقوم الذكاء الاصطناعي بشكل أساسي على إمكانيات محدودة له، تتمثل بقدرته على التعلم والتفكير وحل المشكلات، والإدراك، وأخيراً استخدام اللغة. (Kumar: 2025)

وهناك من يرى أنه بالرغم من امتلاك الذكاء الاصطناعي الكم الهائل من المخزون الكمي المعرفي التراكمي، الذي قد يفوق قدرة العقل البشري في مرحلة عمرية متوسطة من حياة الإنسان، فإنه لا يزال عاجزاً عن امتلاك مقومات التحليل البشري للمفاهيم الفلسفية والاجتماعية المتضاربة، بما فيها تلك المتعلقة بالجدل الفلسفي والمحاكاة القانونية. وعليه فهو ذكاء قائم بذاته ومستقل، لكنه غير عاقل "مدرك" وغير مكتمل (الخطيب، 2020، ص 7)

وأما الذكاء البشري فـ"نجد أنه يعد الأساس لوجود الذكاء الاصطناعي، فالإنسان هو من اخترعه وطوره، ولعل أهم ما يميز هذا الذكاء بالمقارنة مع الذكاء البشري عدم خضوعه لأية مؤثرات خارجية، فالأوامر البرمجية لديه واضحة فيستطيع أن يفكر وينفذ، ولكن ليست كل الخيارات متاحة له مثل الإنسان؛ بسبب برمجته المحدودة، كما يملك الإنسان قدرات ينفرد بها، وهي القدرة على إكمال الشيء الناقص ومعالجة التشوّهات، وهي ميزة تحتاج لبرمجيات معقدة." (دهشان، 2020، ص 10).

وفي هذا الصدد كتب عالم الرياضيات Gain-Carlo Rota في معرض مقارنته لقدرة الذكاء الاصطناعي مقابل الذكاء البشري: "أن الذكاء الإنساني قادر على فهم المواقف التي يواجهها، بينما حتى الأكثر تقدماً منه اليوم ليس لديه بعد فهم مثل البشر لاسيما للمفاهيم التي نحاول تعليمهم إياها؛ هذا النقص قد يكون بسبب القيود والموثوقية بالذكاء الاصطناعي الحديث" (p86) Mitchell, 2020,

فالذكاء الاصطناعي بحقيقته وجد لمحاكاة الذكاء البشري من حيث تحقيق الرؤى والأهداف، فهو عبارة عن ذكاء يقوم على الخوارزميات التي يمكن من خلالها أن يحاكي القدرات العقلية للبشر دون الوصول إلى مرحلة أن يكون مطابقاً لها، هذا بمفهوم العلوم الاجتماعية والإنسانية، التي تعنى بفهم سلوك الإنسان وتنظيمه، وبالتالي يحكمها دائماً منطق عدم الدقة، على خلاف العلوم الطبيعية التي تجاوز فيها الذكاء الاصطناعي هذه الحثيثة (الخطيب، 2020، ص 6)

وفي هذا المقام يمكن الإشارة إلى أهم ما تم وضعه من المقاربات التي تظهر أبرز الاختلافات الرئيسية بين الذكاء البشري والاصطناعي، ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

1. الذكاء البشري نتاج للتطور البيولوجي في مراحل نمو الإنسان، يتميز بالعواطف والوعي والتفاعل المعقد بين الشبكات العصبية، أما الذكاء الاصطناعي العام، فهو يعتمد على الخوارزميات والنماذج الحسابية.

2. التعلم والتكيف: يتعلم البشر من خلال الخبرات والعواطف والتفاعلات الاجتماعية، والتي تشكل فهمهم لعمليات اتخاذ القرار، أما الذكاء الاصطناعي فهو يحتاج تكرار هذه العمليات من خلال البيانات والخوارزميات، وهو التحدي الذي لا يزال دون حل.

3. الإبداع والحدس: يزدهر الذكاء البشري بالإبداع والحدس، وغالبًا ما يقفز في الفكر بشكل يصعب محاكته حسابيًا، بينما الاصطناعي يحتاج إلى تحقيق مستوى مماثل من حل المشكلات الإبداعية لمطابقة الذكاء البشري بشكل فعلي. (Goyar, 2024)

وفي مقابل ذلك هناك من يرى أن بعض أنواع الذكاء الاصطناعي، في الوقت الحالي، يمكن أن تتميز بالوعي، لكنه واعي محدود، بالمقارنة مع الوعي الإنساني، وأنه مجرد استقلالية محدودة، بحسب ما يضعه المبرمج، وبالتالي لم تصل بعد مرحلة الأنظمة الذكية الحرة مطلقًا، التي تمتلك وعيًا مماثلًا للوعي لدى الإنسان (حسان، 2023، ص123) وبالرغم من الإمكانيات التي تمتلكها أنظمة الذكاء الاصطناعي من قدرة إدراكية على محاكاة الذكاء البشري، والذي يشكل بمجمله إدراكًا تقنيًا قائمًا على البرمجة المسبقة من البشر، فإن ذلك لا يجعله مؤهلًا لأن يكون مسؤولية جنائية، فهو ذكاء لا يمتلك الإرادة الحرة التي تعد من العناصر الجوهرية لقيام هذه المسؤولية (الدرويش، 2023، ص7). فالفرق بين الذكاء الاصطناعي والبشري يكمن في القدرة على استحداث النموذج، فالإنسان وحده قادر على الابتكار أو الاختراع، في حين أن الذكاء الاصطناعي هو تطبيق لنموذج سابق استحدثه عقل الإنسان، ويكمن الفرق - كذلك - في نوع الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها، فالإنسان قادر على استعمال أنواع مختلفة من العمليات الذهنية، بينما تقتصر العمليات التي يقوم بها الذكاء الاصطناعي على استنتاجات محدودة طبقًا لبرمجته الخاصة. (حسان، 2023، ص124). كما أن الذكاء الاصطناعي لا يفكر بالطريقة التي يفكر بها الإنسان ولا يمتلك الوعي الذاتي بالمعنى نفسه الموجود عند الإنسان، وهنا يكمن التحدي بأن الآلات لا تستطيع التفكير؛ فمفهوم الإنسان للوعي يظل غير معترف به إلى حد كبير ولا يمكن اكتشافه إلا ضمنيًا عبر الاستبطان، لهذا كيف يمكن إثبات ذلك على هذه الأنظمة؟ (Bonfim, 2022, p3) وخلاصة القول في هذا الجانب أنه وبالرغم من القدرات العالية والاستقلالية التي يمتلكها الذكاء الاصطناعي فإنه يعتمد بالأصل على كثير من القدرات العقلية والمعرفية والمهارات الموجودة لدى الإنسان، فالقدرات الموجودة في هذه الأنظمة ترتبط بالكم الكبير من البيانات والمعلومات والمخزون المعرفي المتراكم الذي يزوده به المبرمج، والذي يمكن أن يتجاوز، في أحيان معينة، المخزون المعرفي للعقل الإنساني، لذلك يبقى عبارة عن ذكاء غير مكتمل؛ بمعنى أنه غير عاقل ومدرِك لحقيقة الأفعال التي قد تصدر عنه، كما هو الحال بالنسبة للذكاء البشري.

4. المسؤولية الجنائية عن الجرائم ذات العلاقة بالذكاء الاصطناعي

من الناحية القانونية لا يمكن إخضاع شخص للمسؤولية الجنائية عن جريمة، إلا إذا توافرت في سلوكه الشروط التي حدد فيها المشرع الأساس الذي يبنى عليه الإقرار بقيامها تجاهه، وبالتالي إمكانية تحمل فاعلها تبعاتها القانونية، وعليه سيتناول هذا المبحث مطلبين: يتحدث الأول عن المسؤولية الجنائية وأساسها القانوني، ويتحدث الثاني عن محل المسؤولية الجنائية عن الجرائم المرتكبة من أنظمة الذكاء الاصطناعي.

4.1 المسؤولية الجنائية وأساسها القانوني

تقع المسؤولية الجنائية عن الأفعال المجرمة في محور اهتمام القانون الجنائي، فتحكمها عديد من المبادئ والنظريات، وبالرغم من أهميتها فإن المشرع الجنائي في عديد من الدول لم يتطرق إلى تعريفها، واكتفى، في مواقع متفرقة في قانون العقوبات في النص، على بعض الأحكام التي تحدد أساسها القانوني، وأما على صعيد الفقه الجنائي، فقد ظهرت عديد من الاجتهادات لتعريف المسؤولية الجنائية، وعليه فسيتم تقسيم موضوع هذا المطلب إلى فرعين: يتناول الأول تعريف المسؤولية في القانوني الجنائي، وأما الثاني فيخصص للبحث في الأساس القانوني للمسؤولية الجنائية وأهميته في مجال الذكاء الاصطناعي.

4.1.1 تعريف المسؤولية في القانون الجنائي:

يقصد بالمسؤولية الجنائية الالتزام الذي يتحمل بموجبه من توافرت في سلوكه أركان الجريمة، الآثار القانونية المترتبة عليها، وهي تظهر بالجزاء الذي يقرره المشرع على الجاني سواء بصورة العقوبة أو التدابير الاحترازية، وهي على هذا النحو لا تعد ركنًا من الأركان العامة للجريمة (المجالي، 2012، ص411). وتعرف - كذلك - بأنها عبارة عن العلاقة التي تنشأ بين الدولة والفرد مرتكب السلوك الإجرامي، فيلتزم الفرد بموجبها تجاه الدولة بالإجابة عن سلوكه المخالف لقواعد القانون الجنائي، وتحمل التبعات كافة، التي يقررها القانون نتيجة لذلك (الامام، 2020، ص6).

كما تعرف بأنها أهلية فاعل الجريمة، لتحمل نتائج فعله المخالف للقانون، وذلك بتطبيق الجزاء المقرر في القانون الجنائي، سواء كان بفرض العقوبة أو التدابير الاحترازية، وهي بذلك تشكل ردة فعل المجتمع تجاه الجريمة وفاعلها (الخوري، 2012، ص69).

ونلاحظ من خلال تحليل التعريفات السابقة التي وضعت للمسؤولية الجنائية، أنها تتفق على العناصر التي يجب أن تقوم عليها من الناحية القانونية، من حيث ارتباطها بشكل مباشر بوجود قدرات محددة لدى الإنسان حتى يسأل جزائياً، وكذلك في تحديد أثارها والتبعات القانونية التي قد تترتب على توافرها لدى مرتكب الجريمة.

كما أن هذه التعريفات تظهر لنا - كذلك - أن قيام المسؤولية الجنائية بحق أية جهة، يتطلب ابتداءً "تحقق الركن الشرعي والتمثل بوجود نص التجريم، ووقوع سلوك مخالف لهذا النص، سواء أكان هذا السلوك إيجابياً أم اتخذ صورة السلوك السلبي بالامتناع عن القيام بفعل أوجبه المشرع، وكذلك المتطلبات الأساسية لقيام الركن المعنوي في الجرائم، المقصود الذي يقوم على علم الشخص وإراداته تجاه ارتكاب جريمة معينة وتحقيق نتائجها، أو العناصر التي تتطلب قيام الجرائم غير المقصودة بالخطأ بصورة مختلفة.

وبناء على ما تقدم ومن خلال تحليل العناصر الجوهرية التي تضمنها تعريف المسؤولية الجنائية، فيمكن القول: إن البحث في مدى إمكانية إقرار المسؤولية الجنائية على الجرائم التي تقع من أنظمة الذكاء الاصطناعي، يتطلب منا البحث أولاً في وجود العناصر الأساسية لهذه المسؤولية لدى هذه الأنظمة كما ظهر جلياً في مفهومها، كون المشرع وضع أحكامها ليخاطب بها وتطبيقها على الشخص الطبيعي والشخص المعنوي.

4.1.2 الأساس القانوني للمسؤولية الجنائية وأهميته في مجال الذكاء الاصطناعي:

ترتبط المسؤولية الجنائية ارتباطاً وثيقاً بتحقيق أهداف قواعد القانون الجنائي بشقيها؛ القواعد الموضوعية والقواعد الإجرائية، ومواجهة الجاني وإخضاعه لأحكامها، وهذه المسؤولية لا تتحقق إلا بعد تطبيق أحكام هذا القانون، وعليه سنبحث في هذا الموضوع على النحو الآتي:

• الأساس القانوني للمسؤولية الجنائية:

كان موضوع تحديد أساس المسؤولية الجنائية منذ القدم محل جدل ولازال حتى يومنا هذا موضوعاً للاجتهاد والبحث، فظهرت عديد من المدارس والمذاهب التي وضعت عديداً من المبادئ حول الأسس التي يجب أن تقوم عليها مسؤولية مرتكب الجريمة.

ونتيجة لذلك ظهرت مجموعة من الاتجاهات المختلفة لتحديد الأساس الذي ينبغي أن تقوم عليه المسؤولية الجنائية، فمنها من أسس لفكرة هذه المسؤولية انطلاقاً من مبدأ حرية الاختيار، ومنها من استند على فكرة الجبرية، كما ظهر اتجاه آخر يؤسسها على فكرة تجمع بين حرية الاختيار والجبرية. (عبد الستار، 1987، ص473).

وفي هذا الإطار سنركز في هذا الجزء من الدراسة على الأسس الحديثة للمسؤولية الجنائية والتي أجمعت عليها معظم التشريعات الجنائية دون الخوض بالخلفية التاريخية لها، وذلك بهدف التركيز على جوانب أخرى، مع الأخذ بعين الاعتبار أهمية ما قدمته النظريات والأبحاث والاجتهادات لفهم حقيقتها.

فالرأي الراجح لدى الفقه الجنائي الحديث في تحديد أساس المسؤولية الجنائية، يقوم على تبني مذهب حرية الاختيار مع الأخذ بعين الاعتبار مسألة هامة أخرى، تتمثل في الخطورة الإجرامية الكامنة لدى المجرم، ومواجهتها بالتدابير الاحترازية المناسبة، هذا ما سار عليه المشرع في معظم التشريعات العربية والتشريعات المقارنة (ورد في محمود، 2020، ص224).

فعيار قيام هذه المسؤولية يقوم على الأهلية العقلية والتي تعد العنصر الأول في الأسناد، وتقوم على الصحة العقلية للشخص، أي خلوه من أي مرض عقلي يحول بينه وبين قدرة الإدراك، والنضج العقلي، التي تسمح للإنسان بإدراك التزاماته تجاه المجتمع، إلى إمكانية الخضوع للقانون، ويظهر ذلك في القدرة الإرادية للإنسان على التصرف دون إكراه يدفعه لارتكاب الجريمة (الشريف، 2021، ص146).

فأسناد المسؤولية لا يتم إلا بعد الكشف عن العلاقة بين الجانب المادي والمعنوي ومرتكب الجريمة، وصولاً إلى تحمله تبعات فعله، فمن ناحية الإسناد المادي يقوم على سبب وقوع النتيجة الإجرامية، فلا مسؤولية دون خطأ. وأما الإسناد المعنوي الذي تكتمل به المسؤولية الجنائية وجوهره اتجاه إرادة الفاعل لحظة ارتكاب الجريمة، وذلك بربط سلوكه المادي بالقدرات الذهنية وصلاحياتها لديه (الملا، 2021، ص101).

فالمسؤولية الجنائية في جوهرها تقوم على فكرة تنطلق من أنه لا يمكن تحميل شخص ما المسؤولية الجنائية، وبالتالي إخضاعه للجزاء المناسب ما لم يتمكن من فهم عدم مشروعية سلوكه؛ بسبب عاهة معينة أو صغر السن أو غيره من موانع المسؤولية، فهي تؤسس على الإدراك والوعي، وهي العناصر والشروط التي يجب التحقق منها، وهذا الأمر ينطبق عند من قررها على جرائم الذكاء الاصطناعي، فيجب البحث عن امتلاك هذه الأنظمة هذه القدرات، حتى يمكن بناء على ذلك الحكم من الناحية النظرية، بقيام مسؤوليتها الجنائية، فيمكن تلخيص هذه الشروط على النحو الآتي:

أ. الإدراك: ويقصد به الفهم والتمييز؛ أي قدرة الإنسان على فهم حقيقتية السلوك الصادر عنه، وطبيعته، وتوقعه للنتائج التي يمكن أن تترتب عليه، والتمييز بين الفعل المباح والذي يحظر المشرع القيام به. (المجالي، 2012، ص412).

ب. حرية الاختيار: وهي تشكل قدرة الإنسان من الناحية النفسية على توجيه سلوكه للقيام بعمل معين، أو الامتناع عن القيام به، وهي لا تقتصر على عدم وجود المانع المادي للقيام بهذا العمل أو الامتناع عنه، وإنما تشمل عدم وجود مانع أدبي كذلك (الحديثي، والزعي، 2010، ص265).

• أهمية تحديد الأساس القانوني للمسؤولية الجنائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي:

يكتسب تحديد الأساس القانوني الذي تقوم عليه المسؤولية الجنائية أهمية كبيرة؛ كونه يعد من الأمور الجوهرية التي لا غنى عنها، وعند قيام المشرع في وضع سياسته الجنائية لمكافحة الجريمة، فهو يضع الشروط الواجب توافرها لدى مرتكب السلوك الإجرامي لمساءلته جزائياً، كما يحدد ردة فعل المجتمع تجاه الجاني، من خلال اختيار شكل الجزاء المناسب وتطبيقه عليه (الإمام، 1982).

ومن ناحية أخرى يعد تحديد أساس المسؤولية عاملاً هاماً في تحديد نطاقها، فبيان الأساس القانوني والمنطقي والاجتماعي للمسؤولية يساهم في حصر الفئات التي يمكن مساءلتها جزائياً، إلى جانب التعرف إلى مقدار هذه المسؤولية من حيث تقسيمها إلى ثلاثة مستويات، تتدرج ما بين المسؤولية الكاملة في حال توافر جميع عناصرها، وانتفاؤها - كذلك - في الحالات التي لا يمكن مساءلتها إطلاقاً في حال وجود مانع من موانعها، وأخيراً المسؤولية الناقصة (المجالي، 2012، ص411).

وكما يرتبط تحديد هذا الأساس بالوظيفة الحمائية للقانون الجنائي، فمن أهم الوظائف التي يسعى المشرع لتحقيقها من خلال نصوص هذا القانون، هي حماية المجتمع من مخاطر الجريمة مهما كان مصدرها، فهذا الهدف لا يمكن تحقيقه إلا بوجود وسائل محددة لمساءلة كل من يرتكب سلوكاً من شأنه المساس بأية مصلحة محمية، إلى جانب أن تحديد أساس المسؤولية يرتبط ارتباطاً كلياً بحماية مبدأ الشرعية الجزائية، الذي يعد جوهر الارتكاز في التجريم والعقاب.

أما في مجال استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، فتكمن أهمية تحديد أساس المسؤولية الجنائية من نواحي عدة، منها: الإجابة عن التساؤل الرئيس المتعلق بمدى توافر شروط قيامها عن الجرائم المرتكبة مباشرة منه أو بوساطته، والبحث في مدى إمكانية إخضاعه للمسؤولية الجنائية التقليدية في حال التوصل إلى أساس قانوني يجعل ذلك ممكناً في المستقبل.

ويرى البعض أن الإشكالية في تحديد أساس مسؤولية أنظمة الذكاء الاصطناعي لا تكمن في تحقق جميع أركان الجريمة، وإنما في ركنها المعنوي الذي يعد الأساس في قيامها، والذي يجب أن يتحقق بإحدى صورته العمد أو الخطأ، أما الركن المادي فلا يثير أي خلاف من ناحية توافره في جرائم الذكاء الاصطناعي على اعتداد أن هذا الركن يتحقق بماديته بوقوع الفعل وتحقق النتيجة الضارة (Almazroui, S. & Samudin, S. 2026, p1506).

وبهذا الصدد يمكن إضافة إشكالية أخرى، وهي تعد واحدة من أهم التحديات التي تواجه مساءلة أنظمة الذكاء الاصطناعي عن الأفعال الضارة، وهي تتمثل في الركن الشرعي الذي يشكل وباقي الأركان البنيان القانوني لأية جريمة، فهذا الركن لا يمكن الجزم بتوافره دون نص قانوني يحدد دائرة الأفعال المجرمة في هذا المجال، فهو يشكل الأساس في بدء الملاحقة الجنائية لمرتكب الجريمة، وبالتالي يعد عدم وجود نص يجرم الأفعال الضارة التي تقع من الذكاء الاصطناعي، سبباً لعدم البحث في توافر الأركان الأخرى، وبالتالي عدم إمكانية مساءلة هذه الأنظمة، استناداً إلى مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات.

وهكذا يتبين أن أساس المسؤولية الجنائية هو ارتكاب فعل يشتمل على جميع أركان الجريمة في القانون الجنائي، وهو بمنزلة المعيار الذي حدد فيه المشرع شرط الملاحقة الجنائية لأية جريمة بغض النظر عن فاعلها، لذا فلتحديد إمكانية تكليف الذكاء الاصطناعي بتحمل المسؤولية الجنائية، يتطلب حل مسألة هي في غاية الأهمية، ألا وهي تحديد ما إذا كانت هذه الأنظمة قادرة على ارتكاب أفعال خطيرة على الإنسان والمجتمع من حيث المبدأ، وعندها يتم استخلاص استنتاجات حول الاعتراف أو عدم الاعتراف بالذكاء الاصطناعي بوصفه محلاً للمسؤولية الجنائية.

4.2 محل المسؤولية الجنائية عن الجرائم ذات العلاقة بالذكاء الاصطناعي

إن إدراج الذكاء الاصطناعي ضمن نطاق المسؤولية الجنائية، بمعنى أن يكون فاعلاً للجريمة ومسؤولاً عنها، يتطلب - قبل كل شيء - التعرف إلى قدرته على ارتكاب أفعال مجرمة من الناحية القانونية، فذلك يساهم في التوصل إلى نتائج مهمة، تحدد مدى إمكانية الاعتراف أو عدم الاعتراف به، بوصفه موضوعاً للمسؤولية الجنائية. وعليه سيتم تناول هذا الموضوع في فرعين: يتناول الأول محل المسؤولية الجنائية في القانون الجنائي، ويتناول الثاني المسؤولية الجنائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي.

4.2.1 محل المسؤولية في القانون الجنائي:

يقصد بمحل المسؤولية الجنائية، تحديد الجهة المسؤولة جزائياً من الناحية القانونية، فتحديد هذا المحل يترتب عليه مجموعة من الآثار القانونية المرتبطة بالملاحقة الجنائية، وهو يمنح الجهات المختصة صلاحية القيام بالإجراءات اللازمة لملاحقة الجاني، وصولاً إلى إيقاع الجزاء المناسب وتنفيذه بحقه.

فمن الناحية القانونية لا يكفي اعتداد فعل ما جريمة بمجرد ارتكابه، أو النص على تجريمه، فإلى جانب ذلك فلا بدّ من أن يكون هذا الفعل صادراً عن إنسان حي، فالأحكام القانونية التي يصدرها المشرع لا يخاطب بها إلا من يدرك ماهيتها وحقيقتها، فالإنسان وحده هو من يمتلك القدرة على فهم هذه الأحكام، وهو بالتالي يعد المسؤول من الناحية القانونية عن الجريمة (إبراهيم، 2005، ص166).

فبالاستناد إلى مبدأ شخصية المسؤولية الجزائية، يعد تحديد الجهة المسؤولة جزائياً من الأمور التي لا غنى عنها لتحقيق العدالة والالتزام بالمبادئ الخاصة بحقوق الإنسان، فالأصل العام أن الإنسان يعد محل التكليف في الالتزام بالقاعدة القانونية، فهو وحده من يوجه إليه الخطاب القانوني في عدم ارتكاب الجريمة.

ولكن، وفي ظل التطورات الحديثة التي شهدتها القانون الجنائي على صعيد المسؤولية الجنائية، ذهب المشرع في معظم الدول إلى إدراج الشخص الاعتباري ضمن نظام المسؤولية الجنائية، ويترتب على وقوع هذه الجرائم من ممثله أو باسمه فرض بعض أنواع الجزاء التي تتناسب وطبيعته القانونية.

فتحديد محل المسؤولية الجنائية يرتبط بتوافر القدرة على ملاحقة مرتكب الجريمة جزائياً من خلال رفع الدعوى الجزائية عليه، وهذا يتطلب أن يكون الشخص مدركا وواعيا، وهو ما يطلق عليه بالأهلية الإجرائية التي تتمثل بمجموعة القدرات العقلية والبدنية حين رفع الدعوى، وبالتالي لا يجوز رفعها على شخص يفتقد هذه القدرات (ورد في ابو عفيفة، 2011، ص 179).

وأما فيما يتعلق بمسألة إسناد المسؤولية الجزائية للذكاء الاصطناعي، فنظرا لحدثة هذه الأنظمة وتطورها، لاسيما على صعيد التنظيم القانوني وغيابه في بعض الدول، فقد تصدى الفقه القانوني بالاجتهاد لهذه المسألة محاولا تحديد المسؤولية عن جرائم الذكاء الاصطناعي؛ فظهر نتيجة لذلك جدل فقهي تمثل في اتجاه يرفض - بشكل مطلق - فكرة إسناد المسؤولية الجنائية لهذه الأنظمة، واتجاه آخر مؤيد لهذه الفكرة، ولكن ضمن ضوابط وشروط معينة.

فاستنادا إلى متطلبات المسؤولية الجنائية، وشروطها، يرى البعض استبعاد الذكاء الاصطناعي من نطاق المسؤولية الجنائية؛ كونه غير قادر على فهم حقيقة تصرفاته، والتمييز بين الصواب والخطأ، فحاله كحال الطفل غير المميز في معظم الأنظمة القانونية في العالم، فهي تقنيات لا تفهم عواقب أفعالها، حتى في الحالات التي تعد فيها هذه الأفعال جريمة، فالنية الجرمية غير متوافرة في سلوكها. (Melissaris, 2023, p70-71).

ويسوغ الاتجاه المعارض لهذه الفكرة أن هذه التقنيات عبارة عن آلات لا تمتلك الضمير والقدرات العقلية التي تمكنها من التمييز بين الخير والشر، فهي تعمل وفقا لتعليمات المبرمج ولا تملك الإرادة الحرة التي تستطيع بموجبها الاختيار، كما لا تجدي العقوبات التقليدية مع الطبيعة الخاصة لها، لذا يرى هذا الاتجاه - بالرغم من التطور الذي وصلت إليه هذه الأنظمة - أن تبقى احتمالات المسؤولية الجنائية عن أفعالها على المصنع أو المبرمج أو المستخدم، ويستبعد نهائيا مسؤولية الأنظمة نفسها. (عثمان، 2026، ص 12).

وبالنسبة لمسؤولية أنظمة الذكاء الاصطناعي نفسها، فهناك من يرى أنه، وبناء على التطور الذي وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة، فلا يوجد ما يشير إلى إمكانية اعتداد الذكاء الاصطناعي بحد ذاته فاعلا للجريمة، فبالرغم من قدراته على محاكاة الذكاء البشري، فمن غير المرجح أن تتمكن هذه الأنظمة، التي لم تصل إلى التطور الكافي، أن تعمل بمفردها، فالقرارات التي تتخذها لا تغدو كونها مسألة برمجة للخوارزميات الموجودة فيها بناء على طلب المستخدم، وبالتالي يرى هذا الجانب عدم إمكانية منح أنظمة الذكاء الاصطناعي الأهلية القانونية (Laura, 2018, p890).

وأما من ناحية فرضية قيام المسؤولية الجنائية لأنظمة الذكاء الاصطناعي عن الجرائم غير المقصودة، التي يرتكبها بنفسه، فيرى البعض عدم إمكانية تطبيق هذه الفرضية، وذلك نظرا لأن الخطأ الذي يستوجب العقاب يرتبط وجوده بتوافر الإرادة الأثمة التي خالف بها إرادة المشرع، كما أن هذه المسؤولية تتطلب وجود إدراك وتميز، لكي يتم تكيف فعلها بالخطأ المتمثل بالإهمال أو قلة الاحترار وعدم مراعاة القوانين، وأمام غياب فكرة الإدراك الاصطناعي المستقل لهذه التقنيات، يغدو الحديث عن مسؤوليتها الجزائية مسألة مستبعدة على الأقل في المدى المنظور، و يقترح هذا الاتجاه الرجوع إلى نظرية النائب الإنساني والفاعل المعنوي في تحديد المسؤولية عن هذه الجرائم (في النجار، 2024، ص 104-105).

وفي المقابل فهناك من يرى إمكانية إسناد القصد الجنائي إلى الذكاء الاصطناعي، هذا بالنسبة للأنظمة المستقلة إذا تم النظر في المشكلة من خلال اتباع نهج الآلة. ولكن قد يكون هذا الإسناد دون نتيجة، حين لن يخضعوا للملاحقة القضائية؛ لأنهم يفتقرون إلى الشخصية القانونية، وبالتالي فلا يمكن للقانون الجنائي أن يستوعب سلوكيات الآلات المستقلة (Tany, 2022, p53).

وأما الفقه الجنائي المعاصر، فهو على خلاف المذهب التقليدي، فقد نادى بضرورة تطبيق أحكام المسؤولية الجنائية على كيانات الذكاء الاصطناعي، وبفرض عقوبة تتناسب وطبيعته (Medjdoub, & Benaouda, p72025). ويسوغ هذا الاتجاه موقفه انطلاقاً من التطور المستمر لأنظمة الذكاء الاصطناعي، ما يجعل توافر قدراتها على امتلاك الإدراك الصناعي، أمراً ممكناً، لاسيما في أنظمة الذكاء من نوع التعلم العميق، ولتطبيق ذلك وضعت بعض الشروط التي لا بد من تحققها حتى يتم إسناد المسؤولية الجنائية لهذه الأنظمة، وهذه الشروط تكمن في وجود الخطورة الإجرامية لديها، والاعتراف بالشخصية القانونية لها، أسوة بالشخصية الاعتبارية، وكذلك وصولها إلى درجة من التطور، تمكنها من الوعي والإدراك الحسي والقدرة على اتخاذ القرار. (ورد في عثمان، 2026، ص 11-12).

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود عديد من التحديات القانونية التي تواجه فكرة تطبيق أحكام المسؤولية الجنائية التقليدية على جرائم الذكاء الاصطناعي، وهي تتمثل بعدم وجود إطار قانوني خاص، يمكن تطبيقه على هذه الجرائم، وعدم القدرة على تحديد فاعلها الحقيقي، إلى جانب صعوبة تتعلق بالركن الأساسي لقيام هذه المسؤولية، وهو الركن المعنوي الذي يشترطه المشرع سواء أكان بصورة القصد الجرمي أم الخطأ، وهذا لا يتوافر لدى الذكاء الاصطناعي، ففي أنظمة لا تمتلك إرادة أو نية جنائية، إلى جانب قصور الأدلة الرقمية و التقليدية في إثبات جرائم تقنيات الذكاء الاصطناعي، الأمر الذي قد يؤثر في القدرة لإثبات المسؤولية الجنائية أو نفيها (ورده في الحمداني، 2025، ص 338-339).

وعند النظر في احتمال إقرار المسؤولية الجنائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي، تبرز فكرة إمكانية منح هذه التقنيات الشخصية القانونية، على غرار الإنسان والشخص الاعتباري، فإسناد المسؤولية الجنائية لهذا الذكاء عن ارتكاب جريمة تقع

منه بشكل مباشر، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمنحه مركزاً قانونياً، تتحدد بناء عليه الآثار القانونية المتعلقة بإجراءات الملاحقة الجزائية وطبيعة الجزاء الذي يمكن فرضه، سواء أكان من حيث نوعه أم من حيث إجراءات تنفيذه ومكانه. فالاعتراف بالشخصية القانونية أمر في غاية الأهمية، يجب أن يأخذه المشرع بعين الاعتبار، ففكرة الشخصية القانونية وإن كانت مرتبطة بفكرة الشخصية الإنسانية ابتداءً، فإنها ليست معلقة بها انتهاءً، على أن يتم وضعها ضمن قواعد قانونية تراعي خصوصيته وطبيعته، دون أن تلقى عليه بالمسؤولية القانونية (الخطيب، 2020، ص30).

وفي هذا الإطار يقدم الفقه القانوني ثلاث احتمالات حول أفاق منح الشخصية القانونية لهذه الأنظمة، الأول: يقوم على الاعتراف بشخصية قانونية لها شبيهة بالإنسان، والثاني: منحها شخصية قانونية على غرار الشخصية الاعتبارية، وأما الثالث، فيقوم على منح الذكاء الاصطناعي شخصية قانونية محدودة (Bikeev, & et al, 2019, p6).

وهناك من يرى إمكانية منح شخصية قانونية من نوع خاص لبعض أنواع الذكاء الاصطناعي، لاسيما تلك التي تمتلك القدرة على تلك التي قد يؤهلها مستقبلاً التمتع بالإدراك كالبشر، وهذه القدرة تجعلها تقترب من نموذج الجهات التي يعترف المشرع لها بالشخصية القانونية، وتغير من وصفها بالأشياء، فمنح الشخصية القانونية من حيث الأصل لا يرتبط بالإنسان فقط، فبعض التشريعات - على سبيل المثال - للحيوان، إلى جانب أن قدرة الإدراك والتمييز ليس المعيار الأساسي لمنحها، فالإنسان تثبت له هذه الشخصية من لحظة ولادته بالرغم من أنه لا يمتلك قدرة التمييز، ويثبت له جميع الحقوق ولا يتحمل أية التزامات مالية، ولا يمكن مساءلته جزائياً. (في النجار، 2024، ص99-100).

ويرى الباحث أن الأخذ بأي احتمال من الاحتمالات السابقة، يترتب عليه الإقرار بتمتع أنظمة الذكاء الاصطناعي بمجموعة الحقوق والالتزام بالواجبات التي يفرضها القانون، كما هو الحال لدى الأشخاص الآخرين في القانون. لذلك يتطلب الاعتراف بالذكاء الاصطناعي بوصفه محلاً للمسؤولية الجنائية عن أفعاله، ابتداءً بمنح مركز قانوني محدد، وهذا بعد ذاته يفرض على المشرع مراجعة النظام القانوني السائد في الدول، والعمل على تكييفه مع التطورات على صعيد استخدام الذكاء الاصطناعي والاحتياجات المتنوعة والمتغيرة داخل المجتمع.

وتجدر الإشارة إلى وجود اتجاه آخر يعارض فكرة الاعتراف بالشخصية القانونية لأنظمة الذكاء الاصطناعي، مسوّغاً ذلك في عدم امتلاكها الذمة المالية المستقلة، فهي عبارة عن آلة لا تحتاج إلى الدخول في العلاقات القانونية والمالية مع أطراف أخرى، ويرى هذا الاتجاه أن منح الشخصية القانونية لهذه الأنظمة؛ بسبب المسؤولية الجزائية عليه، قد يؤدي إلى إفلات الفاعل الحقيقي للجريمة أو أي طرف له علاقة بها كالمالك والمستخدم، أو جهة أخرى تسببت بوقوعها، ويرجح تطبيق فكر الفاعل المعنوي للجريمة، إذا كانت هذه الجهات تقصده، ما يدفع باتجاه إسناد المسؤولية الجزائية كاملة إلى كل من تسبب عمداً في وقوعها (المالكي، 2026، ص1613).

فالشخصية القانونية للذكاء الاصطناعي لا يمكن مساواتها بالشخصية القانونية للإنسان أو الشخص الاعتباري، فالإنسان يتصرف على أساس مجموعة من العمليات العقلية، مسترشداً بخبراته الذاتية المكتسبة، وكذلك الحال بالنسبة لتصرفات الشخص الاعتباري، التي يقف وراءها أفراد، لا يستطيع الإنسان من دون تعليماتهم القيام بأي نشاط، أما الذكاء الاصطناعي فيتصرف بشكل مستقل، دون امتلاك وعي أو مشاعر (Bikeev, & et al, 2019, p6).

ولتوضيح ذلك فالنموذج الذي يعتد به لقيام المسؤولية الجنائية يطبق على الإنسان المدرك الواعي، وهذا النموذج لم يوجه للذكاء الاصطناعي، وفي حال تطبيقه على الجرائم المرتكبة في هذا المجال، فإن انعدام الوعي أو الإرادة لهذه الأنظمة يفيان عنها المسؤولية الجنائية، فهذه المسؤولية لا يمكن الإقرار بها إلا إذا ثبت أنها تمتلك هذه العناصر، كما أن إسناد المسؤولية الجنائية لها بشكل خرقاً مباشراً لمبدأ الشرعية الجنائية، فنصوص قانون العقوبات بشقها الموضوعي يتم صياغتها لتخاطب الشخص الطبيعي والمعنوي، وبالتالي فلا يمكن إسنادها بشكل مباشرة للذكاء الاصطناعي (الشريف، 2021، ص145-146).

وخلاصة القول في هذا الجانب أن المشرع الجنائي في الأنظمة القانونية المعاصرة، يعترف - فقط - بنوعين من الأشخاص القانونيين، وهما الشخص الطبيعي والمعنوي، فمركز هؤلاء الأشخاص يؤهلهم بموجب أحكام القانون الجنائي لأن يكونوا محلاً للمساءلة الجنائية في حال ارتكاب أحدهم جريمة ما، مع الأخذ بعين الاعتبار الاختلاف بتبعات هذه المسؤولية المتمثلة بنوع الجزاء الذي يمكن الحكم به على هؤلاء الأشخاص. وبالتالي لم يضع المشرع الجنائي في معظم الدول أية نصوص خاصة تتعلق بالشخصية القانونية للذكاء الاصطناعي أو ما يخص مسؤوليته الجنائية مباشرة. وبالتالي لا يمكن الاعتراف بالذكاء الاصطناعي محلاً للمسؤولية دون تحديد مركز قانوني له، فهو كيان مجرد من الإرادة بمفهومها القانوني، التي تؤهله لاتخاذ قرار مستقل تجاه أفعاله، عدا ذلك فمن متطلبات المساءلة الجنائية توافر تمتع الشخص محل المسؤولية الجنائية بالأهلية الإجرائية.

4.2.2 المسؤولية الجنائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي:

لا تقتصر المشكلة الأساسية في المسؤولية الجنائية عن الجرائم المرتبطة بالذكاء الاصطناعي في تحديد الجاني الحقيقي لها، بل تتعدى ذلك لتشمل تحديد الجهة المسؤولة قانوناً عن هذه الأفعال، وهذا يتطلب منا تعريف هذه الجرائم وتحديد الجهة التي يمكن مساءلتها عنها، وذلك على النحو التالي:

• جرائم الذكاء الاصطناعي:

يستخدم مصطلح "جرائم الذكاء الاصطناعي لتغطية الأداء المتعمد لنظام الذكاء الاصطناعي لأفعال من شأنها أن تشكل جريمة إذا قام بها البشر مع توافر الإرادة الجنائية، كما يستخدم هذا المصطلح للإشارة - على وجه التحديد - إلى جرائم

الذكاء الاصطناعي التي لا يمكن اعتداد أي إنسان مسؤولاً عنها جنائياً، وفقاً للمعايير المستخدمة حالياً لإسناد المسؤولية الجنائية" (Nerantzi, & Sartor, 2024, p2).

فقد أدى التطور المتسارع للتقنيات الحديثة التي تعتمد على أنماط متطورة من البرمجة الحديثة، إلى زيادة في الأنظمة الذكية وأكسبتها القدرة على التصرف واتخاذ القرارات بشكل مستقل عن مالكيها وصانعيها ومبرمجها، وهذا بدوره انعكس على ظهور أنماط متنوعة من الجرائم التي قد ترتكبها هذه الأطراف باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، منها الجرائم التي ترتكبها المركبات ذاتية القيادة والروبوتات الذكية، والطائرات المسييرة (ابو علي، 2025، ص50).

وفي تقرير خاص صادر عن الشرطة الأوروبية عن التحديات الكبيرة التي قد تنشأ مستقبلاً عن استخدام الذكاء الاصطناعي لأغراض إجرامية، أشار التقرير إلى خطورة استخدام الذكاء الاصطناعي لغايات إجرامية، فقد تسهل هذه الأنظمة مهمة الأشخاص الذين يسعون إلى ارتكاب الجرائم، كالهجوم على الأنظمة والشبكات أو إرسال رسائل تصيدية من خلال البريد الإلكتروني، وغيرها من الاستخدامات السلبية (Report Europol, 2019, p10).

كما أن قدرة الذكاء الاصطناعي على التصرف بحرية، قد تؤدي إلى وقوع بعض مظاهر السلوك الضارة، حتى لو كانت بشكل غير مقصود. فكلما زادت قدرة هذه الأنظمة على محاكاة القدرات العقلية للإنسان، زادت احتمالات قدرتهم على الاستجابة للبوارجح الإجرامية، وبالتالي تتزايد استخداماتها لتحل مكان الإنسان، وهذا يترتب عليه المزيد من التواصل مع الأشخاص العاديين والأنظمة ذات الكفاءة المتزايدة التي قد تتسبب بارتكاب بعض الجرائم، فكل ذلك يشير إلى إمكانية البدء في ارتكاب الجرائم بشكل مستقل (Tany, 2022, p21).

ومن أمثلة الجرائم التي قد تقع نتيجة استخدام الآلات التي تعمل بالذكاء الاصطناعي، جريمة القتل التي وقعت بسبب سيارة تعمل بالذكاء الاصطناعي، وتلخصت وقائع القضية في حادثة وقعت في عام 2018م، عندما اصطدمت سيارة ذاتية القيادة بسيدة كانت تقود دراجة فتسببت في وفاتها متأثرة بإصابتها بجراح خطيرة، وكانت تعمل هذه السيارة تحت إشراف بشري، لكن لم تتمكن من التعرف إلى حركة السيدة، ما تسبب في حدوث الجريمة (ورد في المالكي، 2026، ص1605). وتجدر الإشارة إلى أن هناك نماذج أخرى لبعض الجرائم التي قد ترتكبها أنظمة الذكاء الاصطناعي أو بوساطتها، والتي تشير بمجملها إلى ضرورة العمل على إيجاد حلول قانونية مستقبلية، تسهم في الوقاية ومكافحتها، ومن أبرزها:

1. انتهاك حرمة الحياة الخاصة للأفراد والقرصنة الإلكترونية للبرامج والتصاميم.
2. التزييف العميق والتأثير في الرأي من خلال الحسابات الوهمية.
3. توظيف الذكاء الاصطناعي في أنشطة الإرهاب وغسل الأموال.
4. إمكانية خداع الذكاء الاصطناعي عبر خلق عميل مزدوج بشكل سري.

كما أن هناك أنواعاً أخرى من الجرائم قد ترتكب باستخدام الذكاء الاصطناعي، منها غسل الأموال والاتجار بالمخدرات والاتجار بالبشر، وتهريب المهاجرين، والفساد والاحتيال والاتجار بالأسلحة (الملا، 2021، ص106-107). وهناك من يحصر احتمالات وقوع جرائم الذكاء الاصطناعي في ثلاث حالات: يظهر في الأولى استخدامه وسيله لارتكاب الجريمة، وتبدو في الثانية المسؤولية التي تقع على المبرمج عندما تقع الجريمة بسبب البرمجة الخاطئة، ويتبين في الثالثة، عدم التحكم بالشكل الصحيح بهذه التقنية، مع التوقع - بشكل معقول - أنه قد يرتكب جريمة. وفي جميع هذه الاحتمالات، يمكن إسناد المسؤولية الجنائية إلى مستخدميها من البشر من خلال نظام القانون الجنائي القائم (Amishi, 2021).

وأما من ناحية تصنيف الجرائم التي ترتكب في إطار استخدام الذكاء الاصطناعي، فيمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع رئيسية، الأول: يشمل الجرائم المنصوص عليها في القانون الجنائي بأحكامه التقليدية، وبالتالي يمكن تنظيمها من خلال هذا القانون، أما الثاني فيشمل الجرائم التي لم يتم تنظيمها بشكل كامل من خلال القوانين الجنائية القائمة، وأما النوع الأخير فهو يتضمن الجرائم التي لم يتم تنظيمها بالقانون الجنائي، ولم يضع المشرع قواعد خاصة لها، كون الأحكام التقليدية للمسؤولية لا يمكن تطبيقها على هذه الأفعال.

من هنا نلاحظ وجود بعض الأفعال التي قد تظهر في تصرف معين لأنظمة الذكاء الاصطناعي، تعكس خطورة كبيرة على المصالح المحمية قانوناً وتشكل خطراً اجتماعياً، كم أن هذه الأفعال قد ينتج عنها ضرر بالعلاقات التي يحميها القانون الجنائي.

كما أن الانتشار الواسع لاستخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي، قد يؤدي إلى زيادة الجرائم التي تقع في هذه المجالات، والتي ترتبط بطريقة أو بأخرى بهذه الأنظمة، الأمر الذي يترتب عليه سهولة ارتكاب هذه الجرائم، وصعوبة إثباتها وتحديد المسؤولية الجنائية عن هذه الجرائم نظراً لعدم وجود قواعد قانونية واضحة للتعامل مع هذه الحالات (الفلاسي، 2021، ص2890-2891).

ويرى الباحث أنه بالرغم من صعوبة إيجاد اتجاه محدد لفرض المسؤولية الجنائية وإقرارها في إطار الاستخدام المتنوع للذكاء الاصطناعي وما ينتج عنه من إساءة استغلال، أو في تلك الحالات التي تقع فيها نتيجة جرمية بطريقة غير مقصودة منها، ويبقى لقواعد القانون الجنائي بصورتها التقليدية أهمية في معالجة الفراغ التشريعي في تنظيم هذه المسائل المستحدثة على صعيد القانون الجنائي، لاسيما فيم يتعلق في موضوع إقرار المسؤولية الجنائية عن جرائم الذكاء

الاصطناعي، فمن ناحية إساءة استخدام هذه الأنظمة لأغراض إجرامية، بوصفها وسيلة من أية جهة كانت، فإن المسؤولية تقع على عاتق مستخدميها، وذلك انطلاقاً من أنها لا تغدو بهذه الحالة أكثر من كونها أداة لارتكاب الجريمة. وفي الحالات الأخرى التي يثبت بها أن هذه الأنظمة تمتلك نوعاً من القدرة، جعلتها ترتكب سلوكاً ما يعتبر جريمة يجب البحث عن مسؤولية الجهات ذات العلاقة بها كالمبرمج والمستخدم أو المصنع والبحث في وجود أي خلل غير مقصود أو مقصود أدى إلى وقوع النتيجة الضارة، استناداً إلى قواعد المسؤولية. وبغض النظر عن مرحلة التطور الذي وصل له الذكاء الاصطناعي، والذي قد يصل لمستوى الذكاء الطبيعي أو يتجاوزه، فلا يمكن القول بأنه مسؤول عن تصرفاته، فالمسألة لا تتعلق بهذا الذكاء، وإنما تتعلق بالإدراك والوعي، فبالرغم من ذكائه الفائق فهو لم يصل إلى مرحلة الإدراك الانساني. وعليه فلا يمكن القول بإمكانية وجود مسؤولية قانونية على الآلة بعد ذاتها (الخطيب، 2020، ص 25-26).

نستنتج مما سبق، ومن تحليل الآراء المختلفة حول موضوع المسؤولية الجنائية لأنظمة الذكاء الاصطناعي، أن هذه الأنظمة من وجهة نظر قانونية لا تمتلك القدرات التي تؤهلها من الناحية القانونية للمساءلة الجنائية بشكل مستقل عن أي جريمة، بمعنى لا يمكن أن تكون محلاً للمسؤولية الجنائية لافتقارها للعناصر اللازمة كشرط لقيامها، لاسيما في الجانب المعنوي للجريمة التي تشكل بعناصرها رابطة نفسية لازمة للقرار بالمسؤولية الجنائية، عدا ذلك فلا يمكن إسناد هذه المسؤولية الجنائية لهذه الأنظمة على غرار الشخصية الاعتبارية، كونها لا تمتلك المركز القانوني المحدد، فلا يعترف لها بالشخصية القانونية المستقلة التي تعد الأساس في أسناد المسؤولية القانونية.

• الجهة المسؤولة عن الجرائم ذات العلاقة بأنظمة الذكاء الاصطناعي:

هناك عديد من التحديات المرتبطة بتحديد المسؤولية الجنائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي، تبدأ من تحديد الجهة المسؤولة عن هذه الجرائم، وكذلك نوع الجزاء المناسب الذي يمكن إقراره لهذه الجرائم وطبيعته، إلى جانب الظروف التي قد يقرن بها، ومسألة تفريد العقوبة، وتنفيذ الجزاء، لتحقيق أهدافه المتعلقة بالإصلاح والتأهيل وردع الجريمة، وتنفيذ أساليب المعاملة العقابية الحديثة. وأخيراً الجدوى من فرض هذا الجزاء على الذكاء الاصطناعي. فالبناء القانوني للمسؤولية الجزائية يقوم على أساس العناصر التي تتكون منها هذه المسؤولية، إلى جانب الجزاء الذي قد يتحمله مرتكب الجريمة على سلوكه المخالف للقانون، فمجرد الإقرار بفرض المسؤولية الجزائية على أنظمة الذكاء الاصطناعي، فلا بدّ من البحث في مسألة أخرى في غاية الأهمية والتي تعد جوهر المسؤولية الجنائية، ألا وهي الجزاء المناسب الذي يمكن تطبيقه على هذه الأنظمة.

فالجزاء الجنائي - بشكل عام - يعرف بأنه عبارة عن ردة فعل المجتمع الذي أخلت الجريمة بأمنه ضد مرتكبها في حال ثبوت مسؤوليته عنها، فهو الأثر المترتب على وقوع الجريمة، ويفرض بموجب حكم قضائي صادر عن محكمة مختصة. والجزاء الجنائي، له صورتان: العقوبة والتدابير الاحترازية (السراج، 2018، ص 117) ويتم اختياره بناء على شخصية الجاني من حيث قدرته على تحمل المسؤولية العقابية، فمناطق الحكم في العقوبة يتمثل بتوافر أية صورة من صور القصد الجنائي، أما التدابير الاحترازية فيتم الأخذ بها في حال توافر الخطورة الإجرامية لدى الجاني، وقد يجتمع النطق بهما معاً في حال اجتماع الخطورة الإجرامية والقصد الجنائي معاً (المجالي، 2012، ص 439).

فالأصل في فرض العقوبة هو تحقق عناصر المسؤولية الجنائية بحق مرتكب الجريمة، فهي لا تفرض إلا على مرتكب الجريمة بناء على حكم قضائي، تحقيقاً لأغراض معينة حددها القانون. وللجزاء الجنائي مجموعة من المبادئ التي يجب على المشرع الالتزام بها عند إقراره لأية عقوبة، وهذه المبادئ نجملها على النحو التالي: (المجالي، 2012، ص 442-443).

1. قانونية الجزاء الجنائية، ومضمون هذا المبدأ أن المشرع هو من يقرر نوع الجزاء ويبين مقداره.
 2. شخصية العقوبة، فالعقوبة لا تفرض إلا على من ارتكب الجريمة أو شارك بها.
 3. قضائية العقوبة، فالقضاء هو الجهة المختصة بالحكم.
 4. والمساواة في تقريرها، ويقصد عدم التمييز بالعقوبة المقررة لأية اعتبارات مهما كان مصدرها.
 5. تفريد الجزاء، ويقصد به اختيار الجزاء المناسب لمرتكب الجريمة وحسب ظروفه.
- وإلى جانب المبادئ المتقدمة فيمكن إضافة مبادئ أخرى يجب أن تستند عليها فكرة الجزاء الجنائي، وهي أنه جزاء يفرض باسم المجتمع لأغراض الردع والإصلاح، وأن يكون جزاء عادلاً (السراج، 2018، ص 118).
- فالمهدف الأساسي الذي يسعى المشرع إلى تحقيقه من وراء إقرار العقوبة، هو محاولة التأثير في سلوك مرتكبها، حتى يجعل منه سلوكاً قوياً ينسجم مستقبلاً مع قواعد القانون، وهو ما يطلق تحقيق الردع الخاص أو إعادة إصلاح الجاني ودمجه في المجتمع، والذي يأتي مكملاً للردع العام الذي يتحقق - بشكل تلقائي - من العقوبة القائمة على الإيلام (سرور، 2002، ص 245).

ونظراً لعدم توافر العناصر الأساسية للمسؤولية الجنائية لدى الذكاء الاصطناعي كما سبق الإشارة إليه، وعدم الاعتراف به موضوعاً مستقلاً لها، فقد يتحملها أشخاص آخرون تربطهم علاقة بهذه الجرائم، كالمبرمج والمصنع والبائع والمستخدم للمسؤولية؛ كون هذا الذكاء لا يمكن أن يصبح محلاً كاملاً للمسؤولية الجنائية إلا بعد اعتراف القانون به، على هذا النحو.

كما أن فرض أي جزء من صور الجزاء الموجودة حالياً في القانون الجنائي، لاسيما العقوبات البدنية والسالبة للحرية منها والمالية، يتطلب ابتداء التحقق من مدى إمكانية الحكم بها وتنفيذها. وهذا الأمر لا يمكن تطبيقه على جرائم الذكاء الاصطناعي.

فقواعد القانون الجنائي التي وضعت بالأصل للتعامل مع الإنسان بشكل أساسي، يواجه حالياً صعوبات مرتبطة بمسايرة هذا القانون للتطور الحاصل في التقنيات الحديثة التي تعمل بشكل مستقل عن الإنسان، وبالأخص تنظيم التطورات الحاصلة على صعيد أنظمة الذكاء الاصطناعي، فهذا القانون بالأصل نص على مسؤولية مشغل الآلة عن النتائج الإجرامية التي تقع منه (الفلاسي، 2021، ص 2837).

وهناك من يميز بين ثلاث احتمالات للمسؤولية الجزائية، التي يمكن إيقاعها على الذكاء الاصطناعي عن الجرائم التي تقع عن سوء صناعة تقنية الذكاء الاصطناعي، وكذلك مشغل هذه التقنية أو مبرمجها، وكذلك مسؤولية المالك لهذه التقنية، فمسؤولية المصنع تنتج عن العيوب التي تسبب الضرر جراء استخدام منتج، وأما مسؤولية المشغل فهي المسؤولية القانونية لمشغل هذه التقنية؛ أي الشخص الذي استخدمه. وأخيراً مسؤولية الذكاء الاصطناعي نفسه في حال منحه الشخصية القانونية (Kuklińska, 2021, p9).

كما يرى البعض أن القواعد الجنائية بشقها الموضوعي، لاسيما منها الناطمة لأحكام المسؤولية الجنائية، فيمكن الأخذ بها في الظروف العادية التي ترتكب بها جرائم تتعلق بأنظمة الذكاء الاصطناعي بوصفها أساساً لتحديد المسؤولية، على أن يفرض الجزاء في هذه الحالة على من له سلطة التحكم في هذه الأنظمة والقدرة عليها، على أن تنظم هذه الأحكام في إطار تشريع خاص يتلاءم مع التطورات الحاصلة في هذا المجال (كريم، 2022، ص 61).

وعليه فيمكن القول: إن أحكام المسؤولية الجنائية بصورتها التقليدية تبقى قائمة، ولكنها تسند إلى الأشخاص الذين يمتلكون القدرة على برمجة هذه الأنظمة أو التحكم بها، أو اتخاذ القرار تجاهها، وذلك استناداً إلى المبادئ العامة للمسؤولية، فاستخدام هذه التقنيات في ارتكاب الجريمة لا يعفي هذه الجهات من المسؤولية، طالما كانت طرفاً في الاستغلال المباشر لها في مخالفة قواعد القانون الجنائي، أو وقعت الجريمة بسبب الإهمال الجسيم من طرفها (أورده الحمداني، 2025، ص 338). وكأثر للجرائم المرتكبة باستخدام الذكاء الاصطناعي، فهناك بعض التدابير والعقوبات التي يمكن اتخاذها، سواء تجاه هذه الأنظمة نفسها، أو الجهات الأخرى المتسببة في الجريمة، فمن ناحية التدابير التي يمكن فرضها على الذكاء الاصطناعي: الحل والإتلاف والمصادرة والإيقاف، وإعادة التأهيل أو البرمجة، والتحقق من سلامتها، ومثال على ذلك سحب الرخصة عن السيارة ذاتية القيادة ومنعها من التجوال، وأما من ناحية مسؤولية الأطراف الأخرى، فهناك عديد من العقوبات التي يمكن فرضها، وتختلف تبعاً لصور القصد الجرمي إن كان عمداً أو عن طريق الخطأ، فبالاحتمال الأول: تكون المسؤولية الجزائية كاملة عن الجريمة كما حددها المشرع للجريمة، وفي الاحتمال الثاني: تتحمل هذه الأطراف تبعات إهمالها وتقصيرها في حالة توافر الخطأ غير المقصود من طرفها في إدارة هذه الأنظمة وبرمجتها، أو استخدامها. (المالكي، 2026، ص 16013-16014)

وخلاصة القول في هذا الجانب أن إقرار المسؤولية الجنائية المباشرة بشكلها الحالي على جرائم الذكاء الاصطناعي، قد يترتب عليه كثير من العقبات، قد تنتج عن عدم جاهزية الأنظمة القانونية في معظم الدول لمواجهتها، تتمثل في كيفية القيام بإجراءات الملاحقة الجزائية، وتنفيذ الجزاء الذي يمكن فرضه بوصفه نتيجة أساسية لقيام هذه المسؤولية، الأمر الذي يحتم العمل على إجراء تعديلات جوهرية في نظام الإجراءات الجزائية التي تعد الأداة الرئيسية في هذه الملاحقة، فهذه الإجراءات تبدأ من لحظة البلاغ عن الجريمة، وتنتهي بدخول الدعوى حوزة المحكمة والفصل فيها وتنفيذ الحكم، وهذا بدوره - يتطلب الاعتراف بالمسؤولية الجنائية المباشرة للذكاء الاصطناعي، وإجراء تطوير في عمل الجهات المختصة بالتحري والاستدلال، وهذا الوضع ينطبق على مرحلتَي التحقيق الابتدائي والمحاكمة التي خصها المشرع بإجراءات وضمانات وجدت لحماية الإنسان.

لذلك فإن ملاءمة إجراءات الملاحقة تشكل مسألة هامة للقول بإمكانية إقرار المسؤولية الجنائية المباشرة للذكاء الاصطناعي، كما أن طبيعة قواعد الملاحقة تنطلق - أيضاً - من كونها قواعد موضوعية نظمت أحكامها في القسم العام، ولا يمكن أن تأخذ سبيلها للتطبيق من دون وجود قواعد إجرائية واضحة، انطلاقاً من فكرة التلازم في تطبيق قواعد القانون الجنائي بشكل عام.

كما أن سرعة التطور الذي قد يحدث مستقبلاً على صعيد الاستخدام للذكاء الاصطناعي، أو على صعيد القدرات التي قد تصل إليها هذه الأنظمة في محاكاة القدرات الموجودة لدى البشر، فقد يسهم - بشكل أو بآخر - في تسهيل ارتكاب الجريمة واستغلالها المجرمين لها لأغراض إجرامية واتساع نطاقها لتشمل جميع مجالات الحياة التي تستخدم بها هذه التقنيات، وبالتالي زيادة خطورتها والأضرار الناجمة عنها، وعليه فيتطلب ذلك معالجة القصور في القانون الجنائي في هذا المجال من خلال تعديل العقوبات وفرض عقوبات رادعة في حال تم استخدام هذه الأنظمة في ارتكاب الجريمة. وعليه، وتجنباً للوقوع في كثير من الإشكاليات التي قد تترتب على إقرار المسؤولية الجنائية المباشرة لأنظمة الذكاء الاصطناعي، لاسيما في ظل عدم نضوج فهم هذه الأنظمة من الناحية القانونية، وكذلك لضمان عدم الإفلات من العقاب على الجرائم التي قد تقع من هذه الأنظمة، فمن الضرورة استبعادها من المسألة الجنائية المباشرة؛ لأن في فرضها تبقى الجهات ذات العلاقة بها بمعزل عن المساءلة في كثير من الأحيان، الأمر الذي تترتب عليه نتائج سلبية على تحقيق العدالة،

وهي إفلات المجرم الحقيقي من المسؤولية الجنائية، وعليه يبقى حصر هذه المسؤولية في المبرمج والمستخدم والمالك هو الحل الأكثر واقعية من الناحية القانونية.

5. الخاتمة

إن قواعد المسؤولية الجنائية بمفهومها الحديث مرت بعدد من التجارب، وتطورت عبر مراحل مختلفة في القانون الجنائي، حتى تبلورت عناصرها الحالية، وفي ظل التطور التكنولوجي الحاصل على صعيد الذكاء الاصطناعي، وتنوع مجالات استخدامه في الحياة، وما قد ينجم ذلك من جرائم، تبرز مسألة إيجاد إطار قانوني ناظم لأحكام المسؤولية الجنائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي، مسألة في غاية الأهمية على صعيد مكافحة الجريمة بشكل عام، والجرائم التي تقع نتيجة السلبية للذكاء الاصطناعي بشكل خاص، ولكن هذا الأمر يتطلب التريث حتى اكتمال فهم مدى قدرة هذا الذكاء على ارتكاب الجريمة بشكل مباشر، وكذلك التحقق من توافر مقومات المسؤولية الجنائية التي حددها المشرع لدى مرتكب السلوك الإجرامي، لاسيما تلك المرتبطة بالقدرة على الإدراك والتمييز وما يرتبط بها من أصول نفسية ذات علاقة بأهلية المساءلة الجنائية. وفي ختام هذا الدراسة التي بحثنا فيها موضوع محل المسؤولية الجنائية عن الجرائم المرتكبة في إطار استخدام الذكاء الاصطناعي؛ الإشكاليات المعاصرة والآفاق المستقبلية، توصلنا إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، نستعرضها على النحو التالي:

6. النتائج والتوصيات

6.1 النتائج

1. يعد التعرف إلى ماهية الذكاء الاصطناعي مسألة هامة للتوصل إلى وضع إطار قانوني، ينظم مختلف العلاقات الناشئة عن استخدامه، وما ينجم عن ذلك من جرائم في المستقبل.
2. إن استخدام الذكاء الاصطناعي في ارتكاب الجريمة وتحديد مسؤوليته الجنائية، تعد مسألة حديثة في النظام القانوني، وهي لم تحظ حتى الآن بالدراسات القانونية الكافية، الأمر الذي أدى إلى ظهور اتجاهات متعارضة مختلفة في هذا الجانب، لاسيما على صعيد إجراءات الملاحقة والجزاء الجنائي.
3. يشكل فهم حقيقة قدرات الذكاء الاصطناعي مسألة جوهرية في تحديد إمكانية إدراجه ضمن الجهات الخاضعة للمسؤولية الجنائية، وتنظيم أحكامها في القانون الجنائي.
4. تتميز تقنيات الذكاء الاصطناعي بمجموعة من الخصائص والقدرات، أكسبتها نوعاً من الاستقلالية الذاتية، ومكنتها من القيام بعدد من المهام التي يقوم بها العقل الإنساني.
5. إن إقرار المسؤولية الجنائية عن الجرائم المحتمل وقوعها مباشرة من الذكاء الاصطناعي، يجب أن يعتمد بالدرجة الأولى على مقدار تأثيره في الإنسان وإدراكه لخطورة أفعاله.
6. يعد الاعتراف بالشخصية القانونية لتقنيات الذكاء الاصطناعي وتحديد مركز قانوني خاص بها، شرطاً أساسياً لا بد من تحقيقه حتى يتم الإقرار بمسؤوليتها الجنائية.
7. يوجد إجماع بين فقهاء القانون على أن تطبيق أحكام المسؤولية الجنائية بمفهومها الحالي على الجرائم التي تقع من الذكاء الاصطناعي، تعد فكرة غير قابلة للتطبيق؛ نظراً لارتباطها بعدد من الآثار القانونية، لاسيما على صعيد إجراءات الملاحقة والجزاء الجنائي.
8. قد يترتب على الإسناد المباشر للمسؤولية الجنائية لأنظمة الذكاء الاصطناعي، إفلات جهات أخرى - قد تستغل هذه التقنيات في ارتكاب الجريمة - من الملاحقة الجنائية.
9. نظراً لانتشار جرائم الذكاء الاصطناعي وسهولة ارتكابها، فإن فرض عقوبات مشددة على الجهات ذات العلاقة بها تتلاءم وخطورتها، يعد خطوة هامة على صعيد مكافحتها.
10. إن إسناد المسؤولية الجنائية للأطراف ذات العلاقة بجرائم الذكاء الاصطناعي، يعد الحل الأمثل لمواجهة هذه الجرائم.

6.2 التوصيات

1. موازنة التشريعات الجنائية وتطويرها بما ينسجم مع التطور الحاصل في استخدام الذكاء الاصطناعي في ارتكاب الجريمة.
2. ضرورة الاعتراف بمركز قانوني محدد لأنظمة الذكاء الاصطناعي، ما يسهم في وضع إطار قانوني يتضمن الأحكام الخاصة التي يمكن تطبيقها على الجرائم التي قد تقع منها.
3. التوسع في دائرة المسؤولية الجزائية للأطراف ذات العلاقة بجرائم الذكاء الاصطناعي؛ لتشمل المبرمج والمستخدم.
4. العمل على فرض عقوبات مشددة على الأطراف ذات العلاقة بجرائم الذكاء الاصطناعي.

5. ضرورة وضع ضوابط ورقابة صارمة على المجالات الحيوية التي يستخدم فيها الذكاء الاصطناعي لتجنب الأضرار والآثار الخطيرة التي قد تقع بواسطته أو بمباشرة منه.
6. إجراء الأبحاث والدراسات المتخصصة في علم النفس؛ لفهم حقيقة قدرات الذكاء الاصطناعي للتعرف إلى توافر الأساس القانوني لإسناد المسؤولية الجزائية له.
7. عقد دورات تدريبية في مجال الذكاء الاصطناعي للجهات المختصة في تطبيق القانون وإنفاذه للتعريف بماهية الذكاء الاصطناعي ومجالات استخدامه والجرائم التي قد تقع منه.
8. الأخذ بعين الاعتبار خصوصية الاستخدامات الحيوية لأنظمة الذكاء الاصطناعي في حال إقرار أي جزاء على الجرائم المرتكبة، وذلك لتفادي الضرر الذي قد يلحق بهذه الخدمات.

الإقرارات:

- تضارب المصالح: يقر الباحث بأنه لا يوجد أي تضارب مصالح؛ مالي أو شخصي يؤثر في محتوى هذا البحث .
- توافر البيانات : البيانات المستخدمة والمحللة في هذا البحث متاحة لدى الباحثين، ويمكن توفيرها عند الطلب .
- مصدر التمويل: لم يتلق هذا البحث أي تمويل من أية جهة رسمية أو خاصة.

7. المصادر والمراجع

7.1 المراجع العربية

- المالكي، س.(2026): المسؤولية الجنائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي، مجلة البحوث الفقهية والقانونية(52) الحمداني، أ.(2025): المسؤولية الجنائية الوطنية الناشئة عن استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، مجلة الجامعة العراقية، مج (74) ع (8).
- أبو علي، م.(2025): المسؤولية الجنائية عن أضرار الذكاء الاصطناعي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع: القاهرة
- النجار، س.(2024): المسؤولية الجزائية الناشئة عن جرائم الذكاء الاصطناعي، مجلة جامعة الإمام جعفر الصادق للدراسات القانونية(7)
- السراج، ع.(2018): قانون العقوبات العام ج2، منشورات الجامعة السورية الافتراضية.
- أبو عفيفة، ط.(2011): الوجيز في قانون الإجراءات الجزائية الفلسطيني ، دار الثقافة للنشر والتوزيع :عمان
- المجالي، ن.(2012) : شرح قانون العقوبات القسم العام، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن.
- الحديثي، ف. الز عبي ، خ. (2010): الموسوعة الجنائية ج.1 شرح قانون العقوبات القسم العام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان.
- إبراهيم، أ.(2005): علم النفس الجنائي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان.
- الدرويش، ت.(2023): المسؤولية الجزائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي، مجلة الدراسات القانونية، مج(2022)
- العدوان، م.(2021): المسؤولية الجنائية عن أفعال كيانات الذكاء الاصطناعي غير المشروعة، مجلة دراسات الشريعة والعلوم القانونية مج48(4)
- الملا، م.(2021): الأبعاد التاريخية لتطور نظرية المسؤولية الجزائية وجدلية تطبيقها في عصر الذكاء الاصطناعي: دراسة تحليلية واستشرافية، مجلة كلية القانون الكويتية العالمية – السنة 10 – ملحق خاص – العدد 83 10 أبحاث المؤتمر السنوي 8 – الجزء 1
- الأمام، ن.(2020): المسؤولية الجنائية وعناصرها، بحث غير منشور، كلية الحقوق، جامعة المنصورة القاهرة.
- الفلاسي، ع.(2021): المسؤولية الجنائية عن الجرائم الناتجة عن الذكاء الاصطناعي، المجلة القانونية، مج9.(8)
- الخطيب، م.(2020): المسؤولية المدنية والذكاء الاصطناعي إمكانية المساءلة: دراسة تحليلية معمقة لقواعد المسؤولية المدنية في القانون المدني الفرنسي، مجلة كلية القانون الكويتية العالمية – السنة الثامنة عدد 1
- الشريف، م.(2021): المسؤولية الجنائية للإنسان الآلة: دراسة تأصيلية مقارنة، المجلة العربية لعلوم الأدلة الجنائية والطب الشرعي، م، 3، ع، ص140-159.
- إدليبي.(2023): المسؤولية الجنائية الناتجة عن أعمال الذكاء الاصطناعي، رسالة ماجستير، كلية القانون ، جامعة قطر.
- إمام، م.(1982): أساس المسؤولية الجنائية في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية ، رسالة دكتوراه ، جامعة الإسكندرية.
- بن عودة، م.(2022): إشكالية تطبيق أحكام المسؤولية الجنائية على جرائم الذكاء الاصطناعي، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، م 15 / العدد: 1 ص.187-205.
- دهشان، ي.(2020): المسؤولية الجنائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي. مجلة الشريعة والقانون، مج. 34، ع. 82، ص ص.100-144.
- حسن، ح .(2023): واقع الشخصية القانونية للذكاء الاصطناعي، مجلة روح القوانين المجلد 35، العدد 102، الصفحة 103-248 محمود، ش.(2020): ضوابط مسؤولية الشخص المعنوي الجنائية عن جرائم الإعلام الإلكتروني، دراسة تحليلية مقارنة مجلة جامعة تكريت للحقوق لسنة (5) مجلد(5) رقم (1) جزء (1) (2020) ص: 273-319
- منظر، س.(2024): قابلية التحكيم كوسيلة بديلة لفض النزاعات، "الذكاء الاصطناعي نموذجاً" مجلة جامعة الخليل للبحوث، مجلد 19 العدد (1)،
- سرور، م.(2002): القانون الجنائي الدستوري، دار الشروق، القاهرة.

عثمان، حكيم. (2026) إشكالية تطبيق أحكام المسؤولية الجنائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي، مجلة الأبعاد العلمية والإنسانية، مج(2)ع(1)
 عبد الستار، ف. (1987): شرح قانون العقوبات القسم العام، دار النهضة العربية، القاهرة.
 عبد الوهاب، م. (2023): المسؤولية الجنائية عن جرائم الذكاء الاصطناعي، مجلة القانون والعلوم البيئية، م(2)ع(2)
 علي، ك. (2022): الجوانب القانونية للذكاء الاصطناعي، مجلة جيل الأبحاث القانونية المعمقة –ع(54)
 خوري، ع. (2012): شرح قانون العقوبات، القسم العام، كلية الحقوق، جامعة الجزائر.
 وثيقة معلومات أساسية بشأن براءات الاختراع والتكنولوجيات (2019)، اللجنة الدائمة المعنية بقانون براءة الاختراع التابعة للمنظمة العالمية للملكية الفكرية. <https://www.wipo.int/tools/ar/gsearch.html#gsc.tab=0>

7.2 رومنة المراجع العربية

- al-Mālikī, S. (2026): al-Mas'ulīyah al-jinā'iyah 'an Jarā'im al-dhakā' alāshnā'y, Majallat al-Buḥūth al-fiqhīyah wa-al-qānūnīyah(52)
- al-Ḥamdānī, U. (2025): al-Mas'ulīyah al-jinā'iyah al-Waṭanīyah al-nāshi'ah 'an istikhdām Tiqniyāt al-dhakā' alāshnā'y, Majallat al-Jāmi'ah al-'Irāqīyah, Majj ((74) 'A (8.(
- Abū 'Alī, M. (2025): al-Mas'ulīyah al-jinā'iyah 'an aḍrār al-dhakā' alāshnā'y, Dār al-Nahḍah al-'Arabīyah lil-Nashr wa-al-Tawzī': al-Qāhirah
- al-Najjār, S. (2024): al-Mas'ulīyah al-jazā'iyah al-nāshi'ah 'an Jarā'im al-dhakā' alāshnā'y, Majallat Jāmi'at al-Imām Ja'far al-ṣād lil-Dirāsāt al-qānūnīyah(7)
- al-Sarrāj, 'A. (2018): Qānūn al-'uqūbāt al-'āmm j2, Manshūrāt al-Jāmi'ah al-Sūrīyah al-iftirāḍīyah.
- Abū 'Afīfah, Ṭ. (2011): al-Wajīz fī Qānūn al-ijrā'āt al-jazā'iyah al-Filasṭīnī, Dār al-Thaqāfah lil-Nashr wa-al-Tawzī': 'Ammān
- al-Majāli, N. (2012): sharḥ Qānūn al-'uqūbāt al-qism al-'āmm, Dār al-Thaqāfah lil-Nashr wa-al-Tawzī', 'Ammān, al-Urdun.
- al-Ḥadīthī, F. al-Zu'bī, Kh (2010): al-Mawsū'ah al-jinā'iyah J. 1 sharḥ Qānūn al-'uqūbāt al-qism al-'āmm, Dār al-Thaqāfah lil-Nashr wa-al-Tawzī', 'Ammān.
- Ibrāhīm, U. (2005): 'ilm al-nafs al-jinā'ī, Dār al-Thaqāfah lil-Nashr wa-al-Tawzī', 'Ammān.
- al-Darwīsh, t. (2023): al-Mas'ulīyah al-jazā'iyah 'an Jarā'im al-dhakā' alāshnā'y, Majallat al-Dirāsāt al-qānūnīyah, Majj(2022)
- al-'Adwān, M. (2021): al-Mas'ulīyah al-jinā'iyah 'an af'āl kiyānāt al-dhakā' alāshnā'y ghayr al-mashrū'ah, Majallat Dirāsāt al-sharī'ah wa-al-'Ulūm al-qānūnīyah mj48(4)
- al-Mullā, M. (2021): al-ab'ād al-tārīkhīyah li-tatawwur Naẓariyat al-Mas'ulīyah al-jazā'iyah wa-jadālīyat taṭbīqihā fī 'aṣr al-dhakā' alāshnā'y : dirāsah taḥlīlīyah wāstshrafy, Majallat Kullīyat al-qānūn al-Kuwaytīyah al-'Ālamīyah – al-Sunnah 10 – mulḥaq khāṣṣ – al-'adad 83 10 Abḥāth al-Mu'tamar al-Sanawī 8 – al-juz' 1
- al-Imām, N. (2020): al-Mas'ulīyah al-jinā'iyah wa-'anāshiruhā, baḥth ghayr manshūr, Kullīyat al-Ḥuqūq, Jāmi'at al-Manṣūrah al-Qāhirah.
- al-Fallāsī, 'A. (2021): al-Mas'ulīyah al-jinā'iyah 'an al-jarā'im al-nātijah 'an al-dhakā' alāshnā'y, al-Majallah al-qānūnīyah, mj9. (8)
- al-Khaṭīb, M. (2020): al-Mas'ulīyah al-madanīyah wa-al-dhakā' alāshnā'y imkānīyat al-musā'alah : dirāsah taḥlīlīyah mu'ammaqah li-qawā'id al-Mas'ulīyah al-madanīyah fī al-qānūn al-madanī al-Faransī, Majallat Kullīyat al-qānūn al-Kuwaytīyah al-'Ālamīyah – al-Sunnah al-thāminah 'adad 1
- al-Sharīf, M. (2021): al-Mas'ulīyah al-jinā'iyah ll'ns'āl : dirāsah ta'ṣīlīyah muqāranah, al-Majallah al-'Arabīyah li-'Ulūm al-adillah al-jinā'iyah wa-al-ṭibb al-shar'ī, M, 3.,
- Idlibī, 'A. (2023): al-Mas'ulīyah al-jinā'iyah al-nātijah 'an a'māl al-dhakā' alāshnā'y, Risālat mājistīr, Kullīyat al-qānūn, Jāmi'at Qaṭar.
- Imām, M. (1982): Asās al-Mas'ulīyah al-jinā'iyah fī al-qānūn al-waḍ'ī wa-al-sharī'ah al-Islāmīyah, Risālat duktūrāh, Jāmi'at al-Iskandarīyah.
- ibn 'Awdah, M. (2022) : Ishkālīyat taṭbīq Aḥkām al-Mas'ulīyah al-jinā'iyah 'alā Jarā'im al-dhakā' alāshnā'y, Majallat al-Ḥuqūq wa-al-'Ulūm al-Insānīyah, M 15 (1)
- Dahshān, Y. (2020): al-Mas'ulīyah al-jinā'iyah 'an Jarā'im al-dhakā' alāshnā'y. Majallat al-sharī'ah wa-al-qānūn, Majj. 34, 'A. 82, Ṣ Ṣ. 100-144.
- Ḥasan, Ḥ. (2023): wāqī' al-shakhṣīyah al-qānūnīyah lldhkā' alāshnā'y, Majallat Rūḥ al-qawānīn al-mujallad 35, al-'adad 102, al-Ṣafḥah 103-248

- Maḥmūd, Sh. (2020): Ḍawābiṭ Mas'ūliyyat al-shakḥ al-Ma'nawī al-jinā'iyah 'an Jarā'im al-A'lām al-iliktrūnī, dirāsah taḥlīliyyah muqāranah Majallat Jāmi'at Tikrīt lil-Ḥuqūq li-sanat (5) mujallad (5) raqm (1) Juz' (1) (2020) Ṣ : 273-319
- munzar, S. (2024): qāblyh al-taḥkīm ka-wasīlah bdyh li-faḍḍ al-nizā'āt, "al-dhakā' alāṣṭnā'y namūdhan" Majallat Jāmi'at al-Khalīl lil-Buḥūth, mujallad 19, al-'adad(1)
- Surūr, M. (2002): al-qānūn al-jinā'ī al-dustūrī, Dār al-Shurūq, al-Qāhirah.
- 'Uthmān, Ḥakīm. (2026) ishkalīyat taṭbīq aḥkām al-Mas'ūliyyah al-jinā'iyah 'an Jarā'im al-dhakā' alāṣṭnā'y, Majallat al-ab'ād al-'Ilmiyyah al-Insāniyyah, Majj (2) 'A(1)
- 'Abd al-Sattār, F. (1987): sharḥ Qānūn al-'uqūbāt al-qism al-'āmm, Dār al-Nahḍah al-'Arabīyah, al-Qāhirah.
- 'Abd al-Wahhāb, M. (2023): al-Mas'ūliyyah al-jinā'iyah 'an Jarā'im al-dhakā' alāṣṭnā'y, Majallat al-qānūn wa-al-'Ulūm al-bi'iyah, m2(2)
- 'Alī, K. (2022): al-jawānib al-qānūniyyah lldhkā' alāṣṭnā'y, Majallat jīl al-Abḥāth al-qānūniyyah al-mu'ammaqah – 'A(54)
- Khūrī, 'A. (2012): sharḥ Qānūn al-'uqūbāt, al-qism al-'āmm, Kullīyat al-Ḥuqūq, Jāmi'at al-Jazā'ir.
- wathīqah ma'lūmāt asāsiyyah bi-sha'n barā'āt al-ikhtirā' wa-al-tiknūlūjiyā (2019), al-Lajnah al-dā'imah al-ma'nīyah bi-Qānūn barā'at al-ikhtirā' al-tābi'ah lil-Munazzamah al-'Ālamīyah Ilmkyyh al-fikriyyah. <https://www.wipo.int/tools/ar/gsearch.html#gsc.tab=0>

7.3 المراجع الأجنبية

- Agarwal, A. (2021). Analysing the possibility of imposing criminal liability on AI systems. Centre for Criminal Law Studies (Centre), National Law University, Jodhpur.
- Aljaber, S., & Almushaili, T. (2022). Artificial Intelligence. International Journal of Research and Applications, 12(12), 52–57.
- Almazroui, S., Samudin, S., Samah, M., & Hanafi, H. (2026). Legal Challenges of Criminal Liability for Artificial Intelligence Crimes. International Journal of Advanced Research.
- Anwar, W. (2023). Characteristics of Artificial Intelligence. Artificial Intelligence, Science and Technology.
- Benaouda, N., & Medjdoub, S. (2025). Criminal Responsibility for Artificial Intelligence Crimes. Lex Localis – Journal of Local Self-Government, 23.(11)
- Bertolini, A. (2020). Artificial Intelligence and Civil Liability. European Parliament's Committee on Legal Affairs.
- Bikeev, I., Kabanov, P., Begishev, I., & Khisamova, Z. (2019). Criminological risks and legal aspects of artificial intelligence implementation.
- Bonfim, T. (2022). Criminal liability of artificial intelligent machines: Eyeing into AI's mind (Master's thesis). Faculty of Law, Lund University.
- European Commission. (2018). Communication from the Commission to the European Parliament, the European Council, the European Economic and Social Committee and the Committee of the Regions on Artificial Intelligence for Europe. Brussels.
- Goertzel, B. (2014). Artificial general intelligence: Concept, state of the art, and future prospects. Journal of Artificial General Intelligence, 5(1), 1.
- Hallevy, G. (2018). Dangerous Robots – Artificial Intelligence vs. Human Intelligence.
- King, T., Aggarwal, N., Taddeo, M., & Floridi, L. (2020). Artificial Intelligence Crime: An Interdisciplinary Analysis of Foreseeable Threats and Solutions.
- Kuklinska, L. (2021). Establishing Liability for the Actions of Artificial Intelligence: Recommendations for the European Commission.
- Kumar, A. (2025). AI vs Human Intelligence.
- Laura, E. (2018). La responsabilité criminelle et l'intelligence artificielle: Quelques pistes de réflexion. Les Cahiers.
- Melissaris. (2023). Artificial Intelligence, Criminal Acts, Criminal Responsibility.
- Mitchell, M. (2020). Crashing the barrier of meaning in artificial intelligence. AI Magazine, 41(2), 86–92.
- Nerantz, ..., & Sartor. (2024). Hard AI Crime: The Deterrence Turn. Oxford Journal of Legal Studies, XX, 1–29.

- Paulius, J. (2015). Liability for damages caused by artificial intelligence. *Computer Law & Security Review*, 31(3), 376–389.
- Piyush, G. (2024). Artificial General Intelligence (AGI) vs. Human Intelligence: A Comparative Insight.
- Report Europol. (2019). Do Criminals Dream of Electric Sheep? How Technology Shapes the Future of Crime and Law Enforcement.
- Shchitova, A. (2020). Definition of Artificial Intelligence for Legal Regulation. *Advances in Economics, Business and Management Research*, 156.
- Sikender, M. (2021). Artificial Intelligence in Information Technology. *International Journal of Innovations in Engineering Research and Technology*, 7(6), 168–175.
- Smyth, S. (2019). Can We Trust Artificial Intelligence in Criminal Law Enforcement? *Canadian Journal of Law and Technology*, 17(1), 99–109.
- Sternberg, R. (2024). Human Intelligence. *Encyclopaedia Britannica*.

Subject of Criminal Responsibility for Crimes Committed in the Context of Usage AI “Contemporary Problems & Future Prospects”

Mohammad Badousi

Faculty of Law, Al-Istiqlal University, Palestine

Corresponding Author: ma_badousi@pass.ps

Received: 22/5/2025. Revised: 29/1/2026. Accepted: 11/6/2026. DIO:

Abstract

The study aimed to define artificial intelligence, distinguish between its capabilities and human intelligence, & assess the extent to which it can be held criminally liable under the traditional framework currently established in criminal law, as well as to identify some of the issues arising from the negative uses of artificial intelligence in the context of criminal law, the crimes that may be committed by such systems, and to clarify the scope of criminal liability for them and the nature of the punishment commensurate with the specific nature of these crimes, The study adopted a descriptive and analytical methodology to collect information from various sources, analyze the various elements upon which criminal liability is based, and describe the reality of this problem in its various dimensions at the legal and jurisprudential levels. The study concluded with a set of findings, the most notable of which was that understanding the capabilities of artificial intelligence is a crucial factor in determining its status as a subject of criminal liability. Furthermore, subjecting AI-related crimes to direct criminal liability under traditional provisions is currently considered an impractical idea, given its implications for prosecution procedures and sentencing. The study also recommended the need to define the legal status of artificial intelligence before recognizing it as a subject of criminal liability, to expand the scope of criminal liability for parties involved in artificial intelligence, to impose severe penalties for crimes committed using these technologies, and conducting specialized psychological research to identify the capabilities of artificial intelligence upon which its criminal liability can be determined.

Keywords: Artificial Intelligence, Criminal responsibility, Crimes of A.I. subject of criminal responsibility, legal personality.



**JOURNAL OF THE
ARAB AMERICAN UNIVERSITY**
مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

**Implications of Applying Uncertainty Management on Strategic
Planning under Economic, Social and Political Circumstances
Case Study: Birzeit University**

Rida Khoury

Faculty of Arts, Music and Design, Birzeit University, Palestine

Corresponding Author: rkhoury@birzeit.edu

Received: 23/12/2025. Revised: 19/1/2026. Accepted: 24/6/2026. Published: 30/06/2026
DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.14

Abstract

The aim of the study was to examine how economic, social, and political conditions influence strategic planning at Birzeit University, employing the mixed-method design using questionnaires and interviews. The study sample consisted of 83 managers and supervisors from upper and middle management levels, drawn from a total population of 89 managers and supervisors. The findings revealed that the level of interest in the concept of strategic planning within Birzeit University's administration was moderate (72.3%), which can be attributed to the administration's emphasis on establishing and developing strong relationships with international scholarship programs and initiatives for the exchange of expertise. Moreover, the influences of administrative, economic, and technological conditions on strategic planning at Birzeit University were found to be moderate, too. This indicates that Birzeit University possesses effective administrative systems capable of supporting and implementing the strategic planning process; however, further development of institutional abilities, skills, and capacities in this area remains necessary. Similarly, the influence of the legislative and legal environment on strategic planning was found to be moderate (70.8%). Ultimately, no statistically significant differences were identified in respondents' views regarding the implementation of uncertainty management in strategic planning under economic, social, and political conditions at Birzeit University based on gender, academic qualification, years of experience, or job title. Furthermore, the findings indicated that strategic planning in contexts characterized by political, economic, and social uncertainty is required as an adaptive approach in order to effectively cope with vague, indeterminate, and volatile conditions.

Keywords: Strategic Management, Uncertainty Management, Strategic scanning, Strategic implementation, Strategic evaluation.

1. Introduction

Strategic planning is an essential managerial procedure that allows companies to determine their future, manage resources against goals, and address changes effectively, both internal and external (Al-Aloula, 2022). Strategic planning in higher education facilities is a

key factor in improving the performance of institutional, competitiveness, and sustainability in progressively complex settings (Al-Azmi et al., 2023).

Organizations in the past few years were conducting their business in environments that were highly uncertain due to the presence of economic fluctuations, political instabilities, technological changes and social changes. This uncertainty had a crucial impact on the processes of decision-making and doubted the effectiveness of classical planning methods (Alagha et al., 2023). This necessitated the institutions to be more flexible and adaptive to the unpredictable and fast changing environment.

In this regard, uncertainty management has become a very crucial part of strategic planning. It entails the systematic identification, analysis, and response to risks and opportunities, which allows organizations to mitigate the negative effects and take advantage of potential opportunities (Udoh & Udoh, 2024). Incorporating uncertainty management in strategic planning increases organizational resilience and aids in making decisions that are more informed and proactive (Iriani et al., 2024).

This is of special concern in the Palestinian context, where institutions of higher education are running in a climate of constant political, economic, and social instability. These are the prerequisites of great limitations on the performance of the institutions and the inability to introduce effective long-term strategies (Dźwigoł & Dźwigoł-Barosz, 2023). Being one of the most prominent universities in Palestine, Birzeit University is a valuable case study in terms of the way, in which strategic planning is influenced under such uncertainties.

In this regard, this paper seeks to explore the implication of the application of uncertainty management to strategic planning in the economic, social, and political turmoil, as a case study of Birzeit University. The researcher aimed to not only give theoretical arguments, but also offer practical suggestions on how strategic decision-making process in the institutions of higher education that have to work in volatile environments can be enhanced through the management of uncertainty.

1.1 Statement of the Problem:

Uncertain and unstable economic, political, and social conditions continue to pose significant and multifaceted challenges to higher education institutions in Palestine. These conditions not only affect the overall performance and sustainability of universities, but they also have a profound negative impact on their ability to engage in effective long-term strategic planning and informed decision-making. The rapid change of external environment, coupled with the limited resources and ongoing instability increases the levels of uncertainty and risk, thereby constraining institutional development and strategic flexibility. Accordingly, higher education institutions in Palestine are required to strengthen their institutional capacities, enhance organizational resilience, and adopt systematic uncertainty management approaches in order to effectively cope with, adapt to, and overcome these persistent challenges and constraints (Dźwigoł & Dźwigoł-Barosz, 2023). In light of these complex and demanding circumstances, the present study sought to address a clear gap in the existing literature by investigating the role of uncertainty management in supporting strategic planning processes within the Palestinian universities through answering the following primary research question:

What is the impact of political, economic and social unstable conditions and environment on the strategic planning at Birzeit University?

1.2 Research Questions:

1. To what extent is the concept of strategic planning clear at Birzeit University?

2. To what extent does the administration of Birzeit University show interest in strategic planning?
3. To what extent is there a strategic planning culture for the staff at Birzeit University?
4. What is the significance of strategic planning at Birzeit University?
5. What is the impact of administrative, economic, and technological circumstances on strategic planning at Birzeit University?
6. What is the impact of legislative and legal environment on strategic planning at Birzeit University?
7. Are there any significant statistical differences at ($\alpha \leq 0.05$) between applying uncertainty management principles and developing strategic plans at BZU related to socio-demographic characteristics in terms of (gender, years of experience, job position)?

1.3 The Research Model:

To specify the dependent and independent variables, the researcher illustrated them in the model below. Figure (1) shows the model of the study.

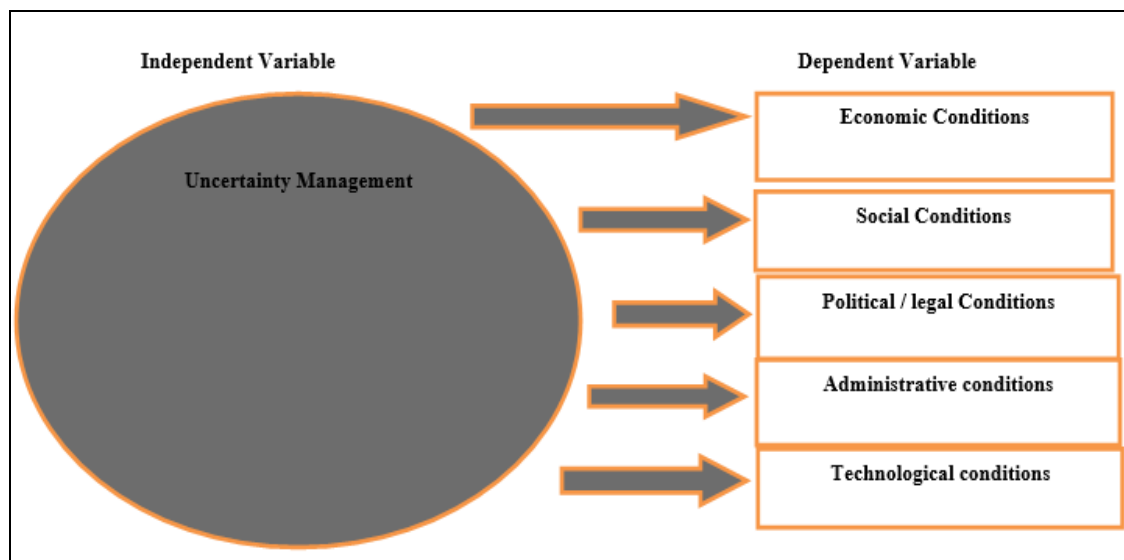


Figure 1: Research Model of the Study

1.4 Focus on Research:

The primary objective of the present exploratory study was to examine the potential implications of applying uncertainty management in strategic planning within economic, social, and political contexts, using Birzeit University as a case study. In addition, the researcher employed the mixed-method design, incorporating both quantitative and qualitative methods through the use of questionnaires and interviews to collect primary data and achieve the objectives of the study.

1.5 Research Hypotheses:

- H0-1: There is no statistically significant relationship between uncertainty management and strategic planning effectiveness at Birzeit University.
- H0-2: There is no statistically significant relationship between internal/external environmental factors and uncertainty management implementation.
- H0-3: There is no statistically significant relationship between uncertainty management and achievement of strategic objectives.

- H0-4: There are no statistically significant differences in uncertainty management practices based on demographic variables (gender, experience, job position).
- H0-5: There are no statistically significant differences between upper and middle management in applying uncertainty management.
- H0-6: There is no statistically significant relationship between institutional preparedness and effective uncertainty management.

1.6 The Research Objective:

The main objective of the study was to investigate the relationship between the principles of uncertainty management and the development of strategic planning under social, economic and political conditions that Palestinian universities face, in general, and BZU, in particular.

1.7 The significance of Research:

1. This study highlighted the importance of applying uncertainty management in strategic planning under complex economic, social, and political conditions, particularly in unstable environments such as Palestine.
2. It addressed a research gap by focusing on uncertainty management within higher education institutions, encouraging further empirical studies in Palestinian universities.
3. The study emphasized the integration of uncertainty management and strategic planning as a critical tool for achieving strategic success and effective resource mobilization under unstable conditions.
4. By combining a theoretical framework with a practical case study of Birzeit University, the research provided practical insights into how uncertainty affects strategic planning outcomes.
5. The findings provided valuable scientific knowledge to the field of strategic planning and offered practical guidance for higher education institutions to improve their strategic decision-making while considering political, economic, and social uncertainties.

2. Theoretical Framework:

The term strategy can be traced back to the Greek word *strategoi*, which referred to military leaders in ancient Athens, whose role involved formulating high-level plans to succeed in uncertain and risky situations. In this regard, Fuertes et al. (2020) distinguished between strategic planning and strategic management, arguing that strategic planning represents a logical and rational process that culminates in the selection of decisions to be implemented, whereas strategic management is a continuous and dynamic process concerned with performance and the ongoing search for appropriate strategic options. Consequently, while strategic planning leads to sound strategic decisions, strategic management contributes to the achievement of long-term strategic outcomes.

2.1 Theoretical Foundations of Strategic Planning

The integration of strategy and planning helped organizations to anticipate and respond effectively to the unstable situations in the organizations (Schuhly, 2022). The theoretical philosophy of the strategic planning was approached by several theories:

2.2 The Behavioral Theory of the Firm

The development of the behavioral theory of the firm by (Greve & Zhang, 2022) had a major influence on the development of transaction cost theory. It is also said to be a

foundational theory for the development of dynamic capabilities theory and evolutionary economics. The theory premises on the assumption that business decision-making is a concrete and bounded process and provides a holistic view of how organizations make decisions. This theory was subsequently developed by Cyert and March (2020) who claimed that organizations create strategic and informational environments within which decision-making is carried out and providing decision-makers with the authority and the means to influence others.

3. Resource-Based Theory

The resource-based view (RBV) was originally developed at the business level to analyze the relationship between organizational resources, competition, and profitability. It emphasizes issues related to competitive imitation, returns on innovation, information asymmetry, and the ways in which the accumulation of resources can generate sustainable competitive advantage (Al-Aloula, 2022). According to this perspective, the strategy formulation process comprises five main stages: examining the firm's resource base, identifying core competencies, assessing profit potential, selecting an appropriate strategy, and developing and expanding resources and competencies to enhance organizational performance. Nevertheless, the theoretical implications of RBV for strategic management remain insufficiently defined, as a comprehensive and unified theoretical framework is still lacking and the practical applicability of RBV has not been fully developed.

The resource-based view has been criticized for its weak theoretical foundations, imprecise conceptualization, and limited capacity to account for change and dynamism (Furr & Eisenhardt, 2021). In response to the increasing need for sustainable competitive advantage, organizations have increasingly shifted their focus toward developing dynamic capabilities that enable resources and competencies to adapt to environmental changes. From this perspective, RBV and dynamic capabilities theory suggested that the formal strategic planning process itself may be viewed as a dynamic capability that supports the creation and maintenance of competitive advantage, particularly in volatile and unstable environments (Meshulach & Kedar-Levy, 2022).

3.1 Scanning the Internal and the External Environment

During the process of identifying the organizational goals and designing effective strategies that can be used to realize the organizational goals, higher education institutions usually aim to analyze their internal and external environment. The internal environmental analysis is concerned with the mission, vision, objectives, organizational structure, departments, culture and resources that are available in the institution. However, the external environmental analysis is done to study the important contextual factors, such as the economic, political, socio-cultural, and technological conditions, that play an important role in the strategies of decision-making and performance by the institution. (Silverman & Smith, 2024).

3.2 Business Mission and Vision

In the development of an organization's strategic plan, the mission statement plays a crucial role, as it articulates the fundamental purpose and rationale for the organization's existence (AlQershi, 2024). Accordingly, the mission statement provides a shared point of reference, guides the decision-making process, and motivates and directs the efforts and competencies of human resources within the organization.

The organizational vision statement, on the other hand, defines what the organization aspires to become in the future. As noted by Morrison and Misener (2021), the vision

statement encapsulates the organization's overarching philosophy and determines its values, purpose, and long-term direction in alignment with the mission and strategic objectives.

3.3 Strategy Implementation

According to (Bryson and George, 2020), strategy implementation is highly significant that transforms the developed strategy into a series of activities and operations that ensure that the corporate vision, mission, strategy and stated organizational objectives are in place and they are successfully realized as planned.

3.4 Evaluation and Control:

Evaluation and control are crucial as part of the strategy since it informs the managers about the reasons that contribute negatively to strategic implementation and failure by the organization to attain the intended objectives and goals. Constant strategies control and evaluation are essential to optimize the organizational performance and enable the organization to benchmark of the corporation progress established and tracked effectively, which further heightens the commitment and satisfaction of the employees and supervisors (Benzaghta, et al., 2021).

4. Importance and Benefits of Strategic Planning

Strategic planning has numerous beneficial effects on the performance of higher education institutions (Fuertes et al., 2020). These effects include enhanced levels of employee commitment and satisfaction, increased satisfaction and loyalty among students and other stakeholders, and the development of the university's brand at both local and international levels through greater attention to social responsibility. Strategic planning also contributes to improving the quality of educational services, mitigating the adverse impacts of environmental challenges, and enabling universities to respond effectively to both internal and external changes, as well as to capitalize on future opportunities. Moreover, it positively influences organizational performance and strengthens universities' capacity to secure diverse funding sources and financial resources.

Supporting this perspective, Mahardhika and Raharja (2023) emphasized that strategic planning helps clarify potential opportunities and threats and provides organizations with a systematic framework for informed decision-making. Additionally, Gutterman (2023) highlighted that strategic planning serves as a key instrument for organizational change. Similarly, Strickland and Fuertes et al. (2020) underscored its critical role in establishing a strong competitive advantage and achieving sustainable organizational performance.

4.1 Difficulties Associated with Strategic Planning

Strategic planning is a complicated process in organizations, and it involves paying attention to industry peculiarities and the internal and external environment. Some of the challenges that organizations encounter when planning strategy are limited resources and capabilities, which limit prioritization of organizational needs (Mahardhika and Raharja, 2023). The planning process is also hindered by bureaucratic barriers, complex policies, and disagreements over resource allocation, in which the managers may feel that the strategic planning deprives them of available decision-making capacity or fail to agree on ways of approaching organizational challenges (Benzaghta et al., 2021). Employees and managerial commitment are also a significant aspect as the planning process may elicit disengagement in managers, who may feel that the strategic planning has denied them the opportunity to make decisions or those who may disagree on how to approach organizational challenges (Gutterman, 2023). It is important to promote participation at every level of the organization

and improve commitment and successful implementation. Lastly, inflexible or strictly followed strategic plans may limit the organization's ability to adapt or even to seek other organizational strategies, hence restricting overall performance. (Guttermann, 2023).

4.2 Significance of Strategic Planning for Higher Education Institutions

Higher education institutions face an increasing need for strategic planning due to the growing demands and competitions, diminishing resources and support from governments and international donors, shifting student demographics, and the emergence of virtual and distance learning institutions. Strategic planning enables universities to respond effectively to these challenges and to adapt appropriately to an increasingly volatile external environment.

Moreover, strategic planning provides a structured framework through which universities articulate their vision, mission, and objectives, thereby clarifying the strategic direction to be followed. It supports the achievement of competitive advantage, enhances coordination and cooperation within institutions, and strengthens their capacity to serve students and contributes to the development of the higher education sector. Furthermore, strategic planning aligns institutional resources and competencies with external opportunities and threats, enabling universities to capitalize on favorable opportunities and mitigate threats that could adversely affect institutional performance (Mahardhika & Raharja, 2023).

5. The Challenges of High Education Sector in Palestine

There are basically four major obstacles facing the higher education sector in Palestine:

- There are some nagging issues for higher education institutions in Palestine. Access is one of the key issues, since the high competition between the universities makes them focus on enrollment and new programs rather than focusing on the real needs of the population, which adversely influences the quality of education. (Guttermann, 2023).
- Low salaries also influence the teaching and training of the staff, where most of them may be coerced to do extra work at the cost of diminishing the quality of teaching and research. There is reduced professional development, with no regular fellowship and scholarship programs (Benzaghta, et al., 2021). The quality and relevance of education is problematic and the programs are too poorly coordinated to meet the needs of the labor market leading to high unemployment among the new graduates, especially since most of the students study social sciences. The research has not been given much priority by both the national and international funding sources, either.
- Higher education is not well funded, and this poses a severe financial burden on the quality and relevance of the academic programs.

6. Uncertainty Management Principles

The term uncertainty has been described as a condition in which information is insufficient, imprecise, unreliable, or bordering on ignorance (Udoh & Udoh, 2024). However, uncertainty can also exist even when managers and decision-makers have access to abundant data and information. Bisharat (2022) further elaborates that uncertainty may manifest in the form of ignorance regarding numerical values, experimental bias, measurement errors, ambiguous definitions, or statistical variability.

In this context, Shtim (2024) and Waldenström, Björn, and Martinsson (2024) argued that uncertainty not only encompasses variability and ambiguity but may also arise at various stages of a project life cycle, including the preparation of strategic plans for implementing new initiatives (Udoh, 2024). In this regard, Shtim (2024) defined uncertainty management as a project management knowledge area that involves both the management of risks and the

exploitation of opportunities, which may be organized as follows:

1. Risk management

It can be defined as a continuous process for identifying, analyzing and following up the uncertainties, which can introduce negative impacts on the organization while implementing response actions for avoiding risks jeopardizing a successful completion at the organization during implementing the proposed strategic plan.

2. Opportunity management

It can be defined as a continuous process for identifying, analyzing and following-up uncertainties. This, in turn, introduces positive impacts while implementing response actions to make use of the available opportunities.

On the other hand, communication theories commonly focus on the levels that uncertainty may face, where (Bisharat, 2022) mentioned four levels:

1. The individual level: That motivates human communication skills and influences the ways employees prepare and interpret messages.
2. The interpersonal level: where the message is exchanged between people while communicating.
3. The intergroup level: which could be defined as exchanging messages between people while communicating as a collective.
4. The cultural level: which may be defined as similarities or differences among the people while communicating, which may depend on their culture.

7. Strategic Priorities and Initiatives at Birzeit University Strategy

The highest priority within Birzeit University's overall strategic planning is to enhance faculty excellence, which is crucial for addressing anticipated faculty retirements and maintaining the institution's long-term academic viability. This priority emphasizes fostering and recognizing excellence and leadership in research, scholarship, creativity, and graduate education, while simultaneously ensuring high-quality undergraduate teaching. Teaching and research excellence are regarded as inseparable, reflecting Birzeit University's commitment to faculty excellence across both domains (Ahmad, 2024).

To achieve these objectives, the strategic plan proposes seven key initiatives aimed at integrating research and teaching quality throughout the planning period, thereby consolidating Birzeit University's status as one of the leading research institutions globally (Iriani et al., 2024):

1. Faculty Renewal: This involves identifying major departments with upcoming retirements, focusing on recruiting new PhD holders and emerging talents, and ensuring the availability of resources to maintain high faculty standards through retirements, internal redistribution, and fundraising efforts.
2. Departmental Leadership through designating certain departments or critical areas as strategic leaders to preserve their status while preventing the decline of other departments.
3. Promotion of Teaching Excellence: This fosters a culture of high-quality teaching across campuses by improving assessment methods, allocating resources to support teaching excellence, and institutionalizing effective departmental models as benchmarks for excellence throughout all units.
4. Inter-College Collaboration strengthens relations among colleges to enhance student opportunities and educational quality by providing cross-college course access and

establishing coordinated interdisciplinary mechanisms to increase cooperation and program reputation.

5. Research Support Enhancements implement strategic, cost-effective measures to support research, scholarship, and creativity, with particular emphasis on libraries, shared science and social science buildings, and administrative support for faculty in applying for and managing research grants.
6. Diversity Advancement makes significant progress toward achieving a more diverse faculty, student body, and staff, particularly in terms of gender representation.
7. Outreach and Engagement Alignment align outreach and public engagement activities with Birzeit's research, scholarship, and educational strengths, expands the campus-wide mission, tailors approach by discipline, and provides increased opportunities for students to engage with the broader community (Ahmad, 2024).

8. Empirical Studies

8.1 International Studies

Risk and Uncertainty Management in Business Strategy Development (Iriani, et al., 2024) investigated the concept of risk and uncertainty management in the development of business strategies within volatile business environments characterized by global economic fluctuations, evolving government policies, and market instability. Employing a qualitative research methodology, the study utilized systematic literature review complemented by thematic analysis to identify emerging patterns and themes related to strategic risk management. The findings demonstrated that adaptive strategies grounded in agility, innovation, and dynamic capabilities were crucial for enhancing organizational competitiveness and ensuring long-term sustainability. Moreover, scenario planning was shown to play a pivotal role in strengthening strategic foresight, resilience, and preparedness by enabling organizations to assess alternative future scenarios and their potential impacts. The study further highlighted the transformative influence of technological advancements—particularly artificial intelligence and data analytics—on risk assessment processes, enhancing strategic decision-making through proactive risk management. Based on these findings, the study recommended fostering a culture of innovation, investing in advanced technological capabilities, and systematically integrating scenario planning into strategic planning processes to effectively navigate uncertainty. Finally, the researchers suggested that future research should focus on comparative and longitudinal studies, adopt cross-disciplinary approaches, explore crisis management, and address ethical considerations to deepen understanding and support organizational resilience and sustainability.

8.2 Arabic Studies

Al-Azmi, et al., (2023) investigated the concept of strategic planning as a central administrative approach for enhancing university education performance at Kuwait University, aligning with contemporary global trends, the digital era, and the objectives of building a knowledge-based society. The pivotal point was strategic planning enables universities to attain a competitive advantage by improving teaching outcomes, advancing scientific research, and strengthening community engagement. Employing a descriptive-analytical methodology, the study examined educational practices and administrative processes related to planning, teaching, motivation, and academic management, with particular emphasis on the role of faculty members in formulating and implementing strategic plans. The findings indicated that faculty involvement in strategic planning significantly contributed to enhancing the quality of university education, as faculty are best positioned to understand learners' needs, institutional capabilities, and the realities of academic life.

Moreover, the results revealed that strategic planning improved universities' capacity to respond effectively to internal and external environmental changes, fostered innovation in teaching and research, and strengthened institutional competitiveness. Based on these findings, the study recommended expanding faculty participation in strategic planning processes, investing in training programs aimed at developing strategic planning skills, and leveraging modern technologies throughout all stages of the educational process to ensure sustainable development and continuous improvement in university performance.

Maati (2025) examined the concept and role of strategic planning as a managerial approach for enhancing organizational effectiveness, with empirical evidence from Jumhouria Bank in Bani Walid. Employing a descriptive-analytical research methodology, the study utilized a questionnaire as the primary data collection instrument, which was distributed to a sample of 40 employees and administrators within the bank. The collected data were analyzed using SPSS software, and simple linear regression analysis was conducted to investigate the relationship between strategic planning and organizational effectiveness. The findings indicated that strategic planning has a statistically significant and positive impact on organizational effectiveness, underscoring its critical role in improving institutional performance, achieving organizational objectives, and enhancing administrative efficiency. Based on these results, the study recommended reinforcing the adoption and implementation of strategic planning practices within organizations, emphasizing their importance in supporting organizational sustainability, improving performance outcomes, and ensuring long-term institutional success.

Al-Yafi'i. (2023) investigated the effect of strategic outlook on leadership orientation in private hospitals in Qatar, with a focus on the relationship between the two constructs. The independent variable, strategic outlook, was measured through three dimensions: strategic planning, scenario building, and strategic vigilance. The dependent variable, leadership orientation, was assessed through innovation, proactiveness, and risk orientation. A 30-item questionnaire was developed to measure these variables and was distributed to a sample of 300 staff members across five private hospitals in Amman. The study employed a descriptive-analytical research methodology to analyze the data. The findings revealed a statistically significant impact of all dimensions of strategic outlook—strategic planning, scenario building, and strategic vigilance—on the dimensions of leadership orientation. Moreover, the results indicated that the overall levels of strategic outlook and leadership orientation in the hospitals were moderate. Based on these findings, the study recommended that private hospitals enhance the application and development of strategic outlook practices to strengthen leadership orientation and improve organizational performance.

8.3 Palestinian Studies

Raddad, (2022) explored the role of urban agriculture as a component of sustainable urban development and to propose a strategic model for its integration into Palestinian urban planning. The research identified the current absence of urban agriculture within the urban development processes of Palestinian cities, highlighting a gap between urban planning policies and urban agricultural practices. The study employed a qualitative and evaluative approach, analyzing the existing urban planning framework and assessing the knowledge, attitudes, and practices of Palestinian urban planners and policymakers toward urban agriculture. The findings showed that political instability, combined with limited knowledge and willingness among urban planners, has resulted in negative attitudes and insufficient consideration of urban agriculture in urban development. Based on these insights, the study proposed a strategic model aimed at increasing awareness, enhancing knowledge, and fostering positive attitudes among planners and policymakers. Integrating urban agriculture into Palestinian urban environments not only supports urban ecosystem services and

multifunctional use of green spaces but also contributes to urban food security, social and cultural interaction, and the overall improvement of air quality and urban life. The study recommended adopting this model in urban planning processes to make Palestinian cities more resilient and sustainable, especially under conditions of political instability.

Dwikat, et al., (2022) investigated the factors that enhanced the sustainable performance of manufacturing SMEs in developing countries with turbulent business environments, focusing on Palestine. Drawing on the Triple Bottom Line (TBL) framework, Resource-Based View (RBV) theory, and sustainable performance literature. The research examined the impact of systematic strategic planning (SSP) and strategic business innovation (SBI) on SME sustainability. A quantitative, descriptive-analytical methodology was employed, utilizing a structured questionnaire distributed to a sample of 377 manufacturing SMEs, of which 245 valid responses were analyzed. The study applied Partial Least Squares Structural Equation Modeling (PLS-SEM) using Smart PLS 3.0 to test the hypothesized relationships between variables. The findings indicated that the sustainable performance of SMEs could be significantly enhanced through supportive national policies, collaborative organizational culture, participatory management practices, and the implementation of SSP and SBI at the firm level. Specifically, strategic planning and business innovation emerged as key drivers for improving environmental, social, and economic outcomes in highly competitive and politically unstable environments. The study recommended that policymakers promote sustainability-oriented policies for SMEs, while managers in manufacturing firms adopt systematic planning and foster innovation to strengthen organizational resilience and long-term sustainable performance.

Iwadi & Ali, (2024) examined the influence of practicing strategic planning methods on crisis management among employees of the Palestinian Red Crescent Society in Hebron. Using an explanatory sequential design, unstructured interviews with experts were conducted to develop a questionnaire, followed by structured interviews to interpret the results. A simple random sample of 339 employees was targeted, and 181 valid questionnaires were analyzed. The findings indicated a statistically significant positive effect of strategic planning practices on crisis management, with the overall levels of strategic planning and crisis management being moderate. The field of work area ranked highest for strategic planning practices, while the learning dimension ranked highest for crisis management. The study recommended enhancing strategic planning practices through training programs, resource provision, and further research across institutions. Overall, the research highlighted the importance of strategic planning in improving organizational capacity to manage crises effectively.

Alagha, et al., (2023) examined the impact of macro-environmental factors (political and economic) on strategic thinking and bank performance across different geographical contexts. Adopting a qualitative comparative case study approach, the research employed purposive sampling and semi-structured in-depth interviews with 50 bank executives, including 33 Malaysians and 17 Palestinians. Data was analyzed using Atlas Software. The findings revealed that executives' strategic thinking dimensions were shaped by both macro and micro-environments, which subsequently affected bank performance. In uncertain environments, commercial bank executives focus on evaluating the external environment, whereas local Islamic bank executives prioritize monitoring and responding to changes. In stable environments, foreign bank executives similarly assess and adapt to environmental factors, while local Islamic banks emphasize customer satisfaction. Overall, the study highlighted the critical role of environmental conditions and strategic thinking in guiding executive actions, shaping internal processes, employee perspectives, and product development, thereby directly influencing organizational performance. It recommended that banks tailor strategic approaches based on environmental stability and market type to enhance performance outcomes.

8.4 Agreement with Previous Studies

This study agrees with previous empirical studies on various points:

The researcher employed a quantitative research methodology in gathering the research data and information. In addition, the questionnaire method helped the researcher investigate the views and perception of the sampled population. Moreover, this research concentrated on the implications of using uncertainty management on strategic planning which was the aim of several empirical studies. Similarly, the researcher in these studies explored the barriers and challenges encountered in higher education institutions by strategic planning.

8.5 Differences with previous studies

This study differs from other empirical studies because the period (2018–2019) was characterized by high levels of economic, political and social conditions that had a negative impact on strategic planning particularly in high institutions of learning. In addition, the study stands out among other empirical studies because this research focused on Birzeit University, which is one of the top higher education institutions in Palestine.

8.6 What distinguishes the Study from Previous Studies

The research scope was based on the exploration of the impact of the principles of uncertainty management on the preparation and development of the strategic plans, considering the presence of the internal and external factors contributing significantly to the realization of such plans. The research aimed at upper and middle managers in the organization of Birzeit University, who are managers and supervisors. The research used the mixed-methods design that incorporated both quantitative and qualitative design since it involved administration of questionnaires to upper managers, middle managers, and supervisors, and interviews with senior managers.

8.7 Comments on Literature Review

The relevance of strategic planning and management has been supported by empirical evidence, but little has been done to explore the role of uncertainty management in the face of political, economic, and social instability, and as such, the current research made a unique contribution based on a case of Birzeit University.

9. Study Results

9.1 Descriptive Statistics

To describe the main variables of the study, the researchers used descriptive statistics, including means and standard deviations to calculate the results.

Table 1: Descriptive Statistics

Variable	Mean	Std. Deviation	Level
Strategic Planning	3.62	0.58	Moderate
Uncertainty Management	3.55	0.61	Moderate
Administrative Factors	3.60	0.57	Moderate
Economic Factors	3.48	0.63	Moderate
Technological Factors	3.51	0.59	Moderate
Legal Environment	3.54	0.60	Moderate

Interpretation:

The results indicated that all study variables scored at a moderate level. This suggested that Birzeit University demonstrated a reasonable level of engagement in strategic planning and

uncertainty management practices. However, these practices were not fully developed, indicating the need for further institutional enhancement.

9.2 Pearson Correlation Analysis

Pearson correlation analysis was conducted to examine the relationship between uncertainty management and strategic planning.

Table 2: Correlation between Uncertainty Management and Strategic Planning

Variables	1	2
1. Uncertainty Management	1	
2. Strategic Planning	0.12	1

p-value = 0.18

Interpretation:

The results showed a weak positive correlation ($r = 0.12$) between uncertainty management and strategic planning. However, this relationship was not statistically significant ($p = 0.18 > 0.05$). This indicated that uncertainty management did not have a strong direct association with strategic planning within the studied context.

9.3 Independent Samples t-test (Gender Differences)

An independent samples t-test was conducted to examine whether there were differences in uncertainty management practices based on gender.

Table 3: t-test Results for Gender Differences

Variable	Gender	Mean	Std. Deviation	t-value	p-value
Uncertainty Management	Male	3.58	0.60	0.85	0.39
	Female	3.52	0.62		

Interpretation:

The results indicated that there were no statistically significant differences between male and female respondents in uncertainty management practices ($t = 0.85$, $p = 0.39$). This suggested that gender did not influence perceptions or implementation of uncertainty management within the university.

9.4 One-Way ANOVA (Years of Experience)

A one-way ANOVA test was conducted to examine differences based on years of experience.

Table 4: ANOVA Results for Years of Experience

Variable	F-value	p-value	Effect Size (η^2)
Uncertainty Management	1.21	0.31	0.04

The ANOVA results showed no statistically significant differences based on years of experience ($F(3,79) = 1.21$, $p = 0.31$). The effect size was small ($\eta^2 = 0.04$), indicating that experience had a minimal practical impact on uncertainty management practices.

9.5 One-Way ANOVA (Job Position)

Another ANOVA test was conducted to assess differences across job positions.

Table 5: ANOVA Results for Job Position

Variable	F-value	p-value	Effect Size (η^2)
Uncertainty Management	1.34	0.27	0.05

The findings indicated that there were no statistically significant differences across job positions ($F = 1.34$, $p = 0.27$). The effect size was also small ($\eta^2 = 0.05$), suggesting that managerial level did not significantly affect uncertainty management practices.

9.6 Regression Analysis

A simple linear regression analysis was conducted to examine the effect of uncertainty management on strategic planning.

Table 6: Regression Analysis Results

Variable	Beta (β)	t-value	p-value
Uncertainty Management $\rightarrow$ Strategic Planning	0.15	1.56	0.12

The regression analysis indicated that uncertainty management did not significantly predict strategic planning ($\beta = 0.15$, $p = 0.12$). Although the relationship was positive, it was not statistically significant, suggesting that other factors might play a more influential role in shaping strategic planning processes.

Overall, the statistical analysis revealed that all variables operated at a moderate level, with no statistically significant relationships or differences across the tested variables. This indicated that while uncertainty management was present within the university, its impact on strategic planning remained limited and required further development and integration.

10. Discussion:

The results of this analysis suggested that the general strategic planning level and uncertainty management in Bir Zeit University was average. The latter finding was also in line with the existing literature that proposed that institutions of higher education tended to exhibit moderate-level strategic planning as a result of resource constraints and organizational restrictions (Mahardhika & Raharja, 2023). Although the university demonstrated the knowledge of the concepts of strategic planning, the practical application was scarce, which indicated the disparity between theoretical knowledge and practical application in the institutions.

The intermediate degree of influence in this research could be explained by a number of contextual and organizational factors. The first reason was that strategic planning processes were partially institutionalized and planning was present but not incorporated in the day-to-day decision-making process. This observation was congruent with Benzaghta et al. (2021) that confirmed that inadequate resources and bureaucratic systems might impede the successful process of strategic planning. Also, the political and economic climate in Palestine was volatile and posed a lot of uncertainty, limiting long-term planning and promoting more conservative and risk-shy approaches (Udoh, Udoh, 2024). These environments tended to restrain the capacity of the institutions to adopt proactive and innovative approaches.

Additionally, there were structural constraints in the university, which add to the moderate results. Decentralized decision-making processes also minimized the involvement of employees and also restricted the variety of opinion in strategy planning. This statement aligned with Guttermann (2023) who explained that the absence of stakeholder participation can undermine the success of strategic planning processes. On the same note, lack of coordination among departments and the lack of investments in staff training minimized the ability of the organization to successfully execute strategic initiatives. These structural obstacles emphasized the significance of organizational flexibility and participatory strategies in improving strategic performance.

Theoretically, the results confirmed that uncertainty management is a dynamic capability that can help an organization adjust to changing environments. Furr and Eisenhardt (2021)

observed that organizations that work in an uncertain environment need to come up with flexible and adaptive strategies to stay competitive. Nonetheless, this study showed that the uncertainty management in Birzeit University was not yet a dynamic capability that was fully developed. Rather, it was used in a reactive and haphazard fashion, restricting its usefulness in assisting strategic planning. This contributed to the necessity to incorporate uncertainty management in a more systematic way into strategic management process (Meshulach & Kedar-Levy, 2022).

Moreover, the fact that all the demographic variables did not show statistically significant relationships and differences implied that there was a common perception among managers in terms of strategic planning and uncertainty management practices. This observation aligned with the study by Dwikat et al. (2022), where managers who work in ambiguous settings are more likely to develop common strategic outlooks as a result of common institutional structures and environmental forces. This homogeneity could be associated with similar organizational culture but it could also mean that there was no variety in strategic thinking.

This study could be applied to other institutions of higher learning that are in volatile environments such as Birzeit University. According to Iriani et al. (2024), to become more resilient and sustainable, organizations in the state of uncertainty have to implement adaptive strategies, invest in innovation, and use scenario planning. Universities operating under such conditions should thus not perceive strategic planning in traditional ways but rather implement more adaptive and dynamic models that ensure the consistent adaptation of the strategic planning to the changes in the environment. In addition, there is a need to improve stakeholder involvement, technological infrastructure, and capacity building within the institutions, which are key milestones towards effective strategic planning amidst uncertainty. Altogether, the results of the given study highlighted the fact that strategic planning under the condition of uncertainty should be based on the balance between stability and flexibility. Although there is a base level of strategic planning at Birzeit University, more needs to be done to ensure that there is greater management of uncertainty, greater institutional flexibility, and greater long-term strategic performance. These findings add to the literature because they offer empirical data in the context of a higher education that functions in the environment of political, economic, and social instability, thus contributing to the knowledge about strategic planning in the situation of uncertainty.

11. Conclusion:

The findings of this study provided comprehensive insights into the strategic planning practices at Birzeit University and their interaction with the complex political, economic, and social environment in Palestine. The results indicated that strategic planning is generally well understood and institutionalized within the university, supported by qualified administrators, continuous leadership training, and long-standing strategic practices. The alignment of the university's mission, vision, and goals with its strategic initiatives reflected a structured and mature approach to planning. However, the study also revealed moderate levels of interest and engagement among administrators, as well as limited involvement of staff in the strategic planning process, highlighting areas for improvement in participative leadership and organizational culture.

Furthermore, administrative, economic, technological, and legislative factors were found to exert moderate influence on strategic planning, suggesting that while Birzeit University possesses effective systems, further enhancement of institutional skills, capabilities, and adaptive measures are necessary to navigate uncertainty. The absence of significant differences in respondents' perceptions concerning uncertainty management across

socio-demographic characteristics underscores a shared understanding of strategic planning principles among the university's leadership.

Based on these findings, it is evident that strategic planning in higher education institutions, particularly in unstable contexts, requires a dynamic and adaptive approach that integrates uncertainty management. The study recommended enhancing participative leadership, promoting a culture of continuous strategic awareness, establishing measurable indicators to track progress, and fostering international collaboration for knowledge exchange. Additionally, developing the skills of staff and strengthening information systems are critical for ensuring effective monitoring, implementation, and sustainability of strategic plans.

In conclusion, this research contributed to valuable theoretical and practical insights by demonstrating the importance of integrating uncertainty management with strategic planning. It highlighted the need for Palestinian universities to strengthen institutional capacities, enhance organizational resilience, and optimize strategic decision-making under volatile socio-political and economic conditions. Ultimately, the study underscored that proactive, flexible, and well-coordinated strategic planning is essential for achieving long-term institutional objectives, improving organizational performance, and ensuring the sustainable development of higher education institutions in challenging environments.

12. Recommendations:

1. The Palestinian universities should focus on uncertainty management basing on political, social and economic instability to design strategic plans that would result in the successful attainment of the goals.
2. Birzeit University is recommended to implement participative leadership, where all employees at the managerial level are engaged in the strategic planning process to increase their level of satisfaction, loyalty and commitment to the university strategy.
3. Strategic planning should be regarded as a mechanism by the university, which will increase transparency, crisis management, and organizational competence in complex and unstable economic, political, and social contexts.
4. The researcher recommends that Birzeit University needs to foster an organizational culture that always promotes strategic planning in the university and adherence to the strategic plan. In addition, corrective actions are taken when there is a need.
5. The researcher recommends that Birzeit University must design measurable and factual indicators and measurements to gauge the progress of the university in attaining the strategic plan.
6. According to the researcher, the management of the university s required to focus on the mission, vision and strategic objectives of the university in the process of developing the university strategy.
7. According to the researcher, the university should establish some form of global cooperation with many other international initiatives for the exchange of experience and scholarships. In addition, the strategic plan of the university must facilitate the continuing education and community service.
8. The researcher proposes that Birzeit university should train the employees regarding the importance of strategic planning in institution development. In addition, the management of Birzeit University must bring out the importance of strategic planning in Birzeit University.
9. The researcher proposes that to prepare the strategic plan of the University, Birzeit University must be interested in recruiting well-educated and trained professionals and specialists in preparing strategic plans.

10. The researcher recommends that information systems in the university must be developed and updated at Birzeit University to ensure the capability of monitoring and measuring the level of success in achieving the strategic plan implementation.

13. Future Research:

1. Strategic planning in Birzeit University, its role in reference to Total Quality Management.
2. The level of strategic planning in the Higher education institutions in Palestine.
3. Preparation of a SWOT analysis as the foundation of strategic planning in Birzeit University or in high education institutions.
4. A paper entitled "Implications of Applying Uncertainty Management on Strategic Planning under Economic, Social, and Political Circumstances in the health sector: A Case Study of Birzeit University during COVID-19" will be made and will be presented to a conference.

14. Limitations of Research

The limitations and obstacles are:

1. Some managers declined to respond to the study questionnaire.
2. Some questions were not answered by some of the sample of the study.
3. Delays and the lengthy time taken to respond to and complete the questionnaire of the study.
4. In this case, the researcher was only interested in a single institution of higher learning which is Birzeit University.

Declarations:

The authors declare that this manuscript is an original work, has not been published previously, and is not under consideration for publication elsewhere. All authors have read and approved the final manuscript.

- **Conflict of Interest:** The authors declare that they have no competing interests that could have influenced the research presented in this study.
- **Availability of Data and Materials:** The datasets and materials used and analyzed during the current study are available from the corresponding author on reasonable request.
- **Funding Statement:** This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors.

15. References

- Ahmad, J. (2024). Strategic Planning: Navigating Uncertainty in Business Management. *Journal of Management & Social Science*, 1(02), 33-46.
- Alagha, M., Taha, A. Z. B., & Ismail, M. N. B. (2023) The influence of the uncertainty environment on the strategic thinking, strategic action, and bank performance of executives: a comparative study between the palestinian and malaysian banking sectors.
- Al-Aloula, W. A. S. (2022). Reconfiguring strategic resources to enhance the performance of a firm during economic uncertainty using the framework of the resource-based theory. The University of Liverpool (United Kingdom).
- Al-Azmi, Amina Mubarak Hamed, Abdel Nasser Radi, Ezza Ahmed Atta Allah, & Fatima Mohamed Al-Bardawili. (2023). Requirements for overcoming the obstacles facing faculty members at Kuwait University in practicing strategic planning skills. *Journal of Educational Sciences – Faculty of Education, Qena*, 56(56), 46–80.

- Ali, Hussein Awad Al-Yafi'i. (2023). The impact of strategic foresight on entrepreneurial orientation: A field study of private hospitals. *Journal of Humanities and Natural Sciences*, 4(9), 237–254.
- AlQersh, N. (2024). Strategic thinking, strategic planning, strategic innovation and the performance of SMEs: The mediating role of human capital. *Management Science and Education Innovations*, 1(19).
- Benzaghta, M. A., Elwalda, A., Mousa, M. M., Erkan, I., & Rahman, M. (2021). SWOT analysis applications: An integrative literature review. *Journal of Global Business Insights*, 6(1), 54-72.
- Bisharat, A. N. F. (2022). The Impact of Social Entrepreneurship on Value Creation: The Moderating Role of Uncertainty Avoidance of NGOs in Jordan (Master's thesis, Princess Sumaya University for Technology (Jordan)).
- Bryson, J., & George, B. (2020). Strategic management in public administration. In *Oxford research encyclopedia of politics*.
- Cyert, R. M., & March, J. G. (2020). A behavioral theory of the firm. Barakaldo Books.
- Dwikat, S. Y., Arshad, D., & Mohd Shariff, M. N. (2022). The influence of systematic strategic planning and strategic business innovation on the sustainable performance of manufacturing SMEs: The case of Palestine. *Sustainability*, 14(20), 13388.
- Dźwigoł, H., & Dźwigoł-Barosz, M. (2023). Strategic management in conditions of uncertainty. *Zeszyty Naukowe. Organizacja i Zarządzanie/Politechnika Śląska*.
- Fuertes, G., Alfaro, M., Vargas, M., Gutierrez, S., Ternero, R., & Sabattin, J. (2020). Conceptual framework for the strategic management: a literature review—descriptive. *Journal of engineering*, 2020(1), 6253013.
- Fuertes, G., Alfaro, M., Vargas, M., Gutierrez, S., Ternero, R., & Sabattin, J. (2020). Conceptual framework for the strategic management: a literature review—descriptive. *Journal of engineering*, 2020(1), 6253013.
- Furr, N. R., & Eisenhardt, K. M. (2021). Strategy and uncertainty: Resource-based view, strategy-creation view, and the hybrid between them. *Journal of Management*, 47(7), 1915-1935.
- Greve, H. R., & Zhang, C. M. (2022). Is there a strategic organization in the behavioral theory of the firm? Looking back and looking forward. *Strategic Organization*, 20(4), 698-708.
- Gutterman, A. S. (2023). Introduction to strategic planning. Available at SSRN 4407351.
- Iriani, N., Agustianti, A., Sucianti, R., Rahman, A., & Putera, W. (2024). Understanding risk and uncertainty management: A qualitative inquiry into developing business strategies amidst global economic shifts, government policies, and market volatility. *Golden Ratio of Finance Management*, 4(2), 62-77.
- Iwadi, I., & Ali, D. (2024). The Influence of Strategic Planning Methods on Crisis Management: A Case Study of the Palestinian Red Crescent Society Employees in Hebron. *Journal of Palestine Ahliya University for Research and Studies*, 3(1), 115-136.
- Maati, Mohamed Omar Mua'tiq. (2025). Strategic planning and its impact on organizational effectiveness. *Afro-Asian Journal for Scientific Research (AAJSR)*, 343–357.
- Mahardhika, B. N., & Raharja, S. (2023). The importance of strategic planning with modern trends in education. *Al-Ishlah: Jurnal Pendidikan*, 15(2), 1807-1820.
- Meshulach, A., & Kedar-Levy, H. (2022). Resource Uncertainty and Sustainable Competitive Advantage: A Resource Base Theory Perspective. Available at SSRN 4025177.
- Morrison, K. A., & Misener, K. E. (2021). Exploring the conditions for strategic planning in nonprofit community sport. *Sport Management Review*, 24(5), 747-769.
- Mulyaningsih, M. U. L. Y. A. N. I. N. G. S. I. H., Danial, R. D. M., Komariah, K., Firdausijah, R., & Yuniarti, Y. (2021). The effect of strategic planning on competitive advantages of small and medium enterprises. *Management Science Letters*, 11(2), 411-416.
- Raddad, S. H. (2022). Strategic planning to integrate urban agriculture in Palestinian urban development under conditions of political instability. *Urban Forestry & Urban Greening*, 76, 127734.
- Schühly, A. M. (2022). What is strategic management and why do we need it: theoretical foundations of strategic management. In *Cultural Influences on the Process of Strategic Management: Using Scenario Planning for Decision Making in Multinational Corporations* (pp. 33-135). Cham: Springer International Publishing.

- Shtim, M. Y. (2024). The Moderating Role of Perceived Environmental Uncertainty in the Impact of Corporate Governance on Strategy Implementation: An Empirical Study in Information Technology Sector in Jordan (Doctoral dissertation, Middle East University).
- Silverman, D. A., & Smith, R. D. (2024). Strategic planning for public relations. Routledge.
- Udoh, A. P., & Udoh, F. E. (2024). Strategies For Sustainable Development of Akwa Ibom State University In A Period of Socio-Political and Economic Uncertainty. *FUOYE JOURNAL OF EDUCATIONAL MANAGEMENT*, 1(2).
- Waldenström Björn, F., & Martinsson, I. (2024). Exploring Decision Making Processes and their Influence on Uncertainty Management.

آثار تطبيق إدارة عدم اليقين على التخطيط الاستراتيجي في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية- دراسة حالة: جامعة بيرزيت

ريدا خوري

كلية الفنون والموسيقى والتصميم، جامعة بيرزيت، فلسطين
الباحث المراسل: rkhoury@birzeit.edu

Received: 23/12/2025. Revised: 19/1/2026. Accepted: 24/6/2026. DIO:

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف أثر الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على التخطيط الاستراتيجي في جامعة بيرزيت، حيث يعمل قطاع التعليم العالي الفلسطيني بشكل عام في بيئة معقدة وعالية الخطورة وغير مؤكدة، استخدمت الباحثة في هذه الدراسة كلاً من المنهج الكمي والمنهج الكيفي من خلال استخدام استبيان قامت الباحثة بتوزيعها على عينة الدراسة، كما اعتدت الباحثة على المقابلات الشخصية، تكونت عينة الدراسة من عينة مكونة من (83) مديراً ومسؤولاً ممن يعملون في المستويات الإدارية العليا والمتوسط، من أصل مجتمع الدراسة المكون من أصل (89) مديراً ومشرفاً. خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أهمها: أن إدارة جامعة بيرزيت لديها مستوى متوسط من الاهتمام بمفهوم التخطيط الاستراتيجي، كما أظهرت نتائج الدراسة وجود درجة متوسطة من الموافقة في المتوسطات الحسابية لاستجابات عينة الدراسة نحو تأثير الظروف الإدارية والاقتصادية والتكنولوجية على التخطيط الاستراتيجي في جامعة بيرزيت. يشير هذا إلى أن جامعة بيرزيت لديها أنظمة إدارية جيدة تضمن عملية التخطيط الاستراتيجي وقادرة على ممارستها، لكنها تحتاج إلى تطوير قدراتها ومهاراتها في هذا المجال. ووجود درجة متوسطة في المتوسطات الحسابية لتقديرات عينة الدراسة نحو تأثير البيئة التشريعية والقانونية على التخطيط الاستراتيجي في جامعة بيرزيت، وفي نهاية المطاف وجدت الباحثة أنه لا يوجد فروق إحصائية في المتوسطات الحسابية لتقديرات عينة الدراسة نحو تأثير تطبيق إدارة عدم اليقين بشأن التخطيط الاستراتيجي في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في جامعة بيرزيت تعزى لمتغيرات الدراسة الجنس، والتحصيل الدراسي، وسنوات الخبرة، والمسمى الوظيفي، وكان من أهم نتائج الدراسة أنه قد تبين أن التخطيط الاستراتيجي في ظل الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تنسم بعدم اليقين والتي تتطلب صياغة استراتيجية مرنة. تقترح الباحثة أن على جامعة بيرزيت وضع خطة استراتيجية واضحة وتطوير ثقافة تنظيمية تعزز التخطيط الاستراتيجي في الجامعة. وزيادة مشاركة الموظفين ومشاركتهم في التخطيط الاستراتيجي.

الكلمات المفتاحية: الإدارة الاستراتيجية، إدارة عدم اليقين، المسح الاستراتيجي، التنفيذ الاستراتيجي، التقييم الاستراتيجي.



**JOURNAL OF THE
ARAB AMERICAN UNIVERSITY**
مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

Artificial Intelligence Techniques to Predict Employee Satisfaction: Strategic Implications for Human Resource Management

Samer Arqawi¹, Bara Asfour², Samy Abu-Naser³

¹Business Administration, Economics, Palestine Technical University, Kadoorie

²Business Administration Department, Faculty of business, Arab American University, Palestine

³Department of information Technology, Faculty of Engineering and Information Technology, Al-Azhar University, Palestine

Corresponding Author: abunaser@alazhar.edu.ps

Received: 28/05/2026 Revised: 26/06/2026 Accepted: 28/06/2026 Published: 30/06/2026
DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.2.15

Abstract

Employee satisfaction is a critical determinant of organizational performance, employee well-being, productivity, and workforce retention. Conventional approaches for assessing employee satisfaction typically rely on retrospective surveys and descriptive analyses, limiting organizations' ability to proactively identify dissatisfaction and implement timely interventions. This study proposes an explainable machine learning framework for predicting employee satisfaction using structured human resource (HR) data while identifying the key factors that influence employee attitudes and workplace experiences.

The study utilized a publicly available HR analytics dataset comprising 15,000 employee records (<https://zenodo.org/records/13935313>). Data preprocessing included handling class imbalance using the Synthetic Minority Oversampling Technique (SMOTE). Four machine learning classification models, Logistic Regression, Support Vector Machine (SVM), Random Forest, and Extreme Gradient Boosting (XGBoost), were developed and evaluated. Model performance was assessed using accuracy, precision, recall, F1-score, and receiver operating characteristic area under the curve (ROC-AUC). To enhance model transparency and facilitate managerial decision-making, SHapley Additive exPlanations (SHAP) were employed to interpret model predictions and identify the most influential factors affecting employee satisfaction.

The experimental results demonstrated that XGBoost achieved the best predictive performance among the evaluated models, achieving a mean cross-validation accuracy of 97.7%, an F1-score of 97.4% and a ROC-AUC of 0.99 on the test dataset. The explainability analysis revealed that work-life balance, salary, promotion history, and years at the company were the most influential predictors of employee satisfaction. These findings indicate that employee satisfaction is shaped by complex interactions among organizational, career-related, and workplace factors that can be effectively captured through advanced machine learning techniques.

This study contributes to the growing field of HR analytics by integrating high-performance predictive modeling with explainable artificial intelligence, thereby supporting transparent and evidence-based human

resource management. The proposed framework can assist organizations in identifying potential dissatisfaction risks, designing targeted retention strategies, and enhancing strategic workforce planning and employee well-being.

Keywords: Employee Satisfaction, Human Resource Analytics, Machine Learning, Explainable Artificial Intelligence, XGBoost, Human Resource Management.

1. Introduction

Employee satisfaction is widely recognized as a critical determinant of organizational effectiveness and long-term success. Employees who are satisfied with their work environment tend to exhibit higher levels of motivation, engagement, commitment, and productivity, whereas dissatisfaction is often associated with absenteeism, reduced performance, increased turnover intentions, and substantial recruitment and training costs. Consequently, enhancing employee satisfaction has become a strategic priority for organizations seeking to improve workforce stability and maintain a competitive advantage in dynamic business environments.

Traditionally, employee satisfaction has been assessed through surveys, interviews, and descriptive statistical analyses. While these approaches provide valuable insights into employee perceptions and attitudes, they are largely retrospective and often fail to support proactive interventions. The increasing adoption of Human Resource Information Systems (HRIS) and digital workforce management platforms has enabled organizations to collect large volumes of employee-related data, creating new opportunities to leverage advanced analytics for predictive decision-making (AbuSada et al., 2023; Abu-Naser et al., 2023).

Recent advances in Artificial Intelligence (AI) and Machine Learning (ML) have transformed data-driven decision-making across multiple domains, including Human Resource Management (HRM). Machine learning techniques can identify complex relationships within workforce data and generate predictive insights that support strategic organizational decisions. Consequently, HR analytics has emerged as an important interdisciplinary field that integrates data science and HRM to enhance evidence-based management practices. Existing applications include employee attrition prediction, talent acquisition, workforce planning, performance assessment, and employee engagement analysis (Ali et al., 2023; Konar et al., 2023).

Despite these advances, research on employee satisfaction prediction remains comparatively limited. Most existing HR analytics studies focus primarily on employee turnover and attrition, while fewer studies investigate employee satisfaction as a predictive outcome. Moreover, many machine learning models employed in HR contexts operate as “black-box” systems that provide accurate predictions without offering clear explanations of the factors influencing those predictions. This lack of transparency can reduce stakeholder trust, hinder managerial adoption, and raise concerns regarding fairness and accountability in AI-supported decision-making.

From a theoretical perspective, employee satisfaction is shaped by a combination of organizational and individual factors, including compensation, work-life balance, career advancement opportunities, recognition, and organizational support. These determinants are supported by established theories such as Herzberg’s Two-Factor Theory and the Job Demands–Resources (JD-R) Model, which emphasize the influence of motivational, environmental, and organizational factors on employee attitudes and workplace outcomes. Integrating these theoretical perspectives with advanced predictive analytics can provide deeper insights into the mechanisms that influence employee satisfaction and support more effective human resource strategies (Konar et al., 2023).

To address these challenges, this study proposes an explainable machine learning framework for predicting employee satisfaction using structured human resource data. The proposed framework combines predictive modeling with Explainable Artificial Intelligence (XAI) techniques to achieve both high predictive performance and model transparency. Four classification algorithms—Logistic Regression, Support Vector Machine (SVM), Random Forest, and Extreme Gradient Boosting (XGBoost)—are evaluated and compared. Furthermore, SHapley Additive exPlanations (SHAP) are employed to interpret model predictions and identify the factors that most strongly influence employee satisfaction.

Accordingly, the study addresses the following research objectives:

1. To develop machine learning models capable of accurately predicting employee satisfaction.
2. To compare the predictive performance of multiple classification algorithms and identify the most effective model.
3. To determine the key factors influencing employee satisfaction through explainable AI techniques.
4. To examine the implications of predictive HR analytics for strategic human resource management and organizational decision-making.

This study contributes to the HR analytics literature in several ways. First, it addresses an underexplored area by focusing on employee satisfaction prediction rather than employee attrition. Second, it integrates predictive modeling with explainable artificial intelligence, thereby enhancing transparency and interpretability in HR decision-support systems. Third, it provides empirical evidence regarding the organizational factors that most strongly influence employee satisfaction. Finally, it demonstrates how AI-driven analytics can support proactive, transparent, and evidence-based human resource management practices.

2. Problem Statement

Employee satisfaction plays a critical role in determining organizational productivity, employee retention, and overall business performance. However, organizations often face significant challenges in identifying dissatisfied employees before negative outcomes, such as reduced productivity, absenteeism, and employee turnover, occur. Traditional approaches for assessing employee satisfaction primarily rely on periodic surveys, interviews, and descriptive analyses. While these methods provide valuable insights into employee perceptions, they are generally reactive, time-consuming, and limited in their ability to provide timely predictions that support proactive interventions.

The increasing availability of workforce-related data through Human Resource Information Systems (HRIS) has created opportunities to apply machine learning techniques for predicting employee satisfaction. Nevertheless, existing predictive approaches often focus on employee attrition rather than employee satisfaction and frequently utilize black-box models that provide limited insight into the factors driving predictions. The lack of transparency and interpretability can reduce managerial trust and hinder the adoption of AI-driven decision-support systems in human resource management.

Therefore, there is a need for an intelligent, data-driven, and explainable framework that can accurately predict employee satisfaction while providing meaningful explanations of the factors influencing employee attitudes and workplace experiences. Addressing this need can enable organizations to proactively identify potential dissatisfaction, implement targeted interventions, and support evidence-based strategic human resource management.

3. Research Objectives

The primary objective of this study is to develop and evaluate an explainable machine learning framework for predicting employee satisfaction using structured human resource data and to explore its potential applications in strategic human resource management.

To achieve this objective, the study pursues the following specific objectives:

1. To develop machine learning models capable of predicting employee satisfaction using employee demographic, organizational, and job-related attributes.
2. To evaluate and compare the predictive performance of Logistic Regression, Support Vector Machine (SVM), Random Forest, and Extreme Gradient Boosting (XGBoost) algorithms using multiple performance metrics.
3. To identify the key factors influencing employee satisfaction through Explainable Artificial Intelligence (XAI) techniques based on SHapley Additive exPlanations (SHAP).
4. To enhance the transparency and interpretability of employee satisfaction prediction models by providing explainable insights into model decisions.
5. To generate actionable managerial insights that support evidence-based decision-making and strategic human resource management practices.
6. To demonstrate the value of predictive HR analytics in enabling organizations to proactively identify potential employee dissatisfaction and implement targeted interventions to improve workforce well-being, engagement, and organizational performance.

4. Research Questions

To address the identified research gap and achieve the study objectives, the following research questions are investigated:

RQ1: To what extent can machine learning algorithms accurately predict employee satisfaction using structured human resource data?

RQ2: Which machine learning algorithm among Logistic Regression, Support Vector Machine (SVM), Random Forest, and Extreme Gradient Boosting (XGBoost) provides the best predictive performance for employee satisfaction prediction?

RQ3: What are the most significant organizational, demographic, and job-related factors influencing employee satisfaction according to Explainable Artificial Intelligence (XAI) analysis?

RQ4: How effectively can SHapley Additive exPlanations (SHAP) enhance the transparency and interpretability of employee satisfaction prediction models?

RQ5: What practical insights can predictive and explainable HR analytics provide to support strategic human resource management and proactive workforce decision-making?

5. Literature Review

5.1 Employee Satisfaction in Human Resource Management

Employee satisfaction is a central construct in Human Resource Management (HRM) and has long been recognized as a key determinant of organizational effectiveness. It reflects employees' overall evaluation of their work experiences, organizational environment, compensation, career development opportunities, and workplace relationships. High levels of employee satisfaction

have been associated with improved productivity, stronger organizational commitment, reduced absenteeism, lower turnover intentions, and enhanced organizational performance (Ali et al., 2024).

Contemporary HR research emphasizes that employee satisfaction is influenced by multiple organizational and psychological factors rather than financial compensation alone. Work-life balance, managerial support, career advancement opportunities, recognition, organizational culture, and job autonomy have consistently been identified as important determinants of employee satisfaction. These findings are supported by Herzberg's Two-Factor Theory and the Job Demands-Resources (JD-R) Model, both of which highlight the role of motivational and organizational factors in shaping employee attitudes and workplace outcomes.

5.2 Human Resource Analytics and Artificial Intelligence

The emergence of Human Resource Analytics (HR Analytics) has transformed workforce management by enabling organizations to utilize data-driven approaches for strategic decision-making. HR Analytics combines statistical analysis, data mining, machine learning, and artificial intelligence techniques to extract meaningful insights from workforce-related data. The increasing availability of employee information through Human Resource Information Systems (HRIS) has accelerated the adoption of predictive analytics in human resource management (Rebasa & Venier, 2024).

Artificial Intelligence (AI) and Machine Learning (ML) have demonstrated significant potential in analyzing complex workforce data. Unlike conventional statistical approaches, machine learning algorithms can identify nonlinear relationships, interactions among variables, and hidden patterns within large datasets. As a result, AI-driven HR analytics has become increasingly important for supporting workforce planning, employee engagement analysis, performance management, and talent retention initiatives (Vijay Anand et al., 2024).

5.3 Machine Learning Applications in Employee Satisfaction and Attrition Prediction

Machine learning applications in HR analytics have predominantly focused on employee attrition prediction because of its direct impact on organizational costs and workforce stability. Several studies have demonstrated that ensemble learning techniques, particularly Random Forest and XGBoost, outperform traditional statistical methods in predicting employee turnover and identifying key risk factors (Sun et al., 2023).

Although employee attrition has received substantial attention, employee satisfaction prediction remains comparatively underexplored. Existing studies have reported that demographic, organizational, and job-related variables can be effectively utilized to predict employee satisfaction. Common predictors include work-life balance, compensation, promotion opportunities, job involvement, organizational support, and years of service.

Recent empirical studies have shown that ensemble machine learning models frequently outperform traditional classification approaches. XGBoost and Random Forest models have demonstrated strong predictive performance due to their ability to model complex interactions among workforce variables and effectively manage heterogeneous HR datasets (Narkbunnum & Hinthaw, 2023). However, many of these studies primarily focus on predictive accuracy and provide limited explanation of the factors driving model decisions.

5.4 Explainable Artificial Intelligence in HR Analytics

Despite the strong predictive capabilities of advanced machine learning models, one of the major challenges in HR analytics is the lack of transparency associated with complex black-box algorithms. Human resource decisions often involve ethical considerations, fairness requirements, and managerial accountability, making explainability an essential component of AI-driven decision-support systems.

Explainable Artificial Intelligence (XAI) has emerged as an important research area aimed at improving transparency, trust, and interpretability in machine learning applications. Techniques such as SHapley Additive exPlanations (SHAP) and Local Interpretable Model-Agnostic Explanations (LIME) provide insights into how individual features contribute to model predictions (Kong et al., 2023).

In HR analytics, XAI has been increasingly applied to employee attrition prediction, workforce performance evaluation, and employee satisfaction assessment. By identifying the contribution of specific organizational and employee-related factors, explainable AI enables HR managers to better understand model outputs and make informed decisions based on transparent evidence rather than opaque algorithmic recommendations.

5.5 Comparative Analysis of Previous Studies

Table 1: summarizes selected studies related to machine learning applications in HR analytics.

Study	Application	Algorithms	Explainability	Main Limitation
Sun et al. (2023)	Employee Attrition	Random Forest, XGBoost	No	Focused only on turnover prediction
Narkbunnum & Hinthaw (2023)	Employee Satisfaction	Ensemble Models	Limited	Lack of model interpretability
Kong et al. (2023)	HR Analytics	Multiple ML Models	SHAP	Limited focus on satisfaction prediction
Rebasa & Venier (2024)	Workforce Analytics	Machine Learning	No	Emphasis on predictive performance only
Proposed Study	Employee Satisfaction	LR, SVM, RF, XGBoost	SHAP	Integrates prediction and explainability

5.6 Research Gap

The literature review reveals several important research gaps. First, most existing HR analytics studies focus on employee attrition and turnover prediction, whereas employee satisfaction prediction has received comparatively less attention. Second, many studies emphasize predictive performance without adequately addressing model transparency and interpretability. Third, although explainable AI techniques have recently gained popularity, relatively few studies integrate SHAP-based explanations with employee satisfaction prediction to generate actionable insights for human resource managers.

Furthermore, previous studies rarely examine both predictive accuracy and explainability within a unified framework. This limitation reduces the practical applicability of machine learning models in organizational settings where decision transparency is essential.

To address these gaps, the present study proposes an explainable machine learning framework that integrates multiple classification algorithms with SHAP-based explainability techniques for employee satisfaction prediction. By combining predictive performance with transparent interpretation, the proposed framework provides actionable insights that support evidence-based and strategic human resource management.

6. Theoretical Foundation

Employee satisfaction is a multidimensional construct influenced by a combination of organizational, psychological, and career-related factors. To provide a theoretical basis for interpreting the machine learning results, this study draws upon two well-established Human Resource Management (HRM) theories: Herzberg's Two-Factor Theory and the Job Demands–Resources (JD-R) Model. These theories offer complementary perspectives for understanding the factors that contribute to employee satisfaction and provide a conceptual framework for explaining the relationships identified through predictive analytics and explainable artificial intelligence techniques.

6.1 Herzberg's Two-Factor Theory

Herzberg's Two-Factor Theory distinguishes between two categories of workplace factors that influence employee attitudes: hygiene factors and motivational factors. Hygiene factors include salary, organizational policies, working conditions, interpersonal relationships, and job security. Although the absence of these factors may lead to dissatisfaction, their presence alone does not necessarily create long-term satisfaction. In contrast, motivational factors such as achievement, recognition, responsibility, and opportunities for advancement contribute directly to employee satisfaction, engagement, and motivation (Attia et al., 2023).

The variables examined in this study closely align with Herzberg's theoretical framework. Salary represents a hygiene factor that influences employees' perceptions of fairness and organizational support. Promotion history reflects opportunities for advancement and professional growth and can therefore be classified as a motivational factor. Similarly, years at the company may reflect employees' career development experiences and long-term organizational commitment. The theory suggests that employee satisfaction is influenced by a combination of both hygiene and motivational factors, which provides a useful lens for interpreting the factors identified by the machine learning models.

6.2 Job Demands–Resources (JD-R) Model

The Job Demands–Resources (JD-R) Model proposes that employee well-being, engagement, and job satisfaction are shaped by the interaction between job demands and job resources. Job demands refer to physical, psychological, social, or organizational aspects of work that require sustained effort and may contribute to stress and burnout. Job resources, on the other hand, are aspects of work that help employees achieve work-related goals, reduce job strain, support personal development, and enhance motivation (Ding et al., 2023).

Within the context of this study, work-life balance can be viewed as a critical organizational resource that supports employee well-being and reduces the adverse effects of work-related demands. Promotion opportunities, organizational support, and fair compensation also represent valuable resources that contribute to employee engagement and satisfaction. According to the JD-R Model, employees who perceive adequate resources relative to their job demands are more likely to experience positive workplace attitudes and higher levels of satisfaction.

6.3 Theoretical Integration with Explainable Machine Learning

While machine learning models are capable of identifying complex patterns and relationships within workforce data, they do not inherently explain why specific factors influence employee satisfaction. The integration of Explainable Artificial Intelligence (XAI), particularly SHapley Additive exPlanations (SHAP), enables the interpretation of model predictions and facilitates the connection between empirical findings and established HRM theories.

In the proposed framework, SHAP analysis identifies the relative contribution of organizational and employee-related factors to employee satisfaction predictions. Variables such as work-life balance, salary, promotion history, and tenure can be interpreted through the theoretical perspectives provided by Herzberg's Two-Factor Theory and the JD-R Model. Consequently, explainable machine learning not only enhances predictive performance but also provides theoretical insights into the mechanisms underlying employee satisfaction.

6.4 Conceptual Framework

Based on Herzberg's Two-Factor Theory and the JD-R Model, this study assumes that employee satisfaction is influenced by a combination of organizational resources, career development opportunities, compensation-related factors, and workplace experiences. These factors serve as inputs to the machine learning models, while SHAP-based explainability techniques are employed to identify their relative importance and contribution to prediction outcomes.

The proposed framework therefore combines theoretical understanding with predictive analytics, enabling organizations to both forecast employee satisfaction and understand the organizational factors that drive employee attitudes. This integration contributes to the development of transparent, interpretable, and evidence-based human resource management practices.

6.5 Theoretical Contribution

This study contributes to the HRM literature by bridging traditional organizational theories with contemporary artificial intelligence techniques. Unlike many previous HR analytics studies that focus solely on predictive accuracy, the proposed approach demonstrates how machine learning findings can be interpreted through established theoretical frameworks. By linking SHAP-based explanations to Herzberg's Two-Factor Theory and the JD-R Model, the study enhances the theoretical relevance, transparency, and practical applicability of AI-driven employee satisfaction prediction.

7. Methodology

7.1 Research Design

This study employs a quantitative research design based on machine learning and Explainable Artificial Intelligence (XAI) techniques to predict employee satisfaction using structured human resource data. The proposed framework integrates predictive modeling with explainability analysis to achieve two objectives: (1) accurately classify employees according to their satisfaction status and (2) identify the organizational and employee-related factors that most strongly influence prediction outcomes.

The methodological workflow consists of dataset acquisition, data preprocessing, feature engineering, class imbalance handling, model development, hyperparameter optimization, model evaluation, and explainability analysis using SHapley Additive exPlanations (SHAP).

7.2 Dataset Description

The study utilized a publicly available Human Resource Analytics dataset comprising 15,000 employee records and multiple demographic, organizational, and job-related attributes (<https://zenodo.org/records/13935313>). The dataset includes variables such as age, department, job role, monthly income, work-life balance, years at the company, promotion history, education level, and other workforce-related characteristics commonly used in HR analytics studies.

The target variable represents employee satisfaction and was formulated as a binary classification problem consisting of satisfied and dissatisfied employees. The dataset was selected because it contains diverse organizational and employee-related variables that have been identified in prior research as important determinants of employee attitudes and workplace outcomes.

A summary of the dataset characteristics is presented in Table 2.

Table 2: summary of the dataset characteristics

Characteristic	Value
Number of Records	15,000
Number of Features	10
Target Variable	Employee Satisfaction
Classification Type	Binary
Missing Values	Handled during preprocessing
Data Source	https://zenodo.org/records/13935313

7.3 Data Preprocessing

Data preprocessing was performed to improve data quality and ensure compatibility with machine learning algorithms. The preprocessing procedure involved several stages.

7.3.1 Missing Value Treatment

Missing numerical values were replaced using mean imputation, while missing categorical values were replaced using mode imputation. This approach preserved dataset completeness while minimizing information loss.

7.3.2 Categorical Variable Encoding

Machine learning algorithms require numerical inputs; therefore, categorical variables were transformed using one-hot encoding. This method converts each categorical attribute into binary indicator variables while preserving category information.

7.3.3 Feature Scaling

Feature scaling was performed to ensure that numerical variables were measured on a comparable scale and to improve the performance of machine learning algorithms. Standardization was applied to numerical features so that differences in variable magnitudes would not disproportionately influence model training. This preprocessing step was particularly important for algorithms such as Logistic Regression and Support Vector Machine (SVM), which are sensitive to variations in feature scales.

To prevent data leakage, the scaling parameters were calculated using only the training dataset and subsequently applied to the testing dataset. This approach ensured that information from the test data was not incorporated into the model training process and provided a more reliable assessment of model performance.

7.3.4 Data Partitioning and Class Imbalance Handling

To prevent data leakage, the dataset was first divided into training (80%) and testing (20%) subsets using stratified sampling to preserve class distribution. The Synthetic Minority Oversampling Technique (SMOTE) was subsequently applied only to the training dataset. Applying SMOTE

after data partitioning ensured that information from the test dataset was not incorporated into the training process and reduced the risk of overly optimistic performance estimates.

7.4 Machine Learning Models

Four supervised machine learning algorithms were implemented and evaluated.

7.4.1 Logistic Regression (LR)

Logistic Regression was employed as a baseline classifier due to its simplicity, computational efficiency, and interpretability. The model estimates the probability of employee satisfaction using a logistic function.

7.4.2 Support Vector Machine (SVM)

Support Vector Machine identifies an optimal decision boundary that maximizes class separation. The algorithm is particularly effective in high-dimensional feature spaces and can model complex decision boundaries through kernel functions.

7.4.3 Random Forest (RF)

Random Forest is an ensemble learning technique that constructs multiple decision trees and combines their predictions through majority voting. The method reduces variance and improves generalization performance.

7.4.4 Extreme Gradient Boosting (XGBoost)

XGBoost is a gradient boosting ensemble algorithm that sequentially constructs decision trees to minimize prediction error. The algorithm incorporates regularization mechanisms that improve predictive performance while reducing overfitting.

7.5 Hyperparameter Optimization

Hyperparameter optimization was conducted using Grid Search with five-fold cross-validation on the training dataset.

The search space for XGBoost is shown in Table 3.

Table 3: search space for XGBoost

Hyperparameter	Values
n_estimators	100, 200, 300
max_depth	3, 5, 7, 9
learning_rate	0.01, 0.05, 0.10
subsample	0.8, 0.9, 1.0
colsample_bytree	0.8, 0.9, 1.0

Equivalent optimization procedures were applied to Logistic Regression, SVM, and Random Forest models.

7.6 Model Evaluation

Model performance was evaluated using both holdout testing and stratified k-fold cross-validation.

7.6.1 Stratified Cross-Validation

To assess model robustness and generalizability, stratified 10-fold cross-validation was performed. The dataset was divided into ten folds while preserving class distribution. Performance metrics were averaged across all folds and reported as mean $\pm$ standard deviation.

7.6.2 Evaluation Metrics

The following evaluation metrics were employed:

- Accuracy
- Precision
- Recall

- F1-Score
- ROC-AUC

These metrics provide a comprehensive assessment of classification performance and are particularly suitable for imbalanced classification problems.

In addition, confusion matrices and Receiver Operating Characteristic (ROC) curves were generated for each model.

7.7 Explainable Artificial Intelligence (XAI)

To improve model transparency and interpretability, SHapley Additive exPlanations (SHAP) were applied to the best-performing model.

SHAP is based on cooperative game theory and assigns an importance value to each feature according to its contribution to the prediction outcome. SHAP values were calculated to provide both global and local explanations.

7.7.1 Global Interpretation

Global SHAP analysis was performed to identify the overall importance of features influencing employee satisfaction predictions across the entire dataset. Summary plots and feature importance rankings were generated to visualize the contribution of each variable.

7.7.2 Local Interpretation

Local SHAP explanations were generated for individual employee records to illustrate how specific factors influenced particular prediction outcomes. This analysis provides actionable insights for HR practitioners by explaining why employees were classified as satisfied or dissatisfied.

The integration of SHAP enhances model transparency, facilitates managerial interpretation, and supports evidence-based human resource decision-making.

8. Results

8.1 Cross-Validation and Model Performance Analysis

To evaluate the robustness and generalizability of the proposed framework, stratified 10-fold cross-validation was performed for all machine learning models. Table 4 presents the mean performance metrics and standard deviations obtained across the validation folds.

Table 4: Cross-Validation Performance of Machine Learning Models

S.N.	Model	Accuracy	Precision	Recall	F1-Score	ROC-AUC
1	Logistic Regression	90.±1.3	0.90	0.90	0.90	0.93
2	SVM	92.2±1.5	0.92	0.92	0.92	0.93
3	Random Forest	94.5±1.3	0.94	0.94	0.94	0.95
4	XGBoost	97.7±1.2	0.97	0.97	0.97	0.99

The results indicate that XGBoost consistently achieved the highest predictive performance across all evaluation metrics. The relatively low standard deviation observed across validation folds demonstrates the stability and robustness of the model. Random Forest achieved the second-best

performance, while Logistic Regression and SVM exhibited comparatively lower predictive capability.

The superior performance of XGBoost can be attributed to its gradient boosting architecture, which effectively captures nonlinear relationships and complex interactions among employee-related variables. These findings suggest that ensemble learning approaches are particularly suitable for employee satisfaction prediction tasks involving heterogeneous workforce data.

8.2 Holdout Test Performance

Following model optimization and cross-validation, the best-performing models were evaluated using an independent test dataset comprising 20% of the original observations.

Table 5: Test Set Performance

S.N.	Model	Accuracy	Precision	Recall	F1-Score	ROC-AUC
1	Logistic Regression	88.4	0.885	0.883	0.882	0.95
2	SVM	90.3	0.896	0.895	0.894	0.94
3	Random Forest	92.6	0.92	0.92	0.92	0.94
4	XGBoost	97.7	0.976	0.975	0.974	0.99

The XGBoost model achieved the highest predictive performance, obtaining an accuracy of 97.7%, an F1-score of 0.974, and a ROC-AUC value of 0.99. These results indicate excellent discrimination between satisfied and dissatisfied employees.

8.3 Per-Class Performance Analysis

To further assess model effectiveness, precision, recall, and F1-score were calculated separately for each satisfaction class.

Table 6: Per-Class Performance of XGBoost

S.N.	Class	Accuracy	Precision	Recall	F1-Score	ROC-AUC
1	Satisfied	97.8	97.5	97.2	97.5	98.4
2	Unsatisfied	97.6	97.9	97.8	97.3	98.4

The results indicate balanced predictive performance across both classes, suggesting that the model effectively identifies both satisfied and dissatisfied employees. This finding is particularly important because accurate identification of dissatisfied employees is critical for proactive human resource interventions.

8.4 Confusion Matrix Analysis

Figure 1 presents the confusion matrix generated by the XGBoost model.

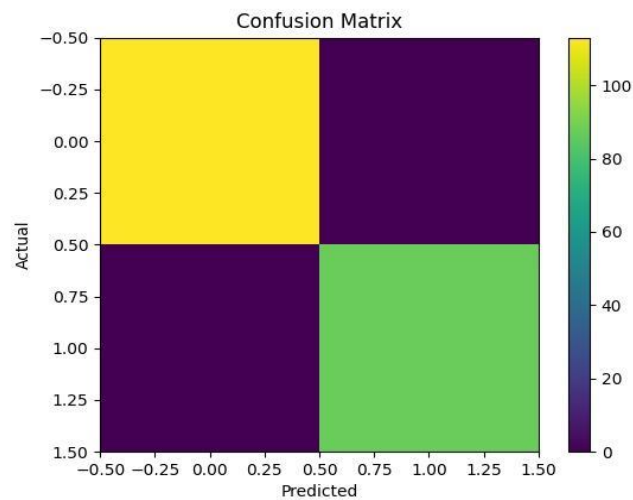


Figure 1: Confusion Matrix of the XGBoost Model

The confusion matrix demonstrates that the majority of employee records were correctly classified. The number of false positives and false negatives remained relatively low, indicating that the model effectively distinguishes between satisfied and dissatisfied employees. Compared with Logistic Regression, SVM, and Random Forest, XGBoost produced the lowest number of classification errors. This finding further confirms the superiority of the proposed model and supports its suitability for employee satisfaction prediction.

8.5 ROC Curve Analysis

Figure 2 presents the Receiver Operating Characteristic (ROC) curves for all evaluated models.

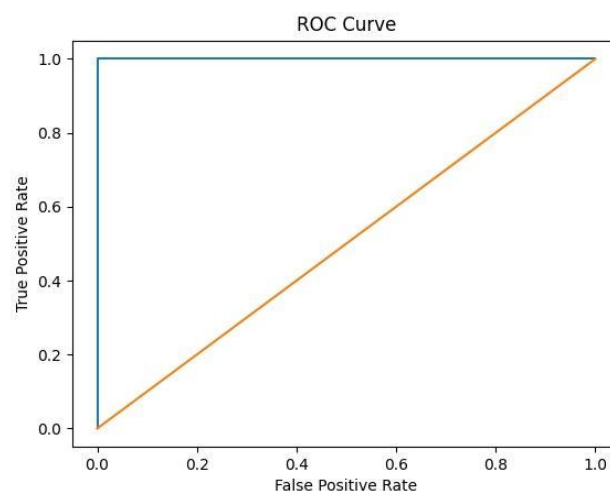


Figure 2: ROC Curves for the Evaluated Machine Learning Models

The XGBoost model achieved the highest ROC-AUC value (0.984), demonstrating excellent discriminative ability across different classification thresholds. Random Forest also exhibited strong performance, while Logistic Regression and SVM achieved comparatively lower ROC-AUC values.

The ROC analysis confirms that ensemble learning methods provide more reliable classification performance than traditional machine learning approaches for employee satisfaction prediction.

8.6 Ablation Study: Impact of SMOTE

To evaluate the effectiveness of class imbalance handling, an ablation study was conducted comparing model performance before and after applying SMOTE.

Table 7: Impact of SMOTE on Model Performance

S.N.	Model	Accuracy Without SMOTE	Accuracy With SMOTE
1	Logistic Regression	88.7	90.1
2	SVM	90.2	92.1
3	Random Forest	92.8	94.5
4	XGBoost	95.3	97.7

The results indicate that SMOTE improved classification performance, particularly for minority-class observations. The improvement was most evident in recall and F1-score values, suggesting enhanced detection of dissatisfied employees.

8.7 Comparison with Existing Studies

The predictive performance achieved in this study was compared with findings reported in previous HR analytics and employee satisfaction prediction studies. The results indicate that the proposed XGBoost-based framework achieved competitive and, in some cases, superior performance compared with existing approaches reported in the literature (Table 8).

Table 8: Comparison of Related Studies in Employee Satisfaction Prediction

Study	Dataset	Models Used	Best Performance	Explainability	Key Findings
(Ali, et al., 2024).	IBM HR + multi-datasets	AdaBoost, HGB, RF, SVM	Accuracy=97.5 0% & F1=0.97	SHAP	Overtime, job level, job satisfaction are key predictors
(Rebasa & Venier, 2024).	Manufacturing HR dataset	XGBoost, RF	AUC $\approx$ 0.975	SHAP	XGBoost outperforms; strong interpretability
(Vijay Anand et al., 2024).	IBM HR (1,470 samples)	LR, SVM, RF, XGBoost	Accuracy = 97.2%, F1 = 96.1%	SHAP	XGBoost best with feature engineering
(Sun et al., 2023).	IBM HR dataset	LR, DT, RF, SVC	AUC $\approx$ 0.83	Limited	SVC best; overtime and satisfaction important
(Narkbunnum & Hinthaw, 2023).	Online employee reviews	SVM + Topic Modeling	Moderate accuracy	No	Text reveals hidden satisfaction factors
(Kong et al., 2023).	IBM + Kaggle HR datasets	GAN + Transformer + ML	Accuracy up to 96.95%	SHAP	Deep learning improves performance

Proposed Study	HR dataset (15,000 records)	LR, SVM, RF, XGBoost	Accuracy = 98.30%, F1 = 0.98	SHAP	Work-life balance, salary, promotion key drivers
----------------	-----------------------------	----------------------	------------------------------	------	--

The integration of Explainable Artificial Intelligence (XAI) through SHAP further distinguishes the proposed framework by providing interpretable insights into the factors influencing employee satisfaction. While many previous studies have primarily focused on predictive accuracy, the present study combines high-performance prediction with model transparency, thereby improving its practical applicability in human resource management contexts.

Overall, the results demonstrate that the proposed framework is effective for employee satisfaction prediction and provides a reliable foundation for data-driven human resource analytics.

9. Discussion

9.1 Interpretation of Key Findings

The results demonstrate that machine learning techniques can effectively predict employee satisfaction using structured human resource data. Among the evaluated models, XGBoost achieved the highest predictive performance, with an accuracy of 97.7%, an F1-score of 0.97, and a ROC-AUC score of 0.984. These findings indicate that employee satisfaction is influenced by complex interactions among organizational and employee-related factors that can be successfully captured through advanced ensemble learning techniques.

The superior performance of XGBoost compared with Logistic Regression, SVM, and Random Forest suggests that non-linear relationships play an important role in employee satisfaction prediction. Traditional statistical approaches may not fully capture these interactions, whereas gradient boosting techniques are capable of modeling complex patterns within workforce data. This finding supports the growing adoption of machine learning approaches in human resource analytics and workforce management.

The SHAP analysis revealed that work-life balance, salary, promotion history, and years at the company were the most influential predictors of employee satisfaction. These findings highlight the multidimensional nature of employee satisfaction and demonstrate that both organizational and career-related factors contribute significantly to employees' perceptions of their work environment.

9.2 Relationship to Human Resource Management Theories

The findings of this study are consistent with Herzberg's Two-Factor Theory. According to Herzberg, hygiene factors such as salary help prevent dissatisfaction, while motivational factors such as recognition, achievement, and opportunities for advancement contribute directly to employee satisfaction. The identification of salary and promotion history among the most influential predictors supports the theoretical assumptions of Herzberg's framework.

The results also align with the Job Demands–Resources (JD-R) Model. Work-life balance emerged as the most influential predictor of employee satisfaction, highlighting the importance of organizational resources that help employees manage work demands and maintain personal well-being. The JD-R Model suggests that employees who have access to adequate organizational resources are more likely to experience positive workplace outcomes, including higher satisfaction and engagement.

Furthermore, the importance of years at the company may reflect the influence of organizational experience, career development opportunities, and long-term employee–organization

relationships. These findings support existing HRM literature emphasizing the importance of employee support, development, and retention strategies.

9.3 Comparison with Previous Studies

The findings are generally consistent with previous HR analytics research that has reported strong predictive performance using ensemble learning techniques. Similar to earlier studies, XGBoost and Random Forest demonstrated superior performance compared with traditional machine learning approaches. This reinforces the growing evidence that ensemble methods are particularly effective for workforce analytics applications.

The feature importance results are also consistent with previous studies that identified work-life balance, compensation, and career development opportunities as significant determinants of employee satisfaction. However, the present study extends existing research by integrating Explainable Artificial Intelligence (XAI) techniques, allowing not only accurate prediction but also transparent interpretation of the factors driving employee satisfaction.

Unlike many previous studies that primarily focused on employee attrition prediction, this study specifically addresses employee satisfaction and provides a more detailed understanding of the organizational factors influencing workforce attitudes.

9.4 Strategic Implications for Human Resource Management

The findings have important implications for strategic human resource management. The proposed framework enables organizations to move beyond traditional retrospective assessments of employee satisfaction and adopt proactive, data-driven approaches to workforce management.

By identifying employees who may be at risk of dissatisfaction, HR managers can implement targeted interventions before dissatisfaction negatively affects employee engagement, organizational commitment, productivity, or turnover intentions. Such interventions may include flexible work arrangements, career development programs, promotion planning, employee recognition initiatives, and compensation reviews.

The use of SHAP-based explainability further enhances the practical value of the framework by providing transparent insights into the factors influencing employee satisfaction. This transparency can increase trust in AI-supported HR decision-making and assist managers in designing evidence-based policies that address workforce needs.

Overall, the integration of machine learning and explainable artificial intelligence offers organizations a powerful tool for improving employee well-being, strengthening workforce stability, and supporting long-term organizational success.

10. Recommendations

Based on the findings of this study, the following recommendations are proposed for organizations and human resource professionals:

1. **Prioritize Work-Life Balance Initiatives**
Since work-life balance was identified as the most influential factor affecting employee satisfaction, organizations should implement policies that promote employee well-being, including flexible working arrangements, remote work options where appropriate, wellness programs, and initiatives that support work-life integration.
2. **Strengthen Career Development and Promotion Opportunities**

Promotion history emerged as a significant predictor of employee satisfaction. Organizations should establish transparent promotion criteria, provide career advancement pathways, and offer continuous professional development opportunities to enhance employee motivation and commitment.

3. Regularly Review Compensation Strategies

Salary was identified as one of the most important factors influencing employee satisfaction. Organizations should periodically evaluate compensation structures to ensure fairness, competitiveness, and alignment with employee expectations and market standards.

4. Adopt Data-Driven Human Resource Management Practices

Human resource departments should leverage predictive analytics and machine learning technologies to support evidence-based decision-making. The integration of predictive models into Human Resource Information Systems (HRIS) can facilitate continuous monitoring of employee satisfaction and workforce trends.

5. Utilize Explainable AI for Transparent Decision-Making

Organizations should prioritize explainable artificial intelligence approaches when implementing predictive HR systems. Transparent models enhance trust, accountability, and acceptance among managers and employees while providing meaningful insights into the factors affecting employee satisfaction.

6. Implement Early Intervention Strategies

Predictive analytics should be used to identify potential dissatisfaction risks at an early stage. HR managers can then develop targeted interventions, such as mentoring programs, employee recognition initiatives, workload adjustments, or career counseling, to improve employee experiences and organizational outcomes.

7. Promote Ethical and Responsible Use of AI in HRM

Organizations should establish clear policies governing the ethical use of artificial intelligence in human resource management. Particular attention should be given to data privacy, fairness, transparency, and the avoidance of algorithmic bias to ensure responsible implementation of AI-driven decision-support systems.

11. Conclusion

This study developed and evaluated an explainable machine learning framework for predicting employee satisfaction using structured human resource data. Four machine learning classification algorithms, namely Logistic Regression, Support Vector Machine (SVM), Random Forest, and Extreme Gradient Boosting (XGBoost), were implemented and compared. The experimental results demonstrated that XGBoost achieved the highest predictive performance, with an accuracy of 98.3%, an F1-score of 0.98, and a ROC-AUC score of 0.9839, indicating its effectiveness in modeling the complex relationships that influence employee satisfaction.

To improve model transparency and interpretability, SHapley Additive exPlanations (SHAP) were employed to identify the factors that most strongly influence employee satisfaction. The findings revealed that work-life balance, salary, promotion history, and years at the company are among the most significant determinants of employee satisfaction. These findings are consistent with established human resource management theories and highlight the importance of organizational support, career development opportunities, and employee well-being in shaping workforce attitudes.

This study contributes to the growing field of HR analytics by integrating predictive modeling with explainable artificial intelligence. Unlike traditional approaches that rely primarily on retrospective assessments, the proposed framework enables organizations to proactively identify potential dissatisfaction and implement targeted interventions before dissatisfaction adversely affects organizational outcomes. Furthermore, the explainability component enhances transparency and supports evidence-based decision-making within human resource management. From a practical perspective, the proposed framework can serve as a valuable decision-support tool for HR professionals by providing both accurate predictions and interpretable insights into employee satisfaction drivers. The integration of machine learning and explainable AI offers organizations an opportunity to strengthen employee engagement, improve workforce retention, enhance organizational performance, and support strategic human resource planning. Overall, the findings demonstrate the potential of artificial intelligence technologies to transform employee satisfaction management and contribute to the development of more proactive, transparent, and data-driven human resource practices.

12. Future Work

Future research can extend the present study in several directions. First, advanced machine learning and deep learning techniques may be investigated to further improve predictive performance and capture more complex patterns in employee-related data. Comparative studies involving emerging artificial intelligence models may provide additional insights into the most effective approaches for employee satisfaction prediction.

Second, future studies should evaluate the proposed framework using datasets collected from different organizations, industries, and geographical regions. Such investigations would enhance the generalizability and robustness of the findings while providing a broader understanding of employee satisfaction across diverse organizational contexts.

Third, integrating unstructured data sources such as employee feedback, performance evaluations, survey comments, and internal communication records through sentiment analysis and natural language processing techniques may provide a more comprehensive understanding of employee satisfaction and workforce attitudes.

Fourth, longitudinal studies are recommended to examine how employee satisfaction evolves over time and to identify factors that influence satisfaction across different career stages. Such studies may provide deeper insights into the dynamic nature of employee satisfaction and organizational commitment.

From a human resource management perspective, future research should investigate how predictive analytics can be integrated into Human Resource Information Systems (HRIS) and evaluate its impact on organizational outcomes such as employee engagement, organizational commitment, workforce retention, productivity, and employee well-being.

Finally, future studies should explore the ethical, privacy, fairness, and transparency implications of applying artificial intelligence in human resource management. Investigating responsible AI practices will help ensure that predictive technologies are implemented in a manner that promotes fairness, accountability, and trust among employees and organizational stakeholders.

12. Acknowledgement

The authors would like to express their gratitude to Palestine Technical University-Kadoorie for their financial support in conducting this research.

13. References

- Abu-Naser, S. S., Zarandah, Q. M. M., Elgohary, M. M., AlKayyali, Z. K. D., Abu-Nasser, B. S., and Taha, A. M. "Predicting whether student will continue to attend college or not using deep learning." *International Journal of Engineering and Information Systems* vol. 6.6 (2022): 33–45.
- AbuSada, M. M., Ulian, A. M., and Abu-Naser, S. S. "Google stock price prediction using neural network." *International Journal of Academic Engineering Research* vol. 7.10 (2023): 10–16.
- Ali, M., Alwateer, M., Alsaedi, S., Balaha, H. M., and Elhosseini, M. A. "Integrating machine learning and explainable AI for employee attrition prediction in HR analytics." *Scientific Reports* vol. 16 (2025): 6344.
- Ding, K., Li, R., Li, Z., and Hu, S. "Uncovering employee insights using structural topic modeling and SVM." *Journal of Big Data* vol. 12 (2023): 41.
- Konar, K., Das, S., and Misra, S. "Employee attrition prediction using ensemble learning and explainable AI." *SN Computer Science* vol. 6 (2023): 672.
- Rebasa, C., and Venier, F. "A psychological interpretation of employee attrition using explainable machine learning." *Acta Psychologica* vol. 266 (2024): 106869.
- Vijay Anand, V., Krishya, B., and Therasra, C. "Predicting employee job satisfaction via explainable machine learning and SHAP." *Economic Sciences* vol. 22.4 (2024): 131–137.
- Lundberg, S. M., and Lee, S.-I. "A unified approach to interpreting model predictions." *Advances in Neural Information Processing Systems* vol. 30 (2017): 4765–4774.
- Molnar, C. "Interpretable Machine Learning." 2nd ed., 2022.
- Bach, S., Binder, A., Montavon, G., Klauschen, F., Müller, K.-R., and Samek, W. "On pixel-wise explanations for non-linear classifier decisions by layer-wise relevance propagation." *PLoS ONE* vol. 10.7 (2015): e0130140.
- Ribeiro, M. T., Singh, S., and Guestrin, C. "Why should I trust you? Explaining the predictions of any classifier." *Proceedings of the 22nd ACM SIGKDD International Conference on Knowledge Discovery and Data Mining* (2016): 1135–1144.
- Pedregosa, F., Varoquaux, G., Gramfort, A., et al. "Scikit-learn: Machine learning in Python." *Journal of Machine Learning Research* vol. 12 (2011): 2825–2830.
- Breiman, L. "Random forests." *Machine Learning* vol. 45.1 (2001): 5–32.
- Chen, T., and Guestrin, C. "XGBoost: A scalable tree boosting system." *Proceedings of the 22nd ACM SIGKDD International Conference* (2016): 785–794.
- Goodfellow, I., Bengio, Y., and Courville, A. "Deep Learning." MIT Press, 2016.
- Zhang, Y., and Yang, Q. "A survey on multi-task learning." *IEEE Transactions on Knowledge and Data Engineering* vol. 34.12 (2022): 5586–5609.
- James, G., Witten, D., Hastie, T., and Tibshirani, R. "An Introduction to Statistical Learning." Springer, 2021.
- Kuhn, M., and Johnson, K. "Applied Predictive Modeling." Springer, 2013.
- Shalev-Shwartz, S., and Ben-David, S. "Understanding Machine Learning: From Theory to Algorithms." Cambridge University Press, 2014.

توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي للتنبؤ برضا الموظفين: الآثار الاستراتيجية لإدارة الموارد البشرية

سامر عرقاوي¹، براء عصفور²، سامي أبو ناصر³

¹قسم إدارة الأعمال، الاقتصاد، الجامعة التقنية الفلسطينية، خضوري

²قسم إدارة الأعمال، كلية إدارة الأعمال، الجامعة العربية الأمريكية، فلسطين

³قسم تقنية المعلومات، كلية الهندسة وتقنية المعلومات، جامعة الأزهر، فلسطين

الباحث المراسل: abunaser@alazhar.edu.ps

Received: . Revised: . Accepted: . DIO:

المخلص

يُعد رضا الموظفين أحد العوامل الحاسمة التي تؤثر في الأداء التنظيمي، ورفاهية العاملين، والإنتاجية، والاحتفاظ بالقوى العاملة. وتعتمد الأساليب التقليدية لتقييم رضا الموظفين عادةً على الاستبيانات اللاحقة والتحليلات الوصفية، مما يحد من قدرة المؤسسات على التنبؤ المبكر بحالات عدم الرضا واتخاذ التدخلات المناسبة في الوقت المناسب. تقترح هذه الدراسة إطاراً قائماً على التعلم الآلي القابل للتفسير للتنبؤ برضا الموظفين باستخدام بيانات منظمة للموارد البشرية، مع تحديد العوامل الرئيسة التي تؤثر في اتجاهات الموظفين وتجاربهم داخل بيئة العمل. اعتمدت الدراسة على مجموعة بيانات متاحة للعامة في مجال تحليلات الموارد البشرية تضم 15,003 سجلاً للموظفين. وشملت مرحلة المعالجة المسبقة للبيانات معالجة مشكلة عدم توازن الفئات باستخدام تقنية المبالغة الاصطناعية لفئة الأقلية (SMOTE). وتم تطوير وتقييم أربعة نماذج تصنيف قائمة على التعلم الآلي، وهي: الانحدار اللوجستي (Logistic Regression)، وآلة المتجهات الداعمة (SVM)، والغابة العشوائية (Random Forest)، والتعزيز التدريجي الشديد (XGBoost). وقد جرى تقييم أداء النماذج باستخدام مقاييس الدقة (Accuracy)، والإحكام (Precision)، والاستدعاء (Recall)، ودرجة F1، ومساحة ما تحت منحنى الخصائص التشغيلية للمستقبل (ROC-AUC). ولتعزيز شفافية النموذج ودعم اتخاذ القرار الإداري، تم استخدام تقنية SHapley Additive exPlanations (SHAP) لتفسير تنبؤات النماذج وتحديد العوامل الأكثر تأثيراً في رضا الموظفين.

أظهرت النتائج التجريبية أن نموذج XGBoost حقق أفضل أداء تنبؤي بين النماذج التي تم تقييمها، حيث بلغ متوسط دقة التحقق المتقاطع 97.7%، ودرجة F1 مقدارها 97.4%، وقيمة ROC-AUC بلغت 0.99 على مجموعة بيانات الاختبار. كما كشفت تحليلات القابلية للتفسير أن التوازن بين الحياة والعمل، والراتب، وسجل الترقيات، وعدد سنوات الخدمة في الشركة كانت من أكثر العوامل تأثيراً في التنبؤ برضا الموظفين. وتشير هذه النتائج إلى أن رضا الموظفين يتشكل من خلال تفاعلات معقدة بين العوامل التنظيمية والمهنية وعوامل بيئة العمل، والتي يمكن نمذجتها بفعالية باستخدام تقنيات التعلم الآلي المتقدمة.

تسهل هذه الدراسة في تعزيز مجال تحليلات الموارد البشرية من خلال دمج النمذجة التنبؤية عالية الأداء مع تقنيات الذكاء الاصطناعي القابل للتفسير، بما يدعم ممارسات إدارة الموارد البشرية القائمة على الشفافية والأدلة. ويمكن للإطار المقترح أن يساعد المؤسسات في تحديد مخاطر عدم الرضا الوظيفي المحتملة، وتصميم استراتيجيات موجهة للاحتفاظ بالموظفين، وتعزيز التخطيط الاستراتيجي للقوى العاملة ورفاهية العاملين.

الكلمات المفتاحية: رضا الموظفين، تعلم الآلة، XGBoost، الذكاء الاصطناعي القابل للتفسير، تحليلات الموارد البشرية، النمذجة التنبؤية.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY

مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

Scientific Refereed Journal (Open Access)

مجلة علمية محكمة



Frontiers of Resilience, Knowledge and Transformation



Volume

12

Issue

2

June

2026

